تنویر العینین شرح تفسیر جلالین

شرح موجز على تفسير الجلالين يكشف دقائقه وأسراره

4

تنوير العينين

بشرح تفسير الجلالين

ردمك

المجلد الرابع

تنوير العينين بشرح تفسير الجلالين

(شرح موجز على تفسير الجلالين يكشف دقائقه وأسراره)

تأليف

أبي سهيل أنور عبدالله بن عبدالرحمن الفضفري

المجلد الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٩- سورة الزُّمر(١)

مكية(٢)، **إلا** ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ...﴾ [٥٣] **الآية فمدنية، وآياتها خمس وسبعون آية**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، مبتدأ(٣) ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ (١)﴾ في صنعه.

(٢)- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أنزل» ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (٢)﴾ من الشرك، أي: موحدًا له.

(٣)- ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ لا يستحقه غيره(٤) ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ وهم كفار مكة، قالوا(٥): ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى

---

(١) قوله: (سورة الزمر). قال القرطبي: «وتسمى سورة الغُرَف».اهـ. ونقله عن وهب بن منبه في قوله: «من أحب أن يعرف قضاء الله في خلقه فليقرأ سورة الغرف».اهـ.

(٢) قوله: (مكية). كلها مكية في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر بن زيد. وعن ابن عباس: «إلا آيتين، إحداهما: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ...﴾ [٢٣]، والأخرى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ [٥٣]»، وقيل: إلا سبع آيات من ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ إلى آخر سبع آيات...اهـ. ذكر كله القرطبي.

(٣) قوله: (مبتدأ). ما ذكر المفسر أحد الأوجه في إعراب الآية، وذكره القرطبي وغيره، ويجوز أن يكون خبرًا لمبتدأ محذوف، أي: هذا تنزيل. قاله الفراء. ويجوز غير ذلك.

(٤) قوله: (لا يستحقه غيره). أي: فيكون الدين بمعنى العبادة. كما فسر بها ابن جرير. وروى عن قتادة: «شهادة أن لا إله إلا الله».اهـ.

(٥) قوله: (قالوا...). قدره ليكون خبرًا لـ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾، فيكون جملة ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ ...﴾ في محل نصب مقولًا للقول المحذوف.

ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ قربى، مصدر بمعنى: تقريبًا[(١)] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المسلمين ﴿فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فيدخل المؤمنين الجنة، والكافرين النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ في نسبة الولد إلى الله[(٢)] ﴿كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ بعبادته غير الله.

﴿٤﴾- ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما قالوا[(٣)]: «ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾» [مريم: ٨٨]، ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ واتخذه ولدًا غير[(٤)] من قالوا من الملائكة بنات الله، و«عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ»، و«ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ» [التوبة: ٣٠]، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا[(٥)] له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ لخلقه.

﴿٥﴾- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ«خَلَقَ»، ﴿يُكَوِّرُ﴾ يدخل[(٦)]

---

(١) قوله: (مصدر). يعني أنها اسم مصدر منصوب على أنها مفعول مطلق لـ«يُقَرِّبُونَآ»، وهو ممنوع من الصرف لألف التأنيث، وتقدمت الكلمة في سورة سبأ وصٓ.

(٢) قوله: (في نسبة الولد). وبمثله فسر ابن جرير. وتخصيص نسبة الولد بالذكر لمناسبة الآية التالية: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ...﴾، ولأنها مقولة كفار مكة حيث نسبوا الملائكة بناتٍ له تعالى.

(٣) قوله: (كما قالوا). حكى المفسر ثلاثة أقاويل: الأول قول المشركين، والثاني قول اليهود، والثالث قول النصارى، كما هو معلوم.

(٤) وقوله: (واتخذه ولدًا غير من قالوا...). أي: لكان الأمر إليه تعالى سبحانه لا إليهم، ولكن الله سبحانه لا ينبغي له ذلك، ولا يحتاج إليه.

(٥) وقوله: (تنزيهًا). أشار إلى أن سبحانه مفعول مطلق لفعل محذوف، وقد تقدم نظيره أكثر من مرة.

(٦) قوله: (يدخل...). كما قال الضحاك: «يلقي هذا على هذا، وهذا على هذا». قال القرطبي بعد نقله عنه هذا: «وهذا على معنى التكوير في اللغة، وهو طرح الشيء بعضه على بعض،=

﴿ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ﴾ يدخله ﴿عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ﴾ ليوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ ٥﴾ لأوليائه.

٦- ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ أي: آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ حواء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ الإبل والبقر والغنم الضأن والمعز ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ﴾ من كلٍّ زوجان ذكر وأنثى كما بيّن في سورة الأنعام[1] ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ﴾ أي: نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا[2] ﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾ هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة[3] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ[4] تُصۡرَفُونَ ٦﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره.

٧- ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ وإن أراده من بعضهم[5]

= يقال: كوّر المتاع أي: ألقى بعضه على بعض، ومنه كور العمامة».اهـ. وعن قتادة: «يغشى هذا هذا، ويغشى هذا هذا».اهـ. أي: تكوير الليل على النهار تغشيته إياه حتى يذهب ضوءه، وتكوير النهار على الليل تغشيته إياه حتى يذهب ظلمته. والمعنيان متقاربان.

(١) قوله: (في سورة الأنعام). أي: الآية (١٤٣).

(٢) قوله: (أي: نطفًا...). كما تقدم في أول سورة الحج وأول سورة المؤمنون.

(٣) قوله: (هي ظلمة البطن...). قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والضحاك. والمشيمة: غشاء يغطي الولد داخل الرحم يخرج مع الولادة، كما يعلم من كتب اللغة.

(٤) ﴿فَأَنَّىٰ﴾. الفاء: استئنافية، و«أنى» بمعنى: كيف، استفهامية في محل نصب حال، وقد تقدم نظيره.

(٥) قوله: (وإن أراده...). إشارة إلى مسألة عقدية عليها أهل السنة والجماعة، وذلك أن الكفر والمعاصي كلها بإرادته تعالى، ولكن لا يرضاها، والإيمان والطاعات بإرادته تعالى =

﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ﴾ الله فتؤمنوا ﴿يَرۡضَهُ﴾ بسكون الهاء[١] وضمها مع إشباع ودونه، أي: الشكر ﴿لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ﴾ نفس[٢] ﴿وَازِرَةٞ وِزۡرَ﴾ نفس ﴿أُخۡرَىٰۗ﴾ أي: لا تحمله ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾ بما في القلوب.

﴿٨﴾- ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ أي: الكافر[٣] ﴿ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ﴾ تضرعًا ﴿مُنِيبًا﴾ راجعًا ﴿إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ﴾ أعطاه إنعامًا[٤] ﴿مِّنۡهُ نَسِيَ﴾ ترك ﴿مَا كَانَ

= ويرضاها، والمخالف: المعتزلة القائلون بأن الكفر والمعاصي ليست بإرادته تعالى. تعالى الله عما يقولون.

(١) قوله: (بسكون الهاء...). القراءات ثلاث:

١- ضم الهاء بدون صلة، أي: بدون مدها: قراءة نافع، وعاصم، وحمزة، ويعقوب.

٢- ضم الهاء مع الصلة: قراءة ابن كثير، وابن ذكوان، والكسائي، وابن وردان، وخلف.

٣- سكون الهاء: السوسي، وابن جماز، وعن أبي عمرو، ويعقوب كذلك.

وهاء الضمير تمد إن كانت بعد متحرك، نحو: مالُه، وولدُهُ، ولا تمد إن كانت بعد ساكن، نحو: يرضاه، فهٰهنا لماكان أصل الفعل قبل دخول الجزم: يرضى، ثم حذفت الألف للجزم، فمن لم يمدَ الهاء نظر إلى الأصل، ومن مدّ نظر إلى حال الجزم؛ لأن الهاء وقعت بعد متحرك في حال الجزم، وأما السكون فهي لغة. كما يعلم من البيضاوي.

(٢) قوله: (نفس). أفاد أن ﴿وَازِرَةٞ﴾ نعت لمحذوف، وقد تقدم نظيره في السور الآتية: الأنعام الآية (١٦٤)، والإسراء الآية (١٥)، وفاطر الآية (١٨)..

(٣) قوله: (الكافر). وبه فسر القرطبي وغيره؛ لأن الصفة المذكورة هنا للكافر، وأما المؤمن فيصبر عند البلاء ويشكر عند النعماء.

(٤) قوله: (أعطاه). تفسير لـ﴿خَوَّلَهُۥ﴾. يقال: خوَّلك الله الشيء، أي: ملْككَ إياه. قاله القرطبي. =

﴿يَدۡعُوٓاْ﴾ يتضرع ﴿إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ﴾ وهو الله، فـ«مَا» في موضع «من»[(١)] ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ شركاء ﴿لِّيُضِلَّ﴾ بفتح الياء وضمها[(٢)] ﴿عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ دين الإسلام ﴿قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ﴾ بقية أجلك ﴿إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨﴾.

﴿٩﴾- ﴿أَمَنۡ﴾ بتخفيف الميم[(٣)] ﴿هُوَ قَٰنِتٌ﴾ قائم بوظائف الطاعات[(٤)] ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعاته ﴿سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا﴾ في الصلاة ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ أي: يخاف عذابها ﴿وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ﴾ جنة ﴿رَبِّهِۦۗ﴾ كمن هو عاصٍ بالكفر أو غيره[(٥)]، وفي

= وقول المفسر: (إنعامًا). أفاد به أن ﴿نِعۡمَةٗ﴾ اسم مصدر لـ«أنعم»، والمراد به هنا: المنعم به، وتقدمت هذه الكلمة «خوّلنا» في سورة الأنعام الآية (٩٤).

(١) قوله: (فـ﴿مَا﴾ في موضع «مَن») هذا وجه. والآخر أن المراد بـ﴿مَا﴾ الدعاء، ذكرهما ابن جرير.

(٢) قوله: (بفتح الياء...). قرأ بالفتح: ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس. وبالضم: الباقون.

(٣) قوله: (بتخفيف الميم). هذه قراءة نافع، وابن كثير، وحمزة. وقرأ الباقون: ﴿أَمَّنۡ﴾: بتشديد الميم، أصلها: «أم مَن»: «أم» المنقطعة و«من» الموصولة، وسيذكر ذلك المفسّر، والهمزة للاستفهام الإنكاري. و﴿مَن﴾ مبتدأ على الوجهين، وخبره محذوف كما سيقدره المفسّر.

(٤) قوله: (قائم...). روي عن ابن عباس: «يعني بالقنوت: الطاعة». وعن ابن عمر: «طول القيام، وقراءة القرآن».

و﴿ءَانَآءَ﴾ جمع: إنًى، أو إنْيٍ على وزن أفعال، بقلب الهمزة الثانية ألفًا. ومعناه: الساعات، كما فسر به الحسن. وعن ابن عباس: «جوف الليل».

(٥) قوله: (كمن هو عاص). قدره ليكون خبرًا لـ﴿مَّنۡ﴾ الموصولة وهي مبتدأ، حذف لدلالة السياق عليه.

قراءة: «أَم مَّنْ»، فـ«أم» بمعنى: بل والهمزة[(١)] ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يستويان[(٢)] كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ أصحاب العقول.

۝١٠- ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ أي: عذابه بأن تطيعوه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنَةٌ﴾ هي الجنة[(٣)] ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ فهاجروا إليها[(٤)] من بين الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على الطاعة وما يبتلون به ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ بغير مكيال ولا ميزان[(٥)].

۝١١- ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ من الشرك.

۝١٢- ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ﴾ أي: بأن[(٦)] ﴿أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢﴾ من هذه الأمة.

---

(١) وقوله: (بمعنى: بل، والهمزة). يعني: أن «أم» منقطعة.

(٢) قوله: (أي: لا يستويان). أي: لا يستوي القانت والعاصي كما لا يستوي العالم والجاهل. وفي قوله (العالم والجاهل) إشارة إلى أن الفعلين ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ نزلا منزلة الفعل اللازم، فلا يقدر لهما المفعول به؛ لأن المراد: المتصف بالعلم والمتصف بالجهل، كما ذكره البلاغيون.

(٣) قوله: (هي الجنة). هذا التفسير ذكره ابن جرير وغيره. وروي عن السدي: «حسنة: العافية والصحة»، وفسر بهما ابن كثير حيث قال: «حسنة في دنياهم وأخراهم».اهـ.

(٤) قوله: (فهاجروا) وبذلك فسر مجاهد، فيما رواه ابن جرير، فيكون في الآية الحث على الهجرة والأمر بها.

(٥) قوله: (بغير مكيال...). قاله قتادة: «لا والله ما هناكم مكيال ولا ميزان».اهـ.

(٦) قوله: (أي: بأن). يشير إلى أن اللام بمعنى: الباء، وقيل: اللام، للتعليل فيكون في الكلام محذوف، أي: وأمرت بأن أعبد الله لأن أكون... وقيل: اللام زائدة مؤكدة. و﴿أُمِرْتُ﴾=

(١٣) - ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾.

(١٤) - ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ من الشرك.

(١٥) - ﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ غيره فيه تهديد لهم[1] وإيذان بأنهم لا يعبدون الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بتخليد الأنفس[2] في النار وبعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ البيّن.

(١٦) - ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ طباق[3] ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ من النار ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ أي: المؤمنين[4] ليتقوه، يدل عليه ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾.

= الثاني معطوف على الأول، وعبادة الله تعالى مخلصًا، وحيازة فضل الأولية والأسبقية متغايران اعتبارًا، ولذا صح هذا العطف، أفاده الزمخشري.

(١) قوله: (فيه تهديد). أي الأمر ﴿فَٱعْبُدُواْ﴾ للتهديد والوعيد، كما قاله القرطبي.

(٢) قوله: (بتخليد الأنفس) قال ابن عباس: «هم الكفار الذين خَلقهم الله للنار، وخلق النار لهم، فزالت عنهم الدنيا وحرمت عليهم الجنة، قال الله: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةَ﴾ [الحج: ١١]».اهـ. ومثله عن ابن زيد، وفي كلام المفسر إشارة إلى ذلك.

(٣) قوله: (طباق...). قال القرطبي: «وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥].

(٤) قوله: (أي: المؤمنين). كما قال ابن عباس: «أولياؤه».اهـ. نقله القرطبي، فيكون المراد بـ﴿يَٰعِبَادِ﴾: المؤمنون. وقيل: عام في المؤمن والكافر، وقيل: خاص بالكافر. ذكر الأقوال القرطبي بدون عزو. والنون في ﴿فَٱتَّقُونِ﴾: نون الوقاية، وبعدها ياء المتكلم حذفت تخفيفًا.

﴿١٧﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الأوثان[١] ﴿أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ﴾ أقبلوا ﴿إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾ بالجنة ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧﴾[٢].

﴿١٨﴾- ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ وهو ما فيه فلاحهم[٣] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ أصحاب العقول.

﴿١٩﴾-[٤] ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي: «لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ» [صَ: ٨٥] الآية ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾ تخرج ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩﴾ جواب الشرط[٥]، وأقيم فيه الظاهر مقام[٦] المضمر، والهمزة للإنكار، والمعنى: لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار.

---

(١) قوله: (الأوثان). فسر بها الضحاك، والسدي، وعن مجاهد، وابن زيد، والسدي أيضًا: الشيطان. وقد تقدم معناه في سورة البقرة الآية (٢٥٦) وغيرها.

(٢) ﴿عِبَادِ﴾. بكسر الدال، وبعدها ياء المتكلم؛ حذفت اختصارًا.

(٣) قوله: (وهو ما فيه فلاحهم). هذا لفظ جامع، يوافق ما روي عن ابن عباس، قال: «هو الرجل يسمع الحسن والقبيح، فيتحدث بالحسن، وينكف عن القبيح، فلا يتحدث به».اهـ. نقله القرطبي. وعن ابن زيد: «الآية نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر الغفار، وسلمان الفارسي، اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها في الجاهلية، واتبعوا أحسن ما صار من القول إليهم».اهـ. وقال ابن كثير: «الصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم».اهـ.

(٤) قال القرطبي في سبب نزولها: «كان النبي ﷺ يحرص على إيمان قوم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة، فنزلت هذه الآية».اهـ. وعن ابن عباس: «يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ».

(٥) قوله: (جواب الشرط). أي: جملة ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾ هذا على أن تكون ﴿مَن﴾ شرطية، و﴿حَقَّ عَلَيۡهِ ...﴾ فعل الشرط. ويصح جعل ﴿مَن﴾ اسمًا موصولًا مبتدأ، وخبره محذوف تقديره: أنت مخلصه، دل عليه: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ...﴾، كما قدره الزمخشري. والفاء عاطفة على محذوف كما تقدم نظيره.

(٦) وقوله المفسر: (أقيم فيه الظاهر). يعني: ذكر ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ بدلًا من ﴿تُنقِذُهُۥ﴾.

(٢٠)- ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾ بأن أطاعوه ﴿لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ أي: من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾ منصوب بفعله المقدر[1] ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ (٢٠)﴾ وعده.

(٢١)- ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تعلم[2] ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ[3]﴾ أدخله أمكنة نبع ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ﴾ بعد الخضرة مثلًا ﴿مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ﴾ فتاتًا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ﴾ تذكيرًا ﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٢١)﴾ يتذكرون به لدلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته.

(٢٢)- ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ فاهتدى[4] ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ كمن[5] طبع على قلبه، دل على هذا: ﴿فَوَيۡلٞ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن

---

(١) قوله: (بفعله المقدر...). أي: فالمعنى: وعد الله ذلك وعدًا، فهو مفعول مطلق. وجملة ﴿لَهُمۡ غُرَفٞ﴾ في محل رفع، خبر للاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ وجملة ﴿مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ﴾ نعت لـ﴿غُرَفٞ﴾، و﴿مَّبۡنِيَّةٞ﴾ و﴿تَجۡرِي﴾ نعتان لـ﴿غُرَفٞ﴾ الثانية، أو لكلٍّ منهما. والله أعلم.

(٢) قوله: (تعلم). أفاد أن الرؤية هنا علمية، وجملة «أن» وما بعدها سدت مسد المفعولين.

(٣) ﴿يَنَٰبِيعَ﴾. مفرده: ينبوع. بوزن: يفعول من نبع، ذكره القرطبي. وقد تقدم نظير هذه الآيات في مواضع، مثلًا الآية (٢٤) من يونس.

(٤) قوله: (فاهتدى). يناسب ما روي عن ابن عباس: «وسع صدره للإسلام حتى ثبت فيه».اهـ. وقال السدي: «وسع صدره بالإسلام للفرح به والطمأنينة إليه».اهـ. فعلى هذا يكون هذا الشرح بعد الإسلام، وعلى قول ابن عباس: يجوز أن يكون الشرح قبل الإسلام، فاهتدى إليه، أفاد ذلك القرطبي بعد نقل القولين، وكلام المفسر يناسب قول ابن عباس، كما ذكرنا.

(٥) قوله: (كمن). قدره ليكون خبرًا عن «من» الموصولة، والفاء في ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ...﴾ عاطفة =

﴿ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: عن قبول القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾ بيّن.

٢٣- ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا﴾ بدل من «أَحۡسَنَ»، أي: قرآنًا ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾ أي: يشبه بعضه بعضًا في النظم وغيره[(١)] ﴿مَّثَانِيَ﴾ ثني فيه الوعد والوعيد وغيرهما[(٢)] ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ﴾ ترتعد عند ذكر وعيده[(٣)] ﴿جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ﴾ يخافون ﴿رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ﴾ تطمئن ﴿جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ أي عند ذكر وعده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾.

٢٤- ﴿أَفَمَن يَتَّقِي﴾ يلقى[(٤)] ﴿بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ أي: أشده

= للجملة على الجملة السابقة، وتفيد معنى التعليل؛ لأن عطف الجملة بالفاء يفيد التعليل غالبًا، والفاء في ﴿فَوَيۡلٞ﴾ استئنافية أو الفصيحة. والله أعلم. وتقدم تفسير كلمة ﴿وَيۡلٞ﴾ في مواضع.

(١) (أي: يشبه بعضه). كما فسر بذلك ابن جرير وغيره، وقد تقدم في أول آل عمران: أن القرآن وصف كله بأنه متشابه، فيكون بمعنى: يشبه بعضه بعضًا في الحسن والإعجاز وغير ذلك، ووصف كله بأنه محكم، بمعنى: أنه لا يأتيه الباطل، ووصف بعضه بأنه محكم والبعض الآخر بأنه متشابه، وذلك المذكور في أول آل عمران.

(٢) قوله: (ثني فيه). أي: ذكر فيه أكثر من مرة، وما ذكره من التفسير ذكره ابن جرير وغيره من المفسرين. و﴿مَّثَانِيَ﴾ جمع مثنى وصف القرآن بالجمع؛ لأن القرآن ذو أجزاء وسور وتفاصيل. نبه على ذلك في «إعراب القرآن».

روى ابن جرير عن ابن عباس، قال: قالوا: يا رسول الله لو حدثتنا؟ قال: فنزلت: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾.اهـ.

(٣) قوله: (ترتعد). فسر علماء التفسير بمثله: والكلمة من الرباعي المزيد، وزنه: افعَلَلَّ، يفعَلِلُّ. وهذه الكلمة لم تقع في القرآن إلا هٰهنا.

(٤) قوله: (يُلقى) هذا المعنى عزاه القرطبي إلى عطاء، وابن زيد، قالا: «يُرمى به مكتوفًا في =

بأن يُلْقَى في النار مغلولة يداه إلى عنقه كمن أَمِنَ منه بدخول الجنة[١] ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: كفار مكة ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: جزاءه.

﴿٢٥﴾- ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم في إتيان العذاب ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ من جهة لا تخطر ببالهم.

﴿٢٦﴾- ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾ الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ﴾ أي: المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ عذابها ما كذبوا[٢].

﴿٢٧﴾- ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يتعظون.

﴿٢٨﴾- ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة[٣] ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أي: لبس واختلاف[٤] ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ الكفر.

= النار، فأول شيء تمسّ منه النار: وجهه».اهـ. نعوذ بالله. وقال مجاهد: «يجرّ على وجهه النار».اهـ.

(١) قوله: (كمن أَمِنَ...). قدره ليكون خبرًا عن «من» الموصولة، كما في الآية السابقة.

(٢) قوله: (عذابها). مفعول به لـ﴿يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله: (ما كذبوا) جواب ﴿لَوْ﴾.

(٣) قوله: (حال مؤكدة). ظاهره: أن ﴿قُرْءَانًا﴾ حال، و﴿عَرَبِيًّا﴾ نعت. ولما نعت ﴿قُرْءَانًا﴾ وهو جامد بالوصف أي ﴿عَرَبِيًّا﴾ وقع حالًا. ولذا يسمى حالًا موطئة، وهي حال مؤكدة لصاحب الحال؛ لأن صاحب الحال: القرآن، وهذا تقرير الزمخشري.

(٤) قوله: (أي: لبس...). كما روي عن مجاهد: «يعني ذي لبس».اهـ. وتقدم في أول سورة الكهف.

(٢٩)- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ﴾ للمشرك والموحد ﴿مَثَلًا رَّجُلًا﴾ بدل من «مَثَلًا»، ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ متنازعون سيئة أخلاقهم[١] ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ خالصًا ﴿لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾ تمييز[٢]، أي: لا يستوي العبد لجماعة، والعبد لواحد، فإن الأول[٣] إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك والثاني مثل للموحد ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ وحده ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ (٢٩)﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

(٣٠)-[٤] ﴿إِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠)﴾ ستموت

---

(١) قوله: (متنازعون سيئة...). وبه فسر ابن جرير، قال: «يقال: رجل شَكِسٌ، إذا كان سيء الخلق»، وقال المبرد: «أي: متعاسرون مِن شكُس يكشُس شُكسًا فهُوَ شكِسٌ». نقله القرطبي عنه.

تنبيه: هذه الكلمة لم تقع في القرآن إلا هٰهنا.

(٢) قوله: (تمييز) أي: ﴿مَثَلًا﴾ تمييز منصوب، وهو تمييز محوّل عن الفاعل، والمعنى: هل يستوي مثلهما؟.

(٣) وقوله: (فإن الأول...). بيان لهذا المثل الرائع، وكما قال القرطبي: «هذا الذي يخدم جماعة شركاء أخلاقهم مختلفة لا يلقاه رجل إلا جرّه واستخدمه، فهو يلقى منهم عناءً وتعبًا ومع ذلك لا يستطيع أن يرضي واحدًا منهم لكثرة الحقوق، والذي يخدم واحدًا لا ينازعه فيه أحد، إذا أطاعه وحده عرف ذلك له وإن أخطأ صفح...».اهـ. باختصار. فالأول مثل الكافر، متردد ومتحير بين معبوداته المختلفة، والثاني مثل المؤمن مطمئن مع عبادة ربه الواحد البر الرحيم، وهذا ملخص ما ذكره المفسرون في معنى المثل.

(٤) نقل القرطبي عن الحسن، والفراء، والكسائي: الميّت بالتشديد: من لم يمت وسيموت، والميت بالتخفيف من فارقته الروح، ولذلك لم تخفف هنا.اهـ. =

وسيموتون، فلا شماتة بالموت، نزلت لما استبطؤوا موته ﷺ.

٣١- ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ ﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم(١) ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾.

❁❁❁

= قال القرطبي: «الآية تحتمل خمسة أوجه:

أحدها: أن يكون ذلك تحذيرًا من الآخرة.

الثاني: أن يذكّره حثًّا على العمل.

الثالث: أن يذكره توطئة للموت.

الرابع: لئلا يختلفوا في موته كما اختلفت الأمم في غيره، حتى إن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أنكر موته احتج أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذه الآية.

الخامس: ليعلمه أن الله قد سوّى فيه بين خلقه مع تفاضلهم في غيره لتكثر فيه السلوة وتقلّ الحسرة.اهـ. وما ذكره المفسر يكون وجهًا آخر، ولم أره معزوًّا.

(١) قوله: (فيما بينكم من المظالم). كما روى ابن جرير، عن ابن عباس. يخاصم الصادق الكاذب، والمظلوم الظالم، والمهتدي الضال، والضعيف المستكبر.اهـ. وفي ذلك أحاديث.

الجزء (٢٤)

(٣٢)- ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد[1] ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ بالقرآن[2] ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ (٣٢)﴾ بلى.

(٣٣)- ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ هو النبي ﷺ[3] ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هم المؤمنون، فالذي، بمعنى الذين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (٣٣)﴾ الشرك.

(٣٤)- ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٤)﴾ لأنفسهم بإيمانهم[4].

(٣٥)- ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٣٥)﴾ أسوأ وأحسن[5]، بمعنى: السيء والحسن.

---

(١) قوله: (أي: لا أحد). يعني الاستفهام بمعنى: النفي.

(٢) قوله: (بالقرآن). فسر به ابن جرير وغيره، ورواه ابن جرير عن قتادة.

(٣) قوله: (هو النبي ﷺ). ما ذكره المفسر من أن المراد بالذي جاء بالصدق النبي ﷺ، وبـ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾: المؤمنون. مرويّ عن قتادة، وابن زيد. وهناك أقوال أخرى: فعن ابن عباس: «المراد بهما رسول الله ﷺ، والمراد بالصدق: لا إله إلا الله، وعن علي: المراد بالأول رسول الله ﷺ، وبالثاني أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعن السدي: «الذي جاء بالصدق: جبريل، وصدق به: رسول الله ﷺ»، وعن مجاهد: «المراد بهما المؤمنون والصدق القرآن». واختاره ابن جرير والصدق: «القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله».

(٤) قوله: (لأنفسهم). اللام للتقوية و(أنفسهم) مفعول به لـ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في المعنى، والباء في (بإيمانهم) سببية.

(٥) قوله: (أسوأ وأحسن...). يعني أنه لا يراد بهما المفاضلة؛ لأن التكفير يقع على الصغيرة أيضًا، والجزاء يكون على كل حسنة، وقال البيضاوي: «خص الأسوأ للمبالغة فإنه إذا=

(٣٦)- ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ أي: النبي ﷺ[١] بلى ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الخطاب له ﴿بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: الأصنام أن تقتله أو تخبله[٢] ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٦)﴾.

(٣٧)- ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ غالب على أمره ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ (٣٧)﴾ من أعدائه، بلى.

(٣٨)- ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم[٣] ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم[٤] مَّا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ

= كفر كان غيره أولى بذلك، أو للإشعار بأنهم يعدون ما وقع منهم أسوأ ذنوبهم».اهـ. باختصار. وقال أيضًا: «ويجوز أن يكون بمعنى السيء».اهـ. كما قال المفسر، وأما أحسن، فقال: «تعدّ لهم محاسن أعمالهم بأحسنها في زيادة الأجر».اهـ. وعلى قوله يكونان بمعنى التفضيل. والله أعلم.

(١) قوله: (النبي ﷺ). وبه فسر ابن جرير وغيره، ورواه عن السدّي، وهذا على قراءة: ﴿عَبْدَهُۥ﴾: بالإفراد: وهي قراءة الجمهور. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو جعفر: بصيغة الجمع: ﴿عِبَادَهُۥ﴾. فالمراد: الأنبياء، كما قاله ابن جرير، والقرطبي، وغيرهما.

(٢) قوله: (أي: الأصنام). كما قاله ابن جرير، ورواه عن قتادة، والسدي، وابن زيد.

(٣) قوله: (لام قسم). أي: والتقدير: والله لئن. فههنا تقدم القسم على الشرط والجواب للمتقدم، أي: للقسم وهو: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾. وحذف جواب الشرط المتأخر واسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ فاعل حذف فعله، أي: خلقهن.

(٤) ﴿ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم﴾. الهمزة: استفهامية، والفاء عاطفة على محذوف، أو استئنافية، و«رأيتم» مع الهمزة: «أرأيتم» بمعنى: أخبروني له ثلاثة مفاعيل: الأول: ياء المتكلم. والثاني: ﴿مَّا تَدْعُونَ﴾، أي: «ما» الموصولة، والثالث: جملة ﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾، =

ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ لا ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ لا[1]، وفي قراءة: بالإضافة فيهما[2] ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ يثق الواثقون.

﴿٣٩﴾- ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم[3] ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿٤٠﴾- ﴿مَن﴾ موصولة مفعول العلم[4] ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ دائم هو عذاب النار. وقد أخزاهم الله ببدر[5].

﴿٤١﴾- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أنزل» ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ اهتداؤه ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ فتجبرهم على الهدى.

= وجواب الشرط: ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ...﴾ محذوف تقديره: فهل هن كاشفات ضره، حذف لدلالة المذكور عليه.

(١) وقول المفسر: (لا) في الموضعين؛ قدره ليكون جواب الاستفهام.

(٢) (وفي قراءة: ...). قرأ أبو عمرو، ويعقوب: بتنوين «كاشفات»، «ممسكات»، ونصب ما بعدهما على المفعولية. والباقون: بإضافتها وجر ما بعدهما.

وفي الآية إجابة لتهديدهم وتخويفهم بأصنامهم كما يعلم من كلام ابن جرير.

(٣) قوله: (حالتكم). قال مجاهد: «على ناحيتكم»، وتقدم في الأنعام (١٣٥).

(٤) قوله: (مفعول العلم). أي: مفعول به لـ﴿تَعْلَمُونَ﴾ في الآية السابقة، فتكون في محل نصب، وصلة الموصول الجملة ﴿يَأْتِيهِ..﴾.

(٥) قوله: (وقد أخزاهم). فيه إشارة إلى أن المراد بـ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ عذاب الدنيا. كما صرح به القرطبي.

(٤٢)- ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ﴾ يتوفى[١] ﴿ٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ أي: يتوفاها وقت النوم[٢] ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: وقت موتها. والمرسلة[٣] نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة، بخلاف العكس[٤] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢)﴾، فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريش لم يتفكروا في ذلك.

(٤٣)- ﴿ أَمِ﴾ بل[٥] ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأصنام آلهة[٦] ﴿شُفَعَآءَ﴾

(١) قوله: (يتوفى). أفاد بالتقدير أن ﴿ٱلَّتِى﴾ معطوف على ﴿ٱلْأَنفُسَ﴾.

(٢) وقوله: (أي: يتوفاها وقت النوم). أفاد أن الجار والمجرور ﴿فِى مَنَامِهَا﴾ متعلق بـ﴿يَتَوَفَّى﴾.

(٣) وقوله: (والمرسلة...). يعني: أن النفس المرسلة التي قال الله تعالى عنها: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ هي نفس التمييز، لا نفس الحياة. فللحيوان نفسان، نفس الحياة، ونفس التمييز، فعند النوم تقبض نفس التمييز ثم ترسل، وتبقى نفس الحياة. وهذا الذي ذكره المفسر قريب مما نقله القرطبي عن ابن عباس، والزجاج، وابن الأنباري. قال ابن عباس: «في ابن آدم نفس وروح، بينهما مثل شعاع الشمس؛ فالنفس التي بها العقل والتمييز، والروح التي بها النفس والتحريك، فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه».اهـ. وروى ابن جرير عن سعيد بن جبير، والسدي، وعزا القرطبي إلى ابن عباس وغيره أيضًا ما حاصله: «أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح الأموات عنده، وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها».اهـ. فهذا تفسير آخر للآية.

(٤) وقول المفسر: (بخلاف العكس). أي: لا تبقى نفس التمييز بدون نفس الحياة، وذلك واضح.

(٥) قوله: (بل). أشار إلى أن ﴿ أَمِ﴾ منقطعة، بدون معنى الاستفهام.

(٦) وقوله: (آلهة...). أشار به إلى حذف موصوف، فـ﴿شُفَعَآءَ﴾ نعت لهذا المقدر. وهو المفعول الثاني لـ«اتخذ».

عند الله بزعمهم ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَ﴾ يشفعون[١] ﴿ وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أنكم تعبدون ولا غير ذلك؟ لا[٢].

﴿٤٤﴾- ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿٤٥﴾- ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: دون آلهتهم ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾ نفرت وانقبضت[٣] ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ أي: الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾[٤].

﴿٤٦﴾- ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ﴾ بمعنى: يا الله[٥] ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ من أمر الدين، اهدني لما اختلفوا فيه من الحق[٦].

---

(١) قوله: (يشفعون). قدره ليعطف عليه جملة ﴿ وَلَوْ كَانُوا ﴾.

(٢) وقوله: (لا). قدره ليكون جواب الاستفهام الإنكاري.

(٣) قوله: (نفرت...). فسر به السدي، وقتادة، و(انقبضت) فسر به ابن عباس، ومجاهد، وهما متقاربان. وهذا الفعل «اشمأزّ» بوزن: افعألّ، ملحق بالرباعي المزيد من الثلاثي والهمزة فيه زائدة ولم تقع الكلمة في القرآن إلا في هذا الموضع.

(٤) ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾. ﴿إِذَا﴾ هنا فجائية، قامت مقام فاء الجواب؛ لأن جواب الشرط إذا كانت جملة اسمية تربط بالفاء أو «إذا» الفجائية، وقد تجتمعان، والتفصيل في ذلك ذكرناه في «الثلاثيات» وشرحها.

(٥) قوله: (بمعنى: يا الله). أي: فالميم المشددة عِوَض عن حرف النداء، وتقدم في آل عمران.

(٦) قوله: (اهدني). فيه إشارة إلى ما رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي سلمة بن عبدالرحمن قال: سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللهم رب** =

﴿٤٧﴾-[1] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ يظنون.

﴿٤٨﴾- ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: العذاب.

﴿٤٩﴾- ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ﴾ الجنس[2] ﴿ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾ أعطيناه ﴿نِعْمَةً﴾ إنعامًا[3] ﴿مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ من الله بأني له أهل[4] ﴿بَلْ

= **جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**».اهـ. [٢/ ٥٣٤].

تنبيه: ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ﴾ منصوب بحذف حرف النداء عند الخليل، وسيبويه، ولفظ ﴿اللَّهُمَّ﴾ لا يوصف، فلا يجوز رفع ما بعده على أنه نعت، وذهب المبرد، والزجاج إلى جواز نعته فيجوز فيه الرفع عندهم. ولكن ﴿فَاطِرَ﴾ يتعين نصبه لكونه مضافًا.

(١) تقدم نظير هذه الآية في المائدة (٣٦) وغيرها.

(٢) قوله: (الجنس...). أشار إلى أن «أل» في ﴿الْإِنسَانَ﴾ جنسية، وليست استغراقية أو عهدية، قال البيضاوي: «ويدل على أن «أل» للجنس قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾». وقال البيضاوي: «إخبار عن الجنس بما يغلب فيه».اهـ، ولا مانع أن تكون عهدية إشارة إلى الكفار، كما فسر بذلك المفسر في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ﴾ الآية [٨].

(٣) وقول المفسر: (إنعامًا). أشار به إلى أن ﴿نِعْمَةً﴾ هنا اسم مصدر «أنعم»، وظاهره أنه مفعول مطلق. ويمكن أن يراد بالنعمة المنعم به، فتكون مفعولًا به، كما أعرب بذلك الدرويش في «إعراب القرآن». وتقدم نظير الآية في هذه السورة الآية (٨).

(٤) قوله: (من الله...) هكذا فسره ابن جرير، وعن قتادة: «على علم عندي بوجوه المكاسب»، وعنه أيضًا: «بخير عندي...». وقيل نحو ذلك.

هِيَ﴾ أي: القولة[١] ﴿فِتْنَةٌ﴾ بلية يبتلى بها العبد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أن التخويل استدراج وامتحان.

﴿٥٠﴾ - ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كقارون وقومه الراضين بها[٢] ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿٥١﴾ - ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي: جزاؤها ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: قريش ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾ بفائتين عذابنا، فقحطوا سبع سنين ثم وسع عليهم[٣].

﴿٥٢﴾ - ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امتحانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ به.

﴿٥٣﴾ - ﴿۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا﴾ بكسر النون وفتحها[٤]،

---

(١) قوله: (أي: القولة...). رجع المفسر الضمير إلى هذه المقالة. ورجع ابن جرير، والقرطبي، والبيضاوي، وغيرهم إلى النعمة المذكورة، وذلك أظهر، وعلى كل حال لا خفاء في المعنى.

(٢) قوله: (كقارون). إشارة إلى قوله ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨].

وقول المفسر: (وقومه الراضين...). توجيه لصيغة الجمع ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ لأن ذلك قاله قارون، وقومه لما رضوا بذلك فكأنهم كلهم قالوا. مع أنه لا مانع أن قد قالها غير قارون من بعض الأمم السابقة كما يشير لذلك كلام القرطبي.

(٣) قوله: (فقحطوا...) ذكره البيضاوي، ورواه مسلم (٤/ ٢١٥٥).

(٤) قوله: (بكسر النون...). قرأ أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب، وخلف: بكسر النون. فيكون من باب: ضرب، يضرب. والباقون: بفتحها، فيكون من باب: علِم يعلم.

تنبيه: اختلف فيمن نزلت هذه الآية، فروى ابن جرير عدة أقوال في ذلك، وأقواها ما رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس: «أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا=

وقرئ بضمها(١)، تيأسوا ﴿مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ لمن تاب من الشرك(٢) ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿٥٤﴾- ﴿وَأَنِيبُوٓاْ﴾ ارجعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ﴾ أخلصوا العمل(٣) ﴿لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ بمنعه إن لم تتوبوا(٤).

﴿٥٥﴾- ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ هو القرآن(٥) ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ قبل إتيانه بوقته.

= وزنَوا فأكثروا، فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقوله وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أنَّ لما عملنا كفارةً فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ...﴾ [الفرقان: ٦٨] الآية، ونزل: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ ...﴾ الآية».اهـ. باختصار. [«فتح الباري» (٨/ ٤١١)، مسلم (١/ ١١٣)]، واختار ابن جرير، وابن كثير: «أن الآية عامة، وهي دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة».اهـ.

(١) وقوله: (وقرئ بضمها). أي: من باب: نصر ينصر، وهذه قراءة شاذة كما أشار إلى ذلك بقوله: (قرئ).

(٢) قوله: (لمن تاب من الشرك). كما قال ابن كثير: «ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة؛ لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه».اهـ.

(٣) قوله: (أخلصوا...). كما قال ابن جرير: «واخضعوا له بالطاعة والإقرار بالدين الحنيفي».اهـ.

(٤) وقوله: (بمنعه...). أي: بمنع العذاب، متعلق بـ﴿لَا تُنصَرُونَ﴾.

(٥) قوله: (هو القرآن). فسر به القرطبي، وعزاه إلى ابن زيد، قال: «أنزل الله كتب التوراة والإنجيل والزبور ثم أنزل القرآن، وأمر باتباعه، فهو الأحسن وهو المعجز».اهـ. وقال ابن جرير: «أحسن ما أنزل: ما أمر به من الطاعات، بخلاف ما نهى عنه من المعاصي؛ فهي أقبحه»، ورواه عن السدّي قال: «ما أمرتم به في الكتاب».اهـ.

﴿٥٦﴾- فبادروا قبل[1] ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ أصله: يا حسرتي، أي: ندامتي ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعته[2] ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة، أي: وإني[3] ﴿كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ بدينه وكتابه.

﴿٥٧﴾- ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ بالطاعة فاهتديت ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ عذابه.

﴿٥٨﴾- ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ[4] مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ المؤمنين، فيقال له من قِبَل الله:

﴿٥٩﴾- ﴿بَلَىٰ[5] قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾ القرآن[6]، وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾ تكبرت[7] عن الإيمان بها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿٦٠﴾- ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه

---

(١) قوله: (فبادروا). بهذا التقدير يكون ﴿أَن تَقُولَ﴾ مصدرًا مقدرًا الظرفية، المتعلقة بالمحذوف، أي: قبل قول نفسٍ، وقدره بعض المعربين مفعولًا لأجله، أي: كراهة أن تقولوا.

(٢) قوله: (طاعته). وبذلك فسر ابن جرير، والحسن. وقال مجاهد: «في أمر الله».

(٣) قوله: (أي: وإني). توضيح للمراد، وإلا فـ«إن» المخففة تهمل كثيرًا، فلا حاجة إلى تقدير الاسم.

(٤) ﴿فَأَكُونَ﴾ منصوب بـ«أن» مضمرة وجوبًا؛ لأنها بعد فاء الجوابية المسبوقة بالطلب، وهو هنا التمني بـ﴿لَوْ﴾.

(٥) ﴿بَلَىٰ﴾ نقل القرطبي عن الزجاج أن ﴿بَلَىٰ﴾ جواب النفي، وليس في الكلام هنا نفي، ولكن معنى «لو أن الله هداني» ما هداني، فجاء ﴿بَلَىٰ﴾».اهـ. ملخصًا.

(٦) وقوله: (القرآن). كما فسر القرطبي. وقال ابن جرير: «حججي من الرسل والكتاب».اهـ. باختصار.

(٧) قوله: (تكبرت). أفاد أن «استكبر» خالٍ من معنى الطلب.

﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾(١) أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴾ مأوى ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ عن الإيمان؟ بلى.

﴿٦١﴾- ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ﴾ من جهنم ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي: بمكان فوزهم(٢) من الجنة بأن يجعلوا فيه ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿٦٢﴾- ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ متصرف فيه كيف يشاء(٣).

﴿٦٣﴾- ﴿لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح(٤) خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ متصل بقوله: «وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا» الخ، وما بينهما اعتراض(٥).

---

(١) جملة ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ في موضع نصب حال إن كانت الرؤية بصرية، ومفعول ثان إن كانت علمية، ذكره الزمخشري وغيره.

(٢) قوله: (بمكان فوزهم). على هذا تكون «مفازة» ظرفًا، والمراد به الجنة. وأكثر المفسرين جعلوه مصدرًا ميميًا، والمعنى: بسبب فوزهم. قال ابن كثير: «بما سبق لهم من السعادة عند الله».اهـ. ابن جرير: «يعني: بفوزهم»، وعن ابن زيد: «بأعمالهم»، وعلى هذا يكون من إطلاق السبب على المسبب كما أشار له البيضاوي.

(٣) هذه الآية استدل بها وبنحوها أهل السنة على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى؛ لأنها داخلة في ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾، والمخالف فيه المعتزلة والقدرية.

(٤) قوله: (أي: مفاتيح...). قاله ابن عباس، وقتادة، وابن زيد بألفاظٍ متقاربة. وهو جمع «مقلاد»، أو «مقليد»، بمعنى: المفتاح.

(٥) قوله: (وما بينهما). يعني: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ إلى ﴿لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية. معترضة بين ذكر حال المؤمنين وحال الكفار.

﴿٦٤﴾ - ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُونِىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ «غير» منصوب بـ«أَعْبُدُ»[١] المعمول لـ«تَأْمُرُونِىٓ»، بنون واحدة وبنونين بإدغام وفك[٢].

﴿٦٥﴾ - ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ والله[٣] ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ يا محمد فرضًا ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿٦٦﴾ - ﴿بَلِ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ إنعامه عليك.

﴿٦٧﴾ - ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ ما عرفوه حق معرفته[٤]، أو ما عظموه حق

---

(١) قوله: («غير» منصوب...). أي: «غير» مفعول مقدم لـ﴿أَعْبُدُ﴾، وجملة ﴿أَعْبُدُ﴾ في تأويل مصدر مفعول ثان لـ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ﴾، والمفعول الأول: ياء المتكلم. وتكون الاستفهام داخلة على ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ﴾. والمعنى: أفتأمرونني بعبادة غير الله، والفاء عاطفة على محذوف، وهنا أول ﴿أَعْبُدُ﴾ مصدرًا بدون حرف مصدريّ، وهذا كثير، كما في ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦]، أي: إنذارك، وكما في قول طرفة: «ألا أَيُّهَذا الزاجري أحضرُ الوغَى» أي: حضور الوغى. وقولهم: «تسمعُ بالمعيديّ خير من أن تراه» أي: سماعك. وهذا الوجه الذي ذكره المفسر واضح وسهل، ذكره البيضاوي وغيره مع أوجه أخرى.

(٢) قوله: (بنون واحدة...). بيان للقراءات، وهي أربع:

١ - بنون واحدة مع فتح الياء: ﴿تَأْمُرُونِىَ﴾: نافع، وأبو جعفر.

٢ - بنونين مع الإدغام وفتح الياء: ﴿تَأْمُرُونِّىَ﴾: ابن كثير.

٣ - بنونين بلا إدغام وسكون الياء: ﴿تَأْمُرُونَنِى﴾: ابن عامر.

٤ - بنونين مع الإدغام وسكون الياء: ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ﴾: الباقون.

النون الأولى: علامة الرفع، والثانية: نون الوقاية، وكل الأوجه جائزة كما بينه النحاة.

(٣) قوله: (والله). قدره لإفادة أن جملة ﴿لَئِنْ﴾ جواب القسم، واللام دالة عليه.

(٤) قوله: (ما عرفوه...). وبمثله فسر ابن جرير وغيره. قال ابن عباس: «هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم».اهـ. وقال السدي: «ما عظموه حق تعظيمه».اهـ. وقد مضى =

تعظيمه حين أشركوا به غيره ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال، أي: السبع ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾ أي: مقبوضة له[(١)]، أي: في ملكه وتصرفه[(٢)] ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ﴾ مجموعات ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ بقدرته ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ معه.

٦٨- ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ النفخة الأولى[(٣)] ﴿فَصَعِقَ﴾ مات[(٤)] ﴿مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

= نحو هذا في سورة الأنعام، واختلاف المفسرين هناك هل هو في الكفار أو اليهود، الآية (٩١).

(١) قوله: (مقبوضة...). أفاد أن المصدر: قبضه بمعنى: اسم المفعول.

(٢) وقوله: (في ملكه وتصرفه)، وقوله: (بقدرته) تفسيرًا لـ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾، في كل ذلك تأويل للآية عن ظاهرها، وقد مشى على ذلك القرطبي والبيضاوي وغيرهما. وقد ورد في الأحاديث الصحيحة ما يدل على ظاهر هذه الآية، ففي البخاري عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاء حبر من الأحبار على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد الله عَزَّوَجَلَّ يجعل السمٰوات على أصبع، والأرضيين على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآية. [«فتح الباري»: (٨/ ٤١٢)].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**». [(٤/ ٢١٤٨)]. وروى ابن جرير عن ابن عباس، قال: «ما السمٰوات السبع والأرضون السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم».اهـ. وعلماء السلف أجروا الآية على ظاهرها بدون التعرض للكيفية والتفصيل كسائر الصفات.

(٣) قوله: (النفخة الأولى). قاله ابن جرير وغيره، كما ورد في حديث رواه ابن جرير عن أبي هريرة.

(٤) وقوله: (مات). كذا قاله ابن جرير، ورواه عن السدّي، وفسر ابن كثير أن النفخة هي الثانية، =

وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ من الحور[١] والولدان وغيرهما ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ﴾ أي: جميع الخلائق الموتى ﴿قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ ينتظرون ما يفعل بهم.

٦٩- ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حين يتجلى الله لفصل القضاء[٢] ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ كتاب الأعمال للحساب ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أي: بمحمد ﷺ[٣] وأمته يشهدون للرسل بالبلاغ ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: العدل ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩﴾ شيئًا.

٧٠- ﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ﴾ أي: جزاءه[٤] ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠﴾ فلا يحتاج إلى شاهد.

= وذلك بناءً على ترجيحه أن النفخة تكون ثلاثة؛ نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث. والمفسر -كما عليه الجمهور- أن النفخة مرتان.

(١) وقوله: (من الحور...). وذكر المفسر في سورة النمل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. وقيل:الشهداء، وتقدم عزو الأقوال هناك: الآية (٨٧).

فائدة: ذكر العلماء أن ثمانية أشياء لا تفنى بل هي مخلوقة للأبد، وهن: العرش والكرسيّ واللوح والقلم والجنة والنار والروح -الأرواح- وعجْب الذَّنَب».اهـ. قال بعضهم:

ثمانيةٌ حكم البقاء يعمُّها ... من الخلق والباقونَ في حيِّز العدَمْ

هي: العرش والكرسيّ، نار وجنةُ ... وعجْبٌ وأرواحٌ كذا اللوحُ والقَلَمْ

(٢) قوله: (حين يتجلى...). قاله ابن جرير، وابن كثير وغيرهما. ونقل القرطبي عن ابن عباس: « النور المذكور هٰهنا ليس من نور الشمس والقمر، بل هو نور يخلقه الله فيضيء به الأرض».اهـ.

(٣) قوله: (أي: بمحمد ﷺ...). تفسير للشهداء، قال ابن جرير: «يعني بالشهداء: أمة محمد ﷺ».اهـ. وتقدم في سورة النساء الآية (٤١) وغيرها.

(٤) قوله: (أي: جزاءَه). أشار به إلى تقدير مضاف.

(٧١)- ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بعنف[١] ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ جماعات متفرقة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ جواب «إِذَا»[٢] ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ﴾ القرآن وغيره ﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي: «لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ» [الأعراف: ١٨] الآية ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ (٧١)﴾.

(٧٢)- ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾ مقدرين الخلود[٣] ﴿فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى﴾ مأوى ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)﴾ جهنم[٤].

(٧٣)- ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾ بلطف ﴿إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ[٥] حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ الواو فيه للحال[٦] بتقدير قد ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ

---

(١) قوله: (بعنف). ذكره المفسرون، وروى ذلك ابن جرير عن ابن زيد. وكما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣)﴾ [الطور: ١٣]. والزُّمر: جمع زُمرة: الجماعة. وبها سميت السورة.

(٢) قوله: (جواب ﴿إِذَا﴾). يعني جملة: ﴿فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾.

(٣) قوله: (مقدرين). أفاد أن ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال مقدرة. وهي التي يكون حصولها بعد حصول العامل كما تقدم.

(٤) وقوله: (جهنم). مخصوص بالذم، وأبواب جهنم سبعة -أعاذنا الله منها- كما تقدم في الحجر.

(٥) ﴿زُمَرًاۖ﴾. قال ابن كثير: «أي: جماعة بعد جماعة: المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم».اهـ. وأورد ابن كثير أحاديث في كيفية دخولهم الجنة.

(٦) قوله: (الواو فيه للحال...). وقيل: للعطف، وتقدّر «قد» إذا كانت للحال؛ لأن الجملة المبدوءة بالماضي إذا كانت حالًا وجب دخول «قد» عليها إما لفظًا وإما تقديرًا. وقد تقدم ذلك. وإذا كانت عاطفة فلا يحتاج إلى «قد»، وعلى كلا التقديرين يكون جواب =

عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ حال ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ مقدرين الخلود فيها، وجواب «إِذَا» مقدر، أي: دخلوها وسوقهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكرمة لهم، وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرها إليه إهانة لهم.

﴿٧٤﴾- ﴿وَقَالُوا۟﴾ عطف على دخولها المقدر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة[(١)] ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ ننزل ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ الجنة.

﴿٧٥﴾- ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ حال ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ من كل جانب منه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ حال من ضمير «حَآفِّينَ»[(٢)] ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ملابسين للحمد، أي يقولون: سبحان الله وبحمده[(٣)] ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ بين جميع الخلائق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي:

= ﴿إِذَا﴾ محذوفًا، تقديره: دخلوها كما قدر المفسر. وعزاه القرطبي إلى الزجاج، والمبرد. ونقل القرطبي عن أبي بكر بن عياش: «الواو هنا واو الثمانية؛ لأن أبواب الجنة ثمانية»، وتقدم الكلام عن واو الثمانية في تفسير سورة الكهف، وبين المفسر النقطة في فتح أبواب الجنة قبل مجيئهم وفتح أبواب النار عند قدومهم بقوله: (وسوقهم...)، ومعنى كلامه واضح.

(١) قوله: (أرض الجنة). فالمراد بالأرض هنا الجنة، وعليه أكثر المفسرين، ورواه ابن جرير عن قتادة، والسدي، وابن زيد، وفسر به. وقول المفسر: (الجنة) مخصوص بالمدح.

(٢) قوله: (حال من ضمير ﴿حَآفِّينَ﴾) فيكون حالًا متداخلة، ويحتمل كونه حالًا من الملائكة فيكون حالًا مترادفة. الحال المتداخلة: كون الحال من ضمير الحال الأولى، والمترادفة: كون الحالين من صاحب حالٍ واحد. وقد بينا الفرق بينهما في «الثنائيات».

(٣) قوله: (أي: يقولون). وقال القرطبي: «أي: يصلون حول العرش شكرًا لربهم»، وقاله ابن جرير أيضًا.

العدل، فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٥﴾ ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة[1].

❁❁❁

(١) قوله: (ختم...). قال قتادة: «فتح أول الخلق بالحمد لله فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]، وختم بالحمد فقال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٥﴾. قال القرطبي: «تلزم الاقتداء به والأخذ في ابتداء كل أمر بحمده وخاتمته بحمده».اهـ. أي: فيكون هذا الحمد من الله تعالى، وقيل: هذا الحمد من الملائكة. نقله القرطبي.

٤٠- سورة غافر(١)

مكية(٢)، إلا آيتي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ...﴾ [٥٦-٥٧]، فمدنيتان، وآياتها خمس وثمانون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿حمٓ (١)﴾ الله أعلم بمراده به.

(٢)- ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن، مبتدأ(٣) ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡعَلِيمِ (٢)﴾ بخلقه.

(٣)- ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ للمؤمنين(٤) ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ لهم، مصدر(٥) ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ للكافرين، أي: مشدّده ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ أي: الإنعام الواسع(٦)، وهو موصوف(٧)

---

(١) (غافر). وتسمى سورة الطَّوْل، وسورة المؤمن كما يعلم من القرطبي.

(٢) قوله: (مكية). كلها مكية في قول الحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر. وقال ابن عباس، وقتادة: «إلا آيتين، وهما: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ...﴾»، وهذا الذي ذكره المفسر.

(٣) قوله: (مبتدأ) هذا أحد الأوجه، وقيل: خبر لمبتدأ محذوف.

(٤) قوله: (للمؤمنين...) ما فسره به لعله مقتبس مما روي عن ابن عباس، قال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ لمن قال: لا إله إلا الله، ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ ممن قال: لا إله إلا الله، ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ ممن لم يقل: لا إله إلا الله».اهـ. نقله القرطبي.

(٥) وقوله: (مصدر). أي: ﴿ٱلتَّوۡبِ﴾ مصدر «تاب، يتوب».

(٦) قوله: (أي: الإنعام) قال ابن عباس: «ذي السعة والغنى»، وقتادة: «ذي النعم»، وقد تقدمت كلمة «الطول» في سورة النساء الآية (٢٥).

(٧) قوله: (وهو موصوف). أشار المفسر بهذا الكلام إلى أن الإضافة في ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ إضافة معنوية؛ لأن اسم الفاعل هنا بمعنى: الدوام، لا بمعنى: =

على الدوام بكل من هذه الصفات، فإضافة المشتق[(١)] منها للتعريف كالأخيرة[(٢)] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ المرجع.

۝٤ - ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤﴾ للمعاش سالمين، فإن عاقبتهم النار.

۝٥ - ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ﴾ يقتلوه[(٣)] ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ﴾ يزيلوا ﴿بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ﴾ بالعقاب ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾[(٤)] لهم أي هو واقع موقعه.

۝٦ - ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: «لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ» [الأعراف: ١٨] الآية ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ بدل من كلمة.

۝٧ - ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ﴾[(٥)] مبتدأ ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ عطف عليه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾

= الحال أو الاستقبال فقط، ولذا وقع كل منهما نعتًا للمعرفة، كما تقدم في ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، فقوله: (من هذه الصفات) أي: المغفرة وقبول التوبة وشديد العقاب.

(١) وقوله: (فإضافة المشتق منها) أي: تلك الصفات، والمشتق: غافر، قابل، شديد.

(٢) وقوله: (كالأخيرة). الكاف للتنظير، أي: كما أن الأخيرة وهي: ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ للتعريف بلا إشكال. ونقل القرطبي عن الزجاج: «أن ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ بدل»، أي: بناءً على أن الإضافة لفظية.

(٣) قوله: (ليقتلو). وبه فسر ابن جرير وغيره، ورواه عن قتادة. وروي عن السدي أيضًا.

(٤) ﴿عِقَابِ﴾ بكسر الباء، مضاف إلى ياء المتكلم، حذفت تخفيفًا.

(٥) ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ﴾ هم أربعة في قول ابن كثير، ونقل عن شهر بن حوشب: «حملة العرش ثمانية».اهـ. ومن حوله من الملائكة: الكروبيون.

خبره ﴿بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ ملابسين للحمد، أي يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ تعالى ببصائرهم، أي: يصدقون بوحدانيته ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ أي: وسعتْ[(١)] رحمتك كل شيء وعلمك كل شيء ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من الشرك ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ دين الإسلام ﴿وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ النار.

٨- [(٢)] ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ إقامة ﴿ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ﴾ عطف على «هم» في «وَأَدۡخِلۡهُمۡ»، أو في «وَعَدتَّهُمۡ» ﴿مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨﴾ في صنعه.

٩- ﴿وَقِهِمُ[(٣)] ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ أي: عذابها ﴿وَمَن تَقِ[(٤)] ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ﴾

---

(١) قوله: (أي: وسعتْ...). أفاد به أن ﴿رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ تمييزان محوّلان عن الفاعل.

(٢) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: اجمع بينهم وبينهم لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ [الطور: ٢١]، أي: ساوينا بين الكل في المنزلة لتقر بذلك أعينهم، وما نقصنا العالي حتى يساوي الداني، بل رفعنا ناقص العمل فساويناه بكثير العمل تفضلًا منا ومنة».اهـ.

ونقل عن سعيد بن جبير قال: «إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه وأخيه أين هم؟ فيقال: إنهم لم يبلغوا طبقتك في العمل، فيقول: إني إنما عملت لي ولهم، فيلحقون به في الدرجة، ثم تلا سعيد بن جبير هذه الآية: ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ...﴾ الآية.

(٣) ﴿وَقِهِمُ﴾ ثلاث كلمات بل أربع، بل خمس، الواو العاطفة، و«قِ»: فعل أمر من: وقى، يقي، وفاعله الضمير المستتر، و«هم» المفعول به. والميم للجماعة، فتكون خمس كلمات.

(٤) ﴿وَمَن تَقِ﴾. تقِ: فعل مضارع مجزوم بحذف الياء بصيغة الخطاب. و﴿مَن﴾ شرطية =

يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

﴿١٠﴾- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ من قِبل[1] الملائكة، وهم يمقتون أنفسهم[2] عند دخولهم النار ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ إياكم ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿١١﴾- ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ إماتتين[3] ﴿وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ إحياءتين؛ لأنهم نطفًا أموات فأحيوا، ثم أميتوا ثم أحيوا للبعث ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بكفرنا بالبعث ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ﴾ من النار والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا ﴿مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ طريق؟ وجوابهم: لا.

= جازمة في محل رفع مبتدأ وجملة ﴿تَقِ﴾ في محل رفع خبر وجملة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾ في محل جزم جواب الشرط، وذلك واضح.

(١) قوله: (من قِبل). بكسر القاف أي: من جهة، أي: القائل لهم هذا هم الملائكة.

(٢) وقوله: (وهم يمقتون...). روى ذلك عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد، وذكره المفسرون، قال قتادة: «لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوا، أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة»، فيكون التعبير بالمضارع ﴿تُدْعَوْنَ﴾ و﴿تَكْفُرُونَ﴾ لحكاية الحال؛ لأن ذلك كان في الدنيا.

(٣) قوله: (إماتتين). أفاد أن اثنتين مفعول مطلق، اسم العدد نائب عن المصدر، في الموضعين، وما ذكر المفسر من الإماتتين والإحياءين، مرويّ عن ابن عباس وغيره. وذلك كما قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨]، كما روي عن ابن عباس، والضحاك، وقال السدي: «أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم، فسئلوا أو خوطبوا ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا في الآخرة». كما في ابن جرير، فهذا تفسير آخر.

(١٢)- ﴿ذَٰلِكُم﴾ أي: العذاب الذي أنتم فيه ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ أي: بسبب أنه في الدنيا ﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ بتوحيده ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾ يجعل له شريك ﴿تُؤۡمِنُواْۚ﴾ تُصدِّقوا بالإشراك[١] ﴿فَٱلۡحُكۡمُ﴾ في تعذيبكم ﴿لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ﴾ على خلقه ﴿ٱلۡكَبِيرِ (١٢)﴾ العظيم.

(١٣)-[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ دلائل توحيده ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾ بالمطر[٣] ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ (١٣)﴾ يرجع عن الشرك.

(١٤)- ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ﴾ اعبدوه ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ (١٤)﴾ إخلاصكم فيه[٤].

(١٥)- ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ أي: الله عظيم الصفات[٥]، أو رافع درجات

---

(١) قوله: (تُصدقوا بالإشراك). أفاد به أن المراد بالإيمان هنا التصديق بالشرك، وليس الإيمان بالله. والهاء في ﴿إِنَّهُۥ﴾ ضمير الشأن اسم «إنّ». وجملة ﴿إِذَا ...﴾ في محل رفع خبرها.

تنبيه: جيء بـ﴿إِذَا﴾ والفعل الماضي في جانب التوحيد ﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ﴾ وبـ«إن» والمضارع في جانب الشرك ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾ ولعل ذلك؛ لأن التوحيد والدعوة إليه محقق وأمر حقّ ودواعيه متوفرة. والشرك زاهق وباطل، لا مبرِّر له. والله أعلم.

(٢) هذه الآية مستأنفة، وليست من كلام الملائكة.

(٣) قوله: (بالمطر). فيه إشارة إلى أن إطلاق الرزق هنا من المجاز المرسل، حيث أطلق المسبّب وأريد السبب، وهو المطر.

(٤) قوله: (إخلاصهم). مفعول به لـ﴿كَرِهَ﴾.

(٥) قوله: (عظيم الصفات). فسر به القرطبي ولم يعزه، ونقل عن ابن عباس، والكلبي، وابن جبير: «رفيع السماوات السبع»، وعن يحيى بن عبدالسلام: «هو رفعة درجة أوليائه في الـجنة».اهـ. وقال ابن كثير: «هذا إخبار عن عظمته وارتفاع عرشه العظيم العالي على =

المؤمنين في الجنة ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ خالقه[١] ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾ الوحي[٢] ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ أي: قوله[٣] ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ﴾ يخوِّف الملقى عليه الناسَ[٤] ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥﴾ بحذف الياء وإثباتها[٥]، يوم القيامة[٦]؛ لتلاقي أهل السماء والأرض والعابد والمعبود والظالم والمظلوم فيه.

١٦- ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾[٧] خارجون من قبورهم ﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ يقوله تعالى[٨]، ويجيب نفسه ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾ أي: لخلقه.

= جميع مخلوقاته»، وقال نقلًا عن غير واحدٍ من العلماء: «أن عرشه تعالى من ياقوتة حمراء، اتساع ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة، وارتفاعه عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة».اهـ. وتفسير ابن كثير يناسب قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾.

(١) قوله: (خالقُه). أي: ليس محتاجًا إليه، بل هو خالقه، ومستوٍ عليه كما يليق به تعالى.

(٢) قوله: (الوحي). به فسر ابن جرير، ورواه عن قتادة، وقال ابن زيد، والضحاك: «القرآن».

(٣) قوله: (قوله...). وبه فسر القرطبي وغيره.

(٤) قوله: (الملقى إليه). أي: النبي.

قوله: (الناس). مفعول به لـ﴿يُنذِرَ﴾.

(٥) قوله: (بحذف الياء...). بإثبات الياء: ﴿التَّلاَقِي﴾: قرأ ابن كثير، ويعقوب. وبه قرأ ورش، وابن وردان وصلًا. والباقون: بدون الياء. كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]. وحذف الياء عند الوقف على الأسماء المنقوصة التي فيها «أل» لغة فصيحة، كما تقدم هناك.

(٦) وقوله: (يوم القيامة). أفاد أن ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ من أسماء يوم القيامة، قاله ابن عباس، ووجه التسمية قاله المفسر. قال ابن زيد: «يوم تتلاقى العباد».اهـ.

(٧) ﴿يَوۡمَ﴾. بدل من ﴿يَوۡمَ﴾ الأول، وهو مضاف. والجملة التي بعدها في محل جر مضاف إليه.

(٨) وقوله: (يقوله تعالى). وبذلك فسر ابن جرير. ونقله القرطبي عن الحسن، ونقل عن ابن مسعود، قال: «يحشر الناس على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله جلّ وعزّ عليها =

(١٧)- ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك[١].

(١٨)- ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ﴾ يوم القيامة[٢] من أزف الرحيل إذا قرب ﴿إِذِ ٱلۡقُلُوبُ﴾ ترتفع خوفًا[٣] ﴿لَدَى﴾ عند ﴿ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ﴾ ممتلئين غمًّا، حال من «ٱلۡقُلُوبُ» عوملت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ﴾ محب ﴿وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ لا مفهوم للوصف[٤]، إذ لا شفيع لهم أصلًا: «فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾» [الشعراء: ١٠٠]، أوله مفهوم بناءً على زعمهم أن لهم شفعاء، أي: لو شفعوا فرضًا لم يقبلوا.

= فيؤمر منادٍ ينادي: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾، فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾».اهـ. وهذا تفسير آخر.

(١) قوله: (لحديث بذلك). تقدم في سورة الفرقان (٢٤).

(٢) قوله: (يوم القيامة). قاله عامة المفسرين. وقرأ ابن زيد مستدلًا عليه قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾ [القيامة: ٥٧]. فيكون من أسماء يوم القيامة.

(٣) قوله: (ترتفع). قدره ليكون عاملًا في الظرف ﴿لَدَى﴾ وفي الحال ﴿كَٰظِمِينَۚ﴾، وبمثله فسر ابن جرير، ونقله عن قتادة، والسدي. قال قتادة: «قد وقعت القلوب في الحناجر من المخافة فلا هي تخرج ولا تعود إلى أمكنتها».اهـ. وتقدم مثله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٣]، الحناجر: جمع حنجرة، الحلقوم.

(٤) قوله: (لا مفهوم...). أي: ليس للوصف في ﴿شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ مفهوم مخالفة، ولو وجد لكان المعنى: ليس لهم شفيع يطاع، ولا مانع أن يكون لهم شفيع غير مطاع، وهذا ليس مرادًا؛ لأنه لا شفيع لهم أصلًا، وهذا احتمال، والاحتمال الثاني: أن له مفهومًا، ولكن ليس في الحقيقة بل على زعمهم من أن آلهتهم شفعاء، كما قال المفسر، والله أعلم.

(١٩)- ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: الله ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ بمسارقتها النظر إلى محرّم[١] ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ القلوب.

(٢٠)- ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون، أي: كفار مكة بالياء والتاء[٢] ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ﴾ فكيف يكونون شركاء الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ بأفعالهم.

(٢١)- ﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ[٣] أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ وفي قراءة: «مِّنكُمْ»[٤] ﴿قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ عذابه[٥].

(٢٢)- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾.

(٢٣)- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾ برهان بين ظاهر.

(٢٤)- ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟﴾ هو[٦] ﴿سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾.

---

(١) قوله: (بمسارقتها...). أي: نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه. وقاله مجاهد.

و﴿خَآئِنَةَ﴾ إما نعت لمحذوف، أي: النظرة الخائنة، أو مصدر بمعنى: خيانة. ذكرهما البيضاوي.

(٢) قوله: (بالياء والتاء...). قرأ نافع، وهشام: بالتاء: ﴿تَدْعُونَ﴾: خطابًا. والباقون: بالياء.

(٣) ﴿كَانُوا۟ هُمْ﴾. ﴿هُمْ﴾: ضمير الفصل، لا محل له من الإعراب، و﴿أَشَدَّ﴾: خبر «كان» منصوب.

(٤) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن عامر: ﴿مِّنكُمْ﴾. والباقون: ﴿مِنْهُمْ﴾.

(٥) قوله: (عذابه) مفعول به لـ﴿وَاقٍ﴾.

(٦) قوله: (هو) أفاد أن ﴿سَـٰحِرٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، ففي الكلام إيجاز حذف.

(٢٥)- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ بالصدق[١] ﴿مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ[٢] أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ﴾ استبقوا ﴿نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ (٢٥)﴾ هلاك.

(٢٦)- ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ[٣] أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ لأنهم[٤] كانوا يكفونه عن قتله ﴿وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ﴾ ليمنعه مني ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾ من عبادتكم إياي[٥] فتتبعونه ﴿وَأَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ (٢٦)﴾ من قتل وغيره. وفي قراءة[٦]: «أَوۡ»،

---

(١) قوله: (بالصدق). فسر به الحق؛ لأن الصدق موافقة الكلام للواقع والحق ما وافق الواقع كلامًا كان أو غيره. وتقدم في مواضع.

(٢) ﴿ٱقۡتُلُوٓاْ﴾. نقل القرطبي عن قتادة: «هذا قتل غير القتل الأول؛ لأن فرعون كان أمسك عن قتل الولدان بعد ولادة موسى، فلما بعث الله موسى أعاد القتل على بني إسرائيل عقوبة لهم فيمتنع الإنسان من الإيمان، ولئلا يكثر جمعهم، فيعتضدوا بالذكور من أولادهم، فشغلهم الله عن ذلك بما أنزل عليهم من أنواع العذاب؛ كالضفادع والقمّل والدم والطوفان إلى أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله».اهـ.

(٣) ﴿ذَرُونِيٓ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والنون فيه نون الوقاية، والواو ضمير الجمع فاعل، وماضيه «وَذَر» نحو: وَعَد، ولكن لم يستعمل منه الماضي. و﴿أَقۡتُلۡ﴾ مجزوم؛ لأنه جواب الأمر.

(٤) وقوله: (لأنهم...). قاله البيضاوي.

(٥) قوله: (من عبادتكم إياي...) بيان لـ﴿دِينَكُمۡ﴾.

(٦) قوله: (وفي قراءة:...). القراءات هنا أربع:

١- ﴿وَأَن﴾: بالواو، ﴿يُظۡهِرَ﴾: بضم الياء: قراءة نافع، وأبي عمرو، وأبي جعفر.

٢- ﴿وَأَن يَظۡهَرَ...ٱلۡفَسَادُ﴾: بفتح الياء، ورفع ﴿ٱلۡفَسَادُ﴾ على الفاعل: قراءة ابن كثير، وابن عامر. =

وفي أخرى: بفتح الياء والهاء وضم الدال.

(٢٧)- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لقومه، وقد سمع ذلك ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧)﴾.

(٢٨)- ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: هو ابن عمه[1] ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن﴾ أي: لأن ﴿يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ﴾ أي: ضرر كذبه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ﴾ به من العذاب عاجلًا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك[2] ﴿كَذَّابٌ (٢٨)﴾ مفتر.

= ٣- ﴿أَوْ أَن يَظْهَرَ... الْفَسَادُ﴾: بـ«أو» وفتح الياء ورفع ﴿الْفَسَادُ﴾: قراءة شعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف.

٤- ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ.... الْفَسَادَ﴾: بـ«أو» وضم الياء ونصب ﴿الْفَسَادَ﴾: قراءة حفص، ويعقوب. وهذه الأربع تعلم من كلام المفسر إجمالًا.

(١) قوله: (قيل: هو ابن عمه). رواه ابن جرير عن السدّي، واختاره، فيفيد أنه كان من قوم فرعون، وليس إسرائيليًّا، ويكون الجار والمجرور ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ نعتًا ثانيًا لـ﴿رَجُلٌ﴾، وجملة ﴿يَكْتُمُ﴾ نعتًا ثالثًا. وقدم الجار والمجرور ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾؛ لأنه لو تأخر لأوهم تعلقه بـ﴿يَكْتُمُ﴾، وليس مرادًا. كما نبه على ذلك البلاغيون. واختلف في اسم ذلك الرجل، فقيل: حبيب، وقيل: شمعان، وقيل: حزقيل، وقيل غير ذلك. والله أعلم. ذكر الأقوال القرطبي.

(٢) قوله: (مشرك). فسر به قتادة، قال: «مشرك أسرف على نفسه بالشرك»، وعن السدّي: «المسرف صاحب الدم»، واختار ابن جرير شمولهما؛ لأن الشرك من الإسراف، وسفك الدم من الإسراف، وقد اجتمعا في فرعون.اهـ. ملخصًا.

(٢٩) - ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ﴾ غالبين، حال ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر[١] ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ﴾ عذابه إن قتلتم أولياءه ﴿إِن جَآءَنَاۚ﴾ أي: لا ناصر لنا ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو قتل موسى[٢] ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾ طريق الصواب.

(٣٠) - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠﴾ أي: يوم حزب بعد حزب.

(٣١) - ﴿مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٍ[٣] وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ «مِثۡلَ» بدل من «مِّثۡلَ» قبله، أي: مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١﴾.

---

(١) قوله: (أرض مصر). وبه فسر ابن جرير، فتكون «أل» فيها عهدية.

(٢) قوله: (وهو قتل موسى). كما قال ابن جرير: «يقول: وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب في أمر موسى وقتله، فإنكم إن لم تقتلوه بدل دينكم وأظهر في أرضكم الفساد».اهـ.

فائدة: في «صحيح البخاري» من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص يصف أشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه به خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ، وقال: «**أتقتلون رجلًا أن يقول: ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم**» [«فتح الباري» (٨/ ٤١٦)]. وحكاه القرطبي.

(٣) ﴿مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٍ﴾. ﴿مِثۡلَ﴾ مضاف إلى ﴿دَأۡبِ﴾، وهو إلى ﴿قَوۡمِ﴾ وهو إلى ﴿نُوحٍ﴾. وهذا يبطل قول من قال: إن تتابع الإضافات مخل بالفصاحة، وكما في ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٢]. وتقدم التنبيه على ذلك هناك.

(٣٢)- ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ (٣٢)﴾ بحذف الياء وإثباتها[١]، أي: يوم القيامة يكثر فيه[٢] نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها وغير ذلك.

(٣٣)- ﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ﴾ عن موقف الحساب إلى النار[٣] ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿مِنۡ عَاصِمٖۗ﴾ مانع ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ (٣٣)﴾.

(٣٤)-[٤] ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ﴾ أي: قبل موسى، وهو يوسف[٥]

---

(١) قوله: (بحذف الياء...). قراءتان، كما في ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ [الآية: ١٥] من هذه السورة. وعلى القراءتين هو مصدر: تنادى، يتنادى، تفاعل من النداء.

(٢) وقوله: (يكثر فيه...). بيان لوجه التسمية بيوم التناد، روي عن قتادة: «ينادي فيه أهل الجنة أهل النار، وأهل النار أهل الجنة»، كما في سورة الأعراف (٤٤، ٥٠)، وكذا النداء لأهل السعادة والشقاوة، كما ثبت كل ذلك، وذكره القرطبي وغيره. فيكون هذا من أسماء يوم القيامة.

(٣) قوله: (عن موْقف الحساب). هذا مرويّ عن قتادة. وروى ابن جرير، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ حديثًا طويلًا فيه بيان أهوال يوم القيامة، وفيه: يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى، فرجّ الأرض بأهلها رجًّا فتكون كالسفينة المرتعة في البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها.... ويولّي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضًا...». باختصار. وعلى هذا يكون المراد بالتنادي: نداء بعضهم بعضًا لمشاهدة أهوال يوم القيامة، أي: الفزع، والمراد بالتولي: توليهم لشدة الفزع، والله أعلم. وكلام ابن جرير يفيد اختيار هذا المعنى.

(٤) هذه الآية من تمام وعظ مؤمن آل فرعون.

(٥) قوله: (وهو يوسف بن يعقوب...). هذا القول عزاه القرطبي إلى ابن جريج، وبه فسر ابن كثير وغيره.

بن يعقوب في قولٍ، عمَّرَ[١] إلى زمن موسى، أو يوسف[٢] بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب في قول. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ﴾ من غير برهان ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ﴾ أي: فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إضلالكم ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ شاك فيما شهدت به البينات.

﴿٣٥﴾- ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ معجزاته، مبتدأ[٣] ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ برهان ﴿أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ﴾ جدالهم[٤]، خبر المبتدأ ﴿مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ

---

(١) قوله: (عُمِّرَ). يعني: عمّر فرعون الذي كان بزمان يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى زمن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. قاله وهب بن منبه، وقال غيره: بل هما شخصان، كما يقتضيه كلام ابن كثير. وظاهر كلام المفسر أن يوسف بن يعقوب عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ عمّر إلى زمان موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وليس بمرادٍ، ولا صحيح.

(٢) قوله: (أو يوسف...). يعني يوسف المذكور في هذه الآية ليس يوسف بن يعقوب النبي المشهور بل حفيده، وهو يوسف بن إبراهيم ابنِ يوسف بن يعقوب. قاله ابن عباس، ولكن نقل القرطبي عنه: «يوسف بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب».

(٣) قوله: (مبتدأ). يعني الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ، وليس وصفًا لما قبله. وظاهره أن هذا ابتداء خطاب من الله تعالى. وقيل: هذا من تمام كلام مؤمن آل فرعون. ذكر الوجهين القرطبي بدون عزو، وعلى الوجه الثاني يصح كون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعتًا لما قبله، أو بدلًا منه كما أعرب بذلك.

(٤) قوله: (جدالهم). توضيح للمراد. وهو في المعنى المخصوص بالذم، وفاعل ﴿كَبُرَ﴾: ضمير مستتر، و﴿مَقْتًا﴾: تمييز مفسر للضمير، فيكون هذا من أسلوب الذم، ويحتمل كون (جدالهم) فاعلًا لـ﴿كَبُرَ﴾، و﴿مَقْتًا﴾ تمييز محول عن الفاعل، والمعنى: كبر مقتُ جدالهم. فلا يكون الكلام من أسلوب الذمّ. والله أعلم.

ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إضلالهم ﴿يَطۡبَعُ﴾ يختم ﴿ٱللَّهُ﴾ بالضلال ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ بتنوين «قَلۡبٍ» ودونه[١]، ومتى تكبر القلب[٢] تكبر صاحبه وبالعكس، و«كُلِّ»[٣] على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب لا لعموم القلوب.

٣٦- ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾ بناء عاليًا[٤] ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦﴾.

٣٧- ﴿أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ طرقها الموصلة إليها[٥] ﴿فَأَطَّلِعُ﴾ بالرفع عطفًا على «أَبۡلُغُ»[٦]، وبالنصب جوابًا لـ«ٱبۡنِ»، ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ أي:

---

(١) قوله: (بتنوين ﴿قَلۡبِ﴾...). قرأ بالتنوين: أبو عمرو، وابن ذكوان. وبالإضافة: الباقون.

(٢) وقوله: (ومتى تكبر القلب...). توضيح للمعنى على التنوين، أي: على التنوين يكون ﴿مُتَكَبِّرٖ﴾ نعتًا للقلب. وتكبر القلب يلزمه تكبّر صاحبه، ويكون في الكلام مجاز عقلي، أو مجاز مرسل حيث أسند التكبر إلى الجزء، أي: القلب ويراد به الكل.

(٣) وقوله: (و﴿كُلِّ﴾...إلخ). يعني أن معنى الآية: ختم جميع أنحاء القلب، أي: الختم عليه كاملًا، وليس المراد أن المتكبر له أكثر من قلب فيختم عليها، وذلك واضح؛ لأن الله تعالى لم يجعل لأحد قلبين في جوفه. كما تقدم في سورة الأحزاب.

(٤) قوله: (بناءً عاليًا). كما تقدم في القصص.

(٥) قوله: (طرقها...). فسر به السدّي، وقال قتادة: «أبواب السمٰوات»، وعن ابن عباس: «منزل السماء».اهـ. وكل ذلك متلازمة.

(٦) قوله: (بالرفع). قرأ حفص: بالنصب. والباقون: بالرفع. ووجهها كما قال المفسر. فالرفع على أن الفاء عاطفة، وما بعدها معطوف على ﴿أَبۡلُغُ﴾، والنصب على أن الفاء جوابية، جواب للأمر ﴿ٱبۡنِ﴾، و﴿فَأَطَّلِعَ﴾ منصوب بـ«أن» مضمرة وجوبًا، وقيل: جواب لـ﴿لَّعَلِّيٓ﴾ على ما هو قول الكوفيين من جواز نصب المضارع بإضمار «أن» بعد «لعلّ».

موسى ﴿كَٰذِبًاۚ﴾ في أن له إلهًا غيري، قال فرعون ذلك تمويهًا[(١)] ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصَدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ طريق الهدى، بفتح الصاد وضمها[(٢)] ﴿وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾ خسار.

٣٨- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ اتَّبِعُونِي﴾ بإثبات الياء وحذفها[(٣)] ﴿أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨﴾ تقدم[(٤)].

٣٩- ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾ تمتع يزول ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩﴾.

٤٠- ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُدۡخَلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ بضم الياء وفتح الخاء[(٥)] وبالعكس ﴿يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠﴾ رزقًا واسعًا بلا تبعة.

٤١- ﴿۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١﴾.

---

(١) قوله: (تمويهًا). أي: تعمية على قومه وإقناعًا لهم.

(٢) قوله: (بفتح الصاد...). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر: بصيغة المبني للفاعل: ﴿وَصَدَّ﴾. والباقون: بصيغة المبني للمفعول ﴿وَصُدَّ﴾.

(٣) قوله: (بإثبات الياء...). قرأ ابن كثير، ويعقوب: بإثبات الياء وصلًا ووقفًا. وأبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون: وصلًا. والباقون: بحذف الياء.

(٤) قوله: (تقدم). أي نظير هذه الجملة. فقد تقدم حكاية عن قول فرعون: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾ [غافر: ٢٩]، لكن ذلك كان من قول فرعون، وهنا من كلام المؤمن، فالمراد بسبيل الرشاد في الموضعين مختلف، كما هو واضح.

(٥) قوله: (بضم الياء...). قرأ به ابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب. والباقون: ﴿يَدۡخُلُونَ﴾: بفتح الياء.

﴿٤٢﴾- ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾ لمن تاب.

﴿٤٣﴾- ﴿ لَا جَرَمَ﴾ حقًّا[1] ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ لأعبده ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ أي: استجابة دعوة[2] ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ﴾ مرجعنا ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الكافرين[3] ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿٤٤﴾- ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا عاينتم العذاب ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ قال ذلك لما توعدوه[4] بمخالفة دينهم.

﴿٤٥﴾- ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ[5] سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ به من القتل ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ الغرق.

﴿٤٦﴾- ثم ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ يحرقون بها ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ صباحًا ومساءً[6] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يقال: ﴿أَدْخِلُوٓا۟﴾ يا ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ وفي

---

(١) قوله: (حقًّا). سبق الكلام عليه في سورة هود، الآية (٢٢).

(٢) قوله: (أي: استجابة...). عزا القرطبي هذا التفسير إلى الزجاج، وقال ابن جرير: «ليس له دعاء في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأنه جماد لا ينطق ولا يعلم شيئًا».اهـ. وروى نحوه عن مجاهد، وقتادة. و«ما» في ﴿أَنَّمَا﴾ اسم موصول.

(٣) قوله: (الكافرين). هذا المعنى مرويّ عن قتادة. وقال مجاهد: «السفاكون للدماء».

(٤) قوله: (لما توعدوه). أي: هددوه. قال القرطبي: «قيل: هذا يدل على أنهم أرادوا قتله».اهـ. ونقل مقاتل: «هرب هذا المؤمن إلى الجبل فلم يقدروا عليه».اهـ.

(٥) ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ روى ابن جرير عن قتادة، قال: «وكان قبطيًّا من قوم فرعون فجاء مع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».اهـ.

(٦) قوله: (صباحًا ومساءً) أي: ما دامت الدنيا، كما قال مجاهد، ومقاتل، وعكرمة وغيرهم. =

قراءة: بفتح الهمزة وكسر الخاء[١]، أمر للملائكة ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ عذاب جهنم.

﴿٤٧﴾- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَتَحَآجُّونَ﴾ يتخاصم الكفار ﴿فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع[٢] ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾ جزءًا ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿٤٨﴾- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار.

﴿٤٩﴾- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ أي: قدر يوم ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿٥٠﴾- ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الخزنة تهكّمًا[٣] ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[٤]

= وهذه الآية مما تدل على عذاب القبر؛ لأن عذاب الآخرة ذكر بعده بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾، كما في القرطبي. والمعتزلة أنكروا عذاب القبر.

(١) قوله: (وفي قراءة...). قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة: ﴿ٱدْخُلُوٓاْ﴾: أمر من الثلاثي المجرد. والباقون: ﴿أَدْخِلُوٓاْ﴾: بفتح الهمزة وكسر الخاء، أمر من الإدخال.

(٢) قوله: (جمع تابع). أي: كخدم جمع خادم، قال القرطبي: «ويستعمل مفردًا وجمعًا في قول البصريين، وعند الكوفيين اسم جمع لا واحد له».اهـ.

(٣) قوله: (تهكُّمًا)، أي: هذه إجابة تهكم واستحقار، قال ابن كثير: «لما أجابهم الله بقوله ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٨]: استغاثوا بخزنة جهنم أن يدعوا الله لهم أن يخفف عنهم ولو يومًا واحدًا، فأجابوهم بما ذكر هنا».اهـ. ملخصًا.

(٤) ﴿أَوَلَمْ تَكُ﴾. الهمزة للاستفهام،والواو عاطفة على مقدر، و﴿تَكُ﴾: فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة تخفيفًا. واسمه: ضمير مستتر عائد =

بالمعجزات الظاهرات ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أي: فكفروا بهم ﴿قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ﴾ أنتم، فإنا لا نشفع للكافرين، قال تعالى: ﴿وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ۝٥٠﴾ انعدام[1].

٥١- ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١﴾ جمع شاهد[2]، وهم الملائكة[3] يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب.

= إلى ﴿رُسُلُكُم﴾ و﴿رُسُلُكُم﴾ فاعل لـ«تأتي» فقد تنازع فيه الفعلان: «تكُ» و«تأتي». فنجعله فاعلًا لـ«تأتي»، واسم ﴿تَكُ﴾ ضمير مستتر يعود إليه، هذا على اختيار البصريين. ويجوز إعمال ﴿تَكُ﴾ فيه فيكون اسمًا له، وفاعل «تأتي» ضمير مستتر يعود إليه على اختيار الكوفيين. وجملة ﴿تَأۡتِيكُمۡ﴾ خبرها، ويمكن أن نجعل اسم ﴿تَكُ﴾ ضمير القصة، فلا يكون من أسلوب التنازع. والله أعلم.

(١) قوله: (انعدام). أي: ذهاب فلا يتقبل، كما يُعلم من ابن كثير.

(٢) قوله: (جمع شاهد). أي: كصاحب وأصحاب. قاله الزجاج فيما نقله القرطبي. وعن النحاس: «جمع فاعل على أفعال سماعيّ، ولا يقاس عليه».اهـ. ملخصًا.

(٣) وقول المفسّر: (وهم الملائكة). قاله مجاهد، والسدي، قال ابن جرير ما حاصله: «فإن قيل: إن من الأنبياء من قُتِلوا كزكريا، فما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا...﴾؛ فالجواب: أن نصر الله للأنبياء قد يكون بإعلائهم وغلبتهم، كسليمان وداود ومحمد ﷺ، وقد يكون بإهلاك العدو، كنوح وموسى وهود وصالح. وقد يكون بتسليط العدوّ على من عادى الأنبياء ولو بعد قتلهم نبيهم كتسليط بختنصر على اليهود الذين قتلوا يحيى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ».اهـ. ملخصًا، وروى عن السدي: «قال في تفسير هذه الآية: قد كانت الأنبياء والمؤمنون يُقتلون في الدنيا وهم منصورون، وذلك أن تلك الأمم التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قومًا فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم».اهـ.

(٥٢)- ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ﴾ بالياء والتاء[١] ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ﴾ عذرهم لو اعتذروا ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ أي: البعد من الرحمة ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ (٥٢)﴾ الآخرة، أي: شدة عذابها.

(٥٣)- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ التوراة والمعجزات ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ من بعد موسى ﴿ٱلۡكِتَٰبَ (٥٣)﴾ التوراة.

(٥٤)- ﴿هُدٗى﴾ هاديًا ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٥٤)﴾ تذكرة لأصحاب العقول.

(٥٥)- ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقّٞ﴾ أنت ومن تبعك منهم ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ ليستن بك[٢] ﴿وَسَبِّحۡ﴾ صلّ متلبسًّا ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ (٥٥)﴾ الصلوات الخمس[٣].

(٥٦)- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ﴾ برهان

---

(١) قوله: (بالياء والتاء). قرأ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: بالياء. والباقون: بالتاء. و«معذرة» مصدر ميميّ أشار إليه المفسر بقوله: (عذرهم). و﴿يَوۡمَ﴾ بدل مما قبله.

(٢) قوله: (ليستن بك). وذلك لأن النبي ﷺ وكذا سائر الأنبياء لهم العصمة، فاستغفاره ﷺ ليستن به، وأيضًا الاستغفار ذِكْر له فوائده، ولا يحتاج إلى سبق معصية.

(٣) قوله: (الصلوات الخمس). لم أجد من فسر بالصلوات الخمس من أئمة التفسير المشهورين، وعلى هذا التفسير تدخل في العشيّ: الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وفي الإبكار: الفجر..

ونقل القرطبي عن الحسن، وقتادة: «يعني صلاة الفجر وصلاة العصر».اهـ. وعن الحسن أيضًا: «هي صلاة كانت بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس ركعتان غدوة وركعتان عشية، فيكون هذا مما نسخ».اهـ. والله أعلم.

﴿أَتَىٰهُمۡ إِن﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾ تكبر وطمع أن يعلوا عليك ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾[1] ﴿فَٱسۡتَعِذۡ﴾ من شرهم ﴿بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ بأحوالهم.

٥٧- ونزل في منكري البعث: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ابتداءً[2] ﴿أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ مرة ثانية[3]، وهي الإعادة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: الكفّار ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ ذلك، فهم كالأعمى[4] ومن يعلمه كالبصير.

٥٨- ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَ﴾ لا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهو المحسن[5] ﴿وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ﴾ فيه زيادة لا ﴿قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾ يتّعظون، بالياء والتاء[6]، أي: تذكرهم قليل جدًّا.

---

(١) ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾. أي: ليسوا ببالغي ذلك العلوّ والكبر؛ لأن الله مذلّهم أو ليس في صدورهم إلا كبر بسبب حسدهم عليك في النبوة، وما هم ببالغي تلك المنزلة؛ لأن الله يعطيها من يشاء، وكلا الوجهين يعلم من ابن جرير. والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ هنا: المشركون، وقيل: اليهود، وعلى هذا تكون الآية مدنية، كما تقدم في أول السورة، وذكر الوجهين القرطبي.

(٢) قوله: (ابتداءً). أي: من غير مثالٍ سابق.

(٣) وقوله: (مرة ثانية). هذا المعنى عزا القرطبي إلى يحيى بن سلام، قال: «هو احتجاج على منكري البعث، أي: هما أكبر من إعادة خلق الناس، فلِمَ اعتقدوا عجزي عنها؟».

(٤) قوله: (فهم كالأعمى). بيان لارتباط هذه الآية بالآية التالية.

(٥) قوله: (وهو المحسن). أفاد أن الآية تكون بمثابة أن يقال: ولا المحسن والمسيء.

(٦) قوله: (بالتاء والياء...). قرأ بالياء: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب. والباقون: بالتاء. =

(٥٩)- ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩)﴾ بها.

(٦٠)- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي: اعبدوني أثبكم[(١)] بقرينة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الخاء[(٢)] وبالعكس ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)﴾ صاغرين.

(٦١)- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسناد الإبصار إليه مجازيّ[(٣)]؛ لأنه يبصر فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١)﴾ الله، فلا يؤمنون.

(٦٢)- ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٦٢)﴾[(٤)]

= و﴿قَلِيلًا﴾ منصوب على أنه مفعول مطلق، و﴿مَّا﴾ مزيدة للتوكيد. وتقدم نظيره في سورة البقرة الآية (٨٨) وغيرها.

(١) قوله: (اعبدوني أثبكم). هذا المعنى عزاه القرطبي إلى أكثر المفسرين، وروى ابن جرير عن ابن عباس، قال: «وحدوني أغفر لكم». وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»، وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾. ورواه الترمذي. وفي كلام المفسر إشارة إلى ذلك حيث قال: (بقرينة ما بعده) أي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾.

(٢) قوله: (بفتح الياء...). قرأ ابن كثير، وشعبة، وأبو جعفر، ورويس: ﴿سَيُدْخَلُونَ﴾: بضم الياء، على صيغة المبني للمفعول. والباقون: ﴿سَيَدْخُلُونَ﴾: بفتح الياء على صيغة المبني للفاعل.

(٣) قوله: (مجازي..). أي: فيكون من المجاز العقلي، من إسناد العامل إلى الزمان.

(٤) ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: أنى: اسم استفهام في محل نصب حال.

فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان.

(٦٣) - ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ﴾ أي: مثل أَفْكِ هؤلاء أُفِكَ[١] ﴿ٱلَّذِينَ كَانُوٓاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ معجزاته ﴿يَجۡحَدُونَ (٦٣)﴾.

(٦٤) - ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ سقفًا ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٦٤)﴾.

(٦٥) - ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ﴾ من الشرك ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٦٥)﴾.

(٦٦) - ﴿۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ دلائل التوحيد ﴿مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٦٦)﴾.

(٦٧) - ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ مني ﴿ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ﴾ دم غليظ ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ بمعنى: أطفالًا[٢] ﴿ثُمَّ﴾ يبقيكم[٣] ﴿لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ﴾ تكامل قوتكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين

---

(١) قوله: (أي: مثل أفَك...). «أَفك» الأول بفتح الهمزة مصدر، والثاني: أُفِكَ بضم الهمزة فعل ماض مبني للمفعول، تفسير لـ﴿تُؤۡفَكُونَ﴾، ويفيد أنه بمعنى الماضي، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ نائب فاعل.

و﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجار والمجرور في محل نصب مفعول مطلق نعت للمصدر المحذوف.

(٢) قوله: (بمعنى: أطفالًا). كما تقدم في تفسير سورة النور الآية (٣١).

(٣) قوله: (يبقيكم). أفاد به أن ﴿لِتَبۡلُغُوٓاْ﴾ تعليل لمحذوف، كذا قدره البيضاوي. وتقدم شرح لفظ «أشد» في سورة الأنعام الآية (١٥٢).

﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا﴾ بضم الشين وكسرها[١] ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل الأشد والشيخوخة، فعل ذلك بكم لتعيشوا[٢] ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ وقتًا محدودًا ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ دلائل التوحيد، فتؤمنون.

﴿٦٨﴾- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أراد[٣] إيجاد شيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ بضم النون وفتحها[٤]، بتقدير «أن»، أي: يوجد[٥] عقب الإرادة التي هي[٦] معنى القول المذكور.

---

(١) قوله: (بضم الشين...). قرأ ابن كثير، وابن ذكوان، وشعبة، وحمزة، والكسائي: بكسر الشين: ﴿شِيُوخًا﴾. والباقون: بضمها: ﴿شُيُوخًا﴾. ووجه الكسر مناسبة الياء. وكلاهما جمع شيخ، كقلب وقلوب، وإنما كسر لأجل مناسبة الياء، كما أفاده القرطبي.

فائدة: قال القرطبي: «والشيخ من جاوز أربعين سنة».اهـ.

(٢) قوله: (فعل ذلك...). قدره ليعطف عليه: ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ﴾، فهو معطوف على مقدر كما ذكره المعربون.

(٣) قوله: (أراد...). أفاد أن القضاء هنا بمعنى: إرادة الإيجاد كما فسر بما يفيده ابن جرير وغيره.

(٤) وقوله: (بضم النون...). قرأ ابن عامر: بنصب ﴿فَيَكُونَ﴾، وهو المراد بفتح النون، على إضمار «أن» كما قال المفسر. والباقون: برفع: ﴿فَيَكُونُ﴾، وهو المراد بضم النون، على أن الفاء عاطفة والفعل معطوف على ﴿يَقُولُ﴾، أو استئنافية، وقد تقدم نظيره.

(٥) وقوله: (أي: يوجد...). أفاد أن «يكون» هنا تامة.

(٦) وقوله: (التي هي...). يعني: أن المراد بقول ﴿كُن﴾ تعلق الإرادة بإيجاده، وإن لم يوجد لفظ ﴿كُن﴾، كما يفيده قول ابن جرير: «﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن﴾ يعني: للذي يريد تكوينه: كن، فيكون ما أراد تكوينه موجودًا بغير معاناة ولا كلفة مؤنة».اهـ. وتقدم ذلك في سورة البقرة الآية (١١٧) وغيرها.

﴿٦٩﴾- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ القرآن ﴿أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ عن الإيمان[(١)].

﴿٧٠﴾- ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ القرآن ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ من التوحيد والبعث وهم كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ عقوبة تكذيبهم.

﴿٧١﴾- ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ «إِذِ» بمعنى: إذا[(٢)] ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ عطف[(٣)] على «ٱلْأَغْلَٰلُ»، فتكون في الأعناق أو مبتدأ خبره محذوف، أي: في أرجلهم أو خبره ﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ أي: يجرون بها.

﴿٧٢﴾- ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: جهنم ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ يوقدون.

﴿٧٣﴾- ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تبكيتًا[(٤)] ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿٧٤﴾- ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ معه، وهي الأصنام ﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلا نراهم ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ﴾ أنكروا عبادتهم إياها[(٥)]، ثم أحضرت،

---

(١) قوله: (عن الإيمان). صريح في أن هذه الآية نزلت في المشركين، وقاله ابن زيد. وصوّبه ابن جرير، وروي عن ابن سيرين أنها نزلت في القدرية. وعزاه القرطبي إلى أكثر المفسرين، واستدل ابن جرير على ترجيح قول ابن زيد بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ الآية التالية، وكما صرح المفسر: (وهم كفار مكة).

(٢) قوله: (﴿ إِذِ﴾ بمعنى: إذا). يعني بمعنى المستقبل، و«إذ» في الأصل للماضي و«إذا» للمضارع. وقد بينا وجوه الاتفاق والافتراق بينهما في «الثنائيات».

(٣) قوله: (عطف...). ذكر المفسر ثلاثة أوجه في إعراب ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾، كما هو واضح من عبارته.

(٤) قوله: (تبكيتًا) أي: قطعًا للحجة.

(٥) وقوله: (أنكروا...). قاله ابن كثير بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣].اهـ. وقال القرطبي: «ليس هذا إنكارًا لعبادة =

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، أي: وقودها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿٧٥﴾- ويقال لهم أيضًا: ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ من الإشراك وإنكار البعث ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ تتوسعون في الفرح[١].

﴿٧٦﴾- ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿٧٧﴾- ﴿فَٱصْبِرْ[٢] إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بعذابهم ﴿حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ فيه «إن» الشرطية[٣] مدغمة و«ما» زائدة تؤكد معنى الشرط أول الفعل، والنون تؤكد آخره ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف،

= الأصنام، بل اعتراف بأن عبادتهم الأصنام كانت باطلة».اهـ. والأول أوضح كما تدل عليه الآية.

(١) قوله تعالى: ﴿تَفْرَحُونَ﴾، ﴿تَمْرَحُونَ﴾ من الجناس، ويسمى الجناس المضارع، وهو اختلاف الكلمتين بحرفين متقاربين في المخرج، وهما هنا: الفاء والميم. روى ابن جرير عن ابن عباس، قال: «الفرح والمرح: الفخر والخيلاء، والعمل في الأرض بالخطيئة، وكان ذلك في الشرك، وهو مثل قوله لقارون: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: ٧٦]، وذلك في الشرك».اهـ.

(٢) الفاء في ﴿فَٱصْبِرْ﴾ الفاء الفصيحة، كأنه قيل: إن حصل منهم ما حصل من الإيذاء فاصبر، وفي ﴿فَإِمَّا﴾ عاطفة للجملة على ما قبلها أو استئنافية.

(٣) وقوله: (فيه «إن» الشرطية...) أي: «إمّا» هٰهنا: «إن» الشرطية المدغمة في «ما» المزيدة المؤكدة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ...﴾ [مريم: ٢٦]، وغيره، فهٰهنا مؤكدان: مؤكد في أول الفعل وهو: «ما»، ومؤكد في آخره وهو: النون، كما في نظائره. وهذا مراد المفسر بقوله: (مؤكدة معنى الشرط أول الفعل... آخره). كما هو واضح.

أي: فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أي: قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ فنعذبهم أشد العذاب، فالجواب[1] المذكور للمعطوف فقط.

﴿٧٨﴾- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ روي أنه تعالى[2] بعث ثمانية آلف نبي؛ أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿قُضِيَ﴾ بين الرسل ومكذبيها ﴿بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ أي: ظهر القضاء[3] والخسران للناس، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

﴿٧٩﴾- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ قيل[4]: الإبل خاصة هنا، والظاهر:

---

(١) قوله: (فالجواب...). يعني ان الجواب ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ للمعطوف وهو ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾؛ لأن المعنى: فإن وقع العذاب في حياتك -كما وقع في بدر- فذاك، وإلا بل إذا توفيت فإنهم سيعذبون في الآخرة ولابد، كما يشير إلى ذلك كلام المعربين، وكلام المفسرين كابن جرير.

(٢) قوله: (روي...). رواه ابن جرير عن أنس بن مالك. وتقدم ذكر ذلك في تفسير سورة النساء (١٦٤).

(٣) قوله: (أي: ظهر القضاء...). أفاد أن المراد بـ﴿قُضِيَ﴾ ظهور قضائه، وليس تجدد القضاء؛ لأن القضاء سابق، وهم لم يزالوا في خسران بعد نزول العذاب وقبلها. أعاذنا الله منهم ومن شيمهم.

(٤) قوله: (قيل:...). هذا القول عزاه القرطبي إلى الزجاج، ووجه ذلك ذكر الركوب، فالبقر والغنم لا يركب. ولكن ابن جرير وغيره من المفسرين أجرى الأنعام على عمومه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾ بـ«من» التبعيضية، فبعضها يركب وبعضها يؤكل، =

والبقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿٨٠﴾- ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾ من الدر والنسل والوبر والصوف ﴿وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد[1] ﴿وَعَلَيْهَا ﴾ في البر ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ السفن في البحر ﴿تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿٨١﴾- ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: الدالة على وحدانيته ﴿تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ استفهام توبيخ. وتذكير «أيٍّ» أشهر من تأنيثه[2].

= وعلى هذا يراد بالأنعام كل حيوان منتفع به بالركوب أو الأكل، كالخيل والحمير، وعليه جرى ابن جرير، فيكون بعضها للركوب وبعضها للأكل.اهـ. وإذا أريد به الإبل والبقر والغنم خاصة فمعنى التبعيض بالنسبة إلى الأكل أي: لحمها وما ذبح بطريقة شرعية، لا الميتة وما في معناها. أو كما قال البيضاوي: «فإن من جنسها ما يؤكل كالغنم، ومنها ما يؤكل ويركب كالإبل والبقرة».اهـ. ولعل المراد بركوب البقر في كلام البيضاوي، الركوب في العجلة التي تجرّها البقرة، لا ركوب ظهرها؛ لأنها لم تخلق لذلك، والله أعلم. روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل راكب على بقرة التفتتْ إليه فقالت: لم أُخْلق لهذا، خُلقت للحراثة**...». الحديث [(٢١٩٩)، كتاب المزارعة].

(١) وقول المفسر: (وهي حمل الأثقال). رواه ابن جرير عن قتادة.

(٢) قوله: (وتذكير ﴿أَىَّ﴾) يعني: أن ﴿أَىَّ﴾ الاستفهامية يقال فيها أيّ بدون التاء، سواء أضيفت إلى المذكر أم إلى المؤنث، هذا هو الغالب، وقد تؤنث بإلحاق التاء فيقال: أية، فهٰهنا أضيفت إلى المؤنث ﴿ءَايَٰتِ﴾، بدون إلحاق التاء، وهذا الحكم في «أيّ» إذا لم تكن وصلة لنداء ما فيه «أل»، أما إذا كانت وصلة لنداء ما فيه «أل» فتلحق التاء في المؤنث، تقول: يا أيها الرجل، ويا أيتها المرأة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر: ٢٧].

(٨٢) - ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (٨٢)﴾.

(٨٣) - ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَرِحُواْ﴾ أي: الكفار ﴿بِمَا عِندَهُم﴾ أي: الرسل[1] ﴿مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ فرح استهزاء وضحك منكرين له ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٨٣)﴾ أي: العذاب.

(٨٤) - ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ أي: شدة عذابنا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ (٨٤)﴾.

(٨٥) - ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ[2] إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ نصبه على المصدر[3]

---

(١) قوله: (أي: الرسل). على هذا يعود الضمير «هم» إلى الرسل، والمعنى: فرح الكفار بعلم الرسل وهداهم، فرح استهزاء وسخرية. وقيل: فرح الكفار بما عندهم من علم الدنيا أو باعتقاداتهم الفاسدة، وسمى هذا علمًا بناءً على زعمهم تهكمًا بهم، ذكر الوجهين البيضاوي، والقرطبي، وزاد القرطبي وجهًا ثالثًا، أي: فرح الرسل بما عندهم من العلم الذي أتوه من إنجائهم مع المؤمنين وإهلاك الكفار، وهذا الفرح فرح استبشار وشكر، والله أعلم. وعزا القرطبي القول الثاني إلى مجاهد، قال: «إن الذين فرحوا بما عندهم من العلم قالوا: نحن أعلم منهم، لن نعذب ولن نبعث».اهـ.

(٢) ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ﴾. الفاء عاطفة، و﴿يَكُ﴾: فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة تخفيفًا، واسم ﴿يَكُ﴾: الضمير المستتر، وهو ضمير الشأن، وجملة ﴿يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ في محل نصب خبرها. ويمكن إعراب الآية كما تقدم في ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ﴾ الاية (٥٠)، من هذه السورة، والله أعلم.

(٣) قوله: (نصبه). أي: فهو مفعول مطلق لفعل محذوف.

بفعل مقدر من لفظه ﴿ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ﴾ في الأمم أن لا ينفعهم الإيمان[١] وقت نزول العذاب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٥﴾ تبين خسرانهم لكلّ أحد[٢]، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

❁❁❁

(١) وقوله: (أن لا ينفعهم...) تفسير لـ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ قال ابن كثير: «هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب أنه لا يقبل ولذا جاء في الحديث: «**إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**».اهـ. [ابن ماجه (٢/ ١٤٢٠)].

(٢) قوله: (تبين خسرانهم) كما تقدم في الآية (٧٨) من هذه السورة.

٤١- سورة فصلت أو حمٓ السجدة

مكية[١]، وآياتها أربع وخمسون أو ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿حمٓ ١﴾ الله أعلم بمراده به.

(٢)- ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢﴾ مبتدأ[٢].

(٣)- ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبره ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بينت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من «كِتَٰبٌ» بصفته[٣] ﴿لِّقَوْمٍ﴾ متعلق بـ«فُصِّلَتْ»، ﴿يَعْلَمُونَ ٣﴾ يفهمون ذلك، وهم العرب[٤].

(٤)- ﴿بَشِيرًا﴾ صفة «قُرْءَانًا»[٥] ﴿وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤﴾ سماع قبول.

---

(١) قوله: (مكية). أي: كلها، ولم أجد خلافًا في ذلك.

(٢) قوله: (مبتدأ). هذا أحد الأوجه الإعرابية، عزاه القرطبي إلى الزجاج، وقال: «وهذا قول البصريين»، ويجوز كونه خبرًا لمبتدأ محذوف.

(٣) قوله: (حال من ﴿كِتَٰبٌ﴾...) هذا أحد الأوجه، وعن الأخفش: «نصب على المدح»، وقيل: مفعول به لفعل محذوف، نحو: اذكر، وقيل غير ذلك. كما في القرطبي. وتقدم مثله في أول سورة يوسف وغيرها.

(٤) قوله: (وهم العرب). كما قال ابن جرير: «لقوم يعلمون اللسان العربيّ».اهـ. وعن الضحاك: «لقوم يعلمون أنه منزل من عند الله»، وعن مجاهد: «لقوم يعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل».اهـ.

(٥) قوله: (صفة ﴿قُرْءَانًا﴾) وقيل: حال من ﴿ءَايَٰتُهُۥ﴾، كما في القرطبي. ولعل تذكير الحال ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ باعتبار أن الآيات بمعنى: القرآن أو المنزل أو كلام الله. والله أعلم.

(٥) - ﴿وَقَالُوا﴾ للنبي ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ أغطية ﴿مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ثقل ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ خلاف في الدين[١] ﴿فَاعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾﴾ على ديننا.

(٦) - ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾.

(٧) - ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ[٢] وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾.

(٨) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾ مقطوع[٣].

(٩) - ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية[٤] وتسهيلها وإدخال ألف بينها

---

(١) قوله: (خلاف في الدين). فسر به القرطبي، وعزاه إلى الفراء وغيره، وبمثله فسر ابن جرير، قال: «يقولون ومن بيننا وبينك يا محمد ساتر لا نجتمع من أجله نحن وأنت، فيرى بعضنا بعضًا، وذلك الحجاب هو اختلافهم في الدين».اهـ. وكلمة ﴿أَكِنَّةٍ﴾ سبقت في سورة الأنعام (٢٥) وغيرها.

(٢) ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي: لا يقرون بها ولا يؤمنون بها. قاله قتادة، وقال الضحاك، ومقاتل: «لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة».اهـ. وهما متقاربان، وعن ابن عباس، وعكرمة: «لا يشهدون أن لا إله إلا الله»، واختار ابن جرير الأول، قال: «لأنه الأشهر من معنى الزكاة، وكان أهل الردة بعد نبي الله قالوا: أما الصلاة فنصلي، وأما الزكاة فوالله لا تغصب أموالنا، فقال أبو بكر: والله لا أفرق بين شيء جمع الله بينه، والله لو منعوني عقالًا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه».اهـ. وهذه الآية مما استدل به جمهور الأصوليين على أن الكفار مخاطبون بالفروع، والخلاف في ذلك مع الحنفية، وهو مفصل في كتب الأصول. وكلمة «ويل» تقدمت في مواضع.

(٣) ﴿مَمْنُونٍ﴾. اسم مفعول من: منَّ بمعنى: قطع، يقال: منَّ الحبل، أي: قطعه. وهذه الكلمة وقعت في القرآن في أربعة مواضع؛ هنا، وفي سورة القلم والانشقاق والتين.

(٤) قوله: (بتحقيق الهمزة...). ذكر أربع قراءات: =

بوجهيها وبين الأولى ﴿لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ الأحد والاثنين(١) ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ﴾ شركاء ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ﴾ أي: مالك ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾ جمع عالم، وهو ما سوى الله، وجُمِعَ لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليبًا للعقلاء.

﴿١٠﴾- ﴿وَجَعَلَ﴾ مستأنف(٢)، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»، للفاصل الأجنبي ﴿فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالًا ثوابت ﴿مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ بكثرة المياه والزروع والضروع(٣) ﴿وَقَدَّرَ﴾ قسم ﴿فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ للناس والبهائم(٤) ﴿فِىٓ﴾

= ١- تسهيل الهمزة الثانية مع الإدخال: قالون، أبو عمرو، أبو جعفر.

٢- التسهيل بدون إدخال: ورش، وابن كثير، ورويس.

٣- والباقون: بالتحقيق بدون إدخال.

٤- ولهشام: التسهيل وتركه مع الإدخال.

فقول المفسر: (بوجهيها). أي: وهما التحقيق والتسهيل. ولو قال: وتركه، أي ترك الإدخال لكان أوضح؛ لأن ترك الإدخال قراءة الجمهور.

(١) قوله: (الأحد والاثنين). كما روي عن ابن عباس وغيره، وفسر كذلك ابن جرير وغيره من المفسرين. وتفسير ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مضى في سورة الفاتحة.

(٢) قوله: (مستأنف). هذا رأي بعض النحاة، كأبي البقاء على ما ذكره الدرويش. واختار أنه معطوف على ﴿خَلَقَ﴾ أي: صلة الموصول، و﴿وَتَجْعَلُونَ﴾ معطوف على ﴿لَتَكْفُرُونَ﴾، في مثابة الجملة المعترضة بين المعطوف ﴿وَجَعَلَ﴾ والمعطوف عليه ﴿خَلَقَ﴾. وقول المفسر: (على صلة «الذي») وهي جملة ﴿خَلَقَ﴾، والأجنبيّ بمعنى: غير المعمول.

(٣) قوله: (بكثرة المياه...). هذه أمثلة لما فيها من البركة. قال ابن جرير: «جعلها دائمة الخير لأهلها». والمراد بالضروع الدواب التي تحلب. من إطلاق الجزء وإرادة الكلّ، مجازًا مرسلًا.

(٤) قوله: (للناس والبهائم). وبنحو ذلك قاله ابن زيد، والسدي، والحسن. وروي في ذلك بعض التفاصيل، ورجح ابن جرير عموم الآية، أي: أنه تعالى قدر في الأرض أقوات أهلها وذلك ما يقوتهم من الغذاء ويصلحهم من المعاش...إلخ.اهـ.

تمام[١] ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: الجعْلُ، وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء ﴿سَوَآءً﴾ منصوب على المصدر[٢]، أي: استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص ﴿لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ عن خلق الأرض بما فيها.

﴿١١﴾- ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ قصد[٣] ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ بخار مرتفع ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا﴾ إلى مرادي منكما[٤] ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ في موضع حال، أي: طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا﴾ بمن فينا ﴿طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ فيه تغليب[٥] المذكر العاقل أو نزلتا لخطابهما منزلته[٦].

---

(١) قوله: (﴿فِىٓ﴾ تمام). أفاد بهذا التقدير: أن مجموع الأيام أربعة، من الأحد إلى الأربعاء، كما ورد بذلك الحديث عن ابن عباس وغيره.

(٢) قوله: (على مصدر...). أي: مفعول مطلق لفعل محذوف، وقيل: حال من ﴿أَرْبَعَةِ﴾، وهي وإن كانت نكرة لكنها تخصَّصت بالإضافة إلى ﴿أَيَّامٍ﴾، والنكرة تقع صاحب حال إذا تخصصت أو تعممت كالمبتدأ.

(٣) قوله: (قصد) كما تقدم في سورة البقرة الآية (٢٩).

(٤) قوله: (إلى مرادي منكما). روى ابن جرير عن ابن عباس، قال: «قال الله للسمٰوات: اطلعي شمسي وقمري واطلعي نجومي، وقال للأرض: شققي أنهارك وأخرجي ثمارك، فقالتا: أعطينا طائعين».اهـ.، على هذا يكون هذا بعد خلقهما، وقيل: قول الله تعالى لهما بمعنى الأمر التسخيري، والتكويني، أي: كونا، فكانتا، وعلى هذا يكون هذا قبل خلقهما. وذكرهما القرطبي وعزا الأول إلى الجمهور، وعلى هذا يكون قولهما: أتينا طائعين قولًا حقيقيًّا.

(٥) قوله: (فيه تغليب). أي: في صيغة الجمع المذكر السالم في ﴿طَآئِعِينَ﴾. فإن جمع المذكر السالم إنما يطرد في عَلَم المذكر أو وصفه على شروط ذكرها النحاة. فهنا غلب المذكر العاقل وجيء بصيغتهم، والمراد هم وغيرهم. ولذلك قدر المفسّر: (بمن فينا).

(٦) وقوله: (أو نزلتا...). هذا توجيه آخر لصيغة الجمع المذكر السالم، وهو أن السماء والأرض =

﴿١٢﴾- ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى «ٱلسَّمَآءِ»؛ لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه[١]، أي: صيّرها ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ الخميس والجمعة[٢] فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل هنا: سواء، ووافق ما هنا آيات خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ الذي أمر به من فيها[٣] من الطاعة والعبادة ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ بنجوم ﴿وَحِفۡظٗاۚ﴾ منصوب بفعله المقدر[٤]، أي: حفظناها من استراق الشياطين[٥] السمع، بالشهب[٦] ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ بخلقه.

﴿١٣﴾- ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾ أي: كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ﴾ خوفتكم ﴿صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ أي: عذابًا يهلككم[٧] مثل الذي أهلكهم.

= لما تكلمتا نزلتا منزلة العقلاء، وذكرهما ابن جرير، فعلى هذا يكون المراد بـ﴿قَالَتَآ﴾: السماء والأرض، دون مراعاة من فيهما من العقلاء وغيرهم.

(١) قوله: (لأنها...). أي: لأن السماء في معنى الجمع، أي: السمٰوات؛ لأن السماء تصير سبع سمٰواتٍ. وقد تقدم نظير هذه العبارة في سورة البقرة.

(٢) قوله: (الخميس والجمعة). كما تقدم في سورة الأعراف الآية (٥٤)، وتقدم هناك بعض التفاصيل.

(٣) قوله: (الذي أمر به فيها). كما قال مجاهد: «ما أمر الله به وأراده»، وكما قاله ابن جرير: «وألقى في كل سماء من السمٰوات السبع ما أراد من الخلق».اهـ.

(٤) قوله: (منصوب بفعله). أي: فهو مفعول مطلق لفعل محذوف، وأجاز الزمخشري كونه مفعولًا لأجله معطوفًا على المصدر المعلوم من ﴿وَزَيَّنَّا﴾ كأن المعنى: خلقنا النجوم للزينة والحفظ.

(٥) قوله: (من استراق الشياطين). كما تقدم في الصافات وغيرها.

(٦) وقوله: (بالشهب). متلعق بـ(حفظنا) المقدر.

(٧) قوله: (عذابًا). فسرت الصاعقة هنا بالعذاب في قول قتادة، وبه فسر القرطبي، وقال =

﴿١٤﴾- ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا، كما سيأتي، والإهلاك في زمنه فقط[١] ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ﴾ علينا ﴿مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ على زعمكم ﴿كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿١٥﴾- ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ﴾ لما خوفوا بالعذاب ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أي: لا أحد، كان أحدهم يقلع[٢] الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث يشاء ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعلموا[٣] ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ المعجزات ﴿يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿١٦﴾- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ باردة شديدة الصوت بلا مطر[٤] ﴿فِىٓ

= البيضاوي: «عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة».اهـ. وقال ابن جرير: «الصاعقة: كل ما أفسد الشيء وغيّره عن هيئته، وقيل في هذا الموضع عنى بها وقيعة من الله وعذاب».اهـ.

(١) قوله: (والإهلاك...). يعني: أن الإهلاك كان في زمن الكفر، لا زمن مجيء الرسل بدون كفرهم. ومراد المفسر بهذا التوجيهُ لتقديره: فكفروا، فأفاد أن ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ﴾ وإن كان ظرفًا لإهلاكهم لكن يقيّد ذلك بأنهم كفروا، كما هو واضح.

(٢) قوله: (كان أحدهم...). ذكره البيضاوي بـ(قيل). وقد تقدم في الأعراف ما نقل عن ابن عباس أن طول أحدهم كان مائة ذراع، وطول قصارهم كان ستين ذراعًا، فلا غرابة أن أحدهم يستطيع ذلك.

(٣) قوله: (يعلموا). أفاد أن الرؤية هنا علمية، و«أنّ» ومعمولاها سدت مسدّ مفعوليها.

(٤) قوله: (باردة...). قال البيضاوي: «باردة تهلك بشدة بردها، من الصر، وهو البرد الذي يصرّ أي: يجمع، أو شديدة الصوت في هبوبها من الصرير».اهـ. ففي كلام المفسر جمع بين الاحتمالين، وقد روى كذلك عن السدي، قال: «باردة ذات الصوت».اهـ.

أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ بكسر الحاء وسكونها[١]، مشؤومات عليهم ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾ الذل ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ﴾ أشد ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ بمنعه عنهم.

﴿١٧﴾- ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ بيّنا لهم طريق الهدى[٢] ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ﴾ اختاروا الكفر[٣] ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ المهين[٤] ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿١٨﴾- ﴿وَنَجَّيْنَا﴾ منها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ الله.

﴿١٩﴾- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ﴾ بالياء والنون[٥] المفتوحة وضم الشين وفتح

---

(١) قوله: (بكسر الحاء...). قرأ بالسكون: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب. وبالكسر: الباقون. قال البيضاوي ما حاصله: «النحِسات» أي: بالكسر جمع نحِسة، والسكون جمع نحْسٍ إما تخفيفًا، أو هو مصدر وُصِف به. والنحس: نقيض السعد.اهـ. وفسره مجاهد: «مشؤومات»، كما قال المفسر، قال القرطبي: «كان آخر شوال من يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء».اهـ. ونقل عن ابن عباس: «ما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء».اهـ. هذا وقد تقدم في مواضع أخبار عاد ونسبهم ومساكنهم.

(٢) قوله: (بينا لهم). أشار به إلى أن المراد بالهداية هنا هداية إرشاد وبيان، لا هداية توفيق وإيصال، وذلك واضح، وتقدم في الفاتحة بيان إطلاق الهداية على المعنيين.

(٣) قوله: (الكفر). أشار به إلى أن العمى هنا مجاز.

(٤) قوله: (المهين). أفاد أن الهون اسم مصدر أطلق بمعنى اسم الفاعل، قال القرطبي: «الهون بمعنى: الهوان».

(٥) قوله: (بالياء والنون...). قرأ نافع، ويعقوب: بالنون على صيغة المبني للفاعل ونصب ﴿أَعْدَآءَ﴾ على المفعولية. وهذا المراد بقول المفسر: (وفتح الهمزة). وقرأ الباقون: بالياء على صيغة المبني للمفعول ورفع ﴿أَعْدَآءُ﴾ على أنه نائب فاعل.

الهمزة ﴿أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩﴾ يساقون[١].

٢٠- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا﴾ زائدة[٢] ﴿جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠﴾.

٢١-[٣] ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ أي: أراد نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١﴾ قيل: هو من كلام الجلود[٤]،

(١) قوله: (يساقون). كما قال القرطبي: «يساقون ويدفعون إلى جهنم». قال قتادة، والسدي: «يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا».اهـ. وقد مضى ذكر هذه الكلمة في سورة النمل (١٧)، وقال المفسر هناك: (يجمعون ثم يساقون). ولعله اكتفى هنا بالمعنى الذي يؤول إليه أمرهم، وهو سَوْقهم إلى جهنم. أعاذنا الله منها.

(٢) قوله: (زائدة). وقد ذكرنا أن «ما» بعد «إذا» تكون زائدة أبدًا، فتفيد التوكيد؛ لأن كل زائدٍ يفيد التوكيد، وسبب كونها زائدة بعد «إذا» أن «إذا» واجبة الإضافة إلى الجملة، فلا يمكن جعل «ما» مصدرية أو غيرها لئلا تلزم إضافة «إذا» إلى المفرد، وقد تقدم ذكر ذلك.

(٣) المراد بالجلود هنا الجلود بأعيانها في قول أكثر المفسرين، واختاره ابن جرير، وروى عن السدي، وغيره: «المراد بها هنا الفروج»، وذكر القرطبي شاهدًا من بيتٍ على إطلاقها بهذا المعنى، لكن هذا الإطلاق نادر، ثم قد ثبت في أحاديث تكلم أعضاء بني آدم، وأول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه، كما رواه ابن جرير، وغيره مرفوعًا، وفي حديث مسلم، عن أنس...: «**فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل، فيقول: بعدًا لكُنَّ وسحقًا، عنكنّ كنت أجادل**».اهـ [مسلم (٣/ ٢٢٨٠)]. وعن أبي هريرة لمسلم: «**...فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي سخط الله عليه**».اهـ.

(٤) قوله: (قيل: هو...). يعني: أن الجملة ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمۡ...﴾ يحتمل كونها من كلام الجلود، وكونها مستأنفة من كلام الله، ذكرهما القرطبي وغيره، وفسر ابن جرير على أنها من كلام الله.

وقيل: هو من كلام الله تعالى كالذي بعده، وموقعه[١] قريب مما قبله بأن القادر على إنشائكم ابتداء وإعادتكم بعد الموت أحياءً قادر على إنطاق جلودكم وأعضائكم.

﴿٢٢﴾- ﴿وَمَا كُنتُمْ[٢] تَسْتَتِرُونَ﴾ عند ارتكابكم الفواحش من ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنكم لم توقنوا بالبعث ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ عند استتاركم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿٢٣﴾- ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ مبتدأ ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدل منه[٣] ﴿ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ نعت، والخبر: ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي: أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿٢٤﴾- ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟﴾ على العذاب ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾ يطلبوا العتبى، أي: الرضا[٤] ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ المرضيين.

---

(١) قوله: (وموقعه...). يعني: أن مضمون هذه الجملة متوافق لمضمون ما قبلها، أي: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، كأنه يشير إلى ترجح كونها من كلام الجلود.

(٢) ﴿وَمَا كُنتُمْ...﴾. يحتمل كونه من كلام الجوارح، وعليه فسر ابن كثير، وكونه من كلام الله وعلى ذلك جرى ابن جرير. وكلام المفسر يشير إلى الوجهين حيث قال في الآية السابقة: (كالذي بعده). أي: الوجهان جاريان في الذي بعده، وهو: هذه الآية. ومعنى الآية -كما يعلم من البيضاوي-: ما كنتم تستترون عن شهادة أعضائكم عند ارتكاب المعاصي، وإنما تستترون عن أعين الناس مخافة الفضاحة، وذلك لأنكم لا تعتقدون بالبعث ولا شهادة الأعضاء. فقول المفسر: (عند استتاركم)، أي: عن أعين الناس. و﴿تَسْتَتِرُونَ﴾ فسره السدي: «تستخفون»، ومجاهد: «تتقون»، وقتادة: «تظنون»، وكل هذه متلازمة كما يظهر عند التأمل. وقول المفسر: (مِنْ...) أفاد حذف حرف الجر وهو مطرد مع «أنّ» و«أنْ»، كما تقدم مرارًا.

(٣) قوله: (بدل منه). ويجوز كونه الخبر فيكون جملة ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ خبرًا ثانيًا.

(٤) قوله: (أي: الرضا). قال القرطبي: «يقال: أعتبني فلان: إذا عاد إلى مسرتي راجعًا عن الإساءة -يعني: أعتب بمعنى: أزال العتب، فالإفعال لمعنى الإزالة- واستعتبته فأعتبني =

(٢٥)- ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا ﴾ سببنا ﴿لَهُمْ قُرَنَآءَ ﴾ من الشياطين[١] ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ من أمر الدنيا[٢] واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ من أمر الآخرة بقولهم: لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾ بالعذاب وهو: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ» [الأعراف: ١٨] الآية ﴿فِيٓ ﴾ جملة[٣] ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ ﴾ هلكت ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ (٢٥) ﴾.

(٢٦)-[٤] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ عند قراءة النبي ﷺ ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ ﴾ ائتوا باللغَطِ[٥] ونحوه، وصيحوا في زمن قراءته ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) ﴾ فيسكت عن القراءة.

= أي: استرضيته فأرضاني، فمعنى: ﴿يَسْتَعْتِبُواْ ﴾، أي: يطلبوا الرضا، فلم ينفعهم ذلك، بل لابد لهم من النار».اهـ. فعلم أن المفسر جرى على هذا. وأصل العتبى: الرجوع، وروعي هنا معنى الرجوع أي: إلى ما يحبون، كما قال ابن جرير: «يقول: وإن يسألوا العتبى وهي الرجعة لهم إلى الذي يحبون».اهـ. وكذا في البيضاوي.

(١) قوله: (من الشياطين). كما قاله مجاهد، والسدي.

(٢) قوله: (من أمر الدنيا...) (أمر الآخرة...). وبذلك فسر ابن جرير، وروى عن السدي.

(٣) قوله: (﴿فِيٓ ﴾ جملة). أشار إلى تقدير المضاف، والجار والمجرور ﴿فِيٓ أُمَمٍ﴾ في محل نصب حال من الضمير المجرور في ﴿عَلَيْهِمُ﴾.

(٤) قال القرطبي في مناسبة هذه الآية: «لما أخبر تعالى عن كفر قوم هود وصالح وغيرهم أخبر عن المشركين وأنهم كذبوا القرآن...».اهـ.

(٥) قوله: (ائتوا...). الغوا: أمر من: لغِيَ يلغى، بوزن رضي يرضى. قال ابن عباس: «قال أبو جهل: إذا قرأ محمد فصيحوا في وجهه حتى لا يدري ما يقول».اهـ. وقال مجاهد: «المعنى: والغوا فيه بالمكاء والتصفيق والتخليط في المنطق حتى يصير لغوًا».اهـ. وعن قتادة: «اجحدوا به وأنكروه وعادوه، قال: هذا قول مشركي العرب».اهـ. وكل الأقوال متلازمة.

﴿٢٧﴾- قال تعالى فيهم: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا[١] وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: أقبح جزاء عملهم[٢].

﴿٢٨﴾- ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الشديد وأسوأ الجزاء ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وإبدالها واوًا[٣] ﴿ٱلنَّارُ﴾ عطف بيان للجزاء المخبر به عن «ذَٰلِكَ»[٤] ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: إقامة لا انتقال منها ﴿جَزَآءً﴾ منصوب على المصدر[٥] بفعله المقدر ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿٢٩﴾- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في النار ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ أي: إبليس وقابيل[٦] سنَّا الكفر والقتل ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النار

(١) العذاب الشديد: إما بمعنى الدائم أو العذاب في جميع أجزائهم، ذكرهما القرطبي.

(٢) قوله: (أي: أقبح...). أشار المفسر إلى تقدير مضاف: (جزاء).

(٣) قوله: (بتحقيق الهمزة...). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس: بإبدال الهمزة الثانية -أي: همزة ﴿أَعْدَآءِ﴾ الأولى- واوًا. والباقون: بتحقيقها.

(٤) قوله: (المخبر به عن ذلك). يعني: أن ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، و﴿جَزَآءُ﴾ خبر، و﴿ٱلنَّارُ﴾ عطف بيان لـ﴿جَزَآءُ﴾. ويجوز كونه بدلًا منه، بل هو أولى؛ لأن ﴿ٱلنَّارُ﴾ مؤنثة، و﴿جَزَآءُ﴾ مذكر. وعطف البيان يتبع في التذكير والتأنيث كما يتبع في الإعراب والتعريف والتنكير والإفراد وفرعه، كالنعت الحقيقي. ويجوز كون ﴿ٱلنَّارُ﴾ بدلًا من ﴿ذَٰلِكَ﴾، أو مبتدأ خبره الجملة التي بعده، والله أعلم.

(٥) قوله: (منصوب على المصدر). أي: على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف، ويجوز إعرابه حالًا.

(٦) قوله: (أي: إبليس وقابيل...) تفسير لـ﴿ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ وهذا التفسير رواه ابن جرير عن عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بطرق، وعن قتادة. وعزاه القرطبي إلى ابن عباس، وابن مسعود وغيرهما، وقال: «وقيل هو على الجنس وبني على التثنية لاختلاف الجنسين».اهـ. وكذا فسر ابن جرير =

﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩﴾ أي: أشد عذابًا مِنَّا[(١)].

٣٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ على التوحيد وغيره[(٢)] مما وجب عليهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند الموت[(٣)] ﴿أَلَّا﴾ بأن[(٤)] ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ من الموت وما بعده[(٥)] ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ على ما خلفتم من أهل وولد، فنحن نخلفكم فيه ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾.

= بالمعنى العام، ثم روي المعنى الأول عن علي، وقتادة. ومن هنا يعلم أن ما يذكره بعض القصاص والوعاظ من أن المراد بـ﴿ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا﴾ الأبوان إذا أهملا تربية الأولاد حتى دخلوا النار، فهذا لا أصل له فيما أعلم.

(١) قوله: (أي: أشد عذابًا) قال ابن جرير: «لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض وكل ما سفل منها فهو أشد على أهله».اهـ.

(٢) قوله: (على التوحيد...). تفسير الاستقامة بالتوحيد جاء عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وعن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعن مجاهد، والسدي، وعكرمة، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبالطاعة روي عن عُمر، وابن عباس، وقتادة، وابن زيد، والطاعة تلازم التوحيد، فالمفسر مشى على المعنى الشامل للتوحيد والطاعة، جمعًا بين التفسيرين؛ لأنهما متلازمان، فلا توحيد إلا ومعه طاعة، ولا طاعة إلا بتوحيد.

(٣) قوله: (عند الموت). قاله مجاهد، والسدي، وابن زيد. ونقل القرطبي عن مقاتل، وقتادة: «إذا قاموا من قبورهم للبعث». فهذا تفسير آخر.

(٤) وقوله: (بأن). بتقدير الباء تكون ﴿أَن﴾ مصدرية. ويجوز كونها تفسيرية؛ لأن ﴿تَتَنَزَّلُ﴾ متضمن معنى القول. كما يجوز كونها مخففة. ذكر الاحتمالات الدرويش في «إعراب القرآن».

(٥) وقوله: (من الموت وما بعده). قاله السدي، ومجاهد. قال السدي: «لا تخافوا ما أمامكم ولا تحزنوا على ما بعدكم»، وقال مجاهد: «لا تخافوا ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم من أهل وولد فإنا نخلفكم في ذلك كله».اهـ. ابن جرير، وروى عن ابن عباس: «كل ذلك في الآخرة».

(٣١)- ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ أي: نحفظكم فيها[١] ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١)﴾ تطلبون.

(٣٢)- ﴿نُزُلًا﴾ رزقًا مُهَيَّأً، منصوب[٢] بـ«جعل» مقدَّرًا ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢)﴾ أي: الله.

(٣٣)- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾ أي: لا أحد[٣] أحسن ﴿قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ بالتوحيد ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)﴾.

(٣٤)- ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ في جزئياتها[٤]؛ لأن بعضهما فوق

---

(١) قوله: (أي: نحفظكم فيها). كما قال ابن جرير، وروى عن السدي، قال: «نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ونحن أولياؤكم في الآخرة».اهـ. وكما فسر به المفسر.

(٢) قوله: (منصوب) أي: مفعول ثانٍ لـ«جعل» المحذوف، والنزل: ما أعد للضيف، وهذا أحد الأوجه، ويجوز كونه حالًا من ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾ كما يجوز كونه جمع نازل، فيكون حالًا من الواو في ﴿تَدَّعُونَ﴾ ويكون ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ متعلقًا بما تعلق به الجار والمجرور: ﴿فِيهَا﴾، والمعنى: كائن فيها ما يدعون من غفور رحيم، وعلى كونه مفعولًا ثانيًا لـ«جعل» المقدر أو حالًا من ﴿مَا﴾ يكون ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ نعتًا له، أي: نزلًا كائنًا من غفور رحيم. والله أعلم.

(٣) قوله: (أي: لا أحد...). أفاد أن الاستفهام للنفي.

(٤) قوله: (في جزئياتها). يعني: أن الحسنات لا تستوي بعضها بعضًا، بل هي مراتب وكذلك السيئات لا يستوي بعضها بعضًا، بل هي درجات، كما هو معلوم. فتكون ألآية مقارنة بين خصال الحسنات وكذا بين خصال السيئات، لا المقارنة بين الحسنة والسيئة. ولعله أخذ هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ على معنى بالخصلة التي هي أحسن، أي: بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات. ذكره البيضاوي وجهًا. ولكن أكثر المفسرين =

بعض ﴿ٱدۡفَعۡ﴾ السيئة ﴿بِٱلَّتِي﴾ أي: بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحۡسَنُ﴾ كالغضب بالصبر(١) والجهل بالحلم والإساءة بالعفو ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾ أي: فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك. فـ«ٱلَّذِي» مبتدأ، و«كَأَنَّهُۥ» الخبر، و«إِذَا» ظرف لمعنى التشبيه(٢).

٣٥- ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: يؤتى الخصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ﴾ ثواب ﴿عَظِيمٖ ٣٥﴾(٣).

= على أن هذه الآية في المقارنة بين الحسنة والسيئة. قال ابن كثير: «قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ﴾ أي: فرق عظيم بين هذه وهذه».اهـ. وقال القرطبي: «أي: لا يستوي ما أنت عليه من التوحيد وما المشركون عليه من الشرك». قال ابن عباس: «الحسنة: لا إله إلا الله، والسيئة: الشرك».اهـ. إلى آخر ما قاله. وعلى هذا يكون المراد بـ﴿أَحۡسَنُ﴾ أي: الحسنة. كما قال البيضاوي أولًا: «ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي أحسن منها وهي الحسنة على أن المراد بالأحسن الزائد مطلقًا».اهـ. يعني: ليس المراد بالأحسن المفاضلة.اهـ.

(١) وقول المفسر: (كالغضب بالصبر...) إلخ. يفيد أنه اختار هذا المعنى، وإن كان قوله (في جزئياتها) يوهم اختيار المعنى الآخر أي: أن الأحسن على معنى المفاضلة والمعنى: بأحسن الحسنات، والله أعلم.

(٢) قوله: (و﴿إِذَا﴾ ظرف لمعنى التشبيه). أي: فيكون المعنى: يكون العدوّ مشابهًا للولي عند ذلك. وما ذكره المفسر من أن «إذا» ظرف هو على أن «إذا» الفجائية اسم، والجمهور أنها حرف. وتفيد معنى الظرفية من معنى المفاجأة، فـ«إذا» هنا للمفاجأة، و﴿ٱلَّذِي﴾: مبتدأ، و﴿كَأَنَّهُۥ﴾: الجملة خبر، كما قال المفسر. وأما «إذا» الظرفية الشرطية فتضاف إلى الجملة الفعلية فقط.

(٣) قوله: (ثواب ﴿عَظِيمٖ﴾). قال ابن عباس، وقتادة: «الجنة».

(٣٦) - ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أي: يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف[١] ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر[٢] محذوف، أي: يدفعه عنك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ (٣٦)﴾ بالفعل.

(٣٧) - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ أي: الآيات الأربع ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧)﴾.

(٣٨) - ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن السجود لله وحده ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: فالملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ يصلون ﴿لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ (٣٨)﴾ لا يملون[٣].

(٣٩) - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾[٤] ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ يابسة[٥] لا نبات فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾ انتفخت وعلت[٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾.

---

(١) قوله: (صارف). قال السدي: «وسوسة النفس»، وقال ابن زيد: «غضب»، وقد تقدم مثل هذه الآية في آخر الأعراف.

(٢) قوله: (وجواب الأمر:...). أي: ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾.

(٣) هذه الآية موضع سجود التلاوة، واختلف في موضع السجود؛ فعند المالكية في ﴿تَعْبُدُونَ (٣٧)﴾، وعند الأئمة الثلاثة في ﴿لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ (٣٨)﴾، كما ثبت عن ابن عباس، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. أفاده القرطبي.

(٤) ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾. أي: على قدرته على نشر الموتى من بعد بلاها وإعادتها لهيئتها كما كانت. قاله ابن جرير.

(٥) قوله: (يابسة). كما قال السدي: «يابسة متهشمة».

(٦) وقوله: (تحركت). و(انتفخت، وعلت). كما فسر كذلك ابن جرير، ورواه عن السدي، وغيره.

(٤٠)- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ ﴾ من ألحدَ ولحَدَ[١] ﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن بالتكذيب[٢] ﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾ فنجازيهم ﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)﴾ تهديد لهم[٣].

(٤١)- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡۖ﴾ نجازيهم[٤] ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ (٤١)﴾ منيع.

(٤٢)- ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ ﴾ أي: ليس قبله[٥] كتاب يكذبه ولا بعده ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ (٤٢)﴾ أي: الله المحمود في أمره[٦].

---

(١) قوله: (من ألحدَ ولحَدَ) يشير إلى القراءتين، فقرأ حمزة: ﴿يَلۡحَدُونَ﴾: من الثلاثي المجرد. والباقون: ﴿يُلۡحِدُونَ﴾: من المزيد مضارع: ألحَدَ. وهما لغتان. واللحد: الميل. ومنه اللّحد في القبر؛ لأنه أميل إلى ناحية منه. قاله القرطبي.

(٢) قوله: (بالتكذيب). بيان للمراد بالإلحاد هنا فتكون الباء للتصوير أو السببية، وبه فسر قتادة، وعن السدي: «يشاقون»، وعن مجاهد: «المكاء وما ذكره معه»، قال ابن جرير بعد نقل التفاسير فيه: «كل هذه الأقوال قريبات المعاني، والأولى التعميم».اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (تهديد). أي: الأمر في ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ وما بعده للتهديد.

(٤) قوله: (نجازيهم). قدره ليكون خبرًا لـ﴿ إِنَّ﴾، وهذا ظاهر. وقدّر غير ذلك أيضًا، وما ذكره المفسر واضح، والواو في ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ حالية.

(٥) قوله: (أي: ليس قبله). هذا المعنى عزاه القرطبي إلى الكلبيّ، وذكره البيضاوي وجهًا، وعن السدي، وقتادة: «الباطل: الشيطان، والمعنى: لا يستطيع أن يغير ولا يزيد ولا ينقص».اهـ.

(٦) قوله: (المحمود...). فسره بمعنى اسم المفعول؛ لأنه اللائق في مقام المدح وإن كان «فعيل» يأتي بمعنى اسم الفاعل، لكنه لا يناسب هنا. وقد تقدم التنبيه على مثله في مواضع، مثلًا في سورة لقمان الآية (٢٦).

﴿٤٣﴾- ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ ﴾ من التكذيب ﴿إِلَّا﴾ مثل(١) ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ للمؤمنين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ للكافرين.

﴿٤٤﴾- ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾(٢) أي: الذكر ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا﴾ هلَّا(٣) ﴿فُصِّلَتْ﴾ بينت ﴿ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ﴾ حتى نفهمها ﴿ءَا﴾ قرآن(٤) ﴿أَعْجَمِىٌّ وَ﴾ نبي ﴿عَرَبِىٌّ ۗ﴾ استفهام إنكارٍ منهم، بتحقيق الهمزة الثانية(٥) وقلبها ألفًا بإشباع ودونه ﴿قُلْ هُوَ

(١) قوله: (مثل) أفاد تقدير مضاف، فيكون الكلام من باب الإيجاز بالحذف.

(٢) «جعل» هنا بمعنى: صيّر، فلها مفعولان: الهاء و﴿قُرْءَانًا﴾.

(٣) وقوله: (هلّا). أشار به إلى أن ﴿لَوْلَا﴾ تحضيضية، وليست امتناعية، كما هو واضح.

(٤) وقوله: (قرآن)، و(نبيّ). أفاد بالتقدير أن كلًّا من ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾ و﴿عَرَبِىٌّ ۗ﴾ نعت لمحذوف، وهذا التفسير الذي ذكره مرويّ عن سعيد بن جبير، والسدي، ومجاهد. ومعنى ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾: أي: بلغةٍ غير العرب. قاله القرطبي. قال القرطبي: «العجمي: الذي ليس من العرب فصيحًا كان أو غير فصيح، والأعجمي: الذي لا يفصح من العرب أو العجم، فالأعجم ضد الفصيح، وهو الذي لا يبين كلامه».اهـ. وقال: «فالنسبة إلى الأعجم آكد في البيان».

(٥) قوله: (بتحقيق...). القراءات أربع:

١- بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما: قراءة قالون، وأبي عمرو، وأبي جعفر.

٢- بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية بلا إدخال: ابن كثير، وابن ذكوان، وحفص، ورويس.

٣- إسقاط الأولى وتحقيق الثانية: هشام.

٤- تحقيقهما بدون إدخال: الباقون.

ولورش وجهان: كحفص وإبدال الثانية ألفًا مع مدّ، فقول المفسر: (وقلبها ألفًا بإشباع ودونه) فيه إبهام، ولعل المراد بقلبها ألفًا تسهيلها. والله أعلم.

لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِفَآءٌ﴾ من الجهل[١] ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ ثقل فلا يسمعونه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يفهمونه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ أي: هم كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به.

﴿٤٥﴾-[٢] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه[٣] ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾ موقع في الريبة.

﴿٤٦﴾- ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: فضرر إساءته على نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ أي: بذي ظلم[٤] لقوله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» [النساء: ٤٠].

❁❁❁

(١) قوله: (من الجهل). وكذا القرآن شفاء من كل داءٍ، كما تقدم في سورة يونس (٥٧) وغيرها.

(٢) هذه الآية تسلية للنبي ﷺ. قاله القرطبي.

(٣) قوله: (فيما اختلفوا فيه). ظاهر كلامه أن الآية في أهل الكتاب كما هو ظاهر كلام ابن جرير، ونقل القرطبي عن الكلبي أنها في هذه الأمة، قال: «ولولا أن الله أخر عذاب هذه الأمة إلى يوم القيامة لأتاهم العذاب كما فعل بغيرهم من الأمم». وسياق الآية تدلّ على الأول.

(٤) قوله: (أي: بذي ظلم). أشار به إلى أن «ظلَّام» هنا بوزن «فعّال» للنسبة لا للمبالغة، كما يقال: تمّار وبقّال، لصاحب التمر والبقل؛ لأنه لو كان للمبالغة لأوهم وجود أصل الظلم، وهومنفيّ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾. وتقدم في سورة آل عمران (١٨٢) وغيرها.

الجزء (٢٥)

(٤٧) - ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تكون، لا يعلمها غيره ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَةٍ﴾ وفي قراءة[١]: «ثَمَرَاتٍ»، ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها، جمع كِمّ[٢] بكسر الكاف إلا بعلمه[٣] ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾ أعلمناك[٤] الآن ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧)﴾ أي: شاهد بأن لك شريكًا.

(٤٨) - ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا من الأصنام ﴿وَظَنُّواْ﴾ أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٤٨)﴾ مهرب من العذاب. والنفي في الموضعين[٥] معلق عن العمل، وجملة النفي سدت مسد المفعولين.

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ بصيغة الجمع: نافع، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر. وبصيغة الإفراد: الباقون.

(٢) قوله: (جمع كِمّ). قاله البيضاوي وغيره.

(٣) وقول المفسر: (إلا بعلمه). قدره لزيادة التوضيح.

(٤) قوله: (أعلمناك). قاله ابن عباس.

(٥) قوله: (والنفي في الموضعين). والموضعان: ﴿ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧)﴾، و﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٤٨)﴾، فـ﴿ءَاذَنَّٰكَ﴾ بمعنى: أعلمناك له ثلاثة مفاعيل، و﴿مَا﴾ النافية بعده علقت عن عمله في المفعول الثاني والثالث. وكذلك ﴿وَظَنُّواْ﴾ له مفعولان، و﴿مَا﴾ النافية بعده علقت.

والتعليق كما في علم النحو: إبطال العمل لفظًا فقط، وسببه توسط ما له الصدارة بين أفعال القلوب وبين معمولها. وأما الإلغاء فهو إبطال العمل لفظًا وتقديرًا، وسببه تأخر الفعل عن المعمولين أو توسطه بينهما. وهما يختصان بأفعال القلوب، والفرق بينهما من وجهين:

١ - التعليق إبطال العمل لفظًا أما الإلغاء فإبطاله لفظًا ومحلًا.

٢ - التعليق حكمه الوجوب، والإلغاء حكمه الجواز، كما هو مفصل في النحو.

﴿٤٩﴾- ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما[(١)] ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين[(٢)].

﴿٥٠﴾- ﴿وَلَئِنۡ﴾ لام قسم[(٣)] ﴿أَذَقۡنَٰهُ﴾ آتيناه ﴿رَحۡمَةٗ﴾ غنى وصحة ﴿مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ﴾ شدة وبلاء ﴿مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ أي: بعملي[(٤)] ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ أي: الجنة[(٥)] ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٠﴾﴾ شديد، واللام في الفعلين لام قسم.

﴿٥١﴾- ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ الجنس[(٦)] ﴿أَعۡرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَـَٔا

---

(١) قوله: (المال والصحة...). كما فسر كذلك ابن جرير وغيره.

(٢) قوله: (وهذا وما بعده...). أي: في جنس الكفار. وقد فسر السدي الإنسان بالكافر، وقيل: الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة، وشيبة، ذكر ذلك القرطبي بلا عزو، فتكون «أل» عهدية.

(٣) قوله: (لام قسم). أي: دالة على القسم المحذوف، واجتمع القسم والشرط، فالجواب للمتقدم وهو القسم. وجوابه: ﴿لَيَقُولَنَّ﴾، وكذا قوله فيما يأتي.

(٤) قوله: (بعملي). قاله مجاهد. وبمثله فسره العلماء.

(٥) قوله: (الجنة). وبه فسر القرطبي. وقال ابن جرير: «الغنى»، ورواه عن السدي يعني: ولئن كان هناك معاد فإن لي هناك الحسنى كما في الدنيا. يتمنى على الله بدون عمل. كما يعلم من ابن كثير. وجملة ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ جواب القسم دلّ على جواب الشرط.

(٦) قوله: (الجنس). لعل المراد جنس الكافر، كما في الآية السابقة، وعن ابن عباس: «عتبة وشيبة وأمية بن خلف».

بِجَانِبِهِۦ﴾ ثَنَى عِطْفه متبخترًا. وفي قراءة[١]: بتقديم الهمزة ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ كثير.

﴿٥٢﴾- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ[٢] إِن كَانَ﴾ أي: القرآن ﴿مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ كما قال النبي ﷺ، ﴿ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ﴾ أي: لا أحد[٣] ﴿أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾﴾ عن الحق أوقع[٤] هذا موقع: منكم بيانًا لحالهم.

﴿٥٣﴾- ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾ أقطار السموات والأرض[٥] من النيِّرات والنبات والأشجار ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿ٱلۡحَقُّۗ﴾ المنزل من الله بالبعث والحساب والعقاب فيعاقبون على كفرهم به وبالجائي به ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ﴾ فاعل «يَكۡفِ»[٦]،

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن ذكوان، وأبو جعفر: ﴿وَنَآءَ﴾. والباقون: ﴿وَنَـَا﴾. والمفسر هنا مشى على الأول، وهو نادر، وعادته الاعتماد على قراءة أبي عمرو كثيرًا. وهما بمعنًى. و«ناءَ» مقلوب «نأى».

(٢) ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾. بمعنى: أخبروني على ما تقدم في سورة الأنعام الآية (٤٠) وغيرها. ومفعوله الثاني محذوف، تقديره: أنفسكم. والمفعول الثالث: جملة الاستفهام ﴿مَنۡ أَضَلُّ...﴾.

(٣) وأشار المفسر بقوله: (أي: لا أحد) إلى أن الاستفهام للإنكار.

(٤) قوله: (أوقع...). أي: هذا من استعمال الاسم الظاهر مكان الضمير لنكتة بلاغية.

(٥) قوله: (أقطار السموات...إلخ). وبمثله فسر ابن زيد. وقال السدي: «هي ما يفتح الله تعالى للنبي ﷺ من الآفاق ومختلف القرى»، و﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ فتح مكة. واختاره ابن جرير؛ لأن ذلك هو المستقبل الذي دل عليه ﴿سَنُرِيهِمۡ﴾. وأما الآيات الكونية فلم يزالوا يرونها.

(٦) قوله: (فاعل ﴿يَكۡفِ﴾). يعني: أن ﴿بِرَبِّكَ﴾ فاعل ﴿يَكۡفِ﴾، دخل عليه الباء الزائدة =

﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾ بدل منه، أي: أولم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء ما.

٥٤- ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ﴾ شك ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ﴾ لإنكارهم البعث ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ علمًا وقدرة[1]، فيجازيهم بكفرهم.

❁❁❁

= المؤكدة، وجملة ﴿أَنَّهُۥ...﴾ في محل رفع بدل اشتمال من ﴿بِرَبِّكَ﴾. ومفعول ﴿يَكۡفِ﴾ محذوف، أي: يكفهم. وكذا أعربه القرطبي وغيره. وتقدمت مسألة زيادة الباء في فاعل: «كفى» مِرارًا.

(١) قوله: (علمًا وقدرة). تمييز محول عن الفاعل، أي: أحاط علمه وقدرته. والله أعلم.

٤٢- سورة الشورى

مكية[١]، إلا الآيات من ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ ...﴾ الآيات الأربع فمدنية، وآياتها ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿حمٓ (١)﴾.

(٢)- ﴿عٓسٓقٓ (٢)﴾ الله أعلم بمراده به.

(٣)- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإيحاء ﴿يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَ﴾ أَوْحَى[٢] ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ﴾ فاعل الإيحاء ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ (٣)﴾ في صنعه.

(٤)- ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا[٣] ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ على خلقه ﴿ٱلْعَظِيمُ (٤)﴾ الكبير.

(٥)- ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء والياء[٤] ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَنفَطِرْنَ﴾ بالنون[٥]، وفي قراءة:

---

(١) قوله: (مكية). مكية كلها في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر، وإلا أربع آيات منها: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ...﴾ الآيات في قول ابن عباس. وعلى ذلك جرى المفسر.

(٢) قوله: (أَوْحَى). قدره لأن الإيحاء إلى الذين من قبله ﷺ قد مضى. وعلى هذا التقدير يكون من عطف الجملة. والجار والمجرور ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في محل نصب مفعول مطلق، ويمكن جعل الكاف اسمية في محل نصب مفعولًا مطلقًا، مضافة لما بعدها، والله أعلم.

(٣) قوله: (ملكًا وخلقًا...). مرّ بنا أنها تمييز للنسبة.

(٤) قوله: (بالتاء والياء). قرأ نافع، والكسائي: بالياء. والباقون: بالتاء.

(٥) وقوله: (بالنون). قرأ بالنون: ﴿يَنفَطِرْنَ﴾ من باب الانفعال: أبو عمرو، وشعبة، ويعقوب. وبالتاء: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ من باب التفعّل: الباقون.

بالتاء والتشديد ﴿مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ أي: تنشق كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى[١] ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ أي: ملابسين للحمد ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ لأوليائه ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ بهم.

٦ - ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ﴾ مُحْصٍ[٢] ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ ليجازيهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ۝٦﴾ تحصل المطلوب منهم «إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ» [الشورى: ٤٨][٣].

٧ - ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإيحاء ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ﴾ تخوّف ﴿أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس[٤] ﴿وَتُنذِرَ﴾ الناسَ[٥] ﴿يَوۡمَ

---

(١) قوله: (من عظمة الله). وبذلك فسر ابن جرير وغيره، ورواه ابن جرير عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك.

(٢) قوله: (مُحْصٍ). اسم فاعل من الإحصاء، وبمثله فسر ابن جرير، قال: «يحصي عليهم أفعالهم، ويحفظ أعمالهم؛ ليجازيهم بها يوم القيامة جزاءهم».اهـ.

(٣) قوله: (﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾) جزء آية، ذكرها المفسر تقوية لمعنى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ۝٦﴾.

(٤) قوله: (أهل مكة). أفاد تقدير مضاف، أي: لتنذر أهل أم القرى، وأم القرى من أسماء مكة، وبها فسرها أئمة التفسير. قال القرطبي: «سميت أم القرى؛ لأن الأرض دحيت من تحتها».اهـ. وقال ابن كثير: «لشرفها على سائر البلاد).

وقوله: (وسائر الناس). تفسير لـ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾، فالمراد به كل الناس، كما فسر بذلك العلماء، قال ابن جرير: «ومن حول أم القرى من سائر الناس»، وقال القرطبي: «من سائر الخلق».اهـ.

(٥) قوله: (الناس). قدره ليكون المفعول الأول، و﴿يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾ المفعول الثاني لـ﴿وَتُنذِرَ﴾ وليس ظرفًا، كما هو واضح.

﴿ٱلۡجَمۡعِ﴾ أي: يوم القيامة تجمع فيه الخلائق[١] ﴿لَا رَيۡبَ﴾ شك ﴿فِيهِۚ فَرِيقٞ﴾ منهم ﴿فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾ النار.

٨- ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ أي: على دينٍ واحد، وهو الإسلام[٢] ﴿وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ٨﴾ يدفع عنهم العذاب.

٩- ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوۡلِيَآءَۖ﴾ «أَمِ» منقطعة[٣]، بمعنى: بل التي للانتقال، والهمزةِ للإنكار، أي: ليس[٤] المتخذُون أولياء ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ أي: الناصر للمؤمنين، والفاء لمجرد العطف[٥] ﴿وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩﴾.

---

(١) وقوله: (تجمع فيه...). أشار به إلى وجه تسمية يوم القيامة بيوم الجمع، وهذا أحد أسماء يوم القيامة.

(٢) قوله: (وهو الإسلام). وبمثله فسر ابن جرير. ونقل القرطبي عن الضحاك: «أهل دين واحدٍ، أهل ضلالة أو أهل هدى».اهـ.

(٣) قوله: (منقطعة). قد سبق لها نظائر، والمنقطعة هي التي لم تسبق بهمزة التسوية أو التعيين، وإذا سبقت بإحدى الهمزتين فهي متصلة عاطفة، والمنقطعة تفيد معنى الإضراب، وتتضمن أيضًا معنى الاستفهام غالبًا، كما أفاد المفسر، فقوله: (والهمزةِ) بالجرّ عطفًا على للانتقال، أو على قوله: (بل).

(٤) وقوله: (أي: ليس...). توضيح لمعنى الإنكار.

(٥) قوله: (والفاء لمجرد العطف). فيه ردّ على الزمخشري حيث جعل الفاء الفصيحة، أي: داخلة على جواب شرط مقدر، كأنه قيل: إذا أرادوا وليًّا بحق، فالله هو الوليّ. وقال أبو حيان وغيره من المعربين: «الفاء لمجرد عطف الجملة، ولا حاجة إلى تقدير شرط». وعلى ذلك مشى المفسر، ويترتب على هذا عطف الجملة الخبرية على الإنشائية، أي: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ...﴾؛ لأنها استفهامية، ولكن لما كان الاستفهام للإنكار رجع المعنى إلى الخبر، أي: النفي، كما أشار =

﴿١٠﴾- ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ﴾ مع الكفار[١] ﴿فِيهِ مِن شَيۡءٖ﴾ من الدين وغيره ﴿فَحُكۡمُهُۥٓ﴾ مردود ﴿إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ يوم القيامة[٢] يفصل بينكم، قل لهم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ أرجع.

﴿١١﴾- ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ مبدعهما ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ حيث خلق حواء من ضلع آدم[٣] ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ﴾ ذكورًا وإناثًا ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ﴾

= المفسر إليه بقوله: (أي: ليس المتخذون أولياء). فتكون جملة خبرية، عطفت عليها ما بعدها. والله أعلم.

ثم العطف بالفاء يفيد معنى التعليل، فكأن المعنى: ليسوا أولياء؛ لأن الله هو الوليّ دون غيره. والله أعلم.

(١) قوله: (مع الكفار). هذا الخطاب من الله للمؤمنين على ما فسر ابن جرير، وابن كثير. وقال القرطبي: «هذا حكاية قول رسول الله ﷺ للمؤمنين، أي: ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين من أمر الدين فقولوا لهم: حكمه إلى الله لا إليكم... وقد حكم أن الدين هو الإسلام لا غيره».اهـ. وكلام القرطبي يقتضي أيضًا أن المراد بهذا الاختلاف: الاختلاف مع الكفار وأهل الكتاب كما تفيد عبارة المفسر، ولكن كلام ابن كثير يقتضي العموم في كل اختلاف، مع المشركين أو غيرهم. قال ابن كثير: «أي: مهما اختلفتم فيه من الأمور، وهذا عام في جميع الأشياء ﴿فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي: هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه ﷺ، كقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]».اهـ.

(٢) قوله: (يوم القيامة). وهذا المعنى أي: حكمه مردود إليه يوم القيامة لم أره معزوًّا، ولكن يقرب ما روى ابن جرير عن مجاهد، قال: قال ابن عمرو في حديثه: «فهو يحكم فيه».اهـ. وقول ابن جرير: «يقول: فإن الله هو الذي يقضي بينكم ويفصل فيه الحكم».اهـ.

(٣) قوله: (حيث خلق حواء...). كما تقدم في أول سورة النساء. وبذلك فسر هنا ابن جرير وغيره.

بالمعجمة، يخلقكم[(١)] ﴿فِيهِۚ﴾ في الجعل المذكور[(٢)]، أي: يكثركم بسببه بالتوالد، والضمير للأناسي والأنعام[(٣)] بالتغليب ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ الكاف زائدة[(٤)]؛ لأنه تعالى لا مثل له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ لما يفعل.

١٢- ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: مفاتيح[(٥)] خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحانًا ﴿وَيَقۡدِرُۚ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢﴾.

١٣- ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا﴾ هو أول أنبياء الشريعة

---

(١) قوله: (يخلقكم). روي عن السدي، وبنحوه عن مجاهد، وغيره. وقال قتادة: «يعيشكم فيه»، وهما متقاربان.

(٢) وقوله: (في الجعل...). بيان لمرجع الضمير في ﴿فِيهِۚ﴾، و«في» للسببية كما وضحه المفسر. وذكره القرطبي وغيره.

(٣) وقوله: (والضمير للأناسي...). أي: ضمير الخطاب «كم».

(٤) قوله: (الكاف زائدة). أي: مؤكدة؛ لأن المعنى: ليس مثله شيء، وقيل: «مثل» هو الزائد المؤكد، ذكرهما ابن جرير. وعزا القول الثاني القرطبي إلى ثعلب. وقال البلاغيون: ليس واحد منهما زائدًا بل الكلام كناية عن نفي المثل. والكناية أبلغ.

تنبيه: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ مبتدأ، و﴿ٱللَّهُ﴾ خبر أول، و﴿رَبِّي﴾ خبر ثان، وجملة ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ ...﴾ خبر ثان، و﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...﴾ خبر رابع، وجملة ﴿جَعَلَ لَكُم...﴾ خبر خامس، وجملة ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ ...﴾ خبر سادس، وجملة ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ...﴾ خبر سابع، وجملة ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ...﴾ خبر ثامن، وجملة ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ ...﴾ خبر تاسع، و﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢﴾ الجملة خبر عاشر. ذكره الدرويش في «إعراب القرآن»، ويحتمل غير ذلك.

(٥) قوله: (أي: مفاتيح...). كما تقدم في سورة الزمر (٦٣).

﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ[(١)] وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ هذا هو المشروع الموصَى به والموحى إلى محمد ﷺ، وهو التوحيد[(٢)] ﴿كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ من التوحيد ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ﴾ إلى التوحيد[(٣)] ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ يُقْبِل إلى طاعته.

﴿١٤﴾- ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ أي: أهل الأديان في الدين[(٤)] بأن وحَّد بعض وكفر

---

(١) ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾. ﴿أَنۡ﴾: إما تفسيرية لتقدم معنى القول، وهو: وصَّى، أو مصدرية، والمصدر المؤول إما في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، أي: وهو إقامة الدين. أو في محل نصب بدلًا من ﴿مَا﴾، أو في محل جرّ بدلًا من ﴿ٱلدِّينَ﴾.

(٢) قوله: (وهو التوحيد). أي: توحيد الله تعالى وسائر المعتقدات، دون الشرائع العملية فهي مختلفة، قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

وفيه إشارة إلى أنه ليس في هذه الآية دلالة على أن شرع من قبلنا شرع لنا، كما عليه الشافعية، وهي مسألة أصولية مختلف فيها، وحاصلها: أن ما ثبت شرعًا لمن قبلنا إن أقرّه شرعنا فهو حجة، وإن نفاه شرعنا فليس بحجة، وإن وجدناه في كتبهم فكذلك ليس بحجة، وكل ذلك محل اتفاق، وتبقى صورة رابعة: وذلك إذا أخبر به الشارع ولم يقر ولم ينكر فهل يحتج به في شرعنا؟ فعند الجمهور: نعم، والأصح عند الشافعية: لا، وذكر الأصوليون لذلك أمثلة، منها: مشروعية خلع النعلين عند دخول الوادي المقدس، وإبرار اليمين بالضرب بالضغث وغير ذلك. ويراجع كتب الأصول للتفصيل.

(٣) قوله: (إلى التوحيد). بيان لمرجع الضمير -الهاء- وقال ابن جرير: «الله يصطفي إليه من يشاء من خلقه ويختار لنفسه، فالضمير عائد إلى الاسم الكريم».

(٤) قوله: (أهل الأديان). بمثله ورد عن ابن عباس في رواية، وفي أخرى: هم المشركون؛ فالمشركون كانوا يتمنون أن يبعث نبيّ كما تقدم في سورة فاطر (٤٢)، وكذا أهل الكتاب كانوا يتمنون بعثة النبيّ، فالمشركون قالوا: لِمَ خصّ بالنبوّة؟ وأهل الكتاب حسدوه، كما ذكر ذلك القرطبي.

بعض ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغۡيَۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ يوم القيامة[1] ﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ بتعذيب الكافرين في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾[2] وهم اليهود والنصارى ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾ من محمد ﷺ[3] ﴿مُرِيبٖ ۝١٤﴾ موقع في الريبة.

۝١٥- ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ التوحيد[4] ﴿فَٱدۡعُۖ﴾ يا محمد الناس ﴿وَٱسۡتَقِمۡ﴾ عليه ﴿كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ في تركه ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾[5] ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ﴾ أي: بأن أعدل[6] ﴿بَيۡنَكُمُۖ﴾ في الحكم ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾ فكل يُجازى بعمله ﴿لَا حُجَّةَ﴾ خصومة[7] ﴿بَيۡنَنَا

---

(١) قوله: (يوم القيامة). كما قاله ابن جرير، ورواه عن السدي، وفسر به القرطبي وغيرهم.

(٢) ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾. أي: بعد المختلفين في الحق، كما قاله ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (من محمد ﷺ). وقال ابن جرير: «من الذي وصّى الله به نوحًا»، وقال القرطبي وجهًا: «﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: قريش، ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي: من بعد اليهود والنصارى، ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾، أي: من محمد ﷺ أو القرآن»، وما ذكره المفسّر صحيح في نفسه؛ لأن اليهود والنصارى لفي شك من محمد ﷺ في ظاهر حالهم.

(٤) قوله: (التوحيد). أي: الذي وصّى الله به الأنبياء، فاللام بمعنى: «إلى».

(٥) ﴿مِن كِتَٰبٖۖ﴾. أي: أيَّ كتاب كان، كما في ابن جرير.

(٦) قوله: (بأن أعدل). أي: إن اللام بمعنى: الباء. والعدل بمعناه الشامل لكل شيء. وعن ابن عباس، وأبي العالية: «لأُسوِّي بينكم في الدين فأؤمن بكل كتاب وبكل رسوله».اهـ. والأول أشمل، وبه فسر ابن جرير.

(٧) قوله: (خصومة) وبذلك فسر ابن جرير، ورواه عن مجاهد، وابن زيد.

﴿وَبَيْنَكُمُۖ﴾ هذا قبل أن يؤمر بالجهاد[(١)] ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ المرجع.

١٦- ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ﴾ يجادلون ﴿فِي﴾ دين ﴿ٱللَّهِ﴾[(٢)] نبيّه[(٣)] ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ بالإيمان[(٤)]؛ لظهور معجزاته، وهم اليهود[(٥)] ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ١٦﴾.

١٧- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بـ«أَنزَلَ» ﴿وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾ العدل[(٦)] ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ يعلمك ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ أي: إتيانها[(٧)] ﴿قَرِيبٞ ١٧﴾

---

(١) قوله: (قبل أن يؤمر بالجهاد). يعني: فتكون منسوخة، نقل القرطبي ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، قالا: «الخطاب لليهود ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴾ [التوبة: ٢٩]».

(٢) قوله: (﴿فِي﴾ دين ﴿ٱللَّهِ﴾) أفاد تقدير مضاف.

(٣) وقوله: (نبيّه). مفعول به لـ﴿يُحَآجُّونَ﴾.

(٤) وقوله: (بالإيمان). متعلق بـ﴿ٱسۡتُجِيبَ﴾. والباء للتصوير أو للسببية.

(٥) قوله: (وهم اليهود). أي: الآية نزلت فيهم. رواه ابن جرير، عن ابن عباس وغيره. وفي رواية عن قتادة: «هم اليهود والنصارى، حاجوا أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن أولى بالله منكم».اهـ. وفسر القرطبي على أن الآية في المشركين ويناسب ذلك كون الآية مكية.

(٦) قوله: (العدل). وبذلك فسر ابن جرير وغيره. ورواه ابن جرير عن مجاهد، وقتادة، وعزاه القرطبي إلى ابن عباس، وأكثر المفسرين. وإطلاق الميزان على العدل يكون من باب المجاز المرسل؛ لأن الميزان آلة الإنصاف والعدل. كما يعلم من كلام القرطبي.

(٧) قوله: (أي: إتيانها...). قدره لأن ﴿قَرِيبٞ﴾ لفظ مذكر وقع خبرًا عن الساعة التي هي =

و«﴿لَعَلَّ﴾» مُعلِّق للفعل[١] عن العمل وما بعده سد مسد المفعولين.

(١٨)- ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ يقولون متى تأتي، ظنًّا منهم أنها غير آتية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ﴾ يجادلون ﴿فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ (١٨)﴾.

(١٩)- ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ برّهم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوعًا بمعاصيهم ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ من كلّ منهم[٢] ما يشاء ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ على مراده ﴿ٱلْعَزِيزُ (١٩)﴾ الغالب على أمره.

(٢٠)- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: كسبها[٣]، وهو الثواب

= مؤنثة، فوجّه المفسر بأنه يقدر مضاف مذكر، أي: إتيان الساعة قريب. وعزا القرطبي نحو هذا التوجيه إلى الزجاج، وحكى عن الكسائي قال: ﴿قَرِيبٌ﴾ نعت ينعت به المذكر والمؤنث والجمع بمعنًى ولفظٍ واحد».اهـ. أي: لأن «فعيل» من أوزان المصدر، فكما يطلق المصدر على الواحد وغيره والمذكر والمؤنث فكذلك ما وازنه. وقد تقدم ذكر معاني «فعيل» في سورة البقرة الآية (٢٦٧) وغيرها.

(١) قوله: (معلق للفعل). والفعل «يدري» وله ثلاثة مفاعيل: الأول: كاف الخطاب. والثاني والثالث سدّ مسدهما: جملة ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ ...﴾، فالمراد بالمفعولين في كلام المفسر: الثاني والثالث.

(٢) قوله: (من كلّ منهم). أي: من يشاء من كلّ من البر والفاجر يرزقهم ما يشاء، فكل شيء تحت مشيئته.

(٣) قوله: (كسبها). كما قال القرطبي: «الحرث: العمل والكسب»، قال: «والمعنى أي: من طلب بما رزقناه حرثًا لآخرته فأدّى حقوق الله وأنفق في إعزاز الدين فإنما نعطيه ثواب ذلك للواحد عشرًا إلى سبعمائة فأكثر».اهـ.

﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾ بالتضعيف فيه، الحسنة إلى العشرة وأكثر ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ بلا تضعيفٍ ما قسم له[(١)] ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ٢٠﴾.

٢١- ﴿أَمۡ﴾ بل[(٢)] ﴿لَهُمۡ﴾ لكفار مكة ﴿شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ هم شياطينهم ﴿شَرَعُواْ﴾ أي: الشركاء ﴿لَهُم﴾ للكفار ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ الفاسد ﴿مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ أي: القضاء السابق[(٣)] بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢١﴾ مؤلم.

٢٢- ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشۡفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ في الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها[(٤)] ﴿وَهُوَ﴾ أي: الجزاء عليها ﴿وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي

---

(١) قوله: (ما قسم له). مفعول ثان لـ﴿نُؤۡتِهِۦ﴾. نقل القرطبي عن قتادة في معنى هذه الآية، قال: «إن الله يعطي بنية الآخرة ما شاء من أمر الدنيا، ولا يعطي على نية الدنيا إلا الدنيا».اهـ. وعلى هذا يكون معنى نزد له في حرثه، أي: نعطه الدنيا مع الآخرة، وهذا تفسير آخر، والتفسير المشهور كما فسر به ابن جرير وغيره، أن معناه نزد له من ثواب الآخرة من عشرة أضعاف إلى سبعمائة فأكثر، كما مشى على ذلك المفسر.

(٢) قوله: (بل). أفاد ﴿أَمۡ﴾ منقطعة.

(٣) قوله: (أي: القضاء السابق) قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: ولولا السابق من الله في أنه لا يعجل لهم العذاب في الدنيا وأنه مضى من قِيله أنه مؤخرون بالعقوبة إلى قيام الساعة لفرغ من الحكم بينكم وبينهم بتعجيله العذاب لهم في الدنيا ولكن لهم في الآخرة من العذاب الأليم».اهـ.

(٤) قوله: (أن يجازوا). بدل اشتمال من «السيئات».

رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾ أنزهها[١] بالنسبة إلى من دونهم ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿٢٣﴾- ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَبۡشُرُ﴾ من البشارة[٢]، مخففًا ومثقّلًا، به[٣] ﴿ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: على تبليغ الرسالة ﴿أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ استثناء منقطع، أي: لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضًا، فإن له في كل بطن من قريش قرابة[٤] ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ﴾ يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾

---

(١) قوله: (أنزهها). أي: أكثرها نزهة؛ لأن الروضات جمع روضة، والروضة: الموضع النيرة، الكثيرة الخضرة. كما في القرطبي.

(٢) قوله: (من البشارة). إشارة إلى القراءتين؛ فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿يَبۡشُرُ﴾ على وزن «ينصُر» من البشارة. وقرأ الباقون: ﴿يُبَشِّرُ﴾ من التبشير. ومعناهما واحد، وهذا معنى قوله: (مخففًا ومثقّلًا).

(٣) وقوله: (به). قدره ليكون عائدًا إلى الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِي﴾ فهٰهنا حذف العائد المجرور بالحرف بدون شروط الحذف المفصلة في علم النحو، وذلك لوضوح المعنى، ويجوز حذف العائد المجرور بدون شروط الحذف عند وضوح المعنى، كما ذكره الخضري في حاشيته على ابن عقيل. وشروط حذف العائد المجرور بحرف كما ذكره النحاة: أن يكون الاسم الموصول مجرورًا بمثل ذلك الحرف، لفظًا ومعنًى ومتعلقًا، نحو: سلّم على الذي سلمتُ، أي: عليه ومُرَّ بالذي مررت، أي: به. وقد مرت المسألة في سورة طه (١٥) وغيرها. وفي بعض النسخ لا يوجد (به).

(٤) قوله: (فإن له في كل بطن). كما روى ابن جرير عن أبي مالك في هذه الآية قال: كان رسول الله ﷺ من بني هاشم وأمه من بني زهرة وأم أبيه من بني مخزوم فقال: احفظوني في قرابتي، وعن قتادة: «إن الله تعالى أمر محمدًا ﷺ ألا يسأل الناس على هذا القرآن أجرًا إلا أن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة، وكل بطون قريش قد ولدته، وبينه وبينهم قرابة».اهـ. على هذا يكون المراد بالقربى: قرابة النبي ﷺ. وروى ابن جرير عن الحسن: «المراد: التقرب إلى الله والتودد إليه بالعمل الصالح...». فهو تفسير آخر.

طاعة ﴿نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾ بتضعيفها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ ٢٣﴾ للقليل: فيضاعفه.

٢٤- ﴿أَمۡ﴾ بل[١] ﴿يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ﴾ بنسبة القرآن إلى الله تعالى ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ﴾ يربط[٢] ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره وقد فعل ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ الذي قالوه ﴿وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ﴾ يثبته ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ﴾ المنزلة على نبيه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٤﴾ بما في القلوب.

٢٥- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ منهم[٣] ﴿وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ المتاب عنها[٤] ﴿وَيَعۡلَمُ مَا يَفۡعَلُونَ ٢٥﴾ بالياء والتاء[٥].

---

(١) قوله: (بل). أشار إلى أن ﴿أَمۡ﴾ منقطعة، كما تقدم نظيره.

(٢) قوله: (يربط). أي: يثبت قلبك بالصبر على أذاهم، وهذا المعنى قد عزاه القرطبي إلى مجاهد، وقتادة، قال: «إن يشإ الله يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم».اهـ. وقول المفسر: (وقد فعل): أي: قد فعل الله ذلك، حيث ثبته ﷺ. وروى ابن جرير عن قتادة في معنى هذه الآية: «إن يشإ الله يطبع على قلبك فينسيك القرآن، أي: أنه لو افترى عليه محمد ﷺ لفعل به ذلك، فحيث لم يفعل ذلك دل على أن القرآن منزل من عند الله وليس مفترًى. و﴿وَيَمۡحُ﴾ مرفوع حذفت الواو تخفيفًا، والواو استئنافية.

(٣) قوله: (منهم). أفاد أن ﴿عَنۡ﴾ بمعنى: «من».

(٤) قوله: (المتاب عنها). كما قال ابن جرير: «وهي معاصيه التي تاب منها». ولكن العاصي بدون توبة يكون تحت مشيئة الله تعالى؛ إما أن يعفو عنه، أو يعذبه ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة، ولا يخلد في النار. كما تقرر عند أهل السنة والجماعة.

(٥) قوله: (بالياء والتاء). قرأ بالتاء: ﴿تَفۡعَلُونَ﴾: حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف. وبالياء: الباقون.

(٢٦)- ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يجيبهم إلى ما يسألون[١] ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦)﴾.

(٢٧)-[٢] ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ جميعهم ﴿لَبَغَوْا۟﴾ جميعهم، أي: طغوا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِلُ﴾ بالتخفيف وضدّه[٣]، من الأرزاق ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ﴾ فيبسطها لبعض عباده دون بعض. وينشأ عن البسط البغي ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ (٢٧)﴾.

(٢٨)- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِلُ ٱلْغَيْثَ﴾ المطر[٤] ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ يئسوا من نزوله ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ﴾ يبسط مطره[٥] ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ المحسن للمؤمنين

---

(١) قوله: (يجيبهم). أفاد أن الاستفعال هنا خالٍ عن معنى الطلب.

(٢) روى ابن جرير عن عمرو بن الحرث: أن هذه الآية نزلت في أهل الصفة تمنوا سعة الدنيا. ونقل القرطبي عن خباب بن الأرت قال: فينا نزلت، نظرنا إلى أموال بني النضير وقريظة وبني قينقاع فتمنيناها فنزلت».اهـ. وعن ابن عباس: «بغيهم: طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبًا بعد مركب وملبسًا بعد ملبس».اهـ. وقيل: لو جعلناهم سواء في المال لما انقاد بعضهم لبعض ولتعطلت الصنائع.اهـ.

(٣) قوله: (بالتخفيف...). قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: بالتخفيف: ﴿يُنْزِلُ﴾ من الإنزال، وغيرهم: بالتشديد: ﴿يُنَزِّلُ﴾ من التنزيل.

(٤) قوله: (المطر). نقل القرطبي عن الماوردي: «أن الغيث ما كان نافعًا في وقته، والمطر قد يكون نافعًا وضارًا في وقته وغير وقته».اهـ. وعلى هذا فالغيث أخصّ من المطر. و﴿يُنْزِلُ﴾ هنا أيضًا بالتخفيف من الإنزال وهي قراءة الجمهور. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر: ﴿يُنَزِّلُ﴾: بالتشديد من التنزيل.

(٥) قوله: (مطره). فسر الرحمة بالمطر، وبنحوه فسر ابن جرير، وعزاه القرطبي إلى السدي. ونقل عن المهدوي: «الرحمة هنا ظهور الشمس بعد المطر».

﴿ٱلۡحَمِيدُ ٢٨﴾ المحمود عندهم[١].

٢٩- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَ﴾ خلق[٢] ﴿مَا بَثَّ﴾ فرق ونشر ﴿فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ﴾ هي ما يدب[٣] على الأرض من الناس وغيرهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ﴾ للحشر ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ٢٩﴾ في الضمير[٤] تغليب العاقل على غيره.

٣٠- ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم﴾ خطاب للمؤمنين[٥] ﴿مِّن مُّصِيبَةٖ﴾ بلية وشدة ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ أي: كسبتم من الذنوب، وعبر بالأيدي[٦]؛ لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ منها فلا يجازي عليه، وهو تعالى أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة، وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة.

---

(١) قوله: (المحمود). تقدم تفسيره في سورة لقمان وغيرها.

(٢) قوله: (خلق). قدره ليفيد أن ﴿مَا بَثَّ﴾ معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

(٣) وقوله: (هي ما يدب...). أفاد به أن المراد بالدابة هنا المعنى اللغوي، فيدخل فيها الإنس وغيرهم. قال مجاهد: «الناس والملائكة».

(٤) قوله: (في الضمير). يعني في قوله ﴿عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ﴾؛ فالضمير «هم» يستعمل للعقلاء وهنا أريد به العقلاء وغيرهم تغليبًا.

(٥) قوله: (خطاب للمؤمنين). يفيده ما رواه ابن جرير عن ابن عباس، قال: «يعجل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم، ولا يؤاخذونه بها في الآخرة».اهـ. ونقل القرطبي عن عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: «ألا أخبركم بأفضل أية في كتاب الله حدثنا بها النبي ﷺ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ﴾ الآية «**يا عليّ، ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة، وما عفا عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه**».اهـ. وإلى هذا أشار المفسر.

(٦) وقوله: (وعبر بالأيدي). أشار به إلى أن في الكلام مجازًا مرسلًا.

(٣١) - ﴿وَمَآ أَنتُم﴾ يا مشركون[١] ﴿بِمُعۡجِزِينَ﴾ الله هربًا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ فتفوتونه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ (٣١)﴾ يدفع عذابه عنكم.

(٣٢) - ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ﴾ السفن[٢] ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ (٣٢)﴾ كالجبال في العظم.

(٣٣) - ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ﴾ يصرن[٣] ﴿رَوَاكِدَ﴾ ثوابت لا تجري ﴿عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ (٣٣)﴾ هو المؤمن يصبر في الشدة، ويشكر في الرخاء.

(٣٤) - ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ﴾ عطف على «يُسۡكِنِ»، أي: يغرقهن[٤] بعصف الريح بأهلهن ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ أي: أهلهن من الذنوب ﴿وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ (٣٤)﴾ منها فلا يغرق أهله.

(٣٥) - ﴿وَيَعۡلَمُ﴾ بالرفع[٥]: مستأنف، وبالنصب: معطوف على تعليل مقدر،

---

(١) قوله: (يا مشركون). أفاد أن هذا الخطاب للمشركين بخلاف الخطاب في الآية السابقة.

(٢) قوله: (السفن). أي: الجواري جمع جارية، وهي السفينة، سميت جارية؛ لأنها تجري في الماء، وسميت الشابة جارية؛ لأنها يجري فيها ماء الشباب، ذكر ذلك القرطبي. الجواري بالياء: قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر وصلًا. وفي الحالين: ابن كثير، ويعقوب: بحذف الياء «الجوارِ»، قرأ الباقون وصلًا ووقفًا، والحذف للتخفيف.

(٣) قوله: (يصرن). أفاد به أن «ظل» هنا بمعنى: صار، فليس فيه تقييد بوقت النهار، وقد سبق مرارًا أنه يستعمل بمرادفة صار: كان، أصبح، أمسى، أضحى، ظلّ.

(٤) قوله: (أي: يغرقهن). بنحوه فسر عامة المفسرين، قال السدي: «يغرقهن»، وابن عباس، ومجاهد: «يهلكهن». و﴿يَعۡفُ﴾ بالجزم بحذف الواو عطفًا على جواب الشرط.

(٥) قوله: (بالرفع...). قرأ بالرفع: ﴿وَيَعۡلَمُ﴾: نافع، وابن عامر، وأبو جعفر. وبالنصب: ﴿وَيَعۡلَمَ﴾: الباقون. ووجهها بينه المفسر. ويحتمل كون النصب بـ«أن» مضمرة على أن=

أي: يغرقهم لينتقم منهم ويعلم ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾﴾ مهرب من العذاب، وجملة النفي[١] سدت مسد مفعولي «يَعۡلَمَ»، والنفي معلق عن العمل[٢].

﴿٣٦﴾- ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾ خطاب للمؤمنين وغيرهم[٣] ﴿مِّن شَيۡءٖ﴾ من أثاث الدنيا ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ويعطف عليه[٤]:

﴿٣٧﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ موجبات الحدود[٥]، من عطف

= الواو للمعية، نحو قوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وعزاه القرطبي إلى الزجاج، واكتفى بتقدم الجزم على الواو، وإلا فالأكثر أن إضمار «أن» بعد واو المعية يكون بشرط تقدم نفي أو طلبٍ. والله أعلم.

(١) قوله: (وجملة النفي...). يعني قوله ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾﴾.

(٢) قوله: (والنفي معلق...). ومن المشهور عند النحاة: التعليق والإلغاء، وهما نوعان من إبطال العمل، مختصان بأفعال القلوب، فالإلغاء: إبطال العمل لفظًا وتقديرًا بسبب تأخر العامل أو توسطه، وحكمه الجواز. والتعليق: إبطال العمل لفظًا، لا تقديرًا بسبب وقوع ما له صدر الكلام بعد الفعل، كأدوات النفي ولام الابتداء وحكمه: الوجوب، فهٰهنا النفي معلّق لعمل ﴿يَعۡلَمَ﴾؛ فجملة النفي في محل نصب سدت مسد مفعولي ﴿يَعۡلَمَ﴾، وإلى ذلك أشار المفسر. وسبق ذكر هذه المسألة، مثلًا: الشورى (٤٨).

(٣) قوله: (خطاب للمؤمنين وغيرهم). كما هو ظاهر كلام ابن جرير حيث فسر: «فما أعطيتم أيها الناس من شيء...». وقال القرطبي: «الخطاب للمشركين».اهـ. والفاء هنا استئنافية.

(٤) قوله: (ويعطف عليه). يعني على ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية التالية.

(٥) قوله: (موجبات الحدود). تفسير للفواحش، وهذا القول عزاه القرطبي إلى مقاتل. =

البعض على الكل ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ يتجاوزون.

﴿٣٨﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه[1] إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أداموها ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الذي يبدو لهم ﴿شُورَىٰ﴾[2] ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يتشاورون فيه ولا يعجلون ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ في طاعة الله. ومن ذكر صنف[3]:

﴿٣٩﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾ الظلم ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ صنف[4]. أي:

= ونقل عن ابن عباس، والسدي: «الفواحش: الزنى». وعلى كلا القولين يكون من عطف الخاص على العام. وهو المراد بقول المفسر: (عطف البعض على الكلّ).

(١) قوله: (أجابوه). أفاد أن الاستفعال خالٍ من معنى الطلب هنا.

(٢) ﴿شُورَىٰ﴾ مصدر شاورته، أي: اسم مصدر لـ«شاور».

(٣) قوله: (ومن ذكر صنف...). يعني: أن الله تعالى ذكر هنا صنفين للمؤمنين؛ صنف يعفون عن الظالم، فبدأ بذكرهم في قوله ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾، وصنف ينتصرون من ظالمهم، وبيّن حد الانتصار بقوله ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، ذكر ذلك القرطبي، وعزاه إلى العلماء، فقول المفسر: (ومن ذكر صنف...) إشارة إلى الصنف الأول، وفيه إشارة إلى أن الصنف الثاني مذكور في الآية التالية.

روى ابن جرير عن ابن زيد: «أن قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ...﴾ الآية في الأنصار»، ونقله القرطبي عن النقاش، قال: «فكانت الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ إليهم إذا أرادوا أمرًا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه، فمدحهم الله تعالى به».اهـ.

وظاهر كلام ابن جرير يقتضي أن الآية التالية تشمل كل منتصر بحق ممن بغى عليهم وليست لطائفة معينة، وروى ما يقتضي ذلك عن السدي.

(٤) قوله: (صنف). أي: هؤلاء المنتصرون الصنف الثاني.

فائدة: نقل القرطبي هنا كلامًا عن ابن العربي، حاصله: «أن الله تعالى مدح الانتقام ومدح العفو، فاحتمل أن يكون أحدهما رافعًا للآخر، يعني نسخًا، واحتمل كون ذلك =

ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه، كما قال تعالى:

(٤٠)- ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ سميت الثانية سيئة[١] لمشابهتها للأولى في الصورة، وهذا ظاهر فيما يقتص فيه من الجراحات، قال بعضهم[٢]: وإذا قال له: أخزاك الله، فيجيبه: أخزاك الله ﴿فَمَنۡ عَفَا﴾ عن ظالمه ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ الودّ بينه وبين المعفو عنه ﴿فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي: إن الله يأجره لا محالة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ أي: البادئين بالظلم[٣]، فيترتب عليهم عقابه.

(٤١)- ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ﴾ أي: ظلم الظالم إياه[٤] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١﴾ مؤاخذة.

(٤٢)- ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ﴾ يعلون ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ بالمعاصي[٥] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢﴾ مؤلم.

= راجعًا إلى حالين، فإذا كان الباغي معلنًا بالفجور وقحًا فالانتقام أفضل، وإن كان البغي زلةً ممن يعترف ذلك، ويسأل المغفرة فالعفو أفضل».اهـ. ملخصًا.

(١) قوله: (سميت الثانية...). يعني سمي جزاء السيئة سيئة، وهذا الأسلوب يسمى عند البلاغيين «مشاكلة».

(٢) قوله: (قال بعضهم:...). روى ابن جرير ذلك عن أبي نجيح، ويفيد المفسر بذلك، أن المماثلة شاملة للسبب والشتم، وليست منحصرة في الجراحات، وإن كانت ظاهرة فيها، وقد نص فقهاء الشافعية أن للمسبوب أن يسبّ بمثل ما سُبَّ، كما في «فتح المعين»، وروى ذلك ابن جرير عن السدي.

(٣) قوله: (البادئين). نقل القرطبي نحوه عن سعيد بن جبير، ويكون هذا احترازًا عن الانتقام من الظالم بمثل فعله، فلا يكون مذمومًا.

(٤) قوله: (أي: ظلم الظالم إياه). أفاد به أن ﴿ظُلۡمِهِۦ﴾ مصدر مضاف إلى المفعول به.

(٥) قوله: (بالمعاصي). تفسير للبغي في الأرض، وعزاه القرطبي إلى مقاتل، وعزا إلى أكثر العلماء: أن البغي هو البغي في النفوس والأموال.

﴿٤٣﴾- ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ فلم ينتصر ﴿وَغَفَرَ﴾ تجاوز ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والتجاوز ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ أي: معزوماتها[(١)]، بمعنى: المطلوبات شرعًا[(٢)].

﴿٤٤﴾- ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾ إلى الدنيا[(٣)] ﴿مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾ طريق.

﴿٤٥﴾- ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على النار[(٤)] ﴿خَٰشِعِينَ﴾ خائفين متواضعين ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ﴾ إليها ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ ضعيف النظر مسارقةً[(٥)]،

---

(١) قوله: (معزوماتها). أفاد أن المصدر عزم بمعنى: اسم المفعول، وإضافته من إضافة الصفة إلى الموصوف.

(٢) وقوله: (بمعنى: المطلوبات شرعًا:...). كما قال ابن جرير: «لمن عزم الأمور التي ندب إليها عباده وعزم عليهم العمل به».اهـ.

(٣) قوله: (إلى الدنيا). كما قال القرطبي: «يطلبون أن يردوا إلى الدنيا ليعملوا بطاعة الله فلا يجابون إلى ذلك».اهـ.

(٤) قوله: (أي: على النار). أفاد أن الضمير «ها» عائد إلى النار التي دل عليها العذاب المذكور في الآية السابقة، ويمكن عوده إلى العذاب ولكن أُنِّث باعتبار معنى العذاب؛ لأنه النار. أعاذنا الله منها.

قال القرطبي ما حاصله: «قيل إن المراد جميع المشركين يعرضون على جهنم عند الانطلاق إليها»، وعزاه إلى الأكثرين، وقيل: المشركون تعرض عليهم ذنوبهم في قبورهم ويعرضون على النار في قبورهم. وعزاه إلى أبي الحجاج.

(٥) قوله: (ضعيف النظر، مسارقة). روى ابن جرير عن ابن عباس، ومجاهد في معنى ﴿طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾، أي: ذليل. وعن قتادة، والسدي: «يسارقون النظر».اهـ. ففي كلام المفسر جمع =

و«مِن» ابتدائية أو بمعنى: الباء ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ[(١)] إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ بتخليدهم في النار وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا، والموصول خبر «إِنَّ»[(٢)]، ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾﴾ دائم، هو من مقول الله تعالى[(٣)].

﴿٤٦﴾- ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: غيره يدفع عذابه عنهم ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾ طريق إلى الحق في الدنيا وإلى الجنة في الآخرة.

﴿٤٧﴾- ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ أجيبوه[(٤)] بالتوحيد والعبادة ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: أنه إذا أتى به لا يردّه ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ﴾ تلجأون إليه ﴿يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ﴿٤٧﴾﴾ إنكار لذنوبكم.

﴿٤٨﴾- ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾ عن الإجابة ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ﴾ تحفظ أعمالهم

= بين القولين، ورجح ابن جرير الأول، ويقرب منه ماقاله القرطبي: «أي: لا يرفعون أبصارهم للنظر رفعًا تامًّا؛ لأنهم ناكسو الرؤوس».اهـ.

(١) وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ...﴾. قال القرطبي: «أي: يقول المؤمنون في الجنة لما عاينوا ما حلّ بالكفار...».اهـ.

(٢) وقوله: (والموصول...). يعني: أن الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، وليس نعتًا لـ﴿ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

(٣) قوله: (هو من مقول الله). أي: جملة ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ...﴾ من مقول الله، كذا فسر ابن جرير. وقال القرطبي: «يجوز أن يكون هذا من مقول المؤمنين، ويجوز أن يكون ابتداءً من الله تعالى».اهـ.

(٤) قوله: (أجيبوه). أفاد أن الاستفعال هنا خالٍ عن معنى الطلب.

بأن توافق المطلوب منهم[١] ﴿إِنۡ﴾ ما[٢] ﴿عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد[٣] ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً﴾ نعمة[٤] كالغنى والصحة ﴿فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ﴾ الضمير للإنسان باعتبار الجنس ﴿سَيِّئَةُۢ﴾ بلاء ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: قدموه، وعبّر بالأيدي[٥]؛ لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ٤٨﴾ للنعمة.

٤٩- ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ﴾[٦] من

---

(١) قوله: (بأن توافق...). أي: توافق أعمالُهم المطلوبَ منهم من الإيمان والعبادة، أي: لستَ مؤكلًا بهم لا تفارقهم دون أن يؤمنوا، أي: ليس لك إكراههم على الإيمان، كذا أوضحه القرطبي في وجه، أو المعنى: حفيظًا عليهم حتى تحاسبهم عليها.

(٢) وقوله: (ما) أفاد أن ﴿إِنۡ﴾ هنا نافية، يدل على ذلك وجود إلا بعدها.

(٣) وقوله: (وهذا قبل الأمر بالجهاد). لأن هذه السورة مكية. ونقل القرطبي كونها منسوخة بقيل.

(٤) قوله: (نعمة). فسر الرحمة هنا بالنعمة؛ لأن المراد بالرحمة هنا: الرحمة المتعدية لقوله تعالى: ﴿إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً﴾.

(٥) وقوله: (وعبّر بالأيدي). أفاد أن في الكلام مجازًا مرسلًا، حيث أطلق الجزء وأريد الكل.

فائدتان: الأولى: ذكر في الجملة الشرطية الأولى ﴿إِذَآ﴾، وفي الثانية ﴿إِن﴾؛ لأن إذاقة الرحمة محققة من حيث إنها الأصل والعادة، بخلاف إصابة البلية. ومعلوم عند أهل البلاغة: إذا كان وجود الشرط محققًا تستعمل «إذا»، وإذا كان غير محقق تستعمل «إن».

الثانية: هذه الحالة المذكورة مختصة بالمجرمين، لكن أسندت إلى جنس الإنسان لغلبة المجرمين واندراجهم فيه. أفادهما البيضاوي.

(٦) قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ...﴾ بدل بعض من ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾، وقدّم الإناث؛ لأنها أكثر أو لإفادة أن الواقع ما يتعلق به مشيئة الله، لا مشيئة الإنسان، أو لتطبيب قلوب آبائهن، أو للمحافظة على الفواصل، ولذا عرّف الذكور أو غير ذلك من الفوائد التي يعلمها الله، أشار إلى تلك الفوائد البيضاوي. =

الأولاد ﴿إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿٥٠﴾- ﴿أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ﴾ أي: يجعلهم ﴿ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾ فلا يلد ولا يولد له ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٞ﴾ بما يخلق ﴿قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾﴾ على ما يشاء.

﴿٥١﴾- ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا﴾ أن يوحي إليه[(١)] ﴿وَحۡيًا﴾ في المنام أو بإلهام ﴿أَوۡ﴾ إلا ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ بأن يسمعه كلامه[(٢)] ولا يراه كما وقع لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿أَوۡ﴾ إلا أن[(٣)] ﴿يُرۡسِلَ رَسُولٗا﴾ ملكًا كجبريل[(٤)] ﴿فَيُوحِيَ﴾ الرسول إلى المرسل إليه، أي: يكلمه ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي: الله ﴿مَا يَشَآءُۚ﴾ الله ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ عن صفات المحدثين[(٥)] ﴿حَكِيمٞ ﴿٥١﴾﴾ في صنعِهِ.

= **فائدة:** في هذه الآية ما يسمّى بالتقسيم في علم البديع، وهو: أن يستوفى ذكر أقسام الشيء، فالإنسان منحصر في تلك الأقسام المذكورة من حيث الأولاد، وهذا أحد معاني التقسيم.

(١) قوله: (أن يوحى). أفاد به أن ﴿وَحۡيًا﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف.

(٢) قوله: (بأن يسمعه كلامه...). وبمثله فسر ابن جرير، وفي كلام المفسر إثبات أن كلام الله تعالى مسموع، والذي سمعه موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو كلامه تعالى حقيقة.

(٣) قوله: (إلا أن). أفاد أن ﴿يُرۡسِلَ﴾ منصوب بـ«أن» مضمرة، وهذا الإضمار من الجائز، وليس من الواجب كما يعلم من كتب النحو. فلإضمار أن جوازًا موضعان: بعد اللام الجارة، وبعد عاطفٍ على اسمٍ خالصٍ. وهو هنا معطوف على ﴿وَحۡيًا﴾. وهو الاسم الخالص، أي: الذي لم يكن في تأويل فعل. وجملة ﴿فَيُوحِيَ﴾ معطوفة، والفعل منصوب بالعطف على ﴿يُرۡسِلَ﴾، وذلك واضح.

(٤) قوله: (كجبريل). الكاف للاستقصاء؛ لأن جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، هو الموكّل بالوحي.

(٥) قوله: (عن صفات المحدثين). أي: فالعلوّ معنويّ، قال ابن جرير: «ذو علوّ على كل شيء وارتفاع عليه».اهـ. وعلى هذا يكون العلو بالذات أيضًا. =

(٥٢)- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل[١] ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحٗا﴾ هو القرآن به تحيا القلوب[٢] ﴿مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ الذي نوحيه إليك ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي﴾ تعرف قبل الوحي إليك ﴿مَا ٱلۡكِتَٰبُ﴾ القرآن ﴿وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ أي: شرائعه ومعالمه[٣]، والنفي معلق عن العمل[٤]، وما بعده سد مسد المفعولين

= ومعنى الاستقصاء: أن تدخل الكاف على مثالٍ لا ثاني له. وقد وضحنا معاني الكاف الثمانية في كتاب «الثنائيات» وشرحه.

(١) قوله: (أي: مثل إيحائنا). كما قال ابن جرير: «وكما نوحي في سائر رسلنا كذلك أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن».اهـ. والجار والمجرور في محل نصب مفعول مطلق، كما تقدم في أول هذه السورة.

(٢) قوله: (هو القرآن). تفسير الروح هنا بالقرآن عزاه القرطبي إلى الضحاك، قال: «وهو قول مالك بن دينار، وسماه روحًا لأن فيه حياةً من موت الجهل».اهـ. وعن ابن عباس: «النبوة»، والحسن، وقتادة: «رحمة»، السدي: «وحيًا».

(٣) قوله: (شرائعه). أي: فالمراد بالإيمان هنا الشرائع وتفاصيل الأحكام، وعزا القرطبي هذا القول إلى الثعلبي وجماعة من العلماء. والقرطبي بعد ما نقل اختلاف العلماء في أنه ﷺ هل كان متعبدًا بدينٍ قبل البعثة، قال: «والذي يقطع به أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن منسوبًا إلى واحدٍ من الأنبياء نسبة تقتضي أن يكون واحدًا من أمته ومخاطبًا بكل شريعته، بل شريعته مستقلة بنفسها مفتتحة من عند الله الحاكم، وأنه كان مؤمنًا بالله عَزَّوَجَلَّ، ولا سجد لصنم ولا أشرك بالله، ولا زنى، ولا شرب الخمر، ولا شهد السامر، ولا حضر حِلْف المطر، ولا حلف المطيبين، بل نزه الله وصانه عن ذلك».اهـ.

وعلى هذا يكون المراد بالإيمان هٰهنا شرائع الدين، وليس التوحيد بالله وإلى ذلك أشار المفسر بقوله: (أي: شرائعه ومعالمه).

(٤) قوله: (والنفي...). مراده بالنفي قوله تعالى ﴿مَا ٱلۡكِتَٰبُ﴾ ولعله سبق قلم، لأن ﴿مَا﴾ هنا استفهامية، وهي معلقة لـ﴿تَدۡرِي﴾ عن عمل النصب للمفعولين. وجملة الاستفهام =

﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الروح أو الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾ تدعو[1] بالوحي إليك ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ دين الإسلام.

﴿٥٣﴾ - ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا[2] ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ ترجع[3].

❁❁❁

= سدت مسدّهما، وإلى ذلك أشار المفسر بقوله: (وما بعده سد مسد المفعولين). أي: مفعولي ﴿تَدْرِى﴾.

(١) قوله: (تدعو). أشار به إلى أن المراد بالهداية هنا هداية إرشاد ودعوة، كما أن المراد بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، هداية التوفيق والوصول إلى الحق. فلا تعارض بين الآيتين.

(٢) قوله: (ملكًا...). منصوبات على التمييز، وقد سبق نظير ذلك.

(٣) قوله: (ترجع). أفاد أن ﴿تَصِيرُ﴾ هنا تامة، بمعنى: ترجع، و﴿ٱلْأُمُورُ﴾ فاعلها.

٤٣- سورة الزخرف

مكية[١]، **وقيل**[٢]: **إلا آية** ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ [٤٥]، **فمدنية،**

وآياتها تسع وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾- ﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ الله أعلم بمراده به.

﴿٢﴾- ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه من الشريعة.

﴿٣﴾- ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ أوجدنا الكتاب[٣] ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ تفهمون معانيه.

﴿٤﴾- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ مثبت[٤] ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أصل الكتب، أي: اللوح المحفوظ[٥]

---

(١) قوله: (مكية). قال القرطبي: «بالإجماع».

(٢) وقوله: (وقيل:...). هذا الاستثناء عزاه القرطبي إلى مقاتل.

(٣) قوله: (أوجدنا). بمعنى: صيّرنا، لا بمعنى: خلقنا؛ لأن القرآن غير مخلوق، و«جعل» هنا متعد إلى مفعولين، فهو بمعنى: صيّر، وفسر ابن جرير: «أنزلناه»، والقرطبي: «سميناه ووصفناه»، وعن السدي: «أنزلناه»، والزجاج، وسفيان الثوري: «بيّناه...»، كما ذكره القرطبي. وكل هذه المعاني متلازمة ومتقاربة، وكلها تفيد أن «جعل» هنا متعدّ إلى المفعولين، وقد سبق أن ذكرنا أن «جعل» له أربع استعمالات: بمعنى «صيّر» و«ظن» فله مفعولان، وبمعنى: خلق، فله مفعول واحد، وبمعنى: شرع، فله اسم مرفوع وخبر منصوب وخبره يكون فعلًا مضارعًا. راجع سورة البقرة الآية (٢٢).

(٤) قوله: (مثبت). أفاد أن الجار والمجرور ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خبر «إنّ»، ومتعلق بالمحذوف.

(٥) وقوله: (اللوح المحفوظ...). كما فسر به ابن كثير، والقرطبي وغيرهما. وعزاه ابن كثير إلى ابن عباس، ومجاهد.

﴿لَدَيْنَا﴾ بدل[١]، عندنا[٢] ﴿لَعَلِيٌّ﴾ على الكتب قبله[٣] ﴿حَكِيمٌ ۝٤﴾ ذو حكمة بالغة.

٥- ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾[٤] نمسك ﴿عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن[٥] ﴿صَفْحًا﴾ إمساكًا، فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل[٦] ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾ مشركين؟ لا[٧].

٦- ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦﴾[٨].

---

(١) قوله: (بدل). يعني ﴿لَدَيْنَا﴾ بدل من الجار والمجرور ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

(٢) وقوله: (عندنا). تفسير لـ﴿لَدَيْنَا﴾. ومشى المفسر على أن ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خبر «إن»، و﴿لَدَيْنَا﴾ بدل، و﴿لَعَلِيٌّ﴾ خبر ثان، و﴿حَكِيمٌ﴾ خبر ثالث، كما أعرب كذلك في «إعراب القرآن». واستشكل ذلك بعض المعربين بأن فيه تقديم خبر «إن» المجرد عن اللام على المقترن بها، ومن لم يجز ذلك أعرب ﴿لَعَلِيٌّ﴾ خبر «إن»، و﴿فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ و﴿لَدَيْنَا﴾ حالًا.

(٣) قوله: (على الكتب قبله). أشار به إلى أن العلوّ هنا معنويّ، وكذا إذا فسر بأنه رفيع عن ينال فيبدّل.

(٤) ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: عاطفة على محذوف، كما تقدم نظير ذلك.

(٥) قوله: (القرآن). تفسير لـ﴿ٱلذِّكْرَ﴾، وبه فسر القرطبي، وعزاه إلى الضحاك وغيره. وعن مجاهد، والسدي، وأبي صالح: «﴿ٱلذِّكْرَ﴾: العذاب»، واختاره ابن جرير.

(٦) وقوله: (لأجل) أفاد أن حرف التعليل محذوف، وحذف حرف الجرّ مطرد مع «أن» و«أنّ»، كما تقدم مرارًا.

(٧) وقوله: (لا). جواب للاستفهام، مقدر.

(٨) ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا﴾. ﴿وَكَمْ﴾: هنا خبرية في محل نصب مفعول مقدم لـ﴿أَرْسَلْنَا﴾.

﴿٧﴾- ﴿وَمَا﴾ كان[١] ﴿يَأْتِيهِم﴾ أتاهم ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾﴾ كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له ﷺ.

﴿٨﴾- ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم﴾ من قومك[٢] ﴿بَطْشًا﴾ قوة ﴿وَمَضَىٰ﴾ سبق في الآيات ﴿مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ صفتهم في الإهلاك. فعاقبة قومك كذلك[٣].

﴿٩﴾- ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم[٤] ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ حذف منه[٥] نون الرفع لتوالي النونات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ آخر جوابهم[٦]، أي: الله ذو العزة والعلم، زاد تعالى:

---

(١) قوله: (كان)، و(أتاهم). أشار بالتقدير إلى أن هنا حكاية الحال الماضية حيث أتي بالمضارع، والمعنى على الماضي. ولا توجد لفظة (كان) في بعض النسخ.

(٢) قوله: (من قومك) أشار به إلى أن ضمير الغائب «هم» راجع إلى المشركين المخاطبين في قوله ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ...﴾ فيكون فيه نوع التفات.

(٣) قوله: (فعاقبة قومك...). أي: فليتوقعوا أن تنزل بهم عقوبة كما نزلت في الأولين، كما يعلم من ابن جرير.

(٤) قوله: (لام قسم...). أي: دالة على قسم، فقد اجتمع هنا القسم والشرط، والجواب للمتقدم، وهو القسم، والجواب: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ ولذا أكّد بالنون، وقد تقدم نظير ذلك مرارًا.

(٥) قوله: (حذف منه). توضيح لمسألة صرفية، وهي واضحة، وتقدمت، فأصل الفعل: يقولون، حذفت نون الرفع وواو الضمير، فالفعل هنا مرفوع بثبوت النون المحذوفة تخفيفًا. وفاعله: الواو المحذوفة.

(٦) قوله: (آخر جوابهم). يعني: أن جوابهم انتهى بـ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وما بعده كلام الله تعالى، وليس من جوابهم، ويدل لذلك أنه قال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ بضمير الخطاب ولو كان من كلامهم لقيل: الذي جعل لنا الأرض... كما ذكره القرطبي.

﴿١٠﴾- ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشًا كالمهد للصبي[١] ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقًا ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ إلى مقاصدكم في أسفاركم.

﴿١١﴾- ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ أي: بقدر حاجتكم إليه[٢]، ولم ينزله طوفانًا ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ أحيينا ﴿بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل هذا الإحياء ﴿تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾ من قبوركم أحياءً.

﴿١٢﴾- ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأصناف[٣] ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ السفن ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ كالإبل[٤] ﴿مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ حذف العائد اختصارًا[٥]. وهو

---

(١) قوله: (كالمهد). أفاد أن في الكلام تشبيهًا بليغًا.

(٢) قوله: (بقدر حاجتكم إليه). كما قال ابن جرير: «بمقدار حاجتكم إليه، فلم يجعله كالطوفان فيكون عذابًا كالذي أنزل على قوم نوح، ولا جعله قليلًا، لا ينبت به النبات والزرع من قلته، ولكنه جعله غيثًا مغيثًا...».اهـ.

(٣) قوله: (الأصناف). وبه فسر سعيد بن جبير، ذكره القرطبي، وعن الحسن: «الشتاء والصيف، والليل والنهار، والسمٰوات والأرض، والشمس والأرض، والجنة والنار»، وقيل: أزواج الحيوان من ذكر وأنثى. وقيل: ما ينقلب فيه الإنسان من خير وشر، وإيمان وكفر، ونفع وضر، وفقر وغنى، وصحة وسقم. كما في القرطبي. ولا مانع أن يراد كل ذلك، فكل ذلك موجود، والله أعلم.

(٤) وقوله: (كالإبل). الكاف للاستقصاء؛ لأن الإبل هو الذي يركب، والبقر لا يركب، نقله القرطبي عن أبي معاذ وصححه. لما في «الصحيح» قال ﷺ: «**بينما رجل راكب بقرة إذ قالت له: لم أخلق لهذا، إنما خلقت للحرث**»، فقال النبي ﷺ: «**آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر**».اهـ. [البخاري (٢١٩٩)]. وتقدم ذكر هذا الحديث.

(٥) قوله: (حذف العائد...). أي: العائد إلى الاسم الموصول: ﴿مَا﴾ وحذف العائد جائز بتفاصيل ذكرها النحاة. والتقدير هنا: «تركبونه».

مجرور في الأول، أي: فيه، منصوب في الثاني[١].

﴿١٣﴾- ﴿لِتَسْتَوُۥا﴾ لتستقروا ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ ذكَّرَ الضمير[٢]، وجمع الظهر نظرًا للفظ «مَا» ومعناها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ مطيقين.

﴿١٤﴾- ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ لمنصرفون.

﴿١٥﴾- ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا[٣]﴾ حيث قالوا: الملائكة بنات الله؛ لأن الولد جزء من الوالد، والملائكة من عباد الله تعالى ﴿إِنَّ الْإِنسَٰنَ﴾ القائل ذلك[٤] ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ بيّن ظاهر الكفر.

---

(١) قوله: (وهو مجرور في الأول). يعني: العائد مجرور بـ«في» بالنسبة إلى الفلك، يقال: ركبت في الفلك، ومنصوب بالنسبة إلى الأنعام؛ لأنه يقال: ركبت البعير، ولا يقال: في البعير؛ لأن الركوب على ظهره، بخلاف السفينة.

(٢) قوله: (ذكّر الضمير...) بتشديد الكاف، أي: جيء بالضمير المذكر في ﴿ظُهُورِهِۦ﴾؛ لأنه عائد لـ﴿مَا﴾، وجمع ظهور باعتبار معناه؛ لأن ﴿مَا﴾ واقع على الأنعام، وإن كان المراد به الإبل.

تنبيه: ثبت في دعاء السفر ﴿سُبْحَٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا...﴾ إلى ﴿...لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾. فيشرع أن تقرأ إذا استوى الراكب على الراحلة، مع أدعية أخرى ثبتت عن النبي ﷺ.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا﴾ «جعل» هنا بمعنى: ظن، واعتقد، له مفعولان، الأول: ﴿جُزْءًا﴾، والثاني الجار والمجرور: ﴿لَهُۥ﴾.

هذه الآية استنكار على المشركين الذين اعتقدوا أن الملائكة بنات الله تعالى: كما يفيد ما رواه ابن جرير عن مجاهد.

(٤) قوله: (القائل ذلك). فتكون «أل» في ﴿الْإِنسَٰنَ﴾ للعهد، أو للجنس باعتبار ذلك القائل.

﴿١٦﴾- ﴿أَمِ﴾ بمعنى همزة الإنكار[1]، والقول مقدر، أي: أتقولون ﴿ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ لنفسه ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾ أخلصكم ﴿بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ اللازم من قولكم السابق، فهو من جملة المنكر[2].

﴿١٧﴾- ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾[3] جعل له شبهًا بنسبة البنات إليه؛ لأن الولد يشبه الوالد، والمعنى: إذا أُخْبِر أحدهم بالبنت تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار[4] ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ متغيرًا تغيّر مغتم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ ممتلئ غمًّا، فكيف ينسب البنات إليه؟ تعالى عن ذلك.

﴿١٨﴾- ﴿أَوَ﴾ همزة الإنكار وواو العطف بجملة[5]، أي: يجعلون لله ﴿مَن

---

(١) قوله: (بمعنى: همزة...). يعني أن ﴿أَمِ﴾ هنا منقطعة، تتضمن معنى الاستفهام الإنكاري، أو المراد أن الهمزة في ﴿أَمِ﴾ للاستفهام الإنكاري، والميم مزيدة، كما ذكره القرطبي، وعزا ذلك إلى أبي عبيدة، كما في شرح فخرالدين قباوة، وعلى هذا يكون تقدير القول موافقة لما في بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [يونس: ٣٨]، والأقرب أن ﴿أَمِ﴾ هنا كلمة مستقلة منقطعة تتضمن معنى الاستفهام الإنكاري التعجبي.

(٢) قوله: (فهو من جملة...). أي: قوله ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾ من جملة ما استنكر عليهم، أي: جعلوا لله تعالى ما يكرهون من البنات، وجعلوا لأنفسهم ما يحبون من الذكور.

(٣) ﴿وَإِذَا بُشِّرَ...﴾. من تمام الاستنكار عليهم، كما أشار إليه البيضاوي حيث قال: «حيث لم يقتنعوا بأن جعلوا له جزءًا حتى جعلوا له من مخلوقاته أجزاءً أخس مما اختير لهم وأبغض الأشياء لهم، بحيث إذا بشر أحدهم بها اشتد غمّه به».اهـ.

(٤) قوله: (صار). أفاد أن ﴿ظَلَّ﴾ هنا بمعنى: صار، فليس فيه معنى الاتصاف بالنهار.

وتأتي خمسة أفعال بمعنى «صار»: كان، أصبح، أمسى، أضحى، ظل. وقد تقدم.

(٥) قوله: (همزة الإنكار). يعني أن الهمزة في ﴿أَوَ﴾ للاستفهام الإنكاري، والواو لعطف =

﴿يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ الزينة ﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ مظهر الحجة لضعفه عنها بالأنوثة.

﴿١٩﴾- ﴿وَجَعَلُواْ[١] ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ﴾ أحضروا ﴿خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ بأنهم إناث ﴿وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ عنها في الآخرة فيترتب عليهم العقاب.

﴿٢٠﴾- ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ﴾ أي: الملائكة[٢]، فعبادتنا إياهم بمشيئته، فهو راض بها، قال تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المقول من الرضا بعبادتها ﴿مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾ يكذبون فيه، فيترتب عليهم العقاب به.

= جملة مقدرة على جملة مقدرة أخرى، أي: أيبتعدون أو يكذبون ويجعلون لله من ينشأ في الحلية، ويجوز كون الواو هنا استئنافية، فلا يحتاج لتقدير فعل معطوف عليه، وعلى كل تقدير يكون ﴿مَن﴾ مفعولًا به لفعل محذوف، أي: مفعولًا أولًا لـ(يجعلون) والمفعول الثاني: (لله). و﴿مَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ كناية عن الأنثى، كما روي عن ابن عباس وغيره.

(١) قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ﴾. جعل هنا بمعنى: اعتقد، فله مفعولان، الأول: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾، والثاني: ﴿إِنَٰثًا ۚ﴾، والاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت لـ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾. كما ذكرنا في أول هذه السورة ومواضع أخرى.

(٢) قوله: (أي: الملائكة). بيان لمرجع الضمير، فكانوا يعبدون الأصنام التي عملت بصورة الملائكة على زعمهم، كما يعلم من ابن كثير، وقولهم هذا كان على سبيل الاستهزاء والسخرية، وهذا منهم كلمة حق أريد بها باطل؛ لأن كل شيء من الإيمان والكفر وغيرهما بإرادته تعالى، ولا يصح الاحتجاج بها على وقوع المنكر؛ لأن الإنسان مأمور بالإيمان والعمل، والله يرضى به ومنهي عن الكفر والمعاصي، والله كاره ذلك، وإن كان وقوعها بإرادته. أشار إلى ذلك القرطبي.

(٢١) - ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾[١] أي: القرآن بعبادة غير الله ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي: لم يقع ذلك.

(٢٢) - ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ ملة[٢] ﴿وَإِنَّا﴾ ماشون[٣] ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ بهم، وكانوا يعبدون غير الله.

(٢٣) - ﴿وَكَذَٰلِكَ[٤] مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ متنعموها مثل قول قومك ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ متبعون.

(٢٤) - ﴿قُلْ﴾ لهم[٥] ﴿أَ﴾ تتبعون ذلك[٦] ﴿وَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ أنت ومن قبلك ﴿كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ قال تعالى تخويفًا لهم:

(٢٥) - ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ﴾ أي: من المكذبين للرسل قبلك ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ

---

(١) ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾. ﴿أَمْ﴾: هنا منقطعة متضمنة معنى الاستفهام الإنكاري، كما أشار المفسر إلى ذلك بقوله: (أي: لم يقع ذلك).

(٢) قوله: (ملة). وبها فسر مجاهد. وعن ابن عباس، وقتادة، والسدي: «دين»، وهو بمعنى: ملة.

(٣) وقوله: (ماشون). قدره ليتعلق به الجار والمجرور: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾، وعلى هذا يكون ﴿مُّهْتَدُونَ﴾ خبرًا ثانيًا، ويصح تعلق الجار والمجرور بـ﴿مُّهْتَدُونَ﴾.

(٤) قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾. في هذه الآية تسلية وتعزية للنبي ﷺ كما يعلم مما نقله القرطبي عن مقاتل.

(٥) قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾. بصيغة الأمر، على قراءة الجمهور. وقرأ أبو عمرو، وحفص: بصيغة الماضي: ﴿قَٰلَ﴾.

(٦) قوله: (أتتبعون) قدر الفعل ليعطف عليه جملة ﴿وَلَوْ جِئْتُكُم﴾.

﴿عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥﴾[(١)].

٢٦- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ﴾ أي: بريء[(٢)] ﴿مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦﴾.

٢٧- ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾[(٣)] خلقني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧﴾ يرشدني لدينه.

٢٨- ﴿وَجَعَلَهَا﴾[(٤)] أي: كلمة التوحيد المفهومة من قوله: «﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩﴾» [الصافات: ٩٩]، ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ ذريته[(٥)]، فلا يزال[(٦)] فيهم من يوحّد

---

(١) ﴿كَيۡفَ﴾. اسم استفهام في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾، وهو معلّق للفعل ﴿ٱنظُرۡ﴾ عن العمل في المفعول، فجملة ﴿كَانَ﴾ تسد مسدّه.

(٢) قوله: (أي: بريء). أفاد أن ﴿بَرَآءٞ﴾ مصدر بمعنى: اسم الفاعل، أي: الصفة المشبهة، والبراء يستعمل للواحد وغيره والمذكر والمؤنث؛ لأنه مصدر كما ذكره القرطبي.

(٣) ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾. الاستثناء متصل؛ لأنهم كانوا عبدوا الله مع آلهتهم. قاله القرطبي. ونقل عن قتادة: «كانوا يقولون: الله ربنا مع عبادة الأوثان»، وعلى هذا «ما» الموصولة تعم أولي العلم وغيرهم. ويحتمل كون الاستثناء منقطعًا على أن «ما» خاص بغير أولي العلم. أشار إلى ذلك البيضاوي.

(٤) قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا﴾. الضمير المستتر في «جعل» راجع لله عَزَّوَجَلَّ، والضمير المتصل «ها» راجع إلى الكلمة المعلومة من قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾، أو نحو ذلك من الآيات كما أشار المفسر: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي...﴾ الآية (٩٩) من الصافات، كما يعلم من القرطبي، وروى ابن جرير عن مجاهد، وقتادة تفسير الضمير بـ«شهادة أن لا إله إلا الله»، ويحتمل رجوع الضمير المستتر في «جعل» إلى إبراهيم كما ذكره البيضاوي.

(٥) قوله: (ذريته). فسر بذلك أئمة التفسير، كمجاهد، وابن زيد، وغيرهما، وعن السدي، قال: «في عقب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: آل محمد ﷺ».

(٦) وقوله: (فلا يزال...). نقل القرطبي ذلك عن قتادة، وبنحوه فسر ابن جرير.

الله ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: أهل مكة[١] ﴿يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم.

﴿٢٩﴾ - ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المشركين ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ ولم أعاجلهم بالعقوبة[٢] ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ القرآن[٣] ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾﴾ مظهر لهم الأحكام الشرعية، وهو محمد ﷺ.

﴿٣٠﴾ - ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ القرآن[٤] ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿٣١﴾ - ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا﴾ هلّا[٥] ﴿نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ﴾ أهل[٦] ﴿ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ من أيّة منهما ﴿عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ أي: الوليد بن المغيرة بمكة، أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف[٧].

---

(١) قوله: (أهل مكة). ظاهر كلام ابن جرير وغيره: «لعل من كفر يرجع من أهل مكة وغيرهم». قال البيضاوي: «يرجع من أشرك بدعاء من وحّد».اهـ.

(٢) قوله: (ولم أعاجلهم...). وبذلك فسر ابن جرير.

(٣) وقوله: (القرآن). فسر به ابن جرير. وقيل: محمد ﷺ، كما فسر به القرطبي. وعلى هذا يكون ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾﴾ من عطف التفسير.

(٤) قوله: (القرآن). فسر به ابن جرير، والقرطبي وغيرهما.

(٥) قوله: (هلّا). أشار به إلى أن ﴿لَوْلَا﴾ هنا تحضيضية، ولذا دخلت على الفعل.

(٦) قوله: (أهل). أشار به إلى تقدير مضاف، وقيل: التقدير: إحدى القريتين. ومآلهما واحد.

(٧) قوله: (الوليد بن المغيرة...). اتفق المفسرون على أن المراد بـ﴿ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾: مكة والطائف. واختلف المراد بالرجلين؛ فقال قتادة: «الوليد بن المغيرة بن عبدالله عم أبي جهل بمكة، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف»، وعلى هذا جرى المفسر. روى ابن جرير عن قتادة، قال: «قال الوليد بن المغيرة: لو كان ما يقول محمد حقًّا أنزل عليّ هذا أو على ابن مسعود الثقفي».اهـ. وعن ابن زيد، قال: «كان أحد العظيمين: عروة بن مسعود الثقفي، كان عظيم أهل الطائف».اهـ. وعن مجاهد: «عتبة بن ربيعة من أهل مكة، وابن عبد ياليل من أهل الطائف»،=

(٣٢)- ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ النبوة[١] ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ فجعلنا بعضهم غنيًّا وبعضهم فقيرًا ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ﴾ بالغنى[٢] ﴿فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم﴾ الغني ﴿بَعْضًا﴾ الفقير ﴿سُخْرِيًّا﴾ مسخرًّا في العمل له بالأجرة[٣]، والياء للنسب[٤]، وقرئ بكسر السين[٥] ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾ في الدنيا.

(٣٣)- ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[٦] على الكفر[٧] ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن

= وعن السدي: «الوليد بن المغيرة من مكة، وكنانة بن عبد بن عمرو من أهل الطائف»، واختار ابن جرير ألا يعيّن، فيحتمل كون مرادهم أيّ واحدٍ من عظماء مكة والطائف.

(١) قوله: (النبوة). كما فسر به القرطبي وغيره.

(٢) قوله: (بالغنى). قال ابن جرير: «بل جعلنا هذا غنيًّا وهذا فقيرًا، وهذا مالكًا وهذا مملوكًا».اهـ.

(٣) قوله: (مسخرًا في العمل). ذكر نحوه السدي، وابن زيد، وقال الضحاك، وقتادة: «ليملك بعضهم بعضًا».اهـ.

(٤) قوله: (والياء للنسب). ظاهره أنه نسبة إلى السخرة، أي: العمل بلا أجرة أو إلى السُخري بضم السين أو كسرها بمعنى: القهر والتكليف بالعمل. لا إلى السخريّة التي هي بمعنى: الاستهزاء، كما يعلم من «إعراب القرآن» للدرويش.

(٥) قوله: (وقرئ). وهي شاذة، قراءة ابن محيصن، ومجاهد، كما في القرطبي. وأشار المفسر إلى الشذوذ بقوله: (وقرئ).

(٦) قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ...﴾. ﴿لَوْلَآ﴾: هنا امتناعية شرطية، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَكُونَ﴾: مبتدأ مرفوع، والخبر محذوف، أي: كائن، والتقدير: ولولا كون الناس أمة واحدة حاصل، أو كائن... ومعلوم أن من مواضع حذف الخبر وجوبًا: بعد «لولا» الامتناعية.

(٧) قوله: (على الكفر). كما روي عن ابن عباس وغيره. وقيل: اجتماعهم على حب الدنيا، وترك طلب الآخرة، روي عن ابن زيد.

﴿يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ بدل من «لِمَن»[(١)] ﴿سَقْفًا﴾ بفتح السين وسكون القاف وبضمهما جمعًا[(٢)] ﴿مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ كالدَّرَج من فضة[(٣)] ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يعلون إلى السطح.

﴿٣٤﴾ - ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا﴾ من فضة ﴿وَ﴾ جعلنا لهم ﴿سُرُرًا﴾ من فضة، جمع سرير ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿٣٥﴾ - ﴿وَزُخْرُفًا﴾ ذهبًا[(٤)]، المعنى[(٥)]: لولا خوف الكفر على المؤمن من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطيناه ذلك لقلة خطر الدنيا عندنا، وعدم حظه في الآخرة في

---

(١) قوله: (بدل...). أي: بتكرار حرف الجر، وقيل: اللام في ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ بمعنى: على، متعلق بـ﴿سُقُفًا﴾، أي: سقفًا على بيوتهم. ذكره ابن جرير، نقلًا عن بعض الكوفيين.

(٢) قوله: (بفتح السين...). أي: ﴿سَقْفًا﴾: بصيغة الإفراد: قرأ بها ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر. وقرأ الباقون: بالضمتين: ﴿سُقُفًا﴾: بصيغة الجمع.

(٣) قوله: (كالدرج...). بفتحتين تفسير المعارج، وهو جمع معراج، وهو السُّلَّم. كما ذكره القرطبي.

وقوله: (من فضة). كما روي عن ابن عباس، وابن زيد.

(٤) قوله: (ذهبًا). فسر به ابن عباس، وقتادة، والسدي.

(٥) قوله: (المعنى...). وبنحو ذلك فسر أئمة التفسير. قال القرطبي: «قال العلماء: ذكر حقارة الدنيا وقلة خطرها، وأنها عنده من الهوان بحيث كان يجعل بيوت الكفرة ودرجها ذهبًا وفضة لولا غلبة حب الدنيا على القلوب، فيحمل ذلك على الكفر، قال الحسن: «لولا أن يكفر الناس جميعًا بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركهم الآخرة لأعطيناهم في الدنيا ما وصفناه، لهوان الدنيا عند الله عَزَّوَجَلَّ»، وعلى هذا أكثر المفسرين ابن عباس، والسدي، وغيرهم».اهـ. كلام القرطبي. ولا يخفى أن في الآية إجابة وردًّا على قول الكفار: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ بأبلغ وجهٍ، كما يظهر بالتأمل.

النعيم ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة[١] ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَا﴾ بالتخفيف فـ«ما» زائدة، وبالتشديد بمعنى: إلا، فـ«إن» نافية ﴿مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ﴾ الجنة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥﴾.

٣٦- ﴿وَمَن يَعۡشُ﴾ يعرض[٢] ﴿عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي: القرآن ﴿نُقَيِّضۡ﴾ نسبّب ﴿لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦﴾ لا يفارقه[٣].

٣٧- ﴿وَإِنَّهُمۡ﴾ أي: الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمۡ﴾ أي: العاشين ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: طريق الهدى ﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٧﴾ في الجمع رعاية معنى «مَن»[٤].

---

(١) قوله: (مخففة). ذكر لـ﴿إِن﴾ وجهين: إما مخففة من الثقيلة فهي حرف توكيد مهملة، و«ما» مخففة مزيدة. واللام فارقة، أو ﴿إِن﴾ نافية و﴿لَّمَّا﴾ مشددة بمعنى: إلا. وقرأ بتشديد الميم: ﴿لَّمَّا﴾: عاصم، وحمزة، وهشام في رواية. فتكون ﴿إِن﴾ نافية. وبتخفيف الميم ﴿لَمَا﴾: الباقون، ورواية عن هشام. فتكون ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة، و«ما» مزيدة. ومن المعلوم أن «إن» المخففة عملها قليل، وإهمالها كثير، وإذا أهملت وجبت اللام فارقة بينها وبين «إن» النافية.

(٢) قوله: (يعرض). من عشا، يعشو عنه، أعرض، كما في «المختار». والوصف: عاشٍ، يقال: عشوت إلى كذا، إذا قصدته، وعشوت عن كذا، إذا أعرضت عنه.
أما عشِي يعشى -من باب رضي يرضى- فمعناه: عمي، والوصف: أعشى، وقيل: العشا: سوء البصر، ويقال منه: عشي يعشى أو عشا يعشو، كما يعلم من «المختار»، وعلى كل حال يفيد اللفظ معنى الإعراض.

(٣) قوله: (لا يفارقه). قيل: في الدنيا يمنعه من الحلال ويبعثه على الحرام، وينهاه عن الطاعة ويأمر بالمعصية. وعزي هذا القول لابن عباس. ذكر ذلك القرطبي. وهذا ظاهر كلام المفسر. وقيل: في الآخرة إذا قام من قبره، وعزي إلى سعيد بن جبير. ويؤيد الأول الآية التالية (٣٧).

(٤) قوله: (في الجمع...). أي: في الإتيان بصيغة الجمع في ﴿لَيَصُدُّونَهُمۡ﴾ و﴿يَحۡسَبُونَ﴾ رعاية لمعنى ﴿مَن﴾ في ﴿وَمَن يَعۡشُ﴾؛ لأن المراد الجنس.

﴿٣٨﴾- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ العاشي بقرينه[١] يوم القيامة ﴿قَالَ﴾ له: ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي: مثل بعد[٢] ما بين المشرق والمغرب ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ أنت لي.

﴿٣٩﴾- قال تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ﴾ أي: العاشين تمنيكم وندمكم ﴿ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ أي: تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ﴾ مع قرنائكم ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ علة[٣] بتقدير اللام لعدم النفع، و«إذ» بدل من «ٱلْيَوْمَ».

﴿٤٠﴾- ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾ بيّن، أي: فهم لا يؤمنون[٤].

---

(١) قوله: (العاشي بقرينه). هذا على قراءة: ﴿جَآءَنَا﴾: بدون ألف التثنية: قرأ بها عاصم، وأبو عمر، والكسائي، ويعقوب، وخلف. وقرأ الباقون: مع ألف التثنية: ﴿جَاءَانَا﴾، أي: العاشي والقرين.

(٢) قوله: (أي: مثل بعد...). أفاد أمرين؛ الأول: تقدير مضاف: (مثل)، والثاني: أن ﴿ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ من باب التغليب كالقمرين، والأبوين، والمراد: المشرق والمغرب، وبذلك فسر ابن جرير، وقيل: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، فيكون تثنية حقيقة، وعزي إلى مقاتل، كما في القرطبي.

(٣) قوله: (علة...). يعني قوله تعالى: ﴿أَنَّكُمْ﴾ بفتح الهمزة، بتقدير لام التعليل: لأنكم... وهو تعليل لعدم النفع.

(٤) قوله: (أي: فهم لا يؤمنون). فيه إشارة إلى أن الاستفهام بمعنى: النفي. والفاء إما عاطفة على مقدر أو للاستئناف، كما تقدم نظائرها.

فائدة: في هذه الآية تسلية للنبي ﷺ، وفيها ردّ على القدرية وأن الهداية وضدها بقدر الله تعالى. أفاده القرطبي.

﴿٤١﴾- ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام[١] نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ بأن نُميتك[٢] قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ في الآخرة.

﴿٤٢﴾- ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾[٣] في حياتك ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ به من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم﴾ على عذابهم ﴿مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ قادرون.

﴿٤٣﴾- ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿٤٤﴾- ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ﴾ لشرف[٤] ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ لنزوله بلغتهم ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ عن القيام بحقه.

---

(١) قوله: (فيه بإدغام...). أي: فأصله: فإن ما، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ...﴾، كما تقدم في سورة مريم [٢٦].

(٢) قوله: (بأن نُميتك) بضم النون من الإماتة، تفسير لـ﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾، وبمثل ذلك فسر البيضاوي. وفسره القرطبي: «بإخراجه من مكة، أي: من أذى المشركين».

(٣) ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾. نقل القرطبي عن ابن عباس: «قد أراه الله ذلك يوم بدر».اهـ.

الخلاصة: هاتان الآيتان في أهل الشرك، إما ينتقمهم الله في حياته ﷺ، أو يعذبهم في الآخرة، قال القرطبي: «وعلى هذا أكثر المفسرين»، وعن الحسن، وقتادة: «إنها في أهل الإسلام؛ فقد ابتليت هذه الأمة بشدة ولكن لم يُرها الله لنبيه في حياته، ولم يَرَ إلا ما تقر به عينه، ولم يكن نبي إلا قد رأى في أمته العقوبة»، هذا خلاصة ما روي عن قتادة وغيره، ورجح ابن جرير التفسير الأول؛ لأن الآيات في سياق الخطاب مع المشركين، وليست في أهل الإسلام.

(٤) قوله: (لشرف). وبه فسر ابن جرير، ورواه عن ابن عباس وغيره. والمراد بالقوم: قيل: قريش، كما هو ظاهر كلام المفسر، وعزي إلى مجاهد. وقيل: من اتبعه من أمته، وعزي إلى قتادة، والحسن، ورجحه القرطبي.

(٤٥) - ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي: غيره ﴿ءَالِهَةً يُعۡبَدُونَ (٤٥)﴾، قيل[١]: هو على ظاهره، بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء، وقيل: المراد أمم من أيّ أهل الكتابين، ولم يسأل على واحد من القولين؛ لأن المراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله.

---

(١) قوله: (قيل:...). ذكر المفسر تفسيرين في معنى هذه الآية:

الأول: أنه جمع له الرسل ليلة الإسراء وأمِرَ أن يسألهم... وهذا القول رواه ابن جرير، عن ابن زيد، ونقله القرطبي عن ابن عباس، وابن زيد، قالا: «لما أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بعث الله له آدم، ومن وُلد من المرسلين، وجبريل مع النبي ﷺ، فأذن جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وأقام الصلاة، ثم قال: يا محمد، تقدّم فصلِّ بهم، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال له جبريل: سل يا محمد، من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون، فقال رسول الله ﷺ: «**لا أسأل قد اكتفيت**».اهـ. قال ابن عباس: «وكانوا سبعين نبيًّا منهم إبراهيم، وموسى، وعيسى عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، فلم يسألهم؛ لأنه كان أعلم بالله منهم». ذكر ذلك القرطبي وعلى هذا يكون ﴿مِن﴾ في ﴿مِن رُّسُلِنَآ﴾ للتبعيض.

(والقول الثاني): المراد أمم من أرسلنا، أي: أهل الكتابين التوراة والإنجيل. هذا القول رواه ابن جرير، عن مجاهد، والسدي، وقتادة. وكان في قراءة عبدالله بن مسعود: ﴿سل الذين من أرسلنا إليهم قبلك رسلَنا﴾، فيكون مثل قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ [يونس: ٩٤]، واختاره ابن جرير.

وعلى كلا القولين: لم يقع سؤال منه ﷺ؛ لأن المراد بالأمر التقريع على المشركين، كما ذكره المفسر وغيره من المفسرين.

(٤٦)- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ أي: القبط[١] ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٦)﴾.

(٤٧)- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالة على رسالته ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧)﴾.

(٤٨)- ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ من آيات العذاب، كالطوفان[٢] وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام، والجراد ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ قرينتها التي قبلها ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨)﴾ عن الكفر.

(٤٩)- ﴿وَقَالُوا۟﴾ لموسى لما رأوا العذاب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي: العالم الكامل[٣]؛ لأن السحر عندهم علم عظيم ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا[٤] ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩)﴾ أي: مؤمنون.

(٥٠)- ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (٥٠)﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

(٥١)- ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ افتخارًا ﴿فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ

---

(١) قوله: (أي: القبط). هم قوم فرعون، وكان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أرسل إليهم وإلى بني إسرائيل أيضًا.

(٢) قوله: (كالطوفان). وتقدم ذكر تلك الآيات في سورة الأعراف مفصلًا الآية (١٣٣).

(٣) قوله: (أي: العالم...). أفاد أن خطابهم لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالساحر كان على سبيل التعظيم؛ لأن علم السحر كان عندهم عظيمًا، كما يعلم من جمع فرعون السحرة. وهذا المعنى قد نقله القرطبي عن ابن عباس، قال: «﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾: يا أيها العالم، وكان الساحر فيهم عظيمًا يوقرونه، ولم يكن السحر صفة ذم».اهـ.

(٤) قوله: (من كشف العذاب...). تفسير لـ﴿بِمَا عَهِدَ﴾، كما فسر به ابن جرير، ورواه عن مجاهد.

﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ من النيل[(١)] ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ أي: تحت قصوري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١﴾ عظمتي.

۝٥٢- ﴿أَمْ﴾ تبصرون[(٢)]، وحينئذ ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: موسى ﴿ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢﴾ يظهر كلامه، للثغته[(٣)] بالجمرة التي تناولها في صغره.

۝٥٣- ﴿فَلَوْلَآ﴾ هلّا[(٤)] ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾ إن كان صادقًا ﴿أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ جمع: أسوِرَة[(٥)] كأغربة، جمع سوار، كعادتهم[(٦)] فيمن يسوّدونه أن يلبسوه أسورة

---

(١) قوله: (من النيل). كما قال القرطبي: «يعني: أنهار النيل»، قال: «ومعظمها أربعة: نهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمياط، ونهر تينس».اهـ. قال قتادة: «كانت جنانًا وأنهارًا تجري تحت قصوره».اهـ.

(٢) قوله: (تبصرون). أفاد به أن ﴿أَمْ﴾ هنا متصلة عاطفة، والمعطوف المعادِل محذوف، والتقدير: أفلا تبصرون أم تبصرون. وذهب إلى ذلك الزمخشري، ويحتمل كون المعطوف: جملة ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ...﴾؛ لأنها مسببة عن الرؤية إقامةً للمسبب مقام السبب. ذكره البيضاوي. وعلى الوجه الأول يكون فيه حذف المعطوف المعادل بعد «أم» وهذا نادر.

ويحتمل كون ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة، خالية عن معنى الاستفهام، بمعنى: بل، أي: بل أنا خير. ذكر ذلك المفسرون والمعربون.

وفي بعض النسخ: (بل تبصرون)، فتكون ﴿أَمْ﴾ منقطعة.

(٣) قوله: (للثغته..). تقدم ذكر ذلك في سورة طه الآية (٢٧). قال ابن كثير: «كذب فرعون؛ لأن موسى دعا ربه أن يحلّ العقدة من لسانه وليس موسى بمهين».اهـ. موجزًا.

(٤) قوله: (هلّا). أفاد أن ﴿لَوْلَآ﴾ هنا تحضيضية.

(٥) قوله: (جمع: أسوِرَة). أي: ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ جمع: أسورة. وهي جمع سوار. و﴿أَسْوِرَةٌ﴾: قرأ بها الجمهور. وقرأ حفص، ويعقوب: ﴿أَسْوِرَةٌ﴾.

(٦) قوله: (كعادتهم). ذكره القرطبي، قال: «لأنه كان عادة الوقت وزيّ أهل الشرف»، نقله عن مجاهد.

ذهب، ويطوّقونه طوق ذهب ﴿أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ٥٣﴾ متتابعين يشهدون بصدقه[١].

٥٤- ﴿فَٱسۡتَخَفَّ﴾ استفزّ فرعون[٢] ﴿قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ﴾ فيما يريد من تكذيب موسى ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤﴾.

٥٥- ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أغضبونا[٣] ﴿ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥﴾.

٥٦- ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا﴾ جمع سالف كخادم وخدم، أي: سابقين، عبرة[٤] ﴿وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ٥٦﴾ بعدهم، يتمثلون بحالهم، فلا يقدمون على مثل أفعالهم.

٥٧- ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ جعل ﴿ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا﴾ حين نزل[٥] قوله تعالى:

---

(١) قوله: (يشهدون بصدقه). هذا قاله فرعون حكاية عن لفظ موسى؛ لأنه لا يؤمن بالملائكة من لا يعرف خالقهم. ذكره القرطبي. فالمعنى: هلا ضمّ إليه الملائكة التي يزعم أنها عند ربه حتى يتكثر بهم. وكل ذلك كان عمية من فرعون لقومه، حيث أوهمهم أن رسل الله ينبغي أن يكونوا كرسل الملوك في الدنيا، وإلا فموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مؤيد بآيات عظيمة يعرفها الناس.

(٢) قوله: (استفزّ). أي: استجهل. أي: حملهم على الجهل لخفة أحلامهم وقلة عقولهم. كما في القرطبي.

(٣) قوله: (أغضبونا). أفاد أن الأسف هنا بمعنى: الغضب، وبه فسر ابن جرير، ورواه عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد.

(٤) قوله: (عبرة). قدره ليعطف عليه ﴿وَمَثَلٗا﴾.

(٥) قوله: (حين نزل...). يعني: أن المراد بضرب المثل بعيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، قول المشركين: أن المسيح تعبده النصارى، فهل يكون من أهل النار، فقد رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى، وكان الضارب لهذا المثل عبدالله بن الزبعري السهمي حال كفره، فعجبت قريش من مقالته، كما تقدم في تفسير تلك الآية (٩٨) من سورة الأنبياء، وهذا القوال عزاه ابن =

«﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾» [الأنبياء: ٩٨]، فقال المشركون: رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى؛ لأنه عُبد من دون الله ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ أي: المشركون ﴿مِنْهُ﴾ من المثل ﴿يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ يضحكون فرحًا بما سمعوا(١).

﴿٥٨﴾- ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي: عيسى(٢)، فنرضى أن تكون آلهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي: المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ خصومة بالباطل؛ لعلمهم أن «مَا» لغير العاقل(٣)، فلا يتناول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ شديد الخصومة(٤).

= جرير وغيره إلى ابن عباس. وروى ابن جرير عن مجاهد، وقتادة في معنى ضرب المثل: «أن المشركين لما سمعوا ذكر عيسى في القرآن قالوا: ما يريد محمد منا إلا أن نتخذه إلهًا نعبده كما عبدت النصارى المسيح».اهـ.

(١) قوله: (يضحكون) أي: يضجون كضجيج الإبل عند حمل الأثقال. كما في القرطبي. وفي بعض النسخ: (يضجُّون).

و﴿يَصِدُّونَ﴾: بكسر الصاد. وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي: بضم الصاد. وهما لغتان، كما في القرطبي، نقلًا عن الكسائي.

(٢) قوله: (أي: عيسى). أي: فالضمير راجع إلى عيسى، وبه فسر السدي، فتكون الآية مرتبطة بما قبلها. وقال قتادة: «أم هو أي: محمد ﷺ». قال ابن جرير: «وفي قراءة أبي: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هَٰذَا﴾، وعلى هذا يكون معنى الآية: قال المشركون: أآلهتنا التي نعبدها خير أم محمد فنعبد محمدًا، ونترك آلهتنا»، كما ذكره ابن جرير.

(٣) قوله: (لعلمهم أن ﴿مَا﴾...) إشارة إلى الآية ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أن ﴿مَا﴾ لغير العاقل، فلا تتناول عيسى وعزيرًا ونحوهما.

(٤) قوله: (شديد الخصومة). أفاد أن «خصِم» صيغة مبالغة؛ لأن «فَعِلًا» من الصيغ الخمس التي تأتي للمبالغة، والبقية: فعّال، مِفعال، فعول، فعيل.

(٥٩)- ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ عيسى[١] ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ بوجوده من غير أب ﴿مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٥٩)﴾ أي: كالمثل لغرابته، يستدل به على قدرة الله تعالى على ما يشاء.

(٦٠)- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ بدلكم[٢] ﴿مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠)﴾ بأن نهلككم.

(٦١)- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: عيسى[٣] ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ تُعْلَمُ بنزوله ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: تشكّن فيها، حذف منه نون الرفع للجزم[٤] وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿وَ﴾ قل لهم ﴿ٱتَّبِعُونِ﴾ على التوحيد ﴿هَٰذَا﴾ الذي آمركم به ﴿صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ (٦١)﴾.

(٦٢)- ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ﴾ يصرفنكم عن دين الله ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٢)﴾ بيّن العداوة.

---

(١) قوله: (عيسى). الضمير يعود على عيسى، كما فسر ابن جرير وغيره، ورواه عن قتادة. وقال القرطبي: «وقيل: الضمير لمحمد ﷺ»، ورجح الأول.

(٢) قوله: (بدلكم). أفاد أن «مِن» هنا للبدلية، وهي أحد معانيها.

(٣) قوله: (أي: عيسى). فالضمير يعود إلى عيسى، والمعنى: أن نزوله علم للساعة. وبه فسر ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والسدي. وقيل: الضمير للقرآن، وإن نزوله من علامات الساعة، أو إنه يعلم به أمر الساعة. وهذا القول مروي عن الحسن، وقتادة، وابن جبير. قال القرطبي: «يحتمل عود الضمير إلى محمد ﷺ».

(٤) قوله: (حذف منه). أي: أصله قبل دخول «لا» الجازمة: تمترون. وتقدم نظير ذلك.

﴿وَٱتَّبِعُونِ﴾: الواو للاستئناف، والنون نون الوقاية، وحذفت بعدها ياء المتكلم؛ اكتفاءً بالكسر. والجملة مقول لقول محذوف قدره المفسر.

﴿٦٣﴾- ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات والشرائع[١] ﴿قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل[٢] ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ﴾ من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره[٣]، فبيّن لهم أمر الدين ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣﴾.

﴿٦٤﴾- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٞ ٦٤﴾.

﴿٦٥﴾- ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾ في عيسى[٤]، أهو الله أو ابن الله أو ثالث

---

(١) قوله: (بالمعجزات...). فسر ابن عباس: «بإحياء الموتى وإبراء الأسقام وخلق الطير والمائدة وغيرها»، وما قاله المفسر موافق لذلك، وعن قتادة: «البينات هنا: الإنجيل»، ولعل قول المفسر: (والشرائع) إشارة إلى ذلك.

(٢) قوله: (بالنبوة). قاله السدي، كما رواه ابن جرير عنه.

وقول المفسر: (وشرائع الإنجيل). يوافق ما قاله ابن عباس: «علم ما يؤدي إلى الجميل ويكف عن القبيح».

(٣) قوله: (من أحكام التوراة وغيره...). توضيح لمعنى: بعض الذين تختلفون، فإن بني إسرائيل اختلفوا بعد موت موسى في أشياء من أمر دينهم وأشياء من أمر دنياهم، فبيّن لهم أمر دينهم. وذكر هذا المعنى ابن جرير. ونقل القرطبي عن أبي عبيدة أن البعض هنا بمعنى: الكلّ، وانتقد على هذا القول ابن جرير، وقرّر معنى البعضية. والنون في ﴿أَطِيعُونِ﴾ نون الوقاية، وحذفت ياء المتكلم بعدها، كما هو واضح.

(٤) قوله: (في عيسى...). ظاهره أن المراد بـ﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ هنا هم فرق النصارى الذين اختلفوا في عيسى، وهم النسطورية والملكية واليعقوبية، قالت النسطورية: هو ابن الله، وقالت الملكية: ثالث ثلاثة، وقالت اليعاقبة: هو الله. وهذا القول معزو إلى مقاتل، والكلبي. وعن مجاهد، والسدي: «﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾: هم اليهود والنصارى خالف بعضهم بعضًا».

ثلاثة ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب[١] ﴿لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا بما قالوه في عيسى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ مؤلم.

﴿٦٦﴾- ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة[٢]، أي: ما ينتظرون[٣] ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدل من «ٱلسَّاعَةَ»، ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ بوقت مجيئها قبله.

﴿٦٧﴾- ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ على المعصية في الدنيا[٤] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة، متعلق بقوله[٥]: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ المتحابين في الله على طاعته، فإنهم أصدقاء ويقال لهم:

﴿٦٨﴾- ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾[٦].

﴿٦٩﴾- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نعت لـ«عِبَادِى»، ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

---

(١) قوله: (كلمة عذاب). أو واد في جهنم. وتقدم في سورة البقرة الآية (٧٩) وغيرها.

(٢) قوله: (أي: كفار مكة). أي: فالضمير -الواو- عائد إلى كفار قريش، وهذا أحد الوجهين، والوجه الثاني: عائد إلى الذين ظلموا، أي: الأحزاب المذكورين. وعليه مشى ابن جرير، والقرطبي، وذكر البيضاوي الوجهين. و﴿بَغْتَةً﴾ حال، بمعنى: باغتًا.

(٣) وقول المفسر: (ما ينتظرون). أفاد به أن الاستفهام هنا بمعنى: النفي.

(٤) قوله: (على المعصية). كما روى ابن جرير عن مجاهد، قال: «فكل خلة على معصية الله في الدنيا متعادون».اهـ. ونحوه عن ابن عباس، قال: «كل خلة هي عداوة إلا خلة المتقين».اهـ.

(٥) قوله: (متعلق...). يعني: الظرف ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ متعلق بـ﴿عَدُوٌّ﴾، و﴿بَعْضُهُمْ﴾: مبتدأ ثان، أو بدل بعض.

(٦) ﴿يَٰعِبَادِ﴾. عباد: منادًى منصوب بفتحة مقدرة، منع من ظهورها الكسر لمناسبة الياء المحذوفة تخفيفًا.

٧٠- ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزۡوَٰجُكُمۡ﴾ زوجاتكم ﴿تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾ تسرون وتكرمون[١]، خبر المبتدأ.

٧١- ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ﴾ بقصاع[٢] ﴿مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖ﴾ جمع كوب، وهو إناء لا عروة له ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ﴾ تلذذًا ﴿وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾ نظرًا ﴿وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١﴾.

٧٢- ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢﴾[٣].

٧٣- ﴿لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا﴾ أي: بعضها[٤] ﴿تَأۡكُلُونَ ٧٣﴾ وكل ما يؤكل يخلف بدله.

٧٤- ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤﴾[٥].

---

(١) قوله: (تسرّون) قال البيضاوي: «تسرّون سرورًا يظهر حباره، أي: أثره على وجوهكم». اهـ. وبه فسّر هذا اللفظ ﴿تُحۡبَرُونَ﴾.

(٢) قوله: (بقصاع). جمع قصعة بفتح القاف، ولا تكسر، يقال: «لا تُفتح الخِزانة ولا تكسر القَصعة».

وفي «صحيح مسلم» عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون**»، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «**جشاء ورشح كرشح المسك يُلهمون التسبيح والتحميد والتكبير**»، وفي رواية: كما يُلهمون النفس.

(٣) ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢﴾. الباء للسببية، وليست للتعويض؛ لأن الثواب من فضله تعالى، وباء التعويض هي الداخلة في الأثمان.

(٤) قوله: (بعضها). أشار إلى أن «مِن» للتبعيض.

(٥) الآيات في ذكر أهل النار، بعد ذكر أهل الجنة.

(٧٥) - ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ يخفف[١] ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥)﴾ ساكتون سكوتَ يأسٍ[٢].

(٧٦) - ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ[٣] الظَّالِمِينَ (٧٦)﴾.

(٧٧) - ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ هو خازن النار[٤] ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ليمتنا ﴿قَالَ﴾ بعد ألف سنة[٥] ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧)﴾ مقيمون في العذاب دائمًا.

(٧٨) - قال تعالى[٦]: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم﴾ أي: أهل مكة ﴿بِالْحَقِّ﴾ على لسان الرسول ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨)﴾[٧].

(٧٩) - ﴿أَمْ أَبْرَمُوا﴾ أي: كفار مكة، أحكموا[٨] ﴿أَمْرًا﴾ في كيد محمد النبي ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩)﴾ محكمون كيدنا في إهلاكهم.

---

(١) قوله: (يخفف). كما فسر به أئمة التفسير، وهو من الفتور، وهو الضعف، كما قاله ابن جرير.

(٢) قوله: (ساكتون...). وهذا القول نقله القرطبي بـ«قيل»، وروى ابن جرير عن قتادة: «آيسون»، كما فسر بذلك البيضاوي وغيره، ومعناهما متقارب.

(٣) ﴿هُمُ﴾. في هذه الآية ضمير فصل ليس له محل من الإعراب، وما بعده منصوب على أنه خبر «كان»، وتقدم الكلام عن ضمير الفصل في سورة الكهف الآية (٣٩) وغيرها.

(٤) قوله: (هو خازن النار). كما فسر به عامة المفسرين.

(٥) قوله: (بعد ألف سنة). كما رواه ابن جرير عن ابن عباس، والسدي، وقيل: بعد مائة سنة، وقيل غير ذلك.

(٦) قوله: (قال تعالى:...). أفاد أن هذا من خطاب الله تعالى لأهل مكة وليس من خطاب مالك لأهل النار، كما فسر كذلك ابن جرير وغيره. وقال القرطبي: «يحتمل أيضًا كونه من كلام مالك لهم».

(٧) ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ...﴾. نقل القرطبي عن ابن عباس: «كلكم»، وقيل: أريد بالكثرة الرؤساء والقادة منهم.

(٨) قوله: (أحكموا). تفسير لـ﴿أَبْرَمُوا﴾، كما فسر به ابن جرير وغيره.

و﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة، متضمنة استفهام تهديد. وكذلك ﴿أَمْ﴾ في الآية التالية.

(٨٠)-[١] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ ما يسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم ﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ذلك ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿يَكْتُبُونَ (٨٠)﴾ ذلك.

(٨١)- ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ فرضًا[٢] ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ (٨١)﴾ للولد، لكن ثبت أن لا ولد له تعالى، فانتفت عبادته.

---

(١) روى ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي: «بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها قال واحد منهم: أترون أن الله يسمع كلامنا؟ فقال الثاني: إذا جهرتم سمع وإذا أسررتم لم يسمع، وقال الثالث: إن كان يسمع إذا أعلنتم فهو يسمع إذا أسررتم؛ ففيهم نزلت هذه الآية.

(٢) قوله: (فرضًا). أفاد أن ﴿إِن﴾ هنا شرطية. فيكون المعنى: قل يا محمد: إن ثبت لله ولد فأنا أول من يعبد ولده، لكن يستحيل أن يكون له ولد، فيكون كما يقول المناظر: إن ثبت بالدليل فأنا أول من يعتقده ويقول به، فهو مبالغة في الاستبعاد وترقيق في الكلام، كما بينه القرطبي، وبه فسر البيضاوي، وعلى هذا التفسير تكون جملة ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ (٨١)﴾ جواب الشرط، وقريب منه ما قاله السدي: «لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولدًا».اهـ.

وقال مجاهد: «لو كان لله ولد كما تقولون، فأنا أول العابدين لله وحده المؤمنين به، فقولوا ما شئتم».اهـ. وعلى هذا تكون ﴿إِن﴾ شرطية، والجواب محذوف، كأن المعنى: لو كان لله ولد على زعمكم فلا أبالي بكذبكم فإني أعبد الله وحده.اهـ.

تفسير ثالث: أن ﴿إِن﴾ هنا نافية، أي: ما كان لله ولد، ويكون الكلام تامًّا، ثم استأنف: فأنا أول العابدين، أي: الموحدين من أهل مكة. روي هذا عن ابن عباس، وقتادة، وزيد بن أسلم، كما في ابن جرير. وقد أطال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجيح هذا المعنى في كتابه «أضواء البيان»، ولكن اختار ابن جرير كون ﴿إِن﴾ شرطية. وفصل الكلام في ترجيح ذلك، وبذلك فسر ابن كثير، والبيضاوي، وغيرهم، كما مشى عليه المفسر.

(٨٢)- ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ الكرسي[١] ﴿عَمَّا يَصِفُونَ
(٨٢)﴾ يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه.

(٨٣)- ﴿فَذَرْهُمْ[٢] يَخُوضُواْ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُواْ﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ
ٱلَّذِى يُوعَدُونَ (٨٣)﴾ فيه العذاب، وهو يوم القيامة.

(٨٤)- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾ هو[٣] ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ بتحقيق الهمزتين[٤] وإسقاط
الأولى وتسهيلها كالياء، أي: معبود ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ وكل من الظرفين[٥]

---

(١) قوله: (الكرسي). فسر به على ما رجحه أن العرش هوالكسري، وهذا قول مرجوح، والراجح اختلافهما، كما تدل عليه النصوص، وقد تقدم التنبيه على ذلك.

(٢) ﴿فَذَرْهُمْ﴾ أربع كلمات: الفاء، وفعل الأمر: ذَرْ، وفاعله: الضمير المستتر، والمفعول به: هم. و«ذر» أمر، لا يستعمل منه الماضي، ولو وجد لكان: وَذَرَ، وإنما يستعمل الأمر والمضارع (ذر، يذرُ) وقد تقدم ذكر ذلك.

(٣) قوله: (هو) قدره ليكون عائدًا من الصلة إلى الاسم الموصول، والصلة: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾، وحذف العائد فيه تفصيل ذكره النحاة، ومن شرط حذفه إذا كان مرفوعًا أن يكون في الصلة طول بعد حذف العائد، بأن لا تبقى كلمة واحدة، هذا إذا كان الاسم الموصول غير «أي»، كما في هذه الآية، أما لو كان الاسم الموصول «أي» جاز الحذف، وإن لم تطل الصلة، نحو: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ...﴾ [مريم: ٦٩]، أي: أيهم هو أشدّ، كما يشترط كون الباقي بعد الحذف غير صالحٍ للصلة. فإن صلح الباقي للصلة فلا يحذف العائد، والشرطان موجودان في هذه الآية.

(٤) قوله: (بتحقيق...). ذكر المفسر ثلاث قراءات:

١- تحقيق الهمزتين: قراءة الجمهور.

٢- إسقاط الهمزة الأولى تخفيفًا: قراءة أبي عمرو.

٣- وقرأ أبو جعفر، وقنبل، وورش: بتسهيل الثانية.

(٥) قوله: (وكل من الظرفين). والمراد بالظرف الجار والمجرور ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ فكل منهما متعلق بـ﴿إِلَٰهٌ﴾ بمعنى: معبود. =

متعلق بها بعده ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ بمصالحهم.

﴿٨٥﴾ - ﴿وَتَبَارَكَ﴾ تعظم ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ بالتاء والياء[(١)].

﴿٨٦﴾ - ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون، أي: الكفار ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: الله ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ لأحد ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي قال: لا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، وهم عيسى[(٢)] وعزير والملائكة فإنهم يشفعون للمؤمنين.

= **فائدة:** من القواعد: أن النكرة إذا أعيدت نكرة يراد بها غير الأول، وإذا أعيدت معرفة أريد نفس الأول، نحو: اشتريت كتابًا وبعتُ كتابًا، فالكتاب الثاني غير الأول، ولو قلت: وبعت الكتاب فهو نفس الأول، ولكن هذه القاعدة أغلبية وليست مطردة، فقد يراد بالنكرة الثانية نفس الأول، كما في هذه الآية حيث أعيد ﴿إِلَٰهٌ﴾، والمراد بهما واحد، كما قد تعاد النكرة معرفة ويراد غير الأول، نحو: ﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، وقد وضحنا هذه القاعدة والاستثناء في «رسالة الاستثناءات النحوية». كما نبهنا عليه في مواضع من هذا التفسير، مثلًا راجع سورة النساء الآية (١٢٨).

(١) قوله: (بالتاء والياء). القراءات هنا أربع:

١- ﴿يَرْجِعُونَ﴾: بفتح الياء: قراءة رويس.

٢- ﴿تَرْجِعُونَ﴾: بفتح التاء: قراءة روح.

٣- ﴿يُرْجَعُونَ﴾: بضم الياء: قراءة ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف.

٤- ﴿تُرْجَعُونَ﴾: بضم التاء: قراءة الباقين.

(٢) قوله: (وهم عيسى...). أفاد أن ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ﴾ استثناء متصل، و﴿مَن﴾ في محل رفع، كما روي عن قتادة، قال: «الملائكة وعيسى وعزير قد عُبدوا من دون الله ولهم شفاعة عند الله ومنزلة». اهـ. وقيل: ﴿مَن﴾ في محل نصب، والمعنى: لا يشفع هؤلاء إلا للمؤمنين. روي عن مجاهد، كما في ابن جرير.

﴿٨٧﴾- ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم[١] ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ حذف منه[٢] نون الرفع وواو الضمير ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ يصرفون عن عبادة الله.

﴿٨٨﴾- ﴿وَقِيلِهِ﴾ أي: قول محمد ﷺ[٣]، ونصبه[٤] على المصدر بفعله المقدر، أي: وقال: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿٨٩﴾- قال تعالى: ﴿فَاصْفَحْ﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ منكم، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم[٥] ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ بالياء والتاء[٦]، تهديد لهم[٧].

❁❁❁

---

(١) قوله: (لام قسم). أي: دالة على القسم المحذوف، فقد اجتمع القسم والشرط، والجواب للقسم؛ لأنه المتقدم، وهو ﴿لَيَقُولُنَّ﴾.

(٢) وقوله: (حذف منه). أي: فأصله قبل دخول النون: يقولون، كما تقدم نظير ذلك مرارًا.

(٣) قوله: (أي: قول محمد ﷺ). «قيل» مصدر: قال، يقول. وله أربعة مصادر: قول، قال، قيل: مقال.

(٤) وقول المفسر: (ونصبه...). جرى على قراءة النصب: ﴿وَقِيلَهُ﴾: وهي قراءة الجمهور. وقرأ عاصم، وحمزة: بالجر: ﴿وَقِيلِهِ﴾. ووجه النصب ما ذكره، أي: أنه مفعول مطلق لفعل محذوف، كما قال قتادة: «هذا قول نبيكم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يشكو قومه إلى ربه».اهـ. وذكره المفسرون وعزي إلى الفراء، والأخفش. وذكر ابن جرير وغيره وجهًا آخر للنصب، وهو أنه مفعول به لفعل مقدّر أي: ويعلم قيلَه، عطفًا على ﴿وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، واختاره الزجاج. أما وجه الجرّ: فهو العطف على ﴿السَّاعَةِ﴾، أي: وعنده علم الساعة، وعلم قوله يا رب. كما ذكره القرطبي وغيره.

(٥) قوله: (وهذا قبل أن يؤمر...). أي: فتكون الآية منسوخة، وعزي هذا القول إلى ابن عباس، ويناسب ذلك أن الآية مكية.

(٦) قوله: (بالياء والتاء). قرأ بالتاء: نافع، وابن عامر، وأبو جعفر. وبالياء: الباقون.

(٧) قوله: (تهديد...). أي: هذا تهديد للمشركين.

٤٤- سورة الدخان

مكية(١)، وقيل: إلا ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ ...﴾ الآية،

وآياتها ست أو سبع أو تسع وخمسون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿حمٓ (١)﴾ الله أعلم بمراده به.

(٢)- ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلۡمُبِينِ (٢)﴾ المظهر الحلال من الحرام.

(٣)- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ هي ليلة القدر(٢)، أو ليلة النصف من شعبان، نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى سماء الدنيا(٣) ﴿إِنَّا كُنَّا

(١) قوله: (مكية). قال القرطبي: «باتفاق إلا قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ...﴾»، ولم يعز هذا الاستثناء إلى أحد، وذكر الاختلاف في عدد الآيات، بدون عزو، وقد جرى الترقيم بـ(٥٩) آية في المصاحف المتداولة.

(٢) قوله: (هي ليلة القدر). ذكر المفسر هنا قولين في المراد بالليلة المباركة:

الأول: أنها ليلة القدر. رواه ابن جرير عن قتادة، وابن زيد، واختاره، كما اختاره القرطبي وغيرهما، وفي كلام المفسر إشارة إلى ترجيحه. قال قتادة: «نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، ونزلت التوراة لست ليالٍ مضت من رمضان، ونزل الزبور لست عشرة مضت من رمضان، ونزل الإنجيل لثمان عشر مضت من رمضان، ونزل الفرقان لأربع وعشرين مضت من رمضان».اهـ. وروى الإمام أحمد نحوه مرفوعًا.

القول الثاني: أنها ليلة النصف من شعبان، ورواه ابن جرير عن عكرمة.

(٣) قوله: (نزل فيها من أم الكتاب). كما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ...﴾ [البقرة: ١٨٥]. قال قتادة، وابن زيد: «أنزل الله القرآن كله في ليلة القدر من أم الكتاب إلى بيت العزة في سماء الدنيا، ثم أنزله الله على نبيه ﷺ في ثلاث =

﴿مُنذِرِينَ ۝٣﴾ مخوّفين به.

٤- ﴿فِيهَا﴾ أي: في ليلة القدر[١] أو ليلة النصف من شعبان ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل[٢] ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ محكم من الأرزاق والآجال وغيرهما التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة.

٥- ﴿أَمْرًا﴾ فرقًا[٣] ﴿مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ الرسل[٤] محمدًا ﷺ ومن قبله.

= وعشرين سنة».اهـ. وروي نحوه عن ابن عباس. وهذا يدل على أن هذا القرآن الكريم له وجود بشكل خطّي في اللوح المحفوظ وفي بيت العزة قبل نزول آياته، خلافًا لما يقوله بعض العلماء.

(١) قوله: (أي: في ليلة القدر). توضيح للمراد، فالضمير عائد إلى الليلة المباركة المذكورة، على التفسيرين في معناها.

(٢) قوله: (يفصل). أي: يحكم فيها أمر السنة إلى السنة: ما كان من خلق أو رزق أو أجل أو مصيبة أو نحو هذا. روى ابن جرير هذا المعنى عن الحسن، ومجاهد، وقتادة وغيرهم. وعزاه القرطبي إلى ابن عباس، قال ابن كثير في معنى الآية: «أي: ففي ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبَة أمرُ السَّنَة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها».اهـ، وبهذا يعلم أن ما يقع في ليلة القدر نسخ ما في اللوح المحفوظ مما قدره الله في الأزل، كما نقل القرطبي عن المهدوي، قال: «ومعنى هذا القول أمر الله عَزَّوَجَلَّ الملائكة بما يكون في ذلك العام ولم يزل ذلك في علمه عَزَّوَجَلَّ».اهـ. والله أعلم.

(٣) قوله: (فرقًا). أشار به إلى أنه مفعول مطلق من معنى: يفرق. وهذا القول عزاه القرطبي إلى الفراء، والزجاج. وهناك أوجه أخرى في إعرابه ذكرها المفسرون.

(٤) قوله: (الرسل). مفعول به لـ﴿مُرْسِلِينَ﴾.

(٦) - ﴿رَحْمَةً﴾ رأفة بالمرسل إليهم[١] ﴿مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾﴾ بأفعالهم.

(٧) - ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ برفع «رَبُّ» خبر ثالث[٢]، وبجره بدل من «رَبِّكَ»، ﴿إِن كُنتُم﴾ يا أهل مكة ﴿مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾﴾ بأنه تعالى رب السمٰوات والأرض، فأيقنوا بأن محمدًا ﷺ رسوله[٣].

(٨) - ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾.

(٩) - ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ﴾ من البعث ﴿يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾ استهزاءً بك يا محمد، فقال[٤]: «**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**».

---

(١) قوله: (رأفة). فيه إشارة إلى أنه مفعول لأجله لـ﴿مُرْسِلِينَ﴾، كما أعربه الزجاج به، وهناك أوجه أخرى من الإعراب.

(٢) قوله: (برفع ﴿رَبُّ﴾). قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: بجر ﴿رَبِّ﴾. والباقون: برفعه. ووجهها كما قال المفسر.
وقوله: (خبر ثالث). أي: لـ«إنّ»، والأول والثاني ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

(٣) قوله: (فأيقنوا) قدره ليكون جواب الشرط ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾﴾.

(٤) قوله: (فقال:...). أي: النبي ﷺ داعيًا ربه، وهذا دخول إلى الآية التالية. وفسر المفسر الدخان بأنه ما أصاب قريشًا من الجوع بدعاء النبي ﷺ، حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخانًا من شدة الجوع، وهذا التفسير مروي في «الصحيحين» عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه ابن جرير عنه بسياق مفصّل، واختاره، وعليه أكثر المفسرين.
والقول الثاني في معنى الدخان: أنه من أشراط الساعة، لم يأت بعد، يمكث في الأرض أربعين يومًا، يملأ بين السماء والأرض، فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام، وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم. وهو من آثار جهنم يوم القيامة. وقد روي أن الدخان لم يأت بعدُ عن علي، وابن عباس، وأبي هريرة وغيرهم=

(١٠)- قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ لهم ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ فأجدبت الأرض، واشتد بهم الجوع إلى أن رأوا من شدته كهيئة الدخان بين السماء والأرض.

(١١)- ﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ﴾ فقالوا ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١﴾.

(١٢)- ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢﴾ مصدقون نبيَّك.

(١٣)- قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾(١) أي: لا ينفعهم الإيمان عند نزول العذاب ﴿وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣﴾ بيّن الرسالة.

(١٤)- ﴿ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ﴾ أي: يعلّمه القرآن بشر ﴿مَّجۡنُونٌ ١٤﴾.

(١٥)- ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي: الجوع(٢) عنكم زمنًا(٣) ﴿قَلِيلًاۚ﴾ فكشف عنهم ﴿إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥﴾ إلى كفركم، فعادوا إليه.

(١٦)- اذكر ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ هو يوم بدر(٤) ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾

= كما في القرطبي، وروى ابن جرير نحو ذلك عن حذيفة بن اليمان، وأبي مالك الأشعري مرفوعًا، مما يدل أنهما قولان مشهوران في معنى الدخان عند أهل العلم.

(١) ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾. ﴿أَنَّىٰ﴾: هنا استفهامية إنكارية، بمعنى: من أين. و«أنى» تستعمل استفهامية وشرطية، وتأتي بمعنى: كيف، ومن أين. وقد تقدم.

(٢) قوله: (الجوع...). هذا على التفسير الذي ذكره، أما على القول بأن الدخان من أشراط الساعة فيكون المراد بالكشف ما يكون من الفرجة بين آية وآية، ذكره القرطبي.

(٣) وقوله: (زمنًا). أشار إلى أن ﴿قَلِيلًاۚ﴾ نعت لمحذوف، ظرف.

(٤) قوله: (يوم بدر). هذا قول ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وغيرهم. وعن ابن عباس: «يوم القيامة»، وروي ذلك عن الحسن، وعكرمة، وغيرهما. وهذا يناسب التفسير الثاني في معنى الدخان، وأشار المفسر بـ(اذكر) أن ﴿يَوۡمَ﴾ ظرف لفعل محذوف.

منهم، والبطش: الأخذ بقوة.

(١٧)- ﴿ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ﴾ بلونا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾ معه[١] ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿كَرِيمٌ (١٧)﴾ على الله تعالى.

(١٨)- ﴿أَنْ﴾ أي: بأن[٢] ﴿أَدُّوٓاْ إِلَيَّ﴾ ما أدعوكم إليه من الإيمان[٣]، أي: أظهروا إيمانكم بالطاعة لي يا ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨)﴾ على ما أرسلت به.

(١٩)- ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ﴾ تتجبروا ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ بترك طاعته ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾ برهان ﴿مُّبِينٍ (١٩)﴾ بيّن على رسالتي. فتوعدوه بالرجم.

(٢٠)- فقال: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ (٢٠)﴾ بالحجارة[٤].

(٢١)- ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي﴾ تصدقوني[٥] ﴿فَٱعْتَزِلُونِ (٢١)﴾ فاتركوا أذاي، فلم يتركوه.

---

(١) قوله: (معه). أي: مع فرعون. يفيد أن المعنى: بلونا فرعون وقومه.

(٢) قوله: (بأن). أشار إلى أن ﴿أَنْ﴾ مصدرية، بحذف حرف الجر، وحذف حرف الجر مطرد مع «أنْ» و«أنّ»، والجار والمجرور متعلق بـ«جاء»، ويصح كون ﴿أَنْ﴾ هنا تفسيرية؛ لأن جاء متضمن معنى القول. فلا يحتاج إلى تقدير حرف الجر.

(٣) قوله: (ما أدعوكم). ما: اسم موصول مفعول به لـ﴿أَدُّوٓاْ﴾. وعلى هذا يكون ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ منصوبًا على النداء، كما قدر المفسر حرف النداء: يا. وهذا التفسير مروي عن ابن عباس. وقال قتادة، وابن زيد: «﴿أَدُّوٓاْ﴾ بمعنى: أرسلوا»، و﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾: مفعول به. فالمراد بـ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾: بنو إسرائيل. كما في آية أخرى: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٧)﴾ [الشعراء: ١٧].

(٤) قوله: (بالحجارة). هذا مرويّ عن قتادة، وقال ابن عباس: «رجم القول، أي: الشتم»، وروى نحوه عن أبي صالح.

(٥) قوله: (تصدقوني). تفسير بالمراد. واللام في ﴿لِي﴾ للسببية، أي: إن لم تؤمنوا بالله لأجل دعوتي وبرهاني، كما أفاده القرطبي.

﴿٢٢﴾- ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ٢٢﴾ مشركون.

﴿٢٣﴾- فقال تعالى: ﴿فَأَسۡرِ﴾ بقطع الهمزة ووصلها[١] ﴿بِعِبَادِي﴾ بني إسرائيل ﴿لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٢٣﴾ يتبعكم فرعون وقومه.

﴿٢٤﴾- ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ﴾ إذا قطعته أنت وأصحابك ﴿رَهۡوًاۖ﴾ ساكنًا منفرجًا[٢] حتى يدخله القبط ﴿إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ٢٤﴾ فاطمأن بذلك، فأغرقوا[٣].

﴿٢٥﴾- ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ﴾[٤] بساتين ﴿وَعُيُونٖ ٢٥﴾ تجري.

﴿٢٦﴾- ﴿وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦﴾ مجلس حسن[٥].

﴿٢٧﴾- ﴿وَنَعۡمَةٖ﴾ متعة[٦] ﴿كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧﴾ ناعمين.

﴿٢٨﴾- ﴿كَذَٰلِكَۖ﴾ خبر مبتدأ، أي: الأمر[٧] ﴿وَأَوۡرَثۡنَٰهَا﴾ أي: أموالهم ﴿قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨﴾ أي: بني إسرائيل[٨].

---

(١) قوله: (بقطع الهمزة). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر: بوصل الهمزة: ﴿فَاسۡرِ﴾: أمر من «سرى، يسري». والباقون: بقطع الهمزة: ﴿فَأَسۡرِ﴾: أمر من «أسرى».

(٢) قوله: (ساكنًا...). قال القرطبي: «الرهو عند العرب: الساكن»، وعن مجاهد: «منفرجًا»، وعنه: «يابسًا»، وعنه: «ساكنًا»، وعن ابن عباس: «الرهو: أن يترك كما كان»، وكل ما فسر به الرهو متقارب ومتلازم في الجملة، وهو في الأصل مصدر: رَهَا، يَرْهُو.

(٣) قوله: (فأغرقوا...). دخول إلى الآية التالية.

(٤) ﴿كَمۡ تَرَكُواْ﴾. ﴿كَمۡ﴾: خبرية في محل نصب مفعول مقدم لـ﴿تَرَكُواْ﴾.

(٥) قوله: (مجلس حسن). كما قال ابن جرير: «وموضع كانوا يقومونه شريف كريم».اهـ.

(٦) قوله: (ومتعة). النَّعمة، بفتح النون: التنعيم والمتعة، وبكسر النون: ما أنعم به. كما يعلم من القرطبي.

(٧) قوله: (الأمر). هو المبتدأ المقدر. وبه قال الزجاج كما في القرطبي.

(٨) قوله: (بني إسرائيل). كما تقدم في سورة الأعراف الآية (١٣٧).

(٢٩) - ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ بخلاف المؤمنين[١]، يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ (٢٩)﴾ مؤخرين للتوبة.

(٣٠) - ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ (٣٠)﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء[٢].

(٣١) - ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ قيل: بدل من «ٱلْعَذَابِ» بتقدير مضاف[٣]، وقيل: حال من «ٱلْعَذَابِ»، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾.

(٣٢) - ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منّا بحالهم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٢)﴾ أي: عالمي زمانهم، أي: العقلاء[٤].

---

(١) قوله: (بخلاف المؤمنين). أفاد المفسر أن بكاء السماء والأرض على المؤمن حقيقة، روى ابن جرير عن ابن عباس في تفسير هذه الآية، قال: «ذلك أنه ليس على الأرض مؤمن يموت إلا بكى عليه ما كان يصلي فيه من المساجد حين يفقده وإلا بكى عليه من السماء الموضع الذي يرفع منه كلامه، فذلك قوله لأهل معصيته: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ (٢٩)﴾؛ لأنهما يبكيان على أولياء الله».اهـ. وروى مثله عن قتادة، والضحاك، وقال مجاهد: «تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحًا».اهـ.

الخلاصة: البكاء هنا حقيقة، خلافًا لبعض المفسرين حيث حاولوا أن يكون الكلام مجازًا.

(٢) قوله: (قتل الأبناء...). قاله قتادة.

(٣) قوله: (بتقدير مضاف). أي: من عذاب فرعون.

(٤) قوله: (أي: عالمي زمانهم). كما فسر ابن جرير وغيره، وروى عن قتادة، ومجاهد.

وقوله: (العقلاء). لعله قاله لإفادة أن المراد هنا العقلاء وإن كان إطلاق العالمين شائعًا في غيرهم كما في الفاتحة؛ لأن تفضيل الإنسان على غير العاقل أمر معلوم. وليس مرادًا هنا بل هم فضلوا على عالمي زمانهم من الإنس. والله أعلم.

٣٣- ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ٣٣﴾ نعمة ظاهرة[١] من فلق البحر والمن والسلوى وغيرها.

٣٤- ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ ٣٤﴾.

٣٥- ﴿إِنْ هِىَ﴾ ما الموتة بعدها الحياة[٢] ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: وهم نطف[٣] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ٣٥﴾ بمبعوثين أحياءً بعد الثانية.

٣٦- ﴿فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أحياءً[٤] ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣٦﴾ أنا نبعث بعد موتنا، أي: نحيا.

٣٧- قال تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو نبي أو رجل صالح[٥] ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) قوله: (نعمة ظاهرة). وبمثله فسره قتادة، وقيل: ابتلاؤهم بالرخاء والشدة. وقيل غير ذلك. وجوز ابن جرير كون المراد كل ذلك.

(٢) قوله: (ما الموتة...). أفاد المفسر أن ﴿إِنْ﴾ نافية، والضمير ﴿هِىَ﴾ واقعة على الموتة المعلومة من الخبر - الموتة الأولى. وهذا أحد المواضع الستة التي يعود فيها الضمير إلى المتأخر لفظًا ورتبة، وفصلناها في «الثلاثيات»، ورسالة «الاستثناء».

(٣) وقوله: (أي: وهم نطف). توضيح للمراد بالموتة الأولى، وهذا التفسير ذكره البيضاوي وجهًا، وأكثر المفسرين: أن المراد بالموتة الأولى: هي الموت من الدنيا، فيكون المعنى: ما الموت إلا الموت الأولى، وليس بعد ذلك نشور ولا شيء، أو ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية. كما ذكره البيضاوي.

(٤) ﴿فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾. قال القرطبي: «قيل إن قائل ذلك أبو جهل، وقال: إن هذا القول منه من أضعف الشبهات؛ لأن البعث يكون للجزاء، لا لدار التكليف».

(٥) قوله: (هو نبي أو رجل...). تُبّع في الأصل اسم لملوك اليمن، قال ابن كثير: «المراد بقوم تُبّع: سبأ، حيث أهلكهم الله كما تقدم في سورة سبأ، وكانوا عربًا من قحطان، وقريش عربٌ من عدنان». قال القرطبي: «الظاهر أن المراد هنا واحدٌ من التبابعة بعينه، وهو أبو كرب»،=

مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ من الأمم ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ﴾ بكفرهم، والمعنى: ليسوا أقوى منهم، وأُهْلِكُوا ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٣٧﴾.

٣٨- ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨﴾ بخلق ذلك، حال[1].

٣٩- ﴿مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ﴾ وما بينهما ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: محقين في ذلك ليستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٣٩﴾.

٤٠- ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾ يوم القيامة، يفصل الله فيه بين العباد[2] ﴿مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٠﴾ للعذاب الدائم.

٤١- ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى﴾ بقرابة أو صداقة[3]، أي: لا يدفع عنه ﴿شَيۡـٔٗا﴾

= وذكر ابن كثير من خبره: «أنه اتسع ملكه فسار من اليمن حتى وصل سمرقند، ومرّ بالمدينة النبوية وأراد خرابها فأخبر أنها مُهاجَر آخر الأنبياء، فانصرف عنها». ومرّ بمكة وأراد تخريب الكعبة فأخبر بعظمتها وأن مكة موطن النبي، فعظّم الكعبة، وكساها، ورجع إلى اليمن».اهـ. ملخصًا. فهذا اختلف في أنه نبي أو رجل صالح. قال ابن عباس: «كان نبيًّا»، وروى ابن جرير عن عائشة: «كان رجلًا صالحًا»، ونقل ابن كثير عن عبدالرزاق عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**ما أدري تبعٌ نبيًّا كان أم غير نبيّ**».اهـ. وعن عطاء: «لا تسبّوا تُبَّعًا فإن رسول الله ﷺ نهى عن سبّه».اهـ. ونقل ابن جرير عن كعب: «ذم الله قومه ولم يذمه».اهـ.

(١) قوله: (حال). أي: ﴿لَٰعِبِينَ﴾ حال منصوب. وهي حال من «نا» في ﴿وَمَا خَلَقۡنَا﴾.

(٢) قوله: (يفصل الله). فيه بيان وجه تسمية يوم القيامة بيوم الفصل، فهذا من أسماء يوم القيامة.

(٣) قوله: (بقرابة...). المولى يطلق على عدة معانٍ أنهاها بعض العلماء إلى عشرة معانٍ. فمنها: ابن العم، ومنها: الناصر، وأشار المفسر إلى هذين المعنيين. قال ابن جرير: «لا يدفع ابن عم عن ابن عم، ولا صاحب عن صاحبه شيئًا».اهـ. وتقدم بيان أكثر معانيه في آخر سورة البقرة.

من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ يمنعون منه، و«يَوْمَ» بدل من «يَوْمَ ٱلْفَصْلِ».

٤٢- ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ وهم المؤمنون[١]، فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ بالمؤمنين.

٤٣- ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾﴾ هي من أخبث الشجر المر بتهامة[٢]، ينبتها الله تعالى في الجحيم.

٤٤- ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ أبي جهل وأصحابه[٣]، ذوي الإثم الكبير[٤].

٤٥- ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ أي: كدُردِيّ الزيت الأسود[٥]، خبر ثان ﴿تَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾﴾ بالفوقانية خبر ثالث، وبالتحتانية حال من «ٱلْمُهْلِ»[٦].

---

(١) قوله: (وهم المؤمنون). فيكون ﴿مَن﴾ في محل رفع استثناء من الواو في ﴿يُنصَرُونَ﴾، أو في محل نصب على أن الاستثناء منقطع، بمعنى: لكن من رحم الله فإنه تنفعه شفاعة المؤمنين، وهناك أوجه أخرى في إعرابه.

(٢) قوله: (هي من أخبث الشجر). كما تقدم ذكرها في الصافات (٦٢).

(٣) قوله: (أبي جهل...). روى ابن جرير عن ابن زيد تفسير ﴿ٱلْأَثِيمِ﴾ بأبي جهل. ولعله أراد المثال.

(٤) وقول المفسر: (ذوي الإثم الكبير). يشير إلى أن ﴿ٱلْأَثِيمِ﴾ صيغة مبالغة محولة من «آثم»، وفعيل من صيغ المبالغة إذا كانت محوّلة عن فاعل. قال ابن جرير: «وعني به في هذا الموضع: الذي إثمه الكفر بربه دون غيره من الآثام».اهـ. وتقدم ذكر معاني وزن «فعيل» في مواضع، مثلًا في الآية (٢٦٧) من سورة البقرة.

(٥) قوله: (كدُردي...). الدُّرديّ -بضم الدال-: ما يبقى في أسفل الزيت من الرواسب. وبه فسر ابن عباس وغيره. وفي سورة المعارج فسر المفسر بذائب الفضة. روى ذلك عن ابن مسعود.

(٦) قوله: (بالفوقانية...). قرأ ابن كثير، وحفص، ورويس: بالياء: ﴿يَغْلِي﴾. والضمير المستتر راجع إلى «المهل»، والجملة حال منه. وقرأ الباقون: بالتاء: ﴿تَغْلِي﴾، فالضمير =

(٤٦)- ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ الماء الشديد الحرارة.

(٤٧)- ﴿خُذُوهُ﴾ يقال للزبانية[(١)]: خذوا الأثيم ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ بكسر التاء وضمها[(٢)]، جرّوه بغلظة وشدة ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾ وسط النار.

(٤٨)- ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ أي: من الحميم الذي لا يفارقه العذاب[(٣)]، فهو أبلغ مما في آية: «يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾» [الحج: ١٩].

(٤٩)- ويقال له: ﴿ذُقْ﴾ أي: العذاب ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ بزعمك وقولك: ما بين جبليها أعز وأكرم مني[(٤)].

(٥٠)- ويقال لهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ترون من العذاب ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ فيه، تشكون.

= إلى ﴿شَجَرَتَ﴾، فتكون الجملة خبرًا ثالثًا لـ﴿إِنَّ﴾، أي: الأول: ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾، والثاني: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾، والثالث: جملة ﴿تَغْلِي﴾. وهذا مراد المفسر.

(١) قوله: (يقال...). أفاد أن الجملة مقول لقول محذوف، في محل نصب. والزبانية: ملائكة العذاب، كما سيأتي في سورة العلق.

(٢) قوله: (بكسر التاء...). اعتلوا: أمر من «عتَل، يعتِل، أو يعتُل»، التاء في المضارع مكسورة أو مضمومة من باب: ضرب، وقتل. وهما لغتان، كما في القرطبي. وبهما وقعت القراءة: فقرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: بالضم. والباقون: بالكسر. والعتل: الجرُّ العنيف. كما في القرطبي.

(٣) قوله: (أي: من الحميم الذي...). فيه بيان لوجه إضافة العذاب إلى الحميم. ولذكر العذاب هنا صار أبلغ من آية الحج: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج: ١٩].

(٤) قوله: (ما بين جبليها...). هذا قول أبي جهل. قاله قتادة. وقال: «إن هذه الآية نزلت فيه، وكذا آية ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإنسان: ٢٤]، وآية ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق: ١٩]». رواه ابن جرير. فيكون في الآية تعريض لكلامه ذلك، وتحقير لشأنه.

(٥١) - ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ﴾ مجلس ﴿أَمِينٍ (٥١)﴾ يؤمن فيه الخوف.

(٥٢) - ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ (٥٢)﴾.

(٥٣) - ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: ما رقّ من الديباج وما غلظ منه[١]، ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ (٥٣)﴾ حال، أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرّة بهم[٢].

(٥٤) - ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يقدر قبله: الأمر[٣] ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ من التزويج، أو: قرناهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ (٥٤)﴾ بنساء بيض واسعات الأعين، حسانها[٤].

(٥٥) - ﴿يَدْعُونَ﴾ يطلبون من الخدم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة أن يأتوا[٥] ﴿بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ منها ﴿ءَامِنِينَ (٥٥)﴾ من انقطاعها ومضرتها ومن كل مخوف، حال[٦].

(٥٦) - ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾[٧] أي: التي في الدنيا

---

(١) قوله: (أي: ما رقّ...). السندس: الرقيق من الديباج. والاستبرق: ما غلظ منه.

(٢) قوله: (أي: لا ينظر...). كما تقدم في الصافات (٤٤).

(٣) قوله: (يقدر). يعني أن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: الأمرُ كذلك، وتكون هذه الجملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه. كما ذكره المعربون.

(٤) قوله: (بنساء بيض...). الحور: البيض، وهو جمع حوراء. قال القرطبي: «الحوراء: البيضاء التي يُرى ساقها من وراء ثيابها، ويرى الناظر وجهه في كعبها كالمرآة من دقة الجلد وبضاضة البشرة وصفاء اللون».اهـ. والعين جمع: عيناء، وهي الواسعة العينين. ووقعت كلمتا «الحور العين» هنا وفي سورة الطور الآية (٢٠)، والواقعة الآية (٢٢).

(٥) قوله: (أن يأتوا...). كأنه يشير إلى أن ﴿يَدْعُونَ﴾ مضمن معنى: الإتيان، ولذا عدّي بالباء في ﴿بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾.

(٦) قوله: (حال). أي: إعراب ﴿ءَامِنِينَ﴾ أنه حال من الواو في ﴿يَدْعُونَ﴾.

(٧) ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ الاستثناء إما منقطع، أو متصل؛ لأن الموت ابتداء فترة الآخرة. =

بعد حياتهم فيها، قال بعضهم: إلا بمعنى: بعد ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦﴾.

٥٧ - ﴿فَضْلًا﴾ مصدر[1] بمعنى: تفضلًا، منصوب بـ«تفضل» مقدرًا ﴿مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٥٧﴾.

٥٨ - ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ سهلنا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك لتفهمه العرب منك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ يتعظون، فيؤمنون بك، لكنهم لا يؤمنون.

٥٩ - ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ انتظر هلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾ هلاكك، وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم[2].

❁❁❁

= ذكرهما البيضاوي وغيره. وقيل: ﴿إِلَّا﴾ هنا بمعنى: بَعْدَ، كما ذكره ابن جرير ورجّحه. وهناك أوجه أخرى في معنى الاستثناء فصلها المعربون، ويمكن أن يعرب ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ نعتًا لـ﴿ٱلْمَوْتَ﴾. فإن «إلا» بما بعدها تأتي نعتًا، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ويكون هذا مراد من قال: إن «إلا» هنا بمعنى: سوَى.

(١) قوله: (مصدر...). أي: فيكون اسم مصدر منصوبًا على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف، والمراد بالمصدر: اسم المصدر؛ لأن فعله «تفضّل».

(٢) قوله: (وهذا قبل الأمر). يشير إلى أنها منسوخة؛ لأنها مكية قبل مشروعية الجهاد، ولم أجد من صرّح بكونها منسوخة، قال ابن جرير: «فانتظر أنت يا محمد الفتح من ربك والنصر على هؤلاء المشركين بالله من قومك من قريش، إنهم منتظرون عند أنفسهم قهرك وغلبتك بصدهم عما أتيتم به من الحق من أراد قبوله واتباعك عليه». اهـ.

٤٥- سورة الجاثية

مكية[١]، إلا آية ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ الآية، فمدنية، وآياتها ست أو سبع[٢] وثلاثون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿حمٓ (١)﴾ الله أعلم بمراده به.

(٢)- ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن، مبتدأ[٣] ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمِ (٢)﴾ في صنعه.

(٣)- ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: في خلقهما ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ دالة على قدرة الله ووحدانيته تعالى ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ (٣)﴾.

(٤)- ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ﴾ أي: في خلق كل منكم من نطفة[٤] ثم علقة ثم مضغة إلى أن صار إنسانًا ﴿وَ﴾ خَلْقِ[٥] ﴿مَا يَبُثُّ﴾ يفرق في الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ هي: ما يدب

---

(١) قوله: (مكية). قال القرطبي: «مكية كلها في قول الحسن، وجابر، وعكرمة». وقال ابن عباس، وقتادة: «إلا آية، وهي: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ»، ونقل القرطبي عن المهدوي، والنحاس، عن ابن عباس: «إنها نزلت في عمر، شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة، فأراد أن يبطش به فأنزل الله هذه الآية، ثم نسخت بقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ...﴾ [التوبة: ٥]».اهـ. فالسورة مكية كلها. اهـ. باختصار. وسيأتي شيء من التفصيل عند تفسير هذه الآية.

(٢) قوله: (سبع أو ست...). ذكرهما القرطبي بدون عزو.

(٣) قوله: (مبتدأ). هذا أحد الأوجه الإعرابية.

(٤) قوله: (من نطفة...). تقدم في سورة الحج وغيرها.

(٥) قوله: (﴿وَ﴾ خلق). أفاد أن الاسم الموصول ﴿مَا﴾ مع تقدير هذا المضاف معطوف على =

على الأرض[١] من الناس وغيرهم ﴿ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٤﴾ بالبعث.

٥- ﴿وَ﴾ في ﴿ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ذهابهما ومجيئهما[٢] ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ﴾ مطر[٣]؛ لأنه سبب الرزق ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ تقليبها مرة جنوبًا ومرة شمالًا، وباردة وحارة ﴿ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٥﴾ الدليل، فيؤمنون.

٦- ﴿تِلۡكَ﴾ الآيات المذكورة ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ حججه الدالة على وحدانيته ﴿نَتۡلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ متعلق بـ«نَتْلُو»، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ أي: حديثه[٤]، وهو القرآن ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ حججه ﴿يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ أي: كفار مكة، أي: لا يؤمنون[٥]، وفي قراءةٍ: بالتاء[٦].

= ﴿خَلۡقِكُمۡ﴾، وليس معطوفًا على الضمير «كم»؛ لأنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا مع إعادة الجار عند أكثر النحاة. وأجاز ذلك كثير من النحاة، ومنهم ابن مالك، وعلى هذا يجوز كون ﴿مَا﴾ معطوفة على «كم». ويحتمل كون ﴿مَا﴾ معطوفة على ﴿خَلۡقِكُمۡ﴾ فيكون المعنى: وفي التي يبثها من دابة آيات. وأشار إلى ذلك البيضاوي.

(١) قوله: (هي ما يدب...). أفاد أن المراد بالدابة المعنى اللغوي، لا المعنى العرفي أي: ذوات الأربع، كما تقدم في سورة الأنعام وهود وغيرهما.

(٢) قوله: (ذهابهما...). كما تقدم في سورة البقرة وغيرها.

(٣) قوله: (مطر). وبه فسر ابن جرير وغيره. ففيه مجاز مرسل حيث أطلق المسبب وأريد السبب، كما أشار إليه المفسر.

(٤) قوله: (أي: حديثه). إشارة إلى تقدير مضاف، فيكون الكلام من إيجاز الحذف.

(٥) قوله: (لا يؤمنون...). أفاد أن الاستفهام بمعنى: النفي.

(٦) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ بالياء: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، وروح. والباقون: بالتاء: ﴿تُؤۡمِنُونَ﴾.

(٧)- ﴿وَيۡلٞ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب[١] ﴿أَثِيمٖ (٧)﴾ كثير الإثم.

﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كفره ﴿مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ متكبرًا عن الإيمان ﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ (٨)﴾[٢] مؤلم.

(٩)- ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: القرآن ﴿شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ﴾ أي: مهزوءًا بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الأفاكون ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ (٩)﴾ ذو إهانة.

(١٠)- ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ﴾ أي: أمامهم[٣]؛ لأنهم في الدنيا ﴿جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ﴾ من المال والفعال ﴿شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٤] أي: الأصنام[٥] ﴿أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠)﴾.

(١١)- ﴿هَٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿هُدٗىۖ﴾ من الضلالة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ

---

(١) قوله: (كذاب). والمراد به: النضر بن الحارث، وعن ابن عباس: «الحارث بن كلدة»، وحكى الثعلبي: «أنه أبو جهل». ذكر ذلك القرطبي. وتقدم تفسير «ويل» في مواضع.

(٢) ﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ﴾: ﴿كَأَن﴾: حرف تشبيه، مخففة من الثقيلة، ولها اسم وخبر، فاسمها ضمير الشأن محذوف، وخبرها جملة ﴿لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ﴾، وجملة ﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ﴾ في محل نصب حال ثانية.

(٣) قوله: (أي: أمامهم). فسر به ابن عباس، كما في قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم: ١٦]. ذكره القرطبي. وبمثله فسر ابن جرير وغيره.

(٤) ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ﴾. يجوز كون ﴿مَا﴾ مصدرية، أي: ولا اتخاذهم أولياء، وكونها موصولة والعائد محذوف، أي: اتخذوه.

(٥) وقول المفسر: (أي: الأصنام). إشارة إلى كونها موصولة وتفسير لـ﴿مَا﴾. ويحتمل كونه تقديرًا للمفعول الأول إذا جعلنا ﴿مَا﴾ مصدرية. والمعنى: ولا اتخاذهم الأصنام أولياء. والله أعلم.

﴿عَذَابٌ﴾ حظ[1] ﴿مِّن رِّجْزٍ﴾ أي: عذاب ﴿أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ موجع.

﴿١٢﴾- ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ السفن ﴿فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ بإذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿١٣﴾- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها، أي: خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد[2] ﴿مِّنْهُ﴾ حال، أي: سخرها كائنة منه تعالى ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ فيها فيؤمنون.

﴿١٤﴾- ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ[3]﴾ يخافون ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾

---

(١) قوله: (حظ). تفسير توضيحي؛ لأن الرجز هو العذاب، فيكون المعنى: لهم عذاب من عذاب أليم، أي: نصيب من عذاب أليم، كما يعلم من القرطبي. والإشارة بهذا إلى القرآن كما فسره ابن جرير وغيره. ونقل القرطبي عن ابن عباس: «إلى كلّ ما جاء به محمد ﷺ».

(٢) قوله: (تأكيد). المراد أنه تأكيد معنى، وهو حال إعرابًا؛ لأن ألفاظ التوكيد وجبت إضافتها إلى الضمير لكي تعرب توكيدًا، إلا في أجمع وفروعه وتوابعه، فتأتي بلا إضافة، نحو: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الحجر: ٣٠، صٓ: ٧٣].

(٣) قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ...﴾. ذكرنا في أول السورة قول ابن عباس أنها نزلت في عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لما أراد أن يبطش برجل من قريش كان شتمه قبل الهجرة. قال القرطبي: «وهي رواية الضحاك عن ابن عباس»، وعلى هذا تكون الآية منسوخة. ونقل عن الواحدي، والقشيري وغيرهما عن ابن عباس: «نزلت في عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع أبي بن كعب في غزوة بني المصطلق، تكلم أبيّ في النبي ﷺ والصحابة بسيء، فلما بلغ ذلك عمر أراد قتله، فأنزلت الآية»، قال القرطبي: «هذه رواية عطاء عن ابن عباس»، وروى عن ابن عباس ميمون بن مهران: «أنها نزلت في عمر لما قال فنحاص اليهودي: احتاج =

وقائعه، أي: اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذى لكم. وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿لِيَجْزِيَ﴾ أي: الله، وفي قراءة: بالنون[١] ﴿قَوْمًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ من الغفر للكفار أذاهم[٢].

﴿١٥﴾- ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عمل[٣] ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أساء ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ تصيرون، فيجازي المصلح والمسيء.

﴿١٦﴾- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ به بين الناس[٤]

= رب محمد، تعريضًا بقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾ [البقرة: ٢٤٥]؛ فأراد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قتله؛ فنزلت الآية»، وعلى هذين القولين لا تكون الآية منسوخة.

(١) قوله: (وفي قراءة:...). هنا ثلاث قراءات، ذكر المفسر قراءتين:

١- ﴿لِنَجْزِيَ﴾: بالنون: قراءة ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف.

٢- ﴿لِيُجْزَى﴾: بضم الياء على صيغة المبني للمفعول: قراءة أبي جعفر.

٣- ﴿لِيَجْزِيَ﴾: بالياء المفتوحة، على صيغة المبني للفاعل: قراءة الباقين.

وعلى قراءة أبي جعفر يكون النائب عن الفاعل: الجار والمجرور ﴿بِمَا كَانُوا۟﴾؛ ففيه نيابة غير المفعول به عن الفاعل مع وجود المفعول به.

وقد أجاز ذلك بعض النحاة، والجمهور على منعه، ووجهوا هذه القراءة بأن نائب الفاعل الضمير المستتر في الفعل، أي: ليجزي الجزاء المعلوم، كأنه مفعول ثانٍ للفعل.

(٢) قوله: (من الغفر...). على هذا يكون بالمراد بالقوم: المؤمنين. ويحتمل كون المراد: الكفار، كما يحتمل كون المراد: الفريقين. وتنكير قوم للتعظيم على الوجه الأول، وللتحقير على الوجه الثاني، وللشيوع والتعميم على الوجه الثالث، ذكر ذلك البيضاوي.

(٣) قوله: (عمل). قدره ليتعلق به الجار والمجرور، وكذا قوله: (أساء).

(٤) قوله: (به بين الناس). فالحكم على هذا بمعنى: القضاء. وقيل: الحكم: الفهم في الكتاب والعلم بالسنن التي لم تنزل في الكتاب، وبه فسر ابن جرير. وذكر القرطبي وغيره المعنيين، وهما متلازمان.

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ لموسى وهارون منهم[١] ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالات كالمن والسلوى ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ عالمي زمانهم العقلاء.

﴿١٧﴾ - ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أمر الدين[٢] من الحلال والحرام، وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ﴾ في بعثته ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي: لبغيٍ حدث بينهم حسدًا له ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿١٨﴾ - ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ طريقة[٣] ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أمر الدين ﴿فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ في عبادة غير الله.

---

(١) قوله: (لموسى...). ذكرهما على سبيل المثال، ومن حيث إن التوراة نزلت لهما، وإلا فكل نبي من يعقوب إلى عيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ من بني إسرائيل. وتقدم تفسير المن والسلوى في سورة البقرة الآية (٥٧)، والأعراف الآية (١٦٠)، وطه الآية (٨٠).

(٢) قوله: (أمر الدين...). ذكر المفسر معنيين؛ الأول: أمور الدين. والثاني: أمر بعثة النبي ﷺ. وذكرهما القرطبي، وعزا الثاني إلى ابن عباس.

(٣) قوله: (طريقة). وبه فسر ابن جرير، قال: «على طريقة وسنة ومنهاج...». قال القرطبي: «الشريعة في اللغة: المذهب والملة، ويقال لمشربة الماء وهي مورد الشاربة: شريعة».اهـ. قال ابن عباس: «على هدًى من الأمر وبينة»، وقال قتادة: «الشريعة: الفرائض والحدود والأمر والنهي».اهـ. وكل المعاني متقاربة.

فائدة: استئنس بهذه الآية على مسألة أصولية: وهي أن شرع من قبلنا ليس حجة لنا، وعليه جماهير الشافعية، ومحل النزاع فيما أخبر الشارع أنه شرع لهم ولم يثبت في شرعنا إقراره ولا إنكاره، أما ما ثبت في شرعنا إقراره فهو حجة اتفاقًا، وما ثبت في شرعنا إنكاره فليس حجة اتفاقًا، وكذا ما أخبر به أهل الكتاب أو وجدنا في كتبهم من دون إخبار الشارع بذلك فليس حجة اتفاقًا أيضًا. وتقدم ذكر هذه المسألة في سورة الشورى.

(١٩)- ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا﴾ يدفعوا ﴿عَنكَ مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩)﴾ المؤمنين.

(٢٠)- ﴿هَٰذَا﴾ القرآن[١] ﴿بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ معالم يتبصرون بها في الأحكام والحدود ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠)﴾ بالبعث.

(٢١)- ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار[٢] ﴿حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾ اكتسبوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ﴾ خبر[٣] ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ﴾ مبتدأ ومعطوف، والجملة بدل من الكاف والضميران للكفار[٤]، والمعنى[٥]:

---

(١) قوله: (القرآن). الإشارة إلى القرآن كما فسر به ابن جرير، ورواه عن ابن زيد.

(٢) قوله: (بمعنى همزة الإنكار). يعني أن ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة، تتضمن معنى همزة الاستفهام الإنكاري أو الهمزة للاستفهام الإنكاري، والميم مزيدة، وقد سبق نظير ذلك. ﴿حَسِبَ﴾ من أخوات «ظن». ﴿الَّذِينَ﴾: فاعله. وجملة ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ سدت مسد المفعولين. والضمير «هم» مفعول أول لـ«جعل»، والجار والمجرور ﴿كَالَّذِينَ﴾: المفعول الثاني له.

(٣) قوله: (خبر). هذا على قراءة الرفع: ﴿سَوَاءٌ﴾: وهي قراءة الجمهور. وقرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: بالنصب: ﴿سَوَاءً﴾. وعلى هذا يكون حالًا من الضمير المستتر في الجار والمجرور، أي: كائنين كالذين آمنوا حال كونهم سواءً محياهم... و﴿مَّحْيَاهُمْ﴾: فاعل ﴿سَوَاءً﴾. والله أعلم.

(٤) قوله: (والضميران...). أي: ضمير «هم» في ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ﴾.

(٥) قوله: (والمعنى:...). ما ذكره المفسر من المعنى أحد الوجوه التي ذكرها المفسرون، وبه فسر ابن كثير، ولا غبار فيه. ومما ذكر في المعنى: أن المؤمن في الدنيا والآخرة مؤمن والكافر في الدنيا والآخرة كافر.اهـ. روي عن مجاهد. وعلى هذا تكون جملة ﴿سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ﴾ مستقلة، ثابتة غير داخلة في النفي، والضميران يحتمل عودهما إلى الكفار، وإلى المؤمنين.

أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كالمؤمنين، أي: في رغدٍ من العيش مساوٍ لعيشهم في الدنيا حيث قالوا للمؤمنين: لئن بعثنا لنُعطِينّ من الخير مثل ما تُعطون، قال تعالى على وفق إنكاره بالهمزة: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١﴾ أي: ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب على خلاف عيشهم في الدنيا، والمؤمنون في الآخرة في الثواب بعملهم الصالحات في الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك، و«مَا» مصدرية، أي: بئس حكمًا حكمهم هذا[1].

٢٢- ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ﴾ خلق[2] ﴿ٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بـ«خَلَقَ»؛ ليدل على قدرته ووحدانيته[3] ﴿وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ من المعاصي والطاعات فلا يساوي الكافر المؤمن ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٢﴾.

٢٣- ﴿أَفَرَءَيۡتَ﴾ أخبرني ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ ما يهواه[4] من حَجَرٍ بعد حجرٍ

---

(١) قوله: (و﴿مَا﴾ مصدرية...). أي: والمصدر المؤول مخصوص بالذم، والفاعل ضمير مستتر مبهم، حذف التمييز، كما قدره المفسر، ويجوز كون ﴿مَا﴾ تمييزًا في محل نصب، أو فاعلًا في محل رفع، وعلى هذين الوجهين يكون المخصوص بالذم محذوفًا أي: حكمهم هذا. والله أعلم.

(٢) قوله: (خلق). قدر الفعل ليفيد أن ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ معطوفة على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ فالواو للعطف، وليست واو المعية؛ لأن خلق كل من السمٰوات والأرض بالحق، ولو كانت للمعية لأوهم ذلك أن الحق في الجمع بينهما في الخلق فقط، هذا ما ظهر لي، والله أعلم.

(٣) قوله: (ليدل...). قدره ليعطف عليه ﴿وَلِتُجۡزَىٰ﴾، وأشار المفسر بقوله: (فلا يساوي...) إلى ارتباط هذه الآية بما قبلها في المعنى.

(٤) قوله: (ما يهواه...). أفاد أن المصدر «هوى» بمعنى: اسم المفعول. وتقدم تفسير ﴿أَفَرَءَيۡتَ﴾ ونحوه في مواضع. مثلًا: الأنعام (٦٨١).

يراه أحسن(١) ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾ منه تعالى(٢)، أي: عالمًا بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ﴾ فلم يسمع الهدى ولم يعقله فلا يتفكّر في الآيات ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ﴾ ظلمة، فلم يبصر الهدى، ويقدر هنا المفعول الثاني لـ«رَأَيْتَ»: أيهتدي(٣) ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: بعد إضلاله إياه(٤)، أي:

---

(١) قوله: (من حجرٍ بعد حجرٍ...). كما روي عن ابن جبير: «كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر». نقله القرطبي. وروى ابن جرير عنه قال: «كانت قريش تعبد العزّى، وهو حجر أبيض حينًا من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الآخر، فأنزل الله ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾».اهـ.

وتفسير «العزى» بالحجر مروي هكذا عن ابن جبير، وعلى ذلك مشى المفسر في سورة النجم، كما سيأتي، والمشهور أنها شجرة، كما سنذكر ذلك في تفسير سورة النجم -إن شاء الله-.

وقال ابن عباس، وقتادة، والحسن: «ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئًا إلا ركبه».اهـ. فالآية في عموم الكفار على قولهم. واختاره ابن جرير.

(٢) قوله: (منه تعالى). كما قال ابن عباس: «أضله الله في سابق علمه».اهـ. فالجار والمجرور حال من ﴿ٱللَّهُ﴾، ويحتمل كونه حالًا من المفعول، أي: هاء الضمير. كما أعربه بعض المفسرين.

(٣) قوله: (ويقدر...). والمراد بالمفعول الثاني: المفعول الثالث؛ لأن ﴿أَفَرَءَيۡتَ﴾ بمعنى: أخبرني؛ له ثلاثة مفاعيل؛ الأول: ياء المتكلم. والثاني: ﴿مَنِ﴾، والثالث: الذي قدره المفسر. وإنما قدره جملة استفهامية؛ لأن كون المفعول الثالث لـ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ جملة استفهامية أكثر، كقوله تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ ... أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ [العلق: ٩، ١٤].

(٤) قوله: (بعد إضلال...). أشار إلى تقدير مضاف، وإلى أن الاستفهام هنا بمعنى: النفي. والفاء في ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ﴾ تفيد السببيّة. والله أعلم.

لا يهتدي ﴿أَفَلَا تَذَّكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ تتعظون. فيه إدغام إحدى التاءين في الذال[(١)].

﴿٢٤﴾- ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: منكرو البعث ﴿مَا هِىَ﴾ أي: الحياة[(٢)] ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ التي في ﴿ٱلدُّنْيَا﴾[(٣)] ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت بعض ويحيا بعض[(٤)] بأن يولدوا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أي: مرور الزمان[(٥)]. قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ القول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿٢٥﴾- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ من القرآن الدالة على قدرتنا على البعث ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات، حال[(٦)] ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾[(٧)] ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أحياء ﴿إِن

---

(١) قوله: (فيه إدغام...). أي: فأصله: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾، وهي قراءة الجمهور. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص، وخلف: بحذف إحدى التاءين.

(٢) قوله: (أي: الحياة...) هذا من مواضع عود الضمير إلى المتأخر لفظًا ورتبة، أي: إذا أخبر عن المبتدأ بالمفسِّر. و﴿حَيَاتُنَا﴾ خبر المبتدأ، والمواضع فصلناها في «رسالة الاستثناء» وفي «الثلاثيات»، وهي ستة. وتقدم ذكر هذه المسألة في مواضع.

(٣) قوله: (التي في ﴿ٱلدُّنْيَا﴾). توضيح للمعنى، أما إعراب ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ فهو نعت.

(٤) وقوله: (يموت بعض...). هذا أحد الأوجه في المعنى، ذكره القرطبي، والبيضاوي وغيرهما في جملة أوجه أخرى.

(٥) قوله: (أي: مرور الزمان). كان هذا اعتقاد المشركين كما رواه ابن جرير عن أبي هريرة مرفوعًا مما يفيد أن توحيد الربوبية في المشركين كان ناقصًا.

(٦) قوله: (حال). أي: إعراب ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ حال منصوب. وهي حال من ﴿ءَايَٰتُنَا﴾.

(٧) ﴿حُجَّتَهُمْ﴾. بالنصب في جميع القراءات. خبر مقدم لـ﴿كَانَ﴾، واسمها ما بعد ﴿إِلَّآ﴾، والاستثناء مفرغ، وحجتهم هذه باطلة، كما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الدخان: ٣٦].

﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أنا نُبعث.

﴿٢٦﴾- ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ حين كنتم نطفًا[(١)] ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ أحياء ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم القائلون ما ذكر ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿٢٧﴾- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يبدل منه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الكافرون، أي: يظهر خسرانهم بأن يصيروا إلى النار.

﴿٢٨﴾- ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ﴾ أي: أهل دين ﴿جَاثِيَةً ۚ﴾ على الركب[(٢)]، أو مجتمعة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ كتاب أعمالها، ويقال لهم[(٣)]: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: جزاءه[(٤)].

---

(١) قوله: (حين كنتم نطفًا). أي: أحياكم من حالة الجماد وهي حالة النطف، وهذا التفسير يشير إليه قول ابن كثير: «يخرجكم من العدم إلى الوجود».اهـ. وفسر ابن جرير: «يحييكم في الأرض ما شاء أن يحييكم».اهـ. بتصرف. وما فسر به المفسر أدلّ على بعث الموتى الذي أنكروه.

(٢) قوله: (على الركب). ذكر المفسر له هنا معنيين: باركة على الركب. وهذا المعنى عزاه القرطبي إلى الحسن، وروى ابن جرير نحوه عن ابن زيد، ومجاهد، والضحاك. والثاني: مجتمعة، وعزاه إلى ابن عباس.

(٣) قوله: (ويقال لهم:...). أفاد أن جملة ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ...﴾ مقول لقول محذوف.

(٤) وقوله: (جزاءه). أفاد تقدير مضاف قبل ﴿مَا كُنتُمْ...﴾. قال ابن كثير: «ويقال: هذا إذا جيء بجهنم، فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبته حتى إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويقول: نفسي، نفسي، نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي، وحتى إن عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليقول: لا أسألك اليوم إلا نفسي، لا أسألك مريم التي ولدتني!...»اهـ.

(٢٩)- ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ ديوان الحفظة[١] ﴿يَنطِقُ[٢] عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نثبت ونحفظ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩)﴾.

(٣٠)- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته[٣] ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠)﴾ البين الظاهر.

(٣١)- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيقال لهم[٤]: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾ القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم[٥] ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١)﴾ كافرين.

(٣٢)- ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لكم أيها الكفار ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ وَالسَّاعَةُ﴾

---

(١) قوله: (ديوان الحفظة). روي ابن جرير عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن لله ملائكة ينزلون كل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال بني آدم».اهـ. وعن ابن عباس: «أمر الله القلم أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، وعلى الكتاب خزان، وجعل على العباد حفظة ينسخون عمل كل عبد من الخزان كل يوم، فإذا انقضى أجل العبد وأتت الحفظة الخزنة لنسخ عمله: قالوا: ما نجد لصاحبكم عندنا شيئًا، فترجع الحفظة، فيجدونه ميّتًا».اهـ. ملخصًا. وعلى هذا فالكتاب: أم الكتاب. والاستنساخ: هو نسخ الحفظة منه أعمال العباد. والله أعلم، وكلام المفسر محتمل لما روي عن علي، وما روي عن ابن عباس.

(٢) و﴿يَنطِقُ﴾ قال القرطبي: «أي: يشهد».

(٣) قوله: (جنته). كما فسر بذلك ابن جرير، فيكون من المجاز المرسل من إطلاق الحال وإرادة المحلّ.

(٤) قوله: (فيقال...). أفاد أن الجملة التي بعده في محل نصب مقول لقول محذوف. وفيه الفاء الجوابية الواقعة بعد ﴿أَمَّا﴾؛ لأن الفاء لازمة بعد «أمّا»، وإنما حذفت مع القول المحذوف، هذا وأن هناك مواضع تحذف فيها الفاء بعد «أما»، فصلنا ذلك في رسالة «الاستثناء».

(٥) وقوله: (تكبرتم). أفاد أن الاستفعال ليس فيه معنى الطلب.

بالرفع والنصب[١] ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ[٢] إِن﴾ ما ﴿نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ قال المبرد[٣]: «أصله إن نحن إلا نظن ظنًّا»، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ أنها آتية.

﴿٣٣﴾- ﴿وَبَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ في الدنيا، أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: العذاب.

﴿٣٤﴾- ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ نترككم في العذاب[٤] ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي:

---

(١) قوله: (بالرفع والنصب). النصب: قراءة حمزة. والرفع: قراءة الباقين. وجه النصب: أنه معطوف على ﴿وَعْدَ﴾، وجملة ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: حال مؤكدة. ووجه الرفع: أنه مبتدأ، وجملة ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: خبر، والجملة الاسمية معطوفة على التي قبلها.

(٢) ﴿مَا ٱلسَّاعَةُ﴾. ﴿مَا﴾: استفهامية مبتدأ، و﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: خبر. و﴿مَا﴾ معلقة عن عمل ﴿نَدْرِي﴾، فالجملة سدت مسد المفعولين.

(٣) قوله: (قال المبرد:...). فيه إشارة إلى جواب إشكال في إعراب هذه الآية الكريمة. وحاصله: أن المصدر المؤكد لعامله لا يقع استثناءً مفرغًا، بمعنى: أن المفعول المطلق المؤكد لعامله لا يقع استثناء مفرغًا، فلا يقال: ما ضربتُ إلا ضربًا. وإذا أريد به النوع أو العدد جاز، تقول: ما ضربتُ إلا ضربًا واحدًا أو إلا ضربًا شديدًا، جاز. وفي الآية ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ وقع المفعول المطلق المؤكد استثناء مفرغًا.
فأجيب عنه بأوجه، منها ما قال المبرد: «أصل الكلام إن نحن إلا نظن ظنًّا»، ومنها ما قاله أبو حيان: «أن المصدر هنا يراد به النوع»، فالمعنى: إن نظن إلا نوعًا من الظن، أي: ظنًّا ضعيفًا، بيّن ذلك الدرويش في كتابه «إعراب القرآن»، والله أعلم.

(٤) قوله: (نترككم...). وبذلك فسر ابن جرير، ورواه عن ابن عباس، فيكون هنا من التأويل الصحيح؛ لأن الله تعالى لا يوصف بالنسيان: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤]. قال ابن جرير: «اليوم نترككم في عذاب جهنم كما تركتم العمل للقاء ربكم يومكم هذا».اهـ. ثم روى هذا المعنى عن ابن عباس.

كما تركتم العمل للقائه ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ مانعين منها.

﴿٣٥﴾- ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ حتى قلتم: لا بعث ولا حساب ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول[1] ﴿مِنْهَا﴾ من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: لا يطلب منهم[2] أن يُرضوا ربهم بالتوبة والطاعة؛ لأنها لا تنفع يومئذ.

﴿٣٦﴾- ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ الوصف بالجميل[3] على وفاء وعده في المكذبين ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ خالق ما ذكر. والعالَم: ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه، و«رَبِّ» بدل.

﴿٣٧﴾ - ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ العظمة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حال، أي: كائنةً فيهما ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ تقدم.

❁❁❁

= فقول المفسر (أي: تركتم العمل...). فيه أيضًا تأويل النسيان بترك العمل، ففي الموضعين يكون النسيان مجازًا، كما يعلم من كلام ابن جرير.

والكاف في ﴿كَمَا نَسِيتُمْ﴾: تعليلية أو تشبيهية، فيكون الجار والمجرور في محل نصب مفعول مطلق نعتًا للمصدر، أي: نسيانًا كنسيانكم، كما يعلم من «إعراب القرآن» للدرويش، والله أعلم.

(١) قوله: (بالبناء للفاعل...). قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بالبناء للفاعل: ﴿يَخْرُجُونَ﴾. والباقون: بالبناء للمفعول: ﴿يُخْرَجُونَ﴾.

(٢) قوله: (أي: لا يطلب...). أفاد أن الاستفعال هنا بمعنى: الطلب. وهذه الكلمة تقدمت في سورة النحل الآية (٨٤)، والروم الآية (٥٧).

(٣) قوله: (الوصف...). وقد تقدم في تفسير سورة الفاتحة، معنى الحمد والرب والعالمين.

الجزء (٢٦)

٤٦- سورة الأحقاف

مكية[١]، إلا ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ...﴾ الآية،

وإلا ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ...﴾ الآية،

وإلا ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ...﴾ الآية فمدنيات،

وآياتها أربع أو خمس وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿حمٓ (١)﴾ الله أعلم بمراده به.

(٢)- ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، مبتدأ[٢] ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ (٢)﴾ في صنعه.

(٣)- ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا﴾ خلقًا[٣] ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ليدلّ على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى فنائهما يوم القيامة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ خوفوا به من العذاب ﴿مُعْرِضُونَ (٣)﴾.

(٤)- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ أخبروني ﴿مَّا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي:

---

(١) قوله: (مكية). قال القرطبي: «في قول جميعهم»، ولم يذكر استثناء الآيات، وكذا ابن جرير، وابن كثير، والبيضاوي، وغيرهم لم يذكروا استثناء الآيات. وذكر بعض المفسرين كابن جزي هذا الاستثناء بدون عزو.

(٢) قوله: (مبتدأ). تقدم نظير هذه الآية في أول الجاثية.

(٣) قوله: (خلقًا). أفاد أن الجار والمجرور ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ نعت لمصدر محذوف، مفعول مطلق، والمفعول المطلق هنا لبيان النوع، لا لمجرد التأكيد، ولذا وقع استثناءً مفرغًا.

و﴿أَجَلٍ﴾ معطوف على ﴿بِٱلْحَقِّ﴾. والله أعلم.

الأصنام، مفعول أول[١] ﴿أَرُونِي﴾ أخبروني، تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُواْ﴾ مفعول ثان ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بيان لـ«مَّا»، ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مشاركة ﴿فِي﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مع الله، و«أَمْ» بمعنى همزة الإنكار[٢] ﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ﴾ منزل ﴿مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ﴾ بقية[٣] ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام أنها تقربكم إلى الله ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ في دعواكم.

﴿٥﴾ - ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى: النفي، أي: لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ﴾

---

(١) قوله: (مفعول أول). ﴿أَرَءَيْتُم﴾ بمعنى: أخبروني، يحتاج إلى ثلاثة مفاعيل كما تقدم. فالمفعول الأول: ياء المتكلم. والثاني: ﴿مَّا تَدْعُونَ﴾ أي: الاسم الموصول. والثالث: جملة ﴿مَاذَا خَلَقُواْ﴾؛ لأن مفعوله الثالث يكون استفهامًا غالبًا كما تقدم في الجاثية.

و﴿أَرُونِي﴾ تأكيد لفظي لـ﴿أَرَءَيْتُم﴾. و﴿مَاذَا خَلَقُواْ﴾: ﴿مَاذَا﴾: اسم استفهام مفعول مقدم لـ﴿خَلَقُواْ﴾. أو «ما» استفهامية مبتدأ، و«ذا»: اسم موصول خبره، و﴿خَلَقُواْ﴾ صلة الموصول. والجملة: المفعول الثالث. وهذا حاصل ما ذكره المفسر من الإعراب. ولا خفاء في ذلك، وذكره أبو حيان، والدرويش وغيرهما من المعربين، وهناك أوجه أخرى إعرابية.

(٢) قوله: (و﴿أَمْ﴾ بمعنى: همزة...). يعني: أن ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة، تتضمن معنى الاستفهام الإنكاري. أو الهمزة للاستفهام الإنكاري، والميم مزيدة على رأي بعض النحاة وتقدم.

(٣) قوله: (بقية). هذا المعنى رواه ابن جرير، عن ابن عياش، واختاره، وقال: «وهي مصدر من أثر الشيء أثارة».اهـ. وعن قتادة: «خاصة من علم»، وعن ابن عباس: «خطّ كان يخطه العرب في الأرض»، وعنه أيضًا: «بيّنة». والحاصل: يكون مضمون الآية طلب برهان نقلي على دعواهم، كما أن أول الآية كان احتجاجًا بالدليل العقلي».اهـ. أشار إلى ذلك القرطبي.

يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وهم الأصنام لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبدًا ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ﴾ عبادتهم ﴿غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

۝٦- ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟﴾ أي: الأصنام ﴿لَهُمْ﴾ لعابديهم ﴿أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ بعبادة عابديهم ﴿كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ جاحدين[1].

۝٧- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات، حال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ منهم ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي: القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ بيّن ظاهر.

۝٨- ﴿أَمْ﴾ بمعنى: بل وهمزة الإنكار[2] ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ فرضًا ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْـًٔا﴾ أي: لا تقدرون على دفعه عني إذا عذبني الله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تقولون في القرآن[3]

---

(١) قوله: (جاحدين). قد تقدم مضمون هذه الآية في عدة آيات، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ [مريم: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٥﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وغير ذلك من الآيات.

(٢) قوله: (بمعنى: بل...). أي: هي منقطعة تتضمن معنى الاستفهام الإنكاري؛ لأنها بمعنى: بل والهمزة، وذلك أولى من قول القرطبي: «الميم في ﴿أَمْ﴾ صلة، أي: زائدة، التقدير: أيقولون...»؛ لأن الأصل عدم الزيادة. وما ذكره رأي لبعض المعربين. وتقدّم قريبًا.

(٣) قوله: (تقولون في القرآن). وبذلك فسر ابن جرير، ورواه عن مجاهد، قال القرطبي: «الإفاضة في الشيء: الخوض فيه والاندفاع».اهـ.

﴿كَفَىٰ بِهِۦ﴾ تعالى[1] ﴿شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿ٱلرَّحِيمُ ٨﴾ به، فلم يعاجلكم بالعقوبة.

٩- ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا﴾ بديعًا ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: أوّل مُرْسَل[2]، قد سبق قبلي كثيرون منهم، فكيف تكذبونني ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ في الدنيا[3]، أأخرَجُ من بلدي أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي، أو ترمونني بالحجارة، أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي: القرآن، ولا أبتدع من عندي شيئًا ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٩﴾ بيّن الإنذار.

---

(١) قوله: (تعالى). أفاد أن الضمير عائد إليه تعالى. وهو فاعل ﴿كَفَىٰ﴾ دخل عليه حرف الجر توكيدًا، و﴿شَهِيدَۢا﴾: تمييز. ومواضع جر الفاعل بحرف جر فصلناها في نظم «الثنائيات» مع شرحها. وتقدم التنبيه على ذلك في مواضع.

(٢) قوله: (أي: أول مرسل...). تفسير للبدع. روي عن ابن عباس وغيره، كما قال القرطبي: «البدعُ: الأول».

(٣) قوله: (في الدنيا...). هذا التفسير مروي عن الحسن البصري، واختاره ابن جرير، ورواه عنه بسياق مفصّل. وروى عن ابن عباس، وعكرمة، وقتادة ما يفيد أن المراد: لا أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، وإلى ماذا يكون المصير، ثم نسخ ذلك وأعلمه وبشره بالجنة، بقوله تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...﴾ [الفتح: ٢] الآية».

وبذلك فسر القرطبي أولًا، وقال: «ولما نزلت فرح المشركون واليهود والمنافقون فقالوا: كيف نتبع نبيًّا لا يدري ما يفعل به ولا بنا، فنزلت: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...﴾ الآية، فنسخت هذه الآية وأرغم الله أنف الكفار».اهـ. باختصار. ومال إلى ذلك ابن كثير. ولا مانع من اطلاع اليهود على بعض ما أنزل على النبي ﷺ قبل الهجرة، كما أنه لا مانع وجود بعض المنافقين قبل الهجرة. والله أعلم.

﴿١٠﴾- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ماذا حالكم[١] ﴿إِن كَانَ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ جملة حالية[٢] ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو عبدالله بن سلام[٣] ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ أي: عليه[٤] أنه من عند الله ﴿فَـَٔامَنَ﴾ الشاهد ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن الإيمان، وجواب الشرط بما عطف عليه: ألستم ظالمين؟ دل عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

---

(١) قوله: (ماذا حالكم). أفاد به أن مفعولي ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ محذوفان. والتقدير: أخبروني حالكم ماذا ستكون؟ وعلى ما أعربه المفسر يكون ﴿إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ جملة شرطية حذف جواب الشرط، وقدّره المفسر بقوله: (ألستم ظالمين)، وهذا التقدير يوافق قول الزمخشري، وأشار إليه البيضاوي، واعترض عليه أبو حيان بأنه لو كان جواب الشرط لكان المناسب ذكر الفاء «أفلستم ظالمين»، وقدّره الدوريش «فقد ظلمتم»، وعلى كل حال يكون جواب الشرط محذوفًا دل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

(٢) قوله: (جملة حالية). يعني جملة ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ فتكون الواو حالية، ولكن يحتاج لتقدير «قد»؛ لأن الجملة الحالية إذا كانت بالماضي المثبت وجب وجود «قد» ظاهرًا أو مقدرًا. ويصح جعل الواو للعطف، فلا يحتاج لتقدير «قد».

(٣) قوله: (هو عبدالله بن سلام). هذا التفسير رواه ابن جرير، عن عدة من السلف منهم: ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وسعد بن أبي وقاص، وروى عن عبدالله بن سلام نفسه قال: «نزلت فيّ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ ...﴾ الآية». وعلى هذا تكون الآية مدنية، كما ذكر المفسر في أول السورة، وقال ابن جرير: «عليه أكثر أهل التأويل، إلا أنه قال: المراد بمثل القرآن: التوراة، ومعنى شهادته أنه مكتوب في التوراة أنه نبيّ».اهـ. وروى مسروق وغيره: «المراد بالشاهد: موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبمثل القرآن: التوراة»، وأنكر مسروق أن يكون المراد عبدالله بن سلام؛ لأنه أسلم بالمدينة، والآية مكية. واختار ابن جرير هذا الرأي.

(٤) وقول المفسر: (عليه). أي: القرآن. وعلى هذا يكون «مثل» صلة، أي: زائدة مؤكدة، وعزا القرطبي هذا إلى الجرجاني.

﴿١١﴾- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[(١)] أي: في حقهم ﴿لَوْ كَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ﴾ أي: القائلون ﴿بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ﴾ أي: القرآن ﴿إِفْكٌ﴾ كذب ﴿قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿١٢﴾- ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي: التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ﴾ للمؤمنين به، حالان[(٢)] ﴿وَهَٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من الضمير في «مُّصَدِّقٌ»، ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ مشركي مكة ﴿وَ﴾ هو[(٣)] ﴿بُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ المؤمنين.

﴿١٣﴾- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ على الطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿١٤﴾- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال ﴿جَزَآءًۢ﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر[(٤)]، أي: يجزون ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

---

(١) المراد بالذين كفروا هنا: إما اليهود، قالوا ذلك لما أسلم عبدالله بن سلام، هذا على القول بأن المراد بالشاهد هو عبدالله بن سلام. أو الكفار، قالوا: لو كان خيرًا ما سبقنا إليه فلان وفلان. قاله قتادة. وذكر القولين ابن جرير. وذكر القرطبي أقوالًا أخرى.

(٢) قوله: (حالان). أي: ﴿إِمَامًا﴾ و﴿رَحْمَةً﴾ حالان من ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾، منصوبان على الحالية.

(٣) قوله: (هو). على هذا التقدير يكون ﴿بُشْرَىٰ﴾ خبرًا لمبتدأ محذوف، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾، ويحتمل كونه معطوفًا على محل ﴿لِّيُنذِرَ﴾ أي: للتنذير والتبشير. وعلى هذا لا يقدّر (هو). والله أعلم.

(٤) قوله: (على المصدر...). أي: على أنه مفعول مطلق، وكذا في كلام المفسر الآتي. ويحتمل كون ﴿جَزَآءًۢ﴾ حالًا.

(١٥) - ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ وفي قراءة[١]: «إِحْسَٰنًا»، أي: أمرناه أن يحسن إليهما، فنصب «إِحْسَٰنًا» على المصدر بفعله المقدر، ومثله «حُسْنًا»[٢]، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا﴾ أي: على مشقة[٣] ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ من الرضاع ﴿ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ ستة أشهر أقل مدة الحمل[٤]، والباقي أكثر مدة الرضاع، وقيل[٥]: إن حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقي ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لجملة مقدرة[٦]، أي: وعاش

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). ﴿حُسْنًا﴾: قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وأبي جعفر، ويعقوب. و﴿إِحْسَٰنًا﴾: قراءة الباقين.

(٢) وقوله: (ومثله ﴿حُسْنًا﴾). أي: يكون مفعولًا مطلقًا، لكن «الحسن» اسم مصدر لـ«أحسن»، والإحسان مصدره.

(٣) قوله: (على مشقة). كما روي عن قتادة، والحسن، ومجاهد. ونصبه إما على الحال من ﴿أُمُّهُۥ﴾ بمعنى: ذات كره، أو مفعول مطلق لفعله المحذوف، كما ذكره في «إعراب القرآن». وهو بفتح الكاف في قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وأبي جعفر، وهشام. وبضمها: ﴿كُرْهًا﴾ في قراءة الباقين. وهما لغتان بمعنًى، كما في القرطبي.

(٤) قوله: (ستة أشهر...). وعلى هذا عامة الفقهاء أن أقل مدة الحمل ستة أشهر؛ لدلالة هذه الآية على ذلك دلالة الإشارة المعروفة عند الأصوليين، وهي دلالة الكلام على معنًى لم يسق الكلام لأجله.

(٥) وقوله: (وقيل:...). هذا القوال عزاه القرطبي إلى ابن عباس. وقيل: لم يعد الأشهر الثلاثة الأولى؛ لأن الولد فيها ليس ثقيلًا على الأم. ذكره القرطبي.

(٦) قوله: (غاية...). ظاهره أن ﴿حَتَّىٰٓ﴾ حرف جر، والمجرور المصدر المؤول من الجملة التي بعدها. كما أعربه الدرويش في «إعراب القرآن»، وعزي كون ﴿حَتَّىٰٓ﴾ جارة إلى جمهور المعربين، ويصح كون ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا ابتدائية؛ لدخولها على الجملة، فلا تقدر الجملة بعدها مصدرًا.

حتى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ هو كمال قوته وعقله ورأيه، أقله: ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون[(١)] ﴿وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ أي: تمامها وهو أكثر الأشد ﴿قَالَ رَبِّ﴾... إلخ، نزل في أبي بكر الصديق[(٢)] لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبي ﷺ آمن به، ثم آمن أبواه، ثم ابنه عبدالرحمن وابن عبدالرحمن أبو عتيق ﴿أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ ألهمني ﴿أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ﴾ بها ﴿عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ وهي التوحيد ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ فأعتق تسعة من المؤمنين[(٣)] يعذبون في الله ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ﴾ فكلهم مؤمنون[(٤)] ﴿إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾.

---

(١) قوله: (أقله ثلاث وثلاثون...). رواه ابن جرير عن ابن عباس، وقتادة. وروى عن الشعبي أنه البلوغ. ولم أجد القول بأنه ثلاثون معزوًّا.

(٢) قوله: (نزل في أبي بكر...). أي: الآية كلها. نقله القرطبي عن ابن عباس، وعلي، قال: «أسلم أبواه جميعًا، ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره».اهـ. قال القرطبي: «اسم أبيه قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد، وأم أبيه: قَيْلَة بنت عبدالعزى». قال السدي، والضحاك: «نزلت في سعد بن أبي وقاص»، وقال الحسن: «نزلت في عموم المسلمين».

وقول المفسر: (لما بلغ أربعين سنة... آمن به). فيه إشكال؛ لأن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ آمن بالنبي ﷺ أول ما بعث، وكان هو أول المؤمنين من الرجال، وكان عمره حينئذٍ ثمانيًا وثلاثين سنة كما صرح بذلك ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيما نقله القرطبي عنه. قال ابن عباس: «بعد كلام فلما نبئ رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة صدق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله ﷺ وهو ابن ثمانية وثلاثين سنة، فلما بلغ أربعين سنة، قال: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ...﴾ الآية».اهـ.

(٣) قوله: (فأعتق تسعة...). كما قال ابن عباس: «فأجابه الله، فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، منهم بلال، وعامر بن فهيرة، ولم يدَع شيئًا من الخير إلا أعانه الله عليه».اهـ. نقله القرطبي.

(٤) قوله: (فكلهم مؤمنون). قال ابن عباس: «فلم يبق له ولد ولا والد ولا والدة إلا آمنوا=

(١٦)- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: قائلو هذا القول أبو بكر وغيره[١] ﴿ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ﴾ بمعنى: حسن[٢] ﴿مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ حال، أي: كائنين في جملتهم ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ[٣] ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ (١٦)﴾ في قوله تعالى: «وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ ...» [التوبة: ٧٢].

(١٧)- ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ﴾ وفي قراءة: بالإدغام[٤]، أريد به الجنس[٥] ﴿أُفٍّ﴾ بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر[٦]، أي: نتنًا وقبحًا ﴿لَّكُمَآ﴾ أتضجر

= بالله وحده، ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله أسلم هو وأبواه وأولاده وبناته كلهم إلا أبو بكر». اهـ.

(١) قوله: (أبو بكر وغيره...). فيه إشارة إلى أن هذه الآية وإن كانت نزلت في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكن معناها عام، وقد تقدم عن الحسن أن الآية عامة في كل مؤمن.

(٢) وقوله: (بمعنى: حسن). كما تقدم في العنكبوت الآية (١٧) وغيرها.

(٣) ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾. مفعول مطلق لفعل محذوف، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ...﴾ من سرة التوبة (٧٢).

(٤) قوله: (وفي قراءة: بالإدغام...). هذه الجملة غير موجودة في النسخ المحققة، والمراد بالإدغام: إدغام لام قال في لام ﴿لِوَٰلِدَيۡهِ﴾، ولم تقع بها القراءة المعتبرة، فلعل هذه الجملة وقعت خطأ من النساخ. والله أعلم.

(٥) قوله: (أريد به الجنس...). يعني: أن المراد بالذي قال لوالديه... الجنس، وليس المراد شخصًا بعينه؛ فهذه الآية عامة، هذا يوافق ما نقل عن الحسن، وقتادة، والزجاج، أن الآية نعتُ عبدٍ كافرٍ عاقٍّ لوالديه. ونقل القرطبي عن ابن عباس، والسدّي، وأبي العالية، ومجاهد: «نزلت في عبدالله بن أبي بكر قبل إسلامه»، وعن قتادة، والسدي أيضًا: «نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه». كما في القرطبي. ومن المعلوم أن الاسم الموصول يأتي للجنس والاستغراق والعهد كـ«أل».

(٦) قوله: (بكسر الفاء...). قرأ نافع، وحفص، وأبو جعفر: بالكسر مع التنوين. وابن كثير، =

منكما ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ﴾ وفي قراءة: بالإدغام[(١)] ﴿أَنۡ أُخۡرَجَ﴾ من القبر ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ﴾ الأمم ﴿مِن قَبۡلِي﴾ ولم تخرج من القبور ﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ يسألانه الغوث برجوعه، ويقولان: إن لم ترجع ﴿وَيۡلَكَ﴾ أي: هلاكك، بمعنى: هلكت ﴿ءَامِنۡ﴾ بالبعث ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾ أي: القول بالبعث ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧﴾ أكاذيبهم.

١٨- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ[(٢)]﴾ وجب ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ بالعذاب ﴿فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨﴾.

١٩- ﴿وَلِكُلّٖ﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿دَرَجَٰتٞ﴾ فدرجات المؤمنين في الجنة عالية[(٣)]، ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾ أي: المؤمنون من

= وابن عامر، ويعقوب: بفتح الفاء. والباقون: بالكسر بدون تنوين. وقد تقدم الكلام في هذه الكلمة في سورة الإسراء (٢٣).

(١) قوله: (وفي قراءة:...). أي: إدغام النون في النون: الأولى: نون الرفع، والثانية: نون الوقاية. والإدغام: قراءة هشام. وقرأ الباقون: بالفك. لكن نافعًا، وابن كثير، وأبا جعفر: قرأوا بفتح الياء: ﴿أَتَعِدَانِنِيَ أَنۡ﴾. والباقون: بسكونها؛ فيحصل مدّ منفصل: ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ﴾.

(٢) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ...﴾. الإشارة إلى ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ﴾ إذا أريد به الجنس كما مشى عليه المفسر. وهذا الذي يعلم من ظاهر كلام ابن جرير. وصرح به ابن كثير وغيره. ولكن قال القرطبي: «الإشارة إلى القرون التي خلت»، والذين أشار إليهم ابن أبي بكر قبل إسلامه حيث قال: «أحيوا لي مشائخ قريش»، وهذا القول يوافق ما قيل إن الآية نزلت في ابن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنه أسلم بدعاء والدِهِ، فلا يكون هو من الذين حق عليهم القول. كما أشار إليه القرطبي.

(٣) قوله: (فدرجات المؤمنين...). كذا رواه ابن جرير، عن ابن زيد، قال: «درج أهل النار يذهب سفالًا، ودرج أهل الجنة يذهب علوًّا».اهـ.

الطاعات والكافرون من المعاصي ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾[(١)]، أي: الله، وفي قراءة[(٢)]: «وَلِنُوَفِّيَهُم» بالنون ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جزاءها[(٣)] ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ شيئًا ينقص للمؤمنين ويزاد للكفار.

﴿٢٠﴾- ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ بأن تكشف لهم[(٤)]، يقال لهم[(٥)]: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزة وبهمزتين وبهمزة ومدة وبها وتسهيل الثانية[(٦)] ﴿طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ باشتغالكم بلذاتكم ﴿فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم﴾ تمتعتم[(٧)] ﴿بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

---

(١) ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾. الواو لعطف الجملة، ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ تعليل لمحذوف: مثلًا، وجزاهم بذلك ليوفيهم، كما في «إعراب القرآن» للدرويش.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وهشام، وعاصم، ويعقوب: بالياء. والباقون: بالنون.

(٣) قوله: (أي: جزاءها). أشار إلى حذف مضاف.

(٤) قوله: (بأن تكشف لهم). ظاهره أن العرض هنا بمعنى: أن النار تكشف لهم بحيث ينظرون إليها، فيكون في الكلام قلب، والأصل تعرض النار عليهم، ويكون كما يقال: عرضت الناقة على الماء، والأصل عرضت الماء على الناقة، والقلب هنا للمبالغة، كما يعلم من البيضاوي. وكما فسر القرطبي بقوله: «أي: يكشف الغطاء فيقرّبون من النار وينظرون إليها».اهـ. ولذا ذكر المفسر في آخر هذه الآية: (وتعذبون بها)، أي: بالنار، وفي بعض النسخ: (ويعذبون) بالياء. فأفاد أنه لا يكتفى بالعرض، بل هم يعذبون بالنار. أعاذنا الله منها.

(٥) وقوله: (يقال لهم...). أفاد أن ما بعده مقول لقول محذوف.

(٦) قوله: (بهمزة...). ذكر أربع قراءات: فابن كثير: قرأ بهمزة ومدة: ﴿آذْهَبْتُمْ﴾. وابن عامر، ويعقوب: بهمزتين: ﴿أَأَذْهَبْتُمْ﴾. وبتسهيل الثانية: أبو جعفر، وبحذف همزة الاستفهام: الجمهور.

(٧) قوله: (تمتعم). أفاد أن الاستفعال خالٍ عن معنى الطلب، وكذلك ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فيما بعدُ.

﴿عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ أي: الهوان ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ تتكبرون ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ۝٢٠﴾ به[١] وتعذبون بها[٢].

٢١- ﴿۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ﴾ هو هود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ[٣] ﴿إِذۡ﴾... الخ، بدل اشتمال ﴿أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ﴾ خوّفهم ﴿بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ وادٍ باليمن به منازلهم[٤] ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ مضت الرسل ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ أي: من قبل هود ومن بعده إلى أقوامهم ﴿أَن﴾ أي بأن قال[٥]: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وجملة «وَقَدۡ خَلَتِ» معترضة[٦] ﴿إِنِّيٓ

(١) قوله: (به). قدره ليكون عائدًا على ﴿مَا﴾ الموصولة. ويصح كونها مصدرية، والمعنى: بكونكم تفسقون. فلا يحتاج إلى تقدير الضمير.

(٢) وقوله: (وتعذبون...). تقدم الكلام عن هذه الجملة في أول الشرح لهذه الآية.

فائدة: قال القرطبي قاعدة في الحكم بالاستمتاع بالطيبات، قال: «والذي يضبط هذا الباب، على المرء أن يأكل ما وجد، طيبًا كان أو قفارًا، ولا يتكلف الطيب، ويتخذه عادة»، كما يعلم من معيشة النبي ﷺ.اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (هو هود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ). ولا خلاف في ذلك، والأخوة هنا في النسب لا في الدين. قاله القرطبي.

(٤) قوله: (وادٍ باليمن). الأحقاف: جمع حِقف، وهو من الرمْل ما استطال. قاله ابن جرير وغيره. واختلف في المراد به هٰهنا مع الاتفاق على أنه مساكن عاد. فعن مقاتل، وابن إسحٰق، وقتادة: «أنه باليمن»، كما يعلم من القرطبي، وابن جرير، وغيرهما. وعن ابن عباس في رواية: «أنه جبل بالشام»، ولعل الاختلاف لأن عادًا كانوا فشوا في الأرض كلها قهروا أرضها بفضل قوتهم التي آتاهم الله. ذكره ابن إسحٰق، فيما رواه عنه ابن جرير.

(٥) قوله: (أي: بأن قال...). توضيح للمعنى، وأن يحتمل كونها مصدرية، وتفسيرية؛ لأن ﴿أَنذَرَ﴾ متضمن معنى القول. وعلى هذا لا يحتاج إلى تقدير الباء والقول.

(٦) قوله: (معترضة). ويحتمل كونها حالًا كما ذكرهما البيضاوي.

﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غير الله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾.

﴿٢٢﴾- ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ لتصرفنا عن عبادتها[1] ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب على عبادتها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾ في أنه يأتينا.

﴿٢٣﴾- ﴿قَالَ﴾ هود: ﴿إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾ إليكم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ باستعجالكم العذاب.

﴿٢٤﴾- ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ﴾ أي: ما هو العذاب[2] ﴿عَارِضٗا﴾ سحابًا عرض في أفق السماء ﴿مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ أي: ممطر إيّانا[3]، قال تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ﴾ من العذاب ﴿رِيحٞ﴾ بدل من «مَا»، ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾﴾ مؤلم.

﴿٢٥﴾- ﴿تُدَمِّرُ﴾ تهلك ﴿كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ مرّت عليه[4] ﴿بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ بإرادته، أي:

---

(١) قوله: (لتصرفنا). كذا فسره ابن جرير وغيره. وقال القرطبي: «فيه وجهان: لتزيلنا عن عبادتها بالإفك، أو لتصرفنا عن آلهتنا بالمنع»، وعزاه إلى الضحاك.

(٢) قوله: (أي: ما هو العذاب...). يشير إلى أن الضمير -الهاء- يعود إلى ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾. والعارض: السحاب الذي يعترض في الأفق. نقله القرطبي عن الجوهري.

(٣) قوله: (ممطر إيانا). كأنه أشار بذلك إلى أن ﴿مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ نكرة، وإن كان فيه إضافة؛ لأن الإضافة لفظية لا تفيد التعريف، ولذا وقع نعتًا لنكرة: ﴿عَارِضٞ﴾. فمعنى ﴿مُّمۡطِرُنَاۚ﴾: مطر إيانا، فهو بتقدير الانفصال عن الإضافة.

(٤) قوله: (مرت عليه). كما قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الآية: ٤٢]، فالمطلق هنا مقيّد بذلك القيد، وكثير من الأصوليين جعلوا هذا من باب العام المخصوص بالحسّ؛ لأننا شاهدنا أن بعض الأشياء لم تدمّر، والأمر في ذلك يسير.

كل شيء أراد إهلاكه بها، فأهلكت رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم بأن طارت بذلك[١] بين السماء والأرض ومزقته، وبقي هود ومن آمن معه ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٥﴾ غيرهم.

٢٦- ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ﴾ في الذي ﴿إِن﴾ نافية أو زائدة[٢] ﴿مَّكَّنَّٰكُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿فِيهِ﴾ من القوة والمال ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا﴾ بمعنى: أسماعًا ﴿وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ﴾ قلوبًا ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ﴾ أي: شيئًا من الإغناء[٣]، و«مِّن» زائدة ﴿إِذۡ﴾ معمولة لـ«أَغۡنَىٰ» وأشربت[٤] معنى التعليل ﴿كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ حججه البينة ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦﴾ أي: العذاب.

٢٧- ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أي: من أهلها[٥]، كثمود وعاد وقوم لوط ﴿وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ كررنا الحجج البينات ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٧﴾.

---

(١) قوله: (بأن طارت...). ذكر المفسرون تفاصيل هلاكهم. وقد مر شيء منها في الأعراف وغيرها.

(٢) قوله: (نافية...). كون ﴿إِن﴾ نافية. رواه ابن جرير عن ابن عباس وغيره؛ فالمعنى: ولقد مكناهم فيما لم نمكنكم فيه. وأما كونها زائدة فعزاه القرطبي إلى القتبيّ، وذكر القرطبي والبيضاوي وجهًا ثالثًا: كونها شرطية حذف جوابها: أي: إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر.

(٣) قوله: (أي: شيئًا من الإغناء). أشار إلى أن ﴿مِّن شَيۡءٍ﴾ في محل نصب مفعول مطلق.

(٤) قوله: (أُشربت...). أي: أن ﴿إِذۡ﴾ ظرف لـ﴿أَغۡنَىٰ﴾، ومع ذلك فيه معنى التعليل؛ لأن المعنى: لسبب جحدهم.

(٥) قوله: (أي: من أهلها). أي: بتقدير مضاف أو هو مجاز مرسل.

﴿٢٨﴾ - ﴿فَلَوْلَا﴾ هلّا[1] ﴿نَصَرَهُمُ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿قُرْبَانًا﴾ متقربًا بهم إلى الله[2] ﴿ءَالِهَةً﴾ معه، وهم الأصنام، ومفعول «اتَّخَذَ»[3] الأول ضمير محذوف يعود على الموصول، أي: هم، و«قُرْبَانًا» الثاني، و«ءَالِهَةً» بدل منه ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنْهُمْ﴾ عند نزول العذاب ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي: اتخاذهم الأصنام آلهة قربانًا ﴿إِفْكُهُمْ﴾ كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يكذبون، و«مَا» مصدرية أو موصولة[4]، والعائد محذوف، أي: فيه.

﴿٢٩﴾ - ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ صَرَفْنَا﴾ أملنا ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ جن نصيبين باليمن[5] أو جن نينوى، وكانوا سبعة أو تسعة، وكان ﷺ ببطن نخل يصلي

---

(١) قوله: (هلّا). أفاد أن ﴿لَوْلَا﴾ تحضيضية.

(٢) قوله: (متقربًا بهم). أفاد أن ﴿قُرْبَانًا﴾ مصدر بمعنى: اسم المفعول.

(٣) قوله: (ومفعول ﴿اتَّخَذَ﴾...) ومن المعلوم أن ﴿اتَّخَذَ﴾ له مفعولان؛ فالمفعول الأول ضمير محذوف، أي: اتخذوهم. والثاني: ﴿قُرْبَانًا﴾ بمعنى: متقربًا بهم، و﴿ءَالِهَةً﴾ بدل أو عطف بيان، وحاصل المعنى: ذمهم على اتخاذ غير الله قربانًا معبودين، ويجوز كون ﴿ءَالِهَةً﴾ المفعول الثاني، و﴿قُرْبَانًا﴾ حال. ورجحه الزمخشري نظرًا إلى أن المعنى: ذمهم على اتخاذ غير الله آلهة، وليس أصل الذم على اتخاذ ما يتقرب به إلى الله بل على عبادتهم لغير الله.

(٤) قوله: (مصدرية). أي: فيكون حاصل المعنى: وذلك إفكهم وافتراؤهم، وإن كانت موصولة؛ فالمعنى: وذلك إفكهم والذي يفترونه، وتقدير العائد ضميرًا منصوبًا أولى؛ لأن العائد المجرور لا يحذف إلا بشروط كما هو معلوم في النحو. وتقدم بيانها في سورة طه الآية (١٥) وغيرها.

(٥) قوله: (جن نصيبين...). روى ابن جرير عن ابن عباس، وغيره: «لما بعث النبي ﷺ حرست السماء، فقال الشيطان: ما حرست إلا لأمر حدث، فبعث سراياه في الأرض =

بأصحابه الفجر. رواه الشيخان، ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿أَنصِتُوا۟ۖ﴾ أصغوا لاستماعه ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ فرغ من قراءته ﴿وَلَّوْا۟﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا، وكانوا يهودًا، وقد أسلموا.

﴿٣٠﴾- ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا﴾ هو القرآن ﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ[1] مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تقدمه، كالتوراة ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ الإسلام ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ أي: طريقه.

﴿٣١﴾- ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ محمدًا ﷺ[2] إلى الإيمان ﴿وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ﴾

= فوجدوا النبي ﷺ قائمًا يصلي الفجر بنخلة». اهـ. ملخصًا. وفي ما ورد عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان مع بعض أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وفي بعض ما نقل القرطبي: «كان ذلك في عودته من الطائف»، كما أن في رواية ابن عباس: «أنهم كانوا سبعة من جن نصيبين»، وفيما روى ابن جرير عن قتادة: «أنهم من جن نينوى»، وعن زر بن حبيش: «أنهم تسعة أحدهم زوبعة»، كما أن في بعض الروايات عن ابن مسعود، وابن عباس: «أن النبي ﷺ لم يشعر بحضورهم»، وفي بعض الروايات: أن النبي ﷺ كان أُمِرَ بقراءة القرآن عليهم. قال ابن كثير: «ما حاصله: أن الرسول ﷺ لم يشعر بحضورهم في هذه المرة -التي وقعت بنخلة-، فلما سمعوا القرآن ورجعوا إلى قومهم منذرين أتوا إليه أرسالًا قومًا بعد قوم وفوجًا بعد فوج». اهـ. فبذلك تتفق الروايات.

(١) ﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾. نقل القرطبي عن عطاء: «أنهم كانوا يهودًا فأسلموا، ولذلك قالوا: أنزل من بعد موسى». اهـ. وعن ابن عباس: «أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى فلذلك قالت: أنزل من بعد موسى». اهـ.

(٢) قوله: (محمدًا ﷺ). قال القرطبي: «هذا يدل على أنه ﷺ كان مبعوثًا إلى الإنس والجن»، قال مقاتل: «ولم يبعث الله نبيًّا إلى الجن والإنس قبل محمد ﷺ». اهـ.

الله ﴿لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: بعضها؛ لأن منها المظالم ولا تغفر إلا برضا أصحابها ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[1] مؤلم.

﴿٣٢﴾- ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ[2] دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ﴾ لمن لا يجيب ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الله ﴿أَوْلِيَآءُ﴾ أنصار يدفعون عنه العذاب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين لم يجيبوا ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ بيّن ظاهر.

﴿٣٣﴾- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعلموا[3]، أي: منكرو البعث ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ لم يعجز عنه ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ خبر «أَنَّ» وزيدت الباء فيه[4]؛

---

(١) ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾. بهذا استدل من يقول بأنه ليس لمؤمني الجن ثواب غير نجاتهم من النار. وهذا القول عزاه القرطبي إلى الحسن، وأبي حنيفة. وقيل: يجزون مثل الإنس، وعزي إلى مالك، والشافعي. وقال الضحاك: «الجن يدخلون الجنة، ويأكلون ويشربون»، وقال القشيري: «الصحيح أنه لا يقطع بشيء والعلم عند الله».اهـ. ذكر ذلك القرطبي.

(٢) ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ ...﴾. هذا من تتمة كلام أولئك النفر من الجن، كما يعلم من ابن جرير.

فائدة: قال القرطبي: «في ذكر قصة الجن تقريع للمشركين حيث آمن الجن عند سماع القرآن ولم يؤمن المشركون».اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (يعلموا). أفاد أن الرؤية هنا قلبية تقتضي مفعولين سد مسدهما جملة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ...﴾.

(٤) قوله: (وزيدت الباء...). تزاد الباء جوازًا لتأكيد النفي بعد «ليس» و«ما»، و«لم يكن». نحو: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، و﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ...﴾ [البقرة: ٧٤]، وقول الشاعر: «لم أكن بأعجلهم». ودخولها بعد «كان» المنفية قليل. وههنا دخلت الباء في خبر ﴿أَنَّ﴾، وذلك لشبه الجملة بالجملة المنفية بـ«ليس»؛ لأن الشيء إذا أشبه شيئًا =

لأن الكلام في قوة، أليس الله بقادر ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓ﴾ هو قادر على إحياء الموتى ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٣٣﴾.

٣٤- ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ بأن يعذبوا بها[١]، يقال لهم[٢]: ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا﴾ التعذيب ﴿بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٤﴾.

٣٥- ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾[٣] على أذى قومك ﴿كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ﴾ ذوو الثبات والصبر على الشدائد ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قبلك، فتكون ذا عزم، و«مِنَ» للبيان[٤]، فكلهم ذوو عزم، وقيل: للتبعيض[٥]، فليس منهم آدم؛ لقوله تعالى: «وَلَمۡ

= يأخذ حكمه، وله أمثلة كثيرة. وعزا القرطبي هذا التوجيه إلى الزجاج، كما عُزي ذلك إلى ابن هشام، قال الزجاج: «والعرب تدخلها -أي الباء- مع الجحْد، تقول: ما ظننت أن زيدًا بقائم، ولا تقول: ظننت أن زيدًا بقائم».اهـ.

(١) قوله: (بأن يعذبوا...). الباء للتصوير، فالعرض هنا التعذيب.

(٢) وقوله: (يقال:...). أفاد أن ما بعده مقول لقول محذوف، و﴿يَوۡمَ﴾ منصوب بهذا المقدر، أي: فهو ظرف لهذا القول، ويحتمل كونه منصوبًا بـ«اذكر» مقدرًا، كما في القرطبي.

(٣) ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ الفاء هي الفصيحة داخلة على جواب شرط مقدر، كأن المعنى: إذا كانت عاقبة الكفار ما ذكر فاصبر على أذاهم. قاله في «إعراب القرآن».

(٤) قوله: (و﴿مِنَ﴾ للبيان). وهذا روي عن ابن عباس وغيره. وجرى عليه ابن جرير.

(٥) وقوله: (وقيل: للتبعيض). أي: فبعض الرسل أولو العزم وأمر النبي ﷺ أن يكون منهم. ثم اختلف من هم. فالمشهور قول مجاهد: «هم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليهم وسلم»، وهم المذكورون في سورة الأحزاب والشورى. وبهم فسر ابن كثير. وهناك أقوال أخرى، فصلها القرطبي. وذكر أيضًا: قيل: إن هذه الآية منسوخة بآية السيف، وقيل: محكمة. والأظهر أنها منسوخة لأنها مكية، وذكر مقاتل أنها مدنية نزلت يوم أحد، فأمر الله نبيه ﷺ أن يصبر على ما أصابه يومئذٍ.اهـ.

﴿نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾ [طه: ١١٨]، ولا يونس لقوله تعالى: «وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ» [القلم: ٤٨]، ﴿وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ لقومك نزول العذاب بهم، قيل(١): كأنه ضجر منهم، فأحب نزول العذاب بهم، فأُمِرَ بالصبر وتَرْكِ الاستعجال للعذاب، فإنه نازل لا محالة ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الآخرة لطوله ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ﴾ في الدنيا في ظنهم ﴿إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ﴾(٢) هذا القرآن(٣) ﴿بَلَٰغٞۚ﴾ تبليغ من الله إليكم ﴿فَهَلۡ﴾ أي: لا ﴿يُهۡلَكُ﴾ عند رؤية العذاب ﴿إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ أي: الكافرون.

❁❁❁

---

(١) قوله: (قيل:...). يشير إلى ذلك قول ابن جرير: «يقول: لا تستعجل عليهم بالعذاب، أي: لا تعجل بمسألتك ربك ذلك لهم، فإن ذلك نازل بهم، لا محالة».اهـ.

(٢) ﴿إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ﴾. كما قال تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٣].

(٣) قوله: (هذا القرآن). قدره ليكون مبتدأ، و﴿بَلَٰغٞۚ﴾ خبره. وعزاه القرطبي إلى الحسن، كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]. وحذف المبتدأ وذكره لمناسبة بلاغية، والبلاغ بمعنى: التبليغ، اسم مصدر: بلَّغ. والاستفهام في ﴿فَهَلۡ﴾ للنفي، كما قدره المفسّر.

٤٧ - سورة محمد أو القتال

مدنية[١] إلا ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ...﴾ الآية، أو مكية[٢]،

وآياتها ثمان أو تسع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿وَصَدُّوا﴾ غيرهم ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الإيمان ﴿أَضَلَّ﴾ أحبط ﴿أَعْمَالَهُمْ (١)﴾ كإطعام الطعام[٣] وصلة الأرحام، فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا، ويجزون بها في الدنيا من فضله تعالى.

(٢)- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: الأنصار وغيرهم[٤] ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا

---

(١) قوله: (مدنية). نقل القرطبي عن الماوردي: «أنها مدنية في قول الجميع إلا ابن عباس، وقتادة، فإنهما قالا: إلا آية منها نزلت عليه بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكي حزنًا عليه، فنزل عليه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ...﴾ [الآية: ١٣]». وعلى هذا مشى المفسر، ولكن إذا قلنا إن المراد بالمدنية ما نزلت بعد الهجرة ولو بمكة تكون السورة مدنية كاملة، ولعل ذلك مراد من عدها كلها مدنية.

(٢) وقوله: (أو مكية). أي: كلها، وهذا قول آخر عزاه القرطبي إلى الثعلبي، وقال: «حكاه ابن هبة الله عن الضحاك وسعيد بن جبير».اهـ.

(٣) قوله: (كإطعام الطعام...). هذا التفسير ظاهر ما جرى عليه ابن جرير وغيره، وذكره القرطبي بدون عزو، ونقل عن الضحاك: «﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ».اهـ.

(٤) قوله: (الأنصار وغيرهم). فيه إشارة إلى ما روي عن ابن عباس: «الآية الأولى نزلت في أهل مكة، والثانية في الأنصار».

وقوله: (وغيرهم). أفاد أن المراد عموم المعنى لا خصوص السبب.

﴿نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ أي: القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ﴾ غفر لهم ﴿سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾ أي: حالهم، فلا يعصونه.

﴿٣﴾- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إضلال الأعمال وتكفير السيئات ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ الشيطان(١) ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ القرآن ﴿مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك البيان ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾﴾ يبين أحوالهم(٢)، أي: فالكافر يحبط عمله والمؤمن يغفر زَلَلَهُ.

﴿٤﴾- ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ مصدر(٣) بدل من اللفظ بفعله، أي: فاضربوا رقابهم، أي: اقتلوهم، وعبر بضرب الرقاب(٤)؛ لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فَشُدُّوا﴾ أي:

---

(١) قوله: (الشيطان). به فسر مجاهد، كما رواه ابن جرير. وقيل: ﴿الْبَاطِلَ﴾: الشرك. و﴿الْحَقَّ﴾: الإيمان. ذكره القرطبي.

(٢) قوله: (يبين أحوالهم). ظاهره أن الضمير «هم» راجع إلى الناس. كما هو ظاهر كلام ابن جرير. وقال القرطبي: «راجع إلى الذين آمنوا والذين كفروا».

وقوله: (يبين أحوالهم). يوافق ما قال القرطبي: «يبين الله للناس أمر الحسنات والسيئات»، أي: المثل بمعنى: الخبر والحال. وفسر ابن جرير: «كذلك نمثل للناس الأمثال ونشبّهم لهم الأشياء...». فالمثل على هذا بالمعنى المعروف. والله أعلم.

(٣) قوله: (مصدر). أي: «ضَرْب» مصدر، مفعول مطلق لفعلٍ محذوف تقديره: اضربوا. فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه. ولذلك زال عنه معنى التوكيد؛ لأن عامل المصدر المؤكِّد لا يحذف، فيكون معناه هنا: فاضربوا الرقاب. فقول المفسر: (بدل من اللفظ بفعله). أي: هذا المصدر نائب عن النطق بفعله وقائم مقامه.

(٤) وقوله: (وعبّر بضرب...). يشير إلى أن الكلام من المجاز المرسل، أطلق السبب وأريد المسبب، أي: القتل. أو هو كناية عن القتل.

فأمسكوا عنهم(١) وأسروهم وشدوا ﴿ٱلْوَثَاقَ﴾ ما يوثق به الأسرى(٢) ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله، أي: تمنون عليهم(٣) بإطلاقهم من غير شيء ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ أي: تفادونهم بمالٍ أو أسرى مسلمين ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ﴾ أي: أهلها(٤) ﴿أَوْزَارَهَا﴾ أثقالها من السلاح وغيره، بأن يسلم الكفار أو يدخلوا في العهد(٥)، وهذه غاية للقتل والأسر ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر، أي: الأمر فيهم ما ذكر ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ بغير قتال ﴿وَلَٰكِن﴾ أمركم به ﴿لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ منهم في القتال، فيصير من قتل منكم إلى الجنة ومنهم إلى النار ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾ وفي قراءة(٦):

---

(١) قول: (أي: فأمسكوا...). أفاد أن هٰهنا حذف جُمَلٍ، فهو من باب إيجاز الحذف.

(٢) وقوله: (ما يوثق به...). الوَثاق -بالفتح أو بالكسر-: ما يوثق به، وبالفتح قد يراد به المصدر.

(٣) قوله: (أي: تمنون...). فـ﴿مَنًّا﴾ مصدر مفعول مطلق حذف عامله؛ لأنه وقع في التفصيل بـ﴿إِمَّا﴾، كما ذكره ابن مالك. وكذا الحذف في ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ واجب لإقامة المصدر مقام الفعل. كما يعلم من كتب النحو.

(٤) قوله: (أي: أهلها...). ففي الكلام حذف مضاف، أو يقال إسناد الفعل ﴿تَضَعَ﴾ إلى الحرب من المجاز العقلي.

(٥) قوله: (بأن يسلم...). الباء للتصوير، فهو تصوير لوضع الحرب أوزارها. وبنحوه فسر البيضاوي، قال: «أي: تنقضي الحرب ولم يبق إلا مسلم أو مسالم».اهـ. وعن الحسن، والكلبي، والفراء: «حتى يسلم الخلق»، وعن مجاهد: «حتى نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

(٦) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ أبو عمرو، وحفص، ويعقوب: ﴿قُتِلُوا۟﴾. والباقون: ﴿قَٰتَلُوا۟﴾.

فائدة: قال القرطبي: «لما ميز الفريقين أَمَرَ بجهاد الكفار».اهـ. وقال أيضًا: «اختلف في نسخ هذه الآية: فقيل: منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وروي عن ابن عباس وغيره. وقيل: محكمة، والإمام مخير في أمر الأسرى، روي عن ابن عباس أيضًا، وابن عمر، والحسن، وعطاء، وهو مذهب مالك والشافعي».اهـ. ملخصًا. واختاره ابن جرير وغيره.

«قَاتَلُواْ»، الآية نزلت يوم أحد[١]، وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ﴾ يحبط ﴿أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤﴾.

۝٥ - ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ في الدنيا والآخرة إلى ما ينفعهم[٢] ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾ حالهم فيهما، وما في الدنيا لمن لم يقتل، وأدرجوا في «قُتِلُواْ» تغليبًا[٣].

۝٦ - ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا﴾ بيّنها ﴿لَهُمْ ۝٦﴾ فيهتدون إلى مساكنهم منها[٤] وأزواجهم وخدمهم من غير استدلال.

۝٧ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: دينه ورسوله[٥] ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ يثبتكم في المعترك[٦].

۝٨ - ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة، مبتدأ خبره: تعسوا، يدل عليه: ﴿فَتَعْسًا

---

(١) وقول المفسر: (نزلت يوم أحد...). رواه ابن جرير، والقرطبي، عن قتادة، قال: «ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد...إلخ».

(٢) قوله: (في الدنيا والآخرة...). وبمثله فسر ابن جرير.

(٣) وقوله: (وأدرجوا...). يعني: أن الهداية في الدنيا إلى مصالحهم خاصة بالأحياء فيها. فعلى قراءة ﴿قُتِلُواْ﴾ يكون فيها تغليب للمقتول على غيرهم، حيث أريد بـ﴿قُتِلُواْ﴾ الأحياء والأموات تغليبًا. فقول المفسر: (وما في الدنيا). (ما) اسم موصول مبتدأ، وخبره قوله: (لمن لم يقتل). أي: كائن لمن لم يُقتل.

(٤) قوله: (فيهتدون...). هكذا روى ابن جرير، عن قتادة، ومجاهد، وابن زيد، وفسر بذلك.

(٥) قوله: (أي: دينه ورسوله...). أفاد أن معنى نصر الله هو نصر دينه ورسوله، كما تقدم في سورة الحج ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [٤٠].

(٦) قوله: (يثبتكم...). تثبيت الأقدام يراد به التثبيت لأنفسهم، من إطلاق الجزء وإرادة الكل، من باب المجاز المرسل، قيل: عند الحرب. وقيل: على الإسلام. وقيل: تثبيت القلوب بالأمن. وكلها متلازمة.

لَّهُمْ﴾ أي: هلاكًا وخيبةً من الله[(١)] ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾﴾ عطف على (تعسوا).

﴿٩﴾ - ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التعس والإضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن المشتمل على التكاليف ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾.

﴿١٠﴾ - ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ﴾[(٢)] أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾ أمثال عاقبة ما قبلهم.

﴿١١﴾ -[(٣)] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نصر المؤمنين وقهر الكافرين ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى﴾ ولي وناصر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾.

﴿١٢﴾ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أي: ليس لهم همّ[(٤)] إلا بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ منزل ومقام ومصير.

---

(١) قوله: هلاكًا...). فسر بمعانٍ كلها متلازمة، فقيل: بُعدًا، عن ابن عباس. وقيل: حزنًا، عن السدي. وقيل: شقاءً، عن ابن زيد. وقيل: هلاكًا، عن ثعلب. وقيل: خيبة، عن الضحاك، وابن زيد. وقيل غير ذلك. كما في القرطبي. وهو مفعول مطلق لفعل محذوف قدره المفسر.

(٢) ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ﴾. «دمَّر»: قد يتعدى بنفسه وقد يتعدى بـ«على»، يقال: دمّره ودمّر عليه. أفاده القرطبي. الهمزة للاستفهام، والفاء عاطفة على محذوف أو استئنافية، وقد تقدم نظيرها كثيرًا.

(٣) نقل القرطبي عن قتادة: «أن هذه الآية نزلت يوم أُحد والنبي ﷺ في الشعب إذ صاح المشركون: يوم بيوم، لنا العُزّى ولا عُزى لكم. قال النبي ﷺ: «**قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم**».اهـ. وذكر ابن كثير هذا بسياق مفصل، والحديث في «صحيح البخاري». [«فتح الباري» (٦/ ١٨٨)].

(٤) قوله: (أي: ليس لهم...). فيه بيان وجه الشبه في هذا التشبيه الرائع.

(١٣)- ﴿وَكَأَيِّن﴾ وكم[(١)] ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد بها أهلها[(٢)] ﴿هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾ مكة، أي: أهلها ﴿ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ روعي[(٣)] لفظ «قرية»، ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ روعي معنى «قَرْيَةٍ» الأولى ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣)﴾ من إهلاكنا.

(١٤)- ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾[(٤)] حجة وبرهان ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وهم المؤمنون ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ فرآه حسنًا، وهم كفار مكة ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم (١٤)﴾ في عبادة الأوثان، أي: لا مماثلة بينهما.

(١٥)- ﴿مَّثَلُ﴾ أي: صفة[(٥)] ﴿ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ المشتركة بين

---

(١) قوله: (وكم). ﴿وَكَأَيِّن﴾: في محل رفع مبتدأ، بمعنى «كم» الخبرية. والخبر: جملة ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾، وجملة ﴿هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً﴾ في محل رفع نعت ﴿وَكَأَيِّن﴾.

(٢) وقوله: (أريد بها أهلها). أشار أنه مجاز مرسل أطلق المحل وأريد الحال. أو بتقدير مضاف، على مذهب النحاة.

(٣) قوله: (روعي...). أي: حيث «أنّث» الضمير في ﴿أَخْرَجَتْكَ﴾، ثم رجع الضمير إلى القرية الأولى باعتبار المعنى، أي: ضمير الجمع في ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾، وهذا شبيه بما يسمى استخدامًا في فن البلاغة. والاستخدام عندهم: إطلاق لفظ ذي معنيين ويراد به أحدهما، ثم يعود إليه الضمير باعتبار المعنى الآخر، أو يعود إليه ضمير باعتبار معنًى وضمير آخر باعتبار المعنى الآخر، كما يعلم من كتب البلاغة، وقد تقدم لنا مثاله.

(٤) ﴿أَفَمَن﴾. الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء: استئنافية أو عاطفة على محذوف، و«من»: اسم موصول صلته جملة ﴿كَانَ﴾، وهو مبتدأ، خبره: ﴿كَمَن زُيِّنَ...﴾. نقل القرطبي عن أبي العالية: «﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: محمد ﷺ، والبينة: الوحي، و﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ﴾: أبو جهل والكفار».اهـ.

(٥) قوله: (أي: صفة). بذلك فسر ابن جرير وغيره، قال القرطبي: «لما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ...﴾ وصف تلك الجنات».اهـ.

داخليها[(١)]، مبتدأ[(٢)]، خبره: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ بالمد والقصر[(٣)]، كضاربٍ وحذرٍ، أي: غير متغير بخلاف ماء الدنيا فيتغير بعارض ﴿وَأَنْهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾ بخلاف لبن الدنيا؛ لخروجه من الضروع[(٤)] ﴿وَأَنْهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ﴾ لذيذة ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب ﴿وَأَنْهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى﴾ بخلاف عسل الدنيا فإنه بخروجه من بطون النحل يخالط الشمع وغيره ﴿وَلَهُمۡ فِيهَا﴾ أصناف ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ فهو راض عنهم، مع إحسانه إليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد في الدنيا، فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطًا عليهم ﴿كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ﴾ خبر مبتدأ مقدر[(٥)]، أي: أمن هو في هذا النعيم ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا﴾ أي: شديد الحرارة ﴿فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ۝١٥﴾ أي: مصارينهم، فخرجت من أدبارهم، وهو جمع مِعًى بالقصر[(٦)] وألفه عن ياء لقولهم: مِعَيَانِ.

---

(١) قوله: (المشتركة). نعت ﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾. يشير إلى أن هذه النعم المذكورة يشترك فيها كل أهل الجنة، وإن كان بينهم تفاوت في الدرجات.

(٢) وقوله: (مبتدأ). أي: إعراب ﴿مَّثَلُ﴾: مبتدأ. وخبره: جملة ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٞ...﴾.

(٣) قوله: (بالمد والقصر...). أي: آسن، وأَسِن. قرأ ابن كثير: بالقصر. والباقون: بالمد. والآسن: اسم فاعل من: أَسَنَ يأسِنُ، من باب: دخل وضرب. والأسن: صفة مشبهة من: أَسِنَ يأسَنُ، كطَرِبَ، كما يعلم من «المختار» وغيره.

(٤) قوله: (لخروجه من الضروع). أما لبن الجنة فخلقه الله ابتداءً في الأنهار. ذكره ابن جرير.

(٥) قوله: (خبر مبتدأ مقدر). كما ذكره المعربون، وكما يعلم من كلام الفراء، قال: «المعنى: أفمن يخلد في هذا النعيم كمن يخلد في النار؟!».اهـ.

(٦) قوله: (جمع «مِعَى»). بكسر الميم. وهو يائيّ بدليل تثنيته على: مِعَيانِ. وفي التثنية يظهر الأصل، كما تقول في تثنية «عصا»: عصوان، وفي تثنية «فتى»: فتيان. وهو المراد بقوله: (لقولهم: مِعَيان).

﴿١٦﴾- ﴿وَمِنْهُم﴾ أي: الكفار ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ في خطبة الجمعة[(١)]، وهم المنافقون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ لعلماء الصحابة، منهم: ابن مسعود وابن عباس[(٢)]؛ استهزاءً وسخرية ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ بالمد والقصر[(٣)]، أي: الساعةَ، أي: لا يُرجع إليه[(٤)] ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ في النفاق.

---

(١) قوله: (في خطبة الجمعة). نقل القرطبي عن مقاتل، والكلبي: «أنهم المنافقون: عبدالله بن أبيّ وأصحابه كانوا يحضرون الخطبة يوم الجمعة، فإذا سمعو ذكر المنافقين فيها أعرض عنه، فإذا خرجوا سألوا عنه».اهـ. وروى ابن جرير عن قتادة: «أن الآية في المنافقين».

فقول المفسر: (الكفار). أي: جملة الكفار الشاملة للمنافقين وليس المراد كفار مكة فقط.

(٢) قوله: (منهم: ابن مسعود...). قال عكرمة: «هو ابن عباس، أي: المراد بالذين أوتوا العلم». وروى ابن جرير عن ابن عباس نفسه، قال: «كنتُ ممن أُسأل».اهـ. وفي رواية عن ابن عباس: «أنه ابن مسعود»، وكذا قال عبدالله بن بريدة: «إنه ابن مسعود»، روى ابن جرير عن ابن زيد: «أنهم الصحابة».اهـ. كما ذكر القرطبي. وفي كلام المفسر إشارة إلى هذه الأقوال الثلاثة.

(٣) قوله: (بالمد والقصر). أي: آنفًا وأَنِفًا. قرأ ابن كثير: بالقصر. والباقون: بالمد. وهو منصوب على الظرفية، ومعناه: الساعة. كما قال المفسر.

و﴿مَاذَا﴾ يجوز فيه إعرابان:

١- «ما»: اسم استفهام مبتدأ، و«ذا»: اسم موصول خبر، صلته ﴿قَالَ﴾.

٢- ماذا: اسم استفهام في محل نصب بـ﴿قَالَ﴾.

(٤) قوله: (أي: لا يرجع إليه). توضيح لمضمون ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ أي: ليس مما يستفاد منه ويرجع إليه ويفكر فيه... على زعمهم استهزاءً منهم.

﴿١٧﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ وهم المؤمنون ﴿زَادَهُمْ﴾ الله[١] ﴿هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ ألهمهم ما يتقون به النار.

﴿١٨﴾- ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظرون[٢]، أي: كفار مكة ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدل اشتمال من «ٱلسَّاعَةَ»، أي: ليس الأمر إلا أن تأتيهم ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتها، منها: بعثة النبي ﷺ[٣]، وانشقاق القمر[٤] والدخان ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ الساعة[٥] ﴿ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ تذكرهم، أي: لا ينفعهم.

﴿١٩﴾- ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: دُمْ[٦] يا محمد على علمك بذلك النافع

---

(١) قوله: (الله). بيان للضمير المستتر في «زاد». وفسّر ﴿هُدًى﴾ هنا بالإيمان، كما في ابن جرير. وقيل: العلم. روي عن الربيع بن أنس. وقيل: البصيرة. روي عن الكلبي. وكل ذلك متلازمة. وهذه الآية مما استدل بها أهل السنة على أن الإيمان يزيد وينقص، كما ذكرها البخاري في أول كتاب الإيمان، والخلاف في ذلك مع المرجئة، كما قررنا في أول سورة البقرة.

(٢) قوله: (ما ينتظرون). أفاد أن الاستفهام بمعنى: النفي، والنظر بمعنى الانتظار؛ ولذا تعدّى بدون حرف جرّ.

«الأشراط»: جمع شرَطٍ -بفتح الراء- بمعنى: العلامة. وأما الشرْط -بسكون الراء-: فجمعه: «شروط».

(٣) قوله: (منها بعثة النبي ﷺ...). كما في «صحيح البخاري» عن سهل بن سعد قال: رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا بالوسطى والتي تليها: «**بعثت أنا والساعة كهاتين** -وضم السبابة والوسطى-». [«فتح الباري» (٨/ ٥٦٠)].

(٤) وقوله: (وانشقاق القمر...). قاله الحسن فيما نقله القرطبي.

(٥) قوله: (الساعة). بيان للضمير المستتر في ﴿جَآءَتْهُمْ﴾. و﴿ذِكْرَىٰهُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، خبره: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾.

(٦) قوله: (دُمْ...). هذا أحد الأوجه المذكورة في معنى الأمر في هذه الآية. فالأمر بالشيء إذا =

في القيامة ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ لأجله. قيل له ذلك[١] مع عصمته لتستن به أمته، وقد فعله، قال ﷺ[٢]: «**إني لأستغفر الله في كل يوم مئة مرة**». ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾ فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ متصرفكم لأشغالكم في النهار[٣] ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ مأواكم إلى مضاجعكم

= كان المخاطب متصفًا به يكون أمرًا بالاستدامة، واستجداد تذكّره. كما يقال في الدعاء في ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦]، أنه دعاءٌ للاستدامة.

نقل القرطبي عن الماوردي ثلاثة أوجه:

الأول: اعلم أن الله أعلمك أن «لا إله إلا الله».

الثاني: ما علمته استدلالًا فاعْلَمْه خبرًا يقينًا.

الثالث: فاذكر أن «لا إله إلا الله». فهذا الثالث يوافق ما فسر به المفسر.

(١) قوله: (قيل له ذلك). جواب لسؤال، تقديره: «إن النبي ﷺ وكذا سائر الأنبياء معصومون، فما معنى طلب الاستغفار منهم»؛ فأجاب المفسر أن ذلك ليتبع به أمته، مع أن الاستغفار بذاته عبادة، وقيل المعنى: استغفر الله أن يقع منك ذنب أو استغفر الله ليعصمك من الذنوب، كما في القرطبي، أو هضمًا لنفسك كما يعلم من البيضاوي. أو تداركًا للانشغال ببعض الأمور التي تتعلق بالحياة الإنسانية، كما يعلم من حديث مسلم الآتي.

(٢) قوله: (قال ﷺ:...). هذا طرف من حديث رواه مسلم في «صحيحه (٢٧٠٥)، وتمامه: عن الأغرّ المزني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليُغانُ على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**». يُغَان: أي: يغطي ويغشى. والمراد به بعض السهو العارض للانشغال ببعض أمور الحياة. فيستغفر الله لذلك، وإن لم يكن معصية، قال ابن علان في «دليل الفالحين» ما حاصله: «أنه ﷺ كان يرتقي لمقام القرب من الله تعالى، فإذا ارتقى مقامًا رأى ما كان دونه كالنقص، فاستغفر الله».اهـ. ملخصًا.

الخلاصة: لا دلالة في هذه الآية على عدم عصمة الأنبياء كما تعلق بها بعض أهل البدعة.

(٣) قوله: (متصرفكم...). هذا أحد الأوجه في معنى المتقلب والمثوى. وبه فسر ابن جرير.=

بالليل، أي: هو عالم بجميع أحوالكم، لا يخفى عليه شيء منها فاحذروه. والخطاب للمؤمنين وغيرهم.

﴿٢٠﴾- ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ طلبًا للجهاد[١] ﴿لَوْلَا﴾ هلّا[٢] ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ أي: لم ينسخ منها شيء[٣] ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ أي: طلبه ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك، وهم المنافقون ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ خوفًا منه وكراهية له، أي: فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾ مبتدأ[٤]، خبره:

= ونقل القرطبي فيه خمسة أوجه؛ منها ما روي عن ابن عباس، والضحاك: «المتقلب: الدنيا، والمثوى: الآخرة»، وعن عكرمة: «المتقلب: من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، والمثوى: المقام في الأرض». قال القرطبي: «والعموم يأتي على هذا كله».اهـ.

(١) قوله: (طلبًا للجهاد). كما قال القرطبي: «اشتياقًا إلى الوحي وحرصًا على الجهاد وثوابه».

(٢) قوله: (هلّا). أفاد أن ﴿لَوْلَا﴾ تحضيضية. ولكن ليس فيها معنى الاستنكار بل إبداء الحرص على الأمر بالجهاد، كما يعلم من كلام القرطبي السابق وقول الفسرين.

(٣) قوله: (أي: لم ينسخ...). كما روى ابن جرير عن قتادة، قال: «كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشد القرآن على المنافقين».اهـ.

فائدة: هذه الآيات فيها بيان لموقف المؤمنين والمنافقين من الجهاد في سبيل الله.

(٤) قوله: (مبتدأ). أي: فالجملة الاسمية تكون هكذا: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ...﴾ هذا أحد الأوجه في الإعراب ذكرها المعربون. وعلى هذا ﴿فَأَوْلَىٰ﴾ اسم التفضيل من «الولي»، واللام بمعنى: الباء، أي: أولى بهم طاعة. وقيل: خبر مبتدأ محذوف، تقديره: الويل أو الهلاك أولى لهم. وعلى هذا تكون الآية التالية مستأنفة. وقال الأصمعي: «أنه فعل ماض يحمل ضميرًا مستترًا، أي: قرب لهم الهلاك»، وعلى هذا تكون الآية التالية مستأنفة أيضًا. و﴿طَاعَةٌ﴾: مبتدأ حذف خبره، أي: أحسن وأمثل. وذكر المعربون أوجهًا أخرى.

(٢١)- ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي: حسن لك ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: فرض القتال[١] ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ (٢١)﴾ وجملة «لَوْ» جواب «إِذَا».

(٢٢)- ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بفتح السين وكسرها[٢]، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب[٣]، أي: لعلكم[٤] ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان[٥] ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ (٢٢)﴾ أي: تعودوا إلى أمر الجاهلية من البغي والقتال.

(٢٣)- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي: المفسدون ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ (٢٣)﴾ عن طريق الهداية.

---

(١) قوله: (أي: فرض القتال). كما فسر ابن جرير.

(٢) قوله: (بفتح السين...). كسر السين: قراءة نافع. وفتحها: قراءة الباقين. وهما وجهان في «عسى» إذا أسندت إلى الضمير المتحرك.

(٣) قوله: (التفات...). أي: حيث عبر عنهم بالغيبة أولًا في ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم﴾ وما بعده، ثم بالخطاب في ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ وما بعده، والالتفات من أساليب البديع، كما ذكر البلاغيون.

(٤) قوله: (أي: لعلكم...). بمثله فسر ابن جرير، ويفيد كلامه أن الخطاب لهؤلاء المنافقين المذكورين، كما يفيده كلام ابن كثير، والقرطبي وغيرهما، ويفيد هذا التفسير أن الاستفهام هنا للتقرير، والله أعلم.اهـ.

(٥) قوله: (أعرضتم). وبمثله -إلى آخر ما قال المفسر- فسر ابن جرير. وروي عن قتادة، وابن جريج نحوه. وقال أبو العالية: «إن توليتم الحكم...» فيكون من الولاية، ومثله عن الكلبي.

﴿٢٤﴾- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فيعرفون الحق ﴿أَمْ﴾ بل[١] ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾ لهم ﴿أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ فلا يفهمونه.

﴿٢٥﴾- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ﴾ بالنفاق[٢] ﴿عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ﴾ زين ﴿لَهُمْ وَأُمْلِىَ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ بضم أوله وبفتحه واللام[٣]، والمملي: الشيطان، بإرادته تعالى فهو المضل لهم[٤].

﴿٢٦﴾- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ أي: للمشركين[٥] ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ أمر المعاونة على عداوة

---

(١) قوله: (بل). أفاد أن ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة إضرابية. فالمعنى: بل على قلوبهم أقفال أقفلها الله عَزَّوَجَلَّ عليهم فهم لا يعقلون. وهذا يردّ على القدرية. أفاده القرطبي.

(٢) قوله: (بالنفاق). أي: فهذه الآيات في المنافقين، قعدوا عن القتال بعد ما علموه في القرآن، روي ذلك عن ابن عباس، والضحاك، والسدي. وقال قتادة: «هم كفار أهل الكتاب، كفروا بالنبي ﷺ بعد ما عرفوا نعته عندهم».اهـ.

(٣) قوله: (بضم أوله...). قرأ أبو عمرو: ﴿وَأُمْلِىَ﴾: بصيغة المبني للمفعول، وهوالمراد بقوله: (بضم أوله) أي: بضم الهمزة.

وقوله: (بفتحه واللام). أي: بفتح الهمزة وفتح اللام: ﴿وَأَمْلَىٰ﴾: قراءة الباقين. ويكون الفاعل: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، ولكن بإرادته تعالى وقضائه. وقرأ الجمهور: بصيغة المبني للفاعل: ﴿وَأَمْلَىٰ﴾. وقرأ يعقوب: ﴿وَأُمْلِي﴾: بصيغة المضارع؛ خطابًا من الله، بمعنى: أمهِلُ لهم.

(٤) وقول المفسر: (فهو المضل) فيه دخول إلى الآية التالية.

(٥) قوله: (أي: للمشركين). تفسير ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾، كما فسر بذلك القرطبي. ويعلم من كلام ابن جرير أن المراد طائفة من المنافقين سارّوا بينهم بذلك، فأظهر الله عليهم إسرارهم.

النبي ﷺ، وتثبيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سرًّا فأظهره الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَسۡرَارَهُمۡ ٢٦﴾ بفتح الهمزة، جمع سرّ، وبكسرها مصدر[(١)].

٢٧- ﴿فَكَيۡفَ﴾ حالهم[(٢)] ﴿إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ﴾ حال من «ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ» ﴿وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ٢٧﴾ ظهورهم بمقامع من حديد.

٢٨- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التوفي على الحالة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ أي: العمل بما يرضيه[(٣)] ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٢٨﴾.

٢٩- ﴿أَمۡ[(٤)] حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ٢٩﴾ يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين.

---

(١) قوله: (بفتح الهمزة...). قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: بكسر الهمزة، مصدر «أسرّ». والباقون: بفتحها، جمع «سِرّ».

(٢) قوله: (حالهم). قدره ليكون مبتدأ، و﴿كَيۡفَ﴾: خبرًا مقدمًا. وقدره بعض المفسرين: فكيف تكون حالهم، كما في القرطبي. وفيه حذف «كان» مع اسمها، ولا يطرد ذلك إلا بعد «إن» و«لو» الشرطيتين، أما حذف المبتدأ فمطرد، فيكون تقدير المفسر أولى.

(٣) قوله: (العمل بما يرضيه). قال ابن جرير: «وكرهوا ما يرضيه عنهم من قتال الكفار به بعد ما افترض عليهم».اهـ. وفي كلام المفسر إشارة إلى أن الرضوان هنا مجاز مرسل؛ لأن المراد به العمل الذي يكون سببًا للرضوان.

(٤) ﴿أَمۡ﴾. هنا منقطعة تتضمن معنى الاستفهام الاستنكاري. والأضغان جمع ضِغْن. قال الجوهري: «الحقد»، وقد فسر هنا بالحسد. قاله ابن عباس. وبالغش. قاله السدي. قال ابن عباس في تفسير هذه الآية وما بعدها: «هم أهل النفاق، وقد عرّفه إياهم في براءة، فقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم﴾ [الآية: ٨٤]، وقال: ﴿فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا﴾ [التوبة: ٨٣] الآية».

(٣٠)- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ عرّفناكهم[١]، وكررت اللام في ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ علامتهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ الواو لقسم محذوف[٢]، وما بعدها جوابه ﴿فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: في معناه[٣] إذا تكلموا عندك بأن يعرضوا بها فيه تهجين أمر المسلمين ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ (٣٠)﴾.

(٣١)- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ نختبرنكم بالجهاد وغيره ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ علم ظهور[٤]

---

(١) قوله: (عرّفناكهم). وبه فسر القرطبي وقال: «تقول العرب: سأريك ما تصنع، أي: سأعلّمك».اهـ.

الخلاصة: الرؤية هنا بمعنى: العلم، نقل القرطبي عن أنس قال: «ما خفي على النبي ﷺ بعد هذه الآية أحد من المنافقين، كان يعرفهم بسيماهم، وكنا في غزوة وفيها سبعة من المنافقين يشك فيهم الناس، فأصبحوا ذات ليلة وعلى جبهة كل واحدٍ منهم مكتوب «هذا منافق»، فذلك سيماهم».اهـ. والسِّمَى، والسُومة والسِّيمة والسِّيماءُ: العلامة. كما يعلم من «المنجد»، و«القاموس».

(٢) قوله: (الواو لقسم محذوف). لعل المراد: أن بعد الواو قسمًا محذوفًا، التقدير: والله لتعرفنهم. والدال على القسم: اللام وتوكيد الفعل، والواو حرف عطف؛ لأن حذف المجرور بعد إبقاء الجار ليس مطردًا. وأما حذف الجار وإبقاء المجرور مجرورًا فذلك مطرد في مواضع فصلناها في كتاب «الاستثناءات».

(٣) قوله: (معناه...). كما قال ابن جرير: «في معنى قولهم»، قال البيضاوي: «لحن القول: أسلوبه أو إمالته إلى جهة تعريض وتورية، ومنه قيل للمخطئ: لاحن؛ لأنه يعدل بالكلام عن الصواب».اهـ. وفي قول المفسر: (إذا تكلموا...إلخ) إشارة إلى هذا المعنى. قال الكلبي: «فلم يتكلم بعد نزولها عند النبي منافق إلا عرفه».اهـ.

(٤) قوله: (علم ظهور). قيد به لأن الله تعالى عالم بكل شيء قبل وقوعه، كما تقدم في البقرة وغيرها.

﴿ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في الجهاد وغيره ﴿وَنَبْلُوَا۟﴾[١] نظهر ﴿أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره. بالياء والنون في الأفعال الثلاثة[٢].

﴿٣٢﴾- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريق الحق ﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ خالفوه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ هو معنى سبيل الله ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾ يبطلها من صدقة ونحوها[٣]، فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا، نزلت في المطعمين من أصحاب بدر[٤]، أو في قريظة ونضير[٥].

﴿٣٣﴾- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ بالمعاصي مثلًا[٦].

---

(١) ﴿وَنَبْلُوَا۟﴾: الواو عاطفة، والفعل منصوب عطفًا على ﴿نَعْلَمَ﴾.

(٢) قوله: (بالياء...). قرأ شعبة: بالياء في الأفعال الثلاثة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾، ﴿نَعْلَمَ﴾، ﴿وَنَبْلُوَا۟﴾. والجمهور قرؤوا: بالنون.

(٣) قوله: (يبطلها من صدقة...). كما فسر ابن جرير.

(٤) وقول المفسر: (نزلت في المطعمين...). هذا القول عزاه القرطبي إلى ابن عباس، يعني: في الكفار الذين أنفقوا للمقاتلين منهم في بدر.

(٥) وقوله: (أو في قريظة...). وهذا ذكره من دون عزو، قال: «يرجع إلى المنافقين أو إلى اليهود».

(٦) قوله: (بالمعاصي). هذا قاله الحسن فيما نقله القرطبي، قال: «أي: حسناتكم بالمعاصي». وعن الزهري: «بالكبائر»، وعن ابن جريج: «بالرياء والسمعة»، وعن مقاتل: «بالمنّ»، روى ابن جرير عن قتادة، قال: «من استطاع منكم ألا يبطل عملًا صالحًا عمله بعملٍ سيء فليفعل، ولا قوة إلا بالله، فإن الخير ينسخ الشر، وإن الشر ينسخ الخير، وإن ملاك الأعمال خواتيمها».اهـ. =

(٣٤) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريقه، وهو الهدى ﴿ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ٣٤﴾ نزلت في أصحاب القليب[١].

(٣٥) - ﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾ تضعفوا[٢] ﴿وَتَدۡعُوٓاْ[٣] إِلَى ٱلسَّلۡمِ﴾ بفتح السين وكسرها[٤]، أي: الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ حذفت منه واو[٥] لام

= **فائدة**: احتج الحنفية والمالكية بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ على أنه لا يجوز الخروج من النفل بعد الشروع فيه، وقياسًا على النذر، ويجوز ذلك عند الشافعية والحنابلة، لكن مع الكراهة بدون حاجة؛ لحديث عائشة أن النبي ﷺ أكل من حيسٍ بعد ما تلبس بصوم نفل، ولغيره من الأدلة.

وأما هذه الآية فهي من العام المخصوص، أو المراد بالإبطال: إبطال ثوابها بالرياء أو المعاصي أو الردة -نعوذ بالله من ذلك- كما فسر بذلك أئمة التفسير، والله أعلم

(١) قوله: (نزلت في أصحاب القليب). وهم كفار قريش الذين قتلوا في بدر، وألقوا جثثهم في القليب. والقليب: الحفرة الكبيرة كالبئر. وكون الآية نزلت فيهم ذكره البيضاوي، والقرطبي بدون عزو، وقال البيضاوي: «معناها عام في كل من مات على الكفر»، وقال أيضًا: «دل مفهوم الآية أن من مات مؤمنًا سيغفر ذنبه».

(٢) قوله: (تضعفوا). أي: عن القتال. مضارع: وهَنَ، مجزوم بـ«لا» الناهية.

(٣) ﴿وَتَدۡعُوٓاْ﴾: الواو عاطفة، و﴿تَدۡعُوٓاْ﴾: معطوف مجزوم، فيكون معنى الآية: النهي عن الضعف وعن المسالمة للكفار. ويحتمل كون الواو للمعية فيكون المعنى: لا تضعفوا مع الدعاء إلى المسالمة. ومآلهما واحد. وذكر الوجهين ابن جرير. والواو في ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ حالية، أو مستأنفة.

(٤) وقول المفسر: (بفتح السين...). قرأ بالكسر: شعبة، وحمزة، وخلف. وبالفتح: الباقون.

(٥) قوله: (حذفت...). أي: فأصله: الأعلوُون، حذفت الواو الأولى، فوزنه: الأفعون. وفسره بقوله: (الأغلبون القاهرون). روى ابن جرير نحوه عن قتادة، ومجاهد. قال القرطبي: «قيل: إن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ =

الفعل: الأغلبون القاهرون ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾ بالعون والنصر ﴿وَلَن يَتِرَكُمۡ﴾[١] ينقصكم ﴿أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٥﴾ أي: ثوابها.

٣٦- ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ الله، وذلك من أمور الآخرة ﴿يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ٣٦﴾ جميعها[٢]، بل الزكاة المفروضة فيها.

٣٧- ﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا[٣] فَيُحۡفِكُمۡ﴾ يبالغ في طلبها[٤] ﴿تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ﴾ البخل ﴿أَضۡغَٰنَكُمۡ ٣٧﴾ لدين الإسلام.

٣٨- ﴿هَٰٓأَنتُمۡ﴾ يا[٥] ﴿هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ما فرض

= [الأنفال: ٦١]». وعن ابن زيد: «هذه منسوخة بالقتال والجهاد»، وقيل: كلتا الآتين محكمة، نزلتا في وقتين مختلفين.

(١) ﴿وَلَن يَتِرَكُمۡ﴾. مضارع: وَتَر. مشتق من الوِتر، وهو الفرد. فكأن المعنى لن يفردكم بغير ثواب. قاله القرطبي.

(٢) قوله: (جميعها). وهذا المعنى نقله القرطبي عن ابن عيينة. وقيل: لا يسألكم محمد ﷺ أموالكم على تبليغ الرسالة. وقيل غير ذلك.

(٣) ﴿يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا﴾. فعل وفاعل ومفعولاه، ففيه من الإيجاز ما لا يخفى. والواو لإشباع الضم. ويجوز في الكلام كون الضمير الثاني منفصلًا، في نحو هذا التركيب، «يسألكم إياها»، والاتصال أرجح، كما فصل في النحو.

(٤) قوله: (يبالغ...). قال القرطبي: «يقال: أحفى بالمسألة وألحفَ وألحّ بمعنًى واحد».اهـ. قال القرطبي عن قتادة في معنى الآية: «قد علم الله أن في سؤال المال خروج الأضغان».اهـ، أي: فلم يسألكموها كما ذكر ابن جرير.

(٥) قوله: (يا). أفاد أن هؤلاء اسم الإشارة منادًى. وهذا أحد الأوجه والأولى إعرابه خبرًا. =

عليكم[١] ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ يقال: بخل عليه وعنه ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن نفقتكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ إليه ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يجعلهم بدلكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟[٢] أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ في التولي عن طاعته، بل مطيعين له عَزَّوَجَلَّ.

❁❁❁

= وجملة ﴿تُدْعَوْنَ﴾ خبرًا ثانيًا، أو مستأنفًا؛ لأن حذف حرف النداء مع اسم الإشارة ليس قويًا، وقد تقدم هذا التركيب في مواضع.

(١) قوله: (ما فرض عليكم). أي: كالجهاد وطرق الخير والزكاة.

(٢) ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟﴾. ﴿لَا﴾: نافية. و﴿يَكُونُوٓا۟﴾: مجزوم بالعطف على جواب الشرط ﴿يَسْتَبْدِلْ﴾.

فائدة: روى ابن جرير عن أبي هريرة بطرق: ما يفيد أن المراد بالقوم الذين يُستبدلون هم الفرس، قال أبو هريرة: لما نزلت ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ ...﴾ كان سلمان الفارسي إلى جنب رسول الله ﷺ، فقالوا: من هؤلاء القوم الذين إن تولينا استُبدلوا بنا؟ قال: فضرب النبي ﷺ على منكب سلمان، فقال: «**مِن هذا وقومه، والذي نفسي بيده لو أن الدين تعلق بالثريا لنالته رجال من أهل فارس**».اهـ. ورواه مسلم وغيره.

وعن عكرمة: «هم فارس والروم»، وعن ابن عباس: »هم الأنصار»، وعنه: «هم الملائكة»، وعن مجاهد: «إنهم من شاء من سائر الناس». والله أعلم.

٤٨ - سورة الفتح

مدنية[١]، وآياتها تسع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قضينا بفتح مكة وغيرها[٢] في المستقبل عنوةً[٣] بجهادك ﴿فَتْحًا مُّبِينًا (١)﴾ بينًا ظاهرًا.

(٢) - ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ بجهادك ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ منه لترغبَ

---

(١) قوله: (مدنية). قال القرطبي: «بإجماع»، نزلت ليلًا بين مكة والمدينة في شأن الحديبية، من أولها إلى آخرها. وفي الحديث المتفق عليه، قال النبي ﷺ لما نزلت: «**لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**»، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١)...﴾. وكان ذلك مرجعه من الحديبية.

(٢) قوله: (قضينا...). فسر بها؛ لأن مكة فتحت بعد نزول الآية بسنتين؛ لأن الحديبية كانت في السنة السادسة، وفتح مكة في السنة الثامنة، ولكن كانت الحديبية وما جرى فيها من الصلح بين المسلمين والمشركين مفتاحًا للفتح والخيرات الكثيرة. نقل القرطبي عن الزهري قال: «لقد كان الحديبية أعظم الفتوح، وذلك أن النبي ﷺ جاء إليها في ألف وأربعمائة، ولما وقع الصلح مشى الناس بعضهم في بعض، وعلموا وسمعوا عن الله، فما أراد أحد الإسلام إلا تمكن منه، فما مضت -تلك- السنتان إلا والمسلمون جاؤوا إلى مكة في عشرة آلاف».اهـ. وقد روي عن أنس، وجابر، ومجاهد وغيرهم أن المراد بالفتح هنا: فتح الحديبية.

(٣) قوله: (عنوة). إشارة إلى أن مكة فتحت عنوة لا صلحًا، ويترتب على ذلك بعض المسائل الفقهية؛ كجواز بيع البيوت فيها، والخلاف مع الحنابلة؛ لا يجوز في مذهبهم بيع بيوت مكة.

أمتك في الجهاد(١)، وهو مؤول(٢) لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالدليل العقلي القاطع، من الذنوب، واللام للعلة الغائبة(٣)، فمدخولها مسبب

---

(١) قوله: (لترغب...). توضيح للمراد بقوله تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ...﴾، وحاصله: أن الجهاد سبب للمغفرة وإتمام النعمة؛ فالمغفرة وإتمام النعمة مسبب عنه، ففي الآية الحث على الجهاد. فصار المعنى: لترغّب الأمة في الجهاد الذي يترتب عليه المغفرة.

(٢) وقوله: (وهو مؤول...). أي: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ...﴾ مؤول؛ لأن ظاهره يوهم أن للنبي ﷺ ذنبًا، وهو معصوم، فيكون المراد منه ما ذكر. كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [الآية: ١٩] من سورة محمد. فقول المفسر: (من الذنوب) متعلق بـ(عصمة).

(٣) وقوله: (واللام للعلة الغائبة). العلة الغائبة هي: ما تترتب على الشيء، كما تقول: بنيت الدار للسكنى، فالمغفرة والإتمام غاية، ومسبب عن الجهاد. قال ابن جرير ما حاصله: «﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ...﴾، أي: لتستغفر كما في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ [النصر: ٣]». والاستغفار عبادة لا تقتضي سبق الذنب. فقول المفسر: (فمدخولها). أي: مدخول اللام، وهو هنا ﴿يَغۡفِرَ﴾ مسبَّبٌ عن الجهاد.

والمراد بـ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، عن مجاهد: «ما قبل الرسالة وما بعدها»، وقيل: ما تقدم قبل الفتح وما تأخر عنه، وقيل غير ذلك، كما في القرطبي وغيره.

ومن الأدلة العقلية على عصمة النبي ﷺ وكذا سائر الأنبياء أنه لو وقع منه المعصية لعُنِّف بذلك، ولتمسَّك به أعداؤه الذين يطلبون أدنى متمسَّك للانتقاد عليه وعلى دعوته، وكما تدل على ذلك النصوص الكثيرة كقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ...﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ...﴾ [البقرة: ١٥١]. وقوله ﷺ: «**أنا أتقاكم**»، وغير ذلك.

وليعلم: أن المراد العصمة من ارتكاب الذنب صغيرًا كان أو كبيرًا قبل النبوة وبعدها. أما صدور الخطأ في الاجتهاد أو سهوًا فلا خلاف في ذلك والصدور غير الارتكاب، ولكن لا يقر على ذلك بل ينبه عليه، كما في قصة أسرى بدر وقصة ابن أم مكتوم. ولكن نتحاشى عن نسبة الخطأ إليه ﷺ. والله أعلم.

لا سبب ﴿وَيُتِمَّ﴾ بالفتح المذكور ﴿نِعْمَتَهُۥ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ﴾ به ﴿صِرَٰطًا﴾ طريقًا ﴿مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ يثبتك عليه، وهو دين الإسلام.

﴿٣﴾- ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ﴾ به ﴿نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ ذا عزّ، لا ذلّ معه.

﴿٤﴾- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة[(١)] ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بشرائع الدين[(٢)]، كلما نزَّل واحدةً منها آمنوا بها، ومنها الجهاد ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفًا بذلك[(٣)].

﴿٥﴾- ﴿لِّيُدْخِلَ﴾ متعلق بمحذوف، أي: أمر بالجهاد[(٤)] ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ

(١) قوله: (الطمأنينة) فسر بها ابن عباس وغيره، نقل القرطبي عنه قال: «كل سكينة في القرآن هي الطمأنينة، إلا التي في البقرة». اهـ. وأشار به إلى قوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ [البقرة: ٢٤٨]؛ فروى عن ابن عباس: «أنها طست من ذهب»، وروي عنه: «أنها الطمأنينة».

(٢) قوله: (بشرائع الدين). كما روى ابن جرير عن ابن عباس قال: «إن الله جل ثناؤه بعث نبيه محمدًا ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوا بها زادهم الصلاة، فلما صدقوا بها زادهم الصيام، فلما صدقوا به زادهم الزكاة، فلما صدقوا بها زادهم الحج، ثم أكمل لهم دينهم، فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ...﴾ [المائدة: ٣]». اهـ. وفيما نقله القرطبي عنه: تقديم الزكاة على الصيام.

واستدل أهل السنة بهذه الآية على زيادة الإيمان، والخلاف مع المرجئة، وقد تقدم.

(٣) قوله: (لم يزل...). أفاد أن المراد بـ﴿وَكَانَ﴾ الاتصاف الدائم، لا الاتصاف المنقطع، وقد تقدم نظير ذلك.

(٤) قوله: (أي: أمر بالجهاد...). هذا أحد الأوجه ذكرا المعربون. وقال البيضاوي: «متعلق بما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي: دبّر ما دبّر من تسليط المؤمنين»، وكذا ذكره أبو حيان. وقيل: متعلق بـ﴿فَتَحْنَا﴾، كما هو ظاهر ابن جرير أو ﴿أَنزَلَ﴾، أو بدل اشتمال من ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟﴾. ذكرها البيضاوي.

﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ٥﴾.

٦- ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة[١]، ظنوا أنه لا ينصر محمدًا ﷺ والمؤمنين[٢] ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ بالذل والعذاب ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ٦﴾ مرجعًا.

٧- ﴿وَلِلَّهِ[٣] جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا ٧﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفًا بذلك.

٨- ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ على أمتك[٤] في القيامة ﴿وَمُبَشِّرٗا﴾ لهم في الدنيا بالجنة ﴿وَنَذِيرٗا ٨﴾ منذرًا مخوفًا فيها من عمل سوءًا بالنار.

---

(١) قوله: (بفتح السين وضمها...). أي: ﴿ٱلسَّوۡءِۚ﴾، ﴿ٱلسُّوۡءِۚ﴾.
وقوله: (في المواضع الثلاثة). يعني: موضعين في هذه الآية، والثالث في الآية الآتية الرقم (١٢)، ولكن القراءاتان لم تقعا إلا في قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾؛ فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بالضم. والباقون: بالفتح. وأما الموضعان الباقيان فكلهم قرؤوا: بالفتح. قال الجوهري: «ساءه، يسوؤه، سَوْءًا -بالفتح-، ومساءة ومساية: نقيض سرّه، والاسم: السُوء»، أي: الفتح: مصدر، والضم: الاسم.

(٢) قوله: (ظنوا...). كان من ظنهم أن النبي ﷺ وأصحابه لا يرجعون إلى المدينة من الحديبية، بل يستأصلهم الكفار، كما في الآية الآتية (١٢). ذكره القرطبي.

(٣) ﴿وَلِلَّهِ...﴾. أعاد هذه الآية؛ لأن الذي سبق كان عقب ذكر المشركين من قريش، وهذا عقب ذكر المنافقين وسائر المشركين. والمراد في الموضعين التخويف. ذكره القرطبي.

(٤) قوله: (﴿شَٰهِدٗا﴾ على أمتك...). كما تقدم ذلك في سورة النساء وغيرها.

(٩)- ﴿لِّيُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بالياء والتاء فيه وفي الثلاثة بعده[(١)] ﴿وَيُعَزِّرُوهُ﴾ يَنصروه[(٢)]، وقرئ بزاءين مع الفوقانية[(٣)] ﴿وَيُوَقِّرُوهُ﴾ يُعظموه، وضميرهما لله أو لرسوله[(٤)] ﴿وَيُسَبِّحُوهُ﴾ أي: الله ﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾ بالغداة والعشي.

(١٠)-[(٥)] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بيعة الرضوان بالحديبية ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ هو نحو: «مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ» [النساء: ٨٠][(٦)]، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ التي بايعوا بها النبي ﷺ، أي: هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها[(٧)]

(١) قوله: (بالياء...). قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بالياء في الأفعال الأربعة. والباقون: بالتاء فيها.

(٢) قوله: (يَنصروه). قاله قتادة. وعن ابن عباس: «الإجلال».

(٣) قوله: (قرئ...). هذه شاذة. وإن كان المعنى صحيحًا.

(٤) قوله: (ضميرهما...). أي: الضمير في ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾: للنبي ﷺ، فينتهي الكلام ويستأنف بقوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾، أي: تسبحوا الله؛ فالضمير فيه لله تعالى. هذا القول عزاه القرطبي إلى الضحاك. أو الضمائر كلها لله تعالى. وعزاه إلى القشيري.

(٥) هذه الآية في بيعة الرضوان بالحديبية باتفاق المفسرين، وبيّن ذلك ابن كثير بسياق مفصل، وبروايات متعددة، ومحصّلها: أن النبي ﷺ أرسل عثمان بن عفان إلى عظماء قريش ليخبرهم أنه وأصحابه لم يأتوا للقتال، وإنما يريدون العمرة، فأشيع أن عثمان قتل، فبايع النبي ﷺ بمن معه ألا يفر منه لو حصل قتال، وكانوا ألفًا وأربعمائة، وقيل ألفًا وخمسمائة، وكانت البيعة تحت شجرة بالحديبية كما سنذكر في الآية الآتية.

(٦) قوله: (هو نحو: ﴿مَّن يُطِعِ...﴾). يعني: أن المراد بالبيعة مع الله هو البيعة لرسوله ﷺ، كما في آية: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾. وذكر ذلك ابن كثير وغيره.

(٧) قوله: (هو تعالى مطلع...). توضيح للمراد بقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾، علمًا بأن أهل السنة يثبتون صفة اليد لله تعالى كما يليق بجلاله، لكن المراد بهذه الجملة ما ذكره المفسر. وبنحوه فسر ابن كثير، قال: «أي: هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم، فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله ﷺ».اهـ.

﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ نقض البيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ﴾ يرجع وبال نقضه ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهِ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ﴾ بالياء والنون[(١)] ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ١٠﴾.

١١- ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ حول المدينة[(٢)]، أي: الذين خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفًا من تعرض قريش لك عام الحديبية، إذا رجعت منها[(٣)] ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن الخروج معك ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ الله من ترك الخروج معك، قال تعالى مكذبًا لهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم﴾ أي: من طلب الاستغفار وما قبله ﴿مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿قُلْ فَمَن﴾ استفهام بمعنى: النفي، أي: لا أحد ﴿يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ بفتح الضاد وضمها[(٤)] ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ١١﴾ أي: لم يزل متصفًا بذلك[(٥)].

---

(١) قوله: (بالياء والنون...). قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وروح: بالنون. والباقون: بالياء.
تنبيه: قرأ حفص بضم الهاء في ﴿عَلَيْهُ﴾. على خلاف الأكثر في هاء الضمير من كسرها بعد «على»، وقرأ الباقون بالكسر على الأصل.

(٢) قوله: (حول المدينة). نقل القرطبي عن ابن عباس، ومجاهد: «هم أعراب غِفار، ومُزَينة، وجُهينة، وأسلم، وأشجع، والدِيَل، وهم الأعراب الذين كانوا حول المدينة، تخلفوا عن رسول الله ﷺ حين أراد السفر إلى مكة، فتثاقلوا واعتلوا بالشغل»، كما أشار إلى ذلك المفسر.

(٣) قوله: (إذا رجعت منها). ظرف لـ﴿سَيَقُولُ﴾، أي: يقولون ذلك للنبي ﷺ بعد رجوعه من مكة.

(٤) قوله: (بفتح الضاد...). قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بالضم: ﴿ضُرًّا﴾. والباقون: بالفتح: ﴿ضَرًّا﴾. الفتح مصدر: ضَرَّ. والضم: الاسم. أي: ما ينال الإنسان من سوء الحال، كما في القرطبي.

(٥) قوله: (لم يزل). كما تقدم في الآية (٤).

﴿١٢﴾- ﴿بَلْ﴾ في الموضعين[١] للانتقال من غرضٍ إلى آخر ﴿ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ[٢] الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: أنهم يُستأصلون بالقتل، فلا يرجعون ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ هذا وغيره ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ جمع بائر، أي: هالكين[٣] عند الله بهذا الظن.

﴿١٣﴾- ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ نارًا شديدة.

﴿١٤﴾- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾ أي: لم يزل متصفًا بما ذكر[٤].

﴿١٥﴾- ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ المذكورون[٥] ﴿إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ هي مغانم خيبر[٦] ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا﴾ اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لنأخذ منها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ﴾ وفي قراءة[٧]: «كَلِمَ اللَّهِ» بكسر اللام، أي: مواعيده

(١) قوله: (في الموضعين). أي: هنا وفيما قبله في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ﴾ فهي للإضراب الانتقالي، وليس للإضراب الإبطاليّ. وتقدم ذكرهما في سورة الأنعام الآية (٢٨) وغيرها.

(٢) ﴿أَن لَّن يَنقَلِبَ﴾. ﴿أَن﴾ هنا مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، والجملة بعدها في محل رفع خبرها، وجملة ﴿أَن﴾ سدت مسد مفعولي «ظن».

(٣) قوله: (هالكين...). قاله مجاهد. وقال قتادة: «فاسدين».

(٤) قوله: (أي: لم يزل). كما تقدم في الآية (٤).

(٥) قوله: (المذكورون). أي: الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في الحديبية، فتكون «أل» الموصولة للعهد.

(٦) قوله: (هي مغانم خيبر). وذلك أن الله كان وعد أهل الحديبية مغانم خيبر وكانت لهم خاصة دون غيرهم عوضًا من غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح. ذكره ابن جرير وغيره. وروي عن مجاهد.

(٧) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾. والباقون: ﴿كَلَامَ اللَّهِ﴾. =

بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل عودنا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم فقلتم ذلك ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ منهم[(١)].

﴿١٦﴾- ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ المذكورين اختبارًا[(٢)] ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى﴾ أصحاب ﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قيل[(٣)]: هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة، وقيل: فارس والروم ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ﴾ حال مقدرة[(٤)]، هي المدعوّ إليها في المعنى ﴿أَوْ﴾

= والمراد بذلك وعده مغانم خيبر، كما قال المفسر. وذكره ابن جرير وغيره، وعزاه القرطبي إلى مجاهد، وقتادة، كما روى عنهما ابن جرير.

(١) قوله: (منهم). بهذا التقدير يكون قليلًا مستثنًى من الواو في ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾. والاستثناء متصل، والراجح في ذلك الرفعُ، أي: الإتْباعُ. فالأولى أن يعرب أنه مفعول به أو نعت للمفعول المطلق، أي: لا يفقهون إلا شيئًا قليلًا، أي: إلا أمر الدنيا، كما في القرطبي. أو لا يفقهون إلا فهمًا قليلًا، كما قاله البيضاوي. والاستثناء على هذا يكون مفرَّغًا.

(٢) قوله: (اختبارًا). أي: لإظهار ما في نفوسهم من العصيان والطاعة.

(٣) قوله: (قيل:...). اختلف في المراد بهذا القوم، فعن الزهري، ومقاتل: «أنهم بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب، وعن الحسن: «فارس والروم». وعن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد وغيرهم: «هم فارس»، وعن كعب، وعبدالرحمن بن أبي ليلى: «الروم»، وعلى هذه الأقوال تكون في الآية دلالة على خلافة الصديق والفاروق؛ لأن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعاهم إلى قتال بني حنيفة، وعمر دعاهم إلى قتال فارس والروم. ذكر ذلك القرطبي وغيره. وعن ابن جبير: «هوازن وثقيف، والقتال معهم كان غزوة حنين». قال ابن جرير: «ولم يثبت دليل على تعيين هذه الفرق، فيحتمل كون المراد بعضهم وكون المراد كلهم».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (حال مقدرة). وهي ما يكون وقوعها بعد زمن عاملها. والعامل هنا ﴿سَتُدْعَوْنَ﴾ فكونها حالًا مقدرة واضح.

هم[١] ﴿يُسۡلِمُونَۖ﴾ فلا تقاتلون ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ إلى قتالهم ﴿يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦﴾ مؤلمًا.

١٧- ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۗ﴾ في ترك الجهاد[٢] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ﴾ بالياء والنون[٣] ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ﴾ بالياء والنون ﴿عَذَابًا أَلِيمٗا ١٧﴾.

١٨- ﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحديبية[٤] ﴿تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ هي سمرة[٥]، وهم ألف وثلاثمائة أو أكثر[٦]، ثم بايعهم على أن

---

(١) قوله: (﴿أَوۡ﴾ هم...). بتقدير الضمير تكون الجملة مستأنفة، ويصح عطفها على ﴿تُقَٰتِلُونَهُمۡ﴾، فلا يحتاج إلى التقدير، وعلى كل حال ليست ﴿أَوۡ﴾ هنا بمعنى: «حتى»؛ لأنه لو كانت كذلك لكان الفعل منصوبًا بـ«أن» مضمرة وجوبًا.

(٢) قوله: (في ترك الجهاد). كما قاله قتادة. وفسر به أئمة التفسير. نقل القرطبي عن ابن عباس: «لما نزلت ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم...﴾ الآية، قال أهل الزمانة: كيف بنا يا رسول الله؟ فنزلت ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ...﴾ الآية. أي: لا إثم عليهم في التخلف عن الجهاد لعماهم وزمانتهم وضعفهم».اهـ.

(٣) قوله: (بالياء والنون). قرأ بالنون هنا وفي ﴿يُعَذِّبۡهُ﴾: نافع، وابن عامر، وأبو جعفر. وبالياء: الباقون.

(٤) قوله: (بالحديبية). هذه هي بيعة الرضوان باتفاق المفسرين، وتقدمت الإشارة إلى ملخصها.

(٥) قوله: (هي سمرة). أي: الشجرة كانت من نوع السمرة بالحديبية، فتكون «أل» في ﴿ٱلشَّجَرَةِ﴾: عهدية ذهنية.

(٦) قوله: (وهم ألف وثلاثمائة...). اختلف في عدد المبايعين، فروي عن جابر: «كانوا ألفًا وخمسمائة»، وفي رواية عن جابر: «كانوا ألفًا وأربعمائة»، وروي ذلك عن قتادة أيضًا. =

يناجزوا قريشًا، وأن لا يفرّوا من الموت ﴿فَعَلِمَ﴾ الله ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ هو فتح خيبر[١] بعد انصرافهم من الحديبية.

﴿١٩﴾- ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من خيبر[٢] ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ أي: لم يزل متصفًا بذلك[٣].

﴿٢٠﴾- ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ من الفتوحات[٤] ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾ غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾ في عيالكم لما خرجتم وهمت بهم

= وعن عبدالله بن أبي أوفى: «هم ألف وثلاثمائة»، وعن ابن عباس: «كانوا ألفًا وخمسمائة وخمسة وعشرين». ذكرها ابن جرير وغيره من المفسرين، وهي مشهورة في كتب السير والأحاديث، وكان آخر الأمر في الحديبية: «أن جرت السفراء بين رسول الله ﷺ وبين قريش حتى جرى الاتفاق: أن ينصرف المسلمون هذا العام، ويأتوا في العام القابل ويعتمروا، ويقيموا ثلاثة أيام، بدون أدوات الحرب إلا السيوف التي يحملونها، وجرى الصلح بينهم أن لا يكون قتال لمدة عشر سنوات.

الخلاصة: كان هذا الصلح مفتاحًا للفتح ودخول الناس في الإسلام، ففتحت مكة في السنة الثامنة. ولله الحمد.

(١) قوله: (هو فتح خيبر...). كان لأهل الحديبية خاصة. روى ابن جرير، عن ابن أبي ليلى، وقتادة: «أن المراد بهذا الفتح: فتح خيبر»، وقيل: فتح مكة.

(٢) قوله: (من خيبر). كما فسر به ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (أي: لم يزل...). كما تقدم. أفاد أن ﴿كَانَ﴾ هنا للاتصاف الدائم، وليس لإفادة شيء كان ثم انقطع. وتقدم نظيره.

(٤) قوله: (من الفتوحات). روي عن ابن عباس، ومجاهد: «أنها المغانم التي تكون إلى يوم القيامة»، كما جرى عليه المفسر، وعن ابن زيد: «هي مغانم خيبر».

اليهود[١]؛ فقذف الله في قلوبهم الرعب ﴿وَلِتَكُونَ﴾ أي: المعجلة، عطف على مقدر[٢]، أي: فعل ذلك لتشكروه ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ في نصرهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ أي: طريق التوكل عليه وتفويض الأمر إليه تعالى.

﴿٢١﴾- ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ صفة «مَغَانِمَ» مقدرًا، مبتدأ[٣] ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ هي فارس والروم ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ علم أنها ستكون لكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾ أي: لم يزل متصفًا بذلك.

﴿٢٢﴾- ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالحديبية ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾.

---

(١) قوله: (وهمت بهم اليهود). هذا قول قتادة، واختاره ابن جرير، فالمراد بالناس: يهود المدينة. أي كف الله أيدي اليهود من المدينة حين سار النبي ﷺ والمؤمنون للحديبية وخيبر. وعن ابن عباس: «عيينة بن حصن الفزاري وعوف بن مالك النضري ومن معهما جاؤوا لينصروا أهل خيبر، فألقى الله الرعب في قلوبهم». ذكره القرطبي.

(٢) قوله: (عطف...). عزا القرطبي هذا الرأي إلى البصريين. وقال الكوفيون: «الواو في ﴿وَلِتَكُونَ﴾ مقحمة، فلا تقدير عندهم».

(٣) قوله: (مبتدأ). أي: والخبر جملة ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾. ويصح كونه عطفًا على ﴿هَٰذِهِۦ﴾. والمعنى: فعجل لكم هذه ومغانم أخرى. ذكره القرطبي. وهذا يناسب تفسير ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ بفتح مكة، كما روي عن قتادة، أو حنين، كما روي عن عكرمة. والمشهور في تفسيرها أنها فارس والروم، كما مشى عليه المفسر. وهو مروي عن ابن عباس، وقتادة أيضًا، وابن أبي ليلى، واختار ابن جرير: أنها مكة؛ لأن قوله تعالى: ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ يدل على أنهم قصدوها ولم يقدروا عليها، فكان الأنسب لذلك كونها مكة. أما ما عداها فلم يقصدوها. والله أعلم.

(٢٣)- ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكّد لمضمون الجملة قبله[١]، من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين[٢]، أي: سنّ الله ذلك سنة[٣] ﴿ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا (٢٣)﴾ منه.

(٢٤)- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ﴾ بالحديبية ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ فإن ثمانين منهم[٤] طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم، فأُخِذُوا وأُتِيَ بهم إلى رسول الله ﷺ، فعفا عنهم وخلّى سبيلهم، فكان ذلك

---

(١) قوله: (مصدر مؤكد...). أي: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾. منصوب على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف، تقديره: سن الله ذلك سنة. ويكون مؤكدًا لمضمون الجملة السابقة، وهي: الآية السابقة.

(٢) وقوله: (من هزيمة...). بيان لـ﴿سُنَّةَ﴾.

(٣) وقوله: (أي: سن الله...). بيان للفعل المقدر.

(٤) قوله: (فإن ثمانين...). روى ذلك ابن جرير وغيره في سبب نزول هذه الآية: عن أنس قال: «إنما ثمانين رجلًا من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله ﷺ فأعتقهم، فأنزل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ...﴾ الآية»، وفي عدد الكفار الذين أخذوا وعفا عنهم أقوال، قيل: ثلاثون، وقيل: اثنا عشر، وقيل: سبعون أو ثمانون. كما ذكره المفسرون. وكأنه تعددت الوقائع.

و«بطن مكة» فسره البيضاوي بداخل مكة. ولعل هذا أولى من قول المفسر (بالحديبية)؛ لأن الحديبية خارج الحرم، فيكون مضمون الآية: الامتنان من الله على المؤمنين بأنه لم يحوجهم إلى المعركة في مكة بل كفاهم عنها بالصلح. وكذا كفى المشركين قتال المسلمين هناك، وكان في الصلح خير كثير، حيث أسلم من أسلم، وفتحت مكة بسبب ذلك الصلح. وأشار إلى ذلك ابن كثير.

سبب الصلح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ بالتاء والياء[١]، أي: لم يزل متصفًا بذلك[٢].

﴿٢٥﴾- ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ[٣] كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أي: عن الوصول إليه ﴿وَٱلۡهَدۡيَ﴾ معطوف على «كُم»، ﴿مَعۡكُوفًا﴾ محبوسًا، حال ﴿أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ﴾ أي: مكانه الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم، بدل اشتمال[٤] ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ﴾ موجودون بمكة مع الكفار[٥] ﴿لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ﴾ بصفة الإيمان ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾ أي: تقتلوهم[٦] مع الكفار لو أذن لكم في الفتح، بدل اشتمال من «هُم»[٧].

---

(١) قوله: (بالتاء والياء). قرأ أبو عمرو: بالياء: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾. والباقون: بالتاء: ﴿تَعۡمَلُونَ﴾.

(٢) وقوله: (أي: لم يزل...). كما تقدم مرارًا.

(٣) ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ ...﴾. المراد بهم قريش منعوا النبي ﷺ ومن معه من دخول الحرم ومنعوا الهدي عن أن يبلغ محله، وكان النبي ﷺ ساق معه سبعين بدنة. ذكره ابن جرير. وصدُّ المعتمرين والهدي ما كان المشركون يعتقدونه ولكن حملتهم على ذلك الأنفة وحمية الجاهلية إلى أن يفعلوا ما لا يعتقدونه دينًا، فوبخهم الله على ذلك، وأدخل الأنس على رسول الله ﷺ.اهـ. ذكره القرطبي.

(٤) قوله: (بدل اشتمال). أي: من ﴿ٱلۡهَدۡيَ﴾. ويصح جعله بتقدير «عن»، أي: صدّوا الهدي عن أن يبلغ محله. كما في «إعراب القرآن».

(٥) قوله: (موجودون...). قدره ليكون خبرًا للمبتدأ ﴿رِجَالٞ﴾، وحذف الخبر بعد ﴿لَوۡلَا﴾ واجب، وهم المستضعفون من المؤمنين، كسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، وأبي جندل بن سهيل وأشباههم. ذكره القرطبي.

(٦) قوله: (أي: تقتلوهم...). يقال: وطئتُ القومَ، أي: أوقعتُ بهم.اهـ.

(٧) قوله: (بدل اشتمال). أي: ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾ مؤول بمصدر وهو بدل اشتمال من الضمير «هم»، فيكون المعنى: لم تعلموا قتلهم.

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ﴾ أي: إثم[١] ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ منكم به. وضمائر الغيبة للصنفين بتغليب الذكور[٢]، وجواب «لَوْلَا» محذوف، أي: لأذن لكم في الفتح لكن[٣] لم يؤذن فيه حينئذٍ ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ كالمؤمنين المذكورين ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾ تميزوا عن الكفار[٤] ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة حينئذ بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ مؤلمًا.

﴿٢٦﴾- ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ متعلق بـ«لَعَذَّبْنَا»[٥]، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فاعل ﴿فِي قُلُوبِهِمُ

---

(١) قوله: (أي: إثم). فسر به ابن زيد. وقال ابن إسحٰق: «غرم الدية»، وقال القرطبي: «العيب، أي: يقول المشركون: قد قتلوا أهل دينهم»، وقال: «المعرة: مفعلة من العُرّ، وهو الجَرَب».اهـ. وقد يكون كل ذلك مرادًا، كما هو ظاهر البيضاوي.

(٢) قوله: (وضمائر الغيبة...). أي: «هُم» في ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ و﴿تَطَـُٔوهُمْ﴾ ﴿مِّنْهُم﴾ فهي راجعة للصنفين الذكور والإناث، ففي ذلك تغليب الذكور، أي: إطلاق اللفظ الموضوع للذكور، ويراد به الذكور والإناث، وعند بعض الأصوليين: الضمير «هم» وواو الجماعة وجمع المذكر السالم موضوعة للصنفين جميعًا، وعلى ذلك لا يكون فيه تغليب. لكن هذا القول مرجوح. والفاء في ﴿فَتُصِيبَكُم﴾ عاطفة تفيد سببية، والفعل معطوف على ﴿تَطَـُٔوهُمْ﴾، منصوب.

(٣) قوله: (لكن...). قدره ليتعلق به ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ...﴾، فيكون هذا سببًا للمقدّر، وبمثل ما ذكره المفسر فسر ابن جرير.

(٤) قوله: (تميزوا). أي: تميز المسلمون من الكفار. نقل القرطبي عن علي، ما حاصله: كان في أصلاب الكفار قوم مؤمنون، فلو تميز المؤمنون وتزيلوا من أصلابهم لعذب الله الكافرين.

فائدة: هذه الآية مما استدل به على عدم جواز أذية الكافر إذا لم تمكن إلا بأذية المؤمن... وفي ذلك تفصيل وقيود. ذكرها القرطبي.

(٥) قوله: (متعلق...). أي: فيكون ﴿إِذْ﴾ في محل نصب ظرف ﴿لَعَذَّبْنَا﴾.

﴿ٱلْحَمِيَّةَ﴾ الأنفة من الشيء[(١)] ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ بدل من الـ«حَمِيَّةَ»، وهي صدّهم[(٢)] النبي وأصحابه عن المسجد الحرام ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فصالحوهم على أن يعودوا من قابل ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار حتى يقاتلوهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله[(٣)]، وأضيفت إلى «ٱلتَّقْوَىٰ»؛ لأنها سببها ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا﴾

---

(١) قوله: (الأنفة...). فسرها بها عامة المفسرين. قال القرطبي: «يقال: حميت عن كذا حمِيّة -بالتشديد- ومحمية إذا أنفت منه، وداخلك عار وأنفة أن تفعله».اهـ.

(٢) وقوله: (وهي صدّهم...). تفسير للـ﴿حَمِيَّةَ﴾. قال الزهري: «حميتهم: أنفتهم من الإقرار للنبي ﷺ بالرسالة، والاستفتاح بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»، ومحمد رسول الله، ومنعهم من دخول مكة.اهـ. وكان الذي امتنع من كتابة «بسم الله الرحمن الرحيم، ومحمد رسول الله: سهيل بن عمرو».اهـ. يعني: كان النبي ﷺ قال لعليّ عند كتابة الصلح: «**اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم**»، فقال سهيل بن عمرو: «ما ندري ما «بسم الله الرحمن الرحيم»، اكتُبْ: باسمك اللهم. فكتب كذلك. وقال النبي ﷺ لعليّ: «**اكتبْ من محمد رسول الله...**»، فقال ومن معه من الكفار: لو علمنا أنك رسوله لاتبعناك! وأمر ﷺ عليًّا أن يمحو ما كتبه، فأبى أن يمحو، فمحاه رسول الله ﷺ بيده الكريمة، وكتب الصلح: «**من محمد بن عبدالله...**»، ملخصًا من القرطبي وغيره.

فائدة: استنبط العلماء من هذا أن الأدب مقدّم على الأمر حيث إن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبى أن يمحو مع أمر النبي ﷺ. والله أعلم.

(٣) قوله: (لا إله إلا الله...). روي عن ابن عباس، وعلي، وابن عمر، وقتادة، ومجاهد، وغيرهم أنها «لا إله إلا الله»، وعن عطاء زيادة «محمد رسول الله»، كما جرى عليه المفسر. وقال الزهري: «هي: بسم الله الرحمن الرحيم، يعني: ان المشركين لم يقروا بها فخصّ الله بها المؤمنين».اهـ.

بالكلمة من الكفار ﴿وَأَهْلَهَاۚ﴾ عطف تفسيري(١) ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾، أي: لم يزل متصفًا بذلك، ومن معلوماته تعالى أنهم أهلها(٢).

﴿٢٧﴾- ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا(٣) بِٱلْحَقِّۖ﴾ رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه(٤) أن يدخل مكة هو وأصحابه آمنين، ويحلقون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت. وقوله: «بِٱلْحَقِّۖ» متعلق بـ«صَدَقَ»، أو حال من «ٱلرُّءْيَا» وما بعدها تفسيرها(٥) ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾

---

(١) قوله: (عطف تفسيري). أي: هذا مفسّر لمعنى المعطوف عليه، وهو هناك ﴿أَحَقَّ﴾. وأفاد العطف أن ﴿أَحَقَّ﴾ مجرد عن معنى المفاضلة؛ لأنهم الحقيقون بها دون غيرهم. والله أعلم.

(٢) قوله: (ومن معلوماته...). أراد المفسر به ربط موضوع الآية بعموم قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾.

(٣) ﴿ٱلرُّءْيَا﴾. قيل: منصوب على نزع الخافض، أي: في الرؤيا، كما هو رأي الزمخشري. وقيل: على أنه مفعول ثانٍ لـ﴿صَدَقَ﴾. يقال: صدَقتُ زيدًا الحديثَ أو في الحديث. كما ذكره أبو حيان.

(٤) قوله: (قبل خروجه...). ظاهره: أي قبل خروجه من المدينة إلى مكة للعمرة، وهو ظاهر ما رواه ابن جرير عن ابن زيد، حيث قال: قال النبي ﷺ لهم: «**إني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام محلقين رؤوسكم ومقصرين**»، فلما نزل بالحديبية ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون في ذلك، فقالوا: أين رؤياه؟ فقال الله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ...﴾ الآية. وروى عن مجاهد: «أري بالحديبية أنه يدخل مكة وأصحابه...»، يفيد أن هذه الرؤيا كانت بالحديبية.

(٥) قوله: (وما بعدها...). يعني: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ...﴾ إلخ، تفسير ﴿ٱلرُّءْيَا﴾.

للتبرك[١] ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ﴾ أي: جميع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها، وهما حالان مقدرتان[٢] ﴿لَا تَخَافُونَۖ﴾ أبدًا ﴿فَعَلِمَ﴾ في الصلح[٣] ﴿مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ﴾ من الصلاح[٤] ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: الدخول ﴿فَتۡحٗا قَرِيبًا ٢٧﴾ هو فتح خيبر[٥]، وتحققت الرؤيا في العام القابل.

٢٨- ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ﴾ أي: دين الحق ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ﴾ على جميع باقي الأديان ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨﴾[٦] أنك مرسل بما ذكر، كما قال الله تعالى[٧]:

٢٩- ﴿مُّحَمَّدٞ﴾ مبتدأ[٨] ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ خبره ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: أصحابه من

---

(١) قوله: (للتبرك). يعني: أن ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هنا ذكر للتبرك، وليس للتعليق. وفي ذلك أوجه كثيرة، ذكرها القرطبي.

(٢) قوله: (حالان مقدرتان). الحال المقدرة هي التي تقع بعد وقوع عاملها، كما تقدم ذلك، فالعامل هنا: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ﴾. والحلق والتقصير يكونان بعد الدخول.

(٣) قوله: (في الصلح). أي: الصلح مع المشركين في عدم دخولهم هذه السنة ودخولهم في السنة المقبلة.

(٤) وقوله: (من الصلاح). وكان من الصلاح فتح خيبر، والتيسير على الناس في الدخول في الإسلام، والرجوع إلى مكة بجمعٍ أكثر وفتح مكة وغير ذلك.

(٥) قوله: (هو فتح خيبر). روى ذلك عن ابن زيد، والضحاك. وقال ابن إسحٰق: «صلح الحديبية». وروي نحوه عن الزهري. واختار ابن جرير العموم.

(٦) ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾. الاسم الكريم: فاعل ﴿كَفَىٰ﴾ دخلت عليه الباء الزائدة المؤكدة، و﴿شَهِيدٗا﴾: تمييز. وقد تقدم نظيره.

(٧) وقوله: (كما قال تعالى:...). أي: في الآية التالية.

(٨) قوله: (مبتدأ). ما ذكره من إعراب الآية واضح وظاهر. وفيها أوجه أخرى.

المؤمنين، مبتدأ، خبره: ﴿أَشِدَّآءُ﴾ غلاظ ﴿عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ لا يرحمونهم ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ خبر ثان، أي: متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد ﴿تَرَىٰهُمْ﴾ تبصرهم[١] ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ حالان ﴿يَبْتَغُونَ﴾ مستأنف، يطلبون ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم، مبتدأ ﴿فِى وُجُوهِهِم﴾ خبره، وهو نور وبياض[٢] يعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ متعلق بما تعلق به الخبر، أي: كائنة، وأعرب حالًا من ضميره المنتقل إلى الخبر[٣] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الوصف المذكور ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ﴾ مبتدأ وخبره[٤] ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ بسكون الطاء وفتحها، فراخه[٥] ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ بالمد والقصر[٦]، قواه

---

(١) قوله: (تبصرهم). أي: الرؤية هنا بصرية.

(٢) قوله: (وهو نور...). تفسير السيمَى بذلك رواه ابن جرير عن ابن عباس، ومقاتل، والحسن، وعطية وغيرهم بألفاظٍ متقاربة. وعن ابن عباس أيضًا: «السيمى: السمت الحسَن»، وعن مجاهد: «الخشوع والتواضع»، وعن سعيد بن جبير: «ثرى الأرض وهدى الطهور»، وجمع ابن جرير بين هذه الأقوال حيث يرى: «أن السيمى في الدنيا: السمت والخضوع وثرى الأرض وندى الطهور، وفي الأخرى: النور والبياض في وجوههم».

(٣) قوله: (وأعرب حالًا...). أي: الجار والمجرور، حال من الضمير المستتر في (كائنة). وهذا الضمير انتقل إلى الجار والمجرور بعد حذفه، فالتقدير: سيماهم كائنة هي حال كونها من أثر السجود.

(٤) قوله: (مبتدأ وخبره). يعني أن ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ و﴿مَثَلُهُمْ﴾ خبره، وأما ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ فهي جملة مستأنفة أو الجملة معطوفة على الأولى.

(٥) قوله: (فراخه): وهو ما ينبت حول الزرع من فراخه، متلصقًا به.

(٦) قوله: (بالمد والقصر). قرأ ابن ذكوان: بالقصر: ﴿فَأَزَرَهُۥ﴾. والباقون: بالمد: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾. وقرأ ابن ذكوان، وابن كثير: ﴿شَطَـَٔهُۥ﴾: بفتح الطاء. والباقون: بسكونه. ولا فرق في المعنى.

وأعانه ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ غَلِظَ[١] ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ قوي واستقام ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ أصولِه، جمع ساق ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ أي: زراعه لحسنه، مثَّل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ بذلك[٢]؛ لأنهم بدؤُوا في قلة وضعف فكثروا وقَوُوا على أحسن الوجوه ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله، أي: شبهوا بذلك ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم﴾ أي: الصحابة، و«مِن» لبيان الجنس لا للتبعيض[٣]؛ لأنهم كلَّهم بالصفة المذكورة ﴿مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ الجنة، وهما لمن بعدهم أيضًا في آيات.

❁❁❁

(١) قوله: (غلظ). أفاد أن الاستفعال خال عن معنى الطلب.

(٢) قوله: (مثل الصحابة). روى ابن جرير معنى ذلك عن ابن عباس.

(٣) قوله: (لبيان الجنس...). أي: «من» هنا بيانية، وليست تبعيضية، ونص على ذلك القرطبي وغيره. روى القرطبي عن مالك قال: «لما ذكروا رجلًا ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقال مالك: «من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية».اهـ.

٤٩ - سورة الحجرات

مدنية(١)، وآياتها ثماني عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ من: «قدّم»، بمعنى: «تقدّم»(٢)، أي: لا تتقدموا بقول ولا فعل ﴿بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ المبلغ عنه، أي: بغير إذنهما(٣) ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٌ (١)﴾ بفعلكم. نزلت(٤) في مجادلة أبي بكر

(١) قوله: (مدنية). بالإجماع ذكره القرطبي.

(٢) قوله: (من: «قدّم»...). يعني: أنه لازم بمعنى: لا تتقدموا، وقد قرأ يعقوب: بفتح التاء: ﴿لَا تَقَدَّمُوا۟﴾، وأصله: لا تتقدموا، حذفت إحدى التاءين. وقرئ شذوذًا: بإثباتهما. ووجه آخر: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ فعل متعدّ، حذف المفعول به، أي: لا تقدّموا قولًا ولا فعلًا، أو لا تقدّموا أمرًا. كما يعلم من البيضاوي، والقرطبي وغيرهما.

واستعمال «قدّم» لازمًا بمعنى: تقدم كثير. ومنه مقدمة الجيش، ومقدمة العلم والكتاب.

(٣) قوله: (بغير إذنهما). كما قال مجاهد في تفسير هذه الآية: «أي: لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه».اهـ.

(٤) قوله: (نزلت...). ما ذكره من سبب النزول مروي في «صحيح البخاري»، وأورده ابن كثير، والقرطبي وغيرهما.

وحاصله: أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: أمِّرْ القعقاع بن معبد، وقال عمر: أمِّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر لعمر: ما أردتَ إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾ الآية.

وذكر القرطبي ستة أقوال في سبب النزول، وعلى كل حال هذه الآيات تأديب من الله تعالى عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام، والتبجيل والإعظام، كما ذكره ابن كثير.

وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند النبي ﷺ في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد.

(٢)- ونزل فيمن رفع[1] صوته عند النبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ إذا نطقتم ﴿فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ إذا نطق ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ إذا ناجيتموه ﴿كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ بل دون ذلك إجلالًا له ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ

---

(١) قوله: (فيمن رفع...). ظاهره أنها نزلت فيمن يرفع صوته عمومًا، وليست في قصة معينة، ويوافق ما قاله قتادة: «كانوا يجهرون له بالكلام ويرفعون أصواتهم، فوعظهم الله ونهاهم عن ذلك».اهـ.

وفي بعض الروايات هذه الآية متصلة بالآية الأولى، أي: نزلت في قصة الصديق والفاروق كما في البخاري. وذكر القرطبي أن ثابت بن قيس الخزرجي كان خطيبًا بليغًا معروفًا بذلك، كان يقال له: خطيب رسول الله، كما كان يقال لحسان: شاعر رسول الله، لما جاء وفد تميم على رسول الله وطلبوا المفاخرة وقام خطيبهم فافتخر، قام ثابت بن قيس فخطب خطبة بليغة فغلبهم، وقام شاعرهم فأجابهم شاعر رسول الله حسان، حتى قالوا: خطيبهم أخطب من خطيبنا، وشاعرهم أشعر من شاعرنا، فارتفعت أصواتهم؛ فأنزل الله هذه الآية.اهـ. وتعدد الوقائع يفيد ما مشى عليه المفسر من أن الآية عامة.

روى ابن جرير بسياق مختلف لما نزلت الآية خاف ثابت بن قيس أنها نزلت فيه، فاختفى في بيته يبكي، فتفقده رسول الله ﷺ، فأُخبِر بخبره، فدعاه النبي ﷺ، فلما أتاه بشره: «**أما ترضى أن تعيش حميدًا، وتقتل شهيدًا، وتدخل الجنة؟**»، فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله، لا أرفع صوتي أبدًا على رسول الله؛ فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ ...﴾ الآية التالية.اهـ. وقتل ثابت بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم اليمامة في قتال مسليمة الكذاب.

فائدة: حرمة رفع الصوت بين يدي رسول الله ﷺ باقية بعد وفاته، ففي «صحيح البخاري»: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لرجلين من أهل الطائف قدما وارتفع أصواتهما في مسجد النبي ﷺ فقال: «لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ».اهـ. باختصار. [البخاري (٤٥٨)].

﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾ أي: خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين.

۝٣- ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ كأبي بكر وعمر وغيرهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ﴾ اختبر ﴿ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ أي: لتظهر منهم[1] ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ الجنة.

۝٤- ونزل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة[2]، والنبي ﷺ في منزله فنادوه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾ حجرات نسائه ﷺ، جمع حجرة، وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه، وكان كل واحدٍ منهم[3] نادى خلف

---

(١) قوله: (أي: لتظهر...). يعني: لتظهر التقوى فيهم. نقل القرطبي عن ابن عباس: «أي: طهّرهم من كل قبيح».اهـ. قال قتادة: «أي: أخلص الله قلوبهم فيما أحبّ».اهـ. وكل المعاني متقاربة.

(٢) قوله: (ونزل...). روى ابن جرير وغيره هذه القصة بسياق مفصل وموجز متقارب؛ فروى عن زيد بن أرقم، قال: «جاء أناس من العرب إلى النبي ﷺ، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يكن نبيًّا فنحن أسعد الناس به، وإن يكن ملِكًا نعش في جناحه، قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك، قال: ثم جاؤوا إلى حجر النبي ﷺ فجعلوا ينادونه: يا محمد؛ فأنزل الله على نبيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ ...﴾ الآية».اهـ.
ونقل القرطبي عن مجاهد وغيره: «أن الآية نزلت في أعراب بني تميم، قدم الوفد منهم إلى النبي ﷺ فدخلوا المسجد، ونادوا النبي ﷺ من وراء حجراته أن اخرج إلينا، فإنَّ مَدْحَنا زين وذمّنا شين، وكانوا سبعين رجلًا، وكان النبي ﷺ نام للقائلة. وروي أن الذي نادى هو الأقرع بن حابس، وهو الذي قال: «إن مدحي زين وذمي شين»؛ فقال النبي ﷺ: «**ذاك الله**».اهـ.

(٣) قوله: (وكان كل واحدٍ منهم...). هذا التفصيل هو ظاهر رواية زيد بن أرقم. وأما على الرواية بأن المنادي هو الأقرع بن حابس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلعله نادى على أبواب الحجرات كلها. والله أعلم.

حجرة؛ لأنهم لم يعلموه في أيّ حجرة، مناداة الأعراب بغلظة وجفاء ﴿أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ فيما فعلوه محلَّك الرفيع وما يناسبه من التعظيم.

﴿٥﴾- ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ﴾ أنهم في محل رفع بالابتداء[١]. وقيل: فاعل لفعل مقدر، أي: ثبت ﴿حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾﴾ لمن تاب منهم.

﴿٦﴾- ونزل في الوليد بن عقبة[٢]، وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مصدقًا، فخافهم لترةٍ[٣] كانت بينه وبينهم في الجاهلية، فرجع، وقال: «إنهم منعوا الصدقة، وهموا بقتله»، فهمّ النبي ﷺ بغزوهم، فجاؤوا منكرين ما قاله عنهم[٤]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾ خبر ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ صدقه من

---

(١) قوله: (أنهم في محل رفع...). بيان للإعراب. إذا ذكرت «أنّ» ومعمولاها بعد «لو» الشرطية فللنحاة وجهان من الإعراب:

الأول: أن «لو» لا تحتاج إلى فعل، بل تكتفي بالجملة الاسمية التي بعدها. أو تكون الجملة الاسمية في تأويل مصدر مبتدأ والخبر محذوف، والتقدير: ولو أن صبرهم ثابت. والاحتمالان منسوبان إلى سيبويه.

والوجه الثاني: تقدير فعل وتكون جملة «أن» في تأويل مصدر فاعلًا للفعل المقدر. والتقدير: ولو ثبت أنهم صبروا أي: ولو ثبت صبرهم. وهذا الوجه منسوب إلى الكوفيين، والمبرد، والزجاج. وقد تقدم مثل هذا الإعراب في مواضع. وهو الدارج في ألسنة المعربين.

(٢) قوله: (ونزل...). ما ذكره من سبب النزول رواه ابن جرير وغيره بطرق كثيرة.

(٣) قوله: (لترةٍ...). أي: لإحنَةٍ وعداوة، كانت بينه وبينهم.

(٤) قوله: (منكرين...). ففي رواية ابن جرير عن يزيد بن رومان: «أن وفد بني المصطلق قالوا: يا رسول الله! سمعنا برسولك حين بثعته إلينا، فخرجنا إليه لنكرمه ولنؤدي إليه ما قِبلَنا من الصدقة، فاستمر راجعًا، فلبلغنا أنه يزعم لرسول الله أنا خرجنا إليه لنقاتله، ووالله ما خرجنا لذلك؛ فأنزل الله في الوليد بن عقبة وفيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ...﴾ الآية».

فائدة: استدل بمفهوم قوله تعالى ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ﴾ على صحة قبول خبر الواحد العدل.

كذبه، وفي قراءة[١]: «فَتَثَبَّتُوا» من الثبات ﴿أَن تُصِيبُوا قَوْمًا﴾ مفعول له[٢]، أي: خشية ذلك ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ حال من الفاعل، أي: جاهلين ﴿فَتُصْبِحُوا﴾ تصيروا[٣] ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ﴾ من الخطأ، بالقوم ﴿نَادِمِينَ ۝٦﴾ وأرسل ﷺ إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالدًا، فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير، فأخبر النبي بذلك.

۝٧- ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ فلا تقولوا الباطل، فإن الله يخبره بالحال ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾[٤] الذي تخبرونه به على خلاف الواقع فيرتب على ذلك مقتضاه ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ لأثمتم دونه إثمَ التسبب إلى المرتَّب[٥] ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾. والباقون: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾. ومعناهما متقارب.

(٢) قوله: (مفعول له...). المفعول له في الحقيقة: المضاف المقدّر، أي: (خشية)؛ لأن المفعول لأجله يشترط كونه مصدرًا ظاهرًا قلبيًّا.

(٣) قوله: (تصيروا). أفاد أن «أصبح» هنا بمعنى: صار. وقد ذكرنا أكثر من مرة أن خمسة من الأفعال الناقصة تأتي بمعنى «صار» وهن: كان، أصبح، أمسى، أضحى، ظلّ.

(٤) ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾. ﴿لَوْ﴾: هنا شرطية امتناعية، وهي مختصة بالماضي، ولكن ذكر هنا المضارع «يطيع» لنكتة بلاغية، وهي إفادة الاستمرار؛ فالمعنى: لو استمر إطاعته لكم... أفاده البلاغيون.

(٥) قوله: (لأثمتم). قال القرطبي: «العنت: الإثم، والعنت أيضًا: الفجور، والوقوع في أمرٍ شاق».اهـ. ملخصًا.

قوله: (دونه). أي: دون النبي ﷺ، فلا إثم عليه؛ لأنه معذور.

قوله: (إثم التسبب..). يعني: لأثمتم إثمَ تسبّبكم لما يرتّبه النبي ﷺ على ادعائكم. فقول المفسر: (إثمَ) بالنصب: مفعول مطلق.

وقوله: (المرتّب). بصيغة اسم المفعول، أي: الأمر الذي يرتبه النبي ﷺ حينما يسمعه منكم.

إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ﴾ حسّنه ﴿فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ استدراك من حيث المعنى دون اللفظ؛ لأن من حبّب إليه الإيمان[(١)]... إلخ غايرت صفته صفة من تقدم ذكره[(٢)] ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ الثابتون على دينهم.

٨- ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر[(٣)]، أي: أفضل ﴿وَنِعْمَةً﴾ منه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بهم ﴿حَكِيمٌ ۝٨﴾ في إنعامه عليهم.

٩- ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية نزلت في قصة[(٤)]، هي أن النبي ﷺ ركب حمارًا ومرّ على ابن أبيّ، فبال الحمار، فسدّ ابن أبيّ أنفه، فقال ابن رواحة:

---

(١) قوله: (لأن من...). توضيح وتعليل؛ لكونه استدراكًا من حيث المعنى، يعني أن هذا الاستدراك واقع بين متنافيين في المعنى، وإن لم يوجد تصريح بذلك التنافي في اللفظ.

(٢) قوله: (من تقدم ذكره). أي: من أخبر بخلاف الواقع.

(٣) قوله: (مصدر...). أي: فهو مفعول مطلق لفعل محذوف، وكذا ﴿وَنِعْمَةً﴾، وقيل: مفعول لأجله لـ﴿حَبَّبَ﴾ ﴿وَكَرَّهَ﴾. وفي ذلك إشارة إلى أن ذلك فضل الله وليس واجبًا عليه خلافًا للمعتزلة.

(٤) قوله: (الآية نزلت...). روى الشيخان نحوًا مما قاله المفسّر. فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبدالله بن أبيّ، قال: فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمارًا، فانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحًا منك، فغضب لعبدالله رجل من قومه فشتمه، فغضب لكل واحدٍ منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها أنزلت ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾ الآية».اهـ. [البخاري (٢٥٤٥)]. وليس في هذه الرواية ذكر البول، ولكن روى ابن جرير عن ابن شهاب هذه القصة، وفيها قال عبدالله بن أبيّ: لقد آذانا بول حماره.

«والله لبول حماره أطيب ريحًا من مسكك»، فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسعف ﴿ٱقۡتَتَلُواْ﴾ جُمِعَ، نظرًا إلى المعنى؛ لأن كل طائفة جماعة، وقرئ: «اقْتَتَلَتَا»[1]، ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ ثني نظرًا إلى اللفظ ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ﴾ تعدت ﴿إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ﴾ ترجع ﴿إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ الحق ﴿فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾ بالإنصاف ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾ اعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩﴾.

١٠- ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ في الدين ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ إذا تنازعا، وقرئ: «إِخْوَتِكُمْ» بالفوقانية[2] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٠﴾.

١١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ﴾ الآية نزلت[3] في وفد تميم، حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب، والسخرية: الازدراء والاحتقار ﴿قَوۡمٞ﴾ أي:

---

(١) قوله: (وقرئ: ﴿اقْتَتَلَتَا﴾). هذه قراءة شاذة. وقد روي في سبب النزول وقائع أخرى.

فائدتان: الأولى: استدل أهل السنة بهذه الآية على أن الكبائر لا تخرج الإنسان من الإسلام ما لم يستحلها؛ لأن الله تعالى وصف الطائفة بالإيمان مع وجود القتال منهم.

الثانية: قال القرطبي -ما حاصله-: «إن كانت كلتا الطائفتين باغية على الأخرى وجب الصلح بينهما. فإن أصرّا يقاتل كل منهما، وإن كانت إحداهما باغية وجب قتال الباغية، وإن كانتا محقتين ودخلت الشبهة بينهما وجب إزالة الشبهة بالحجة، فإن أصرّا على القتال فهما باغيتان».اهـ. ملخصًا. والوجوب في كلامه على ولي الأمر.

(٢) قوله: (وقرئ:...). وهي قراءة يعقوب.

وقوله: (بالفوقانية). أي: بالتاء.

(٣) قوله: (الآية نزلت...). ما ذكره من سبب النزول عزاه القرطبي إلى الضحاك، وعن مجاهد: «هو سخرية الغني من الفقير»، وعن ابن زيد: «لا يسخر من ستر الله عليه ذنوبه ممن كشفه الله له»، وقيل غير ذلك. واختار ابن جرير عموم المعنى.

رجال منكم[(١)] ﴿مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ[(٢)] خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ عند الله ﴿وَلَا نِسَآءٞ﴾ منكم ﴿مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ لا تعيبوا فتعابوا، أي: لا يعبْ بعضكم بعضًا[(٣)] ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ لا يدعو بعضكم بعضًا بلقب يكرهه، ومنه: يا فاسق، يا كافر[(٤)] ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ﴾ أي: المذكور من السخرية واللمز والتنابز ﴿ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ بدل من «ٱلِٱسۡمُ»[(٥)]؛ لإفادة أنه فسق لتكرره عادة

(١) قوله: (أي: رجال...). قال القرطبي: «القوم في اللغة للمذكرين خاصة، كما قال زهير:

وما أدري وسوف إخالُ أدري أقــوم آل حــصــن أم نســـــاء

وسمّوا قومًا؛ لأنهم يقومون مع داعيهم في الشدائد، وقد يدخل في القوم النساء مجازًا».اهـ. باختصار.

(٢) ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ﴾ هنا في الموضعين ﴿عَسَىٰٓ﴾ استعمل تامة، و﴿أَن يَكُونُواْ﴾ فاعلها. فليس لها اسم، وإذا استعملت ناقصة كان لها اسم وخبر، والخبر يكون فعلًا مضارعًا مع «أن»، نحو: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾ [المائدة: ٥٢]، وقد يجرد عن «أن»، كما فصله النحاة.

(٣) قوله: (أي: لا يعب بعضكم...). توضيح لمعنى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾؛ فالمؤمنون كلهم كنفس واحدة، واللمز: العيب، يكون باليد والعين واللسان والإشارة. والهمز لا يكون إلا باللسان.اهـ. ذكره القرطبي، وابن جرير.

(٤) قوله: (ومنه: يا فاسق...). روى ابن جرير عن عكرمة، قال: «هوقول الرجل للرجل: يا فاسق، يا منافق...»، وفي ورواية: «يا فاسق، يا كافر»، روى ابن جرير عن أبي جبيرة بن الضحاك: «نزلت في بني سلمة، قال: قدم رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان يدعو الرجل: يا فلان، فيقولون: مه يا رسول الله، إنه يغضب من هذا الاسم؛ فنزلت الآية».اهـ. باختصار.

(٥) قوله: (بدل...). يعني: ﴿ٱلۡفُسُوقُ﴾ إعرابه أنه بدل من ﴿ٱلِٱسۡمُ﴾، وعلى هذا يكون المخصوص بالذم محذوفًا، ويجوز كون ﴿ٱلۡفُسُوقُ﴾ هو المخصوص بالذم، كما أعرب =

﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ﴾ من ذلك ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾.

١٢-[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾[٢] أي: مؤثم، وهو كثير[٣]، كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين وهم كثير بخلافه[٤] بالفساق منهم فلا إثم فيه في نحو ما يظهر منهم ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ حذف منه إحدى التاءين، لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها[٥] ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ لا يذكره[٦] بشيء يكرهه وإن كان فيه ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ

= الدرويش وغيره. وعلى كل حال فيه إشارة إلى أن ذلك لا يناسب المؤمن، وأنه فسق، كما قاله المفسر.

(١) نقل القرطبي عن الثعلبي: «أن هذه الآية نزلت في رجلين من أصحاب النبي ﷺ تكلما في أسامة بن زيد وسلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لهما: «**ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما**»، فقالا: والله ما أكلنا في يومنا هذا لحمًا ولا شيئًا، فقال: «**ولكنكما ظلتما تأكلان لحم سلمان وأسامة**».اهـ. باختصار.

(٢) ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾. قال ابن جرير: «ولم يقل الظن كله، إذ يجوز أن يُظَنَّ بالمؤمنين خيرٌ، قال تعالى: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا...﴾ [النور: ١٢]».اهـ. ملخصًا. وقال القرطبي: «ومحل النهي والتحذير إنما هو تهمة لا سبب لها يوجبها».اهـ.

(٣) قوله: (وهو كثير...). يعني: أن المراد بالـ﴿بَعۡضَ﴾ هنا البعض الكثير.

(٤) وقوله: (بخلافه...). أي: بخلاف الظن بالفساق، وهذا يوافق ما قال القرطبي آنفًا.

(٥) قوله: (لا تتبعوا...). وبهذا فسر ابن جرير، ورواه عن ابن عباس وغيره.

(٦) قوله: (لا يذكره...). فيه بيان لمعنى الغيبة، ورواه مسلم وغيره عن أبي هريرة مرفوعًا، ففي الحديث: «**فإن كنت صادقًا فقد اغتبته، وإن كنت كاذبًا فقد بهتّه**».اهـ. [مسلم (٢٥٨٩)].

﴿أَخِيهِ مَيۡتٗا﴾ بالتخفيف والتشديد[١]، أي: لا يحسن به[٢] ﴿فَكَرِهۡتُمُوهُۚ﴾ أي: فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته وقد عرض عليكم الثاني[٣] فكرهتموه فاكرهوا الأول[٤] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ أي: عقابه في الاغتياب بأن تتوبوا منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ﴾ قابل توبة التائبين[٥] ﴿رَّحِيمٞ ١٢﴾ بهم.

١٣ -[٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ آدم وحواء ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا﴾ جمع شَعب بفتح الشين[٧]، هو أعلى طبقات النسب[٨] ﴿وَقَبَآئِلَ﴾ هي دون

---

(١) قوله: (بالتخفيف...). قرأ نافع، وأبو جعفر، ورويس: بالتشديد: ﴿مَيِّتًا﴾. والباقون: بالتخفيف: ﴿مَيۡتٗا﴾.

(٢) قوله: (أي: لا يحسن...). أفاد أن الاستفهام بمعنى: النفي.

(٣) قوله: (وقد عرض عليكم الثاني...). أي: الميت.

(٤) وقوله: (فاكرهوا الأول). أي: الاغتياب. قال قتادة: «كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدوّدة أن تأكل منها فكذلك فاكره غيبته وهو حيّ».اهـ. فيكون في الكلام تشبيه مضمر.

(٥) قوله: (قابل...). فالتوبة إذا أسندت إلى الله كان المعنى القبول والرجوع عن العقوبة، وإذا أسندت إلى العبد فالرجوع عن الذنب بشروطه. وقد تقدم ذلك.

(٦) نقل القرطبي عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية: «أنه لما كان يوم فتح مكة أمر النبي ﷺ بلالًا أن يؤذن حتى علا على ظهر الكعبة فأذّن، فتكلم فيه بعض أهل مكة حتى قال بعضهم: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنًا، فنزلت الآية في ذلك، ناهيةً التفاخر بالأنساب وحاكمة أن الفضل بالتقوى».اهـ. ملخصًا، وذكر غير ذلك في أسباب النزول.

(٧) قوله: (بفتح الشين...). أي: شَعب، أما الشِّعب بكسر السين فهو الطريق في الجبل.

(٨) وقوله: (هو أعلى الطبقات...). أي: الشعبُ يشمل قبائل... وهكذا إلى ما دونه، وما =

الشعوب، وبعدها: العمائر ثم البطون ثم الأفخاذ ثم الفصائل آخرها. مثاله: خزيمة شَعب، كنانة قبيلة، قريش عِمار بكسر العين، قُصَي بطن، هاشم فخذ، العباس فصيلة ﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ حذف منه إحدى التاءين[1]، ليعرف بعضكم بعضًا لا لتفاخروا بعلو النسب، وإنما الفخر بالتقوى ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَبِيرٞ ١٣﴾ ببواطنكم.

١٤- ﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ﴾ نفر من بني أسد[2] ﴿ءَامَنَّاۖ﴾ صدقنا بقلوبنا ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ أي: انقدنا ظاهرًا ﴿وَلَمَّا﴾ أي: لم ﴿يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ إلى الآن[3]، لكنه يتوقع منكم ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾

= ذكره من الترتيب نقل قريبًا منه القرطبي عن حكاية أبي عبيد عن ابن الكلبي عن أبيه، فالشعب أكبر من القبيلة، ثم الفصيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، وقيل: بعد الفخذ: العشيرة. وفيه تقديم الفصيلة على العمارة. ونقل هذا الترتيب الذي ذكره المفسر الدرويش عن أبي حيان مع التمثيل. وفي معنى الشعوب والقبائل أقوال أخرى، ولكن ما قاله المفسر منضبط وواضح.

(١) قوله: (حذف منه...). أي أصله: لتتعارفوا. فهو فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازًا وعلامة نصبه حذف النون، وكل ذلك واضح.

(٢) قوله: (نفر من بني أسد...). روى ذلك ابن جرير عن مجاهد، وقاله القرطبي بتفصيل حاصله: «أنهم جاؤوا إلى رسول الله وأظهروا الشهادة ولم يكونوا مؤمنين في السر فامتنّوا بإيمانهم على رسول الله، فقالوا: أسلمنا، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا من الصدقة؛ فأنزل الله فيهم هذه الآية».اهـ. ملخصًا. قال قتادة: «هذه الآية في بعض الأعراب لا في كلهم؛ لأن منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر».اهـ. وتقدم في التوبة.

(٣) قوله: (إلى الآن...). هذا توضيح لما تفيد ﴿لَمَّا﴾ النافية، فإنها تفيد استمرار النفي إلى زمن التكلم وتوقع ثبوت المنفي في المستقبل، بخلاف «لم»، وقد بينا ذلك في «الثلاثيات».

بالإيمان وغيره ﴿لَا يَأْلِتْكُم﴾ بالهمز وتركه وبإبداله ألفًا[١]، لا ينقصكم ﴿مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ﴾ أي: من ثوابها ﴿شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ بهم.

﴿١٥﴾- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: الصادقون في إيمانهم، كما صرح به بعدُ[٢] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ لم يشكوا في الإيمان ﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ فجهادهم يظهر صدق إيمانهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ في إيمانهم، لا من قالوا: آمنا، ولم يوجد منهم غير الإسلام[٣].

﴿١٦﴾- ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ مضعّف «علِمَ»[٤]، بمعنى: شعر، أي: أتشعرونه بما أنتم عليه في قولكم: آمنا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾.

﴿١٧﴾- ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ۖ﴾ من غير قتال، بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتالٍ منهم ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُمۖ﴾ منصوب بنزع الخافض: الباء، ويقدّر قبل

---

(١) قوله: (بالهمز...). قرأ أبو عمرو، ويعقوب: بالهمز: ﴿يَأْلِتْكُم﴾. وبإبدال الهمزة ألفًا: السوسي. وقرأ الباقون: بلا همزة: ﴿يَلِتْكُم﴾. فالهمز من: ألَتَ يألِتُ ألْتًا، وبدونها من: لاتَ يليتُ: نقص.

(٢) قوله: (بعدُ). أي: في آخر هذه الآية.

(٣) قوله: (غير الإسلام). أي: الاستسلام في الظاهر.

(٤) قوله: (مضعّف «علِمَ»). أفاد به أن «علّم» هنا مضمّن معنى: أشعر أو أخبر، ولذا تعدى إلى المفعول الثاني بالباء: ﴿بِدِينِكُمْ﴾، وليس من التعليم الذي بمعنى: إيصال المعلوم إلى المخاطب؛ لأنه لا يناسب من حيث المعنى، ويتعدى إلى المفعول الثاني بنفسه تقول: علّمتُ زيدًا المسألة. والواو في ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ للحال.

«أَنْ»[١] في الموضعين ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ في قولكم: آمنا.

﴿١٨﴾ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ما غاب فيهما[٢] ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ بالياء والتاء[٣]، لا يخفى عليه شيء منه.

❁❁❁

(١) قوله: (ويقدّر قبل ﴿أَنْ﴾). أي: ويقدّر الباء قبل ﴿أَنْ﴾ في الموضعين، وهما ﴿أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ و﴿أَنْ هَدَىٰكُمْ﴾.

(٢) قوله: (أي: ما غاب...). أفاد أن المصدر ﴿غَيْبَ﴾ بمعنى: اسم الفاعل.

(٣) قوله: (بالتاء والياء). قرأ ابن كثير: بالياء. والباقون: بالتاء.

تنبيه: لا يخفى ما اشتملت عليه هذه السورة من التعليمات المهمة مما هي مبادئ الإنسانية والأخلاق السامية، وما يجب على المؤمنين من احترام وتعظيم المقام النبوي الكريم. وقد فصل أئمة التفسير كالقرطبي تلك الأمور بتفاصيل حسنة.

٥٠ - سورة ق

مكية[١]**، إلا** ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ **الآية؛ فمدنية**
وآياتها خمس وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿قٓ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ الكريم. ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ[٢].

(٢)- ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم[٣] مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا﴾ الإنذار ﴿شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾.

(٣)- ﴿أَءِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين[٤] ﴿مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ نرجع[٥] ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ في غاية البعد[٦].

---

(١) قوله: (مكية). وهي كلها مكية في قول الحسن، وعطاء، وجابر، وقال ابن عباس، وقتادة: «إلا آية ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ...﴾ الآية». أفاده القرطبي. وعلى هذا القول مشى المفسر.

(٢) قوله: (ما آمن...). قدره ليكون جواب القسم، ويكون ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ﴾ انتقالًا وإضرابًا منه.

(٣) ﴿أَن جَآءَهُم﴾. يقدر قبله من الجارة، وحذف حرف الجر مطرد مع «أن»، و«أنّ».

(٤) قوله: (بتحقيق...). تحقيق الهمزتين بدون إدخال ألف بينهما: قراءة الجمهور.
وقرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون: بتسهيل الثانية مع الإدخال.
وابن كثير، وورش، ورويس: بالتسهيل بدون إدخال.
وهشام: بالإدخال وعدمه مع التسهيل. أما الإدخال مع تحقيق الهمزتين؛ فلم أجد. وإن كان ظاهر عبارة المفسر يثبته. وكان ينبغي أن يقول: وبدونه، أي: دون الإدخال.

(٥) قوله: (نرجع). قدره ليكون جواب ﴿أَءِذَا﴾.

(٦) قوله: (في غاية البعد). لعله أخذ معنى المبالغة من ﴿بَعِيدٌ﴾ لأنها صفة مشبهة. والصفة المشبهة تفيد معنى الدوام والثبوت، بخلاف اسم الفاعل.

﴿٤﴾- ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ تأكل[١] ﴿مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴿٤﴾﴾ هو اللوح المحفوظ فيه جميع الأشياء المقدرة.

﴿٥﴾- ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ﴾ بالقرآن[٢] ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ﴾ في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾ مضطرب[٣]، قالوا مرة: ساحر وسحر، ومرة: شاعر وشعر، ومرة: كاهن وكهانة.

﴿٦﴾- ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ﴾ بعيونهم[٤] معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ كائنة[٥] ﴿فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا﴾[٦] بلا عمد ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾﴾ شقوق تعيبها[٧].

---

(١) قوله: (تأكل). وبذلك ورد التفسير عن ابن عباس، وغيره. قال ابن عباس: «ما تأكل من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم».اهـ. قال القرطبي في معنى الآية: «أي: ما تأكل من أجسادهم، فلا يضل عنا شيء حتى تتعذر علينا الإعادة».اهـ.

(٢) قوله: (بالقرآن). كما فسر به ابن جرير، ورواه عن قتادة، قال القرطبي حاكيًا عن الماوردي: «القرآن في قول الجميع». و﴿بَلۡ﴾ للإضراب والانتقال.

(٣) قوله: (مضطرب). ذكر أئمة التفسير أقوالًا في معنى ﴿مَّرِيجٍ﴾؛ فعن ابن عباس: «مختلف»، وعن ابن جبير: «ملتبس»، وعن ابن زيد: «مضطرب». وهو صفة مشبهة من مرِجَ يمرَجُ مرجًا؛ نحو: طرِب طربًا: اختلط واضطرب. وأما مرَجَ بفتح الراء فهو من باب نصَر، وهو متعدّ، بمعنى: أرسل، وخلّى، ومنه قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الفرقان: ٥٣].

(٤) قوله: (بعيونهم). أفاد أن النظر هنا بالبصر، ولذا تعدى بـ﴿إِلَى﴾، ولكن مع التدبر بالعقل.

(٥) وقوله: (كائنة). أفاد به أن ﴿فَوۡقَهُمۡ﴾ في محل نصب حال من ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾.

(٦) ﴿كَيۡفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال من «ها» في ﴿بَنَيۡنَٰهَا﴾.

(٧) قوله: (شقوق). فالفروج جمع فرج، بمعنى: الشق. كما ذكره المفسرون.

(٧)- ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ معطوف[١] على موضع «إِلَى ٱلسَّمَآءِ»، كيف[٢] ﴿مَدَدۡنَٰهَا﴾ دحوناها على وجه الماء ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا تثبتها ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ﴾ صنف ﴿بَهِيجٖ (٧)﴾ يبهج به لحسنه.

(٨)- ﴿تَبۡصِرَةٗ﴾ مفعول له[٣]، أي: فعلنا ذلك تبصيرًا منا ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ تذكيرًا[٤] ﴿لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ (٨)﴾ رجّاع الى طاعتنا.

(٩)- ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا﴾ كثير البركة[٥] ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ﴾

---

(١) قوله: (معطوف...). أي: فيكون نصبه بالعطف على موضع ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ وهو النصب على المفعولية، ويجوز كونه منصوبًا بفعل مقدر يفسر ﴿مَدَدۡنَٰهَا﴾، من باب الاشتغال.

(٢) وقول المفسر: (كيف). قدره بناءً على العطف على موضع ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾.

(٣) قوله: (مفعول له). أي: والعامل محذوف قدره المفسر: (فعلنا ذلك) دل عليه الأفعال السابقة. و﴿تَبۡصِرَةٗ﴾ مصدر «بصَّرَ» على وزن تفعلة. والأكثر فيه تفعيل، وإذا كان الفعل معتل اللام أتي المصدر على تفعلة، نحو: زكّى تزكية. وأما صحيح اللام فقد يأتي على وزن تفعلة نحو: تبصرة وتكرمة وتجربة.

(٤) وقوله: (تذكيرًا). أفاد أن الذكرى هنا اسم مصدر بمعنى: التذكير؛ لأنه مفعول لأجله، والمفعول لأجله يشترط فيه كون فاعله وفاعل العامل واحدًا، فالتذكير من الله تعالى، وهو فاعل الفعل الذي عمل في المفعول لأجله. وأعرب ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ﴾ مفعولًا مطلقًا لفعل محذوف. وتقدير المفسر (فعلنا ذلك) لتوضيح المعنى الإجمالي. وقد تنازع فيه (أي تبصرة) الأفعال السابقة، فيكون مفعولًا لأجله للأخير، ولكن على تقدير المفسر يكون مفعولًا لأجله للفعل المقدر، فلا يكون من التنازع. والله أعلم.

(٥) قوله: (كثير البركة). كذا فسره القرطبي، والمراد: كثير المنافع. كما فسر به البيضاوي، والبركة: الزيادة.

بساتين ﴿وَحَبَّ﴾ الزرع[١] ﴿ٱلۡحَصِيدِ ٩﴾ المحصود.

١٠- ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ طوالًا[٢]، حال مقدرة[٣] ﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠﴾[٤] متراكب بعضه فوق بعض.

١١- ﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ﴾ مفعول له ﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ﴾ يستوي فيه المذكر والمؤنث[٥] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل هذا الإحياء ﴿ٱلۡخُرُوجُ ١١﴾ من القبور، فكيف تنكرونه؟ والاستفهام للتقرير[٦]، والمعنى: أنهم نظروا وعلموا ما ذكر.

١٢- ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ تأنيث الفعل بمعنى: قوم[٧] ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾

---

(١) قوله: (الزرع). قدره ليكون موصوفًا لـ﴿ٱلۡحَصِيدِ﴾. و﴿ٱلۡحَصِيدِ﴾ بمعنى: اسم المفعول، و﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ عند الكوفيين من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ كمسجد الجامع، والبصريون يمنعون إضافة الشيء إلى نفسه، كالموصوف إلى الصفة، والعكس، فيقدرون موصوفًا محذوفًا، كما هنا.

(٢) قوله: (طوالًا). يقال: بسق، بسوقًا: طال، كما في «المصباح» وغيره.

(٣) وقوله: (حال مقدرة). قد ذكرنا أن الحال المقدرة ما كان وقوعها بعد وقوع العامل، فبسوق النخل يكون بعد إنباتها، ولذا جعله حالًا مقدرة.

(٤) ﴿طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾. الطلع: أول ما يخرج من ثمر النخل. وقد تقدم في الأنعام. والنضيد: متراكب بعضها على بعض، كما روى نحوه عن ابن عباس، وغيره، وفسر به أئمة التفسير.

(٥) قوله: (يستوي فيه...). أي: في لفظ «الميت»، يعني: يوصف به المذكر والمؤنث.

(٦) قوله: (والاستفهام...). يعني في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ ...﴾ للتقرير؛ لأن الاستفهام إنكاري، دخل على النفي، ونفي النفي إثبات، فكان حاصل المعنى التقرير.

(٧) قوله: (تأنيث الفعل...). يعني دخول تاء التأنيث في ﴿كَذَّبَتۡ﴾ لأن ﴿قَوۡمُ﴾ اسم جمع يصح تذكيره وتأنيثه، فالتذكير باعتباره جمعًا، والتأنيث باعتباره جماعة.

هي بئر[(١)] كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام، ونبيهم، قيل: حنظلة بن صفوان، وقيل غيره ﴿وَثَمُودُ ﴿١٢﴾﴾ قوم صالح.

﴿١٣﴾- ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾.

﴿١٤﴾- ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ أي: الغيضة، قوم شعيب ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو ملِك كان باليمن[(٢)] أسلم ودعا قومه إلى الإسلام، فكذبوه ﴿كُلٌّ﴾ من المذكورين[(٣)] ﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ كقريش ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾[(٤)] وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيق صدرك من كفر قريش لك.

﴿١٥﴾- ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أي: لم نَعْيَ به[(٥)] فلا نعيا بالإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ شك ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ وهو البعث.

---

(١) قوله: (هي بئر...). تقدمت قصتهم في سورة الفرقان، وقصة غيرهم فيها وفي مواضع.
وذكر المفسر هناك في تفسير أصحاب الرس: اسم بئر ونبيهم، قيل: شعيب، وقيل غيره. كانوا قعودًا حولها فانهارت بهم وبمنازلهم.اهـ. [الآية: ٣٨].

(٢) قوله: (هو ملِك...). تقدم في تفسير الدخان، وقال المفسر هناك: (هو نبي أو رجل صالح)، ولعله أجمل هناك؛ لأن ما كتب هنا كان قبل تفسير الدخان؛ لأن المفسر بدأ تفسيره من سورة الناس بعد الفاتحة إلى ما فوقه.

(٣) قوله: (من المذكورين). أفاد به أن ﴿كُلٌّ﴾ نكرة موصوفة، والصفة: محذوفة، ولذا وقع مبتدأ، ويصح أن يقال: إن التنوين في ﴿كُلٌّ﴾ عوض عن المضاف إليه، أي: كلهم، فهو معرفة.

(٤) ﴿وَعِيدِ﴾. بكسر الدال، وهو مضاف إلى ياء المتكلم، حذفت اختصاراًا.

(٥) قوله: (أي: لم نعي...). أفاد أن الاستفهام للنفي.

(١٦)- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ﴾ حال[١] بتقدير: نحن ﴿مَا﴾ مصدرية[٢] ﴿تُوَسْوِسُ﴾ تحدث ﴿بِهِۦ﴾ الباء زائدة أو للتعدية، والضمير للإنسان ﴿نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بالعلم[٣] ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ (١٦)﴾ الإضافة للبيان، والوريدان عرقان بصفحتي العنق.

(١٧)- ﴿إِذْ﴾ منصوبة بـ«اذكر» مقدّرًا[٤] ﴿يَتَلَقَّى﴾ يأخذ ويُثْبِتُ ﴿ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ الملكان الموكلان بالإنسان ما يعمله[٥] ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ منه[٦] ﴿قَعِيدٌ (١٧)﴾ أي: قاعدان[٧]، وهو مبتدأ، خبره ما قبله.

---

(١) قوله: (حال...). أي: جملة ﴿وَنَعْلَمُ﴾ في محل نصب حال من نون المتكلم في ﴿خَلَقْنَا﴾. وإنما قدر (نحن)؛ لأن المضارع المثبت إذا وقع حالًا لا تذكر الواو، فإذا ذكرت الواو يقدر بعدها مبتدأ لتكون الجملة اسمية تدخل عليها الواو، كما ذكرها النحاة، ويجوز كون الواو استئنافية، فلا يحتاج إلى تقدير (نحن).

(٢) قوله: (مصدرية). على هذا يكون المعنى: ونحن نعلم وسوسة نفسه إياه. هذا إذا كانت الباء زائدة، أما إذا كانت للتعدية فالتقدير: ونحن نعلم وسوسة نفسه به. ويجوز كون ﴿مَا﴾ موصولة فالضمير عائد إليها، والمعنى: ونحن نعلم الذي توسوس به نفسه. ذكر الوجهين البيضاوي وغيره.

(٣) قوله: (بالعلم). أي: لا بالمكان؛ لأنه تعالى مُسْتَوٍ على عرشه.

(٤) قوله: (منصوب بـ(اذكر)...). أو ظرف لـ﴿أَقْرَبُ﴾.

(٥) قوله: (الموكلان...). أي: هما: كاتب الحسنات عن يمين الإنسان، وكاتب السيئات عن شماله. كما قاله أئمة التفسير.

(٦) قوله: (منه). أي: من الإنسان.

(٧) قوله: (قاعدان). أفاد أن فعيل هنا بمعنى: المثنى. كما قال الجوهري: «فعيل وفعول مما يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع»، وقيل: الأصل عن اليمن قعيد وعن الشمال قعيد؛ فحذف الأول، والقعيد هنا بمعنى الملازم، وليس بمعنى: ضد القيام. ذكره القرطبي.

(١٨)- ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ ﴿عَتِيدٌ (١٨)﴾ حاضر. وكل منهما بمعنى المثنى[(١)].

(١٩)- ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ غمرته وشدته[(٢)] ﴿بِالْحَقِّ﴾ من أمر الآخرة حتى يراه المنكر لها عيانًا[(٣)]، وهو نفس الشدة ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الموت ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩)﴾ تهرب وتفزع.

(٢٠)- ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ للبعث[(٤)] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: يوم النفخ ﴿يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠)﴾ للكفار بالعذاب.

(٢١)- ﴿وَجَاءَتْ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المحشر ﴿مَّعَهَا سَائِقٌ﴾ ملك يسوقها إليه[(٥)]

---

(١) قوله: (وكل منهما...). يعني: أن الرقيب والعتيد صفتان لكل من الملكين، أو التقدير: إلا لديه ملك رقيب عتيد، كما يعلم من البيضاوي، فيكون المراد بالملك الجنس.

(٢) قوله: (غمرته...). وقوله: (من أمر الآخرة). وبذلك فسر ابن جرير، وذكر هذا أحد الوجهين، والآخر: أن المراد بالحق: الموت نفسه، فالمعنى: وجاءت سكرة الموت بحقيقة الموت. وقول المفسر: (وهو نفس الشدة). أي: أن المراد بالحق هنا نفس الشدة.

(٣) وقوله: (عيانًا). حال من ﴿سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾، أي: جاءت عيانًا.

(٤) قوله: (للبعث). أي: المراد هنا النفخة الآخرة للبعث، كما ذكره القرطبي.

(٥) قوله: (ملك يسوقها...). ما ذكره المفسر في المراد بالسائق والشهيد مروي عن ابن عباس، قال: «السائق: من الملائكة، والشهيد: من أنفسهم الأيدي والأرجل». نقله القرطبي. وروي في ذلك أقوال أخرى، فعن مجاهد: «السائق والشهيد: ملكان»، نقله القرطبي. وروى مثله عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ونقل في ذلك حديثًا مرفوعًا عن جابر، وفيه: «...**فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات، فأنشطا كتابًا معقودًا في عنقه، ثم حضرا معه، واحد سائق، والآخر شهيد**...».اهـ. واختار القرطبي هذا القول.

﴿وَشَهِيدٌ ٢١﴾ يشهد عليها بعملها، وهو الأيدي والأرجل وغيرها، ويقال للكافر[١]:

٢٢- ﴿لَقَدْ كُنتَ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ النازل بك اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ٢٢﴾ حادّ[٢] تدرك به ما أنكرته في الدنيا.

٢٣- ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الملك الموكل به[٣] ﴿هَٰذَا مَا﴾ أي: الذي ﴿لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣﴾ حاضر، فيقال لمالك[٤]:

٢٤- ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ أي: ألق ألق[٥]، أو ألقينْ. وبه قرأ الحسن فأبدلت النون

---

(١) قوله: (ويقال للكافر...). دخول للآية التالية. وأفاد المفسر أنها مقول للقول المحذوف، وهذا يقال للكافر يوم القيامة، روي ذلك -أي: أن المخاطب بها الكافر- عن ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما. وفيه أقوال أخرى. وبنحوه فسر ابن جرير، وذكر ثلاثة أقوال في المقول له ذلك.

والقول الثاني أن المخاطب بها رسول الله ﷺ في الدنيا، والمعنى: لقد كنت في غفلة عن هذا الدين في الجاهلية فكشف عنك الغطاء وأوحي إليك. روي عن ابن زيد.

والقول الثالث: أن المخاطب جميع الخلق من الإنس والجن. رواه ابن جرير عن الحسين بن عبدالله بن عبيدالله بن عباس.

(٢) قوله: (حادّ). أفاد أن الحديد: فعيل، بمعنى: اسم الفاعل.

(٣) قوله: (الملك). أي: المراد بالقرين هنا: الملك الموكل به، قاله الحسن، وقتادة، والضحاك، كما في القرطبي. والمعنى: هذا الذي عندي من كتابة عَمَلِهِ مُعَدّ محفوظ. وفي قول مجاهد: «هذا الذي وكلتني من بني آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله».

(٤) قوله: (فيقال لمالك:...). أي: لخازن النار: مالك.

(٥) قوله: (أي: ألق ألق...). يعني: أن الألف في ﴿أَلْقِيَا﴾ ليست للتثنية، بل للدلالة على تكرار الفعل؛ لأن الخطاب لمالك. وهذا أحد الأوجه، ونسب هذا القول إلى المازنيّ. =

ألفًا ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ٢٤﴾ معاند للحق.

٢٥- ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كالزكاة[1] ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿مُّرِيبٍ ٢٥﴾ شاك في دينه.

٢٦- ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ مبتدأ ضمن معنى الشرط[2]، خبره: ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ تفسيره مثل ما تقدم ﴿فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ٢٦﴾.

٢٧- ﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الشيطان[3] ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ أضللته ﴿وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ٢٧﴾ فدعوته، فاستجاب لي، وقال[4]: هو أطغاني بدعائه لي.

٢٨- ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ أي: ما ينفع الخصام هنا ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ في الدنيا ﴿بِٱلْوَعِيدِ ٢٨﴾ بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا ولا بدّ منه.

= والوجه الثاني: أن الألف منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة إجراءً للوصل مجرى الوقف. وقرأ الحسن: بالنون: ﴿أَلْقِيَنْ﴾. وقيل: الألف للتثنية. والمخاطب: السائق والقرين، أو ملكان من خزنة النار. ذكر الأوجه البيضاوي، والقرطبي وغيرهما.

(١) قوله: (كالزكاة). روى ابن جرير عن قتادة المراد هنا: الزكاة. وصوّب ما هو أعمّ من الزكاة. ويوافقه قول المفسر حيث عبر بـ«الكاف» التمثيلية: (كالزكاة).

(٢) قوله: (مبتدأ). أي: الاسم الموصول مبتدأ في محل رفع خبره جملة ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾، ودخلت الفاء في الخبر لشبه الاسم الموصول بأداة الشرط في العموم، فدخلت الفاء في الخبر كما تدخل في جواب الشرط، ولا مانع من وقوع الجملة الإنشائية خبرًا للمبتدأ، وإن كان قليلًا، وإنما يمتنع وقوعها نعتًا أو حالًا أو صلةً، ويصح إعراب ﴿ٱلَّذِى﴾ نعتًا لـ﴿كَفَّارٍ﴾؛ لأنه نكرة موصوفة، فهو في قوة المعرفة، فيكون في محل جر، أو في محل نصب على الذم.

(٣) قوله: (الشيطان). وبه فسر القرين هنا ابن عباس وغيره.

(٤) قوله: (وقال...). أي: الكفار الأثيم، وهذا دخول للآية التالية، وبيان للمخاصمة بينه وبين قرينه.

٢٩- ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾ يغيّر ﴿ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾ في ذلك ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩﴾ فأعذبهم بغير جرم. و«ظلّام» بمعنى: ذي ظلم[(١)]؛ لقوله تعالى: «لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ» [غافر: ١٧].

٣٠- ﴿يَوۡمَ﴾ ناصبه: «ظلام»[(٢)] ﴿نَقُولُ﴾ بالنون والياء[(٣)] ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ﴾ استفهام تحقيق لوعده بملئها[(٤)] ﴿وَتَقُولُ﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ٣٠﴾ أي: فِيَّ؛ لا أسع غير ما امتلأت به[(٥)]، أي: قد امتلأت.

---

(١) قوله: (بمعنى: ذي ظلم...). يعني: أن صيغة «فعّال» ليست للمبالغة حتى توهم ثبوت أصل الظلم، بل بمعنى النسبة، كما يقال: تمار، بقال...، وقد تقدم هذه الكلمة في سورة آل عمران الآية (١٨٢)، والأنفال الآية (٥٠)، والحج الآية (١٠)، وفصلت الآية (٤٦).

(٢) قوله: (ناصبه...). يعني: أن ﴿يَوۡمَ﴾ ظرف لـ«ظلام» منصوب به، ويجوز كون منصوبًا بـ«اذكر» مقدرًا.

(٣) قوله: (بالنون والياء). قرأ نافع، وشعبة: بالياء: ﴿يَقُولُ﴾. والباقون: بالنون: ﴿نَقُولُ﴾.

(٤) قوله: (استفهام تحقيق...). أي: ليس استفهامًا حقيقيًّا؛ لأنه يستحيل من الله تعالى ذلك.

(٥) قوله: (لا أسع...). أي: ما بقي فيَّ موضع للزيادة، كقوله ﷺ: «**هل ترك لنا عقيل من ربع أو منزل**». أي: ما ترك. وهذا المعنى رواه ابن جرير عن ابن عباس وغيره، وحاصل ما روى عنه: جعل أهل النار يقتحمون فيها، ولا يملؤها شيء، وقد وعدها الله تعالى: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ ...﴾ [الأعراف: ١٨]، حتى يضع الله قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، قد امتلأت فليس لي مزيد.اهـ. وعلى هذا يكون سؤاله تعالى لها: هل امتلأت بعد أن يضع قدمه فيها، كما قاله ابن جرير توضيحًا لهذا القول. وهناك قول آخر: معنى ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ٣٠﴾: الاستزادة، أي: زدني، فعلى هذا يكون ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ٣٠﴾ سؤالًا من النار قبل وضع قدم الله عليها. وهو ظاهر رواية مسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة قدمه فيها**...». ورجحه ابن جرير، وابن كثير. هذا وقد ذهب القرطبي وغيره من المفسرين تأويل القدم بأن المراد الجماعة من أهل النار، وكذا الرجل، معناه =

(٣١)- ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ قربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مكانًا[١] ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١)﴾ منهم فيرونها، ويقال لهم:

(٣٢)- ﴿هَٰذَا﴾ المرئي ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ بالتاء والياء، في الدنيا، ويبدل من «لِلْمُتَّقِينَ» قوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجاع إلى طاعة الله ﴿حَفِيظٍ (٣٢)﴾ حافظ لحدوده.

(٣٣)- ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ خافه ولم يره[٢] ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣)﴾ مقبل على طاعته. ويقال للمتقين أيضًا:

(٣٤)- ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي: سالمين من كل مخوف[٣]، أو مع سلام، أي: سلِّموا[٤] وادخلوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ (٣٤)﴾ الدوام في الجنة.

(٣٥)- ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)﴾ زيادة على ما عملوا وطلبوا[٥].

(٣٦)- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أهلكنا قبل كفار قريش قرونًا

= الجماعة، كما يقال: رأيت رجلًا من الناس، أي: جماعة. فيكون معنى وضع القدم أو الرجل: إلقاء الجماعة من أهل النار فيها، وأيده القرطبي بأثر نقله عن ابن مسعود، وهذا التأويل بعيد من سياق الأحاديث الصحيحة. وعلى هذا تكون القدم صفة لله تعالى كما يليق به عَزَّوَجَلَّ، من دون تشبيه ولا تأويل، كغيرها من الصفات. وعليه علماء السلف.

(١) قوله: (مكانًا). قدره ليكون موصوفًا و﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ صفة.

(٢) قوله: (خافه...). أي: فيكون بالغيب حالًا من الفاعل.

(٣) قوله: (أي: سالمين...). ذكر المفسرون: بسلامة من العذاب، أو بسلام من الله وملائكته.

(٤) وقول المفسر: (أي: سلّموا...). هذا معنى آخر كما هو واضح.

(٥) قوله: (زيادة...). فسر كذلك القرطبي وغيره، وقال: عن أنس وجابر: «أنه النظر إلى وجه الله تعالى»، وذكره ابن كثير، كما في قوله ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، روى مسلم ذلك في «صحيحه»، والمعنى الأول أعم؛ لأنه يشمل النظر وغيره.

كثيرة من الكفار[١] و﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾[٢] قوة ﴿فَنَقَّبُوا﴾ فتشوا[٣] ﴿فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾ لهم أو لغيرهم من الموت، فلم يجدوا.

﴿٣٧﴾ - ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ لعظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ عقل[٤] ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ استمع الوعظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ حاضر القلب.

﴿٣٨﴾ - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ تعب[٥]، نزل ردًّا على اليهود[٦] في قولهم: إن الله استراح يوم السبت، وانتفاء التعب عنه لتنزهه تعالى عن صفات المخلوقين ولعدم المماسة بينه وبين غيره «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾» [يس: ٨٢].

---

(١) قوله: (قرونًا كثيرة). أفاد أن ﴿كَمْ﴾ خبرية، وهي في محل نصب مفعول مقدم.

(٢) قوله: (و﴿هُمْ أَشَدُّ﴾). قدر الواو للتنصيص على أن الجملة حالية، والواو ليست واجبة هنا لوجود الضمير في الجملة. وقد لخصنا مواضع دخول الواو في الجملة الحالية جوازًا أو وجوبًا أو امتناعًا، وذلك في كتاب «البلغة في علوم البلاغة». ولا توجد الواو في بعض النسخ.

(٣) قوله: (فتشوا). تفسير للمراد بـ﴿فَنَقَّبُوا﴾ وهو فعل ماض. وبمثله أو قريب منه فسر أئمة التفسير، والنقب في الأصل: الخرق والدخول في الشيء. ذكره القرطبي.

(٤) قوله: (عقل). وبه فسر ابن جرير، والقرطبي، وعزاه القرطبي إلى مجاهد وغيره.

(٥) قوله: (تعب). كما روي عن ابن عباس وغيره: «نَصَبَ».

(٦) قوله: (نزل ردًّا...). هذا القول مروي عن قتادة، والكلبي، فتكون الآية مدنية كما تقدم. قال قتادة: «قالت اليهود: إن الله خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام، ففرغ من الخلق يوم الجمعة، واستراح يوم السبت؛ فأكذبهم الله، وقال: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾». اهـ. ابن جرير.

(٣٩)- ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اليهود وغيرهم من التشبيه والتكذيب[(١)] ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ صلّ حامدًا ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ أي: صلاة الصبح ﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ (٣٩)﴾ أي: صلاة الظهر والعصر[(٢)].

(٤٠)- ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ أي: صل العشاءين ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ (٤٠)﴾ بفتح الهمزة[(٣)] جمع دُبر، وكسرها: مصدر أدبر، أي: صل النوافل[(٤)] المسنونة عقب

---

(١) قوله: (من التشبيه...). راجع إلى قول اليهود.

وقوله: (والتكذيب). راجع إلى قول غيرهم من المشركين.

(٢) قوله: (أي: صلاة الظهر...). أي: المراد بما قبل الغروب: الظهر والعصر، وهذا عزاه القرطبي إلى ابن عباس. وروى ابن جرير عن ابن زيد: «قبل طلوع الشمس: الفجر، وقبل الغروب: العصر»، والمراد بتسبيح الليل: المغرب والعشاء. ذكره ابن جرير، والقرطبي، وعزاه إلى ابن عباس، وعلى هذا يكون في الآيتين الأمر بالصلوات الخمس في الجملة، وفي ذلك أقوال أخرى. لكن ذكر ابن كثير: «أنه كانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء: ثنتين قبل طلوع الشمس في وقت الفجر وثنتين قبل الغروب في وقت العصر، وقيام الليل كان واجبًا في حق النبي ﷺ، وعلى أمته حولًا ثم نسخ في حق الأمة وجوبه، ثم نسخ ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات، ولكن منهن صلاة الصبح والعصر».اهـ. فظاهر كلامه أن الآية قبل الإسراء، أي: في الصلوات الواجبة قبله، ثم نسخ بالصلوات الخمس، والله أعلم.

(٣) قوله: (بفتح الهمزة...). قرأ نافع، وابن كثير، وحمزة، وأبو جعفر، وخلف: بكسر الهمزة مصدرًا. والباقون: بفتح الهمزة، جمع دُبر. كما قال المفسر، وعلى الوجهين هو منصوب على الظرفية، ويقدر مضاف إذا كان بكسر الهمزة، أي: وقت إدبار.

(٤) وقوله: (أي: صلّ النوافل...). تفسير للمراد بالتسبيح في أدبار السجود، وهذا القول رواه ابن جرير، عن ابن زيد. وفيه قولان آخران:

أحدهما: المراد ركعتا المغرب، أي: الراتبة بعد صلاة المغرب، رواه عن عليّ، وابن عباس، ومجاهد، وغيرهم، واختاره. =

الفرائض، وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات ملابسًا للحمد.

(٤١) - ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ يا مخاطب مقولي[١] ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ هو إسرافيل[٢] ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١)﴾ من السماء[٣]، وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول: أيتها العظام[٤] البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

= والثاني: التسبيح بعد الصلوات، رواه عن ابن عباس أيضًا، ورجحه ابن كثير. وإلى هذا القول أشار المفسر بقوله: (وقيل: المراد حقيقة التسبيح...إلخ).

(١) قوله: (يا مخاطب...). تقدير للمخاطب، فهو خطاب لكل مخطاب، هذا أحد الوجهين. والوجه الثاني: أن الخطاب للنبي ﷺ. وجرى عليه ابن جرير، وابن كثير، وغيرهما. وقوله: (مقولي). قدره ليكون مفعولًا به لـ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾.

(٢) وقوله: (وهو إسرافيل). أي: المنادي هنا هو إسرافيل، كما عزي هذا إلى قتادة. وقال القرطبي: «المنادي جبريل، وقيل: إسرافيل»، وذكر الوجهين البيضاوي. وحذف الياء من ﴿ٱلْمُنَادِ﴾: قراءة الجمهور. وهي لغة في الأسماء المنقوصة التي دخلت عليها «أل» عند الوقف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: بإثبات الياء وصلًا. وابن كثير: بإثباتها وصلًا ووقفًا.

(٣) وقوله: (من السماء). متعلق بـ﴿قَرِيبٍ﴾. أي: من مكان قريب من السماء. وهو صخرة بيت المقدس. روى ابن جرير هذا عن كعب، وقتادة. وعن كعب: «أن بيت المقدس أقرب الأماكن من الأرض إلى السماء».

(٤) وقوله: (أيها العظام...). هذه التي ينادى بها، وذكر هذه الجمل البيضاوي. وروى ابن جرير نحوه عن كعب الأحبار، وذكر القرطبي بألفاظٍ أكثر. وقال ابن كثير ما يفيد أن المنادي إسرافيل، وأن هذا النداء بعد قيام الساعة، فقال: «ينزل الله تعالى مطرًا فتنبت به أجساد الخلائق، فإذا تكاملت أمر الله إسرافيل فينفخ في الصور، وقد أودعت الأرواح في ثقب في الصور، فتخرج الأرواح تتوهج بين السماء والأرض، فيقول الله: فوعزتي وجلالي لترجعن كل روحٍ إلى جسدها، فتدبّ فيه كما يدُبّ السم في اللديغ، وتنشق عنهم الأرض فيقومون إلى موقف الحساب». اهـ. ملخصًا.

(٤٢)- ﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يَوْمَ» قبله ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أي: الخلق كلهم ﴿ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالبعث[١]، وهي النفخة الثانية من إسرافيل، ويحتمل[٢] أن تكون قبل ندائه وبعده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: يوم النداء والسماع ﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ (٤٢)﴾ من القبور، ناصب: «يَوْمَ يُنَادِ» مقدّر[٣]، أي: يعلمون عاقبة تكذيبهم.

(٤٣)- ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ (٤٣)﴾.

(٤٤)- ﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يَوْمَ» قبله، وما بينهما اعتراض[٤] ﴿تَشَقَّقُ﴾ بتخفيف الشين وتشديدها[٥] وبإدغام التاء الثانية في الأصل فيها ﴿ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ جمع

---

(١) قوله: (بالبعث). أي: المراد بهذه الصيحة: صيحة البعث من القبور، وبه فسر ابن جرير. وكما قال ابن كثير: «يعني النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه يمترون».اهـ.

(٢) قوله: (ويحتمل). يعني: يحتمل كون النفخة الثانية قبل النداء بالكلمات المذكورة، ويحتمل كونه بعد النداء. ولم أجد من صرّح بتحديد ذلك، والعلم عند الله تعالى.

(٣) قوله: (مقدّر...). هذا وجه. وقيل: ما دَلّ عليه الخروج، أي: يخرجون يوم يناد.

تنبيه: ﴿يُنَادِ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة تخفيفًا، والأصل: ينادي، وكذا ﴿ٱلْمُنَادِ﴾: فاعل مرفوع بالضمة المقدرة على الياء المحذوفة تخفيفًا، والأصل: المنادي. وتقدم ذكر القراءات فيه.

(٤) قوله: (وما بينهما...). وهو ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ...﴾ الآية معترضة بين البدل والمبدل منه. وقيل: ﴿يَوْمَ﴾ هنا ظرف لـ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾، لأن ﴿يَوْمَ﴾ المتقدم كان بدلًا ممن قبله. والإبدال من البدل محل خلاف عند النحاة.

(٥) قوله: (بتخفيف الشين...). قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: بتشديد الشين: ﴿تَشَّقَّقُ﴾. وذلك أن أصله: تتشقق، بتاءين، أدغمت التاء الثانية في الشين. وقرأ الباقون: ﴿تَشَقَّقُ﴾ بتخفيف الشين وذلك بحذف إحدى التاءين، وهذا الحذف جائز، أي: إذا اجتمعت تاءان في مضارع «تفعّل، وتفاعل، وتفعْلل» جاز حذف إحداهما.

سريع، حال من مقدر، أي: فيخرجون مسرعين(١) ﴿ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ٤٤﴾ فيه فصل(٢) بين الموصوف والصفة بمتعلقها للاختصاص، و«ذَٰلِكَ» إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه، وهو الإحياء بعد الفناء(٣)، والجمع للعرض والحساب.

٤٥ - ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾ أي: كفار قريش ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ تجبرهم على الإيمان(٤)، وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾ وهم المؤمنون(٥).

❊❊❊

(١) قوله: (فيخرجون...). على هذا يكون ﴿سِرَاعٗاۚ﴾ حالًا من الواو في (يخرجون)، قال ابن جرير: «حال من الضمير المجرور في ﴿عَنۡهُمۡ﴾»، وبذلك أعرب الدرويش في «إعراب القرآن»، وما ذكره المفسر أنسب باعتبار المعنى.

(٢) قوله: (فيه فصل...). فالموصوف ﴿حَشۡرٌ﴾ والصفة ﴿يَسِيرٞ﴾، فصل بينهما بمعمول الصفة وهو ﴿عَلَيۡنَا﴾؛ لأنه متعلق بـ﴿يَسِيرٞ﴾، أي: يسير علينا، ولا بأس بنحو هذا الفصل، وتقدم المعمول ﴿عَلَيۡنَا﴾ يفيد الحصر، أي: يسير علينا فقط، وليس يسيرًا على أحدٍ غيره، ولا يقدر على ذلك أحد سوى الله تعالى.

(٣) قوله: (وهو الإحياء). بيان لمعنى الحشر.

(٤) قوله: (تجبرهم...). ظاهره أن جبّار بمعنى: مُجبر، على ما ذكره الثعلبي أن «فعّالًا» ربما تأتي بمعنى: «مُفعل»، نحو: جبار بمعنى: مجبر، ودرّاك بمعنى: مُدرِك، وسرّاع بمعنى: مُسرع... وغيرها».اهـ. وعن الفراء: «يقال: جبره على الأمر: قهره؛ فالجبار بمعنى: القهر، أو الجبار من الجبرية والتسلط، فيكون المعنى: وما أنت بمسلطّ عليهم بجبرهم على الإيمان كما قال تعالى: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ [الغاشية: ٢٢]».اهـ. وذكر ذلك كله القرطبي بتفصيل، وأشار المفسر بقوله: (وهذا قبل الأمر بالجهاد). إلى أن الآية منسوخة، وذكر ذلك القرطبي، والآية مكية قبل مشروعية القتال.

(٥) قوله: (وهم المؤمنون). روى ابن جرير عن ابن عباس، قالوا: يا رسول الله، لو خوفتنا، فنزلت: ﴿فَذَكِّرۡ﴾ الآية.

٥١ - سورة الذاريات

مكية[(١)]، وآياتها ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ الرياح تذرو التراب وغيره[(٢)] ﴿ذَرْوًا (١)﴾ مصدر، ويقال: تذريه ذريًا[(٣)]: تهب به.

(٢)- ﴿فَالْحَامِلَاتِ﴾ السحب تحمل الماء ﴿وِقْرًا (٢)﴾ ثقلًا، مفعول «فَالْحَامِلَاتِ».

(٣)- ﴿فَالْجَارِيَاتِ﴾ السفن تجري على وجه الماء ﴿يُسْرًا (٣)﴾ بسهولة، مصدر في موضع الحال، أي: ميسرة.

(٤)- ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤)﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين البلاد والعباد.

(٥)- ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ «ما» مصدرية[(٤)]، أي: وعدهم بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٌ (٥)﴾ لوعد صادق.

---

(١) قوله: (مكية). ولم أر في ذلك اختلافًا.

(٢) قوله: (الرياح...). ما ذكره المفسر من تفسير الذاريات وما بعدها رواها ابن جرير عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعضها عن ابن عباس، ونقل ذلك المفسرون. قال القرطبي: «إن ابن الكواء -أي: عبدالله بن الكوّاء- سأل عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: يا أمير المؤمنين: ما الذاريات ذروا، قال: ويلك، سَلْ تفقهًا ولا تسأل تعنُّتًا: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١)﴾: الرياح، ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢)﴾: السحاب، ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣)﴾: السفن، ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤)﴾: الملائكة».

(٣) وقول المفسر: (ويقال: تذريه...). أي: يستعمل الفعل واويًا ويائيًّا.

(٤) وقول المفسر: («ما» مصدرية)، هذا وجه. والوجه الثاني: أنها موصولة، و﴿تُوعَدُونَ﴾ صلتها. والعائد محذوف، أي: توعدونه، ومآلهما واحد.

(٦) - ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾ الجزاء بعد الحساب[١] ﴿لَوَٰقِعٌ (٦)﴾ لا محالة.

(٧) - ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ (٧)﴾ جمع حبيكة، كطريقة وطرق[٢]، أي: صاحبة الطرق في الخلقة، كالطرق في الرمل[٣].

(٨) - ﴿إِنَّكُمْ﴾[٤] يا أهل مكة في شأن النبي ﷺ وفي القرآن ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٨)﴾ قيل: شاعر، ساحر، كاهن، شعر، سحر، كهانة.

(٩) - ﴿يُؤْفَكُ﴾ يصرف ﴿عَنْهُ﴾ عن النبي ﷺ والقرآن، أي: الإيمان به ﴿مَنْ أُفِكَ (٩)﴾ صرف عن الهداية، في علم الله تعالى.

(١٠) - ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ (١٠)﴾ لُعن الكذابون[٥]، أصحاب القول المختلف.

---

(١) قوله: (الجزاء). كما فسر به القرطبي وغيره. ومن معاني الدين: الجزاء، كما تقدم في الفاتحة.

(٢) قوله: (جمع حبيكة...). فسر كذلك ابن جرير، والبيضاوي وغيرهما، وروي نحوه عن الضحاك، فالحبك جمع حبيكة أو حِبَاك، وفي معنى الحُبُك سبعة أقوال، فصلها القرطبي، منها: الحسن، والشدة، الصفاقة، الزينة، وغيرها. قال ابن كثير: «وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد، وهو: الحسن والبهاء، فإنها من حسنها مرتفعة، شفافة، صفيقة، شديدة البناء، متسعة الأرجاء، أنيقة البهاء، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات، موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات».اهـ.

(٣) وقوله: (كالطرق في الرمل). قال القرطبي: «يقال لما تراه في الماء والرمل إذا أصابته الريح: حُبُك».اهـ.

(٤) ﴿إِنَّكُمْ﴾ هذا جواب القسم: ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾.

(٥) قوله: (لُعِن...). القتل هنا بمعنى: اللعن. والخراص بمعنى: الكذاب. نقله القرطبي عن الفراء، وروي عن ابن عباس وغيره قريب من هذا المعنى.

(١١)- ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ﴾ جهل يغمرهم[1] ﴿سَاهُونَ (١١)﴾ غافلون عن أمر الآخرة.

(١٢)- ﴿يَسۡـَٔلُونَ﴾ النبي ﷺ سؤال استهزاء: ﴿أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ (١٢)﴾ أي: متى مجيئه، وجوابهم: يجيء.

(١٣)- ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ (١٣)﴾ أي: يعذبون فيها[2]، ويقال لهم حين التعذيب:

(١٤)- ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ تعذيبكم ﴿هَٰذَا﴾ التعذيب ﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ (١٤)﴾ في الدنيا استهزاءً.

(١٥)- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ (١٥)﴾ تجري فيها.

(١٦)- ﴿ءَاخِذِينَ﴾ حال من الضمير[3] في خبر «إِنَّ»، ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمۡ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمۡۚ﴾ من الثواب ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ﴾ أي: دخولهم الجنة ﴿مُحۡسِنِينَ (١٦)﴾ في الدنيا.

---

(١) قوله: (جهلٍ...). الغمرة ما ستر الشيء وغطاه. قاله القرطبي. وعن ابن عباس في تفسير الآية: «في ضلالتهم يتمادون»، وعنه أيضًا: «في غفلة لاهون».اهـ. رواهما ابن جرير.

(٢) قوله: (يعذبون). به فسر ابن عباس وغيره. وقدر المفسر يجيء ليتعلق به الظرف ﴿يَوۡمَ﴾.

فائدة: ذكرت الفتنة على أربعة معان:

١- الإحراق كما هنا.

٢- الاختبار كقوله تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٣- الشرك نحو: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [البقرة: ١٩٣].

٤- الحجة نحو: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ...﴾ [الأنعام: ٢٣]. ذكرهن في «أضواء البيان»، وغيره،وقد سبق ذكر ذلك في سورة البقرة الآية (١٩١) وغيرها.

(٣) قوله: (حال من الضمير...). أي فالتقدير: كائنون في جنات حال كونهم آخذين.

(١٧) - ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧)﴾ أي: ينامون، و«مَا» زائدة[١] و«يَهْجَعُونَ» خبر «كان»، و«قَلِيلًا» ظرف، أي: ينامون في زمن يسير من الليل ويصلون أكثره.

(١٨) - ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)﴾ يقولون: اللهم اغفر لنا.

(١٩) - ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ (١٩)﴾ الذي لا يسأل لتعففه[٢].

(٢٠) - ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿ءَايَٰتٌ﴾ دلالات على قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ووحدانيته ﴿لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠)﴾.

(٢١) - ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ آيات أيضًا من مبدأ خلقكم إلى منتهاه[٣]، وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)﴾ ذلك، فتستدلون به على صانعه وقدرته.

---

(١) قوله: (و﴿مَا﴾ زائدة). ما ذكره من الإعراب واضح لا إشكال فيه، وعليه أكثر المعربين، وهو موافق لما روى ابن جرير وغيره عن الحسن، قال: «لا ينامون من الليل إلا أقله»، وقيل: ﴿مَا﴾ مصدرية، والمعنى: كانوا قليلًا من الليل هجوعهم، أي: نومهم. وهذا يوافق في المعنى الإعراب الأول، إلا أن فيه تقديم معمول الصلة على الموصول، أي: الموصول الحرفي الذي هو ﴿مَا﴾ المصدرية. وقيل: ﴿مَا﴾ نافية، أي: كانوا قليلًا من الليل لا يهجعونه، روي معناه عن ابن عباس. وقيل: غير ذلك. نقل القرطبي عن عطاء: «هذا لما أمروا بقيام الليل».اهـ. أي: قبل مشروعية الصلوات الخمس.

(٢) قوله: (الذي لا يسأله). روي هذا المعنى عن قتادة، والزهري، وقيل: المحروم الذي لا نصيب له، ضد المبارك، ويسمى المحارق، روي ذلك عن ابن عباس وغيره. وقيل: من أصيب ثمره وزرعه. روي عن ابن زيد، واختار ابن جرير المعنى العام الشامل لكل ما ذكر.

(٣) قوله: (من مبدأ خلقكم...). كلام المفسر شامل لكل ما فسرت به هذه الآيات من أنواع العجائب في بدن الإنسان.

﴿٢٢﴾- ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ أي: المطر المسبب عنه النبات الذي هو رزق[١] ﴿وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ من المآب والثواب والعقاب[٢]، أي: مكتوب ذلك في السماء.

﴿٢٣﴾- ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ﴾ أي: ما توعدون ﴿لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ برفع «مِثْلُ»[٣] صفة، و«مَآ» مزيدة، وبفتح اللام مركبة مع «مَآ»، المعنى: مثل نطقكم في حقيقته، أي: معلومِيَّتِهِ عندكم ضرورةَ صدورِهِ عنكم[٤].

---

(١) قوله: (أي: المطر...). وبنحوه فسر ابن جرير وغيره، قال ابن جرير: «وفي السماء المطر والثلج اللذان بهما تُخرج الأرض زرعكم».اهـ. وروى هذا المعنى عن الضحاك وغيره، فيكون إطلاق الرزق على المطر من باب المجاز المرسل، أي: إطلاق المسبب وإرادة السبب، كما أشار المفسر إلى ذلك بقوله: (المسبب عنه النبات).

(٢) قوله: (من المآب والثواب والعقاب). يوافق ما روي عن مجاهد: «من خير أو شر». واختاره ابن جرير.

(٣) قوله: (برفع ﴿مِّثۡلُ﴾) قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وشعبة: برفع ﴿مِّثۡلُ﴾. والباقون: بفتحه. ووجه الرفع: أنه نعت لـ﴿لَحَقّٞ﴾. و﴿مَآ﴾ مزيدة للتوكيد. ووجه الفتح: أنه مركب مع ﴿مَآ﴾. وهذا الوجه عزاه القرطبي إلى المازني، وأبي عبيد، وأبي حاتم، وعن سيبويه: «مبني لإضافته إلى المبني»، وقيل غير ذلك، وعلى كل حال تكون ﴿مَآ﴾ مؤكدة مزيدة. وقيل: نكرة موصوفة.

فائدة: يكتسب المضاف من المضاف إليه عشرة أمور، ومنها: البناء، ومعنى ذلك أن الاسم المعرب إذا أضيف إلى مبني فربما بنى ذلك المضاف المعرب. وجُعل من ذلك هذا الموضع على وجهٍ. فلفظ «مثل» معرب لما أضيف إلى «ما»، أو «أنكمْ» بني على الفتح، كما نسب إلى سيبويه. وقد فصلنا المسألة في «الثلاثيات».

(٤) قوله: (المعنى...). يعني: أن ما توعدون حق لا شك فيه كما أن نطقكم معلوم لديكم لا شكَّ فيه.

=

(٢٤)- ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ (٢٤)﴾ وهم ملائكة اثنا عشر[١] أو عشرة أو ثلاثة، منهم جبريل.

(٢٥)- ﴿إِذۡ﴾ ظرف لـ«حَدِيثُ ضَيۡفِ»، ﴿دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ﴾ أي: هذا اللفظ[٢] ﴿قَالَ سَلَٰمٞ﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ (٢٥)﴾ لا نعرفهم، قال ذلك في نفسه[٣]، وهو خبر مبتدأ مقدر، أي: هؤلاء.

(٢٦)- ﴿فَرَاغَ﴾ مال ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ سرًّا ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ (٢٦)﴾، وفي سورة هود: ﴿بعجل حنيذ﴾، أي: مشوي.

(٢٧)- ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ (٢٧)﴾ عرض عليهم الأكل، فلم يجيبوا.

= وقوله: (في حقيقته). هكذا وجدنا في النسخ. ولعله: «في حقِّيَّتِهِ»؛ لأنه الأنسب لقوله: (أي: معلوميّته).

وقوله: (ضرورة صدوره)، أي: لأجل ضرورة صدور النطق منكم فهو حق لا شك فيه. كذلك ما توعدون حق.

(١) قوله: (اثنا عشر...). تقدم في هود ذكر اختلاف عددهم؛ فعن ابن عباس: «ثلاثة»، وعن محمد بن كعب: «عشرة»، حكى البيضاوي بقيل: أنهم اثنا عشر.

(٢) قوله: (هذا اللفظ...). فيكون مفعولًا مطلقًا لفعل محذوف، أي: نسلِّم عليكم سلامًا، و﴿سَلَٰمٞ﴾: مبتدأ، حذف الخبر، أي: عليكم. سلَّموا بالجملة الفعلة، ورد عليهم بالجملة الاسمية؛ لإفادة الثبوت؛ فيكون الرد أبلغ من تسليمهم، كما يعلم من البيضاوي، وتقدم في هود.

(٣) قوله: (قال ذلك في نفسه). لم أر هذا معزوًّا. بل الظاهر من الكلام المفسرين أنه قاله لهم لفظًا، حيث قدر المفسرون المبتدأ: أنتم.

﴿٢٨﴾- ﴿فَأَوۡجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ﴾ إنا رسل ربك ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾﴾ ذي علم كثير[1]، وهو إسحٰق كما ذكر في هود.

﴿٢٩﴾- ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ سارة ﴿فِي صَرَّةٖ﴾ صيحة[2]، حال، أي: جاءت صائحة ﴿فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا﴾ لطمته ﴿وَقَالَتۡ عَجُوزٌ[3] عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾﴾ لم تلد قط، وعمرها تسع وتسعون سنة[4]، وعمر إبراهيم مائة سنة، أو عمره مائة وعشرون سنة وعمرها تسعون سنة.

﴿٣٠﴾- ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ﴾[5] أي: مثل قولنا في البشارة ﴿قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ بخلقه.

❁❁❁

---

(١) قوله: (ذي علم كثير). كما تقدم في هود.

(٢) قوله: (صيحة). قاله ابن عباس وغيره، وفسر به ابن جرير وغيره.

(٣) ﴿عَجُوزٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي: أنا.

(٤) قوله: (وعمرها...). وتقدم ذلك في تفسير سورة هود الآية (٧٢).

(٥) ﴿كَذَٰلِكِ﴾ في محل نصب مفعول مطلق، نعت لمصدر محذوف، أي: قال ربك قولًا مثل الذي قلنا. أي: فلا تشكي في ذلك. قال القرطبي: «كان بين البشارة والولادة سنة»، والله أعلم.

(٣١) - ﴿۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾﴾.

(٣٢) - ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ كافرين، أي: قوم لوط.

(٣٣) - ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾ مطبوخ بالنار.

(٣٤) - ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلّمة عليها اسم من يرمى بها[1] ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾ بإتيانهم الذكور مع كفرهم.

(٣٥) - ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ أي: قرى قوم لوط[2] ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ لإهلاك الكافرين.

(٣٦) - ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ وهم لوط وابنتاه[3]، وُصفوا بالإيمان والإسلام[4]، أي: هم مصدقون بقلوبهم، عاملون بجوارحهم الطاعات.

(٣٧) - ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾[5] بعد إهلاك الكافرين ﴿ءَايَةً﴾ علامة على إهلاكهم ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم.

---

(١) قوله: (معلّمة). تقدم تفصيله في سورة هود (٨٣).

(٢) قوله: (أي: قرى...). أفاد أن الضمير «ها» يعود إلى المعلوم من السياق.

(٣) قوله: (وهو لوط...). كما تقدم في سورة هود (٨١).

(٤) قوله: (وُصفوا...). على هذا يكون المراد بالإيمان تصديق القلب، وبالإسلام عمل الجوارح، وهذا أحد الإطلاقات، وقد يطلقان بمعنى واحد، فيكون إطلاقهما هٰهنا من باب التفنن في التعبير. وذكرهما القرطبي. وقد تقدم في تفسير أول سورة البقرة شيء من التفصيل في الإيمان وإطلاقاته، من أنه يطلق تارة على التصديق فقط، وتارة على مجموع التصديق والعمل، وأخرى على العمل فقط.

(٥) ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾. قال ابن جرير: «والمعنى: تركناها آية؛ لأنها التي ائتكفت بأهلها؛ فهي الآية».اهـ.

(٣٨) - ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ معطوف على «فِيهَآ»، والمعنى[١]: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ملتبسًا[٢] ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٣٨)﴾ بحجة واضحة.

(٣٩) - ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن الإيمان ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾ مع جنوده[٣]؛ لأنهم له كالركن ﴿وَقَالَ﴾ لموسى هو ﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩)﴾.

(٤٠) - ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي ٱلْيَمِّ﴾ البحر فغرقوا ﴿وَهُوَ﴾ أي: فرعون ﴿مُلِيمٌ (٤٠)﴾ آتٍ بما يُلام عليه، من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية.

(٤١) - ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾ آية[٤] ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ (٤١)﴾ هي التي لا خير فيها[٥]؛ لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر، وهي: الدبور[٦].

(٤٢) - ﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ﴾ نفسٍ أو مالٍ ﴿أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ (٤٢)﴾ كالبالي المتفتت.

---

(١) قوله: (والمعنى:...). يشير إلى أن تركنا مضمن معنى: جعلنا، ويجوز كونه معطوفًا على ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾. ذكر الوجهين البيضاوي.

(٢) قوله: (ملتبسًا). أفاد أن الباء في ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾ للالتباس والإلصاق.

(٣) قوله: (مع جنوده). تفسير لـ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾، فالباء بمعنى: مع، والركن: يراد به الجنود. روى ابن جرير نحوه عن ابن زيد، ومجاهد، والركن في الأصل: الجانب الأقوى، سمي به جنده من باب الاستعارة، كما أشار المفسر.

(٤) قوله: (آية). يجوز رفعه على أنه مبتدأ مؤخر. و﴿وَفِي عَادٍ﴾ خبر مقدم. فتكون الواو استئنافية أو لعطف الجملة، ويجوز نصبه بتقدير: «جعلنا»؛ فيكون معطوفًا على ما قبله.

(٥) قوله: (هي التي لا خير فيها). روى ابن جرير نحوه عن ابن عباس وغيره. وذكر نحوه المفسرون.

(٦) وقوله: (وهي الدبور). أي: تسمى هذه الريح دبورًا، وفي «الصحيحين»: «**نصرتُ بالصبا، وأهلكت عادٌ بالدبور**». [كتاب الاستسقاء].

﴿٤٣﴾- ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقر الناقة ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾ إلى انقضاء آجالكم كما في آية: «تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ» [هود: ٦٥](١).

﴿٤٤﴾- ﴿فَعَتَوْا﴾ تكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عن امتثاله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ بعد مضي الثلاثة أيام، أي: الصيحة المهلكة(٢) ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: بالنهار(٣).

﴿٤٥﴾- ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ أي: ما قدروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ على من أهلكهم.

﴿٤٦﴾- ﴿وَقَوْمِ نُوحٍ﴾ بالجر(٤)، عطف على «ثَمُودَ»، أي: وفي إهلاكهم بما في السماء والأرض آية، وبالنصب، أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿٤٧﴾- ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ﴾ بقوة(٥) ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ قادرون(٦)، يقال: آد

---

(١) قوله: (كما في آية...). الآية من سورة هود (٦٥).

(٢) قوله: (أي: الصيحة). تفسير لـ﴿الصَّاعِقَةُ﴾.

(٣) وقوله: (أي: بالنهار). وقاله القرطبي، والبيضاوي.

(٤) قوله: (بالجر...). قرأ بالجر: أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف. وبالنصب: الباقون. ووجههما كما ذكر المفسر.

(٥) قوله: (بقوة). قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة وغيرهم. فليس جمع يد، بل مصدر: آد، يئيدُ. كما ذكره المفسر. والبلاغيون يجعلونه مثالًا للتورية، وهي ذكر لفظٍ له معنيان بعيد وقريب، فيراد البعيد. فمعنى «أيد» القريب أنه جمع يد، وليس مرادًا، ولا ينافي التورية كونه جمعًا، وكون المعنى المراد إذا كان مفردًا مصدرًا، كما هو واضح.

(٦) وقوله: (قادرون). تفسير ﴿لَمُوسِعُونَ﴾. وبه وبنحوه فسر ابن عباس وغيره. وقال الجوهري: «يقال: أوسع الرجل، أي: صار ذا سعة وغنى»، كما ذكره المفسر. وعلى هذا =

الرجل يئيد: قوي، وأوسع الرجل: صار ذا سعة وقوة.

﴿٤٨﴾- ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا﴾[١] مهدناها ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ نحن.

﴿٤٩﴾- ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ صنفين[٢]، كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل[٣]، فتعلمون[٤] أن خالق الأزواج فرْدٌ فتعبدونه.

﴿٥٠﴾- ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي: إلى ثوابه من عقابه[٥]، بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾﴾ بيّن الإنذار.

﴿٥١﴾- ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾﴾ يقدر[٦] قبل: «فَفِرُّوٓاْ»: قل لهم.

= يكون أوسع لازمًا. وقيل: موسعون السماء وما بينهما وبين الأرض أو الأرزاق، كما يعلم من البيضاوي وغيره. وعلى هذا يكون متعدِّيًا، وحذف المفعول به، والله أعلم.

(١) ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾. منصوب بفعل يفسره ﴿فَرَشۡنَٰهَا﴾. فهو من باب الاشتغال، كما في ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا﴾.

(٢) قوله: (صنفين). أي: نوعين مختلفين. وما ذكره المفسر من الأمثلة مروي عن مجاهد بأكثر مما ذكره من الأمثلة. وروي نحوه عن ابن زيد وغيره.

(٣) قوله: (بحذف إحدى التاءين). أي فأصله: تتذكَّرون. حذفت إحدى التاءين: هذه قراءة حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف. وقرأ الباقون: بتشديد الذال: ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾، وذلك بإدغام التاء في الذال.

(٤) وقوله: (فتعلمون). توضيح لما تضمنته هذه الآية من العبرة والدرس، وذكره القرطبي وغيره.

(٥) قوله: (إلى ثوابه). إشارة إلى تقدير مضاف.

(٦) قوله: (ويقدّر). وذلك لدلالة قوله ﴿إِنِّي لَكُم...﴾؛ لأنه يكون بلسان النبي ﷺ.

٥٢- ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ﴾ هو ﴿سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ أي: مثل تكذيبهم لك[١] بقولهم: إنك ساحر أو مجنون تكذيبُ الأمم قبلهم لِرسلهم بقولهم ذلك.

٥٣- ﴿أَتَوَاصَوۡاْ﴾ كلهم[٢] ﴿بِهِۦ﴾ استفهام بمعنى: النفي[٣] ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ جَمَعَهُمْ على هذا القول طغيانهم.

٥٤- ﴿فَتَوَلَّ﴾ أعرض[٤] ﴿عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾﴾ لأنك بلَّغتهم الرسالة.

٥٥- ﴿وَذَكِّرۡ﴾ عظ بالقرآن ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ مَن علم الله تعالى أنه يؤمن.

٥٦- ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[٥] ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين[٦]؛ لأن الغاية لا يلزم وجودها، كما تقول: بريت هذا القلم

---

(١) قوله: (مثل تكذيب...). خبر مقدم. مبتدؤه قوله: تكذيب الأمم. وهو توضيح لـ﴿كَذَٰلِكَ﴾.

(٢) قوله: (كلهم). أي: أولاهم لأخراهم بالتكذيب. قاله قتادة.

(٣) وقوله: (بمعنى: النفي). أي: ما أوصَوْهم بل هم قوم طاغون، كما في ابن جرير. وقال القرطبي: «والاستفهام للتوبيخ والتعجب»، فتكون ﴿بَلۡ﴾ للإضراب الإبطاليّ.

(٤) روى ابن جرير عن قتادة ما حاصله: لما نزلت ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ الآية اشتد على أصحاب رسول الله ﷺ وظنوا أن الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾. وروى نحوه عن مجاهد. و﴿تَوَلَّ﴾: فعل أمر مبني على حذف الألف، كما هو واضح.

(٥) قوله تعالى: ﴿لِيَعۡبُدُونِ﴾. اللام حرف جرّ. والفعل منصوب بأن مضمرة جوازًا، وعلامة نصبه حذف النون. والنون الموجودة للوقاية، وحذفت بعدها ياء المتكلم، وكل ذلك واضح ومر لها نظائر، وكذلك قوله تعالى الآتي: ﴿أَن يُطۡعِمُونِ﴾.

(٦) قوله: (ولا ينافي ذلك...). جواب لإشكال. =

لأكتب به، فإنك قد لا تكتب به.

٥٧- ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ﴾ لي ولأنفسهم وغيرهم ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧﴾ ولا أنفسهم ولا غيرهم.

٥٨- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ الشديد.

٥٩- ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أنفسهم بالكفر من أهل مكة وغيرهم ﴿ذَنُوبٗا﴾ نصيبًا من العذاب ﴿مِّثۡلَ ذَنُوبِ﴾ نصيب[(١)] ﴿أَصۡحَٰبِهِمۡ﴾ الهالكين قبلهم ﴿فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ٥٩﴾ بالعذاب إن أخرتهم إلى يوم القيامة.

٦٠- ﴿فَوَيۡلٞ﴾ شدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن﴾ في[(٢)] ﴿يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٦٠﴾ أي: يوم القيامة.

❁❁❁

= حاصله: إذا كان خلقهم للعبادة، فكيف لا يعبده بعضهم بل أكثرهم. فأجاب: بأن الخلق غايته العبادة، والغاية لا يلزم وجودها، وهذا جواب حسن. ولم أر معزوًّا إلى أئمة السلف.

وقيل في الجواب أيضًا: إن المراد: ما خلقت أهل السعادة من الجن والإنس، فيكون الجن والإنس عامًّا مخصوصًا أو عامًّا مرادًا به الخصوص. وقال القشيري: «الآية دخلها التخصيص؛ لأن المجانين والصبيان ليسوا مأمورين بالعبادة». نقله القرطبي. وقيل المعنى: إلا لأمرهم بالعبادة. عزي إلى عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقيل: العبادة هنا إما طوعًا وإما كرهًا، فالكفار مذللون لقضائه وقدرته تعالى، روي نحوه عن ابن عباس، ورجحه ابن جرير. وما ذكره المفسر جواب حسن.

(١) قوله: (نصيب). الذنوب في الأصل: الدلو العظيمة، وكانوا يستقون الماء فيقسمون ذلك على الأنصباء، فقيل للذنوب نصيب، من هذا. قاله القرطبي. وقد فسر ابن عباس الذنوب هنا بالدلو. كما في ابن جرير. ويكون في إطلاقه هنا نوع من المجاز المرسل.

(٢) قوله: (في). أي: ﴿مِن﴾ هنا بمعنى: في. كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾.

٥٢- سورة الطور

مكية[١]، وآياتها تسع وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿وَٱلطُّورِ (١)﴾ أي: الجبل الذي كلّم الله عليه موسى[٢].

(٢)- ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ (٢)﴾.

(٣)- ﴿فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ (٣)﴾ أي: التوراة أو القرآن[٣].

(٤)- ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ (٤)﴾ هو في السماء الثالثة أو السادسة أو السابعة بحيال الكعبة[٤]، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالصلاة والطواف لا يعودون إليه أبدًا.

---

(١) قوله: (مكية). لم أجد في ذلك اختلافًا.

(٢) قوله: (أي: الجبل الذي...). قال القرطبي: «أقسم الله به تشريفًا له وتكريمًا وتذكيرًا لما فيه من الآيات، وهو أحد جبال الجنة».اهـ. ثم ذكر حديثًا عن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده مرفوعًا: «**أربعة أجبل من جبال الجنة** -وذكر فيه-: **جبل أحد، والطور، ولُبنان، والجودي**». وجعلنا ذلك في بيتين:

أربعــةٌ مــن الجبـــال تثبُتُ ... في جَنَّةٍ، ذا في الحَدِيثِ مُثْبَتُ

الطورُ والجوديُّ أيضًا أُحدُ ... وهكـذا لبنـانُ، يـا مُـوَحِّدُ

(٣) قوله: (أي: التوراة...). نقل القرطبي القول بأنه التوراة عن الكلبي. وفسر هو بأنه القرآن، وعن الفراء: «صحائف الأعمال»، والرق: الصحيفة. قاله ابن جرير عن مجاهد.

(٤) قوله: (هو في السماء...). أكثر المفسرين على أن المراد بالبيت المعمور هنا هو المذكور في حديث الإسراء، ففي «الصحيحين»: أنه ﷺ بعد مجاوزته السماء السابعة: «**ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفًا لا يعودون إليه آخر ما عليهم**»، قال ابن كثير: «يعني: يطوفون به ويتعبدون فيه كما يفعل أهل الأرض بكعبتهم».اهـ. =

٥- ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ٥﴾ أي: السماء[١].

٦- ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ٦﴾ أي: المملوء[٢].

٧- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧﴾ نازل بمستحقه.

٨- ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨﴾ عنه[٣].

٩- ﴿يَوۡمَ﴾ معمول «وَاقِعٌ»، ﴿تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ٩﴾ تتحرك وتدور[٤].

١٠- ﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ١٠﴾ تصير هباءً منثورًا، وذلك في يوم القيامة.

١١- ﴿فَوَيۡلٞ﴾ شدة عذاب ﴿يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾ للرسل.

١٢- ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ﴾ باطل ﴿يَلۡعَبُونَ ١٢﴾ أي: يتشاغلون بكفرهم.

= واختلف في أي سماء هو، ذكر القرطبي فيه أقوالًا، والأصح أنه في السماء السابعة لحديث «الصحيحين»، ولكن قال ابن كثير: «في كل سماء بيت، أي: بحيال الكعبة يتعبد فيه أهلها، والذي في السماء السابعة هو البيت المعمور، والذي في سماء الدنيا يسمى بيت العزة».اهـ. وعلى هذا يمكن حمل الاختلاف في تعيين الموقع، وعن الحسن: «البيت المعمور هنا الكعبة». نقله القرطبي.

(١) قوله: (أي: السماء...). فسر به ابن جرير، ورواه عن أئمة التفسير.

(٢) قوله: (المملوء). روي عن قتادة، واختاره ابن جرير. وعن مجاهد: «الموقد، أي: أنه يوقد نارًا يوم القيامة»، واختاره ابن كثير، وعزاه إلى الجمهور، قال ابن جرير: «الأغلب في معنى السجر: الإيقاد والامتلاء، فليس البحر اليوم موقدًا، فيكون المعنى: المملوء؛ لأنه مملوء».اهـ. ملخصًا. هذا، وقد أثبت بعض الباحثين اتقاد أسفل البحر في بعض الأماكن ونشر صورة ذلك في وسائل التواصل، والله أعلم.

(٣) قوله: (عنه). أي: عن مستحقه.

(٤) قوله: (تتحرك). روي عن ابن عباس: «تتحرك»، وعن مجاهد: «تدور»، وعن ابن عباس في رواية: «تشقق».

١٣- ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ يدفعون بعنف[١]، بدل من «يَوْمَ تَمُورُ»[٢]، ويقال لهم تبكيتًا:

١٤- ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

١٥- ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ العذاب الذي ترون كما كنتم تقولون في الوحي: هذا سحر ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾[٣].

١٦- ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ صبركم وجزعكم[٤] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ أي: جزاءه.

١٧- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾.

١٨- ﴿فَاكِهِينَ﴾ متلذذين ﴿بِمَا﴾ مصدرية[٥] ﴿آتَاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ﴾

---

(١) قوله: (يدفعون...). كما قال ابن عباس: «يدفعون فيها دفعًا».

(٢) وقوله: (بدل...). أي: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾، كما أعربه ابن جرير. وقال القرطبي: «بدل من ﴿يَوْمَئِذٍ﴾»، ومآلهما واحد.

(٣) ﴿أَمْ أَنتُمْ﴾. ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة، بمعنى: بل أنتم لا تبصرون في الدنيا، وتم الكلام بقوله: (أفسحر هذا)، والاستفهام للتوبيخ، أو المعنى: أم أنتم لا تعاينون العذاب. وعلى التقديرين الظاهر أن ﴿أَمْ﴾ منقطعة؛ لأن الهمزة السابقة -﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا﴾- ليست للتعيين ولا للتسوية. و﴿أَمْ﴾ تكون متصلة إذا سبقتها همزة التسوية أو التعيين، ومن المعربين من جوز كون ﴿أَمْ﴾ هنا متصلة ومنقطعة، كما في «إعراب القرآن» للدرويش.

(٤) قوله: (صبركم...). قدره ليكون مبتدأ و﴿سَوَاءٌ﴾ خبرًا، والأمر في ﴿فَاصْبِرُوا﴾ للتسوية.

(٥) قوله: (مصدرية). هذا أحد الوجهين. ذكرهما المعربون، والثاني: أنها موصولة. فتكون الواو في ﴿وَوَقَاهُمْ﴾ استئنافية أو حالية. وعلى كونها مصدرية تكون الواو عاطفة لما بعدها على ﴿آتَاهُمْ﴾، كما فسر بذلك المفسر، فقوله: (عطف على ﴿آتَاهُمْ﴾) يعني: =

﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ١٨﴾ عطفٌ على «ءَاتَىٰهُمْ»، أي: بإيتائهم ووقايتهم، ويقال لهم:

١٩- ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾ حال[1]، أي: مهنئين ﴿بِمَا﴾ الباء سببية ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩﴾.

٢٠- ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حال من الضمير المستكن في قوله تعالى: «فِى جَنَّـٰتٍ» ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ بعضها إلى جنب بعض ﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم﴾ عطف على «فِى جَنَّـٰتٍ»، أي: قرناهم[2] ﴿بِحُورٍ عِينٍ ٢٠﴾ عظام الأعين حسانهن.

٢١- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مبتدأ ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ﴾ وفي قراءة[3]: «وَٱتَّبَعَتْهُمْ» معطوف على «ءَامَنُوا۟». ﴿ذُرِّيَاتِهِم﴾ وفي قراءة: «ذُرِّيَّتُهُم»، الصغار والكبار[4]

= أن ﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾ معطوف على ﴿ءَاتَىٰهُمْ﴾؛ فيكون المعنى: بإيتائهم ووقايتهم. كما قال.

(١) قوله: (حال). قد تقدم شرح هذا اللفظ في أول سورة النساء.

(٢) قوله: (أي: قرناهم). فسّر به؛ لأن «زوّج» يتعدى بنفسه غالبًا، يقال: زوّجتك فلانة، ولا يقال: زوجتك بفلانة إلا على لغة أزد شنوءة، فيما نقله الفراء. كما في القرطبي. فهٰهنا ضمن «زوّج» معنى: قرن، فتعدى بالباء، وبذلك فسر القرطبي حيث قال: «أي: قرناهم بهن».

(٣) قوله: (وفي قراءة:...). هنا ثلاث قراءات:

الأولى: ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ ذُرِّيَـٰتِهِم﴾: من الإتباع المسند إلى نون المتكلمين، ونصب ﴿ذُرِّيَـٰتِهِم﴾: قرأه أبو عمرو.

الثانية: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَـٰتُهُم﴾: من الاتّباع، وبرفع ﴿ذُرِّيَـٰتُهُم﴾ بصيغة الجمع: قرأه ابن عامر، ويعقوب.

الثالثة: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾: من الاتّباع ورفع ﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾ بصيغة الإفراد: الباقون.

(٤) قوله: (الصغار والكبار). نعت للذرية، وحاصل المعنى على ما أوضحه المفسر أن الله تعالى يلحق بالمؤمنين في الجنة ذرياتهم الكبار بسبب إيمانهم وإن لم يعملوا بعمل آبائهم،=

﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ من الكبار، ومن الآباء في الصغار، والخبر ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾[١] المذكورين في الجنة. فيكونون في درجتهم وإن لم يعملوا بعملهم؛ تكرمة للآباء باجتماع الأولاد إليهم ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم﴾ بفتح اللام وكسرها[٢]، نقصناهم ﴿مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن﴾ زائدة[٣] ﴿شَيۡءٖۚ﴾ يزاد في عمل الأولاد ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ﴾ من عمل خير أو شرّ ﴿رَهِينٞ ٢١﴾ موهون، يؤاخذ بالشر ويجازى بالخير.

٢٢- ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم﴾ زدناهم في وقت بعد وقت ﴿بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢٢﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه.

٢٣- ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ يتعاطون بينهم[٤] ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة ﴿كَأۡسٗا﴾ خمرًا[٥] ﴿لَّا لَغۡوٞ

= وكذا يلحق بهم ذريتهم الصغار بسبب إيمان آبائهم، ولا ينقص من عمل الآباء شيء. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس بطرقٍ، ذكره ابن جرير. فقول المفسر: (من الكبار...). نعت ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾، والباء في ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ للسببية، أي: بسبب الإيمان الكائن من الأولاد الكبار، وبسبب الإيمان الكائن من الآباء في حق الذرية الصغار، فيجمعهم كلهم في الجنة ليقر الله بهم عين المؤمن.

(١) وفي ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ قراءتان: ﴿ذُرِّيَّٰتِهِم﴾: بالجمع: نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب. و﴿ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾: بالإفراد: الباقون.

(٢) قوله: (بفتح اللام...). قرأ ابن كثير: بكسر اللام. والباقون: بفتحها. وهما لغتان.

(٣) قوله: (زائدة). أي: زائدة إعرابًا ومؤكدة معنًى، كما تقدم كثيرًا.

و﴿مِّن﴾ في ﴿مِّنۡ عَمَلِهِم﴾ للتبعيض، أو ابتدائية.

(٤) قوله: (يتعاطون). وبه فسر ابن جرير، والمعنى: يتناولها بعضهم من بعض وهو المؤمن وزوجاته وخدمه في الجنة. قاله القرطبي.

(٥) قوله: (خمرًا). تفسير بالمراد، والكأس: إناء الخمر، وكل إناءٍ مملوء من شراب وغيره، فإذا فرغ لم يسمّ كأسًا، كما في القرطبي. ولعل المفسر فسر بالخمر لعود الضمير في ﴿فِيهَا﴾ =

﴿فِيهَا﴾ أي: بسبب شربها يقع بينهم ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ به يلحقهم بخلاف خمر الدنيا.

﴿٢٤﴾- ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿غِلْمَانٌ﴾ أرقاء[1] ﴿لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ حُسنًا[2] ولطافةً ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ مصون في الصدف؛ لأنه فيها أحسن منه في غيرها.

﴿٢٥﴾- ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ يسأل بعضهم بعضًا عما كانوا عليه وما وصلوا إليه تلذذًا واعترافًا بالنعمة.

﴿٢٦﴾- ﴿قَالُوٓا۟﴾ إيماء إلى علة الوصول ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا﴾ في الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ خائفين من عذاب الله.

﴿٢٧﴾- ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ أي: النار[3]؛ لدخولها في المسام[4]. وقالوا إيماء أيضًا:

﴿٢٨﴾- ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ أي: نعبده موحدين

= إليها، فيكون في الكلام ما يسمى بالاستخدام عند البلاغيين، وهو إطلاق لفظ بمعنى ثم عود الضمير إليه بالمعنى الآخر له. حيث أطلق لفظ الكأس وهو الإناء ثم عاد إليه الضمير باعتبار الخمر التي فيه.

فائدة: لفظة «الكأس» مؤنثة. قال تعالى: ﴿بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ﴾ [الصافات: ٤٥].

(١) قوله: (أرقاء). جمع رقيق، وظاهره: أن هؤلاء الغلماء خُلقوا في الجنة، وقيل: هم أولاد المشركين. وقيل: هم أولاد أهل الجنة سبقوهم. ذكر القرطبي هذه الأقوال من دون عزو.

(٢) قوله: (حسنًا). منصوب على التمييز أو نزع الخافض، أي: في الحسن.

(٣) قوله: (النار). وبه فسر ابن زيد. وقال الحسن: «اسم من أسماء النار، وطبقة من طباق جهنم».اهـ. أعاذنا الله منها.

(٤) وقوله المفسر: (لدخولها...). بيان لوجه تسمية النار بالسموم، أي: سميت به لدخولها في المسام. والمسام: أصول الشعر ومنافذه. قال البيضاوي: «عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم».اهـ.

﴿إِنَّهُۥ﴾ بالكسر استئنافًا[١]، وإن كان تعليلًا معنىً، وبالفتح تعليلًا لفظًا ﴿هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ المحسن الصادق في وعده[٢] ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ العظيم الرحمة[٣].

﴿٢٩﴾- ﴿فَذَكِّرْ﴾ دُم على تذكير المشركين، ولا ترجع عنه لقولهم لك: كاهن، مجنون ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾[٤] أي: بإنعامه عليك ﴿بِكَاهِنٍ﴾ خبر «ما» ﴿وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ معطوف عليه.

﴿٣٠﴾- ﴿أَمْ﴾ بل[٥] ﴿يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ حوادث

---

(١) قوله: (بالكسر). قرأ نافع، والكسائي، وأبو جعفر: بالفتح: ﴿أَنَّهُۥ﴾. والباقون: بالكسر: ﴿إِنَّهُۥ﴾. ووجهها كما قال المفسر. والاستئناف هنا بالمعنى البلاغي أي الواقعة علّة. وهو عند النحاة جملة ليس لها علاقة إعرابية بما قبلها.

(٢) قوله: (المحسن...). عن ابن عباس: «اللطيف»، وعنه أيضًا: «الصادق فيما وعد».

(٣) وقوله: (العظيم الرحمة). أخذ معنى العظمة من وزن «فعيل»، فهو إما صفة مشبهة أو صيغة مبالغة. وتقدم معانيها في سورة البقرة الآية (٢٦٧) وغيرها.

(٤) قوله تعالى: ﴿بِنِعْمَتِ﴾. الباء للسببية، والنعمة: اسم مصدر بمعنى: إنعام، كما أشار إليه المفسّر. والباء في ﴿بِكَاهِنٍ﴾ مزيد للتوكيد.

فائدة: من خصائص نبينا محمد ﷺ أن الله تعالى تولّى الدفاع عنه مما رماه المشركون، كما في هذه الآية وأمثالها. وكان الأنبياء قبله يتولون الدفاع عنهم بأنفسهم، كما قال نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، وقول هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ﴾ [الأعراف: ٦٧]، وغير ذلك. وقد ذكرنا هذه الخصلة في رسالتنا النظمية: «لوامع الدرر من خصائص سيد البشر».

(٥) قوله: (بل). أفاد أن ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة، وتضمنت معنى الاستفهام الاستنكاري. كما أن ﴿أَمْ﴾ في جميع مواضعها من هذه السورة منقطعة، تضمنت بعضها معنى الاستفهام، وبعضها لم تتضمن، كما يعلم من مواضعها.

الدهر فيه، فيهلك كغيره من الشعراء[(١)].

﴿٣١﴾- ﴿قُلۡ تَرَبَّصُواْ﴾ هلاكي ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ هلاككم، فعذبوا بالسيف يوم بدر، والتربص: الانتظار.

﴿٣٢﴾- ﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم﴾ عقولهم ﴿بِهَٰذَآۚ﴾ أي: قولهم له: ساحر، كاهن، مجنون، أي: لا تأمرهم بذلك[(٢)] ﴿أَمۡ﴾ بل ﴿هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾ بعنادهم.

﴿٣٣﴾- ﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ﴾ اختلق القرآن، لم يختلقه[(٣)] ﴿بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ استكبارًا، فإن قالوا اختلقوا[(٤)].

﴿٣٤﴾- ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ﴾ مختلق ﴿مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ في قولهم.

﴿٣٥﴾- ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ﴾ أي: خالق ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أنفسهم ولا يعقل مخلوق بغير خالق[(٥)]، ولا معدوم يخلق، فلابدّ لهم من خالق هو الله

---

(١) قوله: (حوادث الدهر). فسر به مجاهد، وعن ابن عباس: «الموت»، نقل القرطبي عن الضحاك: «هؤلاء بنو عبدالدار نسبوه إلى أنه شاعر، أي: يهلك عن قريب كما هلك مَن قبلُ من الشعراء، وأن أباه مات شابًا فربما يموت كأبيه».اهـ. وفي كلام المفسر إشارة إلى ذلك.

(٢) قوله: (أي: لا تأمرهم...). أشار به إلى أن ﴿أَمۡ﴾ المنقطعة متضمنة معنى الاستفهام الإنكاري بخلاف ﴿أَمۡ﴾ الثانية التالية.

(٣) قوله: (لم يختلقه...). مرتبط بما بعده، وتوضيح لمعنى الإضراب في قوله تعالى: ﴿بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

(٤) قوله: (فإن قالوا...). قدره ليفيد أن الآية التالية جواب للشرط المقدّر الذي قدّره المفسر.

(٥) قوله: (ولا يعقل...). إشارة إلى أن هذه الآية تنتظم استدلالًا منطقيًا وهو المسمى بالقياس الاستثنائي بالقضايا المنفصلة، ويسمى عند الأصوليين بالسبر والتقسيم، وحاصله: ذكر احتمالات عقلية، وإبطال الباطل منها فيبقى المدعَى سليمًا، فهنا المدعَى إثبات الخالق ثم إثبات توحيده بالعبادة، فحصر الاحتمالات في ثلاثة أمور: إما أنهم =

الواحد: فلمَ لا يوحّدونه ويؤمنون برسوله وكتابه؟

٣٦- ﴿أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق فلمَ لا يعبدونه ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦﴾ به، وإلا لآمنوا بنبيه.

٣٧- ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما[١]، فيخصوا من شاؤوا بها شاؤوا ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ٣٧﴾ المتسلطون الجبارون، وفعلُه: سيطر[٢]، ومثله: بيطر وبيقر[٣].

٣٨- ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ مرقًى إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه، كلام الملائكة[٤] حتى يمكنهم منازعة النبي بزعمهم، إن ادعوا ذلك[٥] ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ أي: مدعي الاستماع عليه ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٣٨﴾ بحجة بينة واضحة، ولشبه[٦] هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال تعالى:

= خُلقوا من دون خالق، أو هم خلَقوا أنفسهم، أو خلقهم خالق واحد، والاحتمالان الأولان باطلان بداهة، فثبت الثالث، فيكون من براهين توحيد الربوبية ثم التوصل به إلى توحيد الألوهية، كما أشار إلى ذلك المفسر بقوله: فلِمَ لا يوحدونه...؟

(١) قوله: (من النبوة...). فُسِّر ﴿خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾: بالنبوة. قالها عكرمة. وعن ابن عباس: «المطر والرزق»، وقيل: مفاتيح الرحمة، وقول المفسر عام.

(٢) قوله: (سيطر). أي: بوزن: «فَيْعل»، فالياء زائدة، ومعنى المسيطر: المسلّط الجبار. كما قاله المفسر، وروي ذلك عن ابن عباس.

(٣) وقوله: (بيطر). معناه: عالج الدابّة، والبيطار: طبيب الدابة.
و(بيقر): من معانيه: هلك، وأفسد، وأقام. كما في القاموس.

(٤) قوله: (كلامَ...). مفعول به لـ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾.

(٥) قوله: (إن ادعوا...). قدره ليكون شرطًا جوابُه: ﴿فَلْيَأْتِ﴾.

(٦) وقوله: (ولشبه...). بيان للمناسبة بين هذه الآية وما بعدها.

٣٩- ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ﴾ أي: بزعمكم ﴿وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ٣٩﴾ تعالى الله عما زعموا.

٤٠- ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ على ما جئتهم به من الدين ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ غرم ذلك ﴿مُّثْقَلُونَ ٤٠﴾ فلا يُسلمون.

٤١- ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي: علمه[١] ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ ٤١﴾ ذلك حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة بزعمهم.

٤٢- ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك ليهلكوك في دار الندوة[٢] ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ٤٢﴾ المغلوبون المُهلَكون، فحفظه الله منهم ثم أهلكهم ببدر.

٤٣- ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٤٣﴾ به من الآلهة، والاستفهام بـ«أَمْ» في مواضعها للتقبيح والتوبيخ.

٤٤- ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا﴾ بعضًا[٣] ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ عليهم كما قالوا: «فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ» [الشعراء: ١٨٧]، أي: تعذيبًا لهم ﴿يَقُولُوا۟﴾ هذا[٤]

---

(١) قوله: (أي: علمه). أشار إلى تقدير مضاف، وبذلك فسر ابن جرير. نقل القرطبي عن قتادة في معنى الآية: «لما قالوا: نتربص به ريب المنون، قال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ حتى علموا متى يموت محمد ﷺ، أو ما يؤول إليه أمره»، وعن ابن عباس: «أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس».اهـ.

(٢) قوله: (في دار الندوة). وبذلك فسر القرطبي، والبيضاوي وغيرهما، وكان ذلك قبيل الهجرة، وكلام ابن جرير، وابن كثير وغيرهما يقتضي أن المراد عموم كيدهم، وهو أقرب؛ لأن السورة مكية، واجتماعهم في دار الندوة كان قبل الهجرة بيسير. وقول المفسر: (في دار الندوة) متعلق بـ﴿يُرِيدُونَ﴾. والله أعلم.

(٣) قوله: (بعضًا). أي: قطعًا، كما فسر به ابن عباس، والكسف اسم جنس جمعي مفردُه: كسفة، كالتمر والتمرة. ذكره ابن جرير. وتقدمت هذا الكلمة في الإسراء والشعراء.

(٤) قوله: (هذا). قدره ليكون مبتدأ، و﴿سَحَابٌ﴾: خبرًا له.

﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ متراكب، نرتوي به، ولا يؤمنوا[(١)].

﴿٤٥﴾- ﴿فَذَرْهُمْ[(٢)] حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ يموتون[(٣)].

﴿٤٦﴾- ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى﴾ بدل من «يَوْمَهُمُ»، ﴿عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ يمنعون من العذاب في الآخرة[(٤)].

﴿٤٧﴾- ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بكفرهم[(٥)] ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: في الدنيا[(٦)] قبل موتهم، فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين، وبالقتل يوم بدر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أن العذاب ينزل بهم.

﴿٤٨﴾- ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم ولا يضق صدرك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منّا نراك ونحفظك[(٧)] ﴿وَسَبِّحْ﴾ ملتبسًا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي

---

(١) وقوله: (لا يؤمنوا). إشارة إلى مضمون الآية، قال قتادة: «أي: لا يصدقوا بحديث ولا يؤمنوا بآية».

(٢) ﴿فَذَرْهُمْ﴾. قال القرطبي: «منسوخ بآية السيف».اهـ.

(٣) وقول المفسر: (يموتون). قاله قتادة. وقيل: يوم بدر، وقيل: يوم النفخة الأولى، وقيل: يوم القيامة. نقل الأقوال القرطبي.

(٤) قوله: (في الآخرة). يفيد أن المراد بيوم يصعقون غير يوم بدر، على ما اختاره المفسر، والله أعلم.

(٥) قوله: (بكفرهم). متعلق بـ﴿ظَلَمُواْ﴾، والباء للسببية.

(٦) قوله: (أي: في الدنيا). هذا رواه ابن جرير عن ابن زيد. ومثله ما روي عن مجاهد: «هو الجوع والجهد سبع سنين»، وعن ابن عباس: «هو القتل»، وفي كلام المفسر إشارة إلى جميع هذه الأقوال، وعن ابن عباس أيضًا والبراء: «هو عذاب القبر»، واختار ابن جرير العموم.

(٧) قوله: (بمرأى منا). أي: بحيث نراك، وبها ذكر المفسر فسر ابن جرير، وابن كثير وغيرهما، قال ابن جرير: «يقول جل ثناؤه: فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك...».اهـ. علمًا بأن أئمة السلف يثبتون لله تعالى صفة العين.

قل[1]: سبحان الله وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ من منامك أو من مجلسك.

﴿٤٩﴾- ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ حقيقة أيضًا[2] ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ مصدر[3]، أي: عقب غروبها سبحه أيضًا، أو صلِّ في الأول العشاءين وفي الثاني الفجر، وقيل: الصبح.

❁❁❁

---

(١) قوله: (أي: قل...). يعني: أن المراد بالتسبيح هنا قول: سبحان الله مع الحمد، وليس المراد الصلاة، ثم اختلف بالمراد بالقيام، فذكر المفسر قولين:
الأول: إذا قمت من النوم، ظاهره من نوم الليل أو النهار، وهذا القول عزاه القرطبي إلى أبي الجوزاء، وحسان بن عطية، وفسر به ابن كثير، واختاره ابن جرير.
الثاني: إذا قمت من المجلس، وعزاه القرطبي إلى جمع من السلف منهم ابن مسعود، وعطاء، وابن جبير، وأبو الأحوص وغيرهم. ولكل من القولين أحاديث.

(٢) قوله: (حقيقة أيضًا). يعني: أن المراد بالتسبيح في هذه الآية إما حقيقة التسبيح، أو الصلاة، وعلى الأول تكون الآية آمرة بالتسبيح في الليل مطلقًا، بالصلوات وغيرها، كما فسر ابن كثير، قال: «أي: اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل».اهـ.
وعلى القول الثاني أي: أن المراد بالتسبيح هنا الصلاة، فالتسبيح في الليل: صلاة المغرب والعشاء، كما فسر به ابن جرير، قال: «وذلك صلاة المغرب والعشاء»، وإليه أشار المفسر بقوله: (أو صلِّ في الأول)، يعني: في ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ العشاءين، أي: صل العشاءين المغرب والعشاء هذا المراد بـ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾.
والمراد بـ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾؛ فيه قولان:
إما الركعتان قبل الفجر، روي عن ابن عباس، وهذا المراد بقول المفسر: (الفجر)، وإما صلاة الفجر -الفريضة- روي عن الضحاك، واختاره ابن جرير، وهو المراد بقول المفسر: (وقيل: الصبح)، أي: فريضة الصبح. والله أعلم.

(٣) قوله: (مصدر). أي: ﴿إِدۡبَٰرَ﴾ هنا بكسر الهمزة مصدر. وذلك باتفاق القراء.

٥٣- سورة النجم

مكية(١)، وآياتها ثنتان وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿وَالنَّجْمِ﴾ الثريا(٢) ﴿إِذَا هَوَىٰ (١)﴾ غاب.

(٢)- ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن طريق الهداية ﴿وَمَا غَوَىٰ (٢)﴾ ما لابس الغي، وهو جهل من اعتقاد فاسد.

(٣)- ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ بما يأتيكم به ﴿عَنِ الْهَوَىٰ (٣)﴾ هوى نفسه.

(٤)- ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ إليه.

(٥)- ﴿عَلَّمَهُ﴾ إياه ملك(٣) ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥)﴾.

(٦)- ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قوة وشدة(٤)، أو منظر حسن(٥)، أي: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ،

---

(١) قوله: (مكية). أي: كلها في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر. وقال ابن عباس، وقتادة: «إلا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ...﴾ الآية». وقيل: كلها مدنية. نقل القرطبي هذه الأقوال، وقال: «الصحيح أنها مكية؛ لما في «صحيح البخاري» أنه ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المصلون والمشركون والجن والإنس».اهـ. إلا أمية بن خلف.

(٢) قوله: (الثريا). هذا قول مجاهد، وابن عباس، فتكون «أل» فيه عهدية، والثريا مجموعة نجوم عددها قيل: سبعة، وقيل: أكثر. وعن مجاهد أيضًا: «المراد بالنجم هنا القرآن؛ لأنه نزل منجمًا»، فيكون «أل» للعهد، والنجم مصدرًا أريد به اسم المفعول. وعنه أيضًا، والحسن: «أن المراد: النجوم كلها»، فتكون «أل» استغراقية.

(٣) قوله: (ملك). قدره ليكون موصوفًا لما بعده، والمراد به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في قول سائر المفسرين إلا الحسن، فيقول: «إن المراد بـ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ هو الله تعالى».

(٤) قوله: (قوة...). فسر المرة بها مجاهد، وابن زيد وغيرهما.

(٥) وقوله: (أو منظر حسن). وبذلك فسر ابن عباس، وقتادة، كما في ابن جرير.

﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ استقر.

۝٧ - ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾[١] أفق الشمس، أي: عند مطلعها على صورته التي خلق عليها، فرآه النبي ﷺ وكان بحراء، قد سد الأفق إلى المغرب، فخرّ مغشيًا عليه. وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها، فواعده بحراء، فنزل جبريل له في صورة الآدميين.

۝٨ - ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قرب منه[٢] ﴿فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ زاد في القرب[٣].

---

(١) ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ﴾. الواو حالية، والمراد أفق المشرق، كما ذكره ابن جرير، وروي عن الحسن، وقتادة، ويكون الضمير ﴿هُوَ﴾ راجعًا إلى جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والمراد: بيان رؤية النبي ﷺ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على صورته بحراء، وهذا واضح، وفصل ذلك القرطبي بسياق أطول مما ذكره المفسر.

وفي كلام ابن جرير ما يقتضي أن الواو عاطفة، والمعنى: فاستوى شديد القوة، وهو أي: محمد ﷺ بالأفق الأعلى.

وفيه عطف الضمير المنفصل على الضمير المستتر وهو قليل، كما نبه عليه ابن جرير.

(٢) قوله: (قرب...). أي: قرب جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فنزل على النبي ﷺ بالوحي.

والمعنى: لما رأى النبي ﷺ جبريل على صورته وهاله الأمر رده الله على صورة آدميّ حين قرب من النبي ﷺ بالوحي. ذكره القرطبي؛ فيكون الضمير المستتر في ﴿دَنَا﴾ و﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ و﴿فَكَانَ﴾ راجعًا إلى جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كما فسر بذلك ابن عباس، والحسن، وقتادة، وجمهور المفسرين. ورَوَى ذلك مسلم في «صحيحه» عن عائشة لما سئلت عن هذه الآية، قالت: «إنما ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجال، وأنه أتاه في هذه المرة في صورته فسد الأفق». اهـ.

وروي عن أنس، وعن بعض السلف: أن الضمير إلى الله تعالى، والمعنى: دنا الرب تعالى من محمد ﷺ، كما في ابن جرير وغيره. والأول هو الذي عليه الجمهور، وهو الذي يقتضيه سياق الآية.

(٣) وقول المفسر: (زاد في القرب). بيان للمعنى المراد بالتدلي، وأصل التدلّي: النزول إلى =

﴿٩﴾- ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابَ﴾ قدْر[١] ﴿قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ من ذلك، حتى أفاق وسكن روعه.

﴿١٠﴾- ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ تعالى ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ جبريل[٢] ﴿مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ جبريل إلى النبي ﷺ، ولم يذكر الموحىٰ؛ تفخيمًا لشأنه.

﴿١١﴾- ﴿مَا كَذَبَ﴾ بالتخفيف والتشديد[٣]، أنكر ﴿ٱلْفُؤَادُ﴾ فؤاد النبي ﴿مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾هُ ببصره من صورة جبريل[٤].

﴿١٢﴾- ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ تجادلونه وتغلبونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي ﷺ جبريل.

= الشيء حتى يقرب منه. قاله القرطبي. وعلى هذا تكون الفاء في ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ على معناها، ونقل عن الفراء: «الفاء هنا بمعنى: الواو، والمعنى: تدلّى ودنا»، وذهب إلى ذلك ابن جرير.

(١) قوله: (قدْر). قال ابن جرير: «يقال: هو منه قابَ قوسين، وقيبَ قوسين، وقيد قوسين، وقاد قوسين، وقدَى قوسين؛ كل ذلك بمعنًى».اهـ.

والمعنى: فكان جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من محمد ﷺ على قدر قوسين أو أدنى، أي: أقرب منه. و﴿أَوْ﴾ هنا للإضراب.

(٢) قوله: (جبريل). ما ذكره المفسر من المعنى عزاه القرطبي إلى قتادة. وعن قتادة أيضًا: «فأوحى جبريل إلى رسول الله ﷺ ما أوحى إليه ربُّه»، ورجحه ابن جرير. وعن ابن عباس: «أوحى الله إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى إليه». وكل المعاني متلازمة.

(٣) قوله: (بالتشديد...). قرأ بالتشديد: ﴿كَذَّبَ﴾: أبو جعفر، وهشام. وقرأ الباقون: بالتخفيف.

(٤) قوله: (من صورة جبريل). يعني: المراد بالرؤية هنا: رؤيته جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في صورته. وهذا مروي عن ابن مسعود، وعبدالرحمن بن زيد. وروي عن ابن عباس وغيره: «المراد: رؤيته ﷺ ربّه ليلة المعراج»، قال القرطبي: «رأى ربه بفؤاده، وهو قول أبي ذرّ، وجماعة من الصحابة».اهـ.

﴿١٣﴾- ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ على صورته[١] ﴿نَزْلَةً﴾ مرة[٢] ﴿أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾.

﴿١٤﴾- ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ لما أسري به في السماوات، وهي شجرة نبق[٣] عن يمين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم[٤].

﴿١٥﴾- ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين.

﴿١٦﴾- ﴿إِذْ﴾ حين ﴿يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ من طير وغيره[٥]. و«إِذْ» معمولة لـ«رَءَاهُ».

---

(١) قوله: (على صورته). أي: رأى النبي ﷺ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على صورته عند سدرة المنتهى.

(٢) وقوله: (مرّة). تفسير بالمراد، والنزلة: اسم المرة من النزول، فيمكن إعرابه مفعولًا مطلقًا، أو ظرفًا، أو حالًا. فهذه الآية في رؤية النبي ﷺ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كما روى ابن جرير من طرق عن عائشة، وكذا عن ابن مسعود وغيرهما. وروي عن ابن عباس أنها في رؤيته ربه بفؤاده، قال: «رآه بفؤاده مرتين»، وكذا قاله أبو صالح، والسدّي، وغيرهما. ذكره ابن كثير.

(٣) قوله: (وهي شجرة نبق...). قد ورد وصف ﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ في أحاديث الإسراء مفصلة، وهي في السماء السادسة أو في السماء السابعة كما في الروايات. قال القرطبي: «أن أصلها في السماء السادسة وأعلاها في السماء السابعة».اهـ. قال ابن عباس: «هي يمين العرش، وهي منزل الشهداء».اهـ. كما في ابن جرير. وفي البخاري في حديث المعراج: «**رفعت لي سدرة منتهاها في السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة**».اهـ.

(٤) وقول المفسر: (لا يتجاوزها...). فيه إشارة إلى وجه تسميتها بـ﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾. وذكر القرطبي في ذلك تسعة أقوال مروية عن السلف، منها ما قاله المفسر، وهو مروي عن كعب الأحبار، وذكره ابن جرير، ومنها: أنه ينتهي إليهاأرواح الشهداء. قاله الربيع بن أنس، ومنها: أنه ينتهي إليها كل ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها، وغير ذلك.

(٥) قوله: (من طير وغيره). كما وردت في أحاديث الإسراء: أنها غشيتها الملائكة مثل الغربان وغشيها نور الرب تعالى، وغشيها ألوان... وغشيها فراش من ذهب، غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد يستطيع أن يصفها من حُسنها.اهـ.

١٧- ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ من النبي ﷺ ﴿وَمَا طَغَىٰ ١٧﴾ أي: ما مال بصره[١] عن مرئيه المقصود له ولا جاوزه تلك الليلة.

١٨- ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ فيها ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ١٨﴾ العظام، أي: بعضها[٢]؛ فرأى من عجائب الملكوت رفرفًا أخضر[٣] سدّ أفق السماء، وجبريل له ستمائة جناح.

١٩- ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩﴾[٤].

---

(١) قوله: (أي: ما مال...). قال ابن عباس: «﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ أي: ما ذهب يمينًا ولا شمالًا، ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾: ما جاوز».

(٢) قوله: (أي: بعضها). أفاد أن ﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنْ ءَايَٰتِ﴾ تبعيضية.

(٣) وقوله: (رفرفًا...). بذلك ورد التفسير عن عبدالله بن مسعود، وابن عباس، وورد عن ابن زيد: «رؤيته لجبريل»، وكل منهما بعض الآيات، والرفوف: البساط، كما في القرطبي.

(٤) في هذه الآيات تقريع للمشركين في عبادتهم الأصنام واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة المشرفة.هـ. ابن كثير ملخصًا.

أما اللات: فكانت صخرة بيضاء منقوشة بالطائف، وعليها بيت ولها سدنة، عبدتها ثقيف، فلما أسلمت ثقيف بعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة وأبا سفيان فهدماها، وجعلا مكانها مسجدًا، كما ذكره ابن كثير وغيره.

وأما العزّى: فكانت شجرًا عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها، وكانت لقريش وبني كنانة، قال أبو سفيان يوم أحد: «لنا العزّى ولا عُزّى لكم»، فقال رسول الله ﷺ: «**قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم**»، ولما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إليها، فوجد بها امرأة ناشزة الشعر تحثو التراب على رأسها، فقتلها. وقال رسول الله ﷺ: «**تلك العُزّى**».

وأما مناة، فكانت صنمًا بالمشلّل عند قديد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في الجاهلية يعظمونها ويهلون منها بالحج والعمرة، فبعث رسول الله ﷺ عليًّا عام الفتح فهدمَهَا.اهـ، كما يعلم من ابن كثير، والقرطبي، وغيرهما. =

(٢٠) - ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ﴾ للتين قبلها ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ (٢٠)﴾ صفة ذم للثالثة[١]، وهي أصنام من حجارة[٢]، كان المشركون يعبدونها، ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله. ومفعول[٣] «أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ» الأول «ٱللَّٰتَ» وما عطف عليه، والثاني محذوف، والمعنى: أخبروني ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما، فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره. ولما زعموا أيضًا[٤] أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم للبنات نزلت:

(٢١) - ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ (٢١)﴾.

(٢٢) - ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ (٢٢)﴾ جائرة[٥]، من: ضازه، يضيزه، إذا ظلمه وجار عليه.

= وفي ابن جرير ما يفيد أن هذه الأسماء أخذت من اسم الله تعالى؛ فاللات من الله بزيادة تاء التأنيث، والعُزّى من العزيز، ومناة من منى الله الشيء، إذا قدّره، وقيل: من منى إذا صبّ؛ لأنه كانت الدماء تصب عنده كما في «إعراب القرآن» للدرويش.

ولكن في «الصحيح» عن ابن عباس وغيره: «أن اللات كان رجلًا صالحًا يلتّ السويق للحجاج، فلما مات عكفوا على قبره».اهـ، وعلى هذا تكون التاء فيها أصلية.

(١) قوله: (صفة ذم). حاصله: أن وصف مناة بالثالثة؛ لأنها كانت عندهم أقل قدرًا من اللات والعزى، ثم وصفت بالأخرى تأكيدًا لهذا المعنى، وإشارة إلى وضاعتها، فيكون المراد بالأخرى: المتأخرة الوضيعة المقدار، وأشار إلى ذلك الزمخشري.

(٢) قوله: (وهي أصنام من حجارة). فيه إجمال.

(٣) قوله: (ومفعول...). قد تقدم: أن «أرأيت» بمعنى: أخبرني، له ثلاثة مفاعيل؛ الأول: ياء المتكلم. والثان: هنا ﴿ٱللَّٰتَ﴾ وما عطف عليه. والثالث: محذوف، كما قال المفسر.

(٤) قوله: (لما زعموا...). أي: الآية التالية ليست متعلقة باللات والعزى.

(٥) قوله: (جائرة). فلفظ ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ إما مصدر كالذكرى، أو وصف كان أصله بالضم، نحو: طولى، وحبلى، وكسرت لتسلم الياء. ووضعت هذه اللفظة الغريبة إشارة إلى استهجان المعنى وتحقيره، ولمناسبة رؤوس الآي، والله أعلم.

﴿٢٣﴾- ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: المذكورات ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي: سميتم بها ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أصنامًا[1] تعبدونها ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي: بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في عبادتها ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ مما زين لهم الشيطان من أنها تشفع لهم عند الله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع، فلم يرجعوا عما هم عليه.

﴿٢٤﴾- ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ﴾ أي: لكل إنسانٍ منهم[2] ﴿مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾﴾ من أن الأصنام تشفع لهم؟[3] ليس الأمر كذلك[4].

﴿٢٥﴾- ﴿فَلِلَّهِ[5] ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ أي: الدنيا، فلا يقع فيهما إلا ما يريده تعالى.

﴿٢٦﴾- ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ أي: وكثير من الملائكة[6] ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وما

---

(١) قوله: (أصنامًا). مفعول ثانٍ لـ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾، وأشار بقوله: (بعبادتها) إلى تقدير مضاف.

(٢) قوله: (لكل إنسان...). أفاد أ، «أل» فيه استغراقية عرفية.

(٣) قوله: (من أن الأصنام...). بيان لـ﴿مَا﴾، وهو أحد الأوجه، ومناسب لسياق الآيات، وقيل: ما تمنى من البنين دون البنات، وقيل: من النبوة أن تكون فيه دون غيره، وقيل: غير ذلك. كما في القرطبي.

(٤) وقوله: (ليس الأمر كذلك). أشار به إلى أن ﴿أَمْ﴾ منقطعة تتضمن معنى الاستفهام الإنكاري، وأن الآية التالية معطوفة على هذا المقدر.

(٥) الفاء في ﴿فَلِلَّهِ﴾ عاطفة على الجملة المقدرة قبلها، قدرها المفسر بقوله: (ليس الأمر كذلك) كما ذكرنا.

(٦) قوله: (وكثير...). أفاد أن ﴿كَمْ﴾ خبرية، وهي في محل رفع مبتدأ، وخبرها جملة ﴿لَا تُغْنِي﴾، والجار والمجرور ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ نعت لـ﴿مَّلَكٍ﴾.

أكرمهم عند الله[1] ﴿لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾ لهم فيها ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ من عباده ﴿وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ عنه لقوله[2]: «وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ» [الأنبياء: ٢٨]، ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها: «مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ»[3] [البقرة: ٢٥٥].

٢٧ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ٢٧﴾ حيث قالوا: هم بنات الله.

٢٨ - ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ﴾ بهذا القول ﴿مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فيه ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّۖ﴾ الذي تخيلوه[4] ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا ٢٨﴾ أي: عن العلم فيما المطلوب فيه العلم.

---

(١) وقول المفسر: (وما أكرمهم عند الله...). أفاد به المعنى الإجمالي للآية، وهو أنه إذا كان هذا في حق الملائكة وهم المقربون فما بال الأصنام التي ما نزل الله بعبادتها من سلطان، كيف تشفع لعابديها؟! ذكر معناه ابن كثير.

(٢) قوله: (لقوله: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ ...﴾) بعض آية من سورة الأنبياء (٢٨).

(٣) وقوله: (﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ ...﴾) بعض آية من آية الكرسي، سورة البقرة (٢٥٥)، ومراد المفسر بإيراد الآية الاستدلال على ما ذكره، وذلك واضح.

ومعنى الآية على ما فسره: لا تنفع الشفاعة إلا بعد إذن الله للشافع فيها ويرضى الله عنه. فالجار والمجرور: ﴿لِمَن﴾ متعلق بـ﴿يَأۡذَنَ﴾، و﴿مَن﴾ واقعة على الشافع. وظاهر كلام ابن جرير أنه متعلق بالشفاعة و﴿مَن﴾ واقعة على المشفوع له.

(٤) قوله: (الذي تخيلوه...). أفاد أن الظن هنا بمعنى: التخيّل الذي لا يستند إلى دليل، وهذا الظن لا يغني عن الحق شيئًا، وأما الظن الذي يستند إلى دليل فهو معمول به وذلك في اجتهاد المجتهدين في الأحكام الفقهية؛ لإجماع المسلمين على ذلك بعد ثبوت نصوص تدل عليه، كما أشار المفسر بقوله: (فيما المطلوب فيه العلم) أي: اليقين، وهو الأمور العقدية.

الخلاصة: الظن له ثلاثة إطلاقات:

١ - التخيل الذي لا أساس له، وهذا لا يعمل به. =

٢٩- ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد.

٣٠- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: طلب الدنيا ﴿مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ أي: نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ أي: عالم بهما[(١)]، فيجازيهما.

٣١- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: هو مالك لذلك، ومنه الضال والمهتدي[(٢)]، يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ من الشرك وغيره ﴿وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾﴾ أي: الجنة، وبيّن المحسنين بقوله:

٣٢- ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾[(٣)] هو صغار الذنوب،

٢- اعتقاد الشيء مع تجويز خلافِه مرجوحًا، وهذا يعمل به في الأحكام الفقهية.

٣- بمعنى اليقين، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ...﴾ [البقرة: ٤٦]. والمراد في هذه الآية الأول. فلا يكون في الآية متمسك لمن أنكر حجية القياس الفقهي. والله أعلم.

(١) قوله: (أي: عالم...). أفاد أن اسم التفضيل ﴿أَعۡلَمُ﴾ هنا ليس للدلالة على المفاضلة؛ لأن هذا العلم خاص بالله تعالى.

(٢) قوله: (ومنه الضال...). قدره وما بعده ليفيد أن قوله تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَ﴾ تعليل لهذا المحذوف الذي دلّ عليه قوله ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...﴾ الآية. كما يعلم من القرطبي.

(٣) ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت لـ﴿ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾. كما أشار إلى ذلك المفسر بقوله: (وبيّن...).

﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾: فسرها ابن جرير بالشرك، و﴿وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾: بالزنى وما أشبهه مما أوجب الله عليه حدًّا. وعزا القرطبي تفسير الكبائر بالشرك إلى ابن عباس، وعن مقاتل: «﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾: كل ذنب ختم بالنار، و﴿وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾: كل ذنب فيه حدّ»، وقد تقدم في سورة النساء بيان الكبائر.

كالنظرة والقبلة واللمسة فهو استثناء منقطع، والمعنى: لكن اللمم يغفر باجتناب الكبائر ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ بذلك وبقبول التوبة. ونزل فيمن كان يقول[١]: صلاتنا صيامنا حجنا، ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلق أباكم آدم من التراب ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين ﴿فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ لا تمدحوها على سبيل الإعجاب، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن[٢] ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم[٣] ﴿بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾.

٣٣- ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ٣٣﴾ عن الإيمان، أي: ارتد لما عُيِّر به، وقال: إني خشيت عقاب الله[٤]، فضمن له المعيِّر له أن يحمل عنه عذاب الله إن رجع إلى

= وأما ﴿ٱللَّمَمَ﴾؛ فقد فسره ابن كثير، والقرطبي وغيرهما بصغائر الذنوب، واختاره ابن جرير، وروى ابن جرير عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال في تفسير ﴿ٱللَّمَمَ﴾: «القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة».اهـ. أي: ما دون الزنى. كما أشار إلى ذلك المفسر، ورواه ابن كثير وغيره، فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعًا. وعن ابن عباس: «﴿ٱللَّمَمَ﴾: ما وقع منهم قبل الإسلام» في الجاهلية، فيكون متصلًا أيضًا.

(١) قوله: (ونزل...). ما ذكره من سبب النزول لم أجده معزوًّا، وذكر العلماء أحاديث في النهي عن المدح في وجه الرجل، منها ما في «الصحيحين»: «مدح رجل رجلًا عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**ويلك قطعت عنقَ صاحبك** -مرارًا- **إذا كان أحدكم مادحًا صاحبه لا محالة فليقل: أحسبُ فلانًا** -والله حسيبه- **ولا أزكي على الله أحدًا، أحسبه كذا، وكذا، إن كان يعلم ذلك**». وأورده ابن كثير، وانظر سورة النساء (٤٩).

(٢) قوله: (أما على سبيل الاعتراف...). أي: لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١﴾ [الضحى: ١١].

(٣) وقوله: (عالم). في الموضعين: أشار إلى أن اسم التفضيل هناك بمعنى: اسم الفاعل، كما تقدم.

(٤) قوله: (وقال: إني خشيت...). قال مجاهد، وابن زيد، ومقاتل: «هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ فعيّره بعض المشركين، فقال الوليد: إني =

شركه، وأعطاه من ماله كذا[١]، فرجع.

٣٤- ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ من المال المسمى ﴿وَأَكْدَىٰٓ ٣٤﴾ منع الباقي، مأخوذ من الكُدية، وهي أرض صلبة كالصخرة[٢]، تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر.

٣٥- ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ٣٥﴾ يعلم[٣] من جملته أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة؟ لا[٤]. وهو الوليد بن المغيرة أو غيره[٥]، وجملة «أَعِندَهُۥ»[٦] المفعول الثاني لـ«أَرَءَيْتَ» بمعنى: أخبرني.

= خشيت عذاب الله، فقال له من عيّره: إن أعطيتني مالًا ضمنت عنك عذاب الله، فأعطاه الوليد بعض ما كان وعده ثم بخل ومنع»، هذا ملخص القصة، فقول المفسر: (فضمن له المعيّر...). أي: ضمن الذي عيّره أنه سيحمل عنه عذاب الله، أي: عن الوليد.

(١) وقوله: (وأعطاه من ماله...). أي: أعطى الوليدُ لذلك المعيّر مالًا، ثم رجع، وفي سبب النزول أقوال أخرى، فصلها القرطبي.

(٢) قوله: (وهي أرض صلبة...). قال القرطبي: «وأصل «أكدى» من الكُديَةِ، يقال لمن حفر بئرًا ثم بلغ إلى حجر لا يتهيأ له فيه حفر: قد أكدى، ثم استعملته العرب لمن أعطى ولم يتمِّمْ».اهـ.

(٣) قوله: (يعلم). أفاد أن الرؤية هنا علمية، فلها مفعولان حذفا لدلالة المقام، والتقدير: يرى ما غاب كالشهادة. أفاده القرطبي.

(٤) وقوله: (لا). أفاد أن الاستفهام للإنكار، وهو جوابه.

(٥) قوله: (أو غيره). إشارة إلى الأقوال المختلفة في سبب النزول؛ فعن السدي: «نزلت في العاص بن وائل السهمي»، وعن محمد بن كعب القرظي: «في أبي جهل بن هشام»، وعن الضحاك: «في النضر بن الحارث»، وقيل غير ذلك.

(٦) قوله: (وجملة...). قد تقدم مرارًا أن ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ بمعنى: أخبرني، له ثلاثة مفاعيل: الأول: ياء المتكلم، والثاني: ﴿ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾، والثالث: الجملة الاستفهامية، وهكذا يكون المفعول الثالث جملة استفهامية، والله أعلم.

٣٦- ﴿أَمْ﴾ بل[١] ﴿لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ أسفار التوراة أو صحف قبلها.

٣٧- ﴿وَ﴾ صحف[٢] ﴿إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾ تمّم[٣] ما أمر به نحو: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وبيان «مَا»[٤]:

٣٨- ﴿أَ﴾ن ﴿لَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ الخ، و«أن» مخففة من الثقيلة، أي: أنه لا تحمل نفس ذنب غيرها.

٣٩- ﴿وَأَن﴾ أي: أنه ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ من خير فليس له[٥] من سعي غيره الخيرَ شيء.

---

(١) قوله: (بل). أشار إلى أن ﴿أَمْ﴾ منقطعة.

(٢) قوله: (صحف). قال القرطبي: «إنما خص صحف إبراهيم وموسى؛ لأنه كان قبل إبراهيم يؤخذ الشخص بذنب ابنه وأبيه وأخيه».

(٣) وقوله: (تمّم). تفسير لـ﴿وَفَّىٰ﴾، وهذا المعنى اختاره ابن جرير، وفسر بذلك القرطبي وغيره، وقيل: وفى بذبح ابنه، وقيل: وفى أي: بلغ ما أمر به.

(٤) قوله: (وبيان ﴿مَا﴾). أفاد أن جملة ﴿أَلَّا تَزِرُ...﴾ بدل أو عطف بيان من ﴿مَا﴾ في ﴿بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾. و«أن» في الموضعين مخففة من الثقيلة، ويحتمل كونها تفسيرية، فلا يحتاج إلى تقدير الاسم.

(٥) قوله: (فليس له...). قال ابن عباس: «هذه منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم...﴾ [الطور: ٢١] الآية، فأدخل الأبناء بصلاح الآباء الجنة».اهـ. وقيل: الآية ليست منسوخة، فليس للإنسان إلا ما سعى، أما سعي غيره فهو بيده، فإذا جعله لغيره يحصل له.
الخلاصة: هذه الآية لا تدل على عدم انتفاع الميت بما يعمله الحي له من الصالحات، كما فصل ذلك العلماء.

(٤٠) - ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠)﴾ أي: يبصر في الآخرة.

(٤١) - ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ (٤١)﴾ الأكمل، يقال: جزيته سعيَه وبِسَعْيه[١].

(٤٢) - ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفًا[٢]، وقرئ: بالكسر؛ استئنافًا، وكذا ما بعدها، فلا يكون مضمون الجمل في الـ«صُحُفِ» على الثاني ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ (٤٢)﴾ المرجع والمصير بعد الموت، فيجازيهم.

(٤٣) - ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ﴾ من شاء أفرحه ﴿وَأَبْكَىٰ (٤٣)﴾ من شاء أحزنه.

(٤٤) - ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحْيَا (٤٤)﴾ للبعث.

(٤٥) - ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ (٤٥)﴾.

(٤٦) - ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني ﴿إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦)﴾ تصب في الرحم.

(٤٧) - ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءَةَ﴾ بالمد والقصر[٣] ﴿ٱلْأُخْرَىٰ (٤٧)﴾ الخلقة الأخرى للبعث بعد الخلقة الأولى.

(٤٨) - ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ الناس بالكفاية بالأموال[٤] ﴿وَأَقْنَىٰ (٤٨)﴾ أعطى المال المتخذ قنية.

---

(١) قوله: (يقال...). أفاد أن الضمير في ﴿يُجْزَىٰهُ﴾ راجع إلى السعي، وهو المفعول الثاني، والأول: نائب الفاعل، وهو الضمير المستتر في «يُجْزَى» الراجع إلى الإنسان. و﴿ٱلْجَزَآءَ﴾ مفعول مطلق.

(٢) قوله: (بالفتح). أي: فتح الهمزة. والقراءة بكسر الهمزة شاذة، كما أشار إلى ذلك المفسر بقوله: (قرئ).

(٣) قوله: (بالمد...). قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بالمد: ﴿النَّشَاءَةَ﴾. والباقون: بدونه: ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾.

(٤) قوله: (بالكفاية). ماذكره من معنى: ﴿أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾، فسر بمثله البيضاوي، وذكره القرطبي في جملة تفاسير. وروى ابن جرير عن ابن زيد: «﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أفقر وأقل المال»، وعن ابن عباس، ومجاهد: «أغنى وأرضى»، وعن قتادة: «أغنى وأخدَم».

﴿٤٩﴾- ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ هو كوكب خلف الجوزاء[١]، كانت تعبد في الجاهلية.

﴿٥٠﴾- ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ وفي قراءة[٢]: بإدغام التنوين في اللام وضمها بلا همزة، وهي قوم هودٍ، والأخرى قوم صالح.

﴿٥١﴾- ﴿وَثَمُودَا﴾ بالصرف اسم للأب[٣]، وبلا صرف للقبيلة، وهو معطوف على «عَادًا»، ﴿فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ منهم أحدًا.

﴿٥٢﴾- ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ﴾ أي: قبل عاد وثمود أهلكناهم ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾ من عاد وثمود لطول لبث نوح[٤] «فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ

---

(١) قوله: (هو كوكب...). روي ذلك عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد وغيرهم.. قال ابن عباس: «هو الكوكب الذي يدعى الشعرى».اهـ. فأفادت الآية: أن الشعرى مربوبة وليست ربًّا، ونقل القرطبي عن السدي: «كانت تعبده حمير وخزاعة»، وقال عن غيره: أول من عبده أبو كبشة أحد أجداده ﷺ من أمه. والله أعلم.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿عَادَ ٱللُّولَىٰ﴾: بحذف الهمزة من «أولى»، وإدغام تنوين «عاد» في اللام. وقرأ قالون: بهمزة ساكنة مكان الواو في «أولى»: ﴿ٱللُّؤۡلَىٰ﴾. وقرأ الباقون: بتنوين «عاد» وإثبات الهمزة: ﴿عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾.

(٣) قوله: (بالصرف...). قرأ عاصم، وحمزة، ويعقوب: بترك التنوين. والباقون: بالتنوين. ووجهها كما قال المفسر.

(٤) قوله: (لطول لبث...). ذكر المفسر وجهين لكون قوم نوح أشد طغيانًا؛ طول لبث نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وأنهم آذوه جسميًّا ونفسيًا، روى ابن جرير عن قتادة: «إن الرجل منهم كان يمشي بابنه إلى نوح، فيقول: احذر من هذا؛ فإنه كذاب، وإن أبي مشى بي إلى هذا، فيموت الكبير وينشأ الصغير على الكفر».اهـ. ملخصًا. =

عَامًا ﴾ [العنكبوت: ١٤]، وهم مع عدم إيمانهم به يؤذونه ويضربونه.

٥٣- ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ وهي قرى قوم لوط[١] ﴿أَهْوَىٰ ۝٥٣﴾ أسقطها بعد رفعها إلى السماء مقلوبة إلى الأرض بأمر جبريل بذلك.

٥٤- ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾ أبهم تهويلًا[٢]. وفي «هود»: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الآية: ٨٢].

٥٥- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾ أنْعُمه[٣] الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾ تتشكك أيها الإنسان أو تكذب.

٥٦- ﴿هَٰذَا﴾ محمد ﷺ[٤] ﴿نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾ من جنسهم، أي: رسول كالرسل قبله، أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم.

= وقيل: الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ إلى جميع المذكورين، فإنهم أظلم وأطغى من كفار قريش، فيكون فيه تسلية للنبي ﷺ.

(١) قوله: (وهي قرى...). المؤتفكة: اسم فاعل من: ائتكف، يقال: أفكتُه، أي: قلبته وصرفته، كما في القرطبي، فيكون معنى المؤتفكة: المنقلبة، بأن صار عاليها سافلها، كما في سورة هود: ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [الآية: ٨٢].

(٢) قوله: (أبهم...). أي: جيء بـ﴿مَا﴾ الموصولة، ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ المقتضية للإبهام، وذلك للتهويل.

(٣) قوله: (أنْعُمه)، جمع نعمة، مضاف إلى الهاء، وهي تفسير لـ﴿ءَالَآءِ﴾، والآلاء جمع إِلًى، بكسر الهمزة أو فتحها «أَلًى» أو بكسر الهمزة وسكون اللام «إِلْي»، كما في القرطبي، و(أيها الإنسان) خطاب للإنسان المكذب.

(٤) قوله: (محمد ﷺ). بيان للمشار إليه، وهذا القول عزاه القرطبي إلى ابن جريج ومحمد بن كعب. وعن قتادة: «الإشارة إلى القرآن»، وروى ابن جرير عن أبي مالك أنها إلى ما ذكر، أي: هذا الذي أنذرتكم به أيها القوم... واختاره.

(٥٧) - ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ (٥٧)﴾[(١)] قربت القيامة.

(٥٨) - ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ نفس[(٢)] ﴿كَاشِفَةٌ (٥٨)﴾ أي: لا يكشفها ويظهرها إلا هو، كقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

(٥٩) - ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي: القرآن ﴿تَعْجَبُونَ (٥٩)﴾ تكذيبًا.

(٦٠) - ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ (٦٠)﴾ لسماع وعده ووعيده.

(٦١) - ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ (٦١)﴾ لاهون غافلون عما يطلب منكم[(٣)].

(٦٢) - ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ الذي خلقكم ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ۩ (٦٢)﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

❁❁❁

---

(١) ﴿ٱلْأَزِفَةُ﴾. اسم من أسماء القيامة، سميت به لقربها، و«أزف» بمعنى: قرب، قال ابن عباس: «﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ من أسماء القيامة، عظمه الله وحذره عباده».اهـ.

(٢) قوله: (نفس). قدره ليكون موصوفًا لـ﴿كَاشِفَةٌ﴾، وقيل: ﴿كَاشِفَةٌ﴾ مصدر، أي: انكشاف، ومآلهما واحد.

(٣) قوله: (لاهون). روي عن ابن عباس، وعنه أيضًا: «هو الغِناء، كانوا إذا سمعوا القرآن تغنّوا ولعبوا، وهي لغة أهل اليمن».اهـ. وقال الضحاك: «السمود: اللهو واللعب»، وقال مجاهد: «هو البَرْطمة، أي: الانتفاخ من الغضب».

روى البخاري عن ابن عباس، قال: «سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس».اهـ. هذا أحد مواضع سجود التلاوة، وقد تقدم الكلام على سجود المشركين في تفسير سورة الحج [الآية: ٥٢]. من أنه لقوة تأثير القرآن في القلوب.

٥٤- سورة القمر

مكية[١]، **إلا: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ...﴾ الآية.**

وآياتها خمس وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ قربت القيامة ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ (١)﴾ انفلق فلقتين على أبي قبيس وقُعيقِعان؛ آية له ﷺ، وقد سُئِلَها، فقال: «**اشهدوا**» رواه الشيخان[٢].

(٢)- ﴿وَإِن يَرَوْا۟﴾ أي: كفار قريش ﴿ءَايَةً﴾ معجزة له ﷺ كانشقاق القمر ﴿يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟﴾ هذا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢)﴾ قوي من المِرّة[٣]، القوة أو الدائم.

(٣)- ﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ النبي ﷺ ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في الباطل ﴿وَكُلُّ

---

(١) قوله: (مكية). أي: كلها في قول الجمهور. وعن مقاتل: «إلا ثلاث آيات منها من قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (٤٤)﴾». ذكره القرطبي.

(٢) قوله: (رواه الشيخان). البخاري في كتاب التفسير، ومسلم في تفسير «المنافقون». قال ابن كثير كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة: «وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات».اهـ. وأبو قبيس وقعيقعان جبلان بمكة.

فائدة: قد ثبت في تاريخ كيرالا -الهند- أن أحد ملوكها المسمى شيرمان فرمال رأى انشقاق القمر، وكان يعلم علم النجوم، فسأل عن ذلك تجار العرب، فأخبروا ببعثة النبي ﷺ فركب معهم واعتنق الإسلام ولقي النبي ﷺ. ذكر ذلك أكثر المؤرخين.

(٣) قوله: (من المِرّة). أي: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ إما مأخوذ من المرة بمعنى: القوة، فالمعنى: قوي، أو من القرار بمعنى: الدوام والاستمرار، فالمعنى: الدائم. وعن قتادة وغيره: «ذاهب، من المرور»، والأول عزاه القرطبي إلى الضحاك، وأبي العالية.

﴿أَمۡرٖ﴾ من الخير والشر ﴿مُّسۡتَقِرّٞ ٣﴾ بأهله، في الجنة أو النار.

٤- ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ﴾ أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلهم ﴿مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ٤﴾ لهم. اسم مصدر(١)، أو اسم مكان، والدال بدل من تاء الافتعال(٢)، وازدجرته وزجرته: نهيته بغلظة، و«مَا» موصولة(٣) أو موصوفة.

٥- ﴿حِكۡمَةُۢ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من «مَا» أو من «مُزۡدَجَرٌ»، ﴿بَٰلِغَةٞۖ﴾ تامة(٤) ﴿فَمَا تُغۡنِ﴾(٥) تنفع فيهم ﴿ٱلنُّذُرُ ٥﴾ جمع نذير بمعنى:

---

(١) قوله: (اسم مصدر). أي: مصدر ميمي، وهو ما دل على حدث، وفي أوله ميم زائدة لغير المفاعلة، والمصدر الميمي قد يسمى باسم المصدر كما ذكره ابن هشام في «أوضح المسالك». والمعنى: ازدجار، أو ظرف؛ لأن الظرف من غير الثلاثي يأتي على وزن اسم المفعول، وقد فصلنا المصدر الميمي واسم المصدر والمصدر في «الثلاثيات».

(٢) قوله: (والدال...). فأصله: «مزتجر»، من: ازتجر. قلبت التاء دالًا وجوبًا. وهي مسألة صرفية. متى كان فاء «افتعل» دالًا أو ذالًا أو زاءً قلبت التاء دالاً، نحو: ادّرأ، ادّكر، واذّكر، وازدجر.

(٣) وقوله: (و﴿مَا﴾ موصولة...). أي: في قوله تعالى: ﴿مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ٤﴾ كما هو واضح. وهو فاعل ﴿جَآءَ﴾.

(٤) قوله: (تامة). على هذا لا يحتاج لتقدير المفعول به لـ﴿بَٰلِغَةٞۖ﴾. ويحتمل كونه بمعنى: واصلة، فيقدر المفعول به، أي: بالغة غايتها، كما قدره الدرويش في «إعراب القرآن».

(٥) ﴿فَمَا تُغۡنِ﴾. ﴿مَا﴾: نافية أو استفهامية. و﴿تُغۡنِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة تخفيفًا. وكذا ﴿يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾: ﴿يَدۡعُ﴾: فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الواو المحذوفة تخفيفًا، و﴿ٱلدَّاعِ﴾: مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة تخفيفًا.

منذر، أي: الأمور المنذرة لهم، و«مَا» للنفي أو للاستفهام الإنكاري، وهي على الثاني مفعول مقدم(١).

(٦)- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ هو فائدة ما قبله وتم به الكلام(٢) ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ هو إسرافيل، وناصب «يَوْمَ»(٣) ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بعدُ ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (٦)﴾ بضم الكاف وسكونها(٤)، أي: منكر تنكره النفوس لشدّته، وهو الحساب.

(٧)- ﴿خَاشِعًا﴾ أي: ذليلًا، وفي قراءة: «خُشَّعًا»(٥) بضم الخاء وفتح الشين

---

(١) قوله: (وهي على الثاني...). أي: على كونها استفهامية، تكون اسمًا لها محل من الإعراب وهو هنا النصب على المفعولية، وأما النافية فهي حرف لا محل لها من الإعراب، كما هو واضح.

تنبيه: تأتي «ما» على اثني عشر وجهًا، تكون اسمًا في سبع حالات، وحرفًا في الباقية، وقد وضحنا ذلك في «الثلاثيات».

(٢) قوله: (هو فائدة...). أي: فالفاء: الفاء الفصيحة، و﴿تَوَلَّ﴾: فعل أمر مبني على حذف الألف. وتم به الكلام، فما بعده ﴿يَوْمَ يَدْعُ﴾ كلام مستأنف، و﴿يَوْمَ﴾ منصوب، ناصبه محذوف أو ﴿يَخْرُجُونَ﴾، وليس عامله ﴿تَوَلَّ﴾ كما هو واضح.

(٣) وقوله: (وناصب ﴿يَوْمَ﴾...). أي العامل النصبَ فيه: ﴿يَخْرُجُونَ﴾ الآتي، وقيل: (اذكر) مقدرًا. كما ذكرنا.

(٤) قوله: (بضم الكاف...). قرأ ابن كثير: بتسكين الكاف. والباقون: بالضم. وهما لغتان. وتقدم في سورة الكهف.

(٥) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر: ﴿خُشَّعًا﴾: بصيغة الجمع. والباقون: ﴿خَاشِعًا﴾: بالإفراد. وهما وجهان صحيحان، قال الزجاج: «يجوز في اسم الفاعل المتقدم ثلاثة أوجه: تقول: مررت بشباب حسنٍ أوجههم أو حسنةٍ أوجُههم، أو حسانٍ أوجههم».اهـ. ملخصًا. من «إعراب القرآن».

مشددة ﴿أَبْصَـٰرُهُمْ﴾ حال[1] من فاعل ﴿يَخْرُجُونَ﴾ أي: الناس ﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة، والجملة حال[2] من فاعل «يَخْرُجُونَ»، وكذا قوله:

۝٨ - ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين مادين أعناقهم[3] ﴿إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ منهم ﴿هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ صعب على الكافرين، كما في المدثر: «عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ» [الآيتان: ٩-١٠].

۝٩ - ﴿۩ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث الفعل[4] لمعنى «قَوْمُ»، ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نوحًا ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩﴾ أي: انتهروه بالسب وغيره[5].

۝١٠ - ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ بالفتح، أي: بأني ﴿مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠﴾.

۝١١ - ﴿فَفَتَحْنَآ﴾ بالتخفيف والتشديد[6] ﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١﴾ منصب انصبابًا شديدًا.

---

(١) قوله: (حال...). أي: ﴿خُشَّعًا﴾ حال من الواو في ﴿يَخْرُجُونَ﴾، و﴿أَبْصَـٰرُ﴾ فاعل ﴿خُشَّعًا﴾.

(٢) وقوله: (والجملة...). أي: جملة ﴿كَأَنَّهُمْ...﴾.

(٣) قوله: (أي: مسرعين...). كما فسر ابن جرير. وعزاه القرطبي إلى أبي عبيدة، وقيل: ناظرين. وقيل: فاتحين آذانهم إلى الصوت. وتقدم هذا اللفظ في سورة إبراهيم.

(٤) قوله: (تأنيث الفعل). أي: في ﴿كَذَّبَتْ﴾، بإدخال التاء؛ لأن ﴿قَوْمُ﴾ اسم جمع يجوز تذكيره وتأنيثه كما هو معلوم في علم النحو. وتقدم في مواضع.

(٥) قوله: (أي: انتهروه...). كما حكى الله قولهم: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ۝١١٦﴾ [الشعراء: ١١٦].

(٦) قوله: (بالتخفيف...). قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: بالتشديد: ﴿فَفَتَّحْنَآ﴾. والباقون: ﴿فَفَتَحْنَآ﴾. والتشديد للمبالغة.

﴿١٢﴾- ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾[١] تنبع ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ ماء السماء والأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ﴾ حال ﴿قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ قضي به في الأزل، وهو هلاكهم غرقًا.

﴿١٣﴾- ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ أي: نوحًا ﴿عَلَىٰ﴾ سفينة ﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ وهو ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها[٢]، واحدها: دسار، ككتاب.

﴿١٤﴾- ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا[٣]، أي: محفوظة ﴿جَزَآءً﴾ منصوب بفعل مقدر، أي: أغرقوا انتصارًا ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ وهو نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[٤]. وقرئ[٥]: «كَفَرَ» بالبناء للفاعل، أي: أغرقوا عقابًا لهم.

﴿١٥﴾- ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾ أبقينا هذه الفعلة[٦] ﴿ءَايَةً﴾ لمن يعتبر بها، أي: شاع

---

(١) ﴿عُيُونًا﴾: تمييز محوّل عن المفعول به، والأصل: فجرنا عيون الأرض. ولخصنا أنواع التمييز في كتاب «الثنائيات». وأفاد قوله: (تنبع). أن المراد بالعيون: النابعة. والعين لفظ مشترك له معانٍ كثيرة.

(٢) قوله: (من المسامير وغيرها). فسر بالمسامير: ابن عباس في رواية، وقتادة، وابن زيد، وابن جبير وغيرهم.
قول ثان: عن عكرمة، والحسن، وشهر بن حوشب: هي صدر السفينة التي تضرب بها الموج، سميت بذلك لأنها تدسُر الماء، أي: تدفعه.
قول ثالث: خيط تشد به ألواح السفينة. كما في «الصحاح»، وفي كلام المفسر: (من المسامير وغيرها) إشارة لهذا القول.

(٣) قوله: (بمرأى منا). وبذلك فسر ابن جرير، وابن كثير، قال ابن كثير: «أي: بأمرنا ومرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا».اهـ.

(٤) قوله: (وهو نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ). كما فسر به البيضاوي، والقرطبي وغيرهما.

(٥) وقوله: (وقرئ:...). هذه القراة عزاها القرطبي إلى يزيد بن رومان، وقتادة، ومجاهد، وليست من المتواترة. كما أشار المفسر بقوله: (وقرئ). والمعنى على القراءتين واضح.

(٦) قوله: (هذه الفعلة). أفاد أن الضمير يعود إلى المعلوم من السياق، وبمثله فسر القرطبي=

خبرها واستمر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ١٥﴾ معتبر ومتعظ بها، وأصله: مذتكر، أبدلت التاء دالًا[(١)] مهملة وكذا المعجمة وأدغمت فيها.

١٦- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ١٦﴾ أي: إنذاري[(٢)]، استفهام تقرير و«كَيْفَ» خبر «كَانَ»[(٣)]، وهي للسؤال عن الحال، والمعنى: حَمْلُ المخاطبين على الإقرار وقوع عذابه تعالى بالمكذبين بنوحٍ موقعه.

١٧- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ سهلناه للحفظ[(٤)] وهيأناه للتذكر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ١٧﴾ متعظ به وحافظ له. والاستفهام بمعنى الأمر، أي: احفظوه واتعظوا به، وليس يحفظ من كتب الله عن ظهر القلب غيره.

١٨- ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ نبيهم هودًا فعذبوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ١٨﴾ إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله، أي: وقع موقعه، وقد بيّنه بقوله:

= وغيره. وروى ابن جرير عن قتادة: «أبقى الله السفينة»، فالضمير عائد إلى السفينة. وبذلك فسر ابن جرير.

(١) قوله: (أبدلت...). وذلك -كما تقدم- إذا كان فاء «افتعل» دالًا أو ذالًا أو زاءً قلبت تاؤه دالًا، فهٰهنا فاء الكلمة هي الذال من الذكر؛ فقلبت التاء دالًا ثم قلبت الذال دالًا للإدغام.

(٢) قوله: (أي: إنذاري). ظاهره أن ﴿وَنُذُرِ﴾ اسم مصدر بمعنى: الإنذار، وهو مضاف إلى الياء المحذوفة تخفيفًا، وقيل: نذر جمع نذير، بمعنى: الإنذار، كنكير بمعنى: الإنكار، وذكر الاحتمالين البيضاوي والقرطبي.

(٣) وقوله: (خبر ﴿كَانَ﴾). قدمت للصدارة.

(٤) قوله: (سهلناه...). وبنحوه فسر العلماء، قال القرطبي: «أي: سهلناه للحفظ وأعنّا عليه من أراد حفظه».اهـ. ونقل عن سعيد بن جبير: «ليس من كتاب الله كتاب يقرأ كلّه ظاهرًا إلا القرآن».اهـ. كما أشار إليه المفسر.

﴿١٩﴾- ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ أي: شديدة الصوت(١) ﴿فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ﴾ شؤم ﴿مُّسۡتَمِرّٖ ١٩﴾ دائم الشؤم أو قويه، وكان يوم الأربعاء آخر الشهر.

﴿٢٠﴾- ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تقلعهم من حفر الأرض(٢) المندسِّين فيها وتصرعهم على رؤوسهم، فتدق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد ﴿كَأَنَّهُمۡ﴾ وحالهم ما ذكر ﴿أَعۡجَازُ﴾ أصول ﴿نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾ منقطع(٣) ساقط على الأرض. وشبهوا بالنخل لطولهم، وذُكِّر هنا(٤) وأُنِّث في «الحاقة»: «نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ٧» [الآية: ٧]؛ مراعاة للفواصل في الموضعين.

﴿٢١﴾- ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١﴾.

﴿٢٢﴾- ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٢٢﴾.

﴿٢٣﴾- ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ٢٣﴾ جمع نذير، بمعنى: منذر، أي: بالأمور(٥) التي أنذرهم بها نبيهم صالح إن لم يؤمنوا به ويتبعوه.

---

(١) قوله: (أي: شديدة الصوت). كما تقدم في سورة «حمٓ» السجدة، وكذا الكلام في وقوعه يوم الأربعاء من آخر الشهر.

(٢) قوله: (تقلعهم). كما قال مجاهد: «كان تقعلهم من الأرض فترمي بهم على رؤوسهم فتندق أعناقهم وتبين رؤوسهم عن أجسادهم».اهـ. وقيل: حفروا حفرًا ودخلوها، فكانت الريح تنزعهم منها وتكسرهم. ذكره القرطبي. كما هو ظاهر كلام المفسّر.

(٣) قوله: (منقطع). أي: المنقلع من أصله.

(٤) قوله: (ذكِّر). أي: جيء باللفظ المذكر حيث وصف بالمذكر: منقعر؛ لأن النخل يجوز تذكيره وتأنيثه، كما نقله القرطبي عن المبرد، فالتذكير والتأنيث باعتبار المناسبة في كل موضع.

(٥) قوله: (بالأمور التي...). هذا أحد وجهين، والوجه الثاني: النذر هم الرسل، فكذبوا رُسلَ الله ورسولَهم صالحًا. ذكرهما القرطبي، وكذا فيما سيأتي.

(٢٤)- ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا﴾ منصوب على الاشتغال[١] ﴿مِّنَّا وَٰحِدًا﴾ صفتان لـ«بَشَرًا»، ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ مفسر للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى: النفي، المعنى: كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة وهو واحد منا وليس بمَلَكٍ، أي: لا نتبعه ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ أي: إن اتبعناه[٢] ﴿لَّفِي ضَلَٰلٍ﴾ ذهاب عن الصواب ﴿وَسُعُرٍ (٢٤)﴾ جنون[٣].

(٢٥)- ﴿أَءُلْقِيَ﴾ بتحقيق الهمزتين[٤] وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه ﴿ٱلذِّكْرُ﴾ الوحي ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: لم يوح إليه ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ في قوله إنه أوحي إليه ما ذكر ﴿أَشِرٌ (٢٥)﴾ متكبر بطر، قال تعالى:

(٢٦)- ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ في الآخرة ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ (٢٦)﴾ وهو: هُمْ، بأن يعذَّبوا على تكذيبهم نبيَّهم صالحًا.

---

(١) قوله: (منصوب على الاشتغال). أي: بفعل محذوف يفسِّره ما بعده وهو هنا: «نتبع»، والاشتغال أسلوب معروف في كتب النحو، له ضابط، وحكم وتفصيل. كل ذلك معروف في كتب النحو، وقد فصلنا ذلك بتوضيح بديع في شرح «الثنائيات». وفي نظمنا «قِنْو من علم النحو».

(٢) قوله: (أي: إن اتبعناه...). أفاد أن التنوين في ﴿إِذًا﴾ عوض عن الجملة المضاف إليها.

(٣) قوله: (جنون). عزاه القرطبي إلى ابن عباس. مأخوذ من قولهم: ناقة مسعورة، كأنها من شدة نشاطها مجنونة. وعنه أيضًا: «السعر: العذاب»، وعن أبي عبيدة: «جمع سعير وهو لهيب النار»، وحاصل المعنى: إننا لفي عناءٍ وشقاء، كما في القرطبي.

(٤) قوله: (بتحقيق...). ذكر أربع قراءات:

١- تحقيق الهمزتين بلا إدخال ألف: قراءة الجمهور.

٢- تسهيل الثانية مع الإدخال: قراءة أبي جعفر، وقالون. وعن أبي عمرو: الوجهان أي: التسهيل مع الإدخال وعدمه.

٣- التسهيل بدون إدخال: لابن كثير، وورش، ورويس.

٤- لهشام: التسهيل مع الإدخال والتحقيق مع الإدخال وعدمه.

(٢٧)- ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾ مخرجوها من الهضبة[١] الصخرة كما سألوا ﴿فِتۡنَةً﴾ محنة ﴿لَّهُمۡ﴾ لنختبرهم ﴿فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ﴾ يا صالح، أي: انتظر ما هم صانعون وما يصنع بهم ﴿وَٱصۡطَبِرۡ (٢٧)﴾ الطاء بدل من تاء الافتعال[٢]، أي: اصبر على أذاهم.

(٢٨)- ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ﴾ مقسوم[٣] ﴿بَيۡنَهُمۡۖ﴾ وبين الناقة[٤]، فيوم لهم ويوم لها ﴿كُلُّ شِرۡبٖ﴾ نصيب من الماء ﴿مُّحۡتَضَرٞ (٢٨)﴾ يحضره القوم يومهم، والناقة يومها فتمادوا على ذلك[٥] ثم ملّوه فهمّوا بقتل الناقة.

(٢٩)- ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ﴾ قُدارًا ليقتلها[٦] ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ تناول السيف ﴿فَعَقَرَ (٢٩)﴾ به الناقة، أي: قتلها موافقة لهم.

---

(١) قوله: (الهضبة). هي الجبل على وجه الأرض، أو المرتفع من الأرض، وهذه الهضبة وسائر بيوتهم المنحوتة على الصخور لا زالت باقية، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم في تفسير سورة الأعراف، كما تقدم ذكر معاني الفتنة الأربعة في مواضع، مثلًا سورة الأنعام الآية (٢٣).

(٢) قوله: (الطاء بدل...). إشارة إلى مسألة صرفية، وذلك أن فاء الافتعال إذا كانت أحد أحرف الإطباق «ص، ض، ط، ظ» قلبت تاؤه طاءً، نحو: اصطبر، أصله: اصتبر، افتعال من الصبر. واضطرب أصله: اضترب، واطّرد أصله: اطترد.

(٣) قوله: (مقسوم). أفاد أن المصدر ﴿قِسۡمَةُۢ﴾ بمعنى: اسم المفعول.

(٤) وقوله: (وبين الناقة). توضيح للمراد، فيكون إطلاق ﴿بَيۡنَهُمۡۖ﴾ من تغليب العاقل على غيره. و«الشرب» النصيب أو الحظ من الماء، كما فسره. وفي المثل: «آخرها أقلّها شِرْبًا»، أي: آخر الإبل أقل نصيبًا من حوض الماء. أفاده القرطبي.

(٥) قوله: (فتمادوا). أي: استمروا ثم ملّوه، أي: ضجروا من ذلك، وأفاد المفسر بهذه التقديرات أن في الكلام حذف جُمل وأن جملة ﴿فَنَادَوۡاْ﴾ معطوفة على جملة محذوفة، فيكون الكلام من باب الإيجاز بالحذف.

(٦) قوله: (قُدارًا) اسم الذي تولّى عقر الناقة. وتقدم ذلك في الأعراف وغيرها.

٣٠- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله، أي: وقع موقعه، وبيّنه بقوله:

٣١- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ هو الذي[1] يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوكِ يحفظهن فيها من الذئاب والسباع، وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم.

٣٢- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾.

٣٣- ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾﴾ أي: بالأمور المنذرة لهم على لسانه.

٣٤- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحًا ترميهم بالحصباء، وهي صغار الحجارة، الواحدُ دون ملء الكف، فهلكوا ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ وهم ابنتاه معه ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾ من الأسحار[2]، أي: وقت الصبح من يوم غير معين، ولو أريد من

---

(١) قوله: (هو الذي). بيان لمعنى ﴿الْمُحْتَظِرِ﴾. أي: هو الذي يصنع الحظيرة، وهذا المعنى الذي ذكره المفسر عزاه القرطبي إلى ابن عباس. وعنه أيضًا: «كالعظام المحترقة»، فيكون من إضافة الموصوف إلى الصفة. وعن ابن جبير: «كالتراب المتناثر» من إضافة الموصوف إلى الصفة أيضًا.

(٢) قوله: (من الأسحار). يعني: أن «سحر» هنا منصرف منوّن مجرور بالكسرة؛ لأنه أريد به غير معين، و«سحر» يكون ممنوعًا من الصرف إذا أريد به معيّن واستعمل ظرفًا. كما تقول: جئت يوم الخميس سحَر، أي: سحر الخميس، فـ«سحر» هنا ممنوع من الصرف منصوب على الظرفية. والعلتان: العدلُ عن السحر؛ لأنه أريد به المعين، فكان حقه أن يستعمل مع «أل»، فعُدِل عنه إلى «سحر» بدون «أل»، فلما عُدِل أصبح شبيهًا بالعلَم من حيث إنه أريد به معيّن بدون «أل»، كزيد وعمرو. وهي العلة الثانية.

الخلاصة: يمنع من الصرف إذا أريد به معين للعدل وشبه العلمية، أما لو أريد به النكرة، أي: غير معيّن فهو منصرف منوّن كما في الآية، وهذا توضيح ما ذكره المفسر.

يوم معيّن لمنع من الصرف؛ لأنه معرفة معدول عن السحر؛ لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بـ«أل».

وهل أرسل الحاصب[١] على آل لوط أولا؟ قولان. وعبّر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل وعلى الثاني بأنه منقطع، وإن كان من الجنس تسمّحًا.

﴿٣٥﴾- ﴿نِّعۡمَةً﴾ مصدر، أي: إنعامًا[٢] ﴿مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء ﴿نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ أنعمُنا[٣]، وهو مؤمن، أو من آمن بالله ورسُله وأطاعهم[٤].

﴿٣٦﴾- ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم﴾ خوّفهم لوط ﴿بَطۡشَتَنَا﴾ أخْذَتنا إياهم بالعذاب ﴿فَتَمَارَوۡاْ﴾ تجادلوا وكذبوا ﴿بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾ بإنذاره[٥].

---

(١) قوله: (وهل أرسل...). يعني: هنا قولان:

الأول: أنه أرسل الحاصب إلى آل لوط ولكن لم يصبهم. وعلى هذا يكون الاستثناء متصلًا، أي: المستثنى يكون من جنس المستثنى منه.

والقول الثاني: أنه لم يرسل إليهم بل أرسل إلى الكافرين فقط، فيكون الاستثناء منقطعًا، كما هو واضح. وكونه منقطعًا باعتبار أنه لم يرسل الحاصب على آل لوط وإن كانوا من جنس قومه الذين بعث هو إليهم؛ فإطلاق الاستثناء المنقطع فيه نوع تسمّح. هذا خلاصة ما ذكره المفسر. ولم أر عزو القولين هنا في كتب التفسير. لكن ذكر المعربون الوجهين في الاستثناء، ثم الذي يظهر من تفاسير سورة هود والحجر أن آل لوط خرجوا من القرية قبل وقوع العذاب؛ فيكون الاستثناء منقطعًا. اللهم اختلف في أهلِه الهالكة هل خرجت معهم ثم التفتت فأصيبت، أو لم تخرج معهم. تقدم في الحجر.

(٢) قوله: (مصدر). يعني: اسم مصدر؛ لأن الفعل: «أنعم». وهو منصوب على أنه مفعول مطلق لـ«أنجينا»، أو لفعل مقدر من لفظه، أو مفعول لأجله.

(٣) قوله: (أنعمنا). مفعول ﴿شَكَرَ﴾، وجملة (وهو مؤمن) حال.

(٤) قوله: (أو من آمن). تفسير آخر للمراد بمن شكر، وهما متلازمان.

(٥) قوله: (بإنذاره). يفيد أن النذر هنا جمع نذير، بمعنى: الإنذار. كما تقدم.

(٣٧) - ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ أي: أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف ليخبثوا بهم، وكانوا ملائكة ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ أعميناهم[١]، وجعلناها بلا شقٍّ كباقي الوجه، بأن صفقها جبريل بجناحه ﴿فَذُوقُوا۟﴾ فقلنا لهم ذوقوا ﴿عَذَابِى وَنُذُرِ (٣٧)﴾ أي: إنذاري وتخويفي، أي: ثمرته وفائدته.

(٣٨) - ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ وقت الصبح من يومٍ غيرِ معيّن[٢] ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨)﴾ دائم متصل بعذاب الآخرة.

(٣٩) - ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ (٣٩)﴾[٣].

(٤٠) - ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٤٠)﴾.

(٤١) - ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿ٱلنُّذُرُ (٤١)﴾ الإنذار على لسان موسى وهارون فلم يؤمنوا بل[٤]:

(٤٢) - ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ أي: التسع التي أوتيها موسى[٥] ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ قويّ ﴿مُّقْتَدِرٍ (٤٢)﴾ قادر، لا يعجزه شيء.

(٤٣) - ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا قريش[٦] ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾ المذكورين من قوم نوح إلى

---

(١) قوله: (أعميناهم). كما تقدم في هود.

(٢) قوله: (من يَومٍ غيرِ معيّن). توضيح لمعنى النكرة في ﴿بُكْرَةً﴾.

(٣) ﴿فَذُوقُوا۟﴾. أعاد هذه الجملة؛ لأن المراد بالأولى عذابهم بطمس أعينهم، وبالثانية عذابهم الذي أهلكهم. فحسن التكرار، أفاده القرطبي.

(٤) قوله: (فلم يؤمنوا...). قدره ليفيد أن هنا حذف جملة؛ فيكون الكلام من إيجاز الحذف.

(٥) قوله: (التسع...). ذكرت في تفسير الأعراف الآية (١٣٣). وفي الإسراء (١٠١).

(٦) قوله: (يا قريش...). أفاد أن الخطاب لقريش، كما روي عن عكرمة، وغيره. وقال الربيع بن أنس: «كفار هذه الأمة».

فرعون فلم يعذبوا ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ يا كفار قريش ﴿بَرَآءَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾ الكتب[١]، والاستفهام في الموضعين بمعنى: النفي، أي ليس الأمر كذلك.

﴿٤٤﴾- ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: كفار قريش ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ أي: جمع ﴿مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ على محمد، ولما قال أبو جهل يوم بدر[٢]: إنا جمع منتصر؛ نزل:

﴿٤٥﴾- ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ فهزموا ببدر ونصر رسول الله ﷺ عليهم.

﴿٤٦﴾- ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ أي: عذابها ﴿أَدْهَىٰ﴾ أعظم بلية[٣] ﴿وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ أشد مرارة من عذاب الدنيا.

﴿٤٧﴾- ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ﴾ هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ نار مسعرّة بالتشديد، أي: مهيَّجة في الآخرة[٤].

---

(١) قوله: (الكتب). أي: المنزل من السماء، وعن ابن عباس: «في اللوح المحفوظ». ذكرها القرطبي.

تنبيه: ﴿أَمْ﴾ في ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ منقطعة وإن سبقتها همزة الاستفهام؛ لأن الهمزة ليست للتعيين والتسوية، وإنما تكون «أم» متصلة إذا سبقتها الهمزة للتعيين أو التسوية. وقد فصلنا ذلك في «الثلاثيات» وكتاب «البلاغة». وتقدم مرارًا.

(٢) قوله: (ولما قال أبو جهل). ماقاله المفسر روى نحوه ابن جرير عن ابن عباس. وَكما نقله القرطبي عن مقاتل، ولكن قال القرطبي: «قال ابن عباس: «كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين».اهـ، فالآية تكون مكية، ويكون مصداق الآية وقع في بدر. ويكون هذا من المعجزات؛ لأنه إخبار بالغيب. كما أفاد القرطبي.

(٣) ﴿أَدْهَىٰ﴾ من الداهية وهي الأمر العظيم.

(٤) قوله: (أي: مهيّجة). وتقدم هذه الكلمة في الآية (٢٤)، والمراد هنا: الاحتراق، وقيل: الجنون. كما في القرطبي.

﴿٤٨﴾- ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ أي: في الآخرة، ويقال لهم[١]: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ إصابة جهنم لكم.

﴿٤٩﴾- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ﴾ منصوب بفعل يفسره[٢] ﴿خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾ بتقدير، حالٌ من «كُلَّ»[٣]، أي: مقدرًا. وقرئ[٤]: «كُلُّ» بالرفع مبتدأ، خبره «خَلَقۡنَٰهُ».

﴿٥٠﴾- ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ﴾ لشيء نريد وجوده ﴿إِلَّا﴾ أمرةٌ[٥] ﴿وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۢ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ في السرعة، وهي قول: «كن» فيوجد ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يسٓ: ٨٢].

﴿٥١﴾- ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾﴾ استفهام بمعنى: الأمر، أي: اذكروا واتعظوا.

---

(١) قوله: (ويقال لهم). أفاد أن جملة ﴿ذُوقُواْ﴾ في محل نصب مقول لقول محذوف، كما نبه عليه ابن جرير. و﴿سَقَرَ﴾ من أسماء النار، أعاذنا الله منها، وهي ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث.

(٢) قوله: (منصوب...). أفاد أنه من باب الاشتغال.

(٣) وقوله: (بتقدير...). تفسير لـ﴿قَدَرٖ﴾، أشار إلى أنه اسم مصدر لـ«قدّر».
وقوله: (حال). أي: إعرابه أنه حال في محل نصب.

(٤) وقوله: (قرئ:...). عزا هذه القراءة القرطبي إلى أبي السمّال، وهي شاذة، وإن جاز الرفع لغةً. وفي هذه الآية ردّ على القدرية، كما نبه على ذلك القرطبي، والإيمان بالقدر سادس أركان الإيمان.

(٥) قوله: (أمرةٌ). قدره ليكون موصوفًا لـ﴿وَٰحِدَةٞ﴾، وهي خبر المبتدأ. و﴿مَآ﴾: نافية غير عاملة لوجود ﴿إِلَّا﴾ في الخبر. ومن شروط عملها عدم وجود «إلا».
والآية ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ ...﴾ ساقها المفسر دليلًا لقوله: وهي قول «كن». وهي من آخر يسٓ والمراد بقول «كن»: تعلق الإرادة. وتقدم في سورة البقرة الآية (١١٧) وغيرها.

٥٢- ﴿وَكُلُّ شَىۡءٍ فَعَلُوهُ﴾[١] أي: العباد، مكتوب ﴿فِى ٱلزُّبُرِ ٥٢﴾ كتب الحفظة[٢].

٥٣- ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الذنب والعمل ﴿مُّسۡتَطَرٌ ٥٣﴾ مكتوب في اللوح المحفوظ.

٥٤- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَنَهَرٍ ٥٤﴾ أريد به الجنس[٣]، وقرئ[٤]: «وَنُهُرٍ» بضم النون والهاء جمعًا؛ كأَسَد وأُسُد، والمعنى: أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر.

٥٥- ﴿فِى مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم[٥]، أريد به الجنس، وقرئ: «مَقَاعِدِ»[٦]. المعنى: أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأثيم، بخلاف مجالس الدنيا فقلّ أن تسلم من ذلك، وأعرب هذا خبرًا ثانيًا وبدلًا[٧]،

---

(١) ﴿وَكُلُّ شَىۡءٍ فَعَلُوهُ﴾ جملة ﴿فَعَلُوهُ﴾ نعت لـ﴿شَىۡءٍ﴾ في محل جر، أو نعت لـ﴿كُلُّ﴾ في محل رفع، وليس هذا من باب الاشتغال؛ لأن الجملة ﴿فَعَلُوهُ﴾ لا يصح الإخبار بها عن المبتدأ اعتبارًا بالمعنى المراد، وشرط الاشتغال صحة الإخبار بالفعل عن الاسم السابق. كما نبه على ذلك النحاة. فـ﴿كُلُّ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾.

(٢) قوله: (كتب الحفظة). روي نحوه عن الضحاك. وقيل: المراد: اللوح المحفوظ.

(٣) قوله: (أريد به الجنس...). أي: فيشمل جميع الأنهار.

(٤) وقوله: (وقرئ:...). عزاها القرطبي إلى أبي مجلز، وأبي نهيك، والأعرج، وطلحة بن مطرف، وقتادة. وهي قراءة شاذة.

(٥) قوله: (مجلس حق...). وهو الجنة. قاله القرطبي. قال ابن كثير: «أي: في دار كرامة الله ورضوانه وفضله وامتنانه وجوده وإحسانه».اهـ.

(٦) قوله: (وقرئ: ﴿مَقَاعِدِ﴾). عزاه القرطبي إلى عثمان البتّي. وهي شاذة.

(٧) قوله: (وأعرب...). أي: أعرب ﴿فِى مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ خبرًا ثانيًا لـ﴿إِنَّ﴾، أو بدلًا من =

وهو صادق ببدل البعض وغيره ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾ مثال مبالغة[١]، أي: عزيز الملك وواسعه ﴿مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ قادر لا يعجزه شيء، وهو الله تعالى، و«عِندَ» إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله تعالى[٢].

❁❁❁

= ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾، وفسر الصدق بالحق؛ لأن الصدق أصله في القول. والحق في القول وغيره. وقد ذكرنا ذلك سابقًا.

(١) قوله: (مثال مبالغة). يعني أن ﴿مَلِيكٍ﴾ صيغة مبالغة من المُلك، ومعناه: عزيز الملك، وواسع الملك.

(٢) وقوله: (و﴿عِندَ﴾ إشارة...). أي: فيكون كالمعية الخاصة، يختص بها المؤمنون أهل الجنة.

٥٥- سورة الرحمن

مكية[(١)]، أو إلا: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ الآية؛ فمدنية وآياتها ست أو ثمان وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ (١)﴾ الله تعالى[(٢)].

(٢) - ﴿عَلَّمَ﴾ من شاء ﴿ٱلْقُرْءَانَ (٢)﴾.

(٣) - ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ (٣)﴾ أي: الجنس[(٣)].

(٤) - ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ (٤)﴾ النطق[(٤)].

---

(١) قوله: (مكية). أي: كلها في قول الحسن، وعروة بن الزبير، وعكرمة، وعطاء، وجابر. وقال ابن عباس: «إلا آية هي قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾»، كما ذكر المفسِّر. وعن ابن مسعود، ومقاتل: «مدنية». نقل القرطبي الأقوال الثلاثة وصحح القول الأول، وذكر أدلة على ذلك.

(٢) قوله: (الله تعالى). تفسير بالمراد. وليس تفسيرًا لغويًّا كما هو واضح؛ لأن ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ اسم، مشتق من الرحمة، والله من الألوهة أو هو مرتجل، كما تقدم في أول التفسير. نقل القرطبي عن ابن جبير، والشعبي: «﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ فاتحة ثلاث سور إذا جُمعن كنّ اسمًا من أسماء الله تعالى: الرَ، حمَ، نَ».اهـ. وفي بعض النسخ لا يوجد (الله تعالى).

(٣) قوله: (الجنس...) أي: «أل» في ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ للجنس، والبيانُ على هذا، النطقُ والفهمُ وهو مما فضل به الإنسان على سائر الحيوان. نقله القرطبي قولًا بدون عزو. وكذا قاله ابن جرير. وروى عن قتادة: «المراد: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فـ«أل» تكون عهدية ذهنية. وعزي هذا القول إلى ابن عباس، والحسن، قال ابن جرير: «كلا القولين محتمل».اهـ.

(٤) قوله: (النطق). روي ذلك عن ابن زيد. وقال قتادة: «بيان الحلال والحرام». وعن الضحاك: «الخير والشر».

٥- ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥﴾ بحساب يجريان[١].

٦- ﴿وَٱلنَّجۡمُ﴾ ما لا ساق له من النبات[٢] ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ ما له ساق ﴿يَسۡجُدَانِ ٦﴾ يخضعان لما يراد منهما[٣].

٧- ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧﴾ أثبت العدل[٤].

٨- ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ﴾ أي: لأجل أن لا تجوروا ﴿فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨﴾ ما يوزن به[٥].

٩- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩﴾ تنقصوا الموزون.

(١) قوله: (يجريان). قدره ليكون خبرًا، حذف للعلم به، وبنحوه فسر ابن عباس، قال: «يجريان بعدد وحساب».

(٢) قوله: (ما لا ساق له). ما ذكره من تفسير النجم والشجر؛ مروي عن ابن عباس، والسدي، والثوري وغيرهم. واختاره ابن جرير. وروى عن قتادة، والحسن: «أنه نجم السماء».

(٣) وقوله: (يخضعان). فالمراد بالسجود هنا: السجود القهري بمعنى: أن كل ذلك خاضع لله تعالى. ذكره المفسرون مع أقوال أخر.

(٤) قوله: (العدل). روي عن مجاهد، وقتادة، والسدي. ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ منصوب بفعل محذوف يفسيره: ﴿رَفَعَهَا﴾، فهو من باب الاشتغال.

(٥) قوله: (ما يوزن به). أي: فالمراد بـ﴿ٱلۡمِيزَانِ﴾ هنا: آلة الوزن. وفي الآتي: الموزون. فيكون لفظ ﴿ٱلۡمِيزَانِ﴾ في المواضع الثلاثة بمعانٍ مختلفة، ويكون في بعض الإطلاقات مجازًا. وهذا أمر بديع ولكني لم أر من ذكر بهذا التفصيل من أئمة التفسير من السلف، اللهم إن لفظ ﴿ٱلۡمِيزَانِ﴾ فسّر بالعدل وآلة الوزن، وبالوزن، كما يعلم من كتب التفسير. والله أعلم.

﴿١٠﴾ - ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا﴾[١] أثبتها ﴿لِلۡأَنَامِ ١٠﴾ للخلق الإنس والجن وغيرهم[٢].

﴿١١﴾ - ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ﴾ المعهود ﴿ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ١١﴾ أوعية طلعها[٣].

﴿١٢﴾ - ﴿وَٱلۡحَبُّ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾ التبن[٤] ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ ١٢﴾ الرزق أو المشموم[٥].

﴿١٣﴾ - ﴿فَبِأَيِّ[٦] ءَالَآءِ﴾ نِعم[٧] ﴿رَبِّكُمَا﴾ أيها الإنس والجن[٨] ﴿تُكَذِّبَانِ ١٣﴾

---

(١) ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾: منصوب بفعل مضمر يفسره وضعها فهو من باب الاشتغال.

(٢) قوله: (للخلق). وبه فسر ابن عباس. وفي رواية عنه: «كل شيء فيه الروح»، وعن الحسن: «الجن والإنس».

تنبيه: في هذه الآية إشارة إلى أن غير الأرض من الكواكب الأخرى ليست مهيأة للمعاش، رغم زعم فلاسفة الزمان محاولة التبوؤِ فيها. وما ذلك إلا أمانيّ كاذبة.

(٣) قوله: (أوعية طلعها). أي: التي تشقق عنها الطلع عند ظهورها. وهو جمع كِمٍّ، بكسر الكاف. وبهذا المعنى فسر ابن زيد، وبه فسر البيضاوي وغيره. وعن الحسن: «ذات الليف». واختار ابن جرير العموم.

(٤) قوله: (التبن). وبه فسر ابن عباس. وهو ورق الزرع بعد الحصاد إذا يبس.

(٥) قوله: (أو المشموم). روي نحوه عن ابن عباس، وابن زيد، والحسن. وفي رواية عن ابن عباس: الرزق، قال: «كل ريحان في القرآن فهو رزق».اهـ. وقيل غير ذلك.

(٦) ﴿فَبِأَيِّ﴾. الفاء الفصيحة. وأي: اسم استفهام مجرور وهو مضاف لما بعده. والآلاء: جمع إِلًى، أو أَلًى، أو إِلْيٍ، كما تقدم في النجم.

(٧) قوله: (نِعم). بكسر النون وفتح العين، جمع: نعمة. تفسير لـ﴿ءَالَآءِ﴾. وذلك واضح.

(٨) وقوله: (أيها الإنس والجن). أفاد أن الضمير للتثنية، والمراد الإنس والجن؛ لأنه دل على =

ذكرت إحدى وثلاثين مرة[١]، والاستفهام فيها للتقرير؛ لما روى الحاكم[٢] عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال: «**ما لي أراكم سكوتًا؟! لَلجنُّ كانوا أحسن منكم ردًّا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة: «﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣﴾» إلا قالوا: ولا بشيء من نِعَمِك ربَّنا نكذب فلك الحمد**».

١٤- ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ آدم[٣] ﴿مِن صَلۡصَٰلٖ﴾ من طين يابس يُسمع له صلصلة، أي: صوت إذا نقر ﴿كَٱلۡفَخَّارِ ١٤﴾[٤] وهو ما طبخ من الطين.

١٥- ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ﴾ أبا الجن، وهو إبليس ﴿مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ١٥﴾ هو لهبها الخالص من الدخان[٥].

١٦- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦﴾.

= ذلك لفظة الأنام. وقوله تعالى الآتي: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ٣١﴾، كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾، ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ﴾، والحديث الذي ذكره المفسر.

(١) قوله: (إحدى وثلاثي مرة). التكرار لفائدة من الأساليب البلاغية العذبة، وهي معروفة عند البلاغيين وموجودة في كلام العرب. وفي هذا التكرار هنا تذكير لكل نعمة ذكرت عقبها هذه الآية، وأن كلّا من النعم المذكورة جليلة.

(٢) قوله: (لما روى الحاكم...). وهذا الحديث رواه كذلك الترمذي، وروى نحوه ابن جرير عن ابن عمر. [«تحفة الأحوذي» (٩/ ١٧٧)، الحاكم (٢/ ٤٧٣)].

(٣) قوله: (آدم). قال القرطبي: «باتفاقٍ من أهل التأويل».اهـ. فتكون «أل» للعهد.

(٤) ﴿كَٱلۡفَخَّارِ﴾ نعت لـ﴿صَلۡصَٰلٖ﴾.

تنبيه: خلق آدم من طين وإبليس من نار تقدم في مواضع.

(٥) وقول المفسر: (هو لهبها). أي: المارج من النار لهبها الخالص.

١٧- ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ مشرق الشتاء ومشرق الصيف[(١)] ﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ كذلك.

١٨- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾.

١٩- ﴿مَرَجَ﴾ أرسل[(٢)] ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والملح[(٣)] ﴿يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ في رأي العين.

٢٠- ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز من قدرته تعالى ﴿لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ لا يبغي واحد منهما على الآخر فيختلط به.

٢١- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾.

٢٢- ﴿يُخْرَجُ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل[(٤)] ﴿مِنْهُمَا﴾ من مجموعهما الصادق

---

(١) قوله: (مشرق الشتاء...). وبذلك فسر ابن جرير وغيره من المفسرين. ورواه ابن جرير عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد. وتقدم في الصافات: ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾ [الآية: ٥]، بصيغة الجمع؛ لأن الشمس لها كل يوم مشرق ومغرب طول السنة. وتقدم.

(٢) قوله: (أرسل). قاله ابن عباس، من قولهم: مرج فلان دابته، أي: أرسلها وخلاها. ذكره ابن جرير وغيره، ويقال: مرج: خلط، ذكره القرطبي. وتقدم في الفرقان.

(٣) وقوله: (العذب والملح). وبه فسر ابن كثير، وعزاه القرطبي إلى ابن جريج. ويدل له قوله تعالى: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ [الفرقان: ٥٣]، وتقدم شيء من التوضيح في الفرقان. وعن ابن عباس: «البحران هنا: بحر السماء وبحر الأرض»، واختاره ابن جرير.

(٤) قوله: (بالبناء للمفعول...). قرأ به: نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب. وقرأ الباقون: بالبناء للفاعل: ﴿يَخْرُجُ﴾.

بأحدهما وهو الملح[١] ﴿ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٢٢﴾ خرز أحمر أو صغار اللؤلؤ[٢].

٢٣- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٣﴾.

٢٤- ﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ﴾[٣] السفن ﴿ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾ المحدثات[٤] ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٢٤﴾ كالجبال عظمًا وارتفاعًا.

٢٥- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٥﴾.

٢٦- ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا﴾ أي: الأرض من الحيوان ﴿فَانٖ ٢٦﴾ هالك، وعبر بـ«مَنۡ»؛ تغليبًا للعقلاء[٥].

---

(١) قوله: (من مجموعهما...). هذا جواب عن إشكال حاصله: أن اللؤلؤ يخرج من الملح، ولا يخرج منهما، وحاصل الجواب: أن المراد (من مجموعهما) فيصدق لو خرج من أحدهما. ذكر معناه القرطبي عن الكلبي، والزجاج وغيرهما. ونقل عن أبي علي الفارسي أنه بتقدير مضاف، أي: (من أحدهما). ولكن لا إشكال على ما نقل عن ابن عباس من أنه إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف في البحر أفواهها، فما وقع فيها أي: من قطر فهو اللؤلؤ، قال ابن كثير: «رواه ابن أبي حاتم عنه بإسنادٍ صحيح».اهـ. وأضف إلى ذلك أن ابن عباس فسر البحرين هنا ببحر السماء والأرض. فيكون خروج اللؤلؤ منهما، والله أعلم. وقيل: اللؤلؤ يخرج من العذب أيضًا. نقله القرطبي عن الأخفش، بلا ذكر قائله.

(٢) قوله: (خرز أحمر...). ذكر المفسر للمرجان تفسيرين:

١- الخرز الأحمر، قاله ابن مسعود، وأبو مالك.

٢- اللؤلؤ الصغار. روي عن ابن عباس وغيره. وروي عنه أيضًا أنه الكبار من اللؤلؤ، كما يعلم من ابن جرير.

(٣) ﴿ٱلۡجَوَارِ﴾. أصله الجواري، حذفت الياء تخفيفًا.

(٤) قوله: (المحدثات). فسر به قتادة. وعن مجاهد: «هي السفن التي رفع قِلعُها».اهـ.

(٥) قوله: (تغليبًا...). التغليب أسلوب أدبيّ، كما تقدم. وهو استعمال لفظٍ في معنًى شاملٍ =

(٢٧)- ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ ذاته[١] ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ﴾ العظمة ﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ (٢٧)﴾ للمؤمنين بأنعمه عليهم.

(٢٨)- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨)﴾.

(٢٩)- ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: بنطق أو حال[٢]، ما يحتاجون إليه[٣] من القوة على العبادة والرزق والمغفرة وغير ذلك ﴿كُلَّ يَوۡمٍ﴾ وقت[٤] ﴿هُوَ فِي شَأۡنٖ (٢٩)﴾ أمر يظهره[٥] على وفق ما قدره في الأزل من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك.

(٣٠)- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠)﴾.

(٣١)- ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ﴾ سنقصد[٦] لحسابكم ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ (٣١)﴾ الإنس والجن.

= لمعناه الحقيقي وما جاوره. فـ﴿مَنۡ﴾ في الأصل موضوع للعاقل -أو العالم- وأريد به هنا هو وغير العالم؛ كالحيوانات؛ لأن الفناء يشمله.

(١) قوله: (ذاته). فسر به لأن البقاء لذاته تعالى مع صفاته. قال القرطبي: «والوجه عبارة عن وجوده وذاته»، وقال ابن عباس: «الوجه عبارة عنه تعالى».اهـ. باختصار. علمًا بأن الوجه من صفاته تعالى كما يليق به تعالى عند أهل السنة من السلف.

(٢) قوله: (بنطق أو حال). بالنطق من ذوي العلم من الإنس والجن والملائكة، وبالحال من غيرهم.

(٣) وقوله: (ما يحتاجون...). مفعول به ثان لـ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ﴾. وذكر أئمة التفسير نحو ذلك، وكلام المفسر إجمال لما فصله أئمة التفسير.

(٤) قوله: (وقت)، تفسير بالمراد، كما فسّر به البيضاوي.

(٥) قوله: (يظهره). أفاد أن سبق القدر لا ينافي كونه تعالى كل وقت في شأن؛ لأن ذلك يكون وفق ما قدّره. كما نقل القرطبي عن الكلبي: «شأنه سوق المقادير إلى المواقيت»، وعن الحسين ابن الفضل، قال: «فإنها شؤون يُبديها لا شؤون يبتديها».اهـ.

(٦) قوله: (سنقصد...). أفاد أن معنى الفراغ هنا القصد للحساب. وبمثله فسر ابن كثير، =

(٣٢) - ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾.

(٣٣) - ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ﴾ تخرجوا ﴿مِنۡ أَقۡطَارِ﴾ نواحي[1] ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ﴾ أمر تعجيز[2] ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾﴾ بقوة ولا قوة لكم على ذلك[3].

(٣٤) - ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾.

(٣٥) - ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان[4]، أو معه

= قال ناقلًا عن ابن جرير: «أي: سنقضي لكم»، وعن البخاري: «سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء». وقال القرطبي: «والله تعالى ليس له شغل يفرغ منه وإنما المعنى: سنقصد لمجازاتكم أومحاسبتكم». وهذا وعيد وتهديد لهم.اهـ.

(١) قوله: (نواحي). أي: الأطراف. والأقطار جمع قُطر. وهي الأطراف. قاله ابن جرير.

(٢) وقوله: (أمر تعجيز). أي: فالمعنى: لا تستطيعون على ذلك. فمضمون الآية -على ما ذهب إليه المفسر- يكون كما روي عن الضحاك: «أنه إذا كان يوم القيامة نزلت الملائكة من كل سماء واصطفوا بالخلق، وهم سبعة صفوف، فيقال للخلق ذلك، أي: إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السمٰوات والأرض، فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فافعلوا، ولا تستطيعون ذلك إلا بسلطان من ربكم.اهـ. وهذا المعنى اختاره ابن كثير. وفي رواية الضحاك: «المعنى: إن استطعتم أن تهربوا من الموت فاهربوا؛ لأن الموت مدرككم».

(٣) قوله: (بقوة). هذا يوافق ما روي عن قتادة: «لا تنفذون إلا بمُلْكٍ، وليس لكم مُلْك»، وفسره مجاهد، وعكرمة: «بحجة»، واختاره ابن جرير، وقال عكرمة: «كل سلطان في القرآن فهو حجة». كما في ابن جرير.

(٤) قوله: (هو لهبها). تفسير لـ﴿شُوَاظٞ﴾. وروي هذا عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك. وعن الضحاك أيضًا: «الدخان الذي يخرج من اللهب»، وإليه أشار المفسر بقوله: (أو معه) أي: مع الدخان.

﴿وَنُحَاسٌ﴾ أي: دخان لا لهب فيه(١) ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ تمتنعان من ذلك، بل يسوقكم إلى المحشر.

﴿٣٦﴾- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿٣٧﴾- ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ انفرجت أبوابًا لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي: مثلها محمرة(٢) ﴿كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ كالأديم الأحمر على خلاف العهد بها، وجواب «إِذَا»: فما أعظم الهول!!

﴿٣٨﴾- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿٣٩﴾- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ عن ذنبه، ويسألون في وقت آخر(٣):

---

(١) وقوله: (أي: دخان...). فسر النحاس بالدخان، وهو مروي عن ابن عباس وغيره، واختاره ابن جرير. ورُوي عن ابن عباس أيضًا أنه الصُّفر، وكذا عن مجاهد، وقتادة. قال مجاهد: «يذاب الصفر فيصب من فوق رؤوسهم»، وعلى هذا يحتمل كون الآية تهديدًا للعصاة، ووعيدًا بأنهم يعذبون بالنار والنحاس. كما يحتمل كونها مرتبطة بما قبلها على أن المعنى: إن خرجتم أرسل عليكم شواظ من نار وأخذكم العذاب المانع من الخروج. وذكر الاحتمالين القرطبي.

(٢) قوله: (أي: مثلها...). أشار إلى وجه الشبه وهولون الحمرة، قال قتادة: «هي اليوم خضراء ولونها يومئذ الحمرة».اهـ. وظاهر كلام المفسر: أن المراد بالوردة: الزهرة المعروفة. كما هو ظاهر البيضاوي. ولكن روى ابن جرير عن ابن عباس وغيره: «الفرَس الوَرْد، وهو الأحمر، يكون في الربيع أصفر، وفي الشتاء أحمر، وإذا اشتد الشتاء يكون أغبر».
و«الدهان» الجلد الأحمر. نقله القرطبي عن أبي عبيد، والفراء. وقال مجاهد، والضحاك: «جمع دُهن: أي: كالدهن في الصفاء، أو السيلان». اختار ابن جرير أنه جمع دهن.

(٣) قوله: (ويسألون في وقت...). أراد المفسر به الجمع بين ما هنا من نفي السؤال وبين إثبات السؤال في آية أخرى، وهي: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢]. =

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ [الحجر: ٩٢]، والجان هنا[١] وفيما سيأتي بمعنى: الجني، والإنس فيهما بمعنى: الإنسي.

٤٠ - ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٠﴾.

٤١ - ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي: سواد الوجوه وزرقة العيون[٢] ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١﴾[٣].

٤٢ - ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٢﴾.

أي: تضمّ ناصية كل منهم إلى قدميه من خَلْفُ أو قُدَّامُ ويلقى في النار ويقال لهم:

= وحاصل الجواب: أن في القيامة حالات، فيسألون في حالة، ولا يسألون في أخرى. ذكره ابن كثير، والقرطبي، وغيرهما. قال قتادة: «قد كانت مسألة ثم ختم على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون».اهـ. وعزا القول به القرطبي إلى عكرمة. وقيل المعنى: لا يسأل بعضهم عن ذنوب بعض؛ لأن الله حفظ عليهم أعمالهم. روي عن الحسن، وقتادة، أيضًا. وعن مجاهد: «لا يسأل الملائكة عن المجرم، يعرفون بسيماهم».اهـ.

(١) قوله: (والجان هنا...). المراد بذلك أن الإنس والجان هنا بمعنى: المفرد، ليس بمعنى الجمع. ولذا رجع إليهما ضمير المفرد في ﴿ذَنۢبِهِۦٓ﴾، وهما اسم جنس جمعي مفردهما بالياء، واسم الجنس الجمعي يجوز رجوع الضمر المفرد المذكر إليه، وإن لم يكن بمعنى المفرد. وعلى هذا يكون مراد المفسر: أنه بمعنى المفرد؛ لإفادة العموم.

(٢) قوله: (سواد الوجوه...). روي ذلك عن الحسن، وقتادة، وكما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۝١٠٢﴾ [طه: ١٠٢].

(٣) قوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى﴾. قال ابن جرير في تفسيره: «فتأخذهم الزبانية بنواصيهم وأقدامهم فتسحبهم إلى جهنم».اهـ. الناصية: مقدم الرأس. والزبانية: نوع من الملائكة. غلاظ شداد: كما قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦].

﴿٤٣﴾- ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿٤٤﴾- ﴿يَطُوفُونَ﴾ يسعون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماءٍ حارٍ ﴿ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ شديد الحرارة[١] يسقونه إذا استغاثوا من حرّ النار، وهو منقوص كقاضٍ.

﴿٤٥﴾- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿٤٦﴾- ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ أي: لكل منهم أو لمجموعهم[٢] ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ قيامه بين يديه[٣] للحساب فترك معصيته ﴿جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿٤٧﴾- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾.

---

(١) قوله: (شديد الحرارة...). قال ابن عباس: «انتهى حرّه». وعنه أيضًا: «الآني: ما اشتد غليانه ونضجه».اهـ. وهو اسم فاعل من «أَنَى، يأني، أنيًا»، كما أشار إليه المفسر بقوله: (وهو منقوص). والمنقوص -كما هو معروف في كتب النحو- اسم معرب آخره ياء لازمة قبلها كسرة، كقاضٍ وغازٍ، ويرفع بضمة مقدرة ويجر بكسر مقدرة وينصب بفتحة ظاهرة. وكل ذلك مشهور.

(٢) قوله: (لكل منهم...). يعني: أن ﴿مَنْ﴾ الموصولة يحتمل أن يراد به الاستغراق، فيكون المعنى: لكل خائف جنتان، ويحتمل كون المراد جنس الخائف الشامل للجن والإنس، فيكون المراد جنة للإنس وجنة للجن. ذكر نحوه الزمخشري. وفي كلام القرطبي ما يفيد ذلك. ومعلوم أن الاسم الموصول كالمحلّى بـ«أل» يجوز أن يراد به العهد والجنس والاستغراق. كما يَرِدُ المضاف إلى المعرفة لهذه المعاني الثلاثة.

(٣) قوله: (قيامه...). أفاد أن ﴿مَقَامَ﴾ مصدر ميميّ، وهو مضاف، والإضافة بتقدير محذوف، أي: مقامه بين يدي ربه. وقيل: الإضافة إلى الفاعل، أي: قيام ربه عليه ومراقبته له، وقيل: المقام ظرف، أي: الموقف بين يديه. والمآل واحد على كل تقدير. وذكر البيضاوي وغيره هذه الأوجه، روى ابن جرير عن مجاهد: «في هذه الآية هو الرجل يهم بالذنب فيذكر مقام ربه فينزع».اهـ.

(٤٨)- ﴿ذَوَاتَآ﴾ تثنية ذوات على الأصل، ولامها ياء[١] ﴿أَفْنَانٖ (٤٨)﴾ أغصان جمع فَنَن[٢]، كطلل.

(٤٩)- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩)﴾.

(٥٠)- ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ (٥٠)﴾.

(٥١)- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١)﴾.

(٥٢)- ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ﴾ في الدنيا أو كل ما يتفكه به[٣] ﴿زَوۡجَانِ (٥٢)﴾ نوعان: رطب ويابس[٤]، والمرُّ منهما في الدنيا كالحنظل حلو.

(٥٣)- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣)﴾.

(٥٤)- ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حالٌ عاملُه محذوف، أي: يتنعمون ﴿عَلَىٰ فُرُشِۢ بَطَآئِنُهَا مِنۡ

---

(١) قوله: (تثنية «ذوات»). يعني: أن أصل: ذات: ذوَية، قلبت الياء ألفًا فكتبت التاء تاءً مفتوحة، فصار: ذوات. وتثنيته: ذواتا، بدون النون؛ لأنه لازم الإضافة، ونون المثنى تحذف من المضاف. وقد تحذف الألف المنقلبة عن الياء، وتقلب الواو ألفًا، فيقال: «ذاتَا» في التثنية، ويقال في المفرد: «ذات»، وفي المذكر: «ذو»، بمعنى: صاحب. و«ذو» من الأسماء الستة التي ترفع بالواو، وتنصب بالألف، وتجر بالياء، كما هو معروف. وتقدم الكلام من هذه الكلمة في سورة سبأ (١٦).

(٢) قوله: (أغصان). فسر به مجاهد. وعن ابن عباس: «ألوان»، ووزنُ «فَعَلٌ» مما لا يدغم فيه الحرف في مثله كطلَل، وجلَل، وملَل.

(٣) قوله: (في الدنيا...إلخ). نقل القرطبي عن ابن عباس: «ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو».اهـ. وفي كلام المفسر إشارة إلى ذلك.

(٤) وقوله: (رطب ويابس). هذا قول آخر في معنى ﴿زَوۡجَانِ﴾. ذكره القرطبي بدون عزو. وعلى قول ابن عباس المذكور يكون معنى الزوجين: ما كان حلوًا أو مُرًّا في الدنيا. والله أعلم.

﴿إِسْتَبْرَقٍۚ﴾ ما غلظ من الديباج وخشن، والظهائر من السندس[(١)] ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ ثمرها ﴿دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع[(٢)].

﴿٥٥﴾- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿٥٦﴾- ﴿فِيهِنَّ﴾ في الجنتين[(٣)] وما اشتملتا عليه من العلالي والقصور[(٤)] ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ العَين على أزواجهن المتكئين من الإنس والجن[(٥)] ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ يَفْتَضِضْهُنَّ، وهن من الحور أو من نساء الدنيا المنشآت[(٦)] ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾.

---

(١) قوله: (الظهائر). أي: ظهائر الفرش، وهي ما على الجهة الفوقانية ضد البطائن. والسندس: الديباج الرقيق. ولعل المفسر أخذ هذا من وصف ثياب أهل الجنة، فإن عاليها سندس، كما في سورة الإنسان، ولكن روى ابن جرير عن ابن مسعود وغيره، قال: «قد أخبرتم بالبطائن فكيف لو أخبرتم بالظواهر؟، يعني: هذا تنبيه بالأدنى على الأعلى، كما قال ابن كثير. والله أعلم.

(٢) وقوله: (قريب...). روي نحوه عن ابن عباس. وهو اسم فاعل من: «دنا، يدنو»، خبر مرفوع، علامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة؛ لأنه اسم منقوص.

(٣) قوله: (في الجنتين...). في هذا الكلام توجيه لجمع الضمير ﴿فِيهِنَّ﴾ الراجع إلى الجنتين؛ لأن في الجنتين أنواعًا من النعم والآلاء، كما يعلم ذلك من كلام الزجاج. نقله القرطبي. وقيل: الضمير راجع إلى الفرش.

(٤) وقوله: (العلالي...). جمع عِلِّيَّة، البيوت المنفصلة من الأرض، كما يعلم من كتب اللغة.

(٥) قوله: (من الإنس والجن...). صريح في أن الجن يدخلون الجنّة، ولهم فيها أزواج جنيات. وروى ابن جرير، وابن كثير وغيرهما ذلك عن ضمرة بن حبيب، لما سئل عن ذلك قال: «نعم وينكحون، للجن جنيات وللإنس إنسيات».اهـ. وقيل: ثوابهم النجاة من النار؛ وتقدم في سورة الأحقاف (٢١).

(٦) أي هؤلاء الموصوفات بقاصرات الطرف إما نساء الجنة، أو نساء الدنيا اللاتي دخلن الجنة، وأكثر المفسرين لم يفصلوا ذلك، ولكن من المعروف أن في الجنة نساءً من أهلها، وأن نساء الدنيا المؤمنات يدخلن الجنة، فلعل تلك الصفات توجد في النوعين. والله أعلم.

(٥٧) - ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾.

(٥٨) - ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ﴾ صفاءً ﴿وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ أي: اللؤلؤ بياضًا[١].

(٥٩) - ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾.

(٦٠) - ﴿هَلْ﴾ ما[٢] ﴿جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ بالطاعة ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ بالنعيم.

(٦١) - ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾.

(٦٢) - ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾[٣] أي: الجنتين المذكورتين أيضًا ﴿جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ لمن خاف مقام ربه.

(٦٣) - ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾﴾.

(٦٤) - ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ سوداوان من شدة خضرتهما[٤].

---

(١) قوله: (صفاء). نقل القرطبي عن الحسن: «هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان».اهـ. الياقوت: حجر كريم صلب شفاف. والمرجان: اللؤلؤ. قيل: صغارها. وقيل: كبارها. كما يعلم من كتب اللغة. وتقدم قريبًا.

(٢) قوله: (ما). أفاد أن الاستفهام بمعنى: النفي، ويدل عليه وجود الاستثناء.

(٣) ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾. روى ابن جرير عن ابن عباس ما يفيد أن المراد من دونهما في الدرَجِ. أي: فهاتان الجنتان أفضل من الأوليين، وعن ابن زيد: «هاتان دون الأوليين في الفضل، أي: أقل من الأوليين فضلًا»، ثم قيل: إن الأوليين للمقربين، وهاتان لأصحاب اليمين. وعزا القرطبي هذا أيضًا إلى ابن زيد. ونقله عن الحليمي في كتاب له «منهاج الدين»، وظاهر كلام المفسر أن الأربعة لمن خاف ربه، وهذا المعنى عزاه القرطبي إلى ابن عباس، قال: «والجنات لمن خاف مقام ربه، فيكون في الأوليين النخل والشجر، وفي الأخريين الزرع والنبات وما انبسط».اهـ.

(٤) قوله: (سوداوان). مأخوذة من الدهمة وهي السواد، والفعل: ادهامَّ، يدهامّ، فهو مُدهامّ، وهي مُدْهامّة.

(٦٥) - ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾﴾.

(٦٦) - ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾[١]، فوّارتان بالماء لا تنقطعان.

(٦٧) - ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾﴾.

(٦٨) - ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ هما منها، وقيل من غيرها[٢].

(٦٩) - ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾.

(٧٠) - ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: الجنتين وقصورهما[٣] ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ أخلاقًا ﴿حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ وجوهًا.

(٧١) - ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾﴾.

(٧٢) - ﴿حُورٌ﴾ شديدات سواد العيون وبياضها ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ مستورات[٤] ﴿فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ من درّ مجوّف[٥] مضافةً إلى القصور شبيهةً بالخدور.

---

(١) ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ من النضخ، أي: فوّراتان، كما قاله ابن جرير. قال ابن عباس، وغيره: «تنضخان بالماء»، وعن الضحاك: «ممتلئان لا تنقطعان»، وعن سعيد: «نضاختان بألوان الفاكهة».

(٢) قوله: (هما منها). أي: النخل والرمان من الفاكهة، فيكون من عطف الخاص على العام لمزيّة الخاص، أي: لفضلها وحسن موقعهما من الفاكهة، فيكون كقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقيل: هما ليسا من الفاكهة، فيكون من عطف المغاير، وذكر القولين ابن جرير، والقرطبي، وقال القرطبي: «الأول قول الجمهور».

(٣) قوله: (أي: الجنتين...). كما تقدم في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾. وقال ابن جرير: «﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ...﴾ أي: في الجنان الأربع المذكورة».اهـ.
والخيرات جمع خيرة، بمعنى: ذوات خير. قال قتادة: «خيرات الأخلاق وحسان الوجوه». وذكره المفسر.

(٤) قوله: (مستورات). روى عن ابن عباس، وغيره قريب منه، قال: «محبوسات»، وعن مجاهد: «لا يبرحن الخيام»، وعنه أيضًا: «أي: قصر طرفهن على أزواجهن فلا يُردن غيرهم».اهـ.

(٥) وقول المفسر: (من درّ مجوف...). كما روي عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك وغيرهم، =

٧٣- ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ ﴾.

٧٤- ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ ﴾ قبل أزواجهن ﴿وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ ﴾.

٧٥- ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ ﴾.

٧٦- ﴿ مُتَّكِـِٔينَ ﴾ أي: أزواجهم، وإعرابه كما تقدم ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ ﴾ جمع رفرفة، أي: بُسط أو وسائد[١] ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ جمع عَبْقَرِيَّة، أي: طنافس[٢].

٧٧- ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ ﴾.

٧٨- ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ تقدم، ولفظ «ٱسْمُ» زائد[٣].

❁❁❁

= قال ابن عباس: «الخيمة في الجنة من درّ مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع». اهـ. ابن جرير.

وقول المفسر: (مضافة)، أي: زيادة على ما لهم من قصور الجنة، لهم خيام من درّ مجوّف.

(١) قوله: (بُسط...). روي نحو ذلك عن أئمة التفسير. قال ابن عباس: «فضول الفرش والبسط»، وعنه أيضًا: «المحابس يتكئون على فضولها»، وعن الحسن: «البُسط»، وقال الليث: «ضرب من الثوب الخضر تبسط».اهـ. وفي «الصحاح»: «الرفرف: ثياب خضر تتخذ منها المحابس، الواحدة: رفرفة».اهـ. المحابس جمع: مِحْبس: ما يبسط على وجه الفراش للنوم، كما يعلم من بعض تحقيقات ابن جرير.

(٢) وقوله: (طنافس). نقل القرطبي عن القتبي: «كل ثوب وشي عند العرب عبقريّ»، وقال أبو عبيد: «منسوب إلى أرض يعمل فيها الوشي، فينسب إليها كل وشي حُبك».اهـ. وقال الجوهري: «العبقري: موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن، ثم نسبوا إليه كل شيء يعجبون من حذقه وجودة صنعته».اهـ. ومثله في البيضاوي. وقال: «يطلق على الواحد والجمع». والطنافس: جمع طَنْفَسة: البساط.

(٣) قوله: (زائد). وهذا أحد الأوجه، وقيل: ذِكرُه، كما في ابن جرير. وقيل: صفته، كما في البيضاوي. وعلى كونه زائدًا يكون المراد به الذات.

٥٦- سورة الواقعة

مكية[١]، إلا: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾، و﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ... ﴿٨١﴾﴾ الآية

وآياتها ست أو سبع أو تسع وتسعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾- ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾ قامت القيامة[٢].

﴿٢﴾- ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾ نفس تُكذِّب بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا[٣].

﴿٣﴾- ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ أي: هي مظهرة[٤] لخفض أقوام بدخولهم النار

---

(١) قوله: (مكية). كلها في قول جابر، وعطاء، والحسن، وعكرمة. وعن ابن قتادة: «إلا آية ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ... ﴿٨٢﴾﴾ نزلت بالمدينة». وقال الكلبي: «إلا أربع آيات؛ منها آيتان ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ...﴾ إلى ﴿...تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ نزلتا في طريقه إلى مكة، وآيتان ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ نزلتا في سفره إلى المدينة».اهـ. كما في القرطبي. وإلى ذلك أشار المفسر، وقال القرطبي: «نزلت بعد طه».

(٢) قوله: (قامت القيامة». الواقعة من أسماء القيامة، سميت بها لأنها تقع عن قرب أو لكثرة ما يقع فيها من الشدائد.

(٣) قوله: (نفس تكذب). على هذا تكون ﴿كَاذِبَةٌ﴾ نعتًا لمحذوف، ونقل هذا المعنى عن الثوري، قال: «ليس لوقعتها أحد يكذب بها»، وقال ابن جرير، والقرطبي: «أنها مصدر، أي: هي واقعة لابد منها»، وظاهر كلام المفسر: أن ﴿إِذَا﴾ ظرفية شرطية، والعامل فيها ما دلّ عليه ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾ أي: تنتفي النفس الكاذبة حينئذ فتكون هذه الجملة جواب ﴿إِذَا﴾؛ لأن العامل في «إذا» جوابها. وإلى ذلك ذهب الزمخشريّ، وقيل: الجواب محذوف، أي: تقع كذا وكذا، وقيل: اذكر مقدرًا. وقيل غير ذلك.

(٤) قوله: (هي مظهرة). هذا المعنى عزاه القرطبي إلى عمر بن الخطاب وغيره، ورواه ابن جرير، عن عثمان بن عبدالله بن سراقة. وروى ابن عباس: «سمّعت القريب والبعيد»،=

ولرفع آخرين بدخولهم الجنة.

(٤) - ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾﴾ حرّكت حركة شديدة.

(٥) - ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾ فتّتت.

(٦) - ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً﴾[١] غبارًا ﴿مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ منتشرًا، و«إِذَا» الثانية[٢] بدل من الأولى.

(٧) - ﴿وَكُنتُمْ﴾ في القيامة ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا ﴿ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾[٣].

(٨) - ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم[٤]، مبتدأ[٥] خبره: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة.

= وكذا عن عكرمة، قال: «خفضت وأسمعت الأدنى ورفعت فأسمعت الأقصى، فكان القريب والبعيد من الله سواء».اهـ.

(١) ﴿فَكَانَتْ ...﴾. كان هنا بمعنى: صار. والهباء: الشعاع الذي يرى كهيئة الغبار. وبذلك ورد التفسير عن ابن عباس وغيره. وتقدمت الكلمة في سورة الفرقان (٢٣).

(٢) قوله: (و﴿إِذَا﴾ الثانية...). أي: في قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾ الأولى، وهي التي في قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾.

(٣) قوله: (أصنافًا ﴿ثَلَٰثَةً﴾) هم: أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسابقون. كما فصل كل منهم في الآيات التالية.

(٤) قوله: (وهم الذين...). هذا المعنى عزاه القرطبي إلى عطاء، ومحمد بن كعب، وفيه أقوال كلها متقاربة.

(٥) وقول المفسر: (مبتدأ). أي: إعرابه أنه مبتدأ، وخبره جملة ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾﴾. و﴿مَآ﴾ استفهامية مبتدأ، و﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ خبرها. والجملة خبر المبتدأ الأول، أي: أصحاب الميمنة. وكذلك الآية التالية. فتكون كقوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾﴾ [القارعة: ١-٢]، والاستفهام تفيد تعظيمًا وتهويلًا، كما نبه عليه المفسر.

(٩)- ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أي: الشمال بأن يؤتى كل منهم كتابه بشماله ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ (٩)﴾ تحقير لشأنهم بدخولهم النار.

(١٠)- ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الخير وهم الأنبياء[١]، مبتدأ ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠)﴾ تأكيد لتعظيم شأنهم. والخبر:

(١١)- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١)﴾.

(١٢)- ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (١٢)﴾.

(١٣)- ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣)﴾ مبتدأ[٢]، أي: جماعة من الأمم الماضية.

(١٤)- ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ (١٤)﴾ من أمة محمد ﷺ، وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمةِ، والخبرُ:

---

(١) قوله: (وهم الأنبياء). هذا التفسير عزاه القرطبي، وابن كثير إلى محمد بن كعب القرظي، وعن الحسن، وقتادة: «السابقون إلى الإيمان من كل أمة»، وعن محمد بن سيرين: «هم الذين صلّوا إلى القبلتين»، وقيل غير ذلك.

(٢) قوله: (مبتدأ). أي: وخبره ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾. كما سيذكره، و﴿قَلِيلٌ﴾ معطوف على المبتدأ، وأعرب ﴿ثُلَّةٌ﴾ خبرًا لمبتدأ محذوف، أي: هم. وعلى كلا التقديرين يكون بيانًا للسابقين. وجرى المفسر على أن المراد بالأولين الأمم الماضية والآخرين: أمة محمد ﷺ. وبه فسر ابن جرير، والقرطبي وغيرهما. فيكون معنى القلة من هذه الأمة أن عدد السابقين منها قليل بالنسبة إلى مجموع أعداد السابقين من الأمم الماضية، كما أفاده القرطبي. وهذا التفسير أيضًا مروي عن مجاهد، والحسن البصري كما في ابن كثير، واستشكل عليه ابن كثير، وقال: «هذا القول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها»، وقال: المراد بالأولين: صدر هذه الأمة، وبالآخرين: الآخرون من هذه الأمة»، والله أعلم.

(١٥) - ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥)﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر[١].

(١٦) - ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ (١٦)﴾ حالان من الضمير في الخبر.

(١٧) - ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧)﴾ على شكل الأولاد، لا يهرمون.

(١٨) - ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ أقداح لا عرى لها ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ لها عرًى وخراطيم[٢] ﴿وَكَأْسٍ﴾ إناء شرب الخمر ﴿مِّن مَّعِينٍ (١٨)﴾ أي: خمر جارية من منبع لا ينقطع أبدًا[٣].

(١٩) - ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزَفُونَ (١٩)﴾ بفتح الزاي وكسرها[٤] من: نُزِفَ الشارب، وأنزف، أي: لا يحصل لهم منها صداع[٥] ولا ذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا[٦].

---

(١) قوله: (منسوجة). روي هذا المعنى عن ابن عباس وغيره. هو اسم مفعول عن: وَضَن، والوضنُ: النسج المضاعف والنضد، يقال: وضن فلان الحجرَ والآجر بعضه فوق بعض، فهو موضون، كما في القرطبي.

(٢) الأكواب جمع كوب، وهو الذي لا عرى له، أي: لا مقبض له، وكذلك ليس له خرطوم، وأباريق جمع إبريق، وهو الذي له العرى والخرطوم. وقال القرطبي: «سمي الإبريق إبريقًا؛ لأنه يبرق لونه من صفائه».اهـ.

(٣) قوله: (أي: خمر جارية). قاله قتادة، والضحاك. وعن ابن عباس نحوه.

(٤) قوله: (بفتح الزاي). قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: بضم الياء وكسر الزاي من: أنزف. والباقون: بضم الياء وفتح الزاي: ﴿يُنزَفُونَ﴾ على صيغة المبني للمفعول. فقول المفسر من: نزف، أي: الثلاثي المبني للمفعول «نُزِفَ». والله أعلم.

(٥) وقوله: (أي: لا يحصل منها صداع). تفسير لقوله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾.

(٦) وقوله: (ولا ذهاب عقل). تفسير لقوله: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾. نقل القرطبي عن الضحاك، =

(٢٠)- ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠)﴾.

(٢١)- ﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ (٢١)﴾.

(٢٢)- ﴿وَ﴾ لهم للاستمتاع[1] ﴿حُورٌ﴾ نساء شديدات سواد العيون وبياضها ﴿عِينٞ (٢٢)﴾ ضخام العيون، كسرت عينه[2] بدل ضمها لمجانسة الياء، ومفرده عيناء، كحمراء. وفي قراءة[3]: بجر: «وَحُورٍ عِينٍ».

(٢٣)- ﴿كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ (٢٣)﴾ المصون.

(٢٤)- ﴿جَزَآءَۢ﴾ مفعول له، أو مصدر، والعامل مقدر[4]، أي: جعلنا لهم ما ذكر للجزاء أو جزيناهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٢٤)﴾.

= عن ابن عباس، قال: «في الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقيء والبول، وقد ذكر الله تعالى خمر الجنة، فنزهها من هذه الخصال».اهـ.

(١) قوله: (لهم). بهذا التقدير يكون ﴿وَحُورٌ﴾ مبتدأ مؤخرًا، وهذا أحد الأوجه لقراءة الرفع: ﴿وَحُورٌ﴾. وقيل: خبر مبتدؤه محذوف، أي: ونساؤهم حور. وقيل: معطوف على ﴿وِلۡدَٰنٞ﴾.

(٢) وقوله: (كسرت عينه). إشارة إلى مسألة صرفية، وذلك: أن لفظ «العين» بكسر العين، وكان الأصل ضمها؛ لأن مفرده عيناء، و«الفعلاء» ومذكره «أفعل»، كلاهما يجمع على «فُعْل» بضم الفاء وسكون العين، نحو: أحمر، حمراء: حُمْر. ولكن لما كان عين الكلمة ياءً في: عيناء، كسرت فاء الكلمة -العين-، فصار: عِين. ومثله: بِيض، جمع أبيض، وبيضاء.

(٣) وقوله: (وفي قراءة:...). قرأ بالجر: حمزة، والكسائي، وأبو جعفر. ووجه الجر: إما عطفًا على ﴿بِأَكۡوَابٖ﴾ باعتبار المعنى، أي: يتنعمون بأكواب وحورٍ، وقيل: جر الجوار، أي: أصله أنه مرفوع، وجرّ لأجل المناسبة بجر ما قبله. وعن قطرب: «هو معطوف على ﴿بِأَكۡوَابٖ﴾، والمعنى: يطاف عليهم بحور، ولا مانع من ذلك». نقله القرطبي.

(٤) قوله: (مقدر). أي: على الوجهين، كما قدره المفسر.

(٢٥) - ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَغْوًا﴾ فاحشًا من الكلام ﴿وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥)﴾ ما يؤثم.

(٢٦) - ﴿إِلَّا﴾ لكن[1] ﴿قِيلًا﴾ قولًا[2] ﴿سَلَامًا سَلَامًا (٢٦)﴾ بدل من «قِيلًا»؛ فإنهم يسمعونه.

(٢٧) - ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧)﴾.

(٢٨) - ﴿فِي سِدْرٍ﴾ شجر النبق ﴿مَخْضُودٍ (٢٨)﴾ لا شوك فيه[3].

(٢٩) - ﴿وَطَلْحٍ﴾ شجر الموز[4] ﴿مَنْضُودٍ (٢٩)﴾ بالحمْل من أسفله إلى أعلاه.

(٣٠) - ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠)﴾ دائم.

(٣١) - ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١)﴾ جار دائمًا.

(٣٢) - ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢)﴾.

(٣٣) - ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ في زمن ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣)﴾ بثمن.

(٣٤) - ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٤)﴾ على السرر[5].

---

(١) قوله: (لكن). أشار إلى أن الاستثناء منقطع، وذلك واضح.

(٢) وقوله: (قولًا). أفاد أن ﴿قِيلًا﴾ مصدر قال، وله أربعة مصادر: قول، قال، قيل، مقال. وتقدم.

(٣) قوله: (لا شوك فيه). أي: خضد شوكه، أي: قطع، فهو مخضود. روي هذا المعنى عن ابن عباس وغيره. وروي عن مجاهد: «مخضود، أي: الموقر حملًا، أي: ثمرًا».

(٤) قوله: (شجر الموز). روي عن ابن عباس، وغيره. ومفرده: طلحة. والمنضود: المتراكب. قاله القرطبي. وعن الحسن: «الطلح: شجر له ظل بارد رطب».اهـ.

(٥) قوله: (على السرر). أفاد أن المراد بالفرش الذي يفرش، كما قال ابن جرير: «ولهم فيها فرش مرفوعة طويلة بعضها فوق بعض».اهـ. ونقل القرطبي قولًا بأن المراد بالفرش هنا: النساء؛ لأنه يكنى عنهن بالفراش واللباس والإزار.اهـ. ولعلّ مأخذه الآية التالية.

(٣٥) - ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥﴾ أي: الحور العين من غير ولادة[(١)].

(٣٦) - ﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى، ولا وجع[(٢)].

(٣٧) - ﴿عُرُبًا﴾ بضم الراء وسكونها[(٣)]، جمع عَروب، وهي المتحببة إلى زوجها عشقًا له ﴿أَتۡرَابٗا ٣٧﴾ جمع ترب[(٤)]، أي: مستويات في السن.

(٣٨) - ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨﴾ صلة[(٥)] «أَنشَأۡنَٰهُنَّ»، أو «جَعَلۡنَٰهُنَّ». وهم[(٦)]:

(٣٩) - ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٩﴾[(٧)].

(٤٠) - ﴿وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ٤٠﴾.

---

(١) قوله: (أي: الحور العين). بيان لمرجع الضمير «هن»، فهو معلوم من السياق وإن لم يسبق لهن ذكر. كما ذكره الأخفش. أو يعود الضمير إلى ﴿وَحُورٌ عِينٞ﴾ المذكور سابقًا كما ذكره أبو عبيدة، نقلهما ابن جرير عنهما. وروى ابن جرير عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره مرفوعًا: «**هن نساء الدنيا العجائز، ينشؤهن الله أبكارًا في الجنة**».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (ولا وجع). أي: لا ألم بالافتضاض.

(٣) قوله: (بضم الراء...). قرأ بسكون الراء: شعبة، وحمزة، وخلف. وبالضم: الباقون. وهما جائزان في جمع «فَعُول» كما قال القرطبي، وما ذكره المفسر من المعنى مروي عن ابن عباس وغيره.

(٤) قوله: (جمع ترب). بكسر التاء. قال القرطبي: «يقال في النساء: أتراب، وفي الرجال: أقران».اهـ. وقال: «أعمارهن: ثلاث وثلاثون سنة».

(٥) قوله: (صلة...). أي: متعلق به.

(٦) وقوله: (وهم). مبتدأ، خبره: ﴿ثُلَّةٞ﴾. والضمير (هم) راجع لـ﴿أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾.

(٧) روى ابن جرير، عن ابن عباس مرفوعًا: «الثلّتان من هذه الأمة»، وروي كذلك عن مجاهد، وعطاء وغيرهما.

(٤١) - ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١﴾.

(٤٢) - ﴿فِي سَمُومٖ﴾ ريح حارة من النار تنفذ في المسام(١) ﴿وَحَمِيمٖ ٤٢﴾ ماء شديد الحرارة(٢).

(٤٣) - ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣﴾ دخان شديد السواد(٣).

(٤٤) - ﴿لَّا بَارِدٖ﴾ كغيره من الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٍ ٤٤﴾ حسن المنظر(٤).

(٤٥) - ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ﴾ في الدنيا ﴿مُتۡرَفِينَ ٤٥﴾ منعمين، لا يتعبون في الطاعة.

(٤٦) - ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ﴾ الذنب ﴿ٱلۡعَظِيمِ ٤٦﴾ أي: الشرك(٥).

(٤٧) - ﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٤٧﴾ في الهمزتين(٦)

---

(١) قوله: (تنفذ في المسام). جمع «سَمّ»، وهو أصل الشعر الذي به منفذ خفيف.

(٢) وقوله: (ماء...). كما تقدم في سورة محمد: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥﴾ [الآية: ١٥].

(٣) قوله: (دخان). روي مثله عن ابن عباس وغيره، وهو «يفعول» من الحمِّ، وهو الشحم المسوّد باحتراق، وقيل: من الحُمم، وهو الفحم. ذكره القرطبي.

(٤) قوله: (حسن المنظر). روي عن قتادة، والحسن، وقال الضحاك: «﴿كَرِيمٍ﴾، أي: عذب».

(٥) قوله: (الشرك). فسر به ابن جرير وغيره، وروى عن الحسن، وقتادة، والضحاك، وابن زيد. وقال الشعبي: «هو اليمين الغموس».

(٦) قوله: (في الهمزتين...). قرأ نافع، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب: بهمزة واحدة في الموضع الثاني: ﴿إِنَّا﴾، ولم يذكره المفسر، وظاهر كلامه يوهم أن هنا قراءتين فقط.

١- التحقيق مع الإدخال: قراءة هشام.

٢- تسهيل الثانية مع الإدخال: قراءة أبي عمرو، وقالون، وأبي جعفر. =

في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين.

﴿٤٨﴾- ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ بفتح الواو للعطف[١]، والهمزة للاستفهام، وهو في ذلك[٢] وفيما قبله للاستبعاد، وفي قراءة: بسكون الواو عطفًا بـ«أَوَ»، والمعطوف عليه محل «إن» واسمها[٣].

﴿٤٩﴾- ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿٥٠﴾- ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ﴾ لوقت ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ أي: يوم القيامة.

﴿٥١﴾- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾.

﴿٥٢﴾- ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾﴾ بيان للشجر[٤].

﴿٥٣﴾- ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا﴾ من الشجر ﴿ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿٥٤﴾- ﴿فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي: الزقوم المأكول ﴿مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾.

= وتبقى قراءتان:

٣- التسهيل بدون إدخال: قراءة ابن كثير، وورش، ورويس.

٤- التحقيق بدون إدخال: قراءة الجمهور.

(١) قوله: (بفتح الواو). قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، وقالون: بسكون الواو: ﴿أَوْ﴾. والباقون: بفتحها: ﴿أَوَ﴾، ووجههما كما قال المفسر.

(٢) وقوله: (وهو في ذلك...). أي: الاستفهام هنا، وفيما قبله: وهو ﴿أَئِذَا مِتْنَا...﴾ للاستبعاد، أي: للإشارة إلى بُعدِ الوقوع واستحالته على اعتقادهم.

(٣) وقوله: (محل «إن»...). أي: ومحلهما الرفع على الابتداء، أما محل اسم «إنّ» وحده، وهو الضمير فهو النصب كما هو واضح.

(٤) قوله: (بيان للشجر). أي: فـ﴿مِّن﴾ في ﴿مِّن زَقُّومٍ﴾ بيانية. كما أن ﴿مِن﴾ في ﴿مِن شَجَرٍ﴾ تبعيضية. أو ﴿مِّن زَقُّومٍ﴾ بدل من ﴿مِن شَجَرٍ﴾. والزقوم تقدم في «الصافات».

(٥٥) - ﴿فَشَٰرِبُونَ شَرۡبَ﴾ بفتح الشين وضمها[١] ﴿ٱلۡهِيمِ ٥٥﴾ الإبل العطاش جمع هيمان للذكر، وهيمى للأنثى، كعطشان وعطشى[٢].

(٥٦) - ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمۡ﴾ ما أُعد لهم ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٥٦﴾ يوم القيامة.

(٥٧) - ﴿نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ أوجدناكم من عدم ﴿فَلَوۡلَا﴾ هلّا[٣] ﴿تُصَدِّقُونَ ٥٧﴾ بالبعث، إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة.

(٥٨) - ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ٥٨﴾[٤] تريقون من المنيّ في أرحام النساء.

(٥٩) - ﴿ءَأَنتُمۡ﴾ بتحقيق الهمزتين[٥] وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها وإدخال

---

(١) قوله: (بفتح الشين...). قرأ بضم الشين: نافع، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر. وبالفتح: الباقون. وهما مصدران لـ«شَرِبَ، يشربُ».

(٢) قوله: (جمع هيمان...). ما قاله المفسر فيه نظر؛ لأن الهيم جمع أهيم وهيماء، نحو: أبيض، وبيضاء. يجمعان على «بِيض»، وأصله على وزن «فُعل»، كسرت فاء الكلمة لمناسبة الياء بعدها كما تقدم في «عين». ومعنى «الأهيم» الذي أصابه الهُيام، وهو داء يحوِجُ إلى كثرة شرب الماء، يقال: جمل أهيم، وناقة هيماء، أما الهيمان والهيمى فيجمعان على «الهِيام». كالعطشان، والعطشى: عِطاش، وزنًا ومعنًى.

الخلاصة: أفعل، فعلاء: يجمعان على وزن «فُعْلٍ»، وفعلان، فعلى: يجمعان على «فِعال»، والله أعلم.

(٣) قوله: (هلّا). أفاد أن ﴿لَوۡلَا﴾ تحضيضية.

(٤) قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُم﴾. الهمزة للاستفهام، والفاء عاطفة، و﴿رَءَيۡتُم﴾ بمعنى: أخبروني، له ثلاثة مفاعيل: الأول: ياء المتكلم، والثاني: ﴿مَّا﴾ الموصولة، والثالث: الجملة الاستفهامية ﴿ءَأَنتُمۡ﴾. وكذلك إعراب ما يأتي.

(٥) قوله: (بتحقيق...). القراءات كما في ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ في أول سورة البقرة الآية (٦).

ألف بين المسهلة والأخرى وتركه في المواضع الأربعة ﴿تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ أي: المني بشرًا ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾[١].

﴿٦٠﴾- ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾ بالتشديد والتخفيف[٢] ﴿بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ بعاجزين.

﴿٦١﴾- ﴿عَلَىٰٓ﴾ عن ﴿أَن نُّبَدِّلَ﴾ نجعل ﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ مكانكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ نخلقكم ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ من الصور، كالقردة والخنازير[٣].

﴿٦٢﴾- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ وفي قراءة: بسكون الشين[٤] ﴿فَلَوْلَا تَذَّكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الذال[٥].

﴿٦٣﴾- ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ تثيرون في الأرض[٦] وتلقون البذر فيها.

---

(١) ﴿أَمْ نَحْنُ﴾: ﴿أَمْ﴾ هنا متصلة عاطفة لسبق همزة التعيين.

(٢) قوله: (بالتشديد...). قرأ ابن كثير: بالتخفيف: ﴿قَدَرْنَا﴾. والباقون: بالتشديد: ﴿قَدَّرْنَا﴾.

(٣) قوله: (كالقردة...). فسر ابن جرير قريبًا مما قاله المفسر حيث قال: «ونبدلكم عما تعملون من أنفسكم فيما لا تعملون منها من الصور».اهـ.

(٤) قوله: (وفي قراءة: بسكون...). كما تقدم في سورة النجم الآية (٤٧).

(٥) وقوله: (فيه إدغام...). هذا على قراءة: تشديد الذال: ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾: وهي قراءة الجمهور. وقرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: بتخفيف الذال: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، أي: بحذف إحدى التائين.

(٦) قوله: (تثيرون...). قال القرطبي: «أضاف الحرث إليهم والزرع إليه تعالى؛ لأن الحرث فعلهم، ويجري على اختيارهم، والزرع من فعل الله تعالى».اهـ. روى ابن جرير عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**لا تقولن: زرعت، ولكن قل: حرثت**»، قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قول الله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾».اهـ. وهذا نهي إرشاد كما في القرطبي.

٦٤- ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

٦٥- ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ نباتًا يابسًا لا حبّ فيه ﴿فَظَلْتُمْ﴾ أصله: ظلِلْتم بكسر اللام، حذفت تخفيفًا، أي: أقمتم نهارًا ﴿تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ حذفت منه إحدى التاءين في الأصل[١]، تعجبون من ذلك[٢]، وتقولون:

٦٦- ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ نفقة زرعِنا[٣].

٦٧- ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ممنوعون من رزقنا.

٦٨- ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

٦٩- ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ السحاب، جمع مُزْنَة ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

٧٠- ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ ملحًا لا يمكن شربه ﴿فَلَوْلَا﴾ هلّا ﴿تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

٧١- ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ تخرجون من الشجر الأخضر[٤].

٧٢- ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ كالمرخ والعفار والكلخ[٥] ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾.

---

(١) قوله: (حذفت...). أي: أصله «تتفكهون»، وهذا الحذف جائز في اللغة، وتقدم نظيره.

(٢) وقوله: (تعجبون) تفسير لـ﴿تَفَكَّهُونَ﴾. وقاله ابن عباس، ومجاهد. وعن عكرمة: «تلاومون»، وعن الحسن، وقتادة: «تندمون».

(٣) قوله: (نفقة زرعنا). على هذا يكون ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ مأخوذًا من الغُرْمِ. وهذا المعنى مرويّ عن الضحاك، وابن كيسان كما في القرطبي. وقال مجاهد: «ملقون للشر، فهو مأخوذ من الغرام بمعنى: العذاب». وعن عكرمة: «مولع بنا»، من الغرام أيضًا.

(٤) قوله: (تخرجون...). تفسير لـ﴿تُورُونَ﴾ وهو مضارع «أورَى النار»، واسم الفاعل منه: مُورٍ. أما «تُرون» بدون الواو فهو مضارع: «أرى»، واسم الفاعل منه: «مُرٍ».

(٥) قوله: (كالمرخ...). أنواع من الشجر يكون فيها النار، وتقدم ذكر بعضها في «يسٓ».

(٧٣)- ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم[١] ﴿وَمَتَاعًا﴾ بُلْغَة ﴿لِّلْمُقْوِينَ (٧٣)﴾ للمسافرين[٢]، من أقوى القومُ، أي: صاروا بالقَوى -بالقصر والمد[٣]-، أي: القفر، وهو مفازة لا نبات فيها ولا ماء.

(٧٤)- ﴿فَسَبِّحْ﴾ نزه ﴿بِاسْمِ﴾ زائد[٤] ﴿رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)﴾ أي: الله.

(٧٥)- ﴿۞ فَلَا أُقْسِمُ﴾، «لَا» زائدة[٥] ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥)﴾ بمساقطها لغروبها[٦].

---

(١) قوله: (لنار جهنم). روي مثله عن مجاهد، وقتادة.

(٢) قوله: (للمسافرين). روي ذلك عن ابن عباس، وغيره.

(٣) قوله: (بالقصر والمد). أي: القَوى والقواء، بفتح القاف فيهما، وعلى هذا يكون «أقوى»: أفعل، بمعنى: الدخول في الشيء، نحو: أنجد، أي: دخل في نجد، وأصبح: دخل في الصباح، وغيرهما. وهو المراد بقول المفسر: (صارَوا بالقوى).

(٤) قوله: (زائد). والأولى أن لا يكون زائدًا، والمعنى: سبّح بذكر اسمه تعالى.
قال ابن جرير: «فسبح يا محمد بذكر ربك العظيم وتسميته»، ونحو ذلك في البيضاوي.
فائدة: قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمْ﴾. في المواضع الأربعة تتضمن برهانًا على البعث فإن القادر على ذلك قادر على البعث، كما نبه عليه القرطبي. وإعراب الآيات ﴿أَفَرَءَيْتُمْ﴾ بمعنى: أخبروني، فعل وفاعل ومفعول أول، و﴿مَّا تُمْنُونَ﴾ مثلًا مفعول ثانٍ، وجملة ﴿ءَأَنتُمْ﴾ في محل نصب مفعول ثالث كما تقدم، والله أعلم.

(٥) قوله: («لا» زائدة). عزاه القرطبي إلى أكثر المفسرين، والمعنى: أقسم بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾. وعن الفراء: «لا» أصلية»، والمعنى: ليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف، وقال: «أقسم».اهـ. على هذا تكون «لا» جملة كاملة مع ما يقدر بعدها.

(٦) قوله: (بمساقطها...). هذا التفسير مرويّ عن قتادة وغيره. وهو أحد التفاسير، وعن ابن عباس: «النجوم: نجوم نزول القرآن؛ لأنه نزل منجمًا أي: مفرقاً، قال: «مستقر الكتاب =

٧٦- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القسم بها ﴿لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾[١] أي: لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم.

٧٧- ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: المتلو عليكم ﴿لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ٧٧﴾.

٧٨- ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ مكتوب ﴿مَّكْنُونٍ ٧٨﴾ مصون، وهو المصحف[٢].

٧٩- ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ خبر بمعنى: النهي ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ أي: الذين طهروا أنفسهم من الأحداث[٣].

= أوله وآخره». اهـ. ونحو ذلك عن مجاهد، وعكرمة. وعن الحسن: «انتثار النجوم وانكدارها يوم القيامة»، واختار ابن جرير الأول، وهو الذي مشى عليه المفسر.

(١) جملة ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ اعتراضية بين الموصوف ﴿لَقَسَمٌ﴾ وصفته ﴿عَظِيمٌ﴾، وكذا جملة ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ اعتراضية بين القسم وبين جوابه وهو الآية التالية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾.

(٢) قوله: (مصون). أي: محفوظ، والمراد بالكتاب المكنون: المصحف الذي بأيدينا. وهذا القول عزاه القرطبي إلى مجاهد، وقتادة. وقال ابن عباس: «الكتاب هنا: كتاب في السماء»، وعنه أيضًا: «هو اللوح المحفوظ».

(٣) قوله: (الذين طهروا...). على هذا يكون معنى الآية نهي المحدث عن مس القرآن، عزاه القرطبي إلى قتادة وغيره. ورجحه؛ لما ثبت في كتاب النبي ﷺ لعمرو بن حزم: «**ألا يمس القرآن إلا طاهر**» [الدارقطني (١/ ١٢٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٨٨) وغيرها]، وعن ابن عباس وغيره: «﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾: الملائكة، أي: لا يمس الكتاب المكنون في السماء إلا الملائكة». اهـ. وعلى هذا يعلم حرمة مس القرآن على المحدث بالقياس؛ لأن الملائكة المطهرين إذا كانوا لا يمسون إلا وهم مطهرون فنحن أولى بالتطهير. وقال الإمام الحصني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «كفاية الأخيار شرح غاية الاختصار»: «الضمير في ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ راجع للقرآن، بقرينة قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٠﴾؛ لأن المنزل هو القرآن، وليس الكتاب الذي في السماء». اهـ. وجمهور العلماء -منهم الأئمة الأربعة- على تحريم مس المحدث للقرآن.

٨٠- ﴿تَنزِيلٌ﴾ منزل ﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾.

٨١- ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١﴾ متهاونون مكذبون.

٨٢- ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾ من المطر[1]، أي: شكره ﴿أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾ بسقيا الله حيث قلتم: مطرنا بنوء كذا.

٨٣- ﴿فَلَوۡلَآ﴾ هلا[2] ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح وقت النزع[3] ﴿ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣﴾ وهو مجرى الطعام[4].

٨٤- ﴿وَأَنتُمۡ﴾ يا حاضري الميت[5] ﴿حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤﴾ إليه.

٨٥- ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ﴾ بالعلم ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ٨٥﴾ من البصيرة، أي: لا تعلمون ذلك.

٨٦- ﴿فَلَوۡلَآ﴾ فهلا ﴿إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ٨٦﴾ مجزيين[6] بأن تُبعثوا، أي: غير مبعوثين بزعمكم.

٨٧- ﴿تَرۡجِعُونَهَآ﴾ تردون الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم ﴿إِن كُنتُمۡ

---

(١) قوله: (من المطر). ما ذكره المفسر من المعنى مرويّ عن ابن عباس وغيره. وروي عن الحسن ما معناه: «وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به».اهـ.

(٢) قوله: (هلّا) أفاد أن ﴿لَوۡلَآ﴾ تحضيضية.

(٣) وقوله: (الروح). فالضمير المستتر في الفعل ﴿بَلَغَتِ﴾ عائد إلى الروح المعلومة من المقام.

(٤) قوله: (وهو مجرى الطعام). المعروف أن الحلقوم مجرى النفس والمريء مجرى الطعام. والميم في ﴿ٱلۡحُلۡقُومَ﴾ أصلية، فوزنه: فعلول.

(٥) قوله: (يا حاضري الميت). عزا القرطبي هذا التفسير إلى ابن عباس، أي: الخطاب لحاضري الميت.

(٦) قوله: (مجزيين). أفاد أن «مدين» اسم مفعول «دانَ» بمعنى: جزى.

﴿صَٰدِقِينَ ٨٧﴾ فيما زعمتم، فـ«لَوۡلَآ» الثانية[١] تأكيد للأولى، و«إِذَا»[٢] ظرف لـ«تَرۡجِعُونَهَآ» المتعلق به الشرطان[٣]، والمعنى: هلّا ترجعونها إن نفيتم البعث صادقين في نفيه، أي: لينتفي[٤] عن محلها الموت كالبعث[٥].

٨٨- [٦] ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ الميت ﴿مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨﴾.

٨٩- ﴿فَرَوۡحٞ﴾ أي: فله استراحة[٧] ﴿وَرَيۡحَانٞ﴾ رزق حسن ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩﴾، وهل الجواب[٨] لـ«أَمَّآ»، أو لـ«إن»، أو لهما أقوال.

---

(١) قوله: (فـ﴿لَوۡلَآ﴾ الثانية). أي التي في الآية (٨٦). والأُولى أي في الآية (٨٣).

(٢) وقوله: (﴿إِذَا﴾...). أي: الواقعة بعد ﴿لَوۡلَآ﴾ الأولى.

(٣) وقوله: (الشرطان...). وهما ﴿إِذَا﴾، و﴿إِن﴾.

(٤) وقوله: (لينتفي...). اللام للتعليل متعلق بـ﴿تَرۡجِعُونَهَآ﴾، ومحلها: أي: محل الروح: الجسد.

وخلاصة المعنى: فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول، ومقرها من الجسد إن كنتم غير مدينين، أي: غير مجزيين في زعمكم. اهـ. كما يعلم من ابن كثير.

(٥) قوله: (كالبعث). الكاف تنظيرية، أي: كما ينتفي عنه البعث. وفي بعض النسخ: (فالبعث). والفاء عاطفة.

(٦) من هنا تذكر ثلاثة أنواع من الناس عند احتضارهم، جعلنا الله من الطائفة الأولى. فهذه الآيات مستأنفة لبيان تلك الطوائف، قال ابن كثير: «هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم، إما أن يكون من المقربين أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق، الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله». اهـ.

(٧) قوله: (فله استراحة). أفاد أن «روح» مبتدأ حذف خبره، لكي تكون جملة جوابية للشرط.

وقوله: (استراحة). وبمثله فسر مجاهد، قال: «روح: راحة، ريحان: رزق». وعن ابن جبير: «الروح: الفرح، والريحان: الرزق». اهـ.

(٨) قوله: (وهل الجواب...). والمراد بالجواب ﴿فَرَوۡحٞ﴾ مع التقدير المذكور، أي: (فله روح)،=

(٩٠) - ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠﴾.

(٩١) - ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ﴾ أي: له السلامة من العذاب[1] ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١﴾ من جهة أنه منهم.

(٩٢) - ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢﴾.

(٩٣) - ﴿فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣﴾.

(٩٤) - ﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤﴾.

(٩٥) - ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته.

(٩٦) - ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦﴾ تقدم.

❁❁❁

= وحاصل ما ذكره المفسر: أنه اجتمع هنا ﴿أَمَّآ﴾ و﴿إِن﴾، و﴿أَمَّآ﴾ حرف شرط وتفصيل وتوكيد، تقتضي جوابًا، و﴿إِن﴾ حرف شرط تقتضي جوابًا.

فالجواب المذكور: قيل إنه جواب ﴿أَمَّآ﴾، وحذف جواب الشرط، لتقدم ﴿أَمَّآ﴾، وهذا الرأي منسوب إلى سيبويه.

وقيل: هو جواب ﴿إِن﴾ الشرطية وحذف جواب ﴿أَمَّآ﴾، وعزي هذا الرأي إلى الفارسي.

وقيل: الجواب لهما جميعًا، وعزي إلى الأخفش الأوسط. ذكر ذلك الدكتور فخر الدين قباوة في شرحه على الجلالين. وقد فصلنا الكلام على «أمّا» في «شرح الثنائيات».

(١) قوله: (أي: له السلامة...). تفسير للمراد، قال القرطبي: «أي: لست ترى منهم إلا ما تحب من السلامة، فلا تهتم لهم، فإنهم يسلمون من عذاب الله، وقيل: إن أصحاب اليمين يدعون لك يا محمد بأن يصلي الله عليك».اهـ.

٥٧- سورة الحديد

مكية أو مدينة[(١)]، وآياتها تسع وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: نزهه كل شيء، فاللام مزيدة[(٢)] وجيء بـ«مَا» دون «مَنْ» تغليبًا للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ (١)﴾ في صنعه.

(٢) - ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ﴾ بالإنشاء ﴿وَيُمِيتُۖ﴾ بعده ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ (٢)﴾.

(٣) - ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء بلا بداية[(٣)] ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ بعد كل شيء بلا نهاية ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأدلة عليه[(٤)] ﴿وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ عن إدراك الحواس ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ (٣)﴾.

---

(١) قوله: (مكية أو مدنية). نقل الاختلاف البيضاوي. ونص الكثير على أنها مدنية؛ كابن جرير، وابن كثير وغيرهما. ويذكر الحديد في الآية (٢٥).

(٢) قوله: (فاللام مزيدة). أي: في المفعول به؛ لأن ﴿سَبَّحَ﴾ يتعدى بنفسه. وقال بعض أهل اللغة: ﴿سَبَّحَ﴾ قد يتعدى بنفسه وقد يتعدى باللام، كما في نحو: نصحت له، ونصحته، كما في «إعراب القرآن» للدرويش. وقال البيضاوي: «عدّي باللام إشعارًا بأن إيقاع الفعل لأجل الله، وخالصًا لوجهه».اهـ. يعني: أن اللام تضمنت معنى التعليل.

فائدة: ورد افتتاح بعض السور ﴿سَبَّحَ﴾ بالماضي، وبعضها ﴿يُسَبِّحُ﴾. قال المفسرون: فيه إشارة إلى استمرار التسبيح لله تعالى.

(٣) قوله: (قبل كل شيء). معنى ﴿ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ الذي ذكره المفسر موافق لما ذكره سائر المفسرين، قال ابن جرير: «لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها».

(٤) قوله: (بالأدلة عليه). معنى ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ فيه أقوال؛ قال ابن كثير: «فيه بضعة =

﴿٤﴾ - ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة[١] ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ الكرسي[٢]، استواءً يليق به[٣] ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ كالمطر والأموات ﴿وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ كالنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وَمَا يَعۡرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَا﴾ كالأعمال الصالحة والسيئة ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ بعلمه[٤] ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾﴾.

= عشر قولًا». وما قاله المفسر يوافق أحد الوجوه التي ذكرها البيضاوي، حيث قال: «الظاهر وجوده لكثرة دلائله، والباطن حقيقته ذاته، فلا تكْتنهُهَا العقول».اهـ. وأحسن ما فسرت به الآية ما ورد في «صحيح مسلم» وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم: «**اللهم رب السمٰوات ورب الأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومُنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذُ بكَ مِن شر كل ذي شر، أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخرُ فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنا الدين وأغْنِنا عن الفقر**».اهـ. [مسلم (٤/ ٢٠٨٤)].

فائدة: نقل ابن كثير عن أحمد، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، حديث: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد، وقال: «**إن فيهن آية أفضل من ألف آية**». والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾.اهـ. قال الترمذي: «حسن غريب».اهـ.

(١) قوله: (أولها الأحد...). وقد تقدم ذلك في «الأعراف» وغيرها.

(٢) وقوله: (الكرسي). تفسير مرجوح، والجمهور أن العرش غير الكرسي، كما تقدم ذلك أيضًا.

(٣) وقوله: (استواء يليق به). أثبت صفة الاستواء كما يليق به، كما هو مذهب السلف، وقد تقدم في «طه» وغيرها.

(٤) قوله: (بعلمه). يفيد أن المراد بالمعية هنا المعية العامة.

(٥) - ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٥﴾ الموجودات جميعها.

(٦) - ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ﴾ يدخله ﴿فِي ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد[١] وينقص الليل ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ﴾ فيزيد وينقص النهار ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٦﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

(٧) - ﴿ءَامِنُواْ﴾ دُوموا على الإيمان[٢] ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ﴾ في سبيل الله ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ من مالِ مَن تقدّمكم[٣]، وسيخلفكم فيه مَنْ بَعْدكم. نزل في غزوة العُسرة[٤]، وهي غزوة تبوك ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ﴾ إشارة إلى عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ﴿لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧﴾.

(٨) - ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ﴾ خطاب للكفار، أي: لا مانع لكم من الإيمان

---

(١) قوله: (فيزيد...). كما تقدم في «آل عمران» وغيرها.

(٢) قوله: (دُوموا...). لما كان الأمر بالإيمان موجهًا للمؤمنين كان معناه الأمر بالمداومة عليه.

(٣) قوله: (من مال...). أي: جعلكم مستخلفين بوراثتكم عمّن قبلكم، وهذا المعنى عزاه القرطبي إلى الحسن. وقال القرطبي: «الآية تدل على أن أصل الملك لله وأن العبد ليس له إلا التصرف الذي يرضي الله...».اهـ.

(٤) قوله: (نزل في غزوة...). لم أجد هذا القول معزوًّا. بل ظاهر ابن جرير، وابن كثير وغيرهما عموم معنى الآية. والله أعلم.
وغزوة تبوك كانت في وقت عسرٍ؛ لشدة الحر وبعد المسافة وقلة العُدة وقوة العدو. وقصتها مشهورة في كتب التاريخ. وتصدق عثمان بن عفان في تجهيزها تسعمائة بعير ومائة فرس، وأكثر من ألف دينار، حتى قال ﷺ: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**».اهـ. «الرحيق المختوم».

﴿بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أُخِذَ﴾ بضم الهمزة وكسر الخاء[١] وبفتحهما ونصب ما بعده ﴿مِيثَٰقُكُمۡ﴾ عليه، أي: أخذه الله في عالم الذر[٢] حين أشهدهم على أنفسهم: «أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ» [الأعراف: ١٧٢]، ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٨﴾ أي: مريدين الإيمان به، فبادروا إليه[٣].

٩- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ آيات القرآن ﴿لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر[٤] ﴿إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ الإيمان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ﴾ في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٩﴾.

١٠- ﴿وَمَا لَكُمۡ﴾[٥] بعد إيمانكم ﴿أَلَّا﴾ فيه إدغام نون «أن» في لام «لا» ﴿تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ بما فيهما فتَصِلُ إليه أموالكم من غير

---

(١) قوله: (بضم الهمزة...). قرأ أبو عمرو: ﴿أُخِذَ مِيثَٰقُكُمۡ﴾: بصيغة المبني للمفعول. والباقون: ﴿أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ﴾.

(٢) قوله: (أي: أخذه الله...). هذا مروي عن مجاهد، وبه فسر ابن كثير وغيره. وتقدم ذكر أخذ الميثاق في سورة الأعراف (١٧٢).

(٣) قوله: (فبادروا). قدره جوابًا للشرط: ﴿إِن كُنتُم﴾.

(٤) قوله: (الكفر). إطلاق الظلمات والنور يكون من باب الاستعارة، وتقدم في سورة البقرة وغيرها.

(٥) ﴿وَمَا لَكُمۡ﴾. ﴿مَا﴾: استفهامية مبتدأ، و﴿لَكُمۡ﴾: خبر. و﴿أَلَّا﴾ أصله: أن لا، كما قال المفسر. و«أن» مصدرية» و«لا» نافية. و﴿تُنفِقُواْ﴾ منصوب بـ«أن»، علامة نصبه حذف النون، والمصدر المؤول من «أنْ» والفعل في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، والتقدير: في أن لا تنفقوا...، وحذف الجار جائز مع «أن» و«أنّ»، ويجوز كون المصدر المؤول مجرورًا بحرف الجر المحذوف، كما هو مذهب بعض النحاة.

أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون[١] ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ لمكة[٢] ﴿وَقَـٰتَلَ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ وَكُلًّا﴾ من الفريقين، وفي قراءة[٣]: بالرفع مبتدأ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة[٤] ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ⟨١٠⟩﴾ فيجازيكم به.

⟨١١⟩- ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾[٥] بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفقه لله ﴿فَيُضَـٰعِفَهُۥ﴾ وفي قراءة[٦]: «فَيُضَعِّفَهُ» بالتشديد ﴿لَهُۥ﴾ من عشر إلى أكثر

---

(١) أي: إن كنتم أنفقتم فلكم أجر، وإلا فلا أجر لكم، وعلى كل حال الله يرث الأرض والسمٰوات.

(٢) قوله: (لمكة). أفاد أن المراد بالفتح هنا: فتح مكة. قال القرطبي: «وعليه أكثر المفسرين»، وروي ذلك عن قتادة، وغيره. وروي عن ابن عباس: «أنها فتح الحديبية»، واختاره ابن جرير.

(٣) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ بالرفع: ابن عامر. وبالنصب: الباقون. وعلى هذا يكون مبتدأ، وجملة ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ خبرًا، والرابط الضمير المحذوف، أي: وعدَهُ الله. وذلك واضح، وتكون الجملة من باب الاشتغال على هذه القراءة. و﴿كُلًّا﴾ بالنصب: مفعول أول مقدم لـ﴿وَعَدَ﴾، وليست من باب الاشتغال.

(٤) وقوله: (الجنة). فسر به مجاهد، وقتادة.

(٥) ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى﴾. إعرابه كما في آية الكرسي، ﴿مَّن ذَا﴾: اسم استفهام مبتدأ، و﴿ٱلَّذِى﴾: خبره. أو ﴿مَّن﴾ مبتدأ، و﴿ذَا﴾: اسم إشارة خبره ﴿ٱلَّذِى﴾ نعت.

(٦) قوله: (وفي قراءة:...). هنا أربع قراءات:

١- ﴿فَيُضَعِّفُهُۥ﴾: بالتشديد ورفع الفعل على أن الفاء عاطفة: قرأ به ابن كثير، وأبو جعفر.

٢- ﴿فَيُضَعِّفَهُۥ﴾: بالتشديد والنصب، بإضمار «أن» فتكون الفاء جوابية: قرأه ابن عامر، ويعقوب.

٣- ﴿فَيُضَـٰعِفَهُۥ﴾: بالألف والنصب: قرأه عاصم.

٤- ﴿فَيُضَـٰعِفُهُۥ﴾: بالألف والرفع: قرأه الباقون. ووجه الرفع والنصب كما تقدم.

من سبعمائة كما ذكر في البقرة ﴿وَلَهُۥٓ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ مقترن به رضا وإقبال[١].

﴿١٢﴾- اذكر ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾[٢] أمامهم ﴿وَ﴾ يكون ﴿بِأَيْمَٰنِهِم﴾، ويقال لهم: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ أي: دخولها ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.

﴿١٣﴾- اذكر[٣] ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا﴾ أبصرونا، وفي قراءة[٤]: بفتح الهمزة وكسر الظاء: أمهلونا ﴿نَقْتَبِسْ﴾ نأخذ القبس والإضاءة

---

(١) قوله: (مقترن به...). أي: وهو الجنة، كما فسر بها ابن جرير وغيره. وأورد ابن كثير هنا قصة أبي الدحداح الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما نزلت هذه الآية قال لرسول الله ﷺ: إني قد أقرضت ربي حائطي -وله حائط فيه ستمائة نخلة-. وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**كم من عذقٍ رداحٍ في الجنة لأبي الدحداح**». وفي لفظ: «**رُبّ نخلةٍ مُدلّاةٍ عروقها دُرّ وياقوت لأبي الدحداح في الجنة**».اهـ باختصار.

(٢) ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾. ظاهره أن المراد بالنور: الضياء. وهو مروي عن ابن مسعود، وقتادة، وبه فسر ابن كثير. وقال الضحاك: «المراد بالنور الذي بين أيديهم: الإيمان والهداية، وعن أيمانهم كتبهم». اختاره ابن جرير.

(٣) قوله: (اذكر). على هذا يكون ﴿يَوْمَ﴾ مفعولًا به للفعل المقدر. ويمكن كونه ظرفًا لـ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ المذكور في الآية السابقة، كما مشى على ذلك ابن جرير. ولا يوجد لفظ (اذكر) في بعض النسخ.

(٤) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حمزة: بفتح الهمزة من: «أَنْظَر». والباقون: بوصل الهمزة من: «نظر» الثلاثي المجرد.

روى ابن جرير عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: «بينما الناس في ظلمة -يعني في يوم القيامة- إذ بعث الله نورًا، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلًا من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا تبعوهم، فأظلم الله على المنافقين، =

﴿مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ﴾ لهم استهزاءً بهم ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ فرجعوا[(١)] ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم﴾ وبين المؤمنين ﴿بِسُورٖ﴾ قيل: هو سور الأعراف[(٢)] ﴿لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ من جهة المؤمنين ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ من جهة المنافقين ﴿مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾.

١٤- ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ﴾ على الطاعة[(٣)] ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ بالنفاق[(٤)] ﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ شككتم في دين الإسلام ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ الأطماع ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ الموت[(٥)] ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤﴾ الشيطان[(٦)].

١٥- ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ﴾ بالياء والتاء[(٧)] ﴿مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ

= فقالوا حينئذٍ: انظرونا نقتبس من نوركم فإنا كنا معكم في الدنيا، قال المؤمنون: ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هناك النور». اهـ. ومن هذا يعلم: أن فاعل القول: المؤمنون، وقيل: الملائكة. ذكرهما القرطبي.

(١) قوله: (فرجعوا). قدره ليعطف عليه: ﴿فَضُرِبَ﴾.

(٢) قوله: (قيل: هو سور الأعراف). قاله ابن زيد. وروي كذلك عن مجاهد وغيره، قال ابن كثير: «وهو الصحيح». وتقدم ذكره في سورة الأعراف التي سميت به.

(٣) قوله: (على الطاعة). كما قال ابن كثير: «نشهد معكم الجمعات، ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات...». اهـ.

(٤) قوله: (بالنفاق). كما نقله ابن جرير عن مجاهد.

(٥) قوله: (الموت). كما فسر به ابن كثير، والقرطبي وغيرهما. وعن قتادة: «إلقاؤهم في النار».

(٦) وقوله: (الشيطان). فسر به مجاهد، وقتادة، وابن زيد وغيرهم. وعن الضحاك: «الدنيا».

(٧) قوله: (بالياء...). قرأ بالتاء: ابن عامر، ويعقوب، وأبو جعفر؛ إلا أن أبا جعفر قرأ بقلب الهمزة واوًا: ﴿تُوخَذُ﴾. وقرأ الباقون: بالياء؛ لكن قرأ السوسي، وورش: بقلب الهمزة واوًا: ﴿يُوخَذُ﴾.

﴿ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ أولى بكم(١) ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ هي.

١٦- ﴿۞ أَلَمۡ يَأۡنِ﴾ يَحِنْ(٢) ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ نزلت(٣) في شأن الصحابة لما أكثروا المزاح ﴿أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ﴾ بالتشديد والتخفيف(٤) ﴿مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ القرآن ﴿وَلَا يَكُونُواْ﴾ معطوف على «تَخۡشَعَ»(٥) ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ﴾ هم اليهود والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ﴾ الزمن بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ﴾ لم تلِنْ لذكر الله(٦) ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾.

١٧- ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ﴾ خطاب للمؤمنين المذكورين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ بالنبات، فكذلك يفعل بقلوبكم بردِّها إلى الخشوع(٧) ﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الدالة على قدرتنا بهذا وغيره ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾.

---

(١) قوله: (أولى بكم). وبذلك فسر ابن جرير، وابن كثير وغيرهما.

(٢) قوله: (يَحِنْ). بفتح الياء وكسر الحاء وسكون النون، مضارع مجزوم من «حانَ، يحينُ».

(٣) قوله: (نزلت...). أشار بذلك إلى ما رواه مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إلا أربع سنين».اهـ. وقال القرطبي: «روي أن المزاح والضحك كثر في أصحاب النبي ﷺ لما ترفهوا بالمدينة، فنزلت الآية».اهـ.

(٤) قوله: (بالتشديد...). قرأ بالتخفيف: ﴿نَزَلَ﴾: نافع، وحفص. وقرأ الباقون: بالتشديد: ﴿نَزَّلَ﴾.

(٥) قوله: (معطوف على ﴿تَخۡشَعَ﴾). أي: فهو منصوب علامة نصبه حذف النون، و﴿لَا﴾ نافية لا عمل لها.

(٦) قوله: (لم تلِنْ...). مضارع «لان، يلين»، بوزن: «باع، يبيع»، مجزوم.

(٧) قوله: (فكذلك يفعل...). فيه بيان لربط هذه الآية بما قبلها. وذكر نحوه ابن كثير، حيث قال: «فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهدي الحيارَى بعد ضلتها ويفرج الكروب بعد شدتها...إلخ».اهـ.

(١٨)- ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ من التصدّق[١]، أدغمت التاء في الصاد، أي: الذين تصدقوا ﴿وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ اللاتي تصدقن، وفي قراءة: بتخفيف الصاد فيهما من التصديق والإيمان ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ راجع إلى الذكور والإناث بالتغليب، وعطف الفعل[٢] على الاسم في صلة «أل»؛ لأنه فيها حل محل الفعل، وذكر القرض[٣] بوصفه بعد التصدق تقييد له[٤] ﴿يُضَٰعَفُ﴾، وفي قراءة[٥]: «يُضَعَّفُ» بالتشديد، أي: قرضهم[٦] ﴿لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)﴾.

(١٩)- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ المبالغون في

---

(١) قوله: (من التصدق...). أي: مشتق من التصدق، بمعنى: الإنفاق، وكان أصله: المتصدقين، أدغمت التاء في الصاد، بخلاف القراءة بالتخفيف، فهو من التصديق بمعنى: الإيمان. وبالتخفيف: قرأ ابن كثير، وشعبة. وبالتشديد: قرأ الباقون.

(٢) قوله: (وعطف الفعل...). يعني: أن الجملة الفعلية ﴿وَأَقْرَضُواْ...﴾ معطوفة على ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ ففيه عطف الفعل على الاسم، وهو جائز إذا كان الاسم في تأويل الفعل وهنا كذلك؛ لأن ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ صلة «أل» الموصولة، فهي في قوة الفعل، والمعنى: الذين تصدقوا واللائي تصدقن، كما قال ابن مالك:

«واعطف على اسم شبه فعلٍ فِعْلا»

(٣) وقوله: (وذكر القرض). أي: حيث عطف ﴿وَأَقْرَضُواْ﴾ على ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ ففيه تقييد الإيمان بذلك.

(٤) وقوله: (بوصفه). أي: وصف القرض بأنه قرض حسن، وهو ما كان لوجه الله، أي: بالإخلاص. كما بينه ابن كثير. فهذا تقييد للتصدّق، فلا يقبل إلا ما كان لوجه الله.

(٥) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ بالتشديد: ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب. والباقون: ﴿يُضَٰعَفُ﴾: بالألف.اهـ.

(٦) قوله: (أي: قرضهم). توضيح للمفسَّر المستتر في الفعل الذي هو نائب الفاعل.

التصديق ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[(١)] على المكذبين من الأمم ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالة على وحدانيتنا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾ النار.

٢٠- ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ﴾ تزيين[(٢)] ﴿وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ أي: الاشتغال فيها، وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿كَمَثَلِ﴾ أي: هي[(٣)] في إعجابها لكم واضمحلالها كمثل

---

(١) ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾. اختلف أئمة التفسير في أن الواو هل هي استئنافية أم عاطفة. فروى ابن جرير، عن ابن عباس، ومسروق، والضحاك ما يفيد الاستئناف، فيكون الوقف على ﴿ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾، ثم استئنف: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾، فيكون في الآية ذكرُ صنفين هما: الصديقون والشهداء، ويدل على اختلافهما آية النساء: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٩]، كما أفاده ابن كثير.

والقول الثاني: أن ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ معطوف على ﴿ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾، فهما صنف واحد. روى عن مجاهد، والبراء بن عازب، وابن مسعود، وزيد بن أسلم. روى ابن جرير عن مجاهد قال: «كل مؤمن شهيد»، ثم قرأ هذه الآية. وعن البراء، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مؤمنو أمتي شهداء**»، قال: ثم تلا هذه الآية.اهـ. وعلى هذا المراد بالشهداء: من شهد على نفسه بالإيمان، أو من شهد على المكذبين بين الأمم. كما قاله المفسر. وليس المراد الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله فقط، بل هم وغيرهم.

(٢) قوله: (تزيين). أفاد أن الزينة هنا اسم مصدر بمعنى: التزيين، فيناسب اللعب واللهو من حيث إن كلًّا منها يكون من فعل البشر، كما يناسب لما يذكر بعده، والتفاخر أي: التكاثر.

(٣) قوله: (أي: هي) بهذا التقدير يكون الجار والمجرور ﴿كَمَثَلِ﴾ خبرًا لمبتدأ محذوف، ويصح إعرابه حالًا، أي: حال كونها مشبهة بـ﴿غَيۡثٍ﴾.

﴿غَيْثٍ﴾ مطر ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ﴾ الزراع[١] ﴿نَبَاتُهُۥ﴾ الناشئ عنه[٢] ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ فتاتًا يضمحل بالرياح ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن آثر عليها الدنيا ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ لمن لم يؤثر عليها الدنيا ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ ما التمتع فيها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿٢١﴾- ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض: السعة[٣] ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾.

﴿٢٢﴾- ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالجدب[٤] ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ كالمرض وفقد الولد ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ نخلقها[٥]،

---

(١) قوله: (الزراع). وبه فسر ابن كثير وغيره. قال القرطبي: «﴿ٱلْكُفَّارَ﴾ هنا: الزراع؛ لأنهم يغطون البذر».اهـ.

(٢) قوله: (الناشئ عنه). أفاد أن إضافة النبات إلى الضمير العائد إلى الغيث من باب إضافة المسبب إلى السبب؛ لأن الغيث سبب للنبات، والله أعلم.

(٣) قوله: (والعرض: السعة). تقدم ذكر ذلك في تفسير «آل عمران» الآية (١٣٣).

(٤) قوله: (بالجدب). أي: القحط. هذا التفسير مروي عن مقاتل، ولعل ذلك على وجه المثال، وإلا فالآية عامة.

(٥) قوله: (نخلقها). الضمير في ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾ عائد إلى النفوس أو المصائب أو الجميع. أفاده القرطبي. وروى عن ابن عباس: «من قبل أن نخلق المصيبة»، أي: هو عائد إلى المصيبة. نقل القرطبي بلا عزو: «إن هذه الآية متصلة بما قبلها، وذلك أن الله تعالى هوّن عليهم ما يصيبهم في الجهاد من قتل وجرح وبيّن أن تخلّفهم عن الجهاد للمحافظة على ذلك لا يجدي؛ لأن كل ذلك مقدر».اهـ. ملخصًا.

ويقال في النعمة كذلك[١] ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿٢٣﴾- ﴿لِّكَيْلَا﴾ كي: ناصبة[٢] للفعل بمعنى: أن أي أخبر تعالى بذلك[٣] لئلا ﴿تَأْسَوْاْ﴾ تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ﴾ فرح بطر، بل فرح شكر على النعمة ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ بالمد: أعطاكم[٤]، وبالقصر: جاءكم منه ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر بما أوتي ﴿فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ به على الناس.

﴿٢٤﴾- ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ به، لهم وعيد شديد[٥] ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾ ضمير فصل[٦]، وفي

---

(١) وقوله: (ويقال في النعمة...). أي: ففي الآية ما يسمى بالاكتفاء، وهو ذكر شيء وحذف نظيره الموافق له في الحكم، كما في قوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، أي: والبرد.اهـ. والله أعلم.

(٢) قوله: (ناصبة). ومعلوم في علم النحو أن «كي» تأتي على وجهين: ناصبة للمضارع، وجارة. فالناصبة إذا دخلت عليها لام الجر، إما مذكورة أو مقدرة، وإلا كانت «كي» حرف جر.

(٣) وقوله: (أي: أخبر تعالى بذلك). أفاد به أن ﴿لِّكَيْلَا﴾ تعليل لفعل محذوف معلوم من السياق.

(٤) قوله: (بالمدّ...). قرأ أبو عمرو: ﴿أَتَىٰكُمْ﴾: بالقصر. والباقون: ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾. ومعناهما كما قال المفسر.

(٥) قوله: (لهم وعد شديد). قدره ليكون خبرًا عن الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾، فهو مبتدأ، هذا أحد الأوجه، ويجوز كون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعتًا لـ﴿مُخْتَالٍ﴾، أو خبرًا لمبتدأ محذوف، أي: هم الذين، أو في محل نصب على تقدير فعل الذم، ذكرها المعربون.

(٦) قوله: (ضمير فصل). أي: ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل، وهو اسم، وليس له محل من الإعراب =

قراءة(١): بسقوطه ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾ عن غيره ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ لأوليائه.

﴿٢٥﴾ - ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ الملائكة إلى الأنبياء(٢) ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج القواطع ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى: الكتب(٣) ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ العدل(٤) ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ أخرجناه من المعادن(٥) ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقاتل به ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ علم مشاهدة، معطوف على «لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ»، ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ بأن ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره ﴿وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ﴾ حال(٦)

= على المشهور. يفيد توكيد النسبة وحصر الخبر على المبتدأ وفصل ما بعده للخبرية عن احتمال كونه نعتًا، وقد فصلنا ذلك في كتاب «الاستثناء» وغيره. وتقدم في آل عمران وغيرها.

(١) قوله: (وفي قراءة:...). وهي لنافع، وابن عامر، وأبي جعفر. وقرأ الباقون: بإثبات ﴿هُوَ﴾.

(٢) قوله: (الملائكة). هذا التفسير ذكره البيضاوي، وظاهر ابن جرير وغيره: أن المراد بالرسل هم الأنبياء المرسلون من البشر. وذكره البيضاوي وجهًا.

(٣) قوله: (بمعنى: الكتب). أي: فـ«أل» تكون جنسية.

(٤) وقوله: (العدل). فسر به ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾، وورد ذلك عن قتادة، ومجاهد وغيرهما، كما قال ابن كثير. وعن ابن زيد: «هو ما يوزن به»، فيكون المعنى: وأنزلنا الحديد ووضعنا الميزان، بتقدير فعل كما ذكره القرطبي عن القشيري.

(٥) قوله: (أخرجناه). وبنحوه فسر ابن كثير، قال: «أي: وجعلنا الحديد رادعًا لمن أبى الحق».اهـ. ولكن روى ابن جرير عن ابن عباس: «ثلاثة أشياء نزلت مع آدم: السندان والكلبتان والميقعة».اهـ. السندان: حديدة تثبت في الأرض ليضرب عليها عند الحدادين. والكلبتان: آلة تكون مع الحدادين، والميقعة: المطرقة.اهـ. وعلى هذا يكون الإنزال بمعناه المعروف. والله أعلم.

(٦) قوله: (حال). أي: أن الجار والمجرور ﴿بِٱلْغَيْبِ ۚ﴾ حال من الهاء.

من هاء «يَنصُرُهُۥ»، أي: غائبًا عنهم في الدنيا، قال ابن عباس(١): «ينصرونه ولا يبصرونه» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ لا حاجة له إلى النصرة، لكنها تنفع من يأتي بها(٢).

﴿٢٦﴾- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: الكتب الأربعة: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان؛ فإنها في ذرية إبراهيم ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿٢٧﴾- ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾(٣) هي رفض النساء(٤) واتخاذ

---

(١) وقوله: (قال ابن عباس:...). نقله القرطبي عنه بسياق أطول.

(٢) قوله: (لكنها). أي: لكن النصرة تنفع عبادَه الذين يأتون بها، أي: ينصرون دينه.

(٣) ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾. الرأفة: اللين، والرحمة: الشفقة. وقيل: الرأفة تخفيف الكَلّ، والرحمة: تحمل الثقل. وقيل: الرأفة: أشد الرحمة. ذكره القرطبي.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾: منسوب إلى الرَّهبان وهو المبالغ في الخوف من الرهب. وهي هنا إما منصوبة بفعل مضمر، أي: ابتدعوا رهبانية، فيكون من باب الاشتغال، والجملة معطوفة على ما قبلها، وإما منصوبة بالعطف على ما قبلها، وعلى هذا يكون المعنى: أن الله أعطاهم إياها ولكن غيروا وابتدعوا فيها. ذكر ذلك القرطبي.

(٤) وقول المفسر: (هي رفض النساء). هذا مروي عن قتادة، وروى ابن جرير وغيره عن ابن عباس ما حاصله: «أن بعض ملوك بني إسرائيل بدّلوا كتابهم ودعوا الناس إلى ذلك، وكان فيهم مؤمنون، فرفضوا ذلك واعتزلوا، ثم خلفهم من بعدهم فلم يراعوا تلك الرهبانية».اهـ. وروى ابن جرير، وكذا الحاكم والبيهقي وغيرهم عن ابن مسعود حديثًا طويلًا ملخّصه أنه اختلف مَن قبلنا على إحدى وسبعين فرقةً، نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم، الأولى: من قاتلوا ملوكم في دين الله وقُتِلُوا، والثانية: من لم يستطيعوا القتال ولكن دعوا الناس إلى الدين، حتى قتلوا، والثالثة: لم يستطيعوا شيئًا من ذلك فاعتزلوا ولحقوا بالبراري وترهبوا، ففيهم هذه الآية: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾، ويعلم من الروايات أمران:=

الصوامع ﴿ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ من قِبَلِ أنفسهم ﴿مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ ما أمرناهم بها ﴿إِلَّا﴾ لكن[١] فعلوها ﴿ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ﴾ مرضاة[٢] ﴿ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ إذ تركها كثير منهم وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين مَلِكهم، وبقي على دين عيسى كثير منهم فآمنوا بنبينا ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ به[٣] ﴿مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧﴾.

٢٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بعيسى[٤] ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ وعيسى ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ﴾ نصيبين[٥] ﴿مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ لإيمانكم بالنبيين ﴿وَيَجۡعَل

= الأول: أن الذي اتخذوا الرهبانية طائفة، أرادوا بها الخير ورضا الله، ولكن لم يؤمروا بها. الثاني: أن الذمّ منصبّ على من أتى بعدهم وأضاعوا تلك الرهبانية وما رعوها. مع أن ابتداع شيء لم يؤمروا به مذموم في الجملة. كما يعلم من ابن كثير والقرطبي، والله أعلم.

(١) وقول المفسر: (لكن). يفيد أن الاستثناء منقطع.

(٢) وقوله: (مرضاة). أفاد أن الرضوان هنا مصدر. وعلى ما سبق من الروايات يكون الواو -الضمير- عائدًا للمتأخرين، والله أعلم.

وقول المفسر: (لكن فعلوها). على هذا التقدير يكون ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾ مفعولًا لأجله. وقدر البيضاوي وغيره الفعل: (ابتدعوها). ومآل التقديرين واحد، ونقل البيضاوي وغيره: أن الاستثناء متصل، قال القرطبي نقلًا عن الزجاج: «معناه: لم نكتب عليهم شيئًا إلا ابتغاء رضوان الله...».

(٣) وقوله: (به). أي: بنبينا ﷺ، وهذا أحد الوجهين. والثاني: الذين آمنوا من الأولين ورعوا ما ابتدعوها، كما يعلم من القرطبي.

(٤) قوله: (بعيسى). أفاد أن الخطاب لأهل الكتاب، كما يدل عليه سياق الآية، وروي ذلك عن ابن عباس وغيره.

(٥) قوله: (نصيبين). كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [القصص: ٥٤]، وثبت في «صحيح البخاري» عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين**: =

لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ على الصراط[(١)] ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿٢٩﴾- ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ أي: أعلمكم بذلك ليعلم[(٢)] ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراة الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والمعنى: أنهم ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِۙ﴾ خلاف ما في زعمهم أنهم أحباء الله وأهل رضوانه ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ يعطيه ﴿مَن يَشَآءُۚ﴾ فآتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين كما تقدم ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

❁❁❁

= **رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران، ورجل أدّب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجتها فله أجران»**. الحديث متفق عليه. وأورده ابن جرير، وابن كثير وغيرهما.

(١) قوله: (على الصراط). على هذا يكون المراد بالنور: الضياء. ونقله القرطبي بدون عزو. وروى ابن جرير عن ابن عباس: «النور: الفرقان، أي: القرآن». وعن مجاهد: «هدى»، فيكون المراد بالمشي: المشي على الهداية في الدنيا.

(٢) قوله: (ليعلم). أفاد أن ﴿لَّا﴾ هنا مزيدة، وتزاد «لا» في النفي، كما في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، وكذا فسر البيضاوي، والقرطبي وغيرهما. ونقل عن قتادة، قال: «حسد أهل الكتاب المسلمين فنزلت: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ...﴾، أي: لأن يعلم أهل الكتاب...».اهـ. وعن مجاهد، قال: «قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا، فنزلت: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ...﴾، أي: ليعلم أهل الكتاب».اهـ. وبهذا يعلم أن المراد بأهل الكتاب هنا: اليهود الذين لم يؤمنوا بنبينا محمد ﷺ، وكما أفاده المفسر، كما أفاد أن ﴿لَّا﴾ زائدة مؤكدة، والله أعلم.

الجزء (٢٨)

٥٨- سورة المجادلة

مدنية[(١)]، وآياتها: اثنتان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ تراجعك أيها النبي ﴿فِى زَوْجِهَا﴾ المظاهر منها[(٢)]، وكان قال لها: أنتِ عليّ كظهر أمي، وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك؛ فأجابها[(٣)] بأنها حرمت عليه على ما هو المعهود عندهم من أن الظهار مُوجَبُه[(٤)] فرقة مؤبّدة، وهي[(٥)]: خولة بنت ثعلبة، وهو: أوس بن الصامت ﴿وَتَشْتَكِىٓ إِلَى

---

(١) قوله: (مدنية). أي: كلها، إلا رواية عن عطاء، أن العشر الأول منها مدنية، والباقي مكية. وقال الكلبي: «كلها مدنية إلى قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ...﴾ الآية؛ فمكية». أفاده القرطبي.

(٢) قوله: (المظاهر...). اسم فاعل من: ظاهر، يظاهر، ظِهارًا، والظهار مأخوذ من الظهر. وهو أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليَّ كظهر أمِّي، أو نحو ذلك، مما فصله الفقهاء، وكان ذلك طلاقًا في الجاهلية إلى وقوع هذه الواقعة؛ فأنزل الله في ذلك الحكم الذي ذكر في هذه الآيات. وقد ذكر المفسر ملخص هذه القصة، وهي ثبتت من عدة طرق، حتى قال ابن جرير: «وبذلك قال أهل التأويل، وتظاهرت به الرواية».اهـ. ثم أورد عدة روايات، وفيها روى عن ابن عباس: «أن ذلك كان أول ظهار في الإسلام».اهـ.

وحكم الظهار أنه حرام، وقال العلماء: من الكبائر.

(٣) قوله: (فأجابها). أي: أجابها النبي ﷺ؛ لأنه ما كان في ذلك وحيٌ منزّل، حتى قالت المرأة: أشكو إلى الله فاقتي.

(٤) قوله: (موجَبه). بفتح الجيم، أي: مقتضاه.

(٥) قوله: (وهي...). أي: المرأة التي تجادل... اختلف في اسمها، وما ذكره المفسر هو أشهر. فقيل: خُويلة بنت خويلد، وقيل: خويلة بنت ثعلبة. وقيل غير ذلك. =

﴿ٱللَّهِ﴾ وَحْدَتها وفاقتها وصبيةً صغارًا إن ضمتهم إليه ضاعوا، أو إليها جاعوا ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ تراجعكما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾ عالم.

٢- ﴿ٱلَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ﴾ أصله[١]: يتظهرون، أدغمت التاء في الظاء، وفي قراءة: «يَظَّـٰهَرُونَ» بألف بين الظاء والهاء الخفيفة، وفي أخرى: كـ«يُقَـٰتِلُونَ»، والموضع الثاني كذلك ﴿مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم[٢] مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمۡۖ[٣] إِنۡ أُمَّهَـٰتُهُمۡ إِلَّا

= وأما اسم زوجها فهو أوس بن الصامت، وهو أخو عبادة بن الصامت. قاله القرطبي. وكانت ابنة عمه. وكان لخولة مكانةٌ عظيمة واحترام، وقد استمع لكلامها ونصحها سيدنا عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ واقفًا وقتًا طويلًا، فلما قيل له: يا أمير المؤمنين أتقِف لهذه العجوز؟ قال: أتدرون من هذه العجوز، هي خولة بنت ثعلبة، سمع الله قولها من فوق سبع سمٰوات، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعها عمر؟!.اهـ. ملخصًا من القرطبي.

(١) قوله: (أصله...). وقع في الكلمة ثلاث قراءات:

١- ﴿يَظَّهَّرُونَ﴾: بتشديد الظاء والهاء، وعليها جرى المفسر: وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب.

٢- ﴿يَظَّـٰهَرُونَ﴾: بتشديد الظاء وتخفيف الهاء مع ألف بينهما، أصله: يتظاهرون: قرأها الجمهور.

٣- ﴿يُظَـٰهِرُونَ﴾: على وزن: يقاتلون: قرأها عاصم، والمعنى واحد. وكذلك في الآية التالية.

(٢) ﴿مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾. «من» الأولى تبعيضية أو ابتدائية، والثانية للتعدية، كلتاهما متعلقة بـ﴿يُظَـٰهِرُونَ﴾، وحرفا جر إذا كانا بمعنى واحدٍ لا يتعلقان بشيء واحد إلا إذا كانت الثانية بدلًا أو عاطفة، وقد سبق ذكر هذه المسألة. وهٰهنا بمعنيين.

(٣) ﴿أُمَّهَـٰتِهِمۡۖ﴾ بكسر التاء، منصوب على أنه خبر ﴿مَّا﴾ النافية، وهي تعمل عمل «ليس» عند الحجازيين، ومن شواهد إعمالها هذا الموضع، ولإعمالها أربعة شروط، وهن إجمالًا: تقدم الاسم، وألا يدخل في الخبر «إلا»، وألا يفصل بينها وبين اسمها بمعمول الخبر -غير الظرف والجار والمجرور-، وألا تدخل «إن» بعدها. والتفصيل في كتب النحو.

﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾ بهمزة وياء، وبلا ياء[١] ﴿وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ﴾ بالظهار ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ﴾ كذبًا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾ للمظاهر بالكفارة.

٣- ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ أي: فيه[٢]، بأن يخالفوه بإمساك المظاهر منها[٣] الذي[٤] هو خلاف مقصود الظهار من وصف[٥] المرأة بالتحريم ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: إعتاقها عليه ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ بالوطء ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾.

٤-[٦] ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ

---

(١) قوله: (بهمزة...). كما تقدم في أول الأحزاب.

فائدة: استنبط بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ﴾ أن الأم هي التي ولدت، ولو كانت البويضة من غيرها، وذلك محل نزاع وبحثٍ وتفصيل. والله أعلم.

كما دل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ ...﴾ أن الظهار حرام، بل من الكبيرة.

(٢) قوله: (أي: فيه). وفيما ذكره المفسر بيان لمعنى العود الذي هو شرط الكفارة، وما ذكره هو قول الشافعي، فمعنى العود أن يمسكها زوجةً بعد الظهار؛ لأن العود في الكلام معناه نقضه ومخالفته، فلما ظاهر منها حرّمها، فلو استباحها بإمساكها زوجةً فقد ناقض في كلامه.

وعلى هذا لا تسقط الكفارة عن المظاهر إلا بأحد أمرين: إما أن يطلقها عقب الظهار أو يموت أحدهما. كما فصله الفقهاء. ويطلب التفصيل من كتب الفقه. فقول المفسر: (بأن يخالفوه). تصوير للعود.

وقوله: (بإمساك). تصوير للمخالفة.

(٣) وقوله: (المظاهر منها). بفتح الهاء، أي: المرأة التي ظاهر منها زوجها.

(٤) وقوله: (الذي). نعت لـ(إمساك).

(٥) وقوله: (من وصف). بيان لمقصود الظهار.

(٦) استدل العلماء بهذه الآية على أن كفارة الظهار مرتبة، فلا يجزئ الصيام إلا عند العجز =

يَسْتَطِعْ﴾ أي: الصيام ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ عليه(١)، أي: من قبل أن يتماسا حملًا للمطلق على المقيد(٢)، لكل مسكين مُدّ من غالب قوت البلد ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التخفيف في الكفارة ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ﴾ أي: الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ مؤلم.

= عن تحرير الرقبة، ولا يجزئ الإطعام إلا عند العجز عن الصيام. والتفاصيل في ذلك مذكورة في كتب الفقه.

(١) قوله: (عليه). أي: واجب عليه، قدره المفسر لإفادة أنه خبر لإطعام، والجملة في محل جزم جواب ﴿مَن﴾.

(٢) قوله: (حملًا للمطلق...). هذه مسألة أصولية، وفي ذلك تفصيل، وخلاصته: إذا جاء في النص لفظ مطلقًا، وجاء مقيدًا في نص آخر، فينظر:

١- إذا كان سبَبُهما وحكمها واحدًا حمل المطلق على المقيد بمعنى أن ذلك المطلق يقيَّد بذلك المقَيد، مثاله: ذكر تحريم الدم مطلقًا، وذكره مقيدًا بالمسفوح في موضع آخر، فيراد بالمطلق: المسفوح.

٢- إذا كان السبب متحدًا والحكم مختلفًا فيحمل كذلك إن كان بينهما جامع، أي: بقياس المطلق على المقيد كما هنا، فذكر التحرير والصيام بقيد عدم المس، وذكر الإطعام بدون قيد، وهما حكمان مختلفان وسببهما واحد، فيقيد الإطعام بذلك القيد، لجامع بينهما، وذلك كون كل منهما كفارة.

٣- وإذا اتحد الحكم واختلف السبب فكذلك يحمل المطلق على المقيد إن كان بينهما جامع، نحو: الرقبة مقيد في كفارة القتل، ومطلق في كفارة الظهار، وحكمهما واحد، وهو العتق والسبب مختلف. فتقيد الرقبة هنا بالإيمان، والجامع بين القتل والظهار: ان كلًّا منهما كبيرة له كفارة واجبة.

وراجع للتفصيل كتب أصول الفقه، ولخصنا ذلك في «القلائد الجلية».

(٥) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾ يخالفون ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ﴾ أذلّوا[١] ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ في مخالفتهم رسلهم ﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖۚ﴾ دالة على صدق الرسول ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ بالآيات ﴿عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥﴾ ذو إهانة.

(٦) - ﴿يَوۡمَ[٢] يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٦﴾.

(٧) - ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تعلم[٣] ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾[٤] بعلمه[٥] ﴿وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ

---

(١) قوله: (أذلّوا). يوافق ما قاله قتادة: «خُزُوا كما خزي الذين من قبلهم»، وقال ابن زيد: «عذبوا».اهـ. والمراد: المشركون. وقيل: المنافقون، وهذه بشارة من الله للمؤمنين بالنصر، قال ذلك القرطبي. ﴿كَمَا كُبِتَ﴾ نعت لمصدر محذوف مفعول مطلق.

(٢) ﴿يَوۡمَ﴾. إما ظرف لـ﴿عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾، أو مفعول به لـ(اذكر) مقدرًا.

(٣) قوله: (تعلم). أشار به إلى أن الرؤية هنا علمية، تتعدى إلى المفعولين، وجملة ﴿أَنَّ...﴾ سدت مسدهما. وفسر ابن جرير بقوله: «ألم تنظر يا محمد بعين قلبك فترى...».اهـ.
وفيه إشارة إلى أن الرؤية علمية، وهذا بخلاف ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ في الآية التالية؛ فهي بصرية تضمنت معنى: تنظر، ولذا تعدت بـ﴿إِلَى﴾، كما أشار إلى ذلك المفسر.

(٤) ﴿نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾. بإضافة ﴿نَّجۡوَىٰ﴾ إلى ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾، و﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ هنا أضيف اسم الفاعل المأخوذ من العدد إلى ما دونه، فرابع مضاف إلى «هم» العائد إلى الثلاثة، وهذا التركيب يفيد معنى الجعل، فلو قلنا: زيد رابع ثلاثة؛ فمعناه: أنه جعلهم أربعة بانضمامه إليهم، ويجوز في هذه الصورة القطع عن الإضافة، فيكون ما بعد اسم الفاعل منصوبًا على المفعولية، نحو: زيد رابعٌ ثلاثةً، وقد فصلنا أحكام العدد في رسالتنا الموسومة «إحكام العُدد في أحكام العَدَد». وتقدم شيء منها في سورة المائدة (٧٢).

(٥) وقول المفسر: (بعلمه). أفاد أن المعية المعلومة من ﴿رَابِعُهُمۡ﴾ هي المعية العامة، وليس المراد المعية بالذات.

﴿وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ⑦﴾.

⑧- ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ هم اليهود[1]، نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون من تناجيهم، أي: تحدثهم سِرًّا ناظرين إلى المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم الريبة ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ﴾ أيها النبي ﴿بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ وهو قولهم[2]: السام عليك، أي: الموت ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا﴾ هلَّا ﴿يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ من التحية، وأنه ليس بنبي[3]، إن كان نبيًّا[4] ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ يدخلونها ﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ⑧﴾ هي.

⑨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ⑨﴾.

---

(١) قوله: (هم اليهود). روي ذلك عن مجاهد. وقال القرطبي: «قال ابن عباس: نزلت في اليهود والمنافقين، كانوا يتناجون فيما بينهم، وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فيقول المؤمنون: لعله أصاب في الصحابة أمر مخوف، ويسوؤهم ذلك فكثرت شكواهم إلى النبي ﷺ، فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا؛ فنزلت».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (وهو قولهم). قال القرطبي: «لا خلاف بين النقلة أن المراد بها اليهود، كانوا يأتون النبي ﷺ فيقولون: السام عليك...».اهـ.

فائدة: في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ أن القول والكلام يطلق على ما في النفس؛ لكن هذا إطلاق مجازي يحتاج إلى القرينة، وإذا تجردت عنها أريد به اللفظ. وقيل: حقيقة فيهما بالاشتراك اللفظي. وقيل: يقولون في أنفسهم، أي: فيما بينهم باللسان.

(٣) قوله: (وأنه). معطوف على التحية، والمعنى: لولا يعذبنا الله بتلك التحية وبإنكارهم نبوته.

(٤) وقوله: (إن كان نبيًّا). جواب هذا الشرط دل عليه: ﴿لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا...﴾، أي: إن كان نبيًّا فلم يُمْهِل عقوبتنا.

وهذا القول منهم جهل بحلم الله تعالى واستدراجه، كما أشار إليه القرطبي.

(١٠) - ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ بالإثم ونحوه[١] ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بغروره ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ﴾ هو[٢] ﴿بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: إرادته ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١٠)﴾.

(١١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ﴾ توسعوا ﴿فِى ٱلْمَجْلِسِ﴾ مجلس النبي ﷺ أو الذكر[٣] حتى يجلس من جاءكم. وفي قراءة[٤]: «ٱلْمَجَٰلِسِ»،

---

(١) قوله: (بالإثم ونحوه). قال ابن كثير: «أي: إنما النجوى: وهي المُسارَّة حيث يتوهم مؤمن بها سوءًا».اهـ.

وهذا أعمّ مما قاله المفسر؛ لأنه يشمل المناجاة بغير إثم إذا أوهم سوءًا للمؤمن، ويؤيده ما رواه ابن جرير، عن ابن زيد حاصله: أنه كان الرجل يأتي عند النبي ﷺ ويسأل حاجته، فيخاف بعض المؤمنين أنه يتحدث عن قدوم العدو ونحو ذلك، فنزلت هذه الآية.اهـ. ملخصًا.

وما قاله المفسر موافق لما قال قتادة: «كان المنافقون يتناجون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين، ويكبر عليهم؛ فأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ...﴾ الآية».

(٢) قوله: (هو). أي: التناجي، كما ذكره ابن جرير، والقرطبي وغيرهما.

(٣) قوله: (مجلس النبي ﷺ). روى ابن جرير هذا عن قتادة، والضحاك، وابن زيد وغيرهم. قال قتادة: «كان الناس يتنافسون في مجلس النبي ﷺ فقيل لهم: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ ...﴾ الآية».

وعن ابن عباس: «المراد مجلس القتال، أي: صفوف القتال؛ لأنهم كانوا يتشاحون في الصف الأول لينالوا القتال والشهادة».اهـ.

وقال القرطبي: «الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير».اهـ. وبنحوه قال ابن جرير.

وفي قول المفسر: (أو الذكر) إشارة إلى ذلك.

(٤) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ عاصم: بالجمع: ﴿ٱلْمَجَٰلِسِ﴾. والباقون: بالإفراد: ﴿ٱلْمَجْلِسِ﴾.

﴿فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ في الجنة[(١)] ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾ قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات[(٢)] ﴿فَٱنشُزُواْ﴾ وفي قراءة[(٣)]: بضم الشين فيهما ﴿يَرۡفَعِ[(٤)] ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ بالطاعة في ذلك ﴿وَ﴾ يرفع ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ في الجنة[(٥)] ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾.

١٢-[(٦)] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ أردتم مناجاته ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ

---

(١) قوله: (في الجنة). قال ابن كثير: «لأن الجزاء من جنس العمل»، وفسر ابن جرير كما قال المفسر، وقيل: يفسح الله لكم في القبور، وقيل: في القلوب. وقيل: في الدنيا والآخرة، كما ذكرها القرطبي بدون عزو.

(٢) قوله: (إلى الصلاة). عن ابن عباس: «إلى الخير والصلاة»، وعن مجاهد: «إلى كل خير».اهـ.

(٣) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ بالضم: نافع، وابن عامر، وشعبة، وحفص، وأبو جعفر. وبالكسر: الباقون.

(٤) ﴿يَرۡفَعِ﴾ بالجزم، جواب الأمر، والكسر: لالتقاء الساكنين.

(٥) قوله: (في الجنة). كما ذكره القرطبي. قال ابن مسعود: «مدح الله العلماء في هذه الآية».اهـ.

(٦) نقل ابن كثير وغيره عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية: «أن المسلمين أكثروا السؤال على النبي ﷺ حتى شق عليه، فأراد الله أن يخفف على نبيّه».اهـ. أي: أوجب على من يريد المناجاة أن يتصدق على ذوي الحاجة بشيء قبل المناجاة، ثم نسخ ذلك الحكم، روى ابن جرير عن مجاهد: «نهوا عن مناجاة النبي ﷺ حتى يتصدقوا، فلم يناجه إلّا علي بن أبي طالب قدّم دينارًا فتصدق به ثم أنزلت الرخصة في ذلك»، وفي رواية مجاهد: «عن علي، قال: كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا جئت إلى النبي ﷺ تصدقت بدرهم، فلم يعمل بها أحد قبلي».اهـ.

وعن قتادة: «إنها -الآية- منسوخة ماكانت إلا ساعة من النهار».اهـ. وفي رواية عن ابن عباس: «فلما نزلت الزكاة نسخت»، رواه ابن جرير. ولكن جمهور المفسرين أن الناسخة هي الآية التالية، ولعل المراد: فرضية الزكاة استغني بها عن هذه الصدقة. =

نَجۡوَىٰكُمۡ﴾ قبلها ﴿صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾ لذنوبكم ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ ما تتصدقون به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لمناجاتكم ﴿رَّحِيمٌ ١٢﴾ بكم، يعني: فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة، ثم نسخ ذلك بقوله:

١٣- ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ بتحقيق الهمزتين[1] وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه، أي: أخفتم من[2] ﴿أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾ الفقرَ ﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ الصدقة ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ رجع بكم عنها ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

= **فوائد:**

١- ذكر الأصوليون هذه الآية مثالًا للنسخ إلى غير بَدَلٍ، بمعنى: أنه يجوز أن ينسخ حكم بدون ذكر حكمٍ بديلٍ عن الحكم المنسوخ، فيطلب حكمه من الأدلة الأخرى، فهنا نسخ وجوب الصدقة، ولم يذكر حكمًا بدلًا، فيبقى الاستحباب، وفي هذه المسألة - أي: جواز النسخ بدون بدل- خلاف بين الأصوليين. الجمهور على جوازه ووقوعه.

٢- نقل القرطبي عن ابن العربي ما حاصله: «أن في هذه الآية ما يدل على أن الأحكام لا يلزم كونها مترتبة على المصالح؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾ ثم نسخه، ففي ذلك رد على المعتزلة القائلين بالمصالح، أي: التزام المصالح وكونه موجبة للحكم».

٣- ونقل أيضًا عن ابن العربي: «أن هذه الآية فيها نسخ العبادة قبل فعلها»، ولكن انتقد القرطبي عليه، بأن هذه الآية وقع العمل بها، فلم تنسخ إلا بعد العمل، وأورد حديث عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من تصدُّقِه بالدينار.

٤- ونقل عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لقد كان لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثلاثة لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمْر النعم، تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى».اهـ.

(١) قوله: (بتحقيق الهمزتين...). كما تقدم في ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ في أول سورة البقرة.

(٢) قوله: (أخفتم من). أشار المفسر إلى تقدير حرف الجرّ.

وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: دُوموا على ذلك ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿١٤﴾- ﴿۞ أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر[1] ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾ هم المنافقون[2] ﴿قَوْمًا﴾ هم اليهود ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم﴾ أي: المنافقون[3] ﴿مِّنكُمْ﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ من اليهود بل هم مذبذبون ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ أي: قولهم إنهم مؤمنون ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ أنهم كاذبون فيه.

﴿١٥﴾- ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ من المعاصي.

﴿١٦﴾- ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ سترًا على أنفسهم وأموالهم ﴿فَصَدُّوا۟﴾ بها المؤمنين ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الجهاد فيهم[4] بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾ ذو إهانة.

﴿١٧﴾- ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيْـًٔا ۚ﴾ من الإغناء[5] ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾.

---

(١) قوله: (تنظر). كما تقدم في الآية (٨).

(٢) قوله: (هم المنافقون). روى ابن جرير ذلك عن قتادة وغيره.

(٣) وقوله: (أي: المنافقون). أفاد أن الضمير ﴿هُم﴾ عائد إلى ﴿ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾، والضمير في ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ عائد إلى ﴿قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾.

(٤) قوله: (أي: الجهاد فيهم). هذا المعنى فسر به ابن جرير، حيث قال: «فصدوا بأيمانهم التي اتخذوها جنة المؤمنين عن سبيل الله فيهم، وذلك أنهم كفرة، وحكم الله وسبيله في أهل الكفر به من أهل الكتاب القتل أو أخذ الجزية، وفي عبدة الأوثان القتل، فالمنافقون يصدون المؤمنين عن سبيل الله فيهم بأيمانهم...».اهـ.

الخلاصة: جعلوا أيمانهم جنة عن قتلهم. وفسر أيضًا: عن سبيل الله، أي: عن الإسلام، أو عن الجهاد بتثبيط المسلمين، كما في القرطبي.

(٥) قوله: (من الإغناء). على هذا يكون ﴿شَيْـًٔا﴾ مفعولًا مطلقًا.

﴿١٨﴾ - اذكر ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ أنهم مؤمنون ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من نفعٍ[1] حلفِهِمْ في الآخرة كالدنيا ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿١٩﴾ - ﴿ٱسْتَحْوَذَ﴾ استولى ﴿عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ بطاعتهم له ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ أتباعه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿٢٠﴾ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾ يخالفون ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ المغلوبين.

﴿٢١﴾ - ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ، أو قضى[2] ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾[3] بالحجة أو السيف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾.

﴿٢٢﴾ - ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ﴾[4] يصادقون ﴿مَنْ

---

(١) قوله: (من نفعٍ). أي: ظنوا أن حلفهم ينفعهم في الآخرة، وهذا المعنى نقله القرطبي عن ابن زيد. وقال ابن جرير: «ويظنون أنهم في أيمانهم وحلفهم بالله كاذبين على شيء من الحق».اهـ. فهذا تفسير آخر.

وقول المفسر: (حلف). مضاف لما بعده. ومضاف إليه ما قبله.

(٢) قوله: (أو قضى). فسر ابن جرير بهما، فقال: «قضى الله وخط في أم الكتاب»، والتفسير بأنه كتب في اللوح المحفوظ. عزاه القرطبي إلى قتادة.

(٣) ﴿لَأَغْلِبَنَّ﴾ نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٢].

(٤) ﴿لَّا تَجِدُ...﴾. تتعدى للمفعولين. الأول: ﴿قَوْمًا﴾، والثاني جملة ﴿يُوَآدُّونَ﴾. وجملة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ نعت، وقيل: ﴿لَّا تَجِدُ﴾ بمعنى: لا تُصادِفُ. وعلى هذا يكون له مفعول واحد، وهو ﴿قَوْمًا﴾. وتكون جملة ﴿يُوَآدُّونَ﴾ حالًا، كما ذكره الدرويش في كتابه «إعراب القرآن».

وهذه الآية اختلف في سبب نزولها، فعن السدّي: «نزلت في عبدالله بن عبدالله بن أبي، استأذن في قتل أبيه عبدالله بن أبي رأس المنافقين، فقال النبي ﷺ: «**بل ترفق به وتحسن إليه**».=

حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ﴾ أي: المحادون ﴿ءَابَآءَهُمۡ﴾ أي: المؤمنين ﴿أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ بل يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الإيمان، كما وقع لجماعة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين لا يوادونهم ﴿كَتَبَ﴾ أثبت[1] ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ﴾ بنور[2] ﴿مِّنۡهُۖ﴾ تعالى ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ بثوابه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ﴾ يتبعون أمره ويجتنبون نهيه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ الفائزون.

❁❁❁

= وعن ابن مسعود: «نزلت في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبدالله بن الجراح يوم بدر، وقيل: يوم أحد».

وعن ابن جرير: «أن أبا قحافة سب النبي ﷺ -قبل إسلامه- فصكه أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ»، وقيل غير ذلك، وعلى كل حال: تفيد الآية منع الموادة والمصادقة مع أعداء المسلمين ولو كانوا قرابةً، اللهم لا تمنع البر والإحسان، وإنما تمنع الموادّة والمصادقة، وهذه الأقوال ذكرها القرطبي مفصلة، وذكر غيرها من الأقوال، وإلى ذلك أشار المفسر بقوله: (كما وقع لجماعة من الصحابة).اهـ.

(١) قوله: (أثبت). فسر به الربيع بن أنس، وقيل: جعل كما فسر به ابن جرير. وهما متقاربان، هنا أطلق الإيمان ونسب إلى القلب، فيكون بمعنى التصديق: كما فسر به القرطبي. وقد ذكرنا أول تفسير سورة البقرة إطلاقات الإيمان والخلاف فيه.

(٢) قوله: (بنور). قاله ابن جرير، وعن الحسن: «بنصر منه».

٥٩- سورة الحشر

مدنية[(١)]، وآياتها: أربع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: نزهه، فاللام مزيدة[(٢)]، وفي الإتيان بـ«مَا» تغليب للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١)﴾ في ملكه وصنعه.

(٢)- ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[(٣)] هم بنو النضير[(٤)] من

---

(١) قوله: (مدنية). لم أجد في ذلك اختلافًا.

(٢) قوله: (فاللام مزيدة). كما تقدم في أول سورة الحديد.

(٣) ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾. ﴿مِنْ﴾ هنا بيانية، وفي ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ ابتدائية متعلقة مع مجرورها بـ﴿أَخْرَجَ﴾، و«من» البيانية لا تحتاج إلى متعلّق.

(٤) وقوله: (هم بنو النضير). لا خلاف بين المفسرين في ذلك؛ لأن هذه السورة نزلت في غزوة بني النضير.

وعن ابن عباس: «كان يسمي هذه السورة سورة بني النضير» كما في ابن كثير وغيره.

وهم من نسل هارون أخي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إحدى القبائل اليهودية التي سكنت المدينة، وكانت ديارهم ظاهر المدينة على أميال. وكان بينهم وبين المسلمين معاهدة، حتى نقضوا فحُصِروا، وأجلوا من المدينة، وأخبار غزوة بني النضير مذكورة في كتب السيرة والتفاسير.

وملخص ذلك: أن النبي ﷺ مع بعض أصحابه ذهب إليهم ليستعين بهم في مقتولَيْن، فأجابوا لذلك، فتشاوروا فيما بينهم أن يقتلوا النبي ﷺ بإلقاء حجر عليه ﷺ، وكان مع أصحابه جالسًا إلى جنب جدارٍ من بيوتهم، فأوحى الله نبيه بذلك، فخرج منهم، ثم أمر النبي ﷺ بقتالهم، فحاصرهم المسلمون، فتحصنوا بحصونهم وبيوتهم، وجاءهم =

اليهود ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ مساكنهم بالمدينة ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ هو حشرهم إلى الشام[(١)] وآخره[(٢)]: أن أجلاهم عمر في خلافته إلى خيبر ﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن

= المنافقون يثبتونهم ويعدونهم بالنصر والثبات معهم، وألقى الله الرعب في قلوبهم، ولم ينفعهم ما كان لهم من الحصون والعُدَد. وأمر النبي ﷺ بقطع بعض نخلهم وتحريقها تخويفًا لهم. فسألوا رسول الله أن يكف عن دمائهم، وصالحوه على إجلائهم من المدينة، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم، ففعل، فكان الرجل منهم يهدم بيته، لكي يحمل على البعير ما استطاع منه، وأما أراضيهم ونخلهم وديارهم فكانت من الفيء، وكانت لرسول الله ﷺ خاصة، فقسمها على المهاجرين، وعلى رجلين من الأنصار، وهما: سهل بن حنيف وأبو دجانة، ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان، وهما: يامين بن عمير بن كعب، وأبو سعد بن وهب، أسلما على أموالهما، فأحرزاهما.اهـ. ملخصًا من ابن كثير.
وكانت غزوة بني النضير في الربيع الأول في السنة الرابعة من الهجرة، وخرج بعضهم إلى الشام وبعضهم إلى خيبر.

(١) قول المفسر: (هو حشرهم). أي: أول الحشر، المراد به حشرهم وإجلاؤهم من المدينة.
وقوله: (إلى الشام). أي: بعضهم نزلوا الشام، وبعضهم بخيبر، كما ذكر أهل السيرة.

(٢) وقوله: (وآخره:...). أي: آخر الحشر؛ لأن التعبير بالأول يدل على الآخر، وهو إجلاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَن في خيبر من اليهود إلى الشام ونواحيها، وكان ذلك في خلافته، وكان فيهم طائفة من بني النضير. فقول المفسر: (إلى خيبر) محل إشكال وخلاف الواقع، ولعله (من خيبر). واختلف في المراد بآخر الحشر: فما قاله المفسر ذكره القرطبي في جملة أقوال أخرى، ومن الأقوال أن الحشر الثاني: حشرهم قرب القيامة، قال قتادة: «تأتي نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب...».
ونقل القرطبي عن ابن العربي قال: «للحشر أول وأوسط وآخر؛ فالأول: إجلاء بني النضير، والأوسط: إجلاء خيبر -يعني إجلاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يهود خيبر لما ناقضوا العهد في خلافته- والآخر: حشر يوم القيامة».اهـ.

﴿يُخۡرِجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ﴾ خبر «أن»[١] ﴿حُصُونُهُم﴾ فاعله، به تمّ الخبر ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أمره وعذابه[٢] ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ﴾ لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين ﴿وَقَذَفَ﴾ ألقى ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ﴾ بسكون العين وضمها[٣]، الخوف بقتل سيدهم كعب بن الأشرف[٤] ﴿يُخَرِّبُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف[٥]، من أخرب ﴿بُيُوتَهُم﴾ لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره ﴿بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢﴾.

(٣)- ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ﴾[٦] قضى ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ﴾ الخروج من

---

(١) قوله: (خبر ﴿أَن﴾). أي: مانعتهم خبر ﴿أَن﴾ و﴿حُصُونُهُم﴾ فاعل ﴿مَّانِعَتُهُمۡ﴾؛ لأنه اسم فاعل يعمل عمل الفعل، ووجد الشرطان للعمل، وهما كونه بمعنى المستقبل أو الحال واعتماده، فهنا اعتمد على المخبر عنه؛ لأنه خبر لـ﴿أَن﴾.

(٢) قوله: (أمره...). هذا من التأويل الصحيح المتعين، وبمثله فسر ابن جرير وغيره من المفسرين وذلك واضح.

(٣) قوله: (بسكون...). قرأ ابن عامر، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب: بضم العين. والباقون: بسكونها، وهما بمعنًى واحدٍ، أي: الخوف.

(٤) قوله: (بقتل سيدهم). وبذلك فسر القرطبي وغيره.

وكعب بن الأشرف كان سيّد بني النضير، آذى المسلمين إيذاءً شديدًا، قتله محمد بن مسلمة، وأبو نائلة، وعباد بن بشر، والحارث، بن أوس، وأبو عبس بن جبر. وواقعة قتله مشهورة في كتب السيرة، وكان ذلك في السنة الثالثة بعد غزوة أحد.

(٥) قوله: (بالتشديد...). قرأ أبو عمرو: بالتشديد: ﴿يُخَرِّبُونَ﴾. والباقون: بالتخفيف: ﴿يُخۡرِبُونَ﴾ من باب التفعيل والإفعال.

قال قتادة: «جعلوا يخربونها من أجوافها، وجعل المؤمنون يخربون من ظاهرها».اهـ.

(٦) ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ﴾. ﴿لَوۡلَآ﴾: شرطية امتناعية، و﴿أَن﴾ مصدرية، وهي وما دخلت =

الوطن(١) ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي كما فعل بقريظة من اليهود(٢) ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾.

﴿٤﴾- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا﴾ خالفوا(٣) ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾ له.

﴿٥﴾- ﴿مَا قَطَعْتُم﴾ يا مسلمون(٤) ﴿مِّن لِّينَةٍ﴾ نخلة(٥) ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا

= عليه في تأويل مصدر مبتدأ، حذف خبره وجوبًا، والتقدير: ولولا كتابة الله ذلك موجودة، وجواب ﴿لَوْلَآ﴾: ﴿لَعَذَّبَهُمْ﴾.

(١) قوله: (الخروج من الوطن). تفسير توضيح لـ﴿ٱلْجَلَآءَ﴾. ونقل القرطبي عن الماوردي فرقين بين الجلاء والخروج: «الأول: الجلاء ما كان مع الأهل والولد، والإخراج قد يكون مع بقاء الأهل والولد.

الثاني: الجلاء لا يكون إلا لجماعة، والإخراج يكون لواحد ولجماعة».اهـ.

وعلى هذا يكون الجلاء أخص من الإخراج، ويكون قول المفسر تفسيرًا بالأعم، والتعريف اللغوي -أي شرح الكلمات- يجوز بالأعم كما هو معروف.

(٢) قوله: (كما فعل بقريظة). أي: من القتل والسبي، وذلك بعد غزوة الخندق لما خانوا المسلمين بلحوقهم مع الأحزاب المتكتبة على المسلمين، فحُكِّم فيهم سعد بن معاذ، وحَكَم بذلك، وكان حكمًا حقًّا، وتقدم ذلك في تفسير سورة الأحزاب، كما أنها معروفة من كتب السير.

(٣) قوله: (خالفوا...). وبمثله فسر ابن جرير وغيره من المفسرين.

(٤) ﴿مَا قَطَعْتُم﴾، ﴿مَا﴾: شرطية جازمة، وهي في محل نصب مفعول مقدم لـ﴿قَطَعْتُم﴾، وهو فعل الشرط في محل جزم، وجوابه: ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

(٥) قوله: (نخلة). وبذلك فسر عكرمة، ومجاهد وغيرهما، وعن قتادة، وغيره: «النخلة ما عدا العجوة»، واختاره ابن جرير.

﴿قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ أي: خيّركم في ذلك[(١)] ﴿وَلِيُخۡزِيَ﴾ بالإذن في القطع ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ اليهود في اعتراضهم أن قطع الشجر المثمر فساد.

٦- ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾ ردّ ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ﴾ أسرعتم[(٢)] يا مسلمون ﴿عَلَيۡهِ مِنۡ﴾ زائدة ﴿خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ إبل، أي: لم تقاسوا فيه مشقة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦﴾، فلا حق لكم فيه، ويختص به النبي ﷺ[(٣)]، ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة

---

(١) وقوله: (أي: خيركم...). وذلك أن النبي ﷺ لما نزل بحصونهم يحاصرهم قطع الصحابة بعض نخلهم وحرقوها، بإذن النبي ﷺ؛ إما لإخافة العدو أو لتوسيع المكان، فقال اليهود: ألست تقول: إنك نبي تريد الصلاح، وهل من الصلاح قطع الشجر المثمر؟ فشق ذلك على المؤمنين؛ فأنزل الله الآية بتصديق ذلك، وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله تعالى.اهـ. ملخصًا من القرطبي.

واختلف في عدد تلك النخل، فقال قتادة، والضحاك: «إنهم قطعوا من نخيلهم وأحرقوا ست نخلات».

وقال ابن إسحٰق: «إنهم قطعوا نخلةً وأحرقوا نخلةً».اهـ. نقله القرطبي.

(٢) قوله: (أسرعتم). أوجف من الإيجاف، بمعنى: الإسراع، يقال: وجَفَ الفرس إذا أسرع، وأوجفته أنا، أي: حرّكته واتبعته.اهـ. ذكره القرطبي.

(٣) قوله: (ويختص به...). ذكر المفسر هنا حكم الفيء، وهوما حصل من المشركين بدون قتال، كانت أموال بني النضير من الفيء؛ لأنه لم يحصل قتال معهم وإنما وقعت المحاصرة، وفي تقسيم الفيء خلاف فقهي، وما ذكره المفسر هو مذهب الشافعية. وذلك أن خمس الفيء يقسم أخماسًا توضع في الأصناف المذكورة في الآية، والأربعة الباقية كانت للنبي ﷺ يضعها حيث شاء، فكان يأخذ منها قوت سنة، وقسم الباقي من مال بني النضير بين المهاجرين، وثلاثة من الأنصار، وقيل: اثنين منهم كما تقدم، =

على ما كان يقسمه من أن لكل منهم خُمس الخُمس، وله ﷺ الباقي يفعل فيه ما يشاء، فأعطى منه المهاجرين وثلاثة من الأنصار لفقرهم.

(٧) - ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ كالصفراء ووادي القرى وينبع[(١)] ﴿فَلِلَّهِ﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي﴾ صاحب ﴿ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ قرابة النبي من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ أطفال المسلمين الذين هلكت آباؤهم وهم فقراء ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره من المسلمين، أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خُمس الخمس وله الباقي ﴿كَيۡ لَا﴾، «كَيۡ» بمعنى: اللام[(٢)]،

= وهم: أبو دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة، وهذا القول ذكره القرطبي عن حكاية الواقدي، وبعد وفاة النبي ﷺ تكون الأخماس الأربعة لمصالح الجهاد أو لمصالح المسلمين، على ما فصله الفقهاء.

أما الغنيمة فهي الحاصلة من المشركين بالقتال فلها تقسيم آخر ذكرت في سورة الأنفال.

وفي قول المفسر: (ومن ذكر معه في الآية الثانية) إشارة إلى أن الآيتين في الفيء. وعزا هذا القول القرطبي إلى جمع من العلماء منهم الشافعي، وعليه جرى المفسر.

(١) قوله: (كالصفراء...). هذه أسماء قرًى وبمثل ذلك نقل القرطبي عن ابن عباس، وظاهر كلام المفسر أن المراد بهذه الآية وما قبلها واحد، أي: هما في الفيء، وعزي ذلك إلى الشافعيّ، وبذلك فسر ابن كثير، قال ابن كثير: «أي: جميع البلدان التي تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بني النضير».اهـ.

واختار ابن جرير أن هذه الآية في الغنيمة والأولى في الفيء، وروى ذلك عن قتادة. وتقدم شرح الأصناف في سورة التوبة والأنفال.

(٢) قوله: (﴿كَيۡ﴾ بمعنى: اللام). يعني: حرف تعليل، والفعل منصوب بـ«أن»، ويصح جعل ﴿كَيۡ﴾ بمعنى: أن، أي: مصدرية ناصبة، واللام مقدرة قبلها، بل هي أولى. وتكون =

و«أن» مقدرة بعدها ﴿يَكُونَ﴾ الفيء علة لقسمه كذلك ﴿دُولَةَۢ﴾ متداولًا ﴿بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ﴾ أعطاكم ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ من الفيء وغيره ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾.

٨- ﴿لِلۡفُقَرَآءِ﴾ متعلق بمحذوف[1]، أي: اعجبوا ﴿ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ في إيمانهم.

= «كي» مصدرية إذا دخلت عليها اللام لفظًا أو تقديرًا، كما فصل ذلك النحاة، والدُولة بضم الدال: اسم الشيء الذي يُتداول. قاله القرطبي.

والمعنى: كيلا يختص المال للأقوياء والرؤساء، بل ينتقل إلى أصناف الناس، وكانت الجاهلية تعطي الرئيس ربع الغنيمة، والباقي لمن شاء الرئيس، فيحرم المستحق، فردّ عليه الإسلام.

(١) قوله: (متعلق بمحذوف...). وهذا الإعراب ذكره بعض المعربين، كالدرويش، نقله عن أبي حيان.

وعلى هذا تكون الآية سيقت لمدح المهاجرين والأنصار.

وفيها إشارة إلى استحقاق الفيء، ولا تكون الآية مسوقة لبيان استحقاق الفيء. وهذا الإعراب يوافق مذهب الشافعية من أنه لا يشترط في استحقاق الفيء الفقر، بل يعطى ذوو القربى، غنيهم وفقيرهم لعلة القرابة، وجمهور المفسرين جعلوا الآية مرتبطة بما قبلها وبيانًا لاستحقاق الفيء، فقيل: بدل من ذوي القربى وما بعده، كما أعرب البيضاوي، أو متعلق بمحذوف تقديره: تكون الفيء للفقراء، كما يعلم من ابن جرير. وهذا يوافق مذهب أبي حنيفة من أن ذوي القربى لا يستحقون الفيء إلا مع الفقر، وعلى كل حال في الآيتين مدح وثناء على المهاجرين والأنصار، وكفى بتزكية الله تعالى فخرًا لهم.

(٩) - ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ أي: المدينة[١] ﴿وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ أي: ألفوه[٢]، وهم الأنصار[٣] ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً﴾ حسدًا[٤] ﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ أي: آتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة بهم[٥] ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة إلى ما يؤثرون به ﴿وَمَن يُوقَ

(١) قوله: (أي: المدينة). الدار ودار الهجرة من أسماء المدينة المنورة، زادها الله شرفًا.

تنبيه: الواو في ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو﴾ قيل: للاستئناف. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ، وخبره: ﴿يُحِبُّونَ﴾، أو الجملة معطوفة على ما قبلها.

وقيل: الواو عاطفة، ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ معطوف على ﴿ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾؛ فيكون المعنى: اعجبوا للمهاجرين والأنصار، على ما ذهب إليه المفسر، أو الفيء للمهاجرين والأنصار، ذكر الوجهين القرطبي وغيره.

ونقل عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديثًا يفيد أنه معطوف، وأن هذه الآية وما بعدها وهي ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ تفيد استحقاق جميع المسلمين أموال الفيء، والله أعلم.

(٢) قوله: (ألِفوه) أفاد أن ﴿ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ مفعول لفعل محذوف، كقول الشاعر: «علفتها تبنًا وماءً»، أي: سقيتها ماءً، والجملة معطوفة على الجملة الأولى؛ لأنه لا يصح كون الواو لعطف المفرد؛ لأن الإيمان ليس بمتبوأ، ولا المفعول معه؛ لأن تبوأهم المدينة سابق على إيمانهم، فتعين كون ﴿ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ مفعولًا لفعلٍ محذوفٍ.

(٣) قوله: (وهم الأنصار). لم أر فيه خلافًا.

(٤) قوله: (حسدًا). وبه فسر الحسن رواه عنه ابن جرير، وقال البيضاوي: «أي: ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحسد والغيظ، وعلى هذا يكون إطلاق الحاجة مجازًا من إطلاق السبب على المسبب».

(٥) قوله: (من أموال...). وقال ابن كثير: «فيما فضّلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة».اهـ.

﴿شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ حرصها على المال[1] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾.

۝١٠- ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾[2] من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم

---

(١) قوله: (حرصها). الشح: البخل مع الحرص، كما في «الصحاح»، أو البخل مطلقًا، وجرى المفسر على الأول.

(٢) ﴿وَٱلَّذِينَ ...﴾. الواو مستأنفة أو لعطف الجملة، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ، خبره: ﴿يَقُولُونَ﴾ كما أعرب به في «إعراب القرآن» للدرويش، أو الواو عاطفة، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ معطوف على ما قبله، فيكون بيانًا للقسم الثالث المستحقين للفيء، وهم فقراء المهاجرين والأنصار ومن أتى بعدهم، كما يفيده كلام ابن كثير، قال: «هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء».اهـ. كما سبق نقله عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ هنا التابعون، ومن دخل في الإسلام إلى يوم القيامة، قاله القرطبي، وكما فسر به المفسر المحلي، نقل القرطبي عن ابن أبي ليلى قال: «الناس على ثلاثة منازل: المهاجرون، والذين تبوؤوا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم؛ فاجهد ألا تخرجه من هذه المنازل».اهـ.

فوائد:

١- قال القرطبي: «هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة».

٢- استنبط الإمام مالك من هذه الآية أنه لا حق في الفيء لمن سب الصحابة كالرافضة، نقله ابن كثير، والقرطبي.

٣- قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ﴾، إما خبر لـ﴿وَٱلَّذِينَ﴾، أو حال منه، وذلك إذا جعلت الواو في ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ لعطف المفرد، قال القرطبي: «المراد الأمر بالاستغفار» نقل ذلك عن ابن عباس، وعائشة.

٤- نقل عن الشعبي قال: «تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود: من خير ملتكم؟ فقالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى من خير ملتكم؟ فقالوا: أصحاب عيسى، وسئلت الرافضة: من شر ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد ﷺ».اهـ.

القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ حقدًا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

﴿١١﴾ - ﴿۞ أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر[١] ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهم بنو النضير[٢] وإخوانهم في الكفر ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم في الأربعة[٣] ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في خذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾ حذفت منه اللام الموطئة[٤] ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿١٢﴾ - ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ أي: جاؤوا لنصرهم ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ واستغني[٥] بجواب القسم المقدر[٦] عن جواب الشرط في المواضع الخمسة ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي: اليهود.

---

(١) قوله: (تنظر) قدره لأنه تعدى بـ﴿إِلَى﴾، كما تقدم نظيره.

(٢) وقوله: (وهم بنو النضير). وذلك أن عبدالله بن أبي وجماعته من المنافقين وعد بني النضير بالنصر والتثبت، وكان ذلك وعدًا كاذبًا.

قال القرطبي ما حاصله: «إن في ذلك دليلًا على النبوة؛ لأنهم أخرجوا فلم يخرجوا، وقوتلوا فلم ينصروهم».اهـ. أي: في هذه الآية إخبار بالغيب كما هو الواقع، فهذا من أعلام النبوة.

(٣) قوله: (لام قسم...). أي: والتقدير: والله إن أخرجتم. والمتقدم القسم، فيكون الجواب له، ودلّ على جواب الشرط. وجواب القسم: ﴿لَنَخْرُجَنَّ﴾، ولذا أكّد بالنون، وقد تقدم نظائره كثيرًا.

(٤) قوله: (حذفت منه). أي: والتقدير «ولئن قوتلتم» ودليل وجود لام القسم تأكيد الجواب: ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾.

(٥) قوله: (واستغني...). يعني لما اجتمعت القسم والشرط، والمتقدم هو القسم جعل الجواب له، وحذف جواب الشرط المتأخر.

(٦) وقوله: (المقدر...). أي: دل عليه اللام، والتقدير: «والله لئن...».

(١٣)- ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ خوفًا ﴿فِي صُدُورِهِم﴾ أي: المنافقين[١] ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ لتأخير عذابه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٣)﴾.

(١٤)- ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ أي: اليهود ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جِدَارٍ﴾ سُورٍ، وفي قراءة[٢]: «جُدُرٍ»، ﴿بَأْسُهُم﴾ حربهم[٣] ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾[٤] مجتمعين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقة[٥] خلاف الحسبان ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (١٤)﴾.

(١٥)- مثلهم في ترك الإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ بزمنٍ قريبٍ وهم أهل بدر من المشركين[٦] ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عقوبته في الدنيا من القتل وغيره ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥)﴾ مؤلم في الآخرة.

---

(١) قوله: (أي: المنافقين). وهذا أحد الأوجه. والثاني: الضمير لبني النضير، وعليه فسر ابن جرير. وقيل: للفريقين جميعًا. ذكر الأوجه الثلاثة القرطبي.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿جِدَارٍ﴾. والباقون: بالجمع: ﴿جُدُرٍ﴾. ومعنى الآية: أنهم لجبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقاتلة، بل إما في حصون أو من وراء جدر».اهـ. ذكره ابن كثير.

(٣) قوله: (حربهم). أي: عداوة بعضهم لبعض. قاله القرطبي.

(٤) ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا ...﴾. عن مجاهد: «أي: اليهود والمنافقون»، وعنه أيضًا: «المنافقون»، وعن الثوري: «المشركون وأهل الكتاب».اهـ. نقل ذلك القرطبي، وكله محتمل.

(٥) قوله: (متفرقة). شتى جمع شتيت، كمريض ومرضى.

(٦) قوله: (وهم أهل بَدْر). أي: المراد بالذين من قبلهم قريبًا أهل بدر من المشركين. هذا القول مروي عن مجاهد.

وقال ابن عباس: «المراد بنو قينقاع أمكن الله منهم قبل بني النضير»، وقيل: هو عام فيهما. اختاره ابن جرير.

﴿١٦﴾- مثلهم أيضًا في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم[١] ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ كذبًا منه ورياءً.

﴿١٧﴾- ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ أي: الغاوي والمغوي، وقرئ بالرفع[٢]: اسم كان ﴿أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ الكافرين.

﴿١٨﴾- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ﴾ ليوم القيامة[٣] ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿١٩﴾- ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تركوا طاعته[٤] ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ أن يقدموا لها خيرًا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.

---

(١) قوله: (في سماعهم...). أي: هذا ضرب مثل للمنافقين واليهود إذ وعدهم المنافقون ثم تخلفوا عنهم، واختلف في الإنسان هل المراد إنسان معين فتكون «أل» عهدية، أو جنس الإنسان فتكون جنسية، فروي عن علي، وابن عباس: «أن المراد بالإنسان راهب غرّه الشيطان، إذ وقع على امرأة ثم قتلها فدل الشيطان أهلها على الراهب، فجاؤوا إليه، فقال للشيطان: اسجد لي أنجك من هذا، فسجد له، ثم تبرأ الشيطان، فقتلوا الراهب...». هذا ملخص القصة.

وروي ابن جرير هذا بسياقات مختلفة مفصلة، وروى عن مجاهد: «أن المراد عموم الإنسان»، كما مشى على ذلك ابن كثير وغيره. والمفسر لم يتعرض لأحد القولين.

(٢) قوله: (وقرئ...). قراءة شاذة كما أشار إلى ذلك بقوله: (قرئ).

(٣) قوله: (ليوم القيامة). قال قتادة: «ما زال ربكم يقرّب الساعة حتى جعلها كغدٍ، وغدٌ: يوم القيامة». رواه ابن جرير.

(٤) قوله: (تركوا...). أفاد أن النسيان هنا بمعنى: الترك، فيكون مجازًا مرسلًا من إطلاق السبب وإرادة المسبب.

(٢٠)- ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٢٠)﴾[(١)].

(٢١)- ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾[(٢)] وجعل فيه تمييز كالإنسان ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ متشققًا ﴿مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ المذكورة ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾ فيؤمنون.

(٢٢)- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾ السرّ والعلانية ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢)﴾.

(٢٣)- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ الطاهر[(٣)] عما لا يليق به ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ ذو السلامة من النقائص ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ المصدق[(٤)] رسله بخلق المعجزة لهم ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ من هيمن يهيمن إذا كان رقيبًا على الشيء، أي: الشهيد[(٥)] على عباده

---

(١) ﴿لَا يَسْتَوِيٓ﴾. ذكر الأصوليون: أن نفي المساواة من ألفاظ العموم، فيفيد عدم المساواة في شيء مما يمكن أن يفترق الأمران، وعلى هذا تدل الآية على عدم قصاص المسلم عن الكافر كما هو مذهب الجمهور.

(٢) ﴿لَوْ أَنزَلْنَا...﴾. هذه الآية حث على تأمل مواعظ القرآن، وأنه ينبغي أن تخشع لها القلوب، فإذا كان الجبل مع قساوته لو فهم هذا القرآن لتخشع وتصدّع، فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم به». اهـ. ملخصًا من ابن كثير.

(٣) قوله: (الطاهر). روي هذا المعنى عن وهب بن منبه، وقال مجاهد، وقتادة: «المبارك».

(٤) وقوله: (المصدّق). روي قريب منه عن ابن زيد. وقال ابن عباس: «آمن خلقه عن أن يظلمهم». اهـ.

(٥) وقوله: (أي: الشهيد...). روي عن ابن عباس وغيره. وتقدمت هذه الكلمة في سورة الأعراف، كما تقدم شرح هذه الأسماء موجزًا في آخر سورة الإسراء.

بأعمالهم ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ القوي ﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾ جبر خلقه[١] على ما أراد ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ عما لا يليق به ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ نزه نفسه ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾ به.

٢٤- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ﴾ المنشئ من العدم ﴿ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ التسعة والتسعون الوراد بها الحديث[٢]، و«ٱلۡحُسۡنَىٰۚ» مؤنث الأحسن ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ تقدم أولها[٣].

❁❁❁

(١) وقوله: (جبر خلقه...). هذا ذكره قتادة، وكذلك معنى المتكبر قال قتادة: «تكبر عن كل شر»، وقال ابن كثير: «أي: الذي لا تليق الجبرية إلا له، ولا التكبر إلا لعظمته»، وفي «الصحيح»: «العظمة إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدًا منهما عذبته».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (التسعة والتسعون...). تقدم ذلك في سورة الإسراء.

(٣) قوله: (أولها). أي: أول هذه السورة.

٦٠ - سورة الممتحنة[(١)]

مدنية[(٢)]، وآياتها: ثلاث عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ﴾ أي: كفار مكة ﴿أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ﴾ توصلون ﴿إِلَيۡهِم﴾ قَصْدَ النبي ﷺ[(٣)] غزوهم الذي أسرَّه إليكم وورَّى بحنين ﴿بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ بينكم وبينهم. كتب حاطب بن أبي بلتعة[(٤)] إليهم كتابًا بذلك

---

(١) الممتحنة: بكسر الحاء، أسند الفعل إلى السورة مجازًا، وقيل: بفتح الحاء إضافة إلى المرأة التي نزلت فيها، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، امرأة عبدالرحمن بن عوف. أفاده القرطبي.

(٢) وقوله: (مدنية). بدون خلاف نعلمه.

(٣) قوله: (قصْد...). بالنصب مفعول به لـ﴿تُلۡقُونَ﴾، وعلى هذا تكون الباء في ﴿بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ سببية. وقيل: الباء فيه زائدة مؤكدة، والمودة مفعول ﴿تُلۡقُونَ﴾.

(٤) قوله: (كتب حاطب...). أشار المفسر إلى سبب نزول هذه الآيات، وقد روى ذلك عن عدد من السلف ذكره ابن جرير وغيره وحاطب بن أبي بلتعة صحابي جليل بدْرِي، كان من المهاجرين، وكان رجلًا من أهل اليمن وكان له حِلف بمكة في بني أسد بن عبدالعزى، وكان له أهل ومال بمكة، فلما أراد النبي ﷺ فتح مكة أرسل حاطب بذلك الخبر بيد امرأةٍ إلى أهل مكة ليكون له يد يحفظ بها أهله وماله بمكة؛ لأنه كان حليفهم ولم يكن منهم، والمرأة اسمها سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هشام بن عبد مناف، قدمت المدينة تشتكي حاجتها وفقرها، ولم تكن أسلمت، فأمر النبي ﷺ وحث على إعطائها، فكسوها وأعطوها وحملوها، فخرجت إلى مكة وهي كافرة، فأتاها حاطب وأعطاها الكتاب الذي فيه خبر تجهيز رسول الله ﷺ لفتح مكة وأعطاها عشرة دنانير وبُردًا، وأوحي إلى النبي ﷺ هذا الخبر، فبعث عليًّا والزبير والمقداد، وقال لهم: «**ائتوا** =

لما لَه عندهم من الأولاد والأهل المشركين، فاسترده النبي ﷺ ممن أرسله معه بإعلام الله تعالى له بذلك، وقبِلَ عذر حاطب فيه ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: دين الإسلام والقرآن ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ من مكة بتضييقهم عليكم ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟﴾ أي: لأجل أن آمنتم[1] ﴿بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا﴾ للجهاد ﴿فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ وجواب الشرط دل عليه ما قبله[2]، أي: فلا

= روضة خاخٍ فإنّ بها ضعينة معها كتاب فخذوه منها»، يقول علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فانطلقنا، تعادى بنا خيلنا، فإذا نحن بالمرأة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجنّ الكتاب أو لتلقينّ الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب، ما هذا؟**»، قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرأً ملصقًا في قريش، وكان ممن معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضًى بالكفر بعد الإسلام، فقال النبي ﷺ: «**صدق**»، فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «**إنه شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»؛ فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ...﴾ الآية».اهـ. ملخصًا من القرطبي. وذكر المفسر ملخص هذه القصة.

(١) وقوله: (لأجل أن آمنتم). أفاد حذف حرف الجر، وهو مُطرد مع «أن» و«أنَّ»، كما أفاد أن «أن» هنا مصدرية، والفعل بمعنى الماضي، والتعبير بالمضارع يكون لنكتة بلاغية، وكذا ﴿يُخْرِجُونَ﴾ بمعنى: الماضي، وجملة ﴿يُخْرِجُونَ﴾ إما حال من الواو في ﴿كَفَرُوا۟﴾، فهي في محل نصب، أو مستأنفة لبيان كفرهم وعتوهم فلا محل لها من الإعراب.

(٢) قوله: (وجواب الشرط...). أي: محذوف دل عليه المتقدم، والمتقدم ليس جوابًا؛ لأن الجواب لا يتقدم الشرط عند البصريين.

تتخذوهم أولياء ﴿تُسِرُّونَ[1] إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ أي: إسرار خبر النبي ﷺ إليهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ①﴾ أخطأ طريق الهدى. والسواء في الأصل: الوسط.

② - ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والضرب ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ بالسب والشتم ﴿وَوَدُّوا۟﴾ تمنوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ ②﴾[2].

③ - ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتكم ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ﴾ المشركون الذين لأجلهم أسررتم الخبر من العذاب في الآخرة[3] ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُفْصَلُ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل[4] ﴿بَيْنَكُمْ ۚ﴾ وبينهم، فتكونون في الجنة وهم في جملة الكفار في النار ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ③﴾.

---

(١) وجملة ﴿تُسِرُّونَ﴾ إما مستأنفة، فلا محل لها من الإعراب، أو بدل من ﴿تُلْقُونَ﴾ فتكون في محل نصب.

تنبيه: قال القرطبي: «من كثر تطلعه على عورات المسلمين، وينبه عليهم ويعرّف عدوهم بأخبارهم لم يكن بذلك كافرًا إذا كان فعله لغرضٍ دنيوي واعتقاده على ذلك سليم كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد، ولم ينو الردة عن الدين».اهـ. والله أعلم.

(٢) ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾. ﴿لَوْ﴾ هنا مصدرية، سبقها «وَدّ»

(٣) قوله: (من العذاب...). متعلق بـ﴿لَن تَنفَعَكُمْ﴾، و﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إما متعلق بذلك، أي: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ﴾، أو بـ﴿يَفْصِلُ﴾.

(٤) قوله: (بالبناء...). هنا أربع قراءات:

١ - ﴿يُفْصَلُ﴾: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر.

٢ - ﴿يُفَصَّلُ﴾: من التفصيل بالبناء للمفعول: ابن عامر.

٣ - ﴿يَفْصِلُ﴾: بالبناء للفاعل: عاصم، ويعقوب.

٤ - ﴿يُفَصِّلُ﴾: بالبناء للفاعل وتشديد الصاد من التفصيل: الباقون.

(٤)- ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ إِسۡوَةٌ﴾ بكسر الهمزة وضمها في الموضعين[(١)]، قدوة ﴿حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي: به قولًا وفعلًا ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين ﴿إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ﴾ جمع بريء، كظريف ﴿مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾ أنكرناكم ﴿وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا﴾ بتحقيق الهمزتين[(٢)] وإبدال الثانية واوًا ﴿حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ مستثنى من أسوة[(٣)] فليس لكم التأسي به في ذلك بأن تستغفروا للكفار، وقوله: ﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذابه وثوابه ﴿مِن شَيۡءٖ﴾ كنى به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار، فهو مبني عليه[(٤)] مستثنى من حيث المراد منه، وإن كان من حيث ظاهرهُ مما يتأسى

---

(١) قوله: (بكسر الهمزة...). قرأ عاصم: بضم الهمزة. والباقون: بكسرها. والموضعان: هنا وفي الآية التالية. وسبقت الكلمة بالقراءتين في سورة الأحزاب.

(٢) قوله: (بتحقيق الهمزتين...). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس: بإبدال الهمزة الثانية واوًا وبتسهيلها. والباقون: بتحقيقهما. والهمزة الثانية هي الكائنة في ﴿أَبَدًا﴾.

(٣) قوله: (مستثنى...). كما فسر كذلك ابن جرير وغيره، ورواه ابن جرير عن مجاهد، وقتادة وغيرهما.

(٤) وقوله: (فهو مبني على...). أي: قوله ﴿وَمَآ أَمۡلِكُ ...﴾ مترتب على الاستغفار، كأن المعنى: إنما أملك لك الاستغفار ولا أملك لك من الله شيئًا، فيكون بهذا الاعتبار داخلًا في الاستثناء منهيًّا عن التأسي فيه، وإن كان معنى ﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ عامًا في غير إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أيضًا ويتأسّى فيه، بدليل قوله تعالى: ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾، حيث أمر الله محمدًا ﷺ أن يقول ذلك للمنافقين.

الخلاصة: أن هذه الجملة أي: ﴿وَمَآ أَمۡلِكُ﴾ معناها عام يتأسّى به، ولكن هٰهنا لما ارتبطت باستغفار إبراهيم لأبيه دخلت في الاستثناء وعدم التأسي، والله أعلم.

فيه «﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾» [الفتح: ١١]. واستغفاره له(١) قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره في براءة(٢) ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤﴾ من مقول الخليل ومن معه، أي قالوا:

۝٥ - ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾(٣) أي: لا تظهروهم علينا(٤) فيظنوا أنهم على الحق، فيفتَتِنُوا، أي: تذهب عقولهم بنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥﴾ في ملكك وصنعك.

۝٦ - ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أمة محمد، جواب قسم مقدر(٥) ﴿فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ﴾ بدل اشتمال(٦) من «كم» بإعادة الجار ﴿يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ﴾ أي: يخافهما أو

---

(١) وقوله: (واستغفاره) مبتدأ، خبره: (قبل أن يتبين)، أي: كان استغفاره قبل أن يتبين...

(٢) قوله: (كما ذكره في براءة). إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ ...﴾ [التوبة: ١١٤].

(٣) هذه الآية من تمام دعاء إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومن معه، كما ذكر ابن جرير.

(٤) وقول المفسر: (أي: لا تظهروهم...). وبمثله فسر ابن جرير، ورواه عن قتادة، وابن عباس، وعن مجاهد قريب منه، قال: «لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا».اهـ. وهذا مراد المفسر بقوله: (أي: تذهب عقولهم بنا).

(٥) قوله: (جواب قسم...). يدل على القسم اللام في ﴿لَقَدْ﴾، فهي موطئة للقسم، والتقدير: والله لقد كان...

(٦) وقوله: (بدل اشتمال...). ولم يجعل بدل بعض؛ لأن الخطاب لأمة محمد ﷺ، وكلهم من يرجو الله واليوم الآخر، فليس الذي يرجو الله واليوم الآخر بعض الأمة، وقد أعرب بدل بعض، فلعل المراد بالأمة: كلهم مطيعهم وعاصيهم، والمراد بمن كان يرجو الله واليوم الآخر مطيعهم ومخلصهم، وهم بعض الأمة. والله أعلم.

يظن الثواب والعقاب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ بأن يوالي الكفار[١] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ ۝٦﴾ لأهل طاعته[٢].

۝٧ - ﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ من كفار مكة طاعةً لله تعالى ﴿مَّوَدَّةً﴾ بأن يهديهم للإيمان[٣] فيصيروا لكم أولياء ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك، وقد فعله بعد فتح مكة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ما سلف ﴿رَّحِيمٌ ۝٧﴾ بهم.

۝٨ - ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ من الكفار[٤] ﴿فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل اشتمال من «ٱلَّذِينَ»، ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ﴾ تَقْضوا ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بالقسط، أي: بالعدل، وهذا قبل الأمر بجهادهم[٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ العادلين.

---

(١) قوله: (بأن يوالي...). بالباء للسببية، أو للتصوير، و﴿يَتَوَلَّ﴾ مجزوم علامة جزمه حذف الألف، وهو من التولي بمعنى: الإعراض، كما فسر ابن جرير وغيره.

(٢) قوله: (لأهل طاعته...) هذا على أن ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ بمعنى: اسم الفاعل، ويحتمل كونه بمعنى: اسم المفعول كما هو ظاهر ابن جرير، ويصح أن يراد كلاهما. وتقدم في سورة البقرة (٣٦٧) وغيرها.

(٣) قوله: (بأن يهديهم...). روي نحو هذا عن ابن زيد، وقال القرطبي: «لما نزلت الآية السابقة عادى المسلمون أقرباءهم من المشركين، فعلم الله شدة وجد المسلمين في ذلك، فنزلت: ﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ...﴾ الآية، وروى عن ابن عباس: «أن المراد بالمودة هنا: تزوج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت تحت عبدالله بن جحش، كانا بالحبشة، فمات هناك نصرانيًا، فتزوجها النبي ﷺ، فلانت بذلك عداوة أبي سفيان، وقال لما بلغه الزواج: «ذلك الفحل لا يقدع أنفه»، لا يقدع: لا يضربُ.اهـ. ملخصًا من القرطبي.

(٤) قوله: (من الكفار). ظاهر كلام المفسر أن الآية عامة في كل كافر ممن لم يقاتلوا المسلمين، كما مشى على ذلك ابن جرير، وغيره.

(٥) وهذا قبل الأمر). يشير إلى أن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾=

(٩)- ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ﴾ عاونوا ﴿عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل اشتمال من «ٱلَّذِينَ»، أي: تتخذوهم أولياء ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٩)﴾.

(١٠)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾[1] بألسنتهن[2] ﴿مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ من

= [التوبة: ٥]، وهذا القول رواه ابن جرير عن ابن زيد، وقتادة. فقيل: كان هذا في فترة الصلح، أو مع أناسٍ مخصوصين، كما في القرطبي. لكن اختار ابن جرير أن الآية محكمة غير منسوخة وردّ على من قال إنها منسوخة، واحتج بقصة أسماء بنت أبي بكر قدمت إليها أمها قُتيلة بنت عبدالعزى بهدايا وهي مشركة -وكان الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طلقها- فلم تقبل أم سلمة تلك الهدايا، حتى استشارت رسول الله ﷺ؛ فنزلت الآية. والقصة مروية في «الصحيحين»، ورواه ابن جرير، عن عبدالله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ...﴾. إلخ. موضوع هذه الآية: أنه كان في صلح الحديبية أنه لا يأتي من المشركين أحد إلى المسلمين -أي إلى المدينة- إلا رُدّ إلى الكفار ولو كان مسلمًا، فأمر الله المسلمين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن، فإن علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن، وعلى هذا تكون الآية مخصصة للسنة، أي: في حق النساء.اهـ. ملخصًا من ابن كثير. ونقل عن عبدالله بن أبي أحمد قال: «هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط -أي: إلى المدينة- فخرج أخواها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله ﷺ فكلماه فيها أن يردّها إليهما، فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة، فمنعهم أن يردوهن إلى المشركين وأنزل الله آيات الامتحان».اهـ. ونقل القرطبي عن ابن عباس: «جاءت سعيدة بنت الحارث الأسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي ﷺ بالحديبية، فأقبل زوجها وهو كافر وهو صيفي بن راهب وطلب رد زوجته إليه؛ فأنزل الله هذه الآية».اهـ. وعلى كل حال هذه الآية إما مخصصة للسنة أو ناسخة لها.

(٢) وقول المفسر: بألسنتهن). متعلق بالمؤمنات، أي: إذا ادعين الإيمان.

الكفار بعد الصلح معهم في الحديبية على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يُرد ﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾ بالحلف[1] على أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام لا بغضًا لأزواجهن الكفار، ولا عشقًا لرجال من المسلمين، كذا كان النبي ﷺ يحلفهن ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ﴾ ظننتموهن بالحلف[2] ﴿مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ﴾ تردوهن ﴿إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم﴾ أي: أعطوا الكفار أزواجهن[3] ﴿مَّآ أَنفَقُواْۚ﴾ عليهن من المهور ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ بشرطه[4] ﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ﴾ مهورهن ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ﴾ بالتشديد والتخفيف[5] ﴿بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ زوجاتكم لقطع

---

(١) قوله: (بالحلف). روي نحو ذلك عن ابن عباس، وعنه أيضًا: «كان الامتحان أن يشهدن ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله».اهـ. كما في ابن جرير.

(٢) قوله: (ظننتموهن). أفاد أن المراد بالعلم هنا الظن؛ لأنه هو الحاصل بالحلف، وهذا أحد معاني العلم. فإنه يطلق على خمسة معانٍ: ١- إدراك الشيء تصورًا أو تصديقًا. ٢- إدراك الحكم جازمًا أوظنًّا كما هنا. ٣-الإدراك الجاز. ٤-الفنّ كعلم النحو. ٥-الملَكة. والله أعلم.

(٣) قوله: (أي: أعطوا...). يعني: أمر الله تعالى إذا أُمْسِكَت المرأة المسلمة أن يُرَد على زوجها ما أنفق من المهر. روي ذلك عن ابن عباس وغيره. والمخاطب بهذا الإمام، فيعطي من بيت المال، وقال قتادة: «هذا الحكم في نساء أهل العهد، أما من لا عهد بينه وبين المسلمين فلا يرد إليهم الصداق». نقله القرطبي وأقره.

(٤) قوله: (بشرطه). أي: شرط النكاح، وهو انقضاء العدة، والمهر وغير ذلك من شروط النكاح.

(٥) قوله: (بالتشديد...). قرأ أبو عمرو، ويعقوب: ﴿تُمَسِّكُواْ﴾: بتشديد السين من باب التفعيل. وقرأ الباقون: بالتخفيف من باب الإفعال. وهذه الآية ناسخة لجواز زواج المسلمين بالكافرات وبالعكس، وعندما نزلت طلق عمر بن الخطاب امرأتين له مشركتين بمكة كما في القرطبي، وروى ابن جرير ذلك، والكوافر: جمع كافرة، والمراد: المشركة، دون أهل الكتاب، وقول المفسر: (بشرطه) أشار به إلى أن الفرقة تحصل بينهما إذا لم يسلم الآخر في العدة، أما لو أسلم الآخر في العدة فهما على نكاحهما، كما ذكر أهل العلم. =

إسلامكم لها بشرطه، أو اللاحقات بالمشركين مرتدات لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه ﴿وَسۡـَٔلُواْ﴾ اطلبوا ﴿مَآ أَنفَقۡتُمۡ﴾ عليهن من المهور في صورة الارتداد[1] ممن تزوجهن من الكفار ﴿وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ على المهاجرات كما تقدم أنهم يؤتونه ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِۖ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ به ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠﴾.

١١- ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ﴾ أي: واحدة فأكثر منهن، أو شيء من مهورهن بالذهاب[2] ﴿إِلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ مرتدات ﴿فَعَاقَبۡتُمۡ﴾ فغزوتم وغنمتم ﴿فَـَٔاتُواْ

= وكان زوج بنت النبي ﷺ زينب أبا العاص بن الربيع، وكان مشركًا ثم أتى المدينة فأسلم فرد له النبي ﷺ زينب. وكان ذلك بعد ست سنوات، وقيل: سنتين، قال القرطبي نقلًا عن أبي عمر: «يحمل ذلك إما على أن زينب لم تحض، أي: كانت في عدتها، أو نسخ هذا الحكم، أي: الرد على الزوج ولو بعد العدة، كما نقل عن الزهري، وقتادة».

(١) قوله: (في صورة الارتداد). نقل القرطبي: «كان ذلك الحكم مخصوصًا بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة بإجماع المسلمين».اهـ. أي: حكم استرجاع المهر.

(٢) قوله: (بالذهاب). قدره ليتعلق به الجار والمجرور: ﴿إِلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾، ويمكن أن يقال ضمن «فات» معنى: ذهب. ومعنى الآية: إن لحقت امرأة رجلٍ من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله ﷺ أن يُعطَى من الغنيمة مثل ما أنفق. قاله ابن عباس. وروي عن مجاهد نحوه. وعلى هذا يكون معنى ﴿عَاقَبۡتُمۡ﴾: أصبتم مغنمًا كما قال مجاهد. وكما أشار المفسر، ثم قيل: هذا الإعطاء من الغنيمة إذا ذهبت المرأة من المسلمين إلى الكفار الذين ليس بينهم وبين المؤمنين عهد، وأما كفار مكة فكان عليهم أن يدفعوا مهرهن لأزواجهن المؤمنين كما كان في العهد بينهم، وروي ذلك عن مجاهد. وقيل: بل المراد الكفار المشركون، وهم أبوا أن يعطوا مَهْرَ من رجعت إليهم من أزواج المؤمنين، أي: لم يقرّوا بذلك العهد، فأمر الله أن يعوِّض الزوج المسلم بأن يُعطى من الغنيمة ما أنفق من المهر. وروي ذلك عن الزهري، وروي عنه أن المراد بـ﴿عَاقَبۡتُمۡ﴾ العقب الذي بأيديهم أي: صداق نساء الكفار اللاتي آمن فإنه يعطي منه للمؤمن الذي خرجت زوجته إلى الكفار بقدر المهر، ثم يرد الباقي إلى الكفار إن بقي شيء... كما يعلم من ابن جرير.

﴿ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم﴾ من الغنيمة ﴿مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ لفواته عليهم من جهة الكفار ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١﴾ وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإيتاء للكفار والمؤمنين ثم ارتفع هذا الحكم[(١)].

١٢- [(٢)] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾ كما كان يفعل في الجاهلية من وأد البنات، أي: دفنهن أحياء خوف العار والفقر ﴿وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ﴾ أي: بولد ملقوط[(٣)] ينسبنه إلى الزوج، ووصف بصفة الولد الحقيقي، فإن الأم إذا وضعته سقط بين يديها ورجليها ﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي﴾ فعل ﴿مَعۡرُوفٖ﴾ هو ما وافق طاعة الله[(٤)]،

---

(١) قوله: (ثم ارتفع). أي: نسخ هذا الحكم، كما نقلنا عن القرطبي.

(٢) هذه البيعة المذكورة في الآية يعلم من كلام المفسرين ثلاثة مواقع لها:

الأول: ما رواه ابن جرير من رواية أم عطية أنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جمع نساء الأنصار في بيت وأرسل عمر بن الخطاب وقام عند الباب، فأخذ الميثاق منهن.

الثاني: لما فتح رسول الله ﷺ مكة جمع نساء أهل مكة فبايعنه.

الثالث: ما روى البخاري ومسلم عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ كان يمحتن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ ...﴾.

وعلى كل قول: كانت البيعة بالقول، ولم تمس كفه الشريفة يد امرأة قط، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: والله ما مست يده يد امرأة في المبايعة قط، وما يبايعهن إلا بقوله: «قد بايعتك على هذا».اهـ. كما في البخاري [«فتح الباري» (٨/ ٥٠٤)]، وقد أشار إلى ذلك المفسر.

(٣) قوله: (بولد ملقوط...). أي: لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم، قاله ابن عباس. وفسر بذلك ابن جرير وغيره.

(٤) قوله: (هو ما وافق...). كما قال ابن جرير: «ولا يعصينك يا محمد في معروف من أمر الله عَزَّوَجَلَّ تأمرهن به».

كترك النياحة[١] وتمزيق الثياب وجز الشعور وشق الجيب وخمش الوجه ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ فعل ذلك ﷺ بالقول، ولم يصافح واحدة منهن ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٢﴾.

١٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[٢] هم اليهود ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ﴾ من ثوابها مع إيقانهم بها لعنادهم للنبي مع علمهم بصدقه ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾ الكائنون[٣] ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ١٣﴾ أي: المقبورين من خير الآخرة إذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار[٤].

❁❁❁

---

(١) قوله: (كترك النياحة...). أي: على الميت. وروى ذلك عن زيد بن أسلم وغيره. قال زيد بن أسلم: «لا يخدشن وجهًا ولا يشققن جيبًا، ولا يدعون ويلًا، ولا ينشدن شعرًا».اهـ. وكل ذلك كان من عادة الجاهلية، فحرمها الإسلام، وإنما يجوز البكاء فقط.

(٢) ﴿لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا﴾. قال القرطبي: «إن ناسًا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المؤمنين ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم، فنهوا عن ذلك».اهـ. فالمراد بالقوم هنا: اليهود، كما قاله المفسر، وفسر به ابن جرير. وروى عن ابن زيد، وعن الحسن: «هم اليهود والنصارى»، وقال ابن كثير: «اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه».اهـ.

(٣) قوله: (الكائنون). أفاد به أن ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ حال من ﴿ٱلْكُفَّارُ﴾، والمعنى: كما يئس الكفار الذي هم في القبور من كل خير، وهذا المعنى مروي عن ابن مسعود، ومجاهد، وعكرمة، وغيرهم، واختاره ابن جرير.
وقيل: كما يئس الكفار الأحياء، من قراباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك، وأن يرجعوا إليهم بعد ذلك، روي نحوه عن ابن عباس، وقتادة.

(٤) قوله: (إذ تعرض عليهم). كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح من رواية البيهقي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسياق مفصّل.

٦١- سورة الصف

مكية أو مدنية[١]، وآياتها: أربع عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: نزهه، فاللام مزيدة[٢]، وجيء بما دون «من» تغليبًا للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ (١)﴾ في صنعه.

(٢)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ﴾ في طلب الجهاد[٣] ﴿مَا لَا تَفۡعَلُونَ (٢)﴾ إذ انهزمتم بأحد.

---

(١) قوله: (مكية). هذا القول نقله القرطبي عن النحاس، عن ابن عباس.

وقوله: (أو مدنية). نقل القرطبي عن الماوردي: «أنها مدنية في قول الجميع»، وعلى ذلك جرى أكثر المفسرين، كابن جرير، والقرطبي، وابن كثير، وغيرهم.

(٢) قوله: (فاللام مزيدة). تقدم نحو ذلك.

(٣) قوله: (في طلب الجهاد). فيه إشارة إلى سبب نزول هذه الآية، فقد روى ابن جرير، عن ابن عباس وغيره ما حاصله: «أن قومًا من المؤمنين قالوا: والله لو كنا نعلم ما أحب الأعمال إلى الله لعملناه، فعلمهم الله أحب الأعمال أنه إيمان وجهاد، فشق عليهم أمر الجهاد؛ فعاتبهم الله على ذلك بهذه الآية». وفي كلام المفسر إشارة إلى ذلك، ونقل القرطبي عن محمد بن كعب: «لما أخبر الله نبيه ﷺ بثواب شهداء بدر قالت الصحابة: اللهم اشهد لئن لقينا قتالًا لنُفرِغن فيه وسعنا، ففرُّوا يوم أحد، فعيرهم الله بذلك».اهـ.

وإلى هذا أشار المفسر بقوله: (إذ انهزمتم بأحد). وقيل في سبب النزول غير ذلك.

فائدة: هذه الآية مما استدل به على وجوب الوفاء بالوعد، وكونه لازمًا، وهذا القول منسوب إلى المالكية، وأما ما التزمه الإنسان بالنذر فيجب الوفاء به بلا خلاف إن كان قربة، على التفصيل الذي ذكره الفقهاء.

﴿٣﴾- ﴿كَبُرَ﴾ عظم ﴿مَقْتًا﴾ تمييز[(١)] ﴿عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ﴾ فاعل «كَبُرَ»، ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾.

﴿٤﴾-[(٢)] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾ ينصر ويكرم[(٣)] ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ حال، أي: صافين[(٤)] ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ ملزق بعضه إلى بعض ثابت[(٥)].

---

(١) قوله: (تمييز). أي: تمييز محول عن فاعل ﴿كَبُرَ﴾، وهو المصدر المؤول من ﴿أَن تَقُولُواْ﴾، والتقدير: كبر مقتُ قولكم. وهذا إذا لم يكن ﴿كَبُرَ﴾ من باب: نعم وبئس، ويجوز اعتباره كذلك، فيكون فاعل ﴿كَبُرَ﴾ ضميرًا مستترًا فيه، و﴿مَقْتًا﴾ تمييزًا له، والمصدر المؤول من ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ مخصوصًا بالذم، فهو إما مبتدأ مؤخر، والجملة المتقدمة خبر، وإما خبر لمبتدأ محذوف، ومن المعلوم في علم النحو أن أيَّ فعل ثلاثي صالح للمدح أو الذم يجوز استعماله كـ«نعم» و«بئس»، بعد جعله إلى باب «فعُل» بضم العين. أي: فيجوز كون فاعله أحد الأوجه الثلاثة؛ إما اسمًا محلًا بـ«أل» الجنسية أو مضافًا إلى ما فيه «أل» الجنسية، أو ضميرًا مبهمًا يفسره التمييز. ويذكر المخصوص بالمدح أو الذم بعد ذلك.

(٢) لما قال بعض الصحابة: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لعملناه حتى نموت، قال لهم الله هذه الآية.اهـ. ملخصًا من ابن جرير.

(٣) قوله: (ينصر...). فيه تفسير المحبة بثمرتها، وقد تقدم أن مذهب السلف إجراء الصفات على حقيقتها كما يليق به تعالى بدون تأويل ولا تشبيه.

(٤) قوله: (أي: صافين). أفاد أن ﴿صَفًّا﴾ مصدر أريد به اسم الفاعل، فهو حال، ويحتمل كونه مفعولًا مطلقًا لفعل محذوف، أي: يصفون صفًا كما قال القرطبي، فالمصدر يكون على حاله.

(٥) وقوله: (ملزق...). قال البيضاوي: «الرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه».اهـ.

﴿٥﴾-[١] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي﴾ قالوا[٢]: إنه آدر، أي: منتفخ الخصية، وليس كذلك، وكذبوه ﴿وَقَد﴾ للتحقيق[٣] ﴿تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ﴾ الجملة حال[٤]، والرسول يُحْتَرَم ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ عدلوا عن الحق بإيذائه ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ أمَالَها عن الهدى على وفق ما قدره في الأزل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ الكافرين في علمه[٥].

﴿٦﴾- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ لم يقل: يا قوم؛ لأنه لم يكن له فيهم قرابة ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ﴾ قبلي ﴿مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾[٦] قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ جاء أحمدُ

---

(١) لما ذكر الله أمر الجهاد بيّن أن موسى وعيسى عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ أمرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله.اهـ. أفاده القرطبي.

(٢) قوله: (قالوا...). كما تقدم في آخر سورة الأحزاب، وهذا مثال لإيذائهم، وهو أكثر، كما نعلم من مواقفهم مع موسى عَلَيْهِالسَّلَامُ في مواضع.

(٣) قوله: (للتحقيق...). نبه به أن ﴿قَدۡ﴾ هنا للتحقيق وإن دخلت على المضارع؛ لأنها تفيد غالبًا التقليل إذا دخلت على المضارع.

(٤) قوله: (الجملة...). أي: جملة ﴿وَقَد تَّعۡلَمُونَ﴾ في محل نصب حال من الواو في ﴿لِمَ تُؤۡذُونَنِي﴾.

(٥) قوله: (الكافرين). أفاد أن المراد بالفسق هنا الكفر، كما فسر ابن جرير: «والله لا يوفق لإصابة الحق القوم الذين اختاروا الكفر على الإيمان».اهـ.

(٦) ﴿ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾. أحمد من أسماء النبي ﷺ، كما روى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدميّ، وأنا العاقب**».اهـ. [«فتح البخاري» (٨/ ٥٠٩)، مسلم (٤/ ١٨٢٨)].

الكفارَ[١] ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الآيات والعلامات ﴿قَالُواْ هَٰذَا﴾ أي: المجيء به ﴿سِحۡرٞ﴾، وفي قراءة[٢]: «سَٰحِرٌ»، أي: الجائي به ﴿مُّبِينٞ ٦﴾ بين.

٧- ﴿وَمَنۡ﴾ أي: لا أحد[٣] ﴿أَظۡلَمُ﴾ أشد ظلمًا ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ووصف آياته بالسحر ﴿وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧﴾ الكافرين.

٨- ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ﴾ منصوب بـ«أن» مقدرة، واللام مزيدة[٤] ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾ شرعه وبراهينه[٥] ﴿بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ بأقوالهم إنه سحر وشعر وكهانة ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ﴾ مظهر

---

(١) قوله: (جاء أحمد) وقيل: جاء عيسى. ذكرهما القرطبي بدون عزو.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بصيغة اسم الفاعل: ﴿سَٰحِرٌ﴾. والباقون: ﴿سِحۡرٞ﴾.

(٣) قوله: (أي: لا أحد). أفاد أن الاستفهام للنفي. وأشار بقوله: (أشد ظلمًا) أن ﴿أَظۡلَمُ﴾ أفعل التفضيل من الظُّلْمِ.

(٤) قوله: (واللام مزيدة). أي: إعرابًا، ومفيدة للتوكيد معنًى، وقد تقدم أنواع اللام الداخلة في المفعول به، وهي: لام التعدية، ولام التقوية، واللام الزائدة، تقدم بيانها في تفسير سورة النساء الآية (٢٦).

(٥) قوله: (شرعه...). هذا التفسير يوافق ما روي عن السدي من أن المراد بالنور: الإسلام. وروي عن ابن عباس، وابن زيد: «القرآن»، وعن الضحاك: «المراد محمد ﷺ»، نقل القرطبي عن الماوردي سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس: «أبطأ على النبي ﷺ الوحي أربعين يومًا، فقال كعب بن الأشرف: يا معشر اليهود أبشروا، فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه، وما كان ليتم أمره، فحزن رسول الله ﷺ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية».اهـ.

فائدة: قال القرطبي: «الإطفاء: الإخماد، ولكن الفرق بينهما: أن الإطفاء يستعمل في=

﴿نُورَهُۥ﴾ وفي قراءة: بالإضافة[(١)] ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨﴾ ذلك.

٩- ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ﴾ يعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩﴾ ذلك.

١٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم﴾ بالتخفيف والتشديد[(٢)] ﴿مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠﴾ مؤلم، فكأنهم قالوا: نعم.

١١- فقال: ﴿تُؤۡمِنُونَ﴾ تدومون على الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١﴾ أنه خير لكم فافعلوه[(٣)].

١٢- ﴿يَغۡفِرۡ﴾ جواب شرط مقدر[(٤)]، أي: إن تفعلوه يغفر ﴿لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ

= القليل والكثير، والإخماد في الكثير فقط، تقول: أطفأت السراج، ولا يقال: أخمدته».اهـ. ملخصًا، وقد تقدم نظير هذه الآية وما بعدها في سورة التوبة (٣٢-٣٣).

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن كثير، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: بإضافة ﴿مُتِمُّ﴾، والباقون: بالتنوين، ونصب ﴿نُورَهُۥ﴾.

(٢) قوله: (بالتخفيف...). قرأ ابن عامر: بالتشديد: ﴿تُنَجِّيكُمۡ﴾ من باب التفعيل. والباقون: بالتخفيف من باب الإفعال: ﴿تُنجِيكُم﴾.

نقل القرطبي عن مقاتل: «نزلت هذه الآية في عثمان بن مظعون لما استأذن التبتل عن الدنيا بطلاق زوجته وقيام الليل كاملًا وصيام كل النهار، فعلمه النبي ﷺ أنه لا رهبانية في الإسلام، وإنما الرهبانية الجهاد، والخصاء: الصوم».اهـ. ملخصًا، وإطلاق التجارة يكون استعارة. والله أعلم.

(٣) قوله: (فافعلوه). قدره ليكون جواب الشرط ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

(٤) قوله: (جواب شرط مقدر). هذا أحد الأوجه في الإعراب. نقله الدرويش عن أبي البقاء. والوجه الثاني: أنه جواب لـ﴿تُؤۡمِنُونَ﴾؛ لأنه بمعنى: آمنوا، كما قاله القرطبي وغيره. وقيل: =

﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٍۚ﴾ إقامة ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾.

(١٣) - ﴿وَ﴾ يؤتكم نعمة[١] ﴿أُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ بالنصر والفتح.

(١٤) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارًا لِلَّهِ﴾ لدينه، وفي قراءة[٢]: بالإضافة ﴿كَمَا﴾ الخ. المعنى[٣]: كما كان الحواريون كذلك الدال عليه، ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي: من الأنصار الذين يكونون معي متوجهًا إلى نصرة الله ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ والحواريون: أصفياء عيسى، وهم أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلًا من الحَوْر، وهو البياض الخالص. وقيل: كانوا قصارين

= هو جواب لما دل عليه الاستفهام، أي: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ﴾، فكأن المعنى: هل تقبلون إن دللتكم... نقله عن أبي البقاء الدرويش أيضًا.

(١) قوله: (ويؤتكم...). بهذا التقدير يكون ﴿أُخۡرَىٰ﴾ مفعولًا به ثانيًا، أي: نعتًا للمفعول الثاني لهذا الفعل المقدر، ويجوز كونه مبتدأ بتقدير خبر، أي: ولكم نعمة أخرى، والفتح القريب: عن ابن عباس: «فتح فارس والروم»، وقيل: فتح مكة، وقيل: غنيمة عاجلة. ذكرها القرطبي.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: ﴿أَنصَارًا لِلَّهِ﴾: بتنوين ﴿أَنصَارًا﴾. والباقون: بإضافته: ﴿أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾.

(٣) قوله: (المعنى...). يتضح من هذا أن الكاف في ﴿كَمَا قَالَ﴾ للتنظير، ويكون قوله: ﴿كَمَا قَالَ﴾ ابتداء كلام من الله. وهذا المعنى مستفاد من كلام الزمخشري، قال: «والمراد كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم: من أنصاري إلى الله».اهـ. وقيل: في الكلام تقدير: أي: قل لهم يا محمد: كونوا أنصار الله... كما قال عيسى... وعلى هذا تكون الكاف للتنظير أيضًا. وتقدم ذكر الحواريين في آل عمران والمائدة.

يُحوِّرون الثياب، أي: يبيضونها ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسى، وقالوا: إنه عبد الله رفع إلى السماء ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ﴾ لقولهم: إنه ابن الله رفعه إليه، فاقتتلت الطائفتان ﴿فَأَيَّدۡنَا﴾ قوينا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من الطائفتين ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ﴾ الطائفة الكافرة[1] ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾ غالبين.

❁❁❁

(١) قوله: (الطائفة الكافرة). ظاهر كلامه يدل أن المراد: أيدوا في زمانهم قبل الإسلام، وهذا يوافق ما نقله القرطبي عن مجاهد، قال: «أُيِّدوا في زمانهم على من كفر بعيسى»، وروى ابن جرير عن إبراهيم النخعي، قال: «لما بعث الله محمدًا ﷺ ونزل تصديق من آمن بعيسى أصبحت حجة من آمن به ظاهرة».اهـ. ونقل القرطبي نحوه عن ابن عباس، وعلى هذا يكون المراد بتأييدهم: إظهار محمد ﷺ ببيان الحق والحجة. والله أعلم.

٦٢- سورة الجمعة

مدنية[١]، وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ ينزهه، فاللام زائدة[٢] ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في ذكر «مَا» تغليب للأكثر ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾ المنزه عما لا يليق به ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (١)﴾ في ملكه وصنعه.

(٢)- ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ العرب[٣]، والأمي: من لا يكتب ولا يقرأ كتابًا ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن[٤] ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف[٥]، أي: وإنهم ﴿كَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢)﴾ بيّن.

---

(١) قوله: (مدنية). قال القرطبي: «في قول الجميع».

(٢) قوله: (فاللام زائدة). وقد تقدم.

(٣) قوله: (العرب). وبه فسر ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. وتقدم لفظ الأمي في الأعراف (١٥٧).

(٤) قوله: (القرآن). هذا التفسير المشهور، وبه فسر ابن جرير وغيره. لكن نقل القرطبي عن ابن عباس: «المراد بالكتاب: الخط بالقلم؛ لأن الخط فشا في العرب بالشرع لما أمِروا بتقييده بالخط».اهـ.

(٥) قوله: (واسمها محذوف). تقدم نظير ذلك، وأن الأولى كون ﴿إِن﴾ مهملة؛ لأن إهمال المخففة أولى وهو أكثر من إعمالها كما ذكر ابن مالك. وإذا كانت مهملة فلا يحتاج إلى تقدير الاسم والخبر. و﴿قَبْلُ﴾ مبني على الضم لحذف المضاف إليه مع نيّة معناه. وهو هنا في محل جرّ بـ«من»، كما هو واضح.

(٣)- ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ عطف على «ٱلْأُمِّيِّـۧنَ»(١)، أي: الموجودين ﴿مِنْهُمْ﴾ والآتين منهم بعدهم ﴿لَمَّا﴾ لم(٢) ﴿يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ في السابقة والفضل ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣)﴾ في ملكه وصنعه، وهم التابعون، والاقتصار عليهم(٣) كاف في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي ﷺ على من عداهم ممن بعث إليهم وآمنوا به من جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة؛ لأن كل قرن خير ممن يليه.

(٤)- ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ النبي ومن ذكر معه ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (٤)﴾.

---

(١) قوله: (عطف على ﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾). أي: فالمعنى: بعث محمدًا ﷺ في الأميين وآخرين... إلخ. والمراد بالآخرين: بينه المفسر بقوله: (وهم التابعون). وهذا القول عزاه القرطبي إلى عكرمة، وعن ابن عمر، وابن جبير: «هم العجم»، واختاره ابن كثير لما روي في «الصحيحين» عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة... ولما قرأ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ ...﴾ قالوا: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثًا، وفينا سلمان الفارسي، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان الفارسي ثم قال: «**لو كان الإيمان عند الثريا لنال رجال -أو رجل- من هؤلاء**».اهـ. [«فتح البخاري» (٨/ ٥١٠)، مسلم (٤/ ١٩٧٢)]. وعن مجاهد: «هم كل الناس»، واختاره ابن جرير؛ ففيه دليل على بعثة النبي ﷺ إلى الناس كلهم.

(٢) وقول المفسر: (لم). أفاد أن ﴿لَمَّا﴾ هنا جازمة، والفعل ﴿يَلْحَقُواْ﴾ مجزوم بحذف النون. وقد سبق بيان الفرق بين «لم» و«لما»، وقد أوضحنا وجه الاتفاق والافتراق بينهما في «الثلاثيات».

(٣) وقوله: (والاقتصار عليهم). أي: على ذكر التابعين، يعني: أن الآية تدل بدلالة الإشارة على فضل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

٥- ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ كُلِّفوا العمل بها[١] ﴿ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾ لم يعملوا بما فيها من نعته ﷺ فلم يؤمنوا به ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾[٢] أي: كتبًا في عدم انتفاعه بها[٣] ﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ المصدقة للنبي ﷺ، والمخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾ الكافرين.

٦-[٤] ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦﴾ تعلق بـ«فَتَمَنَّوُاْ» الشرطان[٥] على أن الأول قيد في الثاني،

---

(١) قوله: (كلِّفوا...). وبه فسر ابن عباس. وعن الجرجاني: «هو من الحمالة أي: الكفالة، أي: ضمّنوا أحكام التوراة». اهـ. نقله القرطبي. والمآل واحد.

(٢) ﴿يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾. الجملة في محل نصب حال من الحمار، ويجوز كونها في محل جر نعتًا لحمار؛ لأن «أل» في ﴿ٱلۡحِمَارِ﴾ جنسية. وإذا كانت جنسية جاز إعراب الجملة حالًا أو نعتًا، وقد ذكرنا هذه المسائل في كتاب «الاستثناءات»، وذكرنا بعض الفوائد المتعلقة بهذه القاعدة هناك.

(٣) قوله: (في عدم انتفاعه...). إشارة إلى وجه الشبه، وهذا التشبيه من التشبيه المركب كما ذكره البلاغيون، وهو من التشبيهات القرآنية الرائعة.

(٤) لما قالت اليهود ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ كما تقدم في المائدة (١٨)، قال الله تعالى: ﴿إِن زَعَمۡتُمۡ...﴾ الآية. وقد مضى مثل هذه الآية في سورة البقرة: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ...﴾ الآية (٩٤)، وفي هذا إخبار بالغيب ومعجزة للنبي ﷺ كما نبه على ذلك القرطبي.

(٥) وقوله: (الشرطان). وهما: الأول ﴿إِن زَعَمۡتُمۡ﴾، والثاني ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦﴾. وقد تقدم نظير هذه العبارة في تفسير الآية (٩٤) من سورة البقرة، وفيها رواه ابن جرير في تفسير تلك الآية من سورة البقرة: «**ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار**». اهـ. وكذا أورد ابن كثير روايات مختلفة عن ابن عباس بهذا المعنى.

أي: إن صدقتم في زعمكم أنكم أولياء لله، والولي يؤثر الآخرة ومبدؤها الموت فتمنوه.

(٧) - ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ (٧)﴾ الكافرين.

(٨) - ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ﴾ الفاء زائدة[١] ﴿مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ

(١) قوله: (زائدة). أي: للتوكيد. وذلك أنه لما كان في اسم «إن» معنى العموم أشبه الشرط، فجاز دخول الفاء في الخبر كما تدخل الفاء في جواب الشرط، فالمسند إليه سواء كان مبتدأ أم اسمًا لناسخ إذا كان فيه عموم جاز ذلك، تقول: من يأتيني فله درهم. «من» هنا اسم موصول مبتدأ خبره جملة «فله درهم»، ودخلها الفاء، كما تقول: من يأتني فله درهم، «من» اسم الشرط جازم مبتدأ، وخبرها: جملة الشرط، والجواب: «فله درهم»، دخلت الفاء بها وجوبًا، وبين الصورتين -أعني كون «من» موصولة أو شرطية، فروق نحوية وأصولية فحقِّقها.

وخلاصة ذلك: إذاكانت «من» موصولة: فهي في محل رفع مبتدأ، والفعل «يأتي» مرفوع، وجملة «يأتيني» صلة الموصول ليس لها محل من الإعراب، وجملة «فله درهم»، في محل رفع خبر، والفاء هنا جائزة وليست واجبة، و«من» الموصولة لا عمل لها، إلا أنها رفعت الخبر لكونها مبتدأ.

أما إذا كانت «من» شرطية، فهي في محل رفع مبتدأ، كالموصولة، ولكنها عملت الجزم لفعل الشرط وجوابه، وجملة «يأتني» في محل رفع خبر، والمضارع «يأتِ»: مجزوم، وجملة «فله درهم» في محل جزم. والفاء هنا لازمة، لابد منها، وهذه المقارنة بينهما نحويًّا.

أما بلاغيًّا أو أصوليًّا فإن «من» الشرطية من أدوات العموم نصًّا، لا تحتمل غيره، وأما الموصولة فهي ليست نصًّا في العموم بل تأتي للعموم وغيره، والاسم الموصول كالمحلّى بـ«أل» المعرفة والمضاف، قد يراد به المعهود المعين، وقد يراد به الجنس، وقد يراد به الاستغراق، وإن كان للاستغراق فهو العموم، وعلى هذا من حلف وقال: والله من يأتني فله درهم، بـ«من» الشرطية، لزمه إعطاء درهم لكل آتٍ، وإلا حنث، ولو كان ذلك بـ«من» الموصولة، فيمكن أن يريد به معينًا فيكفيه أن يعطي لواحدٍ فقط. والله أعلم.

تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ السر والعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨﴾ فيجازيكم به.

٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن﴾ بمعنى: في ﴿يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ﴾ فامضوا(١) ﴿إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: الصلاة(٢) ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ أي: اتركوا عقده ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ أنه خير فافعلوه(٣).

١٠- ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أمر إباحة(٤) ﴿وَٱبۡتَغُواْ﴾ اطلبوا الرزق ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ ذكرًا ﴿كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾

---

(١) قوله: (فامضوا). أفاد به أن المراد بالسعي هنا المضي، وليس الإسراع والكرّ، روى ابن جرير عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأسانيد أنه كان يقرأ ﴿فَامْضُواْ﴾، وعن ابن مسعود القراءة كذلك، ذكره القرطبي. وفسر السعي هنا بأن المراد: العمل، وعزاه القرطبي إلى الجمهور، وقيل: المراد: القصد. قاله الحسن. روى ابن جرير عن أبي مالك كان بعض الصحابة يشتغلون بالبيع والشراء في بقيع الزبير إذا نودي للصلاة يوم الجمعة؛ فنزلت الآية.اهـ. وبقيع الزبير موضع بالمدينة غير بقيع الغرقد. [«معجم البلدان»].

(٢) قوله: (أي: الصلاة). وبها فسر القرطبي، وقيل: المراد الخطبة. روي عن الحسن.

فائدة: الأمر في ﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾ للوجوب، بالنسبة إلى من تلزمه الجمعة، وهو الذكر الحر البالغ غير المسافر والمريض، وكذا النهي للبيع هنا للتحريم. ولكن هل يفسد البيع؟ فيه خلاف فقهي، عند الجمهور يصح مع الإثم؛ لأن النهي هنا ليس لذات البيع، أي: ليس لإخلال ركن أو شرط له، ولا لأمر مختص به، بل لأمرٍ مباين عنه وهو إهمال الجمعة، فالنهي في مثل هذه الصورة لا يقتضي الفساد، خلافًا للحنابلة، فالبيع يفسد عندهم؛ لأن النهي يقتضي الفساد في الأحوال الثلاثة عندهم. والتفصيل مذكور في كتب الأصول.

(٣) قوله: (فافعلوه). قدره ليكون جواب الشرط.

(٤) قوله: (أمر إباحة). وذلك لأن الأمر بالشيء إذا ورد بعد النهي عنه يقتضي الإباحة عند جمهور الأصوليين، وتقدمُ النهي قرينة صارفة عن الوجوب، وفي المسألة أقوال أخرى.

تفوزون، كان ﷺ(١) يخطب يوم الجمعة، فقدمت عِيرٌ وضُرب لقدومها الطبل على العادة، فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلًا؛ فنزلت:

(١١)- ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ أي: التجارة؛ لأنها مطلوبهم دون اللهو ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ في الخطبة ﴿قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيۡرٞ﴾ للذين آمنوا ﴿مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾ يقال(٢): كل إنسان يرزق عائلته، أي: من رزق الله تعالى.

❁❁❁

(١) قوله: (كان ﷺ...). دخول إلى الآية التالية، وبيان لسبب نزولها. وهذا السبب في نزول الآية مروي في «الصحيحين» وغيرهما. والعير: كان لدحية الكلبي قبل أن يسلم، ذكره ابن كثير، وورد في عدة روايات نقلها القرطبي وغيره. ونقل عن الكلبي: «أنه كان عام مجاعة وغلاء»، ونقل عن مراسيل أبي داود أن الخطبة كانت بعد الصلاة، والانصراف لم يكن محرّمًا، ثم بعد هذه القصة جعلت الخطبة قبل الصلاة ونهي عن الانصراف.اهـ. ملخصًا. وفي عدد الباقين معه ﷺ اختلاف؛ الأشهر أنهم اثنا عشر رجلًا، وسماهم القرطبي، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد، وبلال، وعبدالله بن مسعود، وفي بعض الروايات: عمار بن ياسر بدل ابن مسعود، وفي أخرى: كان معهم جابر، فيكونون ثلاثة عشر.

واللهو: فسر بالطبل في قول مجاهد. وقيل: الخروج إلى التجارة، سمي باللهو وإن كان جائزًا؛ لإعراضه عن الخطبة، كما يعلم من القرطبي.

(٢) قوله: (يقال...). أفاد به وجه إطلاق التفضيل على الله سبحانه، أي: خير الرازقين.

فائدة: عدد انعقاد الجمعة محل خلاف، فعند الشافعية والحنابلة لا تصح إلا بأربعين من أهلها. وعند الحنفية تصح الجمعة بثلاثة رجال سوى الإمام، وعند المالكية باثني عشر رجلًا سوى الإمام.

٦٣- سورة المنافقون

مدنية[(١)]، وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)-[(٢)] ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ﴾ بألسنتهم على خلاف ما في قلوبهم ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعلم ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ (١)﴾ فيما أضمروه مخالفًا لما قالوا[(٣)].

(٢)- ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ سترة على أموالهم ودمائهم ﴿فَصَدُّواْ﴾ بها ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: عن الجهاد فيهم[(٤)] ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٢)﴾.

---

(١) قوله: (مدنية). بلا خلاف.

(٢) روى البخاري في سبب نزول هذه الآيات عن زيد بن أرقم أنه كان مع عمه أي: في بعض الأسفار، فسمع عبدالله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا. وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكر ذلك لعمه، وذكر عمه ذلك لرسول الله ﷺ، فأرسل إلى ابن أبيّ وأصحابه، فحلفوا أنهم ما قالوا ذلك، فصدقهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله تصديق زيد بن أرقم وتكذيب المنافقين بهذه الآيات.اهـ. ملخصًا. [البخاري في تفسير هذه السورة].

(٣) قوله: (فيما أضمروه). ظاهره: أن التكذيب هنا لمخالفة قولهم لما في قلوبهم، والظاهر أنه ليس مرادًا؛ لأن الجمهور على أن الكذب مخالفة القول للواقع، ولو وافق ما في القلب، والتكذيب هنا في شهادتهم؛ لأن شهادتهم لم توافق الواقع، وقد ذهب النظام -وهو من أئمة المعتزلة- أن الكذب هو مخالفة القول لما في القلب، ولو وافق الواقع، واستدل بظاهر هذه الآية، فرد عليه الجمهور بأن التكذيب هنا لشهادتهم؛ لأن الشهادة لم توافق الواقع، وقد كذبوا في قولهم: إنا نشهد. والمسألة مفصلة في كتب البلاغة والأصول.

(٤) قوله: (عن الجهاد فيهم). كما تقدم في سورة المجادلة (١٦).

﴿٣﴾- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: سوء عملهم ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بالقلب[(١)]، أي: استمروا على كفرهم به ﴿فَطُبِعَ﴾ ختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ الإيمان.

﴿٤﴾- ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لجمالها[(٢)] ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحته ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ من عظم أجسامهم في ترك التفهم[(٣)] ﴿خُشُبٌ﴾ بسكون الشين وضمها[(٤)] ﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾ ممالة إلى الجدار ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ تصاح كنداءٍ في العسكر وإنشاد ضالة ﴿عَلَيْهِمْ﴾[(٥)] لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل

---

(١) قوله: (بالقلب). وبمثله فسر ابن جرير. وعلى هذا تكون ﴿ثُمَّ﴾ في ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ للترتيب الذكري، لا للترتيب الزمانيّ؛ لأنهم لم يزالوا في كفرهم، كما أشار إلى ذلك المفسر بقوله: (أي: استمروا على كفرهم به)، وقال القرطبي: «قيل: هذه الآية نزلت في قوم ارتدوا بعد الإيمان»، وعلى هذا تكون ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الزماني. وهذا الوجه بعيد؛ لأن الآية في المنافقين، والله أعلم.

(٢) قوله: (لجمالها). نقل القرطبي عن ابن عباس: «كان عبدالله بن أبيّ وسيمًا جسيمًا صحيحًا صبيحًا ذلِقَ اللسان، وإذا قال سمع النبي ﷺ مقالته».اهـ. عن الكلبي: «المراد ابن أبيّ وجدّ بن قيس ومُعتَّب بن قشير كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة».اهـ.

(٣) قوله: (في ترك التفهم). هذا بيان لوجه الشبه، في هذا التشبيه البديع. وذكر نحوه القرطبي.

(٤) قوله: (بسكون...). قرأ بسكون الشين: أبو عمرو، والكسائي، وقنبل. وبضمها: الباقون. والخُشْبُ -بسكون الشين-: جمع خشبة، نحو: بدَنة وبُدْن، وأما بالضم ﴿خُشُبٌ﴾ فكذلك جمعُ خشبةٍ، كما يظهر من «المصباح»، أو جمع خِشابٍ جمع خشبة، كما يقال: ثمرة وثمار وثمُر. ذكره القرطبي.

(٥) قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ﴾. الجار والمجرور مفعول ثان لـ﴿يَحْسَبُونَ﴾، وجملة ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ مستأنفة، والفاء في ﴿فَٱحْذَرْهُمْ﴾ الفاء الفصيحة.

فيهم ما يبيح دماءهم ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ فإنهم يفشون سرك للكفار ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أهلكهم[(١)] ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان.

﴿٥﴾ -[(٢)] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟﴾ معتذرين ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟﴾ بالتشديد والتخفيف[(٣)]، عطفوا ﴿رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون عن ذلك ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾.

﴿٦﴾ - ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾[(٤)] استُغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾.

﴿٧﴾ - ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم من الأنصار ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ من المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ يتفرقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بالرزق، فهو الرازق للمهاجرين وغيرهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾.

---

(١) قوله: (أهلكهم). وبمثله فسر ابن عباس، قال: «لعنهم الله».اهـ. وهي كلمة ذم وتوبيخ. قاله القرطبي.

(٢) نقل القرطبي عن ابن عباس ما حاصله: «أنه لما نزل القرآن بصفتهم أمرهم بعض قبائلهم بالاستغفار وطلب الاستغفار من رسول الله ﷺ فلوّوا رؤوسهم، أي: حركوها استهزاءً».اهـ.

(٣) قوله: (بالتشديد...). قرأ نافع، ورَوح: ﴿لَوَوْا۟﴾: بالتخفيف، من الثلاثي المجرد. والباقون: بالتشديد من الثلاثي المزيد.

(٤) ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ...﴾. إعراب هذه الآية كما سبق في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦]، فـ﴿سَوَآءٌ﴾: مصدر بمعنى: اسم الفاعل، أي: مستوٍ، وهو خبر مقدم، وجملة ﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾ في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، وأول الفعل مصدرًا بدون حرف مصدري، فالمسوغ للتأويل بالمصدر معنويّ.

(٨)- ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾ من غزوة المصطلق[١] ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ﴾ عنوا به أنفسهم ﴿مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ عنوا به المؤمنين ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ الغلبة[٢]

---

(١) قوله: (من غزوة بني المصطلق). إشارة إلى سبب نزول هذه الآيات في المنافقين وعلى رأسهم عبدالله بن أبيّ، وقد ذكر ابن كثير وغيره هذه القصة مفصلة من طرق متعددة، ومما نقل عن ابن إسحٰق: في غزوة بني المصطلق اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري -وكان أجيرًا لعمر بن الخطاب- وسنان بن وبر وكان من الأنصار، فاقتتلا على ماء، فقال سنان: يا للأنصار، وقال الجهجاه: يا للمهاجرين، فلما سمع ذلك عبدالله بن أبي قال: ثاورونا في بلادنا -يعني المهاجرين- وما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سمّن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وخاطب الأنصار فقال: لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها، وسمع ذلك زيد بن أرقم فبلغ ذلك إلى رسول الله ﷺ، فلما علم بذلك عبدالله بن أبيّ أتى إلى رسول الله ﷺ واعتذر وأنكر ما قاله حالفًا، وفي ذلك نزلت الآية.

وفي بعض الروايات: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استأذن بضرب عنقه فقال ﷺ: «**دعْه، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**».اهـ. ملخصًا، وغزوة بني المصطلق -كما قال أهل السيرة- وقعت في السنة الخامسة أو السادسة، وتسمى غزوة المريسيع، وهو اسم ماءٍ، ولم يكن بينهم قتال، إلا رمي بالسهام في وقت يسير، وهزم المشركون، وغنم المسلمون، وكان من السبايا: جويرية أم المؤمنين، فلما تزوجها رسول الله ﷺ أطلق المؤمنون أسراهم؛ لمكانة المصاهرة بالنبي ﷺ، فأسلمت بنو المصطلق.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ في هذه الآية شاهد على ما يسمى بالقول بالموجب، وهو أحد وجوه القوادح المذكورة في أصول الفقه، وذكر ذلك البلاغيون أيضًا على وجه قريب مما ذكره الأصوليون، وهو عند الأصوليين: تسليم الدليل مع بقاء النزاع. وعند البلاغيين: أن يقع في كلام المتكلم وصف لموصوفٍ وحكم مترتب على ذلك الوصف، فينقل السامع ذلك الوصف إلى موصوف آخر بدون تعرض للحكم، فالمنافقون أثبتوا لأنفسهم وصفًا -على زعمهم- وهو العزة، ورتبوا على ذلك حكمًا وهو الإخراج، فنقل ذلك الوصف إلى موصوف آخر، وهو الله ورسوله والمؤمنون.

﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ ذلك.

٩- [١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ﴾ تشغلكم ﴿أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ الصلوات الخمس[٢] ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾.

١٠- ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ في الزكاة[٣] ﴿مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ﴾ بمعنى: هلا[٤]، أو «لا» زائدة[٥]، و«لو» للتمني ﴿أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الصاد، أتصدق بالزكاة ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾ بأن أحج، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: «ما قصر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت».

١١- ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ بالتاء والياء[٦].

❁❁❁

(١) هذه الآية فيها تحذير المؤمنين عن أخلاق المنافقين. أفاده القرطبي.

(٢) قوله: (الصلوات الخمس). روي ذلك عن الضحاك، وروي عن الحسن: «جميع الفرائض».

(٣) قوله: (في الزكاة). وهذا التفسير وكذا تفسير ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾ بالحج مأخوذ من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا الآتي ذكره، والحديث رواه الترمذي في تفسير هذه الآية، ورواه ابن جرير. وروي نحوه عن الضحاك، روى ابن جرير عنه قال: «هو الرجل المؤمن نزل به الموت وله مال كثير لم يزكّه، ولم يحج منه، ولم يعط منه حق الله يسأل الرجعة عند الموت فيزكي ماله، قال تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾». اهـ.

(٤) قوله: (بمعنى: هلا). أي: فتكون ﴿لَوۡلَآ﴾ حرف تحضيض يتضمن معنى الاستفهام.

(٥) وقوله: (أو «لا» زائدة...). أي: فتكون «لو» حرف تمنّ، كما قال، وذكر الوجهين القرطبي.

(٦) قوله: (بالتاء والياء). قرأ شعبة بالياء. والباقون: بالتاء.

٦٤- سورة التغابن

مكية أو مدنية[١]، وآياتها ثماني عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ينزهه، فاللام زائدة[٢]، وأتى بـ«مَا» دون «من» تغليبًا للأكثر ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾.

(٢)- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ في أصل الخلقة[٣]، ثم يميتكم ويعيدكم على ذلك ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢)﴾.

(٣)- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال[٤] ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٣)﴾.

---

(١) قوله: (مكية). هذا القول عزاه القرطبي إلى الضحاك، وقال القرطبي: «هي مدنية في قول الأكثرين»، وعن الكلبي: «هي مكية ومدنية»، وعن ابن عباس: «أن سورة التغابن نزلت بمكة إلا آيات من آخرها نزلت في المدينة في عوف بن مالك الأشجعي، شكا إلى الرسول ﷺ جفاء أهله وولده، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ ...﴾ الآية».اهـ.

الخلاصة: الأقوال ثلاثة.

(٢) قوله: (فاللام زائدة) كما تقدم أكثر من مرة.

(٣) قوله: (في أصل الخلقة). نقل القرطبي عن ابن عباس، قال: «إن الله خلق بني آدم مؤمنًا وكافرًا، ويعيدهم في يوم القيامة مؤمنًا وكافرًا».اهـ. وإلى هذا أشار المفسر.

(٤) قوله: (إذ جعل شكل الآدمي...). ظاهره أن المراد بضمير الخطاب جميع الناس، وعن ابن عباس، ومقاتل: «المراد آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خلقه بيده كرامة له».اهـ. قال القرطبي: «فإن قيل: كيف أحسن صورهم؟ قيل له: جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهى صورة، بدليل =

﴿٤﴾- ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

﴿٥﴾- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا كفار مكة[1] ﴿نَبَؤُا۟﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عاقبة الكفر في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾ مؤلم.

﴿٦﴾- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ ضمير الشأن ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الحجج الظاهرات على الإيمان ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ﴾ أريد به الجنس[2] ﴿يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ﴾ عن الإيمان ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ﴾ عن إيمانهم ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾ محمود في أفعاله[3].

= أن الإنسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور، ومن حسن صورته أنه خلق منتصبًا غير منكبّ، كما قال تعالى عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]».

(١) قوله: (يا كفار مكة). أي: الخطاب لقريش، كما ذكره ابن جرير، والقرطبي وغيرهما. و﴿قَبْلُ﴾ مبني على الضم لحذف المضاف إليه، ونية معناه وهو في محل جرّ بـ﴿مِن﴾، كما تقدم نظائره.

(٢) قوله: (أريد به الجنس). أي: بدليل جمع الضمير في ﴿يَهْدُونَنَا﴾، و﴿بَشَرٌ﴾: مبتدأ، وجاز الابتداء بالنكرة لدخول الاستفهام عليه، وقيل: فاعل لفعل محذوف، تقديره: أيهدي بشر. وذلك لأن الهمزة الاستفهامية يكثر دخولها على الفعل، وليس من باب الاشتغال؛ لأن الفعل لم يعمل النصب في ضمير الاسم السابق، كما هو واضح.

(٣) قوله: (محمود...). أشار إلى أن ﴿حَمِيدٌ﴾ فعيل بمعنى: اسم المفعول. وإن صح كونه بمعنى: اسم الفاعل لكن الأنسب لـ﴿غَنِىٌّ﴾ كونه بمعنى: اسم المفعول. وراجع سورة لقمان الآية (٢٦)، فهناك كلام يتعلق بهذا اللفظ.

(٧)- ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن﴾ مخففة[١]، واسمها محذوف، أي: أنهم[٢] ﴿لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾.

(٨)- ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ﴾ القرآن[٣] ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨﴾.

(٩)- اذكر ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾ يوم القيامة ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ يغبن المؤمنون الكافرين[٤] بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنة لو آمنوا ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ﴾ وفي قراءة[٥]: «نُكَفِّرْ»، «وَنُدْخِلْهُ» بالنون

---

(١) قوله: (مخففة). أي: من الثقيلة.

(٢) وقوله: (أي: إنهم...). توضيح لمعنى اسمها، وإلا فالاسم هو ضمير الشأن، وقل مجيئه غير ضمير الشأن، وجملة ﴿لَّن يُبۡعَثُواْۚ﴾ في محل رفع خبر ﴿أَن﴾.

فائدة: هذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله أن يحلف بربه: الأولى في يونس قوله تعالى: ﴿۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣﴾ [الآية: ٥٣]، والثانية في السبأ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾ [الآية: ٣]، والثالثة هي هذه. فهي في ثلاث آيات. أفاده ابن كثير، وقد نبهنا على ذلك فيما تقدم.

(٣) قوله: (القرآن). كما فسر به ابن جرير وغيره.

(٤) قوله: (يغبن المؤمنون...). ﴿ٱلتَّغَابُنِۗ﴾: تفاعل من الغبن، وحقيقته في البيع، يقال: غبنتُ فلانًا إذا بايعته أو شاريته فكان النقص عليه والغلبة لك؛ فأهل الجنة اشتروا الآخرة بالدنيا، وأهل النار بعكس ذلك، فكان الغلبة لأهل الجنة، كما يعلم من القرطبي، روى ابن جرير عن مجاهد، وقتادة في تفسير ﴿ٱلتَّغَابُنِۗ﴾: «هو غبنُ أهل الجنة أهل النار».اهـ. ويوم التغابن من أسماء يوم القيامة، عظمه وحذره عباده. قاله ابن عباس، وكذلك: يوم الجمع.

(٥) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: بالياء. والباقون: بالنون في الفعلين.

في الفعلين ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٩﴾.

١٠- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ القرآن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٠﴾ هي[1].

١١- ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ بقضائه ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ في قوله: إن المصيبة بقضائه ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ﴾ للصبر عليها[2] ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ١١﴾.

١٢- ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ١٢﴾ البيّن.

١٣- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٣﴾.

١٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ﴾ أن تطيعوهم في التخلف عن الخير، كالجهاد والهجرة[3]، فإن سبب نزول الآية

---

(١) قوله: (هي). قدره ليكون مخصوصًا بالذم.

(٢) قوله: (للصبر عليها). وبنحوه فسر ابن جرير، ورواه عن ابن عباس وغيره. قال ابن جرير: «ومن يصدّق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه، يقول: يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه».اهـ.

وعن ابن عباس: «يعني: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه».اهـ. والتفسيران متقاربان، وهما موافقان لأول الآية كما هو واضح.

(٣) قوله: (كالجهاد والهجرة). فيه إشارة إلى سبب النزول كما قاله. فقد نقل القرطبي عن ابن عباس: «نزلت هذه الآية بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي شكا إلى النبي ﷺ جفاء أهله وولده؛ فنزلت».اهـ. وفي رواية ابن جرير، عن عطاء بن يسار، قال: «نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولدٍ، وكان إذا أراد الغزوَ بكوا إليه ورقّقوه، =

الإطاعة في ذلك ﴿وَإِن تَعۡفُواْ﴾[(١)] عنهم في تثبيطهم إياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم ﴿وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾.

١٥- ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ لكم شاغلة عن أمور الآخرة ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾ فلا تفوِّتوه باشتغالكم بالأموال والأولاد.

١٦- ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ ناسخة[(٢)] لقوله: «ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ» [آل عمران: ١٠٢]، ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ ما أمرتم به سماع قبول ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ الله ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ في الطاعة ﴿خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ﴾ خبر يكن مقدرة جواب الأمر[(٣)] ﴿وَمَن يُوقَ

= فقالوا: إلى مَن تدَعُنا، فيرق ويقيم». اهـ. وروى عن ابن عباس أيضًا في هذه الآية، قال: «هؤلاء رجال أسلموا -من أهل مكة- وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدَعوهم أن يأتوا النبي ﷺ، فلما أتوا النبي ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم -أي: أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم الذين كانوا منعوهم من إتيان النبي ﷺ-؛ فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ...﴾ الآيات». اهـ. وفي كلام المفسر إشارة إلى كلا القولين في سبب النزول.

(١) ﴿وَإِن تَعۡفُواْ﴾. العفو: المحو، والصفح: الإعراض، والغفر: الستر، وكلها متقاربة، والجمع بينها لزيادة التوكيد والترغيب، كما ذكر البلاغيون.

(٢) قوله: (ناسخة). هذا القول مرويّ عن قتادة، والربيع بن أنس، والسدي، وابن زيد، كما في القرطبي. وعن ابن عباس: «ليست ناسخة، ولكن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أن يجاهد لله حق جهاده ولا يأخذهم بالله لومة لائم، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم أو آبائهم وأبنائهم». اهـ. واختار ابن جرير أنها ليست ناسخة، وقال: «يحتمل كون المعنى: اتقوا الله حق تقاته فيما استطعتم». اهـ. أي: كأن هذه الآية مقيدة ومفسرة لتلك الآية، والله أعلم.

(٣) قوله: (خبر يكن). أي: ﴿خَيۡرٗا﴾ منصوب على أنه خبر «يكن» المقدر، واسمه ضمير مستتر فيه، وهذا الإعراب معزو إلى أبي عبيدة، كما في «إعراب القرآن» للدرويش، =

شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾[١] الفائزون.

١٧- ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن تتصدقوا عن طيب قلب[٢] ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ وفي قراءة[٣]: «يُضَعِّفْهُ» بالتشديد، بالواحدة عشرًا إلى سبعمائة وأكثر[٤] ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما يشاء ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ مجازٍ على الطاعة[٥] ﴿حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ في العقاب على المعصية.

١٨- ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ السر ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ العلانية ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ في صنعه.

❁❁❁

= وذكره البيضاوي احتمالًا، وعن سيبويه: «مفعول به لفعل محذوف، أي: ائتوا خيرًا»، وعن الكسائي، والفراء: «مفعول مطلق، نعت لمصدر محذوف، أي: إنفاقًا خيرًا»، وذكر الاحتمالات البيضاوي.

(١) ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾. تقدم مثله في سورة الحشر.

(٢) قوله: (بأن تتصدقوا). كما تقدم في سورة البقرة.

(٣) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ بالتشديد: ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب. وبالألف: ﴿يُضَٰعِفْهُ﴾: الباقون.

(٤) قوله: (بالواحدة عشرًا). متعلق بـ﴿يُضَٰعِفْهُ﴾، وبيان لكيفية ومقدار المضاعفة. وتقدم في سورة البقرة الآية (٢٦١).

(٥) قوله: (مُجاز) بضم الميم، اسم فاعل: جازى، يجازي.

٦٥- سورة الطلاق

مدنية(١)، وآياتها اثنتا عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ المراد أمته بقرينة ما بعده(٢)، أو قل لهم: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي: أردتم الطلاق ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ لأولها بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه(٣)، لتفسيره ﷺ بذلك رواه الشيخان(٤) ﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾

---

(١) قوله: (مدنية). في قول الجميع، قاله القرطبي.

(٢) قوله: (بقرينة ما بعده). أي: صيغة الجمع في ﴿طَلَّقْتُمُ﴾ وما بعده. وقال القرطبي: «خوطب بلفظ الجماعة تعظيمًا وتفخيمًا»، يعني: أن الخطاب للنبي ﷺ وصيغة الجمع للتعظيم، وهذا وجه ثالث.

وفي سبب نزول هذه الآية وجهان ذكرهما القرطبي:

الأول: أنها في طلاق النبي ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب، طلقها تطليقة واحدة، ثم راجعها. روي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثاني: في تطليق عبدالله بن عمر امرأته وهي حائض، فأمر بمراجعتها، روي عن السدي وغيره.

(٣) قوله: (بأن يكون...). تصوير لكون الطلاق لعدتهن، أي: يكون الطلاق مستقبلًا للعدة، بدون فصل بينهما، وهذا من أدلة الشافعية على قولهم بأن القرء هو الطهر؛ لأن الطلاق وجب أن يكون في طهر لم يجامعها فيه، ويسمى الطلاق السنيّ، أي: الموافق للسنة والشرع، فإذا كان الطلاق في أول العدة، وجب كون القرء هو الطهر، بخلاف ما إذا كان القرء الحيض، فإنه يكون بينه وبين الطلاق وقت عادةً.

(٤) وقول المفسر: (رواه الشيخان). أي: البخاري ومسلم، وذلك في تطليق ابن عمر زوجته في حيضها، ففي الحديث: قال النبي ﷺ: «**ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم** =

احفظوها لتراجعوا قبل فراغها ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ﴾ أطيعوه في أمره ونهيه ﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ﴾ منها حتى تنقضي عدتهن ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ﴾ زنىً[1] ﴿مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ بفتح الياء وكسرها[2]، بُيِّنَتْ أو بَيِّنة فيخرجن لإقامة الحد عليهن ﴿وَتِلۡكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ الطلاق ﴿أَمۡرٗا ١﴾ مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين[3].

٢- ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربن انقضاء عدتهن[4] ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾ بأن تراجعوهن ﴿بِمَعۡرُوفٍ﴾ من غير ضرار ﴿أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ﴾ اُتركوهن حتى تنقضي عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة ﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ على

= **تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرًا قبل أن يمسها، فتلك العدة التي أمر الله عَزَّوَجَلَّ».** اهـ. [«فتح الباري» (٩/ ٢٥٨)، مسلم (٢/ ١٠٩٤)].

والطلاق في الحيض أو إيقاعه ثلاثًا سمي بدعيًّا، ويقع باتفاق الأئمة الأربعة، مع الإثم في طلاق الحائض اتفاقًا وكذا إن طلقها ثلاثًا مرة واحدة، وفيه نزاع بين الفقهاء.

(١) قوله: (زنى). وبه ورد التفسير للفاحشة المبيّنة هنا عن جمع من السلف منهم: ابن عباس، وابن عمر، والحسن وغيرهم. أي: فتخرج لإقامة الحد، كما قال المفسر. وعن ابن عباس أيضًا، وأبي بن كعب وغيرهما: «هي بذاءة لسانها وإيذاؤها»، واختار ابن جرير: «أنها المعصية عمومًا»، رواه عن ابن عباس، واختاره ابن كثير أيضًا.

(٢) قوله: (بفتح الياء...). بفتح الياء على صيغة اسم المفعول: قراءة ابن كثير، وشعبة. وبكسرها: على صيغة اسم الفاعل: قراءة الجمهور. وبين المفسر معناهما.

(٣) قوله: (مراجعة). بذلك ورد التفسير عن عطاء، وقتادة، والضحاك، وفاطمة بنت قيس وغيرهم. كما في ابن كثير، أي: إنما ألزمنا لزومها البيت لعل زوجها يندم فيراجعها. كما في ابن كثير.

(٤) قوله: (قاربن...). كما تقدم في آية البقرة (٢٣١).

المراجعة أو الفراق[١] ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ﴾ لا للمشهود عليه أو له[٢] ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ من كرب الدنيا والآخرة[٣].

﴿٣﴾- ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ﴾ يخطر بباله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في أموره ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ﴾ كافيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ﴾ مراده، وفي قراءة[٤]: بالإضافة ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ كرخاءٍ وشدة ﴿قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ ميقاتًا.

---

(١) قوله: (على المراجعة...). وجهان في الأمر الذي يشهد عليه. ذكرهما القرطبي، ويحتمل أن يراد كلاهما، كما روى ابن جرير عن السدي. وعلى كل تقدير، الأمر بالإشهاد أمر ندبٍ عند جماهير الفقهاء، منهم الأئمة الأربعة كما يعلم من القرطبي.

(٢) قوله: (لا للمشهود عليه). أي: لا تكون الشهادة لصالح المشهود عليه أو المشهود له، بل تكون لوجه الله مراعيًا فيها الحق.

(٣) قوله: (من كرب الدنيا والآخرة). روى القرطبي هذا التفسير عن ابن عباس. وعنه أيضًا: «هذا في أمر الطلاق»، أي: من طلق كما أمره الله -أي: الطلاق السني- يكن له مخرج في الرجعة في العدة، وأن يكون كأحد الخُطّاب بعد العدة».اهـ. وفسر ابن جرير قريبًا من ذلك.

وقال القرطبي ناقلًا عن ابن عباس ما حاصله: «هذه الآية نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أسرَ العدو أحد أبنائه، يسمى سالمًا، فشكا إلى النبي ﷺ وقد جزعت أمه، فقال ﷺ: «**اتق الله واصبر، وآمرك وإياها أن تستكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله**»، ففعلا، فغفل العدو عن ابنه، فساق غنمهم وأتى بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة، ونزلت الآية في ذلك».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حفص: بالإضافة. والجمهور: قرؤوا بتنوين ﴿بَالِغٌ﴾ ونصب ﴿أَمْرَهُ﴾.

(٤)- ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي﴾ بهمزة وياء[1]، وبلا ياء في الموضعين ﴿يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ﴾ بمعنى الحيض[2] ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ شككتم في عدتهن[3] ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ لصغرهن، فعدتهن ثلاثة أشهر، والمسألتان[4] في غير المتوفى عنهن أزواجهن، أما هن فعدتهن ما في آية[5]: «يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ» [البقرة: ٢٣٤]، ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ انقضاء عدتهن مطلقات أو متوفى

---

(١) قوله: (بهمزة...). القراءات هنا كما تقدم في أول سورة الأحزاب (٤).

(٢) قوله: (بمعنى: الحيض). أي: فالمحيض هنا مصدر ميمي، وليس اسم مكان.

(٣) قوله: (شككتم في عدتهن). كلام المفسر يحتمل كون المراد منه: إن ارتبتم في حكم عدتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر. وهذا اختيار ابن جرير، وابن كثير، وروي عن ابن جبير، وروى ابن جبير عن أبي بن كعب، قال: يا رسول الله، إن عددًا من عِدد النساء لم تذكر في الكتاب، الصغار والكبار وأولات الأحمال؛ فأنزل الله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ...﴾ الآية.اهـ.

كما يحتمل كون المعنى: إن ارتبتم في الدم الخارج من اليائسة هل هو استحاضة أو حيض، روي ذلك عن طائفة من السلف، كما في ابن جرير، وابن كثير. والاسم الموصول ﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾ مبتدأ، خبره الجملة الشرطية.

(٤) قوله: (والمسألتان...). أي: عدة الصغيرة والآيسة.

(٥) وقوله: (ما في آية:...). أي: فتكون هذه الآية ﴿يَتَرَبَّصۡنَ ...﴾ مخصصة لهذه الآية التي في هذه السورة، وخصصت أيضًا بالأَمة. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ...﴾ مخصصة لآية عدة المتوفى عنها زوجها عند الأئمة الأربعة، فالمتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملًا انقضت عدتها بوضع الحمل، وقد ورد بذلك الحديث الصحيح، في سبيعة الأسلمية قتل زوجها وهي حامل، فوضعت بعد أربعين يومًا من موته، فأنكحها رسول الله ﷺ.اهـ. رواه البخاري بسياق مفصل. [«فتح الباري» (٨/ ٥٢١)].

عنهن أزواجهن ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿٥﴾ - ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور في العدة ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ حكمه ﴿أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾[١].

﴿٦﴾ - ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ أي: المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أي: بعض مساكنكم[٢] ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ أي: سعتكم[٣]، عطف بيان أو بدل مما قبله بإعادة الجار، وتقدير مضاف، أي: أمكنة سعتكم لا ما دونها ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّۚ﴾ المساكن[٤]، فيحتجن إلى الخروج أو النفقة[٥] فيفتدين منكم ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾[٦] أولادكم منهن ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ﴾ على

---

(١) قوله تعالى: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾. قال ابن كثير: «أي: يذهب عنه المحذور، ويجزل له الثواب على العمل اليسير».

(٢) قوله: (أي: بعض...). أفاد أن ﴿مِنْ﴾ للتبعيض.

(٣) وقوله: (أي: سعتكم). كما فسر به ابن عباس وغيره.

(٤) قوله: (المساكن). كما فسر بذلك ابن جرير، ورواه عن مجاهد وغيره، قال ابن جرير: «ولا تضاروهن في المسكن الذي تسكنوهن فيه وأنتم تجدون سعة من المنازل أن تطلبوا التضييق عليهن» اهـ.

(٥) وقوله: (أو النفقة). معطوف على (المساكن). أي: لتضيقوا عليهن النفقة. وهذا المعنى عزاه القرطبي إلى مقاتل، ونقل ابن كثير عنه، قال: «يعني يضاجرها لتفتدي منه بمالها أو تخرج من مسكنه» اهـ.

(٦) وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ...﴾ أي: المطلقة طلاقًا بائنًا إن كانت حاملًا استحقت النفقة فإذا ولدت فلها إرضاع الولد بالأجرة، يعطيها ولي الولد، أما الرجعية فإنها تستحق النفقة سواء كانت حاملًا أم غير حامل. كما أفاده ابن كثير. =

الإرضاع ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم﴾[١] وبينهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بجميلٍ في حق الأولاد بالتوافق على أجر معلوم على الإرضاع ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتم في الإرضاع، فامتنع الأب[٢] من الأجرة والأم من فعله ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ﴾ للأب ﴿أُخْرَىٰ ۝٦﴾ ولا تكره الأم على إرضاعه.

٧- ﴿لِيُنفِقْ﴾ على المطلقات والمرضعات[٣] ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ﴾

= ومفهوم هذه الآية: أن البائن غير الحامل لا نفقة لها على الزوج، وهو مذهب الجمهور خلافًا للحنفية، ولكن لها السكنى لقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ في أول الآية، وهو مذهب الشافعية والمالكية، وكذا الحنفية، خلافًا للحنابلة، فليس لها سكنى ولا نفقة عندهم، لحديث فاطمة بنت قيس، وفي حديثها: «أن لا نفقة لها ولا سكنى»، وكانت بائنًا، والخلاف مشهور عند الفقهاء.

الخلاصة: الرجعية: لها السكنى والنفقة اتفاقًا. والبائن: لها السكنى دون النفقة عند الشافعية، والمالكية، ولها السكنى والنفقة عند الحنفية، وليس لها السكنى ولا النفقة عند الحنابلة. وظاهر قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾، ومفهوم قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ...﴾ دليل لقول الشافعية والمالكية، والله أعلم.

(١) قوله تعالى: ﴿وَأْتَمِرُواْ﴾. خطاب للأزواج والزوجات، كما قاله القرطبي.

(٢) قوله: (فامتنع الأب). توضيح للتعاسر، وبمثله فسر المفسرون، قال القرطبي: «فأبى الزوج أن يعطي الأم رضاعها وأبت الأم أن ترضعه فليس له إكراهها، وليستأجر مرضعة غير أمه».اهـ.

(٣) قوله: (على المطلقات...). وبمثله فسر ابن جرير، وروى عن مجاهد، ويؤخذ من الآية: أن النفقة هنا تعتبر بحال الزوج غنًى وفقرًا، كما سبق تقدير المتعة في سورة البقرة: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، أما النفقة على الزوجة فهي مقدرة عند الشافعية بمدّين على الموسر ومد على الفقير، على التفصيل الذي ذكره الفقهاء.

ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ﴾ أعطاه ﴿ٱللَّهُ﴾ على قدره ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ[(١)] نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ وقد جعله بالفتوح.

۝٨- ﴿وَكَأَيِّن﴾ هي كاف الجر دخلت على «أي» بمعنى: كم[(٢)] ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: وكثير من القرى ﴿عَتَتْ﴾ عصت، يعني: أهلها[(٣)] ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا﴾ في الآخرة، وإن لم تجيء؛ لتحقق وقوعها ﴿حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨﴾ بسكون الكاف وضمها[(٤)]، فظيعًا وهو عذاب النار.

---

(١) قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ...﴾. وهذا نفي واستثناء يفيد الحصر، فالمنفي منطوق، والمثبت مفهوم على قول الجمهور، وكلاهما منطوق عند الحنابلة. وعلى كل حال دلت الآية على وجود التكليف بالمستطاع، فيؤخذ منه صحة إطلاق الأصوليين «التكليف» و«المكلف»، ونحو ذلك خلافًا لمن أبى ذلك من بعض المتأخرين.

(٢) قوله: (هي كاف الجر). أي: فهي مركبة في الأصل، وهي بمعنى: كم الخبرية، وقد تكون للاستفهام، ومبنية على الكسر، وجاز فيه إظهار النون: كأيّن، وتوافق «كم» في أن كلًّا منهما اسم، مبني، مبهم، محتاج إلى تمييز، ولكل منهما صدر الكلام، وكلاهما يأتي استفهامية وخبرية، «كم» باتفاق، و«كأي» على خلاف في كونها استفهامية تارة، وتخالف «كأين» لـ«كم» في أن تمييزها يأتي مجرورًا بمن ظاهرة -غالبًا- كما في الآية، وأما تمييز «كم» الخبرية، فهو مجرور بالإضافة، أو «بمن»، وتمييز «كأين» مفرد، وتمييز «كم» يأتي مفردًا وجمعًا، وقد ذكرنا بعض التفاصيل في ذلك في رسالتنا «إحكام العُدَد في أحكام العَدد». وتقدمت الكلمة في سورة آل عمران الآية (١٤٦)، ويوسف الآية (١٠٥)، والحج الآية (٤٨) وغيرهن. و﴿كَأَيِّن﴾ هنا في محل رفع مبتدأ، خبرها جملة ﴿عَتَتْ﴾.

(٣) قوله: (يعني: أهلها). أفاد أن القرية هنا مجاز مرسل أريد المحل، أو مجاز عقليّ بإسناد الفعل إلى المحلّ. وجملة ﴿عَتَتْ﴾ في محل رفع خبر لـ«كأيّ»، وهي: مبتدأ في محل رفع.

(٤) قوله: (بسكون الكاف). قرأ بالضم: نافع، وشعبة، ويعقوب، وأبو جعفر، وابن ذكوان. وبالتسكين: الباقون. وتقدم الوجهان في سورة الكهف الآية (٧٤).

(٩)- ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبته ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩)﴾ خسارًا وهلاكًا.

(١٠)- ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكريرُ الوعيدِ توكيدٌ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ نعت للمنادى[١]، أو بيان له ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠)﴾ هو القرآن[٢].

(١١)- ﴿رَّسُولًا﴾ أي: محمدًا ﷺ، منصوب[٣] بفعل مقدر، أي: وأرسل ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ بفتح الياء وكسرها كما تقدم[٤] ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر الذي كانوا عليه ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ﴾، وفي قراءة[٥]: «نُدْخِلْهُ»، ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا (١١)﴾ هو رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

---

(١) قوله: (للمنادى). أي وهو ﴿أُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

(٢) قوله: (هو القرآن). كما روي عن السدي، وابن زيد، وبه فسر أكثر المفسرين.

(٣) قوله: (منصوب). أي: فهو مفعول به لفعل محذوف، وهذا أحد الأوجه، وقيل: بدل من ﴿ذِكْرًا﴾ على تقدير مضاف، أي: ذا ذكر. أو بدون تقديره مبالغة، وعلى هذا يكون المراد بالذكر الرسول ﷺ، وقيل غير ذلك كما فصله المعربون.

(٤) قوله: (بفتح الياء...). قرأ بالفتح: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب. وبالكسر: بصيغة اسم الفاعل: الباقون.

وقوله: (كما تقدم). أي في أول السورة ﴿مُّبَيَّنَةٍ﴾ ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾. ومراد المفسر الإشارة إلى المعنى على القراءتين، لا بيان القرّاء؛ لأن القراء مختلفون في الموضعين.

(٥) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ بالنون: ﴿نُدْخِلْهُ﴾: نافع، وابن عامر، وأبو جعفر. وبالياء: ﴿يُدْخِلْهُ﴾: الباقون.

﴿١٢﴾- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ يعني: سبع أرضين[١] ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ﴾ الوحي ﴿بَيۡنَهُنَّ﴾ بين السماوات والأرض ينزل به جبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة[٢] ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ﴾ متعلق بمحذوف، أي: أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾.

❁❁❁

(١) قوله: (يعني: سبع أرضين). أي: فالأرض سبعٌ كعدد السمٰوات بنص القرآن الكريم، وكما في «الصحيحين»: «**من ظلم قيد شبرٍ من الأرض طوّقه من سبع أرضين**»، وغيره من الأحاديث، والمراد بالأرضيين السبع: أنها سبعة أطباق بعضها فوق بعض، وعزا القرطبي هذا القول إلى الجمهور، ونقل عن الضحاك: «أنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السمٰوات»، ونقل عن أبي صالح، عن ابن عباس قولًا آخر: «أنها سبع أرضين منبسطة، ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها بحار وتظل جميعهم السماء».اهـ. وعلى هذا لعل المراد القارات السبع، ولكن المعنى الأول أشهر، وهو الذي يدل عليه الأحاديث الصحيحة، كالحديث المتقدم، وكما في «صحيح البخاري» فيمن غصب أرضًا: «**خسف به إلى سبع أرضين يوم القيامة**» [٢٣٢٢]، وقد ردّ ابن كثير على القول بأنها سبعة أقاليم.

(٢) قوله: (من السماء السابعة...). نقل نحوه القرطبي عن مجاهد، وروى كذلك ابن جرير عن مجاهد، والله أعلم.

٦٦- سورة التحريم

مدنية[١]، وآياتها اثنتا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ من أمَتِك[٢] مارية القبطية لما واقعها

---

(١) قوله: (مدنية). قال القرطبي: «في قول الجميع، وتسمى سورة النبي».اهـ.

(٢) قوله: (أمَتِك). بفتح الهمزة وتخفيف الميم، أي: المملوكة، وهي مارية القبطية، أم إبراهيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان ملك الإسكندرية المقوقس أهداها إلى النبي ﷺ.

وما ذكر المفسر من القصة في سبب نزول الآية مروي عن ابن عباس وغيره، وحاصلها: أن أم المؤمنين حفصة كانت عند أبيها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فدعا النبي ﷺ جاريته مارية فظلت معه في بيت حفصة، فواقعها أي: جامعها، ورجعت حفصة، فلما علمت بالخبر غارت غيرة شديدة -كعادة النساء- فحرّم النبي ﷺ مارية على نفسه؛ إرضاءً لحفصة، وكان أمرَها أن لا تفشي ذلك، ولكنها أخبرت بذلك عائشة...اهـ. ملخصًا من ابن جرير. ولكن الأصح ما في «الصحيحين» من أن الآيات نزلت في تحريمه ﷺ على نفسه العسل، تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلًا، فتواطأتُ أنا وحفصة أن أيّتنا دخل عليها النبي ﷺ فلنقل له: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير، فدخل على إحداهما النبي فقالت ذلك له، فقال: «**لا، بل شربت عسلًا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له**»؛ فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ...﴾ الآيات إلى قوله تعالى ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ...﴾».اهـ. ملخصًا. [«فتح الباري» (٩/ ٢٨٧)، مسلم (٢/ ١١٠٠)].

وليعلم: أن ضعف المرأة وجبلتها التي خلقت عليه من الغيرة وقلة التحمل والصبر ربما تغلب عليها ولو كانت بمكانةٍ عالية، فلا غرابة في صدور مثل هذا من أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أجمعين، والمغافير: جمع مُغفور بضم الميم، بقلة أو صمغة متغيرة الرائحة فيها حلاوة.اهـ. ذكره القرطبي.

في بيت حفصة، وكانت غائبة، فجاءت وشق عليها كون ذلك في بيتها، وعلى فراشها حيث قلتَ: هي حرام عليَّ ﴿تَبۡتَغِي﴾ بتحريمها ﴿مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ أي: رضاهن ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾ غفر لك هذا التحريم.

٢- ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ﴾ شرع ﴿لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾ تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة، ومن الأيمان تحريم الأمة[1]. وهل كفَّر ﷺ؟ قال مقاتل[2]: «أعتق رقبة في تحريم مارية»، وقال الحسن: «لم يُكَفِّر؛ لأنه ﷺ مغفور له»، ﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾.

٣- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ﴾ هي حفصة[3] ﴿حَدِيثٗا﴾ هو تحريم مارية[4]، وقال لها: «لا تفشيه»، ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ﴾ عائشة ظنًّا منها أن لا

---

(١) قوله: (ومن الأيمان...). يعني: أن قول القائل في الزوجة وغيرها هو أو هي علي حرام فإنه يعتبر يمينًا فيها كفارة اليمين إذا حنث، وفي ذلك اختلاف كثير، أورد القرطبي ثمانية عشر قولًا، وهو عند الشافعية من الكنايات، إذا أراد به الطلاق أو الظهار أو اليمين يقع ما أراد، وهٰهنا كان مجرد يمين.

(٢) قوله: (قال مقاتل:...). نقل القرطبي القولين، كما ذكر المفسر، وقال: «القول بأنه كفّر هو الأصح»، ونقل عن زيد بن أسلم، ومقاتل أنه كفَّر بعتق رقبة.

(٣) قوله: (هي حفصة). قال ابن جرير: «هو قول ابن عباس، وقتادة، وزيد بن أسلم، وابنه عبدالرحمن، والشعبي، والضحاك».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (هو تحريم مارية). كما تقدم في سبب النزول، وعلى القول بأن سبب النزول هو تحريم العسل على نفسه، يكون المراد بالحديث ذلك، أي: تحريم العسل، وكان النبي ﷺ يحب العسل، كما حبب إليه من الدنيا: النساء والطيب. وذكر ابن جرير الوجهين في المراد بالحديث.

حرج في ذلك[(١)] ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ﴾ أطلعه ﴿عَلَيْهِ﴾ على المنبأ به ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ لحفصة[(٢)] ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ تكرمًا منه ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ﴾[(٣)] ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ أي: الله.

﴿٤﴾ - ﴿إِن تَتُوبَا﴾ أي: حفصة وعائشة ﴿إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ مالت إلى تحريم مارية[(٤)]، أي: سركما ذلك مع كراهة النبي ﷺ له، وذلك ذنب، وجواب الشرط محذوف، أي: تقبلا، وأطلق قلوب[(٥)] على قلبين ولم يعبر به؛ لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة[(٦)] ﴿وَإِن تَظَّاهَرَا﴾ بإدغام التاء الثانية في الأصل الظاء، وفي قراءة[(٧)]: بدونها، تتعاونا ﴿عَلَيْهِ﴾ أي: النبي فيما يكرهه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ

(١) قوله: (ظنًّا منها...). أي: ظنت حفصة أن نهي النبي ﷺ إياها عن الإفشاء نهي إرشاد، لا نهي تحريم، فأخبرت بذلك عائشة.

(٢) ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾. أي: عرّف النبي ﷺ حفصة بعض ما أظهره الله له وأعرض عن بعض، فلم يخبرها بكل ما أظهره الله له؛ تكرمًا منه، كما يعلم من ابن جرير وغيره.

(٣) ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا﴾. أي: لما أخبر النبي ﷺ لحفصة بعض ما أظهر الله من خبر الإفشاء قالت حفصة: من الذي أخبرك بهذا؟ كأن حفصة تظن أن عائشة هي التي أخبرت، فقال لها النبي ﷺ: «**بل أخبرني بذلك العليم الخبير**»، أي: الله تعالى.

(٤) قوله: (أي: مالت...). كذا فسر قتادة، وبنحوه ابن عباس وغيره، قال ابن عباس: «زاغت».

(٥) قوله: (وأطلق قلوب...). أي: في قوله تعالى: ﴿قُلُوبُكُمَا﴾، ولهما قلبان، فهذا من إطلاق الجمع على اثنين، وهو إطلاق مجازي عند الجمهور القائلين بأن أقل الجمع ثلاثة، كما ذكر الأصوليون.

(٦) وقوله: (فيما هو كالكلمة الواحدة). والمراد بهما هنا المضاف والمضاف إليه، فلو قيل: «قَلْبَاكُما» لكان فيه نوع استثقال.

(٧) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ بالتخفيف: ﴿تَظَاهَرَا﴾: عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف. وقرأ الباقون: بالتشديد: ﴿تَظَّاهَرَا﴾. أصله: تتظاهرا.

﴿هُوَ﴾ ضمير فصل(١) ﴿مَوْلَىٰهُ﴾ ناصره ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أبو بكر(٢) وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، معطوف(٣) على محل اسم «إِنَّ» فيكونون ناصريه ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد نصر الله والمذكورين ﴿ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ ظهراء، أعوان له في نصره عليكما.

﴿٥﴾-(٤) ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ أي: طلق النبي أزواجه ﴿أَن يُبَدِّلَهُۥٓ﴾ بالتشديد

(١) قوله: (ضمير فصل). أي: فليس له محل من الإعراب عند الجمهور. وضمير الفصل يفيد توكيدًا وحصر الخبر في المبتدأ، ولعله هنا للتوكيد فقط، دون الحصر، لعطف جبريل وغيره، والله أعلم.

(٢) قوله: (أبو بكر...). روي هذا عن مجاهد، والضحاك، وقال قتادة: «هم الأنبياء»، وعن الضحاك أيضًا: «خيار المؤمنين».

(٣) قوله: (معطوف...). ويجوز الرفع في المعطوف بعد ذكر الخبر اتفاقًا، وقَبْلَ: ذكر الخبر على خلاف، والرفع إما بالنظر إلى محل اسم ﴿إِنَّ﴾، كما قال المفسر أو على أنه مبتدأ حذف خبره، والجملة معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾، ويحتمل كون ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ مبتدأ، وما بعده معطوف، والخبر ﴿ظَهِيرٌ﴾، و﴿ظَهِيرٌ﴾ على وزن فعيل يأتي للمفرد وغيره؛ لكونه على وزن المصدر، كما ذكره النحاة.

(٤) ثبت في «صحيح مسلم» ما يفيد أن هذه الآية وما قبلها نزلت ووافقت قول عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأورد ذلك ابن كثير وغيره مفصلًا، وخلاصته: أن نساء النبي ﷺ - أمهات المؤمنين- اجتمعن عليه يسألن ما ليس عنده، فاعتزلهن النبي ﷺ، وكان آلى منهن شهرًا، حتى أذيع أنه طلقهن، ومكث النبي ﷺ في مشربة بالمسجد، فأتاه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكلّمه، وعلم أنه لم يطلقهن، وقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله خيرًا منكن...؛ فنزلت الآية ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ...﴾، وكان فيما قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند لقائه النبي بالمشربة: يا رسول الله، ما يشق عليك من أمر النساء، فإن كنت طلقتهنّ فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلما تكلمتُ - وأحمد الله- بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدّق قولي؛ فنزلت هذه الآية، آية التخيير: =

والتخفيف[(١)] ﴿أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ خبر «عَسَىٰ»[(٢)]، والجملة جواب الشرط، ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط[(٣)] ﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾ مقرات بالإسلام ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ مخلصات ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ مطيعات ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ صائمات أو مهاجرات[(٤)] ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾.

﴿٦﴾- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟[(٥)] أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالحمل على طاعة الله ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها، يعني: أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سيأتي في المدثر ﴿غِلَاظٌ﴾ من غلظ القلب[(٦)] ﴿شِدَادٌ﴾ في البطش

= ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ...﴾ ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ الآية...اهـ. ملخصًا من ابن كثير، ويراجع هناك للتفصيل.

(١) قوله: (بالتشديد...). قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: ﴿يُبَدِّلَهُۥٓ﴾ من التبديل. والباقون: بالتخفيف: ﴿يُبْدِلَهُۥٓ﴾ من الإبدال.

(٢) قوله: (خبر ﴿عَسَىٰ﴾). أي: ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ﴾، خبر ﴿عَسَىٰ﴾، وجملة ﴿عَسَىٰ﴾ دلت على جواب الشرط، ولعل هذا هو المراد بقوله: (والجملة جواب الشرط)؛ لأن الجواب لا يتقدم على الشرط، ولو كان المتقدم جوابًا لدخل فيه الفاء «فعسى»؛ لأنه من مواضع دخول الفاء فيه وجوبًا.

(٣) قوله: (لعدم وقوع الشرط). الشرط هو طلاقهن، ولم يقع.

(٤) قوله: (صائمات). روي عن ابن عباس، وقتادة، وغيرهما.

وقوله: (أو مهاجرات). روي عن زيد بن أسلم، وتقدم هذا في سورة التوبة.

تنبيه: الواو في ﴿وَأَبْكَارًا﴾ قيل: واو الثمانية، وتقدم الكلام عنها في تفسير سورة الكهف.

(٥) ﴿قُوٓا۟﴾. أمر من الوقاية، مسند إلى واو الجماعة، ووزنه: عُوا، حذف منه الفاء واللام.

(٦) قوله: (من غلظ القلب). ذكر نحوه ابن كثير، قال: «أي: طباعهم غليظة قد نزعت من =

﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾ بدل من الجلالة، أي: لا يعصون أمر الله ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ تأكيد، والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد وللمنافقين المؤمنين بألسنتهم دون قلوبهم.

٧ -[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ يقال لهم ذلك عند دخولهم النار، أي: لأنه لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧﴾ أي: جزاءه[2].

٨ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ بفتح النون وضمها[3]، صادقة[4] بأن لا يعاد إلى الذنب، ولا يراد العود إليه ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ﴾ ترجية تقع[5] ﴿أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ بساتين ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ﴾ بإدخال النار ﴿ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾

= قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله، ﴿شِدَادٞ﴾ أي: تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج». اهـ.

(١) هذه الآية الوحيدة التي جاء فيها النداء بهذه الصيغة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾.

(٢) قوله: (أي: جزاءه). أفاد حذف مضاف.

(٣) قوله: (بفتح النون...). قرأ شعبة: بضم النون. والباقون: بفتحها.

(٤) وقوله: (صادقة). تفسير للنصوح، وبمثله ورد التفسير عن عدد من الصحابة، عن عمر، وابن مسعود، وأُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، كما ذكره القرطبي. وروى ابن جرير، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من طرق مختلفة: التوبة النصوح: أن تتوب من الذنب ثم لا تعود فيه أو لا تريد أن تعود. اهـ. وذكر القرطبي: «اختلفت عبارة العلماء وأرباب القلوب في التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولًا، وذكرها»، وكلها متقاربة أو متلازمة.

(٥) قوله: (ترجية). قال القرطبي في تفسير الآية السابقة ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾: «قيل: كل «عسى» في القرآن واجب، إلا هذا، أي: في ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾. وقيل: بل هو واجب ولكن الله عَزَّ وَجَلَّ علقه بشرطٍ ولم يقع». اهـ. ملخصًا.

أمامهم ﴿وَ﴾ يكون ﴿بِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ﴾ مستأنف[١] ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ إلى الجنة، والمنافقون يطفأ نورهم ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ ربنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٨﴾.

٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ باللسان والحجة[٢] ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهار والمقت ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ٩﴾ هي[٣].

١٠- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدين[٤]، إذ كفرتا، وكانت امرأة نوح،

---

(١) قوله: (مستأنف). أي: جملة ﴿يَقُولُونَ﴾، مستأنفة فلا محل لها من الإعراب، ويحتمل كونها في محل نصب حالًا، ويحتمل غير ذلك، نقل ابن كثير عن مجاهد، والضحاك، والحسن البصري وغيرهم: «هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفئ».اهـ.

(٢) قوله: (باللسان والحجة). كذا فسره علماء التفسير، روى ابن جرير عن قتادة، قال: «أمر الله نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يجاهد الكفار بالسيف ويغلظ على المنافقين بالحدود»، وقال القرطبي ما هو أعم وأشمل، قال: «أمره أن يجاهد الكفار بالسيف والمواعيظ الحسنة والدعاء إلى الله، والمنافقين بالغلظة وإقامة الحجة، وأن يعرفهم أحوالهم في الآخرة وأنه لا نور لهم يجوزون به الصراط مع المؤمنين».اهـ.

(٣) وقوله: (هي). مخصوص بالذم.

(٤) قوله: (في الدين). يعني: أن الخيانة هنا هي الخيانة في الدين فكانتا كافرتين، وليس المراد بالخيانة في العرض؛ لأنه ما بغت امرأة نبي قط، نقل ذلك عن ابن عباس. وبين المفسر نوع خيانتهما بقوله: (وكانت امرأة نوح...). وروى ابن جرير عن ابن عباس كذلك، وأما اسمها: ففي ذلك اختلاف، نقل القرطبي عن مقاتل: «اسم امرأة نوح: والهة، واسم امرأة لوط: والعة، بتقديم اللام فيهما»، وعن الضحاك عن عائشة: «اسم امرأة نوح: واغلة، واسم امرأة لوط: والهة»، فالله أعلم، وليس في تحديد الاسم فائدة.

تنبيه: قال القرطبي: «ضرب الله تعالى هذا المثل تنبيهًا على أنه لا يغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب إذا فرّق بينهما الدين».اهـ. وذكر نحوه ابن كثير.

واسمها واهلة، تقول لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط، واسمها واعلة، تدل قومه على أضيافه إذا نزلوا به ليلًا بإيقاد النار ونهارًا بالتدخين ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ أي: نوح ولوط ﴿عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيْـًٔا وَقِيلَ﴾ لهما ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ من كفار قوم نوح وقوم لوط.

﴿١١﴾- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ آمنت بموسى واسمها آسية[١]، فعذبها فرعون[٢] بأن أوتد يديها ورجليها، وألقى على صدرها رحى عظيمة، واستقبل بها الشمس فكانت إذا تفرق عنها من وكل بها ظللتها الملائكة ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ في حال التعذيب ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فكشف لها، فرأته فسهل عليها التعذيب ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ وتعذيبه ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ أهل دينه، فقبض الله روحها. وقال ابن كيسان: «رفعت إلى الجنة حية، فهي تأكل وتشرب».

---

(١) قوله: (آسية). وهي بنت مزاحم، كانت من القبط، آمنت بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

(٢) قوله: (فعذبها فرعون). روى ذلك ابن جرير عن سلمان، وأورده ابن كثير، والقرطبي وغيرهما، وأما خبر أنه أوتد أوتادًا وشد يديها ورجليها. فنقله القرطبي، عن أبي العالية. وفيما روي عن سلمان: أن فرعون كان يعذبها في الشمس فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة»، ونقل القرطبي عن الحسن، وابن كيسان: «نجاها الله أكرم نجاة ورفعها إلى الجنة، فهي فيها تأكل وتشرب».اهـ. كما نقل المفسر عن ابن كيسان، ومن المعاصرين من ذهب إلى أنه لم يثبت تعذيبها بيد فرعون، ولم يصح أنها في الجنة، ولكن جمهور العلماء على أن فرعون عذبها، وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾، والعمل فسِّر بالكفر، وبالجماع أيضًا كما يعلم من القرطبي.

تنبيه: ضرب الله هذا المثل للمؤمنين وعلَّم به أنه لا يضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم. أفاده ابن كثير، ونقل ذلك عن قتادة.

(١٢) - ﴿وَمَرْيَمَ﴾ عطف على «ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ»، ﴿ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته[١] ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي: جبريل حيث نفخ في جيب درعها بخلق الله تعالى فعله الواصل إلى فرجها، فحملت بعيسى ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ شرائعه ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ المنزلة ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ (١٢)﴾ من القوم المطيعين[٢].

❁❁❁

(١) قوله: (حفظته). أي: عن الرجال، وظاهر كلام المفسر أن المراد بالفرج هنا العضو، كما هو ظاهر ابن كثير، ولكن فسره ابن جرير بجيب الدرع.

وكل ما كان في الدرع من خرق أو فتق يسمى فرجًا، ونسب القرطبي هذاا لقول إلى المفسرين؛ لأنه تعالى قال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾، وجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إنما نفخ في جيبها، ولم ينفخ في فرجها، وفي قراءة أبيّ: ﴿فَنَفَخْنَا فِي جَيْبِهَا﴾.اهـ. ووجه ذلك على كون المراد العضو: أن النفخ في الجيب وصل الفرج ودخل إلى الرحم، والله أعلم، وتقدم ذكر القصة في سورة مريم مفصلًا.

روى الإمام أحمد عن ابن عباس، قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، وقال: «**أتدرون ما هذا؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: «**أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**» [١/ ٢٩٣].

وفي «الصحيحين» عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**».اهـ. [«فتح الباري» (٥/ ٥١٤)، مسلم (٤/ ١٨٨٦)].

(٢) قوله: (من القوم المطيعين). فيه توجيه لإطلاق الجمع المذكر السالم ﴿ٱلْقَٰنِتِينَ﴾؛ فأفاد أنه نعت لاسم جمع محذوف، أي: من القوم القانتين، وقد استدل بعض الأصوليين بمثل هذا على أن جمع المذكر السالم، ونحوه يشمل النساء حقيقة ووضعًا، وهي مسألة أصولية، وعلى توجيه المفسر لا يكون فيه دليل على ذلك، والتفصيل في كتب الأصول.

٦٧- سورة الملك

مكية[١]، وآياتها ثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿تَبَٰرَكَ﴾ تنزه عن صفات المحدثين ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ﴾ في تصرفه[٢] ﴿ٱلْمُلْكُ﴾ السلطان والقدرة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾.

(٢)- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ﴾ في الدنيا[٣] ﴿وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ في الآخرة، أو هما[٤] في الدنيا فالنطفة تعرض لها الحياة، وهي[٥] ما به الإحساس، والموت ضدها[٦] أو

---

(١) قوله: (مكية). قال القرطبي: «في قول الجميع»، وتسمى: الواقية، والمنجية.

(٢) قوله: (في تصرفه). فيه إشارة إلى تأويل صفة اليد، وقد تقدم نظائره، مع أنه يحتمل كون المراد هنا ما ذكره المفسر، مع إثبات صفة اليد لله تعالى كما يليق به، وفي كلام ابن كثير إشارة إلى ذلك، حيث قال: «يمجد تعالى نفسه الكريمة، ويخبر أنه بيده الملك، أي: هو المتصرف في جميع المخلوقات...».اهـ. فقوله: (أي: المتصرف). تفسير لـ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾.

(٣) قوله: (في الدنيا). هذا المعنى يناسب ما روى ابن جرير عن قتادة، قال: «أذلّ الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء».اهـ.

(٤) وقوله: (أو هما...). أي: الحياة والموت، وهذا المعنى نقله القرطبي عن مقاتل.

(٥) قوله: (وهي). أي: الحياة.

(٦) وقوله: (والموت ضدها...). يعني: أن التقابل بين الحياة والموت من باب تقابل الضدين على رأي، ومن باب تقابل العدم والملكة على رأيٍ آخر، وهذا اصطلاح فلسفي منطقي.
وخلاصته: أن الشيئين اللذين لا يجتمعان في مكانٍ واحدٍ من جهة واحدة أربعة أقسام:
١- المتضادان: -تقابل التضاد-: وهو التقابل بين أمرين وجوديين، نحو: السواد والبياض، وكذا الحياة والموت على رأي: إذا قلنا إن الموت أمر وجودي. =

عدمها قولان، والخلق على الثاني بمعنى التقدير ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم في الحياة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[(١)] أطوع لله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ لمن تاب إليه.

﴿٣﴾- ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض من غير مماسة ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ﴾ لهن[(٢)] أو لغيرهن ﴿مِن تَفَاوُتٍ﴾ تباين وعدم تناسب

= ٢- النقيضان، وهما أمرانِ وجودي وعدمي، لا يجتمعان ولا يرتفعان، كالوجود واللاوجود.

٣- العدم والملكة: وذلك أن يختلفا بحيث يكون أحدهما وجوديًّا والآخر عدميًّا قابلًا للوجوديّ، كالعلم والجهل، والبصر والعمى، فقد يرتفعان، مثلًا: الخشب لا يسمى بصيرًا ولا أعمى، ومن ذلك الحياة والموت على قول، وذلك إذا فسر الموت بأنه عدم الحياة عما من شأنه كونه حيًّا.

٤- المتضايفان: وهما وجوديان يتوقف تعقل أحدهما على الآخر: كالأبوة والبنوة، والتفصيل في كتب المنطق.

والقول بأن الموت أمر وجودي مروي عن ابن عباس وغيره، وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿خَلَقَ﴾، ولذا قال المفسر: (الخلق على الرأي الثاني) أي: على أن الموت عدميّ يكون بمعنى: التقدير، والله أعلم.

فائدة: ذكر الموت أولًا؛ إما لكونه متقدمًا في الدنيا، أو لكونه أبلغ في الابتلاء أو لكونه أقرب إلى القهر. ذكرها القرطبي. والله أعلم.

(١) ﴿أَيُّكُمْ﴾. أي: استفهامية مبتدأ مضاف. وخبره: ﴿أَحْسَنُ﴾، و﴿عَمَلًا﴾ تمييز. و«أيّ» تعلق عن عمل الفعل «يبلو» في المفعول الثاني، فالجملة الاسمية ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ...﴾ في محل نصب سدت مسدّ المفعول الثاني، والله أعلم.

(٢) قوله: (لهن). أي: السمٰوات السبع، واللام في (لهن) لام التقوية، والضمير مفعول به لـ﴿خَلَقَ﴾.

﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾ أعِدْه إلى السماء ﴿هَلۡ تَرَىٰ﴾ فيها ﴿مِن فُطُورٖ ٣﴾ صدوع وشقوق.

٤- ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ[١]﴾ كرة بعد كرة[٢] ﴿يَنقَلِبۡ﴾ يرجع ﴿إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا﴾ ذليلًا[٣] لعدم إدراك خلل ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ ٤﴾ منقطع عن رؤية خلل[٤].

٥- ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾ القربى إلى الأرض ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ بنجوم[٥] ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا﴾ مراجم[٦] ﴿لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ إذا استرقوا السمع بأن ينفصل[٧]

---

(١) ﴿كَرَّتَيۡنِ﴾: مفعول مطلق منصوب.

(٢) قوله: (كرة بعد كرة). أفاد أن التثنية للتكثير، كما أفاده القرطبي. أي: لا لإفادة العدد.

(٣) قوله: (ذليلًا). أي: صاغرًا متباعدًا عن رؤية شيء من ذلك، يقال: خسأتُ الكلب: طردته وأبعدته.اهـ. كما في القرطبي.

(٤) وقوله: (منقطع). فهو بمعنى: اسم الفاعل، يقال: حسر نظره حسورًا، أي: كلّ وانقطع نظره.

(٥) قوله: (بنجوم). فالمصابيح هنا بمعنى: النجوم، من باب الاستعارة.

(٦) وقوله: (مراجم). جمع مِرجم، بمعنى: ما يرجم به، أفاد به أن ﴿رُجُومٗا﴾ هنا مصدر – وهو جمع رَجم– بمعنى: مرجوم به. أو هو مصدر بتقدير مضاف، أي: ذات رجوم، كما ذكره الدرويش في «إعراب القرآن».

(٧) وقوله: (بأن ينفصل...). بيان لكون النجوم رجومًا للشياطين مع كونها زينة. وجوابٌ لإشكالٍ وهو: ما كان زينة كيف يكون رجومًا لا تبقى، فأجاب: بأن الرجم يقع بشهابٍ منفصل من الكوكب، لا بنفس الكوكب، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ١٠﴾ [الصافات: ١٠]، وهذا المعنى ذكره ابن كثير، ونقله القرطبي، عن أبي علي جوابًا للإشكال المذكور، وقد مر في سورة الصافات ذكر كون النجوم رجومًا للشياطين، فهي على ظاهرها، ونقل القرطبي عن القشيري: «هي زينة قبل أن يرجم بها الشياطين».اهـ. وعلى هذا يكون الرجم ببعض الكواكب، والله أعلم. وروى =

شهاب عن الكوكب كالقبس يؤخذ من النار، فيقتل الجني أو يُخبله، لا أن الكوكب يزول عن مكانه ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ النار الموقدة.

٦- ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦﴾ هي[(١)].

٧- ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتًا منكرًا كصوت الحِمار[(٢)] ﴿وَهِيَ تَفُورُ ۝٧﴾ تغلي[(٣)].

٨- ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ وقرئ[(٤)]: «تَتَمَيّزُ» على الأصل، تتقطّع ﴿مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ﴾ غضبًا على الكافر ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ﴾ جماعة منهم ﴿سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ سؤال توبيخ ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨﴾ رسول ينذركم عذاب الله تعالى.

٩- ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ﴾ ما ﴿أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ

= ابن جرير، عن قتادة قال: «خلق الله تعالى النجوم لثلاث؛ زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها في البر والبحر والأوقات؛ فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به».اهـ.

(١) قوله: (هي). مخصوص بالذم.

(٢) قوله: (صوتًا منكرًا...). كما قال ابن جرير وغيره.

(٣) وقوله: (تغلي). روي عن مجاهد، وابن عباس.

(٤) قوله: (قرئ:...). قراءة شاذة كما أشار إليه بقوله (قرئ). وقرأ البزّي في الوصل: بإدغام الدال في التاء فيمد الكاف مدًّا فرعيًّا: ﴿تَكَآدُ تَّمَيَّزُ﴾. والجمهور قرؤوا: بحذف إحدى التاءين وصلًا ووقفًا.

تنبيه: ظاهر كلام المفسرين أن غيظ جهنم حقيقة، قال ابن كثير: «أي: تكاد ينفصل بعضها عن بعض من شدة غيظها عليهم وحنَقِها بهم».اهـ. فلا داعي لتكلف بعض البلاغيين من جعل هذا من باب الكناية أو الاستعارة.

﴿كَبِيرٍ ٩﴾ يحتمل[١] أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالتكذيب وأن يكون من كلام الكفار للنذر.

١٠- ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي: سماع تفهم ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ أي: عقل تفكر ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ١٠﴾.

١١- ﴿فَاعْتَرَفُوا﴾ حيث لا ينفع الاعتراف ﴿بِذَنْبِهِمْ﴾ وهو تكذيب النذر ﴿فَسُحْقًا﴾ بسكون الحاء وضمها[٢] ﴿لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ١١﴾ فبعدًا لهم عن رحمة الله.

١٢- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ يخافونه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في غيبتهم[٣] عن أعين الناس فيطيعونه سرًّا، فيكون علانية أولى ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢﴾ أي: الجنة.

١٣- ﴿وَأَسِرُّوا﴾ أيها الناس ﴿قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٣﴾ بما فيها، فكيف بما نطقتم به، وسبب نزول ذلك[٤]: أن المشركين

---

(١) قوله: (يحتمل...). ولم أجد من عزا أحد الاحتمالين، وكلاهما واضح، وظاهر ابن جرير وغيره أنه من تمام كلامهم للنذر، وذكرهما القرطبي.

(٢) قوله: (بسكون الحاء...). قرأ بالضم: الكسائي، وأبو جعفر. وبالسكون: الباقون. وهما لغتان كما في القرطبي. وهو منصوب على أنه مفعول مطلق لفعله المحذوف، ومعناه: بُعدًا، كما قال المفسر، وفسر بذلك ابن عباس، وعن ابن جبير: «هو وادٍ في جهنم يقال له: سحق»، وعلى هذا يكون مفعولًا به لفعل محذوف. والله أعلم.

(٣) قوله: (في غيبتهم...). هذا المعنى فسر به ابن كثير، وأورد حديث «الصحيحين»: «**سبعة يظلهم الله في ظل عرشه...**». الحديث تقويةً لهذا المعنى، فيكون ﴿بِذَنْبِهِمْ﴾ حالًا من الفاعل أي: الواو في ﴿يَخْشَوْنَ﴾. وفسر ابن جرير بقوله: «يقول: وهم لم يروه»، كما مشى على هذا المفسر في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ [قٓ: ٣٣]، حيث قال: (خافه ولم يره).اهـ. وكلا المعنيين محتمل. فيحتمل كونه حالًا من المفعول أو الفاعل.

(٤) قوله: (وسبب نزول...). هذا القول عزاه القرطبي إلى ابن عباس، قال: «نزلت في =

قال بعضهم لبعض: أسروا قولكم، لا يسمعكم إله محمد.

﴿١٤﴾- ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ما تسرون[(١)]، أي: أينتفي[(٢)] علمه بذلك ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ في علمه ﴿ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ فيه؟ لا[(٣)].

﴿١٥﴾- ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ سهلة للمشي فيها[(٤)] ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها[(٥)] ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ المخلوق لأجلكم ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ من القبور للجزاء.

= المشركين كانوا ينالون من النبي ﷺ فيخبره جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كي لا يسمع ربُّ محمد».اهـ.

(١) قوله: (ما تسرون). مفعول به لـ﴿يَعْلَمُ﴾، فيكون الاسم الموصول ﴿مَنْ﴾ في محل رفع فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾، ويكون المراد به الخالق تعالى، ويحتمل كون الاسم الموصول مفعولًا به لـ﴿يَعْلَمُ﴾، وفاعله الضمير المستتر الراجع إليه تعالى، والمعنى: ألا يعلم الله من خلقه! ذكرهما القرطبي.

(٢) وقول المفسر: (أي: أينتفي...). أفاد أن الهمزة للاستفهام الإنكاري دخلت على النفي، فأفاد الكلام الثبوت والتقرير.

(٣) وقوله: (لا). جواب للاستفهام.

(٤) قوله: (سهلة...). الذلول: المنقاد الذي يذل لك، قال ابن كثير: «بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب، بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهيأ فيها من المنافع، ومواضع الزروع والثمار».اهـ.

(٥) قوله: (جوانبها). روي عن ابن عباس وغيره، قال القرطبي: «وأصل المنكب: الجانب، ومنه منكب الرجل».اهـ.

وعن قتادة: «مناكبها، أي: جبالها»، رواه ابن جرير، واختار المعنى الأول. والأمر فيه للإباحة والامتنان كما أشار إليه القرطبي.

﴿١٦﴾- ﴿ءَأَمِنتُم﴾ بتحقيق الهمزتين[(١)] وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينها وبين الأخرى وتركه وإبدالها ألفًا ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ سلطانه وقدرته[(٢)] ﴿أَن يَخۡسِفَ﴾ بدل من «مَّن»[(٣)] ﴿بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ تتحرك بكم، وترتفع فوقكم.

﴿١٧﴾- ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ﴾ بدل من «مَّن»، ﴿عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ ريحًا ترميكم بالحصباء ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ﴾ عند معاينة العذاب ﴿كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾ إنذاري بالعذاب[(٤)]، أي: إنه حق.

---

(١) قوله: (بتحقيق...). ذكر أربع قراءات:

١- تحقيق الهمزتين بدون إدخال ألف بينهما: قراءة الجمهور.

٢- تسهيل الثانية مع الإدخال: قراءة قالون، وأبي عمرو، وأبي جعفر.

٣- التسهيل بدون إدخال: قراءة ورش، والبزي، ورويس.

٤- الإبدال: لورش، وعن قنبل في حال وصل ﴿ٱلنُّشُورُ﴾ بـ﴿ءَأَمِنتُم﴾: إبدال الهمزة الأولى واوًا خالصة وتسهيل الثانية بدون إدخال.

(٢) قوله: (سلطانه). على هذا التقدير يكون مبتدأ محذوفًا، والجار والمجرور ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ خبرًا مقدمًا، والجملة صلة الموصول، وإنما احتيج إلى هذا التقدير عند كون المراد بالسماء: الأجرام المعروفة؛ لأنه تعالى منزهٌ أن يحيط به السماء، أما إذا أريد به العلُوّ والمباينة عن الخلق فلا حاجة إلى ذلك التقدير؛ لأنه تعالى عالٍ ومباين عن خلقه مستوٍ على عرشه، وفسر القرطبي كما ذكره المفسر، وعلى كل حال المراد بـ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ هو الله تعالى، وقيل: المراد به جبريل، وقيل: الملائكة. ذكرها القرطبي بدون عزو.

(٣) قوله: (بدل من ﴿مَّن﴾). أي: بدل اشتمال. وكذا في الآية التالية.

(٤) قوله: (إنذاري). أفاد أن النذير هنا بمعنى: المصدر، كما فسر به ابن جرير وغيره، ويحتمل كونه بمعنى: المنذر، والمراد النبي ﷺ، ذكره القرطبي احتمالًا، وهو مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وكذلك ﴿نَكِيرِ﴾ كما قدره المفسر.

تنبيه: ﴿أَمۡ﴾ في الآية منقطعة.

(١٨) - ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ إنكاري عليهم التكذيب[١]، عند إهلاكهم، أي: إنه حق.

(١٩) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ باسطات أجنحتهن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أجنحتهن بعد البسط، أي: وقابضات[٢] ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع في حال البسط والقبض ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ المعنى: ألم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم وغيره من العذاب.

(٢٠) - ﴿أَمَّنْ﴾ مبتدأ[٣] ﴿هَٰذَا﴾ خبره ﴿ٱلَّذِى﴾ بدل من «هَٰذَا»، ﴿هُوَ جُندٌ﴾ أعوان ﴿لَّكُمْ﴾ صلة «ٱلَّذِى»[٤]، ﴿يَنصُرُكُم﴾ صفة «جُندٌ»، ﴿مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: غيره يدفع عنكم عذابه، أي: لا ناصر لكم[٥] ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم.

---

(١) قوله: (التكذيب). بالنصب مفعول به لـ(إنكاري).

(٢) قوله: (أي: وقابضات...). أفاد أن المضارع ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ من عطف الجملة الفعلية على المفرد، فهي في محل نصب حال، ونكتة التعبير بالفعل هنا: أن الطيران أصله ببسط الأجنحة، كالسباحة في الماء، وأما قبض الجناح أثناء الطيران فأمر عارض، فعبّر عن البسط بالاسم ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾، وعن القبض الطارئ بالفعل الذي يدل على الحدوث والتجدد ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾. أفاده البلاغيون، وذكر ذلك الشيخ محي الدين الدرويش في كتابه «إعراب القرآن».

(٣) قوله: (مبتدأ). أي: ﴿مَّنْ﴾ الاستفهامية مبتدأ، وأصله «أم» المنقطعة، و«من» الاستفهامية.

(٤) وقوله: (صلة ﴿ٱلَّذِى﴾). أي: جملة ﴿هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ صلة ﴿ٱلَّذِى﴾، والجار والمجرور ﴿لَّكُمْ﴾ متعلق بـ﴿جُندٌ﴾.

(٥) وقوله: (أي: لا ناصر لكم). أفاد أن الاستفهام إنكاري.

(٢١)- ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرحمن ﴿رِزْقَهُۥ﴾ أي: المطر عنكم، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي: فمن يرزقكم، أي: لا رازق لكم غيره(١) ﴿بَل لَّجُّوا۟﴾ تمادوا ﴿فِى عُتُوٍّ﴾ تكبر ﴿وَنُفُورٍ (٢١)﴾ تباعد عن الحق.

(٢٢)- ﴿أَفَمَن(٢) يَمْشِى مُكِبًّا﴾ واقعًا(٣) ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ معتدلًا ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ (٢٢)﴾، وخبر «مَن» الثانية محذوف دل على خبر الأولى، أي: أهدى، والمثل(٤) في المؤمن والكافر: أيهما على الهدى؟

(٢٣)- ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣)﴾ «مَّا» مزيدة، والجملة(٥) مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدًّا على هذه النعم.

---

(١) قوله: (أي: لا رازق...). أفاد أن الاستفهام إنكاري.

(٢) ﴿أَفَمَن﴾. الهمزة استفهامية، والفاء: عاطفة على محذوف على مذهب الزمخشري، ومن وافقه، و«أم» في ﴿أَمَّن﴾ متصلة، لسبق همزة التعيين.

(٣) قوله: (واقعًا). يقال: أكبَّ، أي: سقط، وكبَّ، أي: أسقط، فباب الإفعال: «أكب» لازم، والثلاثي المجرد متعد، وهذا من النادر، والأكثر كون الثلاثي المجرد اللازم يتعدى بإلحاق الهمزة، نحو: حَسُن، وأحسَنَ، وخرجَ وأخرج... وهو كثير.

(٤) قوله: (والمثل...). أي: المذكور وهو: من يمشي مكبًّا ومن يمشي سويًّا، في المؤمن والكافر، أي: في كل مؤمن وكافر. قال ابن عباس: «من يمشي في الضلالة أهدى أم من يمشي مهتديًا».اهـ. ومثله عن الضحاك، كما في ابن جرير. ونقل القرطبي عن ابن عباس، والكلبي: «عنى بالذي يمشي مكبًّا: أبا جهل، وبالذي يمشي سويًّا: رسول الله ﷺ».اهـ.

(٥) قوله: (والجملة). أي قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣)﴾. أفاد أن ﴿قَلِيلًا﴾ مفعول مطلق نعت المصدر المحذوف.

﴿٢٤﴾- ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ للحساب.

﴿٢٥﴾- ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ وعد الحشر(١) ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ فيه.

﴿٢٦﴾- ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ بمجيئه ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾ بيّن الإنذار.

﴿٢٧﴾- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العذاب بعد الحشر ﴿زُلْفَةً﴾ قريبًا(٢) ﴿سِيٓـَٔتْ﴾ اسودت ﴿وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ﴾ أي: قال الخزنة لهم: ﴿هَٰذَا﴾ أي: العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ﴾ بإنذارِه(٣) ﴿تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أنكم لا تبعثون، وهذه حكاية حالٍ تأتي عبر عنها بطريق المضي لتحقق وقوعها.

﴿٢٨﴾- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ﴾(٤) من المؤمنين بعذابه كما تقصدون ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يعذبنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ أي: لا مجير لهم منه.

﴿٢٩﴾- ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ بالتاء والياء(٥)، عند معاينة العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ بيّن، أنحن أم أنتم أم هم؟

---

(١) قوله: (وعد الحشر). وبنحوه فسر ابن جرير وغيره.

(٢) قوله: (قريبًا). أفاد أن ﴿زُلْفَةً﴾ مصدر بمعنى اسم الفاعل، وهو حال من الهاء الراجع إلى (العذاب).

(٣) قوله: (بإنذارِه). الباء للسببية، أي: العذاب الذي بسبب إنذاره كنتم تدعون أنكم لا تبعثون، أو تدعون الأباطيل، كما بينه القرطبي توضيحًا لكلام ابن عباس.

(٤) ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾. بمعنى: أخبروني -كما تقدم نظيره- يحتاج إلى ثلاثة مفاعيل:

الأول: ياء المتكلم، وجملة الشرط ﴿إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ...﴾ سدّت مسد المفعول الثاني والثالث. ويقاس عليه الآية التالية: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ...﴾ الآية.

(٥) قوله: (بالتاء والياء). قرأ بالياء: الكسائي. وبالتاء: الباقون.

﴿٣٠﴾- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائرًا في الأرض[١] ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ جارٍ[٢] تناله الأيدي والدلاء كمائكم، أي: لا يأتي به إلا الله تعالى فكيف تنكرون أن يبعثكم، ويستحب أن يقول القارئ عقب «مَّعِينٍ»: الله رب العالمين، كما ورد في الحديث[٣]، وتليت هذه الآية عند بعض المتجبّرين فقال: تأتي به الفؤوس والمعاول، فذهب ماء عينه وعمي، نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته.

❁❁❁

(١) قوله: (غائرًا). أفاد أن ﴿غَوْرًا﴾ مصدر، بمعنى: اسم الفاعل.

(٢) وقوله: (جار). روى ابن جرير هذا المعنى عن قتادة، والضحاك، وروى عن ابن عباس: «﴿مَّعِينٍ﴾: عذب»، وعن ابن جبير: «ظاهر».

(٣) قوله: (كما ورد في الحديث). هذا الحديث لم أجده مرويًّا، وقال الشيخ فخرالدين قباوة في «شرح الجلالين»: «لا أصل له»، ولعل المفسر ذكر حكم الاستحباب بناءً على أن الأحاديث الضعيفة يعمل بها في فضائل الأعمال بشروط ذكرها أهل العلم، ومنها: ألا تخالف قواعد الشرع، وكونها في فضائل الأعمال، وألا يكون ضعيفًا شديدًا، وأن يراد بالعمل الاحتياط، والله أعلم، وكذا لم أجد من أورد قصة بعض المتجبرين معزوًّا، والله أعلم.

٦٨- سورة القلم

مكية[١]، وآياتها اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿نٓ﴾ أحد حروف الهجاء، الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ الذي كتب به[٢] الكائنات في اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ ①﴾ أي: الملائكة من الخير والصلاح[٣].

(٢)- ﴿مَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ②﴾ أي: انتفى الجنون عنك[٤]

---

(١) قوله: (مكية). في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر، وقال ابن عباس، وقتادة: «من أولها إلى قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ⑯﴾ مكي، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ㉝﴾ مدني، ومن بعد ذلك إلى قوله ﴿يَكْتُبُونَ ㊼﴾ مكي، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ㊿﴾ مدني، وما بقي مكي». قاله القرطبي نقلًا عن الماوردي.

(٢) قوله: (الذي كتب به). على هذا تكون «أل» في القلم عهدية، وورد في ذلك أحاديث منها ما روى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب، وما أكتب؟ قال: اكتب القدر، وما هو كائن إلى الأبد**».اهـ. أورده ابن كثير، وروى ابن جرير معناه بطرق مختلفة. واختار ابن كثير أن المراد بالقم هنا جنس القلم، الذي يكتب به، ففيه تذكير لنعمة القلم كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ④﴾ [العلق: ٤]، وعلى هذا تكون «أل» جنسية، ويكون المرادبـ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، أي: يسطر الخلق. و«ما» إما موصولة أو مصدرية.

(٣) وقوله: (أي: الملائكة). مروي عن السدي، كما في ابن كثير، ونقله القرطبي عن ابن عباس.

(٤) قوله: (أي: انتفى...). توضيح لمعنى الآية، أفاد به أن الباء في ﴿بِنِعْمَةِ﴾ سببية تتعلق =

بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها، وهذا ردّ لقولهم[١]: إنه مجنون.

(٣) - ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾ مقطوع.

(٤) - ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾ دين[٢] ﴿عَظِيمٍ ۝٤﴾.

(٥) - ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾.

(٦) - ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ مصدر كالمعقول[٣]، أي: الفتون بمعنى: الجنون، أي: أبك أم بهم؟

(٧) - ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾ له. وأعلم بمعنى: عالم[٤].

= بمعنى: الانتفاء الذي استفيد من النفي بـ﴿مَآ﴾. والباء في ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ زائدة مؤكدة، فلاتحتاج إلى متعلق.

(١) وقوله: (وهذا ردّ...). ذكر ذلك القرطبي وغيره. وهذه الجملة ﴿مَآ أَنتَ﴾ هي جواب القسم، ففيها أنواع من التأكيد، القسم، واسمية الجملة، والباء، والتعليل المستفاد من ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾؛ وذلك لأن الكلام سيق للرد على المخاطبين والإنكار عليهم.

(٢) قوله: (دين). فسر به ابن عباس، ومجاهد، والسدي، وغيرهم. وفي «صحيح مسلم» عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «كان خلقه القرآن»، أي: كان امتثال القرآن خلقًا وسجية له، كما قاله ابن كثير. وهذا مع ما كان النبي ﷺ من الأخلاق العالية التي لا نظير لها.

(٣) قوله: (مصدر). هذا الوجه ذكره القرطبي، والبيضاوي وغيرهما. وعزاه القرطبي إلى ابن عباس، والضحاك، والحسن، وذكر وجهًا آخر، وهو أن الباء زائدة، والمفتون بمعنى: اسم المفعول، أي: أيكم المفتون، وتفسيره بالجنون: مروي عن ابن عباس، والضحاك.

(٤) قوله: (بمعنى: عالم). أي: لا يراد منه المفاضلة؛ لأن ذلك لا يعلمه غير الله تعالى.

(٨) - ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٨)﴾.

(٩) - ﴿وَدُّوا۟﴾ تمنوا ﴿لَوْ﴾ مصدرية[١] ﴿تُدْهِنُ﴾ تلين لهم[٢] ﴿فَيُدْهِنُونَ (٩)﴾ يلينون لك، وهو معطوف[٣] على «تُدْهِنُ»، وإن جعل[٤] جواب التمني المفهوم من «وَدُّوا۟» قدر قبله بعد الفاء: هم.

(١٠) - ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مَّهِينٍ (١٠)﴾ حقير[٥].

(١١) - ﴿هَمَّازٍ﴾ عياب، أي: مغتاب[٦] ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ (١١)﴾ ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم.

(١٢) - ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ بخيلٍ بالمال[٧] عن الحقوق ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿أَثِيمٍ (١٢)﴾ آثم.

---

(١) قوله: (مصدرية). لأن لو سُبقت بـ«ودّ» و﴿لَوْ﴾ المصدرية لا تعمل النصب، وقد تقدم ذلك.

(٢) وقوله: (تلين). هذا المعنى رواه ابن جرير، عن ابن عباس. وعنه أيضًا: «ودّوا لو تكفر فيتمادون على كفرهم»، والادهان: التلين لمن لا ينبغي له التلين. ذكره القرطبي عن الفراء.

(٣) قوله: (وهو معطوف). أي: الفاء في ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ حرف عطف، فما بعده داخل في متمناهم ومترتب على إدهانه لهم.

(٤) وقوله: (وإن جعل...). يعني: أن ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ يحتمل كونه جواب التمني، والفاء على هذا تكون جوابية، فكان حقه أن يكون منصوبًا بـ«أن» مضمرة «فيدهنوا»، ووجه الرفع على هذا أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: فهم يدهنون، وعلى تقدير المبتدأ تكون الفاء استئنافية، وإن كان ظاهرها كونها جوابية.

(٥) قوله: (حقير). روي عن قتادة: «هو المكثار في الشر»، وعن مجاهد: «ضعيف»، وعن ابن عباس: «كذّاب».

(٦) قوله: (أي: مغتاب). روي عن ابن عباس، وفسر بذلك ابن جرير.

(٧) قوله: (بخيل). وبه فسر ابن جرير. ونقل القرطبي عن ابن عباس: «يمنع عن الإسلام ولَده وعشيرته».

(١٣) - ﴿عُتُلٍّ﴾ غليظ جاف[١] ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (١٣)﴾ دعيّ في قريش[٢]. وهو الوليد بن المغيرة[٣]، ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة، قال ابن عباس[٤]: «لا نعلم أن الله وصف أحدًا بما وصفه به من العيوب فألحق به عارًا لا يفارقه أبدًا»، وتعلق بـ«زَنِيمٍ» الظرف قبله[٥].

(١٤) - ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤)﴾ أي: لأنْ[٦]، وهو متعلق بما دل عليه:

(١٥) - ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ﴾ هي ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٥)﴾ أي: كذّب بها لإنعامنا عليه بما ذكره، وفي قراءة[٧]: «أأَن» بهمزتين مفتوحتين.

---

(١) قوله: (غليظ) فسره بمثله ابن جرير وغيره، نقل القرطبي: «هو الذي يعتل الناس فيجرهم إلى حبس أو عذاب مأخوذ من العَتْلِ، وهو الجر».اهـ.

(٢) قوله: (دعيّ). أي: الملصق بهم وليس منهم، وفي معنى الزنيم أقوال أخرى.

(٣) وقوله: (وهو الوليد بن المغيرة...). ما ذكره من أمره قاله القرطبي عازيًا له إلى سعيد بن المسيب، وعكرمة، واستدل عليه بقول حسان:

وأنت زنيم نيط في آل هاشم ... كما نيط خلف الراكب القدَح الفرد.اهـ.

(٤) قوله: (قال ابن عباس...). لم أر هذا معزوًّا إلى ابن عباس، ونقله القرطبي عن القُتَبِيِّ، والله أعلم.

(٥) قوله: (الظرف قبله). وهو ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾.

(٦) قوله: (أي: لأن). يعني: أنّ لام التعليل محذوفة، وكان الأصل: «لأن كان...». وهو متعلق لما دل عليه الآية التالية، أي: كذّب بها، كما قدره المفسر، وليس متعلقًا بـ﴿تُتْلَىٰ﴾، و﴿قَالَ﴾؛ لأن ﴿إِذَا﴾ مضافة لما بعدها، ولا يعمل ما بعد المضاف فيما قبله، كما يعلم من كلام القرطبي.

(٧) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ بالهمزتين: ابن عامر، وشعبة، وحمزة، وأبو جعفر، ويعقوب. على اختلاف في تسهيل الثانية وتحقيقها، والهمزة الأولى استفهامية توبيخية.

(١٦)- ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ (١٦)﴾ سنجعل على أنفه[١] علامة يعير بها ما عاش، فخطم أنفه بالسيف يوم بدر.

(١٧)- ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ امتحنّا[٢] أهل مكة بالقحط والجوع ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ البستان[٣] ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ يقطعون ثمرتها ﴿مُصْبِحِينَ (١٧)﴾ وقت الصباح كي لا يشعر بهم المساكين، فلا يعطونهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها.

(١٨)- ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨)﴾ في يمينهم[٤] بمشيئة الله تعالى، والجملة مستأنفة[٥]،

---

(١) قوله: (سنجعل). تفسير لـ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾، وهو مضارع: وسَم، يسِمُ: وهذا المعنى الذي ذكره المفسر، أي: سنجعل على أنفه علامة يعاب بها ما عاش، مروي عن ابن عباس، وقتادة. والخرطوم: الأنف، وقال ابن جرير في معنى الآية: «سنبين أمره بيانًا واضحًا، حتى يعرفوه، ولا يخفى عليهم كما لا تخفى عليهم السمة على الخراطيم، وعلى هذا يكون الكلام من الاستعارة المركبة»، وعن مجاهد: «نسود وجهه في الآخرة».اهـ. نعوذ بالله من ذلك.

(٢) قوله: (امتحنّا). قال ابن كثير: «هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وهو بعثة محمد ﷺ إليهم، فقابلوه بالتكذيب»، وفي القرطبي: «لما بطروا، أي: أهل مكة، وعادوا محمدًا ﷺ ابتليناهم بالجوع والقحط».اهـ. باختصار.

(٣) قوله: (البستان). أفاد به أن المراد بالجنة هنا: المعنى اللغوي، وليست الدار الآخرة.

تنبيه: هذه القصة التي ذكرها الله لنا من أصحاب البستان: قال بعض السلف: «إن هؤلاء كانوا من أهل اليمن في قرية يقال لها «ضروان» على ستة أميال من صنعاء». قاله سعيد بن جبير. وكانوا أهل الكتاب، وقيل: هم من أهل الحبشة. روي عن عكرمة، وملخصها: أن أباهم كان كريمًا يعطي المساكين، فلما مات وورثه أبناؤه بخلوا ومنعوا الفقراء، فأهلك الله بُستانهم.اهـ. كما في ابن كثير.

(٤) قوله: (في يمينهم). أي: في حلفهم ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾، لم يقولوا: إن شاء الله، ولذا حنثهم الله في أيمانهم.

(٥) وقوله: (الجملة مستأنفة). أي: جملة ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾، فالواو استئنافية، وهي من كلام الله تعالى، وليست داخلة في حلفهم، كما هو واضح. ويحتمل كون الواو حالية.

أي: وشأنهم ذلك[١].

﴿١٩﴾- ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ نار أحرقتها ليلًا ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿٢٠﴾- ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ كالليل الشديد الظلمة[٢]، أي: سوداء.

﴿٢١﴾- ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿٢٢﴾- ﴿أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ غلتكم، تفسير للتنادي[٣]، أو «أَنِ» مصدرية، أي: بأن ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ مريدين القطع. وجواب الشرط دل عليه ما قبله.

﴿٢٣﴾- ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يتسارون.

﴿٢٤﴾- ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ تفسير لما قبله، أو «أَن» مصدرية، أي: بأن.

﴿٢٥﴾- ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ منع للفقراء[٤] ﴿قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ عليه في ظنهم.

﴿٢٦﴾- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ سوداء محترقة ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾﴾ عنها، أي ليست هذه[٥]، ثم قالوا لما علموها:

﴿٢٧﴾- ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ثمرتها بمنعنا الفقراء منها.

---

(١) قوله: (أي: وشأنهم...). يشير به إلى فائدة التعبير بالمضارع: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾، المفيد للاستمرار، ويؤكد كونه للاستئناف.

(٢) قوله: (كالليل). هذا المعنى مروي عن ابن عباس، وسمي الليل صريمًا لانصرامه وانفصاله عن النهار، وعن السدي وغيره: «كالزرع المحصود»، فالصريم بمعنى: المصروم، أي: المقطوع، كما ذكر القرطبي.

(٣) قوله: (تفسير...). أي: فتكون ﴿أَنِ﴾ تفسيرية.

(٤) قوله: (منع للفقراء). هذا المعنى عزاه القرطبي إلى أبي عبيدة، والقُتبيّ. وعن ابن عباس: «الحرد: القصد، والمعنى: على قصدٍ وقدرة، ويظنون أنهم تمكنوا من مرادهم».اهـ. وعن قتادة، ومجاهد: «على حردٍ: على جِدٍّ».

(٥) قوله: (ليست هذه). أي: ليست حديقتنا هذه، وضللنا الطريق إلى جنَّتنا. روي عن قتادة.

(٢٨)- ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ خيرهم[١] ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا﴾ هلّا ﴿تُسَبِّحُونَ (٢٨)﴾ الله تائبين.

(٢٩)- ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٢٩)﴾ بمنع الفقراء حقهم.

(٣٠)- ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ (٣٠)﴾.

(٣١)- ﴿قَالُوا۟ يَا﴾ للتنبيه[٢] ﴿وَيْلَنَآ﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ (٣١)﴾.

(٣٢)- ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبَدِّلَنَا﴾ بالتشديد والتخفيف[٣] ﴿خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ (٣٢)﴾ ليقبل توبتنا، ويرد علينا خيرًا من جنتنا، روي أنهم أبدلوا خيرًا منها[٤].

(٣٣)- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل العذاب لهؤلاء ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ لمن خالف أمرنا من كفار مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ عذابها ما خالفوا أمرنا[٥].

(٣٤)- ونزل لما قالوا[٦]: إن بُعثنا نُعطَى أفضَل منكم، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٣٤)﴾.

---

(١) قوله: (خيرهم). أي: أعدَلهم كما روي عن ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما.

(٢) قوله: (للتنبيه). أي: للتنبيه مرادًا، وإلا فهو حرف نداء إعرابًا، والمنادى ﴿وَيْلَنَآ﴾ فهو منصوب للإضافة، وقد تقدم نظيره.

(٣) قوله: (بالتشديد...). قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: بالتشديد: ﴿أَن يُبَدِّلَنَا﴾ من التبديل. والباقون: بالتخفيف: ﴿أَن يُبْدِلَنَا﴾ من الإبدال.

(٤) قوله: (روي أنهم). هذا القول نقله القرطبي عن ابن مسعود، قال: «إن القوم أخلصوا وعرف الله منهم صدقهم فأبدلهم جنة يقال لها: الحيوان، فيها عنب يحمل البغل منها عنقودًا واحدًا».اهـ.

(٥) قوله: (ما خالفوا...). قدره ليكون جوابًا لـ﴿لَوْ﴾ الشرطية.

(٦) قوله: (ونزل...). ما ذكره من سبب النزول عزاه القرطبي إلى ابن عباس وغيره. قال ابن عباس وغيره: «قالت كفار مكة: إنا نُعطى في الآخرة خيرًا مما تُعطَون، فنزلت ﴿أَفَنَجْعَلُ﴾ الآية».اهـ. الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على مقدر، أو استئنافية، والجار والمجرور: المفعول الثاني لـ﴿نَجْعَلُ﴾.

٣٥- ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: تابعين لهم في العطاء.

٣٦- ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾[١] هذا الحكم الفاسد.

٣٧- ﴿أَمْ﴾ أي: بل أَ[٢] ﴿لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ منزل ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي: تقرؤون.

٣٨- ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ تختارون.

٣٩- ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ﴾ عهود ﴿عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ﴾ واثقة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ متعلق معنًى بـ«عَلَيْنَا»[٣]، وفي هذا الكلام معنى القسم[٤]، أي: أَأَقْسَمْنا لكم، وجوابه ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ به أنفسكم.

٤٠- ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين ﴿زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ كفيل لهم.

٤١- ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ موافقون لهم في هذا القول يكفلون به لهم، فإن كان كذلك[٥] ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ الكافلين لهم به ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾.

---

(١) ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ﴾: ﴿مَا﴾: استفهامية مبتدأ في محل رفع، و﴿لَكُمْ﴾ خبرها، و﴿كَيْفَ﴾ في محل نصب حال.

(٢) قوله: (بل أَ). أفاد أن ﴿أَمْ﴾ منقطعة تتضمن معنى الاستفهام الإنكاري.

(٣) قوله: (متعلق معنًى). يعني أن الجار والمجرور ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ متعلق بالاستقرار الذي تعلق به ﴿عَلَيْنَا﴾، و﴿عَلَيْنَا﴾ نعت لـ﴿أَيْمَٰنٌ﴾، فالمعنى: أم لهم أيمان مستقرة علينا إلى يوم القيامة. ويصح تعلقه بـ﴿بَٰلِغَةٌ﴾، أو بما تعلق به ﴿لَكُمْ﴾، كما ذكره البيضاوي وغيره.

(٤) قوله: (وفي هذا الكلام). أي: لما تضمن الكلام معنى القسم جاء بعده الكلام المؤكد، وهو ﴿إِنَّ لَكُمْ﴾؛ لأن جواب القسم إذا كان جملة اسمية يأتي مؤكدًا، كما أنه إذا كان فعلًا مضارعًا مثبتًا يؤكد بالنون.

(٥) قوله: (فإن كان كذلك...). قدره ليكون شرطًا، والجواب ﴿فَلْيَأْتُوا۟...﴾ فالفاء جوابية، والجملة في محل جزم جواب للشرط المحذوف، والله أعلم.

(٤٢)- اذكر ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ هو عبارة عن شدة الأمر[1] يوم القيامة للحساب والجزاء، يقال: كشفت الحرب عن ساق، إذا اشتد الأمر فيها ﴿وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ امتحانًا لإيمانهم ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ (٤٢)﴾ تصير ظهورهم طبقًا واحدًا.

(٤٣)- ﴿خَٰشِعَةً﴾ حال من ضمير «يُدۡعَوۡنَ»، أي: ذليلة ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ لا يرفعونها ﴿تَرۡهَقُهُمۡ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ (٤٣)﴾ فلا يأتون به بأن لا يصلوا.

(٤٤)- ﴿فَذَرۡنِي﴾ دعني[2] ﴿وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ﴾ القرآن ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾

---

(١) قوله: (هو عبارة...). يعني: أنه كناية عن شدة الأمر يوم القيامة. والمعنى: تكشف القيامة عن ساقها، أي: يشتد أمرها. وما ذكره المفسر من المعنى مروي عن عدة من السلف، أورده ابن جرير؛ منهم ابن عباس، وقتادة، وابن جبير، ومجاهد، والضحاك، وغيرهم. وذلك بألفاظ متقاربة، ففيما روي عن ابن عباس، قال: «هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة»، وقال: «حين يكشف الأمر، وتبدو الأعمال، وكشفه: دخول الآخرة وكشف الأمر عنه».اهـ. راجع ابن جرير. ومن المفسرين من أجرى الآية على كشف الرب سبحانه عن ساقه كما يليق به، وابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسر الآية بقوله: (يعني: يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام»، ثم أورد حديث البخاري عن أبي سعيد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا**».اهـ. وفي ذلك أحاديثُ مفصلة أوردها أئمة الحديث، وقد أورد ابن جرير طرفًا منها.

(٢) قوله: (دعني). أي: اتركني، ذَرْ، دَعْ، هما فعلا أمرٍ، لم يستعمل منهما الماضي، وماضيهما: وَذَرَ، وَدَعَ، نحو: وَعَدَ. والفاء في ﴿فَذَرۡنِي﴾ الفاء الفصيحة، والواو في ﴿وَمَن يُكَذِّبُ﴾ إما عاطفة على ياء المتكلم، أو واو المعية، و﴿مَن﴾ مفعول معه.

نأخذهم قليلًا قليلًا ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿٤٥﴾ - ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ شديد لا يطاق.

﴿٤٦﴾ - ﴿أَمْ﴾ بل أ[١] ﴿تَسْأَلُهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ مما يعطونكه ﴿مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فلا يؤمنون لذلك.

﴿٤٧﴾ - ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ[٢] الذي فيه الغيب ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ منه ما يقولون.

﴿٤٨﴾ - ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما يشاء[٣] ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ في الضجر والعجلة، وهو يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ[٤] ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ مملوء غمًّا في بطن الحوت[٥].

﴿٤٩﴾ - ﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ﴾[٦] أدركه ﴿نِعْمَةٌ﴾ رحمة ﴿مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ﴾ من بطن الحوت ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ بالأرض الفضاء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾ لكنه رحم فنبذ غير مذموم[٧].

---

(١) قوله: (بل أ). أفاد أن ﴿أَمْ﴾ منقطعة متضمنة معنى الاستفهام الإنكاري، وكذلك ﴿أَمْ﴾ في الآية التالية.

(٢) قوله: (اللوح المحفوظ). وبه فسر ابن جرير، وعزاه القرطبي إلى ابن عباس.

(٣) قوله: (فيهم بما شاء). متعلقان بـ﴿حُكْمِ﴾.

(٤) قوله: (وهو يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ). وتقدمت قصته في سورة يونس، والأنبياء، والصافات.

(٥) قوله: (مملوء غمًّا). روي عن ابن عباس، ومجاهد.

(٦) ﴿لَّوْلَا ...﴾. ﴿لَّوْلَا﴾: امتناعية، والمصدر المؤول من ﴿أَن تَدَارَكَهُ﴾ مبتدأ، والخبر محذوف، أي: كائن، وجملة ﴿لَنُبِذَ﴾ جواب ﴿لَّوْلَا﴾.

(٧) قوله: (لكنه رحم...). توضيح لما يفيده ﴿لَّوْلَا﴾ الامتناعية، فإنها تفيد امتناع الجواب لوجود الشرط، فيكون المعنى: امتنع نبذه مذمومًا لوجود تدارك نعمته تعالى.

(٥٠) - ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ بالنبوة[١] ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٥٠﴾ الأنبياء.

(٥١) - ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ﴾[٢] بضم الياء وفتحها[٣] ﴿بِأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ أي: ينظرون إليك[٤] نظرًا شديدًا يكاد أن يصرعك ويسقطك من مكانك ﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسدًا ﴿إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١﴾ بسبب القرآن الذي جاء به.

(٥٢) - ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ موعظة ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢﴾ الجن والإنس لا يَحدُث بسبب جنون.

❀❀❀

---

(١) قوله: (النبوة). المراد بالنبوة والوحي بعد هذه الواقعة كما نقله القرطبي، عن ابن عباس، قال: «ردّ الله إليه الوحي، وشفّعه في نفسه وفي قومه، وقيل: توبته وجعله من الصالحين بأن أرسله إلى مائة ألفٍ أو يزيدون».اهـ.

(٢) ﴿وَإِن يَكَادُ﴾. ﴿إِن﴾: مخففة من الثقيلة، مهملة.

(٣) قوله: (بضم الياء...). قرأ بفتح الياء: نافع، وأبو جعفر. وبضمها: الباقون. من: زلق، وأزلق، بمعنى: أبعد ونحّى.

(٤) قوله: (أي: ينظرون...). وبمثله فسر ابن جرير، قال: «ينفذونك بأبصارك من شدة عداوتهم لك، ويزيلونك فيرموا بك عند نظرهم إليك غيظًا عليك».اهـ. وفسر ابن عباس: «يزلقونك: يزهقونك»، وبهذا وردت القراءة عنه فيما رواه ابن جرير.

ويعلم من ابن كثير، والقرطبي وغيرهما أن معنى الآية: أرادت قريش أن يصيبوه بالعين، قال القرطبي: «أخبر بشدة عداوتهم النبي ﷺ وأرادوه أن يصيبوه بالعين، فنظر إليه قوم من قريش وقالوا: ما رأينا مثله ومثل حججه».اهـ. ونقل عن الكلبي، والماوردي: «سأل الكفار رجلًا عائنًا أن يصيب النبي ﷺ بعينه فعصمه الله»، وقال ابن كثير: «في هذه الآية دليل على أن العين وإصابتها بإذن الله تعالى حق».اهـ. ملخصًا. وعلى هذا، فلا داعي لاستنكار بعض المعاصرين ذلك، كالدكتور قباوة. كأنهم لا يرون العين.

فائدة: هذه الآية مما تقرأ من شر العين، ويعالج بها كما يعلم من كتب الرقيا. والله أعلم.

٦٩- سورة الحاقة

مكية(١)، وآياتها إحدى أو اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾- ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾﴾ القيامة(٢) التي يحق فيها ما أُنكر من البعث والحساب والجزاء أو المظهرة لذلك.

﴿٢﴾- ﴿مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾﴾ تعظيم لشأنها، وهما مبتدأ وخبر، خبر «الْحَاقَّةُ»(٣).

﴿٣﴾- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾﴾ زيادة تعظيم لشأنها، فـ«مَا» الأولى مبتدأ(٤)، وما بعدها خبره، و«مَا» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لـ«أدرى»(٥).

﴿٤﴾- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾ القيامة؛ لأنها تقرع القلوب بأهوالها.

---

(١) قوله: (مكية). قال القرطبي: «في قول الجميع».اهـ.

(٢) قوله: (القيامة). فالحاقة من أسماء يوم القيامة كالقارعة الآتي ذكرها، كما ذكره المفسرون، وسميت بذلك؛ لأن الأمور تحق فيها. ذكره ابن جرير. فيكون فيه مجاز عقليّ، أي: الإسناد إلى الزمان، كما نبه عليه القرطبي، أو المعنى: المحقة، أي: المظهرة لما أنكر، أو بمعنى الثابتة بدون شك، أو غير ذلك. كما يعلم من القرطبي.

(٣) قوله: (وهما مبتدأ...). يعني: ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ جملة اسمية، ﴿مَا﴾: مبتدأ، و﴿الْحَاقَّةُ﴾: خبره. وهذه الجملة في محل رفع خبر لـ﴿الْحَاقَّةُ﴾ الأولى، فيكون الرابط ذكر المبتدأ بلفظه في الخبر.

(٤) قوله: (فـ﴿مَا﴾ الأولى...). أي: ﴿مَا﴾ في ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ و﴿مَا﴾ الثانية هي التي ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾.

(٥) قوله: (في محل المفعول الثاني). وذلك إذا كان «أدرى» متعديًا للمفعولين، وأما إذا كان بمعنى: أعلم، المتعدي لثلاثة مفاعيل، فالجملة ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ سدت مسد المفعول الثاني والثالث.

(٥) - ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥)﴾ بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة[١].

(٦) - ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ شديد الصوت ﴿عَاتِيَةٍ (٦)﴾ قوية شديدة على عاد مع قوتهم وشدتهم.

(٧) - ﴿سَخَّرَهَا﴾ أرسلها بالقهر ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ أولها من صبح يوم الأربعاء لثمانٍ بقين من شوال، وكانت في عجز الشتاء ﴿حُسُومًا﴾ متتابعات[٢]، شبهت[٣] بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى[٤]﴾ مطروحين هالكين ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾ أصول ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧)﴾ ساقطة فارغة.

(٨) - ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨)﴾ صفة نفس مقدرة[٥]، أو التاء للمبالغة، أي: باق، لا.

---

(١) قوله: (بالصيحة). هذا التفسير روي عن قتادة، واختاره ابن جرير، فالباء للاستعانة أو السببية، وعن مجاهد: «الطاغية: الذنوب»، فتكون الباء للسببية التعليلية، وتقدمت قصة إهلاكهم وإهلاك عاد في مواضع. كما تقدمت كلمة «صرصر» في سورة فصلت والقمر.

(٢) قوله: (متتابعات). روي عن ابن عباس، وابن مسعود، ومجاهد وغيرهم. وهو وصفٌ من الحَسْم، أي: القطع.

(٣) وقوله: (شبهت). هذا الكلام نقله القرطبي عن الفراء بسياق قريب مما قاله المفسر. يعني: شبهت الريح بتتابع فعل الذي يعمل الكيّ على الداء، حتى ينحسم، أي: ينقطع. ووجه الشبه: التتابع الحاسم، فتكون الكلمة استعارة. والله أعلم.

(٤) ﴿صَرْعَى﴾ جمع صريع على وزن «فَعْلَى» ممنوع من الصرف لألف التأنيث.

(٥) قوله: (صفة نفس...). هذا توجيه لذكر التاء في ﴿بَاقِيَةٍ﴾، والتقدير: من نفسٍ باقية، أو فرقة باقية. أو التاء للمبالغة، أي: من أحدٍ باقٍ، كالتاء في العلّامة، والداعية ونحوهما، وقيل: مصدر بمعنى: البقاء، كالعافية والعاقبة، كما ذكره القرطبي.

(٩) - ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قِبَلَهُۥ﴾ أتباعه، وفي قراءة[١]: بفتح القاف وسكون الباء، أي: من تقدمه من الأمم الكافرة ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ أي: أهلها، وهي قرى قوم لوط ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ (٩)﴾ بالفعلات ذات الخطأ[٢].

(١٠) - ﴿فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي: لوطًا وغيره ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (١٠)﴾ زائدة في الشدة على غيرها.

(١١) - ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ علا[٣] فوق كل شيء من الجبال وغيرها زمن الطوفان ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ يعني: آباءكم إذ أنتم في أصلابهم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ (١١)﴾ السفينة التي عملها نوح، ونجا هو ومن كان معه فيها، وغرق الآخرون.

(١٢) - ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي: هذه الفعلة، وهي إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عظة ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ ولتحفظها[٤] ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ (١٢)﴾ حافظة لما تسمع.

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: ﴿وَمَن قِبَلَهُۥ﴾ بكسر القاف وفتح الباء، أي: ومن بجانبه، والمراد: أتباعه، كما ذكر المفسر. وقرأ الباقون: ﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ بفتح القاف وسكون الباء، أي: ومن تقدّمه، كما ذكره المفسر أيضًا.

(٢) قوله: (بالفعلات...). أفاد أن الخاطئة نعت لمحذوف، والخاطئة بمعنى: الوصف، ونقل القرطبي عن الجرجاني: «بالخطأ العظيم»، فالخاطئة على هذا مصدر.

(٣) قوله: (علا). روي عن قتادة: «علا خمسة عشر ذراعًا فوق كل شيء». كما في ابن جرير. وعن سعيد بن جبير: «﴿طَغَا﴾ بمعنى: تجاوز الحساب على خزنة الماء من الملائكة، فخرج منه ما تجاوز الحد عنهم».اهـ. باختصار.

(٤) قوله: (ولتحفظها). تفسير لـ﴿وَتَعِيَهَآ﴾، وهو مضارع: وعى، بمعنى: حفظ، منصوب بالعطف على ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾.

١٣- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣﴾ للفصل بين الخلائق، وهي الثانية[١].

١٤- ﴿وَحُمِلَتِ﴾ رفعت ﴿ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا﴾ دقتا ﴿دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤﴾.

١٥- ﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥﴾ قامت القيامة.

١٦- ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ١٦﴾ ضعيفة.

١٧- ﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾ يعني: الملائكة[٢] ﴿عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ جوانب السماء[٣] ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ﴾ أي: الملائكة المذكورين ﴿يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ من الملائكة أو من صفوفهم[٤].

١٨- ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ﴾ للحساب ﴿لَا تَخۡفَىٰ﴾ بالتاء والياء[٥] ﴿مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨﴾ من السرائر.

---

(١) قوله: (وهي الثانية). وهذا ما ذهب إليه ابن كثير. بل جعلها النفخة الثالثة بناءً على وجود ثلاث نفخات؛ نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث، وقال: «وقد أكدها هٰهنا بأنها واحدة»، وقال ابن جرير وغيره: «المراد بالنفخة الأولى»، وعزاه القرطبي إلى ابن عباس.

(٢) قوله: (يعني: الملائكة). أي: فيكون «أل» في ﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾ للجنس أو الاستغراق.

(٣) قوله: (جوانب السماء). كما روي عن ابن عباس: «على حافات السماء»، وعن مجاهد: «على أطرافها».اهـ. وقال ابن كثير: «على ما استدق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض».اهـ.

(٤) قوله: (من الملائكة). أي: عددهم ثمانية، قاله ابن زيد. وفسر بذلك ابن كثير، وأورد حديث أبي داود، وفيه أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام.اهـ. وروى عن ابن عباس: «ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله...».اهـ.

(٥) قوله: (بالتاء والياء). قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بالياء. والباقون: بالتاء.

﴿١٩﴾- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ﴾ خطابًا لجماعته لما سُرّ به ﴿هَآؤُمُ﴾ خذوا[١] ﴿ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ تنازع فيه[٢]: «هَآؤُمُ» و«ٱقْرَءُواْ».

﴿٢٠﴾- ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ تيقنت[٣] ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿٢١﴾- ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ مرضية[٤].

﴿٢٢﴾- ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿٢٣﴾- ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها[٥] ﴿دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قريبة يتناولها[٦] القائم والقاعد والمضطجع.

﴿٢٤﴾- فيقال لهم: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا﴾ حال، أي: مهنئين ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ الماضية في الدنيا.

---

(١) قوله: (خذوا). هذا أحد المعاني التي فسر بها ﴿هَآؤُمُ﴾. ذكره القرطبي بدون عزو. وعن ابن زيد: «تعالوا». وعن مقاتل: «هلمّ»، وهو اسم فعل أمر على كل حال.

(٢) وقوله: (تنازع). مبني على تفسيره بـ(خذوا) كما هو واضح، فيكون مفعولًا به لـ﴿ٱقْرَءُواْ﴾، و﴿هَآؤُمُ﴾ مهمل على ما هو اختيار البصريين من أن الأَولى إعمال الثاني وإهمال الأول، وإذا أهمل الأول فلا يعطى له الضمير إلا ضمير الرفع كما فصل في كتب النحو.

(٣) قوله: (تيقنت). كما روي عن ابن عباس وغيره. والظن يطلق بمعنى: اليقين، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

(٤) قوله: (مرضية). أفاد أن فيه مجازًا عقليًّا حيث أسند الرضا إلى المفعول به.

(٥) قوله: (ثمارها). تفسير بالمراد، والقطوف جمع قِطف -بكسر القاف-: وهو ما يقطف من الثمار كما ذكره القرطبي، وأما القَطْف -بفتح القاف- فهو مصدر.

(٦) وقوله: (يتناولها...). فسر به القرطبي وغيره.

﴿٢٥﴾- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَا﴾ للتنبيه[١] ﴿لَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿٢٦﴾- ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿٢٧﴾- ﴿يَٰلَيْتَهَا﴾ أي: الموتة في الدنيا[٢] ﴿كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ القاطعة لحياتي، بأن لا أبعث.

﴿٢٨﴾- ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿٢٩﴾- ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ قوتي وحجتي[٣]، وهاء[٤] «كِتَٰبِيَهْ» و«حِسَابِيَهْ» و«مَالِيَهْ» و«سُلْطَٰنِيَهْ» للسكت، تثبت وقفًا ووصلًا؛ اتباعا للمصحف الإمام والنقل، ومنهم من حذفها وصلًا.

﴿٣٠﴾- ﴿خُذُوهُ﴾ خطاب لخزنة جهنم[٥] ﴿فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ اجمعوا يديه إلى عنقه في الغُلّ[٦].

---

(١) قوله: (للتنبيه). أي: ليست للنداء؛ لأن النداء مختص بالاسم، و«ليت» حرف، وقد تقدم نحوه في مواضع.

(٢) قوله: (أي: الموتة). كذا فسرها ابن جرير وغيره، فالضمير يعود إلى الموتة المعلومة من السياق.

(٣) قوله: (قوتي...). عن ابن عباس: «﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾ أي: حجتي»، وعن ابن زيد: «سلطاني ومُلكي في الدنيا»، ولعل المفسر جمع بين التفسيرين في الذِّكر.

(٤) قوله: (وهاء...). يعني أن الهاء في هذه المواضع هاء السكتة، وليست ضميرًا، وهاء السكتة تزاد في الوقف، هذا هو الأصل، ولكن في هذه المواضع تُثبت وقفًا ووصلًا، وعليه جماهير القراء. وذلك اتباعًا لأم المصاحف، وهو مصحف عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحذف الهاء في الوصل: قراءة يعقوب، وإلى ذلك أشار المفسر بقوله: (ومنهم من حذف وصلًا).

(٥) قوله: (خطاب...). كما قاله ابن جرير وغيره.

(٦) قوله: (الغُلّ). بضم الغين، جمعه: أغلال: طوق من حديد أو جلد يجعل في العنق أو اليد أو يجمع به اليد إلى العنق. وتقدم «الأغلال» في مواضع.

٣١- ﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾ النار المحرقة ﴿صَلُّوهُ ٣١﴾ أدخلوه.

٣٢- ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا﴾ بذراع المَلك[١] ﴿فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢﴾ أي: أدخلوه فيها بعد إدخاله النار، ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم[٢].

٣٣- ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣﴾.

٣٤- ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤﴾.

٣٥- ﴿فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥﴾ قريب ينتفع به.

٣٦- ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦﴾ صديد أهل النار، أو شجر فيها[٣].

---

(١) قوله: (بذراع المَلك) هذا مروي عن ابن عباس، قال: «تسلك في دُبره حتى تخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه».اهـ. وعن نوف البكالي: «الذراع سبعون باعًا، والباع أبعد ما بينك وبين مكة».اهـ.

(٢) قوله: (ولم تمنع الفاء...). يعني أن الجار والمجرور ﴿فِي سِلۡسِلَةٖ﴾ متعلق بـ﴿فَٱسۡلُكُوهُ﴾، والفاء فيه لا تمنع من التعلق؛ لأن الجار والمجرور قدم للاختصاص، فهو متأخر تقديرًا، ونبه على ذلك لأن هذه الفاء لها شبه بالفاء الداخلة على جواب الشرط، وفاء الجواب لا يتقدم عليها معمول ما بعدها، مثلًا لا يقال: إن جاءك زيد درهمًا فأعطه. والفاء هنا يحتمل كونها مزيدة للتأكيد، كما يحتمل كونها عاطفة، وإذا كانت عاطفة تكون ﴿ثُمَّ﴾ للدلالة على الفرق بين العذابين، أي: من الترقي إلى الأشد، كما أشار إلى ذلك البيضاوي، ويحتمل كون ﴿ثُمَّ﴾ للعطف، والمعطوف محذوف، أي: ثم يقال لهم. كما أشار إلى ذلك الدرويش في «إعراب القرآن»، والله أعلم.

(٣) قوله: (صديد...). فسر بذلك ابن عباس، ونقل القرطبي عن الضحاك، والربيع بن أنس: «أنه شجر يأكله أهل النار».اهـ.

(٣٧) - ﴿لَا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ (٣٧)﴾ الكافرون[١].

(٣٨) - ﴿فَلَآ﴾ زائدة[٢] ﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨)﴾ من المخلوقات.

(٣٩) - ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩)﴾ منها، أي: بكل مخلوق.

(٤٠) - ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠)﴾[٣] أي: قاله رسالة عن الله تعالى.

(٤١) - ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١)﴾.

(٤٢) - ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢)﴾ بالتاء والياء في الفعلين[٤]، و«مَّا» مزيدة مؤكدة[٥]، والمعنى: أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكروها مما أتى به النبي ﷺ من الخير والصلة والعفاف، فلم تغن عنهم شيئًا.

(٤٣) - بل هو ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٣)﴾.

(٤٤) - ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ أي: النبي ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ (٤٤)﴾ بأن قال عنّا ما لم نقله.

---

(١) قوله: (الكافرون). ذكر نحوه ابن جرير، وكما روي عن ابن عباس: «المشركون».

(٢) قوله: (زائدة). روي كذلك عن ابن زيد، وفسر القرطبي، وابن جرير وغيرهما بذلك، وقيل: ﴿فَلَآ﴾ رد لكلام المشركين، وقيل: لنفي القسم، أي: لا يحتاج في هذا إلى قسم لوضوحه، ذكرهما القرطبي.

(٣) ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ عن الحسن، والكلبي، ومقاتل: «جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»، وعن الكلبي أيضًا، والقتبي: «محمد ﷺ»، وعلى هذا مشى المفسر.

(٤) قوله: (بالتاء...). قرأ بالياء فيهما: ابن كثير، ويعقوب، وابن عامر. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر: بالتاء مع تشديد الذال من «تذكرون». والباقون: بتخفيفهما.

(٥) قوله: (﴿مَّا﴾...). فهي حرف زيدت للتأكيد، و﴿قَلِيلًا﴾: مفعول مطلق، ويحتمل غير ذلك.

٤٥- ﴿لَأَخَذۡنَا﴾ لنلنا ﴿مِنۡهُ﴾ عقابًا ﴿بِٱلۡيَمِينِ ٤٥﴾ بالقوة والقدرة[١].

٤٦- ﴿ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦﴾ نياط القلب، وهو عرق متصل به إذا انقطع مات صاحبه.

٤٧- ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ﴾ هو اسم «مَا»[٢] و«مِّنۡ» زائدة لتأكيد النفي، و«مِنكُم» حال من «أَحَدٍ»، ﴿عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧﴾ مانعين، خبر «مَا»، وجُمِع؛ لأن أَحدًا في سياق النفي بمعنى الجمع، وضمير «عَنۡهُ» للنبي ﷺ، أي: لا مانع لنا عنه من حيث العقاب.

٤٨- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨﴾.

٤٩- ﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم﴾ أيها الناس ﴿مُّكَذِّبِينَ ٤٩﴾ بالقرآن، ومصدقين.

٥٠- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾ إذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به[٣].

---

(١) قوله: (بالقوة والقدرة). وهذا التفسير هو الذي ذكره ابن جرير، قال: «يقول: لأخذنا منه بالقوة منا والقدرة، ثم لقطعنا منه نياط القلب، وإنما يعني بذلك أنه كان يعاجله بالعقوبة ولا يؤخره عنها».اهـ. وذكر ابن جرير معنًى آخر، أي: «لأخذنا من النبي ﷺ بيده اليمنى ويكون ذلك من المثل، أي: كناية عن الإذلال».اهـ. ملخصًا. والمعنى الأول عزاه القرطبي إلى ابن عباس، ومجاهد، قال القرطبي: «وهو معنى قول ابن عباس، ومجاهد».اهـ. وقال ابن كثير: «قيل: لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش».اهـ.

(٢) قوله: (هو اسم ﴿مَا﴾). يعني: ﴿أَحَدٍ﴾ اسم ﴿مَا﴾ النافية الحجازية، وخبرها ﴿حَٰجِزِينَ﴾، و﴿مِنكُم﴾ في محل نصب حال؛ لأنه كان نعتًا لـ﴿أَحَدٍ﴾ في المعنى، ونعت النكرة إذا قدم أعرب حالًا، وماذكره من الإعراب واضح لا غبار فيه، وهناك أوجه أخرى في إعراب الآية.

(٣) قوله: (إذا رأوا...). يعني: يوم القيامة. وروي نحوه عن قتادة، قال: «ذاكم يوم القيامة».اهـ.

﴿٥١﴾- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ أي: اليقين الحق[١].

﴿٥٢﴾- ﴿فَسَبِّحْ﴾ نزّه[٢] ﴿بِٱسْمِ﴾ الباء زائدة[٣] ﴿رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ سبحانه[٤].

❁❁❁

(١) قوله: (أي: اليقين الحق). أفاد أن حق اليقين من إضافة الصفة إلى الموصوف، والمعنى: اليقين الذي لا ريب فيه. ويحتمل العكس.

(٢) قوله: (نزّه). فالمراد: مطلق التنزيه. كما هو ظاهر ابن جرير وغيره، وعن ابن عباس: «فصلّ لربِّك».

(٣) قوله: (زائدة). أي: للتأكيد. والمعنى: سبح اسم ربّك، أي: نزّه اسمه عن الإلحاد فيه. وقيل: نزّه الله عن السوء والنقائص، كما نقله القرطبي، فيكون الاسم بمعنى: الذات، وقال البيضاوي: «ومفعول ﴿سَبِّحْ﴾ محذوف»، كما أن ظاهره أن ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ نعت لاسمه، وكل المعاني صحيح في نفسه ومحتمل.

(٤) وقوله: (سبحانه). لعله ذكر امتثالًا بهذا ا لأمر، والله أعلم. ولا يوجد في بعض النسخ.

٧٠- سورة المعارج

مكية[١]، وآياتها أربع وأربعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ دعا داع ﴿بِعَذَابٖ وَاقِعٖ (١)﴾[٢].

(٢)- ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ (٢)﴾ هو النضر بن الحارث[٣]، قال: «ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ ...» [الأنفال: ٣٢] الآية.

(٣)- ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ متصل[٤] بـ«وَاقِعٖ»، ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ (٣)﴾ مصاعد الملائكة[٥]، وهي السمٰوات.

---

(١) قوله: (مكية). باتفاق. قاله القرطبي.

(٢) ﴿بِعَذَابٖ﴾. الباء فيها ثلاثة أوجه: للتعدية، لما ضمن ﴿سَأَلَ﴾ معنى: دعا، عدّي بالباء.

الوجه الثاني: زائدة مؤكدة؛ لأن المعنى: طلب العذاب.

الوجه الثالث: بمعنى: عن، وذلك إذا كان ﴿سَأَلَ﴾ من السؤال، كأن المعنى: سأل سائل الله تعالى أو النبي عن العذاب، وهذا الوجه عزي إلى أبي علي الفارسي، كما في «إعراب القرآن» للدرويش، والأوجه الثلاثة تعلم من كلام المعربين.

(٣) قوله: (هو النضر بن الحارث). نقل ذلك القرطبي عن ابن عباس، ومجاهد، قال القرطبي: «وقتل يوم بدر صبرًا هو وعقبة بن أبي معيط، ولم يقتل صبرًا غيرهما»، وقيل: السائل: أبو جهل. وقيل: جماعة من قريش. وقيل: نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا على قومه بالعذاب، وقيل غير ذلك. كما في القرطبي.

(٤) قوله: (متصل). أي: متعلق.

(٥) وقوله: (مصاعد الملائكة). روي نحوه عن مجاهد، قال: «معارج السماء»، وقال ابن عباس: «العلو والفواضل»، أي: مراتب إنعامه.

٤- ﴿تَعْرُجُ﴾ بالتاء والياء[١] ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ جبريل[٢] ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى مهبط أمره من السماء[٣] ﴿فِى يَوْمٍ﴾ متعلق بمحذوف[٤]، أي: يقع العذاب بهم في يوم القيامة ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ٤﴾ بالنسبة إلى الكافر لما يلقى فيه من الشدائد، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا كما جاء في الحديث[٥].

٥- ﴿فَٱصْبِرْ﴾ وهذا قبل أن يؤمر بالقتال[٦] ﴿صَبْرًا جَمِيلًا ٥﴾ أي: لا جزع فيه[٧].

---

(١) قوله: (بالتاء والياء). قرأ الكسائي: بالياء. والباقون: بالتاء.

(٢) وقوله: (جبريل). به فسر ابن جرير. وقال ابن كثير: «يحتمل كونه اسم جنس لأرواح بني آدم».

(٣) قوله: (إلى مهبط...). توضيح للمراد بالضمير، وإلا فالضمير عائد إلى الله عَزَّوَجَلَّ، كما صرح به ابن جرير.

(٤) قوله: (متعلق بمحذوف). وهذا إذا أريد باليوم يوم القيامة. كما روي عن ابن عباس، والضحاك، وابن زيد. قال ابن عباس: «هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة»، وتقدم في أول سورة «الم السجدة»: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾، وتقدم التفصيل هناك، وكان مما ذكرنا هناك أن ابن جرير وغيره من المفسرين يرون أن المراد باليوم هنا وهناك يوم من أيام الدنيا، حيث يقول ابن جرير هٰهنا: «كان مقدار صعودهم ذلك في يوم لغيرهم من الخلق: خمسين ألف سنة، وذلك أنها تصعد من منتهى أمره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره من فوق السمٰوات السبع».اهـ. وعلى هذا يكون الجار والمجرور ﴿فِى يَوْمٍ﴾ متعلقًا بـ﴿تَعْرُجُ﴾.

(٥) وقول المفسر: (كما في الحديث). تقدم ذكره في تفسير «الم السجدة».

(٦) قوله: (قبل أن يؤمر...). أي: يكون منسوخًا. قاله ابن زيد. ويؤيد ذلك أن الآية مكية، والجهاد شرع بعد الهجرة، ولكن انتقد ابن جرير هذا القول بعد نقله عن ابن زيد. وقال ما حاصله: «أن النبي ﷺ مأمور بالصبر في كل وقت، وقد صبر على أذاهم إلى الوفاة».اهـ.

(٧) قوله: (لا جزع فيه). كما تقدم في سورة يوسف (١٨٠).

٦- ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾[١] أي: العذاب ﴿بَعِيدًا ٦﴾ غير واقع.

٧- ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ٧﴾ واقعًا لا محالة.

٨- ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ﴾ متعلق بمحذوف، أي: يقع ﴿كَٱلْمُهْلِ ٨﴾ كذائب الفضة[٢].

٩- ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٩﴾ كالصوف في الخفة والطيران بالريح[٣].

١٠- ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ١٠﴾ قريب قريبه لاشتغال كلٍّ بحاله[٤].

١١- ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يبصّر[٥] الأحماء بعضهم بعضًا، ويتعارفون ولا يتكلمون، والجملة مستأنفة[٦] ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ يتمنى الكافر ﴿لَوْ﴾ بمعنى:

---

(١) ﴿يَرَوْنَهُۥ﴾. يرى هنا قلبية تتعدى إلى المفعولين: الهاء، و﴿بَعِيدًا﴾. وقد تقدم في تفسير سورة البقرة: أن رأى لها أربعة استعمالات؛ قلبية، ومنامية، فتتعدى إلى المفعولين، وبصرية ومن الرأي، فتتعدى لمفعول واحد. وربما تستعمل بمعنى: أصاب رئته، فتتعدى إلى مفعول واحد، وهو استعمال خامس، غير مشهور.

(٢) قوله: (كذائب الفضة). روي ذلك عن ابن مسعود، قال: «ما أذيب من الرصاص والنحاس والفضة». وعن ابن عباس: «دُرْدِي الزيت وعكره»، وعلى هذا جرى المفسر في سورة الدخان الآية (٤٥).

(٣) قوله: (كالصوف). قاله مجاهد، وقتادة. وقال القرطبي: «الصوف المصبوغ، ولا يسمى الصوف عهنًا إلا أن يكون مصبوغًا».اهـ.

(٤) قوله: (لاشتغال كلٍّ...). كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ٣٧﴾ [عبس: ٣٧].

(٥) قوله: (أي: يبصّر...). ذكر هذا المعنى ابن عباس وغيره، وعن مجاهد: «يبصّر الله المؤمنين الكفار في يوم القيامة».اهـ. فهذا تفسير آخر.

(٦) وقوله: (مستأنفة). أي: فليس لها محل من الإعراب، ويصح كونها حالية في محل نصب.

أن[١] ﴿يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ﴾ بكسر الميم وفتحها[٢] ﴿بِبَنِيهِ ١١﴾.

١٢ - ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته ﴿وَأَخِيهِ ١٢﴾.

١٣ - ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته لفصله منها[٣] ﴿ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣﴾ تضمه.

١٤ - ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ١٤﴾ ذلك الافتداء، عطف على «يَفۡتَدِي».

١٥ - ﴿كَلَّآۖ﴾ رد لما يودّه ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النار ﴿لَظَىٰ ١٥﴾ اسم لجهنم؛ لأنها تتلظى، أي: تتلهب على الكفار[٤].

١٦ - ﴿نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ١٦﴾[٥] جمع شَواة، وهي جلدة الرأس[٦].

---

(١) قوله: (بمعنى: أن). أي: ﴿لَوۡ﴾ هنا مصدرية، وقد تقدمها ﴿يَوَدُّ﴾، وليس لها عمل بخلاف «أن» المصدرية، وقد تقدم ذكر ذلك في مواضع.

(٢) قوله: (بكسر الميم...). قرأ نافع، والكسائي، وأبو جعفر: بفتح الميم: ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾. والباقون: بكسرها. ووجه الفتح: البناء لإضافته إلى المبني، والمضاف قد يكتسب البناء من المضاف إليه، وهو من الأمور العشرة التي يكتسبها المضاف من المضاف إليه، ذكرناها في كتاب «الثلاثيات»، وكما أشرنا إلى ذلك في سورة الذاريات.

والجر على أنه مضاف إليه، وقد تقدم نظير هذا اللفظ في سورة هود الآية (٦٦)، وتقدم هناك القراءاتان ووجههما.

(٣) قوله: (لفصله). أي: سميت العشيرة بالفصيلة؛ لأن الإنسان انفصل عنها وتفرع منها.

(٤) قوله: (تتلهب). كما قال تعالى: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤﴾ [الليل: ١٤].

(٥) ﴿نَزَّاعَةٗ﴾ منصوب على الحال، وهي قراءة حفص. وقرأ الجمهور: بالرفع فيكون خبرًا ثانيًا.

(٦) وقوله: (وهي جلدة الرأس). روي عن ابن عباس، قال: «تنزع أم الرأس».اهـ. وفي «الصحاح»: «والشوى: جمع شواة، وهي جلدة الرأس»، وقال ابن جرير: «والشوى: جمع شواة، وهي من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلًا».اهـ. وروى عن قتادة في معنى الآية: «أي: نزاعة لهامته ومكارم خَلْقِه وأطرافه».اهـ. وما ذكره من أنه جمع شَواةٍ، فالمراد أنه =

﴿١٧﴾- ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ عن الإيمان بأن تقول: إليّ إليّ[(١)].

﴿١٨﴾- ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ أمسكه في وعائه، ولم يؤدّ حق الله منه.

﴿١٩﴾- ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ حال مقدرة[(٢)]، وتفسيره:

﴿٢٠﴾- ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾ وقت مسّ الشر[(٣)].

﴿٢١﴾- ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ وقت مس الخير، أي: المال[(٤)]، لحق الله منه[(٥)].

﴿٢٢﴾- ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: المؤمنين[(٦)].

﴿٢٣﴾- ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ مواظبون.

= اسم جنس جمعيّ، وهو الذي يكون مفرده بالتاء أو ياء النسبة، نحو: تمر تمرة، لبن لبنة، وجند جنديّ، كما هو معلوم عند النحاة، واسم الجنس الجمعي قد يطلق عليه الجمع توسعًا.

(١) قوله: (بأن تقول...). نقل القرطبي هذا المعنى عن ابن عباس، قال: «تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسانٍ فصيح: إليّ يا كافر، إليّ يا منافق، ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحبّ».اهـ.

(٢) قوله: (حال مقدرة). الحال المقدرة ما يكون وقوعها متأخرًا عن وقوع عاملها، فالعامل هنا: ﴿خُلِقَ﴾. وكون الإنسان هلوعًا متأخر عن خلقه، فيكون حالًا مقدرة، والهلوع: من الهلع، وهو شدة الجزع مع شدة الحرص والضجر، كما في ابن جرير.

(٣) قوله: (وقت مسّ...). أفاد أن ﴿إِذَا﴾ هنا لمجرد الظرف خالية عن معنى الشرط متعلقة بـ﴿جَزُوعًا﴾. و﴿جَزُوعًا﴾ حال من ضمير ﴿هَلُوعًا﴾، أو نعت له. وقس على ذلك ﴿مَنُوعًا﴾.

(٤) قوله: (أي: المال). تفسير لـ﴿ٱلْخَيْرُ﴾.

(٥) قوله: (لحق الله). اللام للتقوية، و(حق الله) مفعول به لـ﴿مَنُوعًا﴾.

(٦) قوله: (المؤمنين). قال ابن جرير: «قيل: عني به المؤمنون الذين كانوا مع رسول الله ﷺ، وقيل: كل من صلى الخمس».اهـ. باختصار. وقال القرطبي: «دل ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ على أن ما قبله في الكفار».اهـ.

(٢٤)- ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤)﴾ هو الزكاة[١].

(٢٥)- ﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥)﴾ المتعفف عن السؤال: فيحرم[٢].

(٢٦)- ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦)﴾ الجزاء.

(٢٧)- ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧)﴾ خائفون.

(٢٨)- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨)﴾ نزوله.

(٢٩)- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩)﴾.

(٣٠)- ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠)﴾.

(٣١)- ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١)﴾ المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

(٣٢)- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ وفي قراءة[٣]: بالإفراد، ما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿رَاعُونَ (٣٢)﴾ حافظون.

(٣٣)- ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَتِهِمْ﴾ وفي قراءة[٤]: بالجمع ﴿قَائِمُونَ (٣٣)﴾ يقيمونها، ولا يكتمونها.

---

(١) قوله: (هو الزكاة). روي ذلك عن قتادة، وقال مجاهد: «حق سوى الزكاة»، وروي ذلك عن ابن عباس، وابن عمر، والشعبي وغيرهم، قالوا ما حاصله: «إن في المال حقًّا سوى الزكاة، أي: كصلة الرحم، وإكرام الضيف وإعانة المحروم».اهـ. ويناسبه كون الآية مكيّة.

(٢) قوله: (المتعفف). كما تقدم في سورة الذاريات، وروي عن ابن عباس وغيره: «المحروم: المحارَفُ، أي: الذي ليس له في الإسلام سهم، يعني: ليس له نصيب من الغنى، يطلب الرزق فيحرم»، وهو خلاف المبارك، كما يعلم من رواية ابن جرير عن ابن عباس.

(٣) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن كثير: بالإفراد: ﴿لِأَمَانَتِهِمْ﴾. والباقون: بالجمع: ﴿لِأَمَانَاتِهِمْ﴾.

(٤) قوله: (وفي قراءة: بالجمع). قرأ بالجمع: حفص، ويعقوب: ﴿بِشَهَادَاتِهِمْ﴾. وبالإفراد: الباقون.

٣٤- ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ بأدائها في أوقاتها[١].

٣٥- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

٣٦- ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ﴾ نحوك ﴿مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾ حال، أي: مُدِيمي النظر[٢].

٣٧- ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ منك ﴿عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ حال أيضًا، أي: جماعات[٣] حلقًا حلقًا، يقولون استهزاء بالمؤمنين[٤]: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم. قال تعالى:

٣٨- ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾﴾.

---

(١) قوله: (بأدائها). قال ابن جرير: «والذين هم على مواقيت صلاتهم التي فرضها الله عليهم وحدودها التي أوجبها عليهم يحافظون».اهـ. يعني: أن المحافظة تشمل المحافظة على الوقت والحدود.

(٢) قوله: (أي: مديمي النظر). هذا التفسير قريب مما رواه ابن جرير عن ابن عباس: «قبلك ينظرون».اهـ. وتقدمت كلمة ﴿مُهۡطِعِينَ﴾ في سورة القمر، وقال المفسر هناك: «أي: مسرعين مادين أعناقهم».اهـ. وفسرت هنا بذلك أيضًا، نقله القرطبي عن الأخفش، ونقل عن العلماء معاني متقاربة ثم قال: «أي: ما بالهم مسرعين عليك مادّين أعناقهم مدمني النظر إليك، وذلك من نظر العدوّ».اهـ. وتقدمت الكلمة في سورة إبراهيم أيضًا.

(٣) قوله: (أي: جماعات). عزون، جمع: عزة. أصله: عزو، أو عزي، أو عزه. نقلها القرطبي. فحذفت لام الكلمة وعوض عنها تاء التأنيث، فجمع جمع المذكر السالم، وهذه الكلمة من باب «سنين» الذي يطرد فيه إعراب جمع المذكر السالم. كما فصله النحاة.

(٤) وقوله المفسر: (يقولون استهزاءً...). نقل ذلك القرطبي عن المفسرين، فقال: «قال المفسرون: كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ ويستمعون كلامه، فيكذبونه ويكذبون عليه، ويستهزئون بأصحابه ويقولون: لئن دخل هؤلاء...».اهـ.

(٣٩)- ﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ كغيرهم ﴿مِّمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩)﴾ من نطف، فلا يطمع بذلك في الجنة(١)، وإنما يطمع فيها بالتقوى.

(٤٠)- ﴿فَلَآ﴾ لا زائدة(٢) ﴿أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ الشمس والقمر وسائر الكواكب ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ (٤٠)﴾.

(٤١)- ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾ نأتي بدلهم ﴿خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١)﴾ بعاجزين عن ذلك.

(٤٢)- ﴿فَذَرْهُمْ﴾ اتركهم ﴿يَخُوضُوا۟﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟﴾ يلقوا ﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ (٤٢)﴾ فيه العذاب(٣).

(٤٣)- ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿سِرَاعًا﴾ إلى المحشر ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نَصْبٍ﴾ وفي قراءة(٤): بضم الحرفين، شيء منصوب كعلَمٍ أو راية ﴿يُوفِضُونَ (٤٣)﴾ يسرعون(٥).

---

(١) قوله: (فلا يطمع بذلك...). قال ابن جرير نحو ذلك، وقال القرطبي: «فلا يليق بهم هذا التكبر».

(٢) قوله: (لا زائدة). كما تقدم نظير ذلك في الحاقة.

(٣) قوله: (فيه العذاب). توضيح للمعنى المراد، وإلا فالعائد إلى الاسم الموصول ضمير نصب، أي: يوعدونه؛ لأن حذف العائد المجرور مشروط بشروطٍ كما ذكرها النحاة، وذكرنا ذلك في تفسير سورة يسٓ الآية (٥٢) وغيرها.

(٤) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حفص، وابن عامر: بصيغة الجمع: ﴿نُصُبٍ﴾. والباقون: بصيغة المصدر: ﴿نَصْبٍ﴾، وهو بمعنى: اسم المفعول. قال الجوهري: «النَّصْبُ: ما نُصِبَ فَعُبِدَ من دون الله، وكذلك النُّصْبُ».اهـ. نقله القرطبي. وعن الأخفش، والفراء: «النُّصُبُ، جمع النَّصْبِ، والأنصاب، جمعُ نُصُب، فهو جمع الجمع».اهـ.

(٥) قوله: (يسرعون) فهومن الإيفاض، وهو الإسراع، قاله القرطبي، وابن جرير. وعن ابن عباس في معنى الآية: «إلى عَلَمٍ يسعون».اهـ. وكذا عن قتادة.

﴿٤٤﴾- ﴿خَٰشِعَةً﴾ ذليلة ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ «ذَٰلِكَ» مبتدأ، وما بعده الخبر[1]، ومعناه: يوم القيامة.

❁❁❁

---

(١) قوله: (وما بعده...). أي: وهو ﴿ٱلۡيَوۡمُ﴾ فهو خبر المبتدأ، و﴿ٱلَّذِي﴾ نعت لـ﴿ٱلۡيَوۡمُ﴾، وذلك واضح.

٧١- سورة نوح

مكية[١]، وآياتها ثمان أو تسع وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)-[٢] ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ﴾ أي: بإنذار[٣] ﴿قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.

(٢)- ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢﴾ بيّن الإنذار.

(٣)- ﴿أَنِ﴾ أي: بأن أقول لكم ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣﴾.

(٤)- ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ «مِّن» زائدة[٤]، فإن الإسلام يغفر به ما قبله، أو تبعيضيّة لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرۡكُمۡ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ أجل الموت ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ بعذابكم إن لم تؤمنوا ﴿إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤﴾ ذلك لآمنتم[٥].

---

(١) قوله: (مكية). ولم أعلم فيه خلافًا.

(٢) تقدم ذكر قصة نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في مواضع، قال القرطبي: «هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ -هو إدريس- بن يرد بن مهلايل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. قال وهب: «كلهم مؤمنون». وعن ابن عباس مرفوعًا: «**أول رسول أرسل نوح، وأرسل إلى جميع أهل الأرض**».اهـ.

(٣) قوله: (أي: بإنذار...). أشار المفسر إلى أن ﴿أَنۡ﴾ مصدرية، ويجوز كونها تفسيرية لسبق فعل فيه معنى القول دون حروفه، وهو: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾، وعلى كونها تفسيرية لا يحتاج إلى تقدير الباء، وقد تقدم نظير ذلك في مواضع، وكذا القول في قوله (أي: بأن أقول...). الآتي.

(٤) قوله: (﴿مِّن﴾ زائدة). ما ذكره المفسر في ﴿مِّن﴾ من الوجهين ذكرهما القرطبي وغيره.

(٥) قوله: (لآمنتم) جواب ﴿لَوۡ﴾ كما هو واضح.

٥- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥﴾ أي: دائمًا متصلًا.

٦- ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ عن الإيمان[1].

٧- ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ﴾ لئلا يسمعوا كلامي ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ غطوا رؤوسهم بها لئلا ينظروني[2] ﴿وَأَصَرُّوا﴾ على كفرهم ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا عن الإيمان ﴿اسْتِكْبَارًا ۝٧﴾.

٨- ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨﴾ أي: بأعلى صوتي[3].

٩- ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ صوتي ﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ الكلام ﴿لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾.

١٠- ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾.

١١- ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المطر، وكانوا قد منعوه[4] ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١﴾ كثير الدُّرور.

---

(١) ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ﴾. نسبة الزيادة إلى الدعاء مجازية، من إسناد الفعل إلى السبب؛ فهو مجاز عقلي، و«زاد» هنا تعدّى إلى مفعولين، وهما: ﴿هُمْ﴾ و﴿فِرَارًا﴾ كما هو واضح، وقد ذكرنا أن «زاد» وكذلك «نقص» لهما ثلاثة استعمالات؛ لازمًا، ومتعديًا إلى مفعول، ومتعديا إلى مفعولين. تقول: زاد الماء أو نقص، وزدت العمل أو نقصته، وزدتك الخير أو نقصتكه.

(٢) قوله: (غطّوا...). ظاهر كلام المفسر أن ذلك حقيقة، أي: كانوا يفعلون ذلك، كما نقله القرطبي عن ابن عباس، قال: «جعلوا ثيابهم على رؤوسهم لئلا يسمعوا كلامه».اهـ. وقيل: هو كناية عن عداوتهم، كما ذكره القرطبي بـ«قيل».

(٣) قوله: (أي: بأعلى صوتي). كما قال مجاهد: «الجهار: الكلام المعلن به».اهـ. وهو منصوب على أنه مفعول مطلق، أو على الحالية وذلك إذا كان بتقدير: مجاهرًا.

(٤) قوله: (وكانوا قد منعوه). نقل القرطبي عن مقاتل: «لما كذّبوا نوحًا زمنًا طويلًا حبس الله عنهم المطر، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت مواشيهم وزروعهم، فصاروا إلى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ واستغاثوا به فقال: ﴿اسْتَغْفِرُوا...﴾، وروى ابن جرير عن قتادة: =

١٢- ﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ بساتين ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾ جارية.

١٣- ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣﴾ أي: تأمّلون وقار الله إياكم بأن تؤمنوا[(١)].

١٤- ﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤﴾ جمع طَوْر، وهو الحال، فطورًا نطفة، وطَوْرًا علقة إلى تمام خلق الإنسان[(٢)]، والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخالقه.

١٥- ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ﴾ تنظروا[(٣)] ﴿كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥﴾ بعضها فوق بعض.

١٦- ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ أي: في مجموعهن الصادق بالسماء الدنيا[(٤)] ﴿نُورٗا

= «رأى نوح قومًا تجزعت أعناقهم حرصًا على الدنيا، فقال: هلموا إلى طاعة الله فإن فيها درك الدنيا والآخرة».اهـ.

(١) قوله: (أي: تأمّلون...). على هذا يكون الرجاء بمعنى: الأمل، والوقار بمعنى: التعظيم. وإعراب الجملة: ﴿مَّا﴾: مبتدأ استفهامية، ﴿لَكُمۡ﴾: خبرها، ﴿لَا تَرۡجُونَ﴾ جملة حالية في محل نصب ﴿لِلَّهِ﴾ حال من ﴿وَقَارٗا﴾، وهو مفعول به لـ﴿تَرۡجُونَ﴾، ولو كان ﴿لِلَّهِ﴾ مؤخرًا عن ﴿وَقَارٗا﴾ لكان نعتًا له. ومفعول (وقار) قدره المفسر: (إياكم).
وقوله: (بأن تأمنوا). تصوير للرجاء المذكور. وهذا المعنى الذي ذكره موافق لما ذكره الزمخشري، وقد فسرت هذه الآية بمعانٍ متقاربة مختلفة العبارات، فعن ابن عباس: «ما لكم لا ترجون لله عاقبة...» إلى آخر ما نقله المفسرون.

(٢) قوله: (فطورًا نطفة...). روي ذلك عن ابن عباس، وغيره.

(٣) قوله: (تنظروا...). يحتمل كون النظر بالقلب، فتكون الرؤية علمية، وجملة ﴿كَيۡفَ...﴾ سدت مسد المفعولين، وكونه بالعين، فالجملة سدت مسد المفعول به، و﴿كَيۡفَ﴾ اسم استفهام في محل نصب حال، و﴿طِبَاقٗا﴾ إما نعت لـ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ أو مفعول مطلق لفعل محذوف.

(٤) قوله: (في مجموعهن). قدره لأن القمر في السماء الدنيا -على ما قاله العلماء- فإذا كان =

﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦﴾ مصباحًا مضيئًا، وهو أقوى من نور القمر.

١٧- ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ إذ خلق أباكم آدم منها ﴿نَبَاتٗا ١٧﴾[(١)].

١٨- ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُخۡرِجُكُمۡ﴾ للبعث ﴿إِخۡرَاجٗا ١٨﴾.

١٩- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩﴾ مبسوطة[(٢)].

٢٠- ﴿لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا﴾ طرقًا ﴿فِجَاجٗا ٢٠﴾ واسعة.

٢١- ﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ﴾ أي: السفلة والفقراء ﴿مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوُلۡدُهُۥٓ﴾ وهم الرؤساء المنعم عليهم بذلك. و«وُلْدُ» بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما[(٣)]، والأول قيل: جمع وَلَدٍ بفتحهما كخُشْبٍ وخَشَبٍ، وقيل: بمعناه كبُخْلٍ وبَخَلٍ ﴿إِلَّا خَسَارٗا ٢١﴾ طغيانًا وكفرًا.

٢٢- ﴿وَمَكَرُواْ﴾ أي: الرؤساء ﴿مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢﴾ عظيمًا جدًّا[(٤)]، بأن كذبوا

= في السماء الدنيا صح أنه فيهن كما يقال: أتيت بني تميم، والإتيان إلى بعضهم، ذكره القرطبي وغيره، وعزاه إلى الأخفش.

(١) ﴿نَبَاتٗا﴾. اسم مصدر لـ«أنبت»، مفعول مطلق.

(٢) قوله: (مبسوطة). أفاد إن ﴿بِسَاطٗا﴾ مصدر بمعنى: اسم المفعول، وهو المفعول الثاني لـ﴿جَعَلَ﴾.

(٣) قوله: (و﴿وُلۡدُ﴾ بضم الواو...). قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: بضم الواو: ﴿وَوُلۡدُهُۥٓ﴾. والباقون: بفتح الواو واللام: ﴿وَوَلَدُهُۥٓ﴾. ووجهها كما ذكر المفسر. قال القرطبي: «وُلد -بالضم-: لغة في: وَلَد، ويجوز أن يكون جمعًا للولد».اهـ.

تنبيه: إسناد الزيادة إلى المال والولد مجازي من الإسناد إلى السبب.

(٤) قوله: (عظيمًا جدًّا). أي: كُبّار من صيغة المبالغة، يقال: كبير، وكُبار، وكُبّار، مثل: عجيب وعُجاب وعُجّاب، وطويل وطُوال وطُوّال، وحسن وحُسان وحُسّان... أفاده القرطبي.

نوحًا[١]، وآذوه ومن اتبعه.

﴿٢٣﴾- ﴿وَقَالُواْ﴾ للسفلة ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا﴾ بفتح الواو وضمها[٢] ﴿وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾﴾ وهي أسماء أصنامهم[٣].

﴿٢٤﴾- ﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ﴾ بها ﴿كَثِيرٗاۖ﴾ من الناس بأن أمروهم بعبادتها ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾﴾ عطفٌ على «قَدۡ أَضَلُّواْ»[٤]، دعا عليهم[٥] لما أوحي إليه: «أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ» [هود: ٣٦].

---

(١) وقوله: (بأن كذبوا...). تصوير للمكر العظيم منهم، وكان من ذلك تحريشهم سفلتهم على قتل نوح، وتغريرهم الناس بما أوتوا من الدنيا والولد حتى قالت الضعفة: لولا أنهم على الحق لما أوتوا هذه النعم. كما في القرطبي.

(٢) قوله: (بفتح الواو...). قرأ نافع، وأبو جعفر: بضم الواو. والباقون: بفتحها.

(٣) قوله: (وهي أسماء أصنامهم...). روى ابن جرير عن قتادة، قال: «كانت آلهة يعبدها قوم نوح، ثم عبدتها العرب بعد ذلك، فكان «ودّ» لكلب بدومة الجندل، وكان «سُواع» لهذيل، وكان «يغوث» لبني غطيف من مُراد بالجرف، وكان «يعوق» لهمدان، وكان «نسر» لذي الكُلاع من حمير».اهـ. ونقل القرطبي عن عروة بن الزبير، ومحمد بن كعب: «أن هؤلاء كانوا أبناء آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ صالحين، فلما ماتوا زين الشيطان للناس فصوروهم ثم بعد زمانٍ عبدهم الناس بتزيين الشيطان»، وروى عن محمد بن قيس: «أنهم كانوا رجالًا صالحين بين آدم ونوح».اهـ. والله أعلم.

(٤) قوله: (عطف على ﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ﴾). أفاد أن هذه الجملة داخلة في مقول نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، كما أن جملة ﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ﴾ من مقوله.

(٥) وقوله: (دعا عليهم...). أي: كان دعاء نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على قومه بعد أن أوحي إليه أنه لن يؤمن منهم أحد إلا من آمن، كما سبق في سورة هود الآية (٣٦)، وهذا القول رواه ابن جرير، عن قتادة.

٢٥- ﴿مِّمَّا﴾ «مَّا» صلة[١] ﴿خَطَايَاهُمْ﴾ وفي قراءة[٢]: «خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ» بالهمز ﴿أُغْرِقُواْ﴾ بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء ﴿فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ﴾ أي: غير ﴿ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ يمنعون عنهم العذاب.

٢٦- ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ أي: نازل دار، والمعنى: أحدًا.

---

(١) قوله: (﴿مَّا﴾ صلة). أي: زائدة مؤكدة.

فائدة: تدخل «ما» الزائدة على خمسة أحرف من حروف الجر:

١- الباء، كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ [المائدة: ١٣].

٢- عن، كما في قوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠].

٣- من، كما هنا. وفي هذه الأحوال لا تكف «ما» عن عمل الجر، كما تتضح من الشواهد.

٤- رُبّ، فتكف عن العمل، نحو: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الحجر: ٢].

٥- الكاف، كقول الشاعر: «كما الناسُ مجروم...»، فتكف عن العمل أيضًا كثيرًا، كما فصله النحاة.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ أبو عمرو: ﴿خَطَايَاهُمْ﴾. وعليه درج المفسر كما هو عادته. وقرأ الجمهور: ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾. والخطايا، جمع خطيئة، جمع تكسير، والخطيئات: جمع السلامة، وأصل الخطايا: خطايئ: على وزن فعايل، فأبدلت الياء همزة فصار: خطائئ بهمزتين، ثم فتحت الأولى تخفيفًا فقلبت الياء ألفًا فصار «خطاءا»، ثم قلبت الهمزة ياءً فصار «خطايا» بعد خمسة أعمال، كما يعلم من شروح الألفية في باب الإبدال، ومن كتب التصريف.

الخلاصة: هكذا: ١- خطايئ. ٢- خطائئ. ٣- خطائي. ٤- خطاءا. ٥- خطايا.

فائدة: استدل بهذه الآية على ثبوت عذاب القبر حيث تفيد الفاءُ التعقيبَ: ﴿فَأُدْخِلُواْ﴾.

٢٧- ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾[١] من يفجر ويكفر، قال ذلك لما تقدم من الإيحاء إليه.

٢٨- ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ وكانا مؤمنين[٢] ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ منزلي أو مسجدي[٣] ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى يوم القيامة[٤] ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ هلاكًا، فأهلكوا.

❁❁❁

---

(١) ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا﴾. إطلاق الفاجر والكفار على من يولد من باب المجاز المرسل، أي: باعتبار المآل، كما ذكره البلاغيون. وإليه الإشارة بقوله: (من يفجر...)، أي: في المستقبل.

(٢) قوله: (وكانا مؤمنين). وهما: لمك بن متوشلخ، وشَخْمى بنت أنوش، ذكره القرطبي نقلًا عن القشيري، والثعلبي.

(٣) قوله: (منزلي...). تفسير البيت هنا بالمسجد والمنزل، كلاهما روي عن ابن عباس، والتفسير بالمسجد مروي عن الضحاك أيضًا، واقتصر عليه ابن جرير. وفُسر أيضًا بالسفينة والدين.

(٤) وقوله: (إلى يوم القيامة). أي: جميع المؤمنين. روي عن الضحاك، وقال الكلبي: «من أمة محمد ﷺ»، وقيل: من قومه، رجح القرطبي الأول.

٧٢- سورة الجن

مكية[(١)]، وآياتها ثمان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس ﴿أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ أي: أُخْبِرْتُ بالوحي من الله تعالى ﴿أَنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿ٱسْتَمَعَ﴾ لقراءتي ﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ جن نصيبين[(٢)]، وذلك في صلاة الصبح ببطن نخل موضع بين مكة والطائف، وهم الذين ذكروا في قوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن﴾، ﴿فَقَالُوٓا۟﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا (١)﴾ يتعجب منه في فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك.

(٢)- ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ الإيمان والصواب ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ﴾ بعد اليوم ﴿بِرَبِّنَآ أَحَدًا (٢)﴾.

(٣)- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾[(٣)] الضمير للشأن فيه، وفي الموضعين بعده ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾

---

(١) قوله: (مكية). بلا خلاف يعلم.

(٢) قوله: (جن نصيبين). تقدم في تفسير سورة الأحقاف بعض التفاصيل في ذلك، وذكر الروايات المختلفة والجمع بينها، الآية (٢٩).

فائدة: نقل القرطبي عن الحسن البصري: «أن الجن ولد إبليس، كما أن الإنس ولد آدم، ومن كل الطائفتين مؤمنون وكافرون، والجن شركاء في الثواب والعقاب». وعن ابن عباس: «أن الجن هم ولد الجانّ، وليسوا بشياطين، فمنهم مؤمن ومنهم كافر، والشياطين هم ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس».اهـ.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾. سيشير المفسر رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى القراءتين في ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ بالفتح أو الكسر. الحاصل: أن هٰهنا ثلاث قراءات في اثني عشر موضعًا: =

تنزه جلاله وعظمته عما نسب إليه[١] ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾.

٤- ﴿وَإِنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهِلُنا[٢] ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾ غلوًّا في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد.

٥- ﴿وَإِنَّا ظَنَنَّآ أَن﴾ مخففة، أي: أنه[٣] ﴿لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾

= ١- فتح الهمزة ﴿وَأَنَّهُۥ﴾، والمواضع: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا﴾، ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾. قرأ بالفتح: ابن عامر، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف. ووجه الفتح: العطف على الهاء من ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾، كأن المعنى: صدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنا...إلخ. وليست هذه الجملة معطوفة على ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾؛ لأن هذه الجمل من مقول الجن.

٢- قرأ أبو جعفر بفتح الهمزة في ثلاثة مواضع، منها: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾. ووجه قراءة أبي جعفر: أن المواضع الثلاثة التي فتح فيهن الهمزة فهي مما أوحي إليه وليست من مقول الجن، أو هي معطوفة على الهاء من ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾، والبواقي من مقولهم.

٣- قرأ الباقون: بالكسر في جميعها. وجه الكسر: العطف على مقول القول، أي على ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾، أو على الاستئناف.

(١) قوله: (جلاله وعظمته). تفسير للجدّ، وفسر بذلك عكرمة، ومجاهد، وقتادة، وعن عكرمة أيضًا: «غناه»، وعن ابن عباس: «فعله وأمره وقدرته».اهـ. وكلها متقاربة.

(٢) قوله: (جاهِلنا). فسره مجاهد، وقتادة بـ«إبليس»، وقيل: المشركون من الجن.

(٣) قوله: (مخففة). أي: من الثقيلة، و«أن» المخففة تعمل وجوبًا، واسمها ضمير الشأن المحذوف، وخبرها: الجملة. وقد تقدم ذلك مرارًا.

بوصفه بذلك حتى تبينا كذبهم بذلك[١].

(٦)- قال تعالى[٢]: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ﴾ يستعيذون ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم[٣] بمخوف فيقول كل رجل: أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ بعوذهم به[٤] ﴿رَهَقًا ۝٦﴾ طُغيانًا، فقالوا: سُدْنا الجن والإنس.

(٧)- ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: الجن ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا إنس[٥] ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة، أي: أنه ﴿لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾ بعد موته.

(٨)- قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ رُمنا استراق السمع[٦] ﴿فَوَجَدْنَٰهَا

---

(١) قوله: (حتى تبينا كذبهم...). أي: كانوا يظنون قبل سماع القرآن أن إبليس صادق فيما يدعو إليه، فلما سمعوا القرآن أيقنوا كذب إبليس وآمنوا بالحق.اهـ. كما يعلم من ابن جرير.

(٢) قوله: (قال تعالى). أفاد أن هذه الآية والتي تليها من مقول الله تعالى معترضتان بين مقول الجن، كما مشى على ذلك القرطبي. والظاهر من كلام ابن جرير وغيره أنهما من جملة مقول الجنّ.

(٣) قوله: (حين ينزلون...). روي ذلك عن ابن عباس وغيره.

(٤) وقوله: (بعوذهم بهم). أي: بعوذ الإنس بالجن، وظاهر كلام المفسر أن الواو في ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ راجع إلى ﴿ٱلْإِنسِ﴾، وضمير النصب «هم» للجن. والمعنى: زاد الإنسُ الجنَّ طغيانًا وجراءة. كما هو ظاهر كلام ابن جرير، وقال القرطبي: «زاد الجن الإنسَ رهقًا، أي: خطيئة وإثمًا»، فيكون الضميران على عكس ما ذكرنا، وكلا المعنيين صحيح، وعلى الوجهين تعدى «زاد» إلى المفعولين.

(٥) قوله: (يا إنس). أفاد أن الخطاب للإنس، وهذا وما قبله خطاب من الله تعالى كما ذكرنا.

(٦) قوله: (رُمنا...). أي: قصدنا. وتقدم نظير ذلك في الصافات وغيرها. قال ابن كثير: «يخبر الله تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمدًا ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له: أن السمٰوات ملئت حرسًا شديدًا، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئًا من القرآن، =

مُلِئَتۡ حَرَسٗا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ⑧﴾ نجومًا محرقة، وذلك لما بعث النبي ﷺ.

⑨- ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ أي: قبل مبعثه ﴿نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ﴾ أي: نستمع ﴿فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ⑨﴾ أي: أرصد له ليرمى به[1].

⑩- ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾[2] بعدم استراق السمع ﴿بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ⑩﴾ خيرًا.

⑪- ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ بعدَ استماع القرآن ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: قوم غير صالحين ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ⑪﴾ فِرقًا مختلفين مسلمين وكافرين[3].

= فيلقوه على ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر ويختلط، ولا يدري من الصادق، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه ورحمته لعباده وحفظه لكتابه العزيز». اهـ. ونقل القرطبي عن الكلبي: «قال قوم: لم تكن تحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه خمسمائة عام، وإنما كان من أجل بعثة النبي ﷺ». اهـ.

(١) وقول المفسر: (أي: أرصد له). أفاد أن ﴿رَّصَدٗا﴾ بمعنى: اسم المفعول نعت لـ﴿شِهَابٗا﴾.

(٢) ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾. فسر ابن جرير الشر هنا بالعذاب، والرشد بإرسال الرسول، ورواه عن ابن زيد، كما نقله القرطبي ذلك عنه. قال ابن زيد: «فلما وجدوا ذلك رجعوا إلى إبليس واشتكوا، فقال إبليس لهم: لم تحرس السماء قط إلا على أحد أمرين؛ إما لعذاب يريده الله على أهل الأرض، وإما لنبي مرشد صالح». اهـ.

فائدة: تأدبت الجن في كلامهم حيث لم يسندوا الشر إليه تعالى، وأسندوا الخير إلى الله تعالى، حيث قالوا: ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ﴾، وقد ورد في «الصحيح»: «**والشر ليس إليك**». [مسلم (١/ ٥٣٥)].

(٣) قوله: (فِرقًا). القِدَد: جمع قِدَّة، كالفرقة والفِرَق، وزنًا ومعنًى، نقل القرطبي عن السدي، =

(١٢) - ﴿وَإِنَّا ظَنَنَّآ أَن﴾[١] مخففة من الثقيلة، أي: أنه ﴿لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا (١٢)﴾ أي: لا نفوته كائنين في الأرض أو هاربين منها في السماء[٢].

(١٣) - ﴿وَإِنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ بتقدير هو بعد الفاء[٣] ﴿بَخۡسٗا﴾ نقصًا من حسناته ﴿وَلَا رَهَقٗا (١٣)﴾ ظلمًا بالزيادة في سيئاته[٤].

(١٤) - ﴿وَإِنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ﴾ الجائرون بكفرهم[٥] ﴿فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا (١٤)﴾ قصدوا هداية.

(١٥) - ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا (١٥)﴾ وقودًا، و«أَنَّا»[٦] و«أَنَّهُمۡ»

= قال: «في الجن مثلكم، قدرية، ومُرجئة، وخوارج، ورافضة، وشيعة، وسُني».اهـ. وعن المسيب: «مسلمون، ويهود، ونصارى، ومجوس».اهـ. باختصار.

وقول المفسر: (مسلمين وكافرين). روى نحوه عن مجاهد، وابن عباس، وسفيان.

(١) ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾. الظن هنا بمعنى: العلم واليقين، بخلافه في قوله تعالى السابق: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ﴾، ﴿وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ﴾ كما أفاده القرطبي.

(٢) قوله: (كائنين في الأرض أو هاربين...). فيه إشارة إلى أن ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ و﴿هَرَبٗا﴾ حالان، و«هرب» مصدر بمعنى: اسم الفاعل.

(٣) قوله: (بتقدير...). أشار المفسر إلى توجيه وقوع المضارع مرفوعًا: ﴿فَلَا يَخَافُ﴾، مع كونه جواب الشرط. وحاصل ما ذكره: أنها جملة اسمية في محل جزم وذلك بتقدير المبتدأ: هو.

(٤) قوله: (نقصًا... ظلمًا). هذا المعنى نقله القرطبي عن ابن عباس، ورواه ابن جرير عن ابن زيد؛ أنّ البخس هو النقصان، والرهق هو العدوان، كما في القرطبي.

(٥) قوله: (الجائرون) القاسِط من قسط، بمعنى: جار، وأقسط بمعنى: عدل، فالقاسط: الجائر، والمقسط: العادل، كما أفاده القرطبي وغيره.

(٦) قوله: (و﴿أَنَّا﴾...). هذه إشارة إلى اختلاف القراءات، كما ذكرنا أولًا.

و«أَنَّهُ» في اثني عشر موضعًا، هي: «وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ» «وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ» وما بينهما بكسر الهمزة استئنافًا(١)، وبفتحها بما يُوَجّه به(٢).

﴿١٦﴾- قال تعالى(٣) في كفار مكة: ﴿وَأَن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: وأنهم(٤)، وهو معطوف على «أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ»، ﴿لَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الإسلام(٥) ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ كثيرًا من السماء(٦)، وذلك بعد ما

---

(١) وقوله: (استئنافًا). أي: أو عطفًا على مقول القول، ذكرهما البيضاوي.

(٢) وقوله: (بما يوجّه به). بالوجه الذي يوجه به الفتح. وأشار المفسر بهذا إلى أن الخلاف في هذه المواضع فقط، فلا خلاف في فتح همزة ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ و﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ و﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾ و﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾، وكذلك لا خلاف في كسر ما بعد القول نحو قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا﴾ و﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ و﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ﴾، وكذلك لا خلاف في كسر ما بعد فاء الجزاء، نحو: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ و﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ﴾، ويجوز الفتح بعد فاء الجزاء نحويًّا لكن لم تقع القراءة بالفتح هاهنا، وقد وقعت قراءتان في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾، فقرأ نافع، وشعبة: بكسر الهمزة. والباقون: بفتحها. كما في القرطبي، والله أعلم.

(٣) قوله: (قال تعالى). أشار به إلى أن هذه مما أوحي إليه وليست من مقول الجن. فهي معطوفة على ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ ...﴾.

(٤) قوله: (أي: وأنهم...). لعله توضيح للمراد، وإلا فاسم ﴿أَن﴾ المخففة يكون ضمير الشأن، والجملة التي بعدها تكون خبرها، كما تقدم.

(٥) قوله: (أي: طريقة الإسلام...). وهذا المعنى مرويّ عن ابن عباس وغيره، فيكون معنى ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ﴾، أي: لنختبرهم، كما قال المفسر. وروى ابن جرير، عن أبي مجلز تفسيرًا آخر: «وهو: لو استقاموا على الضلالة لأعطيناهم سعة من الرزق لنستدرجهم بها، فيكون كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] الآية».

(٦) قوله: (كثيرًا)، الغدَق: صفة مشبهة، أو مصدر أريد به الفاعل، يقال: غَدِقت العينُ =

رفع المطر عنهم سبع سنين[(١)].

﴿١٧﴾- ﴿لِّنَفۡتِنَهُمۡ﴾ لنختبرهم ﴿فِيهِۚ﴾ فنعلم كيف شكرهم، علمَ ظهور ﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ﴾ القرآن ﴿نَسۡلُكۡهُ﴾ بالنون والياء[(٢)]، ندخله ﴿عَذَابٗا صَعَدٗا ﴿١٧﴾﴾ شاقًّا[(٣)].

﴿١٨﴾- ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ﴾ مواضع الصلاة ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ﴾ فيها ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾﴾ بأن تشركوا، كما كانت اليهود والنصارى[(٤)] إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا.

﴿١٩﴾- ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ بالفتح، والكسر استئنافًا[(٥)]، والضمير للشأن ﴿لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ محمد النبي ﷺ ﴿يَدۡعُوهُ﴾ يعبده ببطن نخل[(٦)] ﴿كَادُواْ﴾ أي: الجن المستمعون

= غدقًا، إذا كثر ماؤها، كما في القرطبي. وربما يشكل بأن ذلك كان بعد الهجرة، وهذه الآية مكية.

(١) وقوله: (وذلك بعدما رفع...). وذكر ذلك القرطبي.

(٢) قوله: (بالنون والياء). قرأ بالنون: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر. وبالياء: الباقون.

(٣) قوله: (شاقًّا). الصّعَد: مصدر صَعِد يصعَدُ صعَدًا وصعودًا، وصف به العذاب، كما يعلم من القرطبي، وفسره مجاهد: «مشقة من العذاب»، وابن عباس: «جبل في جهنم»، وقتادة: «عذابًا لا راحة فيه».اهـ.

(٤) قوله: (كما كانت اليهود...). هذا المعنى رواه ابن جرير، عن قتادة، قال: «كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه أن يوحد الله وحده»، وفي رواية: «أن يخلص له الدعوة إذا دخل المسجد».اهـ. وقال القرطبي: «هذا توبيخ للمشركين في دعائهم مع الله غيره في المسجد الحرام».اهـ.

(٥) قوله: (بالفتح...). تقدم ذكر القراءتين.

(٦) قوله: (ببطن نخل...). يعني: المراد بالضمير في ﴿كَادُواْ﴾: الجن المستمعون للقرآن، =

لقراءته ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ بكسر اللام وضمها[١]، جمع لبدة، كاللبد في ركوب بعضهم بعضًا ازدحامًا حرصًا على سماع القرآن.

﴿٢٠﴾- ﴿قَالَ﴾ مجيبًا للكفار في قولهم[٢]: ارجع عما أنت فيه، وفي قراءة[٣]: «قُلْ»، ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ إلهًا ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾.

﴿٢١﴾- ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ غيًا[٤] ﴿وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ خيرًا.

= وهذا المعنى نقل القرطبي عن الزبير بن العوام، وابن عباس وغيرهما. وروى ابن جرير عن ابن عباس أيضًا: «هذا إخبار من الجن لقومهم أن أصحاب النبي ﷺ يأتمون به، فعجبوا من ذلك، فالمراد بالضمير: أصحاب النبي ﷺ، ومعنى ثالث رواه ابن جرير، عن قتادة: فلبدت الإنس والجن على النبي ﷺ ليطفئوا نور الله ويبطلوا الحق الذي جاء به»، وعن ابن زيد: «كادت العرب جميعًا تظاهروا على محمد ﷺ». واختاره ابن جرير.

(١) قوله: (بكسر اللام...). كسر اللام: قراءة الجمهور. والضم: لهشام في وجهٍ. واللبد جمع اللِّبْدَة، مثل: قِربة وقِرَب. ويقال للشعر الذي على ظهر الأسد: لِبْدَة وجمعها: لِبَد. وفيه أربع لغات:

١ - لِبَد، كما هي قراءة الجمهور.

٢ - ولُبَد، بضم اللام، كما هي قراءة هشام في رواية.

٣ - ولُبُد، بضم اللام والباء، واحدها: لَبْد، بفتح اللام وسكون الباء، كسقف وسُقُف.

٤ - ولُبَّد، بضم اللام وتشديد الباء، واحدها: لابد، كرُكَّع، وراكع. أفاد ذلك القرطبي.

(٢) قوله: (في قولهم...). ذكر ذلك القرطبي بدون عزوٍ، قال: «وسبب نزولها أن كفار قريش قالوا: إنك جئت بأمر عظيم، وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نُجِيرك».اهـ.

(٣) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ عاصم، وحمزة، وأبو جعفر: بصيغة الأمر: ﴿قُلْ﴾. والباقون: بصيغة الماضي: ﴿قَالَ﴾.

(٤) قوله: (غيًّا). فُسر الغي بالكفر والرشد بالهدى، وقيل: العذاب والنعمة، وفسر ابن جرير =

﴿٢٢﴾- ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه إن عصيته ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: غيره ﴿مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ ملتجأ.

﴿٢٣﴾- ﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ استثناء من مفعول «أَمْلِكُ»[(١)]، أي: لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: عنه ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عطف على «بَلَٰغًا»، وما بين المستثنى منه[(٢)] والاستثناء اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في التوحيد، فلم يؤمن ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾ حال من ضمير «مَن» في «لَهُۥ»[(٣)] رعايةً لمعناها[(٤)]، وهي حال مقدرة[(٥)]، والمعنى: يدخلونها مقدّرًا خلودهم ﴿فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾.

﴿٢٤﴾- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟﴾ «حَتَّىٰٓ» ابتدائية[(٦)] فيها معنى الغاية لمقدر قبلها، أي: لا

= بما هو أعم، فقال: «إني لا أملك لكم ضرًّا في دينكم ولا في دنياكم ولا رشدًا أرشدكم...؛ لأن الذي يملك ذلك الله الذي له ملك كل شيء».اهـ.

(١) قوله: (استثناء من مفعول...). ظاهره أن الاستثناء متصل، فيكون المعنى: لا أملك لكم ضرًّا ولا رشدًا إلا البلاغ، فإن فيه أمانًا ونجاة لكم. ويحتمل كون الاستثناء منقطعًا، فيكون المعنى: لكن أبلغكم ما أرسلت به. ذكرهما القرطبي. وعزا الأول إلى الحسن، والثاني إلى الفراء.

(٢) قوله: (وما بين المستثنى منه...). أي: وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي...﴾ الآية.

(٣) قوله: (في ﴿لَهُۥ﴾). أي: حال من الضمير الكائن في ﴿لَهُۥ﴾ العائد إلى ﴿مَن﴾.

(٤) وقوله: (رعاية لمعناها...). أي: لأن معناها جمع، ولذا جيء بالحال جمعًا، وإن كان لفظه مفردًا، وذلك واضح.

(٥) وقوله: (وهي حال مقدرة.). قد تقدم مرارًا معنى الحال المقدرة من أنه إذا كان وقوع الحال بعد وقوع عاملها.

(٦) قوله: (ابتدائية). هي الداخلة على الجملة، و«حتى» لها ثلاثة استعمالات: جارة، وعاطفة، وابتدائية. وقد فصلنا ذلك في كتاب «الثلاثيات».

يزالون على كفرهم إلى أن يروا ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ به[١] من العذاب ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند حلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة[٢] ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ أعوانًا أهم أم المؤمنون على القول الأول أو أنا أم هم على الثاني. فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل:

﴿٢٥﴾- ﴿قُلْ إِنْ﴾ أي: ما[٣] ﴿أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾ غاية وأجلًا لا يعلمه إلا هو.

﴿٢٦﴾- ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ ما غاب عن العباد ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ يطلع ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ من الناس.

﴿٢٧﴾- ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ﴾[٤] مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة

---

(١) قوله: (به). قدره ليكون عائدًا إلى الموصول ﴿مَا﴾ والأولى تقديره ضمير نصب؛ لأن حذف العائد المجرور مشروط بشروط. وتقدم في مواضع.

(٢) قوله: (يوم بدر...). يعني: أن المراد بالعذاب هنا إما عذاب الدنيا وهو القتل ببدر أو عذاب الآخرة، وذكر الوجهين القرطبي.

(٣) قوله: (أي: ما). أفاد أن ﴿إِنْ﴾ هنا نافية، و«إن» لها أربعة استعمالات: شرطية، مخففة، زائدة، نافية. وقد مر ذلك. وفصلناها في كتاب «الثنائيات».

تنبيه: وهذه الآية لما كان فيها الأمر بـ﴿قُلْ﴾ دلت على أن بعض المشركين سألوا متى هذا الوعد، كما قال المفسر، ولم أجد من صرح بسبب النزول، ودلت الآية أن العلم بوقت الساعة مختص بالله سبحانه، نبه على ذلك المفسرون، وكما دلت على ذلك آيات وأحاديث.

(٤) ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾. قال ابن عباس: «فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحي وأظهرهم عليه بما أوحي إليهم من غيبه وما يحكم الله، فإنه لا يعلم ذلك غيره».اهـ. وقال قتادة: «فإنه يظهره من الغيب ما شاء إذا ارتضاه».اهـ. =

له[١] ﴿يَسۡلُكُ﴾ يجعل ويسيِّر ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ أي: الرسول ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧﴾ أي: ملائكة[٢] يحفظونه حتى يبلغه في جملة الوحي.

= وفي كلام القرطبي ما حاصله: إن في هذه الآية إبطالًا للمنجمين ومن ضاهاهم ممن يدعي علم الغيب».اهـ. وقال ابن كثير: «إنه -تعالى- يعلم الغيب والشهادة وإنه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه الله تعالى».اهـ. ومن زبدة ما قال علماء التفسير يتلخص هذه النقاط:

١- علم الغيب لله وحده.

٢- لا يعلم أحد سوى الله الغيب بنفسه.

٣- قد أطلع الله بعض عباده على بعض المغيبات.

٤- الأنبياء يعلمون من الغيب بقدر ما أطلعهم الله عليه.

٥- ادعاء المنجمين وغيرهم علم الغيب باطل.

تنبيه: تمسك الزمخشري بهذه الآية على إبطال كرامة الأولياء؛ لأنه ينتمي إلى فرقة المعتزلة، وهم ينكرون كرامات الأولياء. ورَدَّ على الزمخشري وعلى المعتزلة أهلُ السنة والجماعة في كتب العقيدة، كما ردوا على كل ما خالفوا فيه العقيدة الصحيحة ببراهين قاطعة. أما هذه الآية فليس فيها ما ينكر الكرامات؛ لأن الكرامات ليست من باب العلم بالغيب، بل هي أمور خارقة للعادة تحت قدرته تعالى ومشيئته، وهي ثابتة بالكتاب والسنة وآثار السلف، كما هو مفصل في كتب العقيدة.

(١) قوله: (معجزة له). يفيد أن المراد بمن ارتضى: الأنبياء. كما قال القرطبي: «أي: اصطفى للنبوة فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه ليكون ذلك دالًا على نبوته».اهـ. وعمم ابن كثير، فقال: «وهذا يعم الرسول الملكي والبشري».اهـ.

(٢) قوله: (أي: ملائكة...). وبذلك فسر أئمة التفسير، قال الضحاك: «ما بعث الله نبيًّا إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين من أن يتشبهوا بصورة الملك».اهـ. وعن قتادة، وابن المسيب: «هم أربعة من الملائكة حفظة».اهـ. وقال ابن عباس مثله. وعنه أيضًا: «هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان».اهـ.

٢٨- ﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ الله علم ظهور(١) ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة، أي: أنه ﴿قَدۡ أَبۡلَغُواْ﴾ أي: الرسل ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ روعي بجمع الضمير معنى: من ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ عطف على مقدر، أي: فعلم ذلك ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾ تمييز، وهو محول من المفعول(٢)، والأصل: أحصى عدد كل شيء.

❁❁❁

(١) قوله: (الله علم ظهور). أفاد أن الضمير المستتر في ﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ عائد إلى الله عَزَّوَجَلَّ. والمراد علم مشاهدة؛ لأن الله تعالى عالم بكل شيء قبل وجوده، فيكون كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ونظائرها من الآيات. وهذا الوجه أي: كون الضمير لله تعالى ذكره ابن كثير احتمالًا، وحكاه عن حكاية ابن الجوزي من دون عزو، وعزاه القرطبي إلى الزجاج.
والوجه الآخر: أن الضمير المستتر عائد إلى محمد ﷺ، والمعنى: أخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم أن الرسلُ قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحق والصدق، وقاله قتادة، واختاره ابن جرير. قال قتادة: «ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله، وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها».اهـ. وهناك أوجه أخرى في عود الضمير.

(٢) قوله: (محوّل عن المفعول). وهو أحد أنواع تمييز النسبة، وتفاصيل التمييز مذكورة في كتب النحو، وقد لخصنا ذلك في كتاب «الثنائيات» مع التمثيل.

٧٣- سورة المزمل

مكية[١]، أو إلا قوله: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ...﴾ إلى آخرها فمدنية.

وآياتها تسع عشرة أو عشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ (١)﴾ النبي. وأصله: المتزمل، أدغمت التاء في الزاي، أي: المتلفف[٢] بثيابه حين مجيء الوحي له خوفًا منه لهيبته.

(٢)- ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ صلّ ﴿إِلَّا قَلِيلًا (٢)﴾.

---

(١) قوله: (مكية). كلها عند الأكثر. وعن ابن عباس، وقتادة: «إلا آيتين منها: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ...﴾ والتي تليها». وقال الثعلبيّ: «إلا ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ...﴾ إلى الآخر، فإنها مدنية»، وإلى هذا القول أشار المفسر.

(٢) قوله: (أي: المتلفف). أفاد المفسر أن المراد بـ﴿ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ معناه الحقيقي، أي: المتلفف بالثياب. وهذا روي عن قتادة، واختاره ابن جرير، ثم اختلف في وقت هذا التزمل، يقول المفسر كان ذلك عند مجيء الوحي، أي: في ابتداء الحال، فإنه لما سمع قول الملك ونظر إليه أخذته الرعدة، فأتى أهله، فقال: زملوني، زملوني، كما في كتب السيرة. وذكر القرطبي هذا المعنى، وقال: «روي معناه عن ابن عباس». ونقل ابن كثير عن ابن عباس، والضحاك، والسدي: «المراد بـ﴿ٱلْمُزَّمِّلُ﴾: النائم»، فأمر الله بترك التزمل، والنوم، وبقيام الليل. ونقل القرطبي عن عكرمة: «المزمل بالنبوة»، وعن ابن عباس: «المزمل بالقرآن»، وعلى هذا يكون المزمل مجازًا.

فائدة: قال القرطبي: «في النداء بالمزمل والمدثر تلطف، فإن العرب إذا أرادوا الملاطفة وترك المعابتة سموا باسم مشتق من حالة المخاطب وخاطبوه به». ونقل عن السهيلي: «أن المزمل ليس من أسماء النبي ﷺ».اهـ.

﴿٣﴾- ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ بدل من «قَلِيلًا»[1]، وقلته بالنظر إلى الكل ﴿أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا ٣﴾ إلى الثلث.

﴿٤﴾- ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ إلى الثلثين، و«أَوۡ» للتخيير ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ تَثَبَّتْ في

---

(١) قوله: (بدل من ﴿قَلِيلًا﴾). هذا أحد الوجهين، والوجه الثاني: أنه بدل من ﴿ٱلَّيۡلَ﴾، ومآلهما واحد، وذكر المعربون الوجهين، وأطالوا في توجيههما، والأمر واضح إن شاء الله؛ لأن المراد كما قال ابن كثير أمره ﷺ أن يقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل، لا حرج في ذلك، أي: هو مخير في ذلك. وإذا كان بدلًا من ﴿قَلِيلًا﴾ كان المعنى: قم الليل إلا القليل، أي: إلا النصف، فيكون المأمور أن يقوم نصف الليل، ثم قال: أو انقص من النصف، أي: صل ثلث الليل، أو زد على النصف، أي: صل ثلثي الليل.

وإ كان بدلًا من ﴿ٱلَّيۡلَ﴾، فالمعنى: قم الليل إلا قليلًا، نصفه، أي: قم نصف الليل، أو انقص من النصف أو زد عليه.

الخلاصة: مؤدى الإعرابين واحد، والله أعلم.

فوائد:

١- قال ابن كثير: «كان قيام الليل واجبًا عليه ﷺ وحده، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].اهـ.

٢- روى ابن جرير عن سعيد بن جبير: «مكث النبي ﷺ على هذا الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره الله، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه، فأنزل الله عليه بعد عشر سنين ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ...﴾ الآية، فخفف الله عنهم بعد عشر سنين».اهـ. ورواه في «الدر المنثور»، ولكن روى ابن جرير عن الحسن وغيره قاموا بها حولًا ثم نزلت الرخصة ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾. وعن قتادة: «قاموا حولًا أو حولين»، والله أعلم. وهذا القول يناسب كون السورة كلها مكية، والقول بأنّ الرخصة بعد عشر سنوات يناسب القول بأن الآية ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ...﴾ الآية مدنية.

تلاوته[١] ﴿تَرۡتِيلًا ٤﴾.

٥- ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلًا﴾ قرآنًا ﴿ثَقِيلًا ٥﴾ مهيبًا أو شديدًا لما فيه من التكاليف[٢].

٦- ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ القيام بعد النوم[٣] ﴿هِيَ أَشَدُّ وِطَاءً﴾ موافقة السمع[٤] للقلب على تفهم القرآن ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦﴾ أبين قولًا.

---

(١) قوله: (تثبت في تلاوته). كما قال ابن كثير: «أي: اقرأه على تمهل، فإنه يكون عونًا على فهم القرآن».اهـ. وعن الحسن: «اقرأه قراءة بينة»، وعن مجاهد: «بعضه على إثر بعض على تؤدة».اهـ.

(٢) قوله: (لما فيه من التكاليف). هذا قريب مما روي عن قتادة، قال: «ثقيل -والله- فرائضه وحدوده». وعن عروة: «القرآن ثقيل في نفسه؛ لأن النبي ﷺ إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه». الجِرانُ من البعير: مقدم عنقه، وضعت جرانها، أي: برك. كما يعلم من كتب اللغة. قال ابن زيد: «هو والله ثقيل مبارك، القرآن كما قال ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة».اهـ. كما في ابن جرير.

(٣) قوله: (القيام...). ظاهره أن ﴿نَاشِئَةَ﴾ مصدر كعاقبة، وبقيام الليل فسر ابن زيد، ويوافقه ما قال ابن عباس: «نشأ: قام»، وعنه: «بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل قالوا: نشأ»، وعلى هذا يحتمل كون الناشئة اسم فاعل صفة لمحذوف، أي: النفس الناشئة، وقال القرطبي: «قال العلماء: نائشة الليل، أي: أوقاته وساعاته؛ لأن أوقاته تنشأ أولًا فأولًا»، وعلى هذا يكون الناشة اسم فاعل وصفًا للأوقات، كما قال القرطبي.

(٤) قوله: (موافقة السمع). وبنحوه ورد التفسير عن مجاهد، وهذا على قراءة: ﴿وِطَاءً﴾: وهي قراءة أبي عمرو، وابن عامر، مصدر: واطأ، مواطأة، ووِطاءًا، وعلى هذه القراءة جرى المفسر. ولم يذكر القراءة الثانية: ﴿وَطۡـًٔا﴾: وهذه قراءة الجمهور. وعلى هذه القراءة يكون المعنى نفس المعنى الأول، كما يعلم من كلام ابن كثير، أو المعنى أنها أثقل على المصلي من ساعات النهار؛ لأن الليل وقت نوم وإجمامٍ، ذكره القرطبي.

﴿٧﴾- ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾﴾ تصرفًا في أشغالك[١] لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن.

﴿٨﴾- ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ أي: قل[٢] «بسم الله الرحمن الرحيم» في ابتداء قراءتك ﴿وَتَبَتَّلۡ﴾ انقطع ﴿إِلَيۡهِ﴾ في العبادة ﴿تَبۡتِيلًا ﴿٨﴾﴾ مصدر «بتّل»[٣] جيء به رعاية للفواصل وهو ملزوم التبتل[٤].

﴿٩﴾- هو ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ موكولًا له أمورك.

﴿١٠﴾- ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة من أذاهم ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ لا جزع فيه، وهذا قبل الأمر بقتالهم[٥].

﴿١١﴾- ﴿وَذَرۡنِي﴾ اتركني ﴿وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ عطف على المفعول، أو مفعول معه.

---

(١) قوله: (تصرفًا). السبح: الجري والدوران، ومنه: السابح في الماء. قاله القرطبي. ومعنى الآية كما قال ابن زيد: «إن لك في النهار فراغًا للحاجات فافرغ لدينك الليل، قال: هذا حين كانت صلاة الليل فريضة، ثم خفف الله على العباد».اهـ.

(٢) قوله: (أي: قل...). هذا المعنى عزاه القرطبي إلى سهل. وقيل المعنى: ادعه بأسمائه الحسنى، أو أكثِرْ من ذِكره.

(٣) قوله: (مصدر «بتّل»). أفاد أن ﴿تَبۡتِيلًا﴾ مفعول مطلق لـ«تبتّل». وأصل المفعول المطلق كونه من مصدر الفعل المذكور، فمصدر «تبتَّل»: تبتُّلًا. ولكن أتي هنا بمصدر: بتّل، يُبتِّلُ، رعاية لأواخر الآيات.

(٤) وقوله: (وهو ملزوم). أي: التبتيل ملزوم التبتل، أي: التبتل لازم للتبتيل وناشئ عنه، ففيه ذكر المناسبة بين المصدرين: التبتيل والتبتل، الأول: ملزوم، والثاني: لازم له.

(٥) قوله: (وهذا قبل الأمر...). أي: فتكون منسوخة، روى ذلك ابن جرير عن قتادة، وقال القرطبي: «روي ذلك عن قتادة وغيره».

والمعنى: أنا كافيكهم، وهم صناديد قريش ﴿أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ التنعم ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾ من الزمن، فقتلوا بعد يسير منه ببدر[١].

﴿١٢﴾- ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ قيودًا ثقالًا[٢]، جمع نِكل، بكسر النون ﴿وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾ نارًا محرقة.

﴿١٣﴾- ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ يغصّ به في الحلق، وهو الزقوم[٣] أو الضريع أو الغسلين أو شوك من نار لا يخرج ولا ينزل ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ مؤلمًا زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي ﷺ.

﴿١٤﴾- ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ تزلزل ﴿ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ رملًا مجتمعًا ﴿مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ سائلًا بعد اجتماعه، وهو من: هال، يهيل، وأصله: مهيول[٤] استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الهاء وحذفت الواو[٥] ثاني الساكنين لزيادتها وقلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء.

---

(١) قوله: (فقتلوا...). كما روى ابن جرير عن عائشة، قالت: «لم يكن إلا يسير حتى كانت وقعة بدر».اهـ. وتقدم إعراب ﴿ذَرْنِي﴾ في سورة القلم (٤٤).

(٢) قوله: (قيودًا). روي التفسير بنحوه عن قتادة، وعكرمة، وغيرهما.

(٣) قوله: (وهو الزقوم...). هذه الأمور الأربعة مروية عن ابن عباس، فيما ذكره القرطبي، كما روي عن غيره أيضًا، وقد ورد ذكر الزقوم والضريع والغسلين في القرآن الكريم. وفسر الضريع بأنه نوع من الشوك، كما سيأتي في الغاشية، روى ابن جرير عن ابن عباس في تفسير ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾، قال: «شوك يأخذ بالحلق، فلا يدخل ولا يخرج».اهـ. نعوذ بالله من ذلك.

(٤) قوله: (وأصله: مهيول). أي: فهو اسم مفعول، كمبيع، من: باع، يبيع. وبين المفسر ما جرى فيه من العلل التصريفية.

(٥) وقوله: (وحذفت الواو...). أي: واو المفعول. وهذا مذهب سيبويه، فيكون وزنه «مَفِعْل»، وقال الأخفش: «المحذوف عين الكلمة؛ لاعتلالها، فيكون وزنه «مَفِيل».

(١٥)- ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ﴾ يا أهل مكة[١] ﴿رَسُولٗا﴾ هو محمد ﷺ ﴿شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ يوم القيامة بما يصدر منكم من العصيان ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ[٢] إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا (١٥)﴾ هو موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(١٦)- ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا (١٦)﴾ شديدًا.

(١٧)- ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ﴾ في الدنيا ﴿يَوۡمٗا﴾ مفعول «تَتَّقُونَ»، أي: عذابه، أي: بأي حصن تتحصنون من عذاب يوم ﴿يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا (١٧)﴾ جمع أشيب؛ لشدة هوله، وهو يوم القيامة، والأصل في شين «شِيبًا» الضم[٣]، وكسرت لمجانسة الياء، ويقال في اليوم الشديد: يوم يشيب نواصي الأطفال وهو مجاز[٤]، ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة.

---

(١) قوله: (يا أهل مكة). لعله فسر بذلك مراعاة لمكان نزول الآية، وفسر ابن جرير: «يا أيها الناس».

(٢) ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ﴾. الكاف هنا للتنظير. وتأتي الكاف لثمانية معانٍ، فصلناها في كتاب «الثنائيات»، فقلت:

الكــاف للتشبيه والتمثيل   أيضًــا وللتنظير والتعليل
تأتي للاستقصاءِ والقياس   زائــدةً واسمًا بغير باس

والتفاصيل في الشرح.

(٣) قوله: (والأصل...). بيان لمسألة صرفية؛ لأن «أفعل» لغير التفضيل -وهو: الصفة المشبهة مما دلّ على لون أو عيبٍ غالبًا- يُجمع على «فُعْلٍ»، نحو: أسود سُود، وأحمر حُمْر، فإذا كانت العين ياءً قلب الضم كسرًا، نحو: أبيض بيض، وأشيب شيب. وأما «أفعل» التفضيل فيجمع على «أفاعل» و«أفعلون» نحو: «أفاضل» و«أفضلون»، و«أفعل» إذا كان من الصفة المشبهة لا يجمع جمع مذكر سالمًا.

(٤) قوله: (وهو مجاز...). أي: عن شدة الأمر مال إلى ذلك البيضاوي، وذكره القرطبي =

(١٨)- ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ﴾ ذات انفطار[١]، أي: انشقاق ﴿بِهِۦۚ﴾ بذلك اليوم لشدته ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ تعالى بمجيء ذلك اليوم ﴿مَفْعُولًا (١٨)﴾ أي: هو كائن لا محالة.

(١٩)- ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآيات المخوِّفة ﴿تَذْكِرَةٌۖ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا (١٩)﴾ طريقًا بالإيمان والطاعة.

(٢٠)- ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ أقل ﴿مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفِهِۦ وَثُلُثِهِۦ﴾ بالجر عطف على «ثُلُثَيِ»[٢]، وبالنصب عطف على «أَدْنَىٰ»، وقيامه كذلك نحو ما أمر به أول السورة ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ عطف على ضمير «تَقُومُ»، وجاز من غير تأكيد للفصل[٣].

= وغيره وجهًا، وظاهر كلام ابن جرير، وابن كثير، أن ذلك حقيقة، روى ابن جرير، عن ابن مسعود حديث بعث النار، وفيه: «**يقول الله لآدم: أخرج من كُل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين، فيساقون إلى النار سُودًا مقرّنين، زرقًا كالحين، فيشيب هنالك كل وليد**».اهـ. وعن ابن زيد: «تشيب الصغار من كرب ذلك اليوم».اهـ. أعاذنا الله من العذاب.

(١) قوله: (ذات انفطار). فيه إشارة إلى وجه التذكير في ﴿مُنفَطِرٌۢ﴾ مع كونه خبرًا عن السماء وهي مؤنثة. وحاصل ذلك أن ﴿مُنفَطِرٌۢ﴾ هنا صيغة نسب، أي: ذات انفطار، كما يقال: امرأة مرضع، وحائض، أي: ذات إرضاع وحيض. ووجه آخر: تأويل السماء بالسقف. ذكر الوجهين الزمخشري وغيره.

(٢) قوله: (بالجرّ...). قرأ بالجر: نافع، وابن عامر، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب. وبالنصب: الباقون. ووجههما كما قال المفسر.

(٣) قوله: (وجاز....). إشارة إلى مسألة نحوية، وذلك: أنه يشترط في عطف الاسم الظاهر على الضمير المتصل المرفوع الفصلُ بالضمير المنفصل، أو بفاصلٍ ما، فهنا ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ معطوف على الضمير المستتر في ﴿تَقُومُ﴾ ووجد الفاصل، ووجوب الفاصل مذهب جمهور البصريين، كما هو مفصل في كتب النحو.

وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به، ومنهم من لا يدري[١] كم صلى من الليل وكم بقي منه، فكان يقوم الليل كله احتياطًا فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر، فخفف عنهم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ﴾ يحصي ﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: أنه[٢] ﴿لَّن تُحۡصُوهُ﴾ أي: الليل[٣] لتقوموا فيما يجب القيام فيه إلا بقيام جميعه، وذلك يشق عليكم ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ رجع بكم إلى التخفيف[٤] ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ في الصلاة بأن تصلوا ما تيسر ﴿عَلِمَ أَن﴾ مخففة من الثقيلة، أي: أنه ﴿سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يسافرون ﴿يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ وكل من الفرق الثلاث[٥] يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل، فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه، ثم نسخ ذلك بالصلوٰت الخمس ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ كما تقدم ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ

---

(١) قوله: (ومنهم من كان لا يدري...) هذا الذي ذكره المفسر نقله القرطبي عن مقاتل وغيره.

(٢) وقوله: (واسمها محذوف، أي: أنه). الهاء اسم «أن» المخففة وهي ضمير الشأن والجملة التي بعدها في محل رفع خبر «أن» كما تقدم نظيره مرارًا، وكذا في قوله الآتي: ﴿عَلِمَ أَن﴾.

(٣) وقوله: (أي: الليل...). فالمعنى: علم أن لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك، كما قاله القرطبي. وروى ابن جرير عن الحسن: «أن لن تحصوه، أي: لن تطيقوه، أي: لا تطيقوا قيامه».اهـ.

(٤) قوله: (رجع بكم إلى التخفيف). هذا المعنى ذكره القرطبي وجهًا، وذكر أيضًا: فعاد عليكم بالعفو، أي: إذا كان فيهم ترك بعض الواجب من قيام الليل.

(٥) قوله: (الفرق الثلاث...). أي: المرضى، والمقاتلون، والضاربون في الأرض.

ٱللَّهَ﴾[1] بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال في سبيل الخير ﴿قَرۡضًا حَسَنًاۚ﴾ عن طيب قلب ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرًا﴾ مما خلفتم، و«هُوَ» فصل[2] وما بعده، وإن لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من التعريف ﴿وَأَعۡظَمَ أَجۡرًاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾ للمؤمنين.

❁❁❁

(١) ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾. قال ابن كثير: «هذا يدل لمن قال: إن فرض الزكاة كان بمكة، ولكن مقاديرها ونصبها لم تبين إلا بالمدينة».اهـ. ومن قال إن هذه الآية مدنية فلا إشكال. قال ابن كثير: «وقد قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وغير واحد من السلف إن هذه الآية نسخت الذي كان الله أوجبه على المسلمين أولًا من قيام الليل».اهـ. وإلى ذلك يشير قول المفسر (بالصلوات الخمس). وفي ذكر القتال في هذه الآية دليل النبوة، حيث إنه إخبار بالغيب المستقبل؛ لأن القتال لم يشرع قبل الهجرة. أفاده ابن كثير.

(٢) قوله: (هو فصل...). أي: ضمير فصل، وضمير الفصل يؤتى به بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله المبتدأ والخبر؛ لإفادة التأكيد والحصر، ويكون الخبر معرفة، نحو: زيد هو العالم، ولكن هنا الخبر -المفعول الثاني- نكرة، وهو ﴿خَيۡرًا﴾، ولكنه يشبه المعرفة؛ لأنه اسم التفضيل، ولذا جيء بضمير الفصل، واسم التفضيل إذا ذكر بعده «مِن» أو قدر لا يدخل عليه «أل»، فلا تقول: زيد الأفضل من عمرو، ذكر ذلك البيضاوي. وهذا مراد المفسر بقوله: (لامتناعه من التعريف). والله أعلم.

٧٤- سورة المدثر

مكية[١]، وآياتها ست أو خمس وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١﴾ النبي ﷺ، وأصله[٢]: المتدثر، أدغمت التاء في الدال، أي: المتلفف بثيابه عند نزول الوحي عليه[٣].

(٢)- ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ٢﴾[٤] خوّفْ أهل مكة النار إن لم يؤمنوا.

(٣)- ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣﴾ عظّم عن إشراك المشركين[٥].

---

(١) قوله: (مكية). بلا خلاف يعلم.

(٢) قوله: (وأصله:...). كما تقدم في المزمل.

(٣) وقوله: (عند نزول الوحي). إشارة إلى ما رواه الشيخان عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «**فبينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتًا من السماء فرفعتُ بصري قِبَل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كسريه بين السماء والأرض، فجُئِثْتُ منه حتى هويتُ إلى الأرض، فجئت إلى أهلي، فقلت: زملوني، زملوني، فزَمَّلوني، فأنزل الله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١﴾ **إلى** ﴿فَٱهْجُرْ ٥﴾». قال أبو سلمة: «الرجز: الأوثان»، ثم حمي الوحي وتتابع».اهـ. [«فتح الباري» (٦/ ٣٦١)، مسلم (١/ ١٤٣)].

وقد تقدم تفسير المفسر المحلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمثل هذا في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ١﴾، وتقدم هناك قول ابن كثير وغيره أن ذاك كان أمرًا بقيام الليل، وترك النوم لأجله، وأما هنا فهو الأمر بإنذار المشركين، وكان الادثار في مبادئ الوحي، أي: بعد نزول ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ...﴾ أولَ ما نزل من الوحي. والله أعلم.

(٤) قال ابن كثير: «﴿قُمْ فَأَنذِرْ ٢﴾: بهذا حصل الإرسال، كما حصل بالأول النبوة».اهـ.

(٥) قوله: (عظم...). كما قال ابن جرير: «وربك يا محمد فعظّم بعبادته».اهـ. =

﴿٤﴾- ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ عن النجاسة[(١)]، أو قصّرها خلاف جر العرب ثيابهم خيلاء فربما أصابتها نجاسة.

﴿٥﴾- ﴿وَالرُّجْزَ﴾ فسره النبي ﷺ بالأوثان[(٢)] ﴿فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ أي: دُم على هجره.

﴿٦﴾- ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾﴾ بالرفع حال[(٣)]، أي: لا تعط شيئًا[(٤)] لتطلب

= **فائدة:** في قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾، ما يسمّيه البلاغيون بالجناس المستوي وهو كون التركيب كلّه بحيث يمكن عكسه، أي: إذا قرئ من الآخر يكون كما يقرأ من الأول باعتبار الحروف. ومن ذلك قوله تعالى أيضًا: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وقد حكى أهل اللغة من هذا القبيل ألفاظًا منها: «محلّ لحم»، «عقرب تحت برقع»، «حُوت فمه مفتوح»، وقول الشاعر:

مودّته تدوم لكلّ هول   وهل كلّ مودّته تدوم

وغير ذلك.

(١) قوله: (عن النجاسة). هذا المعنى مروي عن ابن زيد، ومحمد بن سيرين، واختاره ابن جرير. وعن ابن عباس: «أي: عملك فأصلِحْ»، على هذين القولين يكون تطهير الثياب كناية، ونقل القرطبي فيه ثمانية أقوال.

(٢) قوله: (بالأوثان). ورد التفسير بذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وغيرهم. وورد التفسير بذلك في الحديث المتفق عليه المتقدم؛ لكن عن أبي سلمة، وقد تقدم في سورة الحج قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠]، أي: فالرجس والرجز: الأوثان.

(٣) قوله: (أي: لا تعط...). هذا المعنى مرويّ عن ابن عباس، وعكرمة، وقتادة وغيرهم. وقال الضحاك: «هذا حرمه الله على رسول الله ﷺ؛ لأنه مأمور بأشرف الآداب وأجلّ الأخلاق، وأباحه لأمته». وكذا عن مجاهد، كما في القرطبي. وذكر القرطبي أحد عشر تأويلًا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾﴾ وبعد ذكرها قال: «أظهرها قول ابن عباس».

(٤) وأشار المفسر بقوله: (بالرفع). إلى أن جملة ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ ليست بجزم المضارع جوابًا للأمر؛ لأن المعنى ليس على ذلك، بل الفعل مرفوع، والجملة في محل نصب حال، أي: لا تمنن حال كونك مستكثرًا.

أكثر منه، وهذا خاص به ﷺ؛ لأنه مأمور بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب.

(٧)- ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ (٧)﴾ على الأوامر والنواهي.

(٨)- ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ (٨)﴾ نفخ في الصور[١]، وهو القرن[٢]، النفخة الثانية.

(٩)- ﴿فَذَٰلِكَ﴾ أي: وقت النقر ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ بدل[٣] مما قبله المبتدأ، وبني لإضافته إلى غير متمكن، وخبر المبتدأ: ﴿يَوۡمٌ عَسِيرٌ (٩)﴾ والعامل في «إِذَا»[٤] ما دلت عليه الجملة، أي: اشتد الأمر.

(١٠)- ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ (١٠)﴾[٥] فيه دلالة[٦] على أنه يسير على المؤمنين، أي: في عسره.

---

(١) قوله: (نفخ في الصور). وبذلك فسر عامة المفسرين، قال القرطبي: «والناقور: فاعول، من النقر، كأنه الذي من شأنه أنه ينقر فيه للتصويت، والنقر في كلام العرب الصوت».اهـ.

(٢) وقوله: (وهو القرن). كما روي عن مجاهد، قال: «هو شيء كهيئة البوق».اهـ.

(٣) قوله: (بدل...). يعني: أن «يوم» بدل من «ذلك»، فهو في محل رفع، ولكنه بني على الفتح لإضافته إلى غير المتمكن، أي: إلى المبني، والمضاف يكتسب من المضاف إليه أمورًا عشرة، منها البناء، وقد فصلنا ذلك في كتاب «الثلاثيات»، وقيل: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ ظرف منصوب، وعامله: ﴿عَسِيرٌ﴾، كما ذكره البيضاوي.

(٤) وقوله: (والعامل...). أي: ﴿إِذَا﴾ هنا ظرف تضمن معنى الشرط، ويكون عامله جوابه، والجواب هنا: ﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ (٩)﴾، ولفظ ﴿عَسِيرٌ﴾ لا يعمل هنا؛ لأنه نعت، والنعت لا يعمل في المتقدم، ولذا يكون العامل ما دلت عليه الجملة، كما قال المفسر.

(٥) ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ...﴾. متعلق بـ﴿عَسِيرٌ﴾. و﴿غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾ نعت ثان لـ«يوم»، وأفاد هذا النعت أن العسر على الكافرين لا يتوقع زواله، بخلاف عسر الدنيا فقد يزول، أفاده الزمخشري، وأشار إلى ذلك البيضاوي.

(٦) وقوله: (فيه دلالة). أي: بدلالة مفهوم المخالفة، وذكر هذه الفائدة القرطبي.

(١١) - ﴿ذَرْنِي﴾ اتركني ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ عطف على المفعول، أو مفعول معه ﴿وَحِيدًا (١١)﴾ حال من «مَن»[١]، أو من ضميره المحذوف من «خَلَقْتُ»، أي: منفردًا بلا أهل ولا مال، هو الوليد بن المغيرة المخزومي[٢].

(١٢) - ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢)﴾ واسعًا، من الزروع والضروع والتجارة[٣].

(١٣) - ﴿وَبَنِينَ﴾ عشرة أو أكثر[٤] ﴿شُهُودًا (١٣)﴾ يشهدون المحافل[٥]، وتسمع شهادتهم.

(١٤) - ﴿وَمَهَّدتُّ﴾ بسطت ﴿لَهُ﴾ في العيش والعمر والولد ﴿تَمْهِيدًا (١٤)﴾.

(١٥) - ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥)﴾[٦].

---

(١) قوله: (حال من ﴿مَن﴾). هذا أحد الأوجه، وقيل: حال من التاء في ﴿خَلَقْتُ﴾، أو ياء ﴿ذَرْنِي﴾، فيكون المعنى: ذرني وحدي وأنا أكفيه، أو خلقته وحدي لم يشركني أحد في خلقه.

(٢) قوله: (هو الوليد بن المغيرة). أي: والد خالد بن الوليد، روي أن الآيات في الوليد عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد وغيرهم.

(٣) قوله: (من الزروع...). كما ذكره القرطبي وغيره. قال القرطبي: «وهو ما كان للوليد بين مكة والطائف من الإبل والحجور والنعم والجنان والعبيد والجواري».اهـ.

(٤) قوله: (عشرة فأكثر). قال مجاهد، وقتادة: «عشرة»، وعن السدي، والضحاك: «اثنا عشر»، وعن ابن جبير: «ثلاثة عشر». نقله القرطبي. أسلم منهم ثلاثة، خالد، وهشام، والوليد بن الوليد.اهـ.

(٥) قوله: (يشهدون). هذا التفسير نقله القرطبي بـ«قيل». وذكره البيضاوي وغيره وجهًا. والذي روي عن مجاهد: «لا يغيبون، أي: حضورًا عنده لا يسافرون عنه يتمتع بهم، ويتملّى بهم». نقله ابن كثير وغيره. ولا مانع من اجتماع الأمرين جميعًا.

(٦) ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: هنا للترقي والتعجيب، كما أفاده القرطبي.

(١٦)- ﴿كَلَّآ﴾[١] لا أزيده على ذلك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا﴾ أي: القرآن ﴿عَنِيدًا (١٦)﴾ معاندًا[٢].

(١٧)- ﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾ أكلّفه ﴿صَعُودًا (١٧)﴾ مشقة[٣] من العذاب، أو جبلًا[٤] من نار يصعد فيه ثم يهوي أبدًا.

(١٨)- ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ فيما يقول في القرآن[٥] الذي سمعه من النبي ﷺ ﴿وَقَدَّرَ (١٨)﴾ في نفسه ذلك.

(١٩)- ﴿فَقُتِلَ﴾ لعن وعُذّب ﴿كَيْفَ قَدَّرَ (١٩)﴾ على أي حالٍ كان تقديره.

---

(١) قوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾. حرف ردع، قطع لرجائه الزيادة، كما يعلم من ابن جرير، وغيره.

(٢) قوله: (معاندًا). عنيد فسر بألفاظ متقاربة، فعن مجاهد: «معاندًا»، وعن ابن عباس: «جحودًا»، وغير ذلك، وكلها متقاربة. وهو فعيل، بمعنى: مفاعِل، كجليس، بمعنى: مجالِس. أفاده القرطبي.

(٣) قوله: (مشقة...). فسر بذلك مجاهد، وقتادة، وغيرهما.

(٤) وقوله: (أو جبلًا...). رواه ابن جرير، عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، ففي رواية: قال ﷺ: «**هو جبل في النار من نار يكلفون أن يصعدوه، فإذا وضع يده ذابت، فإذا رفعها عادت فإذا وضع رجله كذلك**».اهـ. وفي أخرى: «**الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفًا ثم يهوي كذلك منه أبدًا**».اهـ.

(٥) قوله: (فيما يقوله...). روى ابن جرير، عن ابن عباس، ما ملخصه: «أن الوليد بن المغيرة سمع من القرآن فأعجبه، وقال: ما هو بشعر ولا سحر ولا بهذي من مجنون إنه لكلام الله، فعلم بذلك قريش، وخافوا أن يسلم، فجاء أبو جهل إلى الوليد، فقال: إن قريشًا يجمعون لك مالًا؛ لأنك تدخل على محمد وأبي بكر لفضل قوتهما، وكان الوليد أكثر الناس مالًا، فلما عيّره أبو جهل غضب وأخذته الحمية، ففكر فيما يقول في القرآن، وقال أخيرًا: إنه سحر مأثور، فنزلت الآيات في ذلك».اهـ. ملخصًا.

﴿٢٠﴾ - ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿٢١﴾ - ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ في وجوه قومه[١]، أو فيما يقدح به فيه[٢].

﴿٢٢﴾ - ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قبض وجهه وكلحه ضيقًا بما يقول ﴿وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾ زاد في القبض والكلوح[٣].

﴿٢٣﴾ - ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾ تكبّر[٤] عن اتباع النبي ﷺ.

﴿٢٤﴾ - ﴿فَقَالَ﴾ فيما جاء به ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ ينقل عن السحرة.

﴿٢٥﴾ - ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ كما قالوا: إنما يعلّمه بشر.

﴿٢٦﴾ - ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[٥] جهنم.

﴿٢٧﴾ - ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾[٦] تعظيم لشأنها.

﴿٢٨﴾ - ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ شيئًا من لحم ولا عصب إلا أهلكته ثم يعود كما كان.

﴿٢٩﴾ - ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ محرقة لظاهر الجلد[٧].

---

(١) قوله: (في وجوه قومه). على هذا يكون المراد بالنظر: النظر بالعين.

(٢) وقوله: (أو فيما...). على هذا يكون معناه: النظر بالقلب.

(٣) قوله: (زاد في القبض...). بسر، وعبس، وكلح، متقاربة، أي: قبض ما بين عينيه، وفي بسر زيادة معنى: اسودّ الوجه، كما يعلم من القرطبي وغيره.

(٤) قوله: (تكبر). أفاد أن الاستفعال خالٍ عن معنى الطلب، وقد تقدم مرارًا.

(٥) ﴿سَقَرُ﴾. ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث.

(٦) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾. «أدرى» تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل، الأول: الكاف. وجملة ﴿مَا سَقَرُ﴾ سدت مسد الثاني والثالث.

(٧) قوله: (لظاهر الجلد...). أفاد أن البشر هنا بمعنى: الجلد، كما فسر بذلك ابن عباس وغيره. وليس بمعنى: الإنسان.

(٣٠)- ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ (٣٠)﴾ ملكًا خزنتها[١]، قال بعض الكفار وكان قويًا شديد البأس[٢]: أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين.

(٣١)- قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ[٣] إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ﴾ أي: فلا يطاقون[٤] كما يتوهمون ﴿وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ﴾ ذلك ﴿إِلَّا فِتۡنَةٗ﴾ ضلالًا[٥] ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بأن يقولوا لم كانوا تسعة عشر ﴿لِيَسۡتَيۡقِنَ﴾ ليستبين ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: اليهود[٦] صِدْقَ النبي ﷺ في كونهم تسعة عشر الموافق لما في كتابهم ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَٰنٗاۙ﴾ تصديقًا لموافقة ما أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم ﴿وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ﴾ من غيرهم[٧] في عدد الملائكة ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم

---

(١) قوله: (خزنتها). هم مالك، وثمانية عشر ملكًا، كما في القرطبي. ونقل عن الثعلبي، قال: «ولا ينكر هذا فإذا كان ملك واحد يقبض أرواح جميع الخلائق كان أحرى أن يكون تسعة عشر على عذاب بعض الخلائق».

(٢) قوله: (قال بعض الكفار...). قال القرطبي: «اسم ذلك الكافر: الحارث بن كَلدة»، وروى ابن جرير عن قتادة: «أن أبا جهل قال لقريش: يا معشر قريش، ما يستطيع كل عشرة منكم أن يغلبوا واحدًا من خزنة النار وأنتم الدَّهم -العدد الكثير- فصاحبكم يحدثكم أن عليها تسعة عشر».اهـ. ونحوه عن ابن عباس، بسياق أطول.

(٣) ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾. أي: خزنتها.

(٤) وقوله: (فلا يطاقون...). أي: ليسوا رجالًا من بني آدم حتى يطاقوا، بل هم ملائكة.

(٥) قوله: (ضلالًا). روي عن ابن عباس، وغيره كما في القرطبي، وعن قتادة: «إلا بلاءً».

(٦) قوله: (اليهود). خصهم بالذكر؛ لأنهم كانوا بالمدينة، وإلا فأهل الكتاب يشمل اليهود والنصارى، وعن ابن عباس: «وإنما في التوراة والإنجيل تسعة عشر، فأراد الله أن يستيقن أهل الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا».اهـ.

(٧) قوله: (من غيرهم). أي: غير أهل الكتاب من أمة محمد ﷺ.

﴿مَّرَضٌ﴾[١] شك بالمدينة ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بمكة ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ العدد ﴿مَثَلًا﴾ سمَّوه لغرابته بذلك[٢]، وأعرب حالًا[٣] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة في قوتهم وأعوانهم ﴿إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ﴾ أي: سقر[٤] ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾ عظة ﴿لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾.

﴿٣٢﴾- ﴿كَلَّا﴾ استفتاح[٥]، بمعنى: ألا ﴿وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿٣٣﴾- ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا دَبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ بفتح الدال[٦] جاء بعد النهار، وفي قراءة: «إِذْ أَدْبَرَ» بسكون الدال بعدها همزة، أي: مضى.

﴿٣٤﴾- ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ ظهر.

---

(١) ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾. أي: شك ونفاق من منافقي أهل المدينة الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة.اهـ. قاله القرطبي. لأن هذه السورة مكية، وقال: «يجوز أن يراد بالمرض: الشك والارتياب؛ لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين».اهـ.

(٢) قوله: (سمَّوه). أي: سموا هذا الخبر مثلًا وإن لم يكن فيه تمثيل وتشبيه؛ لأن المثل الحديث والخبر الغريب.

(٣) وقوله: (وأعرب حالًا). أي: ﴿مَثَلًا﴾ حال من «هذا»، وهي حال لازمة.

(٤) قوله: (أي: سقر). بنحوه فسر ابن كثير، قال: «أي: النار»، وروى ابن جرير ذلك، ورواه عن قتادة، وقيل: راجع إلى هذه الآيات والدلائل. كما ذكره القرطبي. وقيل غير ذلك.

(٥) قوله: (استفتاح). أي: حرف تنبيه، وقيل: حرف درع وإنكار، أي: ليس الأمر كما يزعمون أنهم يقاومون خزنة جهنم. وجرى على ذلك ابن جرير.

(٦) قوله: (بفتح الدال...). قرأ نافع، وحفص، ويعقوب، وخلف: ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾. والباقون: ﴿إِذَا دَبَرَ﴾. ومعناهما متقاربان.

٣٥- ﴿إِنَّهَا﴾ أي: سقر ﴿لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ٣٥﴾[١] البلايا العظام[٢].

٣٦- ﴿نَذِيرًا﴾ حال من «إِحۡدَى»، وذُكِّر[٣] لأنها بمعنى العذاب ﴿لِّلۡبَشَرِ ٣٦﴾.

٣٧- ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ﴾ بدل من «ٱلۡبَشَرِ»، ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخير[٤] أو الجنة بالإيمان ﴿أَوۡ يَتَأَخَّرَ ٣٧﴾ إلى الشر أو النار بالكفر.

٣٨- ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨﴾ مرهونة[٥] مأخوذة بعملها في النار.

٣٩- ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩﴾ وهم المؤمنون[٦]، فناجون منها كائنون[٧].

---

(١) ﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ٣٥﴾. هذا جواب القسم.

(٢) وقوله: (البلايا العظام). فسر بنحوه ابن جرير، ورواه عن ابن عباس وغيره. ونقل القرطبي عن ابن عباس: «﴿إِنَّهَا﴾ أي: تكذيبهم محمدًا ﷺ لإحدى الكبائر».

(٣) قوله: (وذكّر). أي: جيء به بصيغة المذكر ﴿نَذِيرًا﴾ مع أنها حال من المؤنث؛ لأن ﴿لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾ مذكر معنًى أي: باعتبار أنها عذاب. وهذا أحد الأوجه في الإعراب، ذكرها المعربون، وهناك أوجه أخرى أوصلها بعض المعربين إلى عشرة أوجه.

(٤) قوله: (إلى الخير...). روي نحوه عن ابن عباس، وقتادة، كما في ابن جرير.

(٥) قوله: (مرهونة). ظاهره أن الرهينة بمعنى: اسم المفعول، والتاء فيها للتأنيث، لوقوعها خبرًا عن النفس، وهي مؤنثة، لكن نبه القرطبي على أن التاء فيها ليست للتأنيث؛ لأن فعيلًا بمعنى: مفعول، يستوي فيه المذكر والمؤنث، تقول: رجل قتيل، وامرأة قتيل، بل الرهينة اسم بمعنى: الرهن، كالشتيمة، بمعنى: الشتم.اهـ. ملخصًا، ومعنى رهينة: مأخوذة بعملها، كما قاله المفسر، وروي عن ابن عباس وغيره.

(٦) قوله: (وهم المؤمنون). هذا القول عزاه القرطبي إلى ابن عباس في رواية عنه، قال: «المسلمون»، وروي عنه: «أنهم الملائكة»، وعن علي بن أبي طالب: «هم أولاد المسلمين»، وقيل: غير ذلك.

(٧) وقوله: (كائنون). قدره ليتعلق به الجار والمجرور: ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾.

٤٠- ﴿فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠﴾ بينهم.

٤١- ﴿عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١﴾ وحالِهم، ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار[١]:

٤٢- ﴿مَا سَلَكَكُمۡ﴾ أدخلكم ﴿فِي سَقَرَ ٤٢﴾.

٤٣- ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣﴾.

٤٤- ﴿وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤﴾.

٤٥- ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ في الباطل ﴿مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥﴾.

٤٦- ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦﴾ البعث والجزاء.

٤٧- ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ٤٧﴾ الموت[٢].

٤٨- ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين[٣]،

---

(١) قوله: (ويقولون...). أي: يقول أصحاب اليمين لأهل النار، بعد إخراج الموحدين، ولعله قيد بذلك؛ لأن هذا الخطاب إلى الكفار المخلدين، حيث أجابوا ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦﴾، وكما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ الآية الآتية. كما سنذكر في تفسير هذه الآية.

(٢) قوله: (الموت). فسر به ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (من الملائكة...). قال القرطبي: «هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين، وذلك أن قومًا من أهل التوحيد عُذبوا بذنوبهم، ثم شفع فيهم، فرحمهم الله بتوحيدهم، والشفاعة، فأخرجوا من النار، وليس للكفار شفيع يشفع فيهم».اهـ. وفيما روى ابن جرير عن ابن مسعود: «ثم تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون... إلخ».اهـ. وأحاديث الشفاعة كثيرة، كما ثبتت أنواع الشفاعة يوم القيامة، فمنها الشفاعة لإخراج عصاة المؤمنين من النار، ومنها الشفاعة العظمى في موقف الحساب، ومنها =

والمعنى: لا شفاعة لهم.

﴿٤٩﴾- ﴿فَمَا﴾ مبتدأ[١] ﴿لَهُمْ﴾ خبره، متعلق بمحذوف[٢]، انتقل ضميره إليه[٣] ﴿عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ حال من الضمير[٤]، والمعنى: أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاظ[٥].

﴿٥٠﴾- ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ وحشية.

= لإدخال بعض المؤمنين في الجنة بدون حساب، وغير ذلك مما فصلت في كتب العقيدة، ولم يخالف في الشفاعة إلا المعتزلة.

فائدة: استدل بهذه الآيات على أن الكفار مخاطبون بفروع الإسلام؛ لأنهم عللوا لدخولهم في سقر: ترك الأعمال مع ترك الإيمان، والمسألة أصولية، وهذا مذهب الجمهور خلافًا للحنفية، وتحرير المسألة يطلب من كتب الأصول. وقد ذكرناها في منظومتنا «القلائد الجليّة في القواعد الأصوليّة».

(١) قوله: (مبتدأ). أي: ﴿مَا﴾ هنا استفهامية مبتدأ، وليست حرف نفي بخلاف «ما» في الآية السابقة فهي حرف نفي.

(٢) وقوله: (متعلق بمحذوف). وذلك أن الظرف -وكذا الجار والمجرور- إذا وقع خبرًا لمبتدأ أو نعتًا أو حالًا أو صلة الموصول وجب كون متعلقه محذوفًا تقديره: كائن أو مستقر أو استقر، كما فصله النحاة، ويسمى الظرف في هذه الحالات ظرفًا مستقرًا، ومقابله: الظرف اللغو، وقد فصلنا ذلك في كتاب «الثنائيات».

(٣) قوله: (انتقل ضميره). أي: الضمير المستتر في المحذوف انتقل إلى هذا الظرف، فيكون الضمير فاعلًا للظرف هذا ما ذهب إليه بعض النحاة.

(٤) قوله: (حال من الضمير). أي: الضمير المجرور في ﴿لَهُمْ﴾.

(٥) قوله: (والمعنى:...). هذا المعنى الإجمالي، وأما باعتبار معنى الحال فيكون هكذا، أي: شيء حصل لهم حال كونهم معرضين عن التذكرة، والله أعلم.

(٥١) - ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١﴾ أسد[١]، أي: هربت منه أشد الهرب.

(٥٢) - ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝٥٢﴾ من الله تعالى باتباع النبي، كما قالوا[٢]: «وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ» [الإسراء: ٩٣].

(٥٣) - ﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۝٥٣﴾ عذابها.

(٥٤) - ﴿كَلَّآ﴾ استفتاح ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ ۝٥٤﴾ عظة.

(٥٥) - ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥﴾ قرأه فاتعظ به.

(٥٦) - ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالياء والتاء[٣] ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بأن يُتقى ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۝٥٦﴾ بأن يغفر لمن اتقاه.

❁❁❁

(١) قوله: (أسد). هذا مروي عن أبي هريرة، وابن عباس، وابن زيد وغيرهم، وعن ابن عباس أيضًا، ومجاهد، وعكرمة وغيرهم: «الرماة»، قال البيضاوي: «القسورة: الأسد»، وهو فَعْوَلَة، من القسر وهو القهر، وفيه تشبيه المعقول بالمحسوس، وذلك واضح.

(٢) قوله: (كما قالوا...). الآية تقدمت في سورة الإسراء.

(٣) قوله: (بالياء والتاء). قرأ نافع: بالتاء. والباقون: بالياء.

٧٥- سورة القيامة

مكية[(١)]، وآياتها أربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿لَآ﴾ زائدة في الموضعين[(٢)] ﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ (١)﴾.

(٢)- ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢)﴾ التي تلوم نفسها[(٣)]، وإن اجتهدت في الإحسان، وجواب القسم محذوف، أي: لتبعثن، دل عليه:

(٣)- ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: الكافر[(٤)] ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ (٣)﴾ للبعث والإحياء.

(٤)- ﴿بَلَىٰ﴾ نجمعها ﴿قَٰدِرِينَ﴾ مع جمعها ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ (٤)﴾ وهو

---

(١) قوله: (مكية). لم يذكر فيه خلاف.

(٢) قوله: (زائدة). أي: ليست للنفي، بل مزيدة لمجرد التوكيد، ويوافقه: قراءة ابن كثير ﴿لأَقْسِمُ﴾. روى ابن جرير كونها مزيدة عن ابن المسيب، وعن ابن عباس وغيرهما، وقيل: لنفي كلام المشركين، وقد سبق نظيره في قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ...﴾ [الآية: ٧٥]، في سورة الواقعة وغيرها.

(٣) قوله: (تلوم). وهي نفس المؤمن، قال القرطبي: «أي: بنفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه، يقول: ما أردت بكذا؟ فلا تراه إلا ويعاتب نفسه»، وعزا القرطبي هذا القول إلى ابن عباس، ومجاهد، والحسن وغيرهم. وعن ابن عباس رواية: «اللوامة بمعنى: الملومة، أي: المذمومة»، فهي صفة ذم، فيكون «لا» للنفي؛ لأن نفس العاصي ليس لها خطَر يقسم بها. قال ذلك القرطبي.

(٤) قوله: (الكافر). أشار إلى أن «أل» في ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ للعهد، أو هو مطلق يقيّد بالكافر؛ وذلك لأن سبب نزول الآية -كما في القرطبي- سؤال عديّ بن ربيعة للنبي ﷺ عن يوم القيامة، فلما أخبره النبي ﷺ عنه قال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أؤمن به أو يجمع الله العظام؟ وقيل: نزلت في أبي جهل حين أنكر البعث بعد الموت.اهـ. ملخصًا من القرطبي.

الأصابع، أي: نعيد عظامها[١] كما كانت مع صغرها، فكيف بالكبيرة.

﴿٥﴾- ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ﴾ اللام زائدة[٢]، ونصبه بـ«أن» مقدرة، أي: أن يُكذِّب[٣] ﴿أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾﴾ أي: يوم القيامة، دل عليه:

﴿٦﴾- ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾ متى[٤] ﴿يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿٦﴾﴾ سؤال استهزاء وتكذيب.

﴿٧﴾- ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾﴾ بكسر الراء وفتحها[٥]، دُهش وتحيّر لما رأى مما كان يكذب به.

---

(١) قوله: (أي: نعيد عظامها). هذا المعنى عزاه القرطبي إلى الزجاج، والقتبي. ولكن عن ابن عباس، وجمهور المفسرين كما في ابن جرير وغيره: «أن المعنى: أي نجعل أصابع يديه ورجليه شيئًا واحدًا كخف البعير، فلا يمكن أن يعمل بها شيئًا، ولكن الله فرق أصابعه رحمة منه حتى يأخذ بها ما يشاء ويعمل».اهـ.

(٢) قوله: (اللام زائدة). وذلك أن الفعل «أراد» متعدّ بنفسه، فاللام تكون زائدة مؤكدة، وقد تقدم مراتب اللام الداخلة في المفعول به، وهي ثلاثة: الزائدة، ولام التعدية، ولام التقوية. [راجع سورة النساء الآية (٢٦)].

(٣) قوله: (يكذب). من التكذيب. هذا المعنى مروي عن ابن عباس، وكما يدل على ذلك الآية التالية.

(٤) قوله: (متى). ﴿أَيَّانَ﴾: اسم استفهام بمعنى: متى، فهو مبني على الفتح في محل رفع خبر مقدم هنا، ويستعمل في السؤال عن الأمور العظام، بخلاف «متى» فيسأل بها الأمر الكبير والحقير، وتأتي للشرط أيضًا كما يعلم من كتب النحو.

(٥) قوله: (بكسر الراء). قرأ بفتح الراء: نافع، وأبو جعفر. وبكسرها: الباقون. ومعناهما متقاربان هنا، فـ«بَرق، يبرُق» من باب: دخل يدخل، بمعنى: لمع وتلألأ، و«برِق يبرَق» من باب: تعِب، معناه: دُهِش وتحيّر. وعلى الأول، فالمعنى: لمع بصره من شدة شخوصته، وهذا عند الموت في قول مجاهد وغيره. أو يوم القيامة على قول الحسن، وكذا على الثاني، أي كسر الراء: تحير ودهش عند الموت أو يوم القيامة. كما في ابن جرير.

﴿٨﴾ - ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ أظلم وذهب ضَوْؤُه[١].

﴿٩﴾ - ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ فطلعا من المغرب[٢]، أو ذهب ضؤوهما، وذلك في يوم القيامة.

﴿١٠﴾ - ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ الفرار[٣].

﴿١١﴾ - ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب الفرار ﴿لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾ لا ملجأ يتحصن به[٤].

﴿١٢﴾ - ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ مستقر الخلائق، فيحاسبون ويجازَون.

---

(١) قوله: (أظلم...). كما فسر بنحوه ابن جرير، ورواه عن أئمة التفسير، والخسوف في الدنيا إلى الانجلاء، ويكون عند وقوعه في ظل الأرض، ويقع عادة في أوساط الشهور كما هو معلوم من فن الهيئة، ولكن الخسوف في الآخرة لا يعود ضوؤه، كما ذكره القرطبي، وقال: «يحتمل كون معنى خسف، أي: غاب كما في قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]».اهـ.

(٢) قوله: (فطلعا...). هذا المعنى عزاه القرطبي إلى ابن عباس، وابن مسعود، قالا: «جمع بينهما، أي: قرن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مكوّرين مظلمين مقرنين كأنهما ثوران عقيران».اهـ.

وقول المفسر: (أو ذهب...). تفسير آخر فسر بذلك ابن جرير. وعزاه القرطبي إلى الزجاج، والفراء.

(٣) قوله: (الفرار). على هذا يكون مصدرًا ميميًّا، كما يعلم من ابن جرير وغيره. قال القرطبي: «يحتمل كون القائل: الكفار عند مشاهدة العذاب، ويحتمل الناس كلهم لأهوال يوم القيامة».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (لا ملجأ). قال القرطبي: «الوزر في اللغة: ما يلجأ إليه من حصن أو جبل أو غيرهما».اهـ.

﴿١٣﴾- ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ بأول عمله وآخره[(١)].

﴿١٤﴾- ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ شاهد[(٢)] تنطق جوارحه بعمله، والهاء للمبالغة[(٣)]، فلابد من جزائه[(٤)].

﴿١٥﴾- ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ جمع معذرة، على غير قياس[(٥)]، أي: ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه.

﴿١٦﴾- قال تعالى لنبيه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل منه[(٦)] ﴿لِسَانَكَ

---

(١) قوله: (بأول عمله...). هذا المعنى مروي عن مجاهد، وقال ابن عباس: «ما عمل قبل موته، وما سَنّ فعُمل به بعد موته»، وعن قتادة: «ما قدم من الطاعة وما أخر، أي: ضيع من حق الله»، وقيل غير ذلك، واختار ابن جرير عموم هذه المعاني.

(٢) قوله: (شاهد). روي عن ابن عباس.

(٣) وقوله: (للمبالغة). أي: كالتاء في «العلّامة» ونحوها، وهو قول أبي عُبيد ومن وافقه، وقيل: للتأنيث؛ لأن الإنسان يراد به هنا جوارحه، وقيل: غير ذلك.

(٤) وقوله: (فلابد...). مرتبط بالآية التالية، ودال على جواب ﴿وَلَوْ﴾.

(٥) قوله: (جمع معذرة...). قاله البيضاوي وجهًا، والوجه الآخر أنه جمع مِعذار، والمعذار: الستر بلغة أهل اليمن، وعلى هذا يكون المعنى: ولو أرخى ستوره، وفسر بذلك السدي وغيره.

(٦) قوله: (بالقرآن). روى الشيخان وغيرهما عن ابن عباس سبب نزول هذه الآيات، كما ذكره المفسر، وذلك أن النبي ﷺ كان يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك شفتيه، أي: مخافة أن ينفلت القرآن منه، فكان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته، كما ذكر ابن كثير، فأرشده الله إلى أنه إذا جاء الملك بالوحي يستمع له، وتكفل الله تعالى أن يجمعه في صدره وأن ييسره على أدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه، فالحالة الأولى: جمعه في صدره، والثانية: تلاوته، والثالثة: تفسير وإيضاح معناه.اهـ. ملخصًا من ابن كثير وغيره، وفي كلام المفسر إشارة إلى ملخص هذا، وتقدم نظير هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ ...﴾ [طه: ١١٤].

﴿لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦﴾ خوف أن ينفلت منك.

١٧- ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ﴾ في صدرك ﴿وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧﴾ قراءتك إياه، أي: جريانه على لسانك.

١٨- ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨﴾ استمع قراءته، فكان ﷺ يستمع ثم يقرأه.

١٩- ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ بالتفهيم لك، والمناسبة بين هذه الآيات[١] وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها.

٢٠- ﴿كَلَّا﴾ حرف استفتاح[٢] بمعنى: ألا ﴿بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ٢٠﴾ الدنيا، بالياء والتاء في الفعلين[٣].

٢١- ﴿وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ٢١﴾ فلا يعملون لها.

٢٢- ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ﴾ أي: في يوم القيامة ﴿نَّاضِرَةٌ ٢٢﴾ أي: حسنة مضيئة.

٢٣- ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ أي: يرون الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ[٤] في الآخرة.

---

(١) قوله: (والمناسبة...). أي: فالمناسبة التضاد، كما يعقب ذكر الكفار بذكر المؤمنين وبالعكس في آيات.

(٢) قوله: (حرف استفتاح). أو حرف ردع، كما تقدم الوجهان قريبًا.

(٣) قوله: (بالياء...). قرأ بالياء: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب. وقرأ بالتاء: الباقون. روى ابن جرير عن قتادة في معنى الآية: «اختار أكثر الناس العاجلة إلا من رحم الله وعصم».اهـ.

(٤) قوله: (أي: يرون الله...). فهذه الآية مما تدل على رؤية الله تعالى يوم القيامة، وبذلك فسر جمهور المفسرين كما ذكره القرطبي، وهذا من معتقد أهل السنة والجماعة، خلافًا للمعتزلة، وقد وردت أحاديث صحيحة في ذلك، وروي عن مجاهد: «المعنى: تنتظر الثواب»، قال القرطبي: «هذا القول ضعيف جدًّا، خارج عن مقتضى ظاهر الآية والأخبار».اهـ.

٢٤- ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ كالحة شديدة العبوس[(١)].

٢٥- ﴿تَظُنُّ﴾ توقن ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ داهية عظيمة تكسر فقار الظهر[(٢)].

٢٦- ﴿كَلَّآ﴾ بمعنى: ألا[(٣)] ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفس[(٤)] ﴿ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ عظام الحلق[(٥)].

٢٧- ﴿وَقِيلَ﴾ قال مَن حوله ﴿مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ يرقيه ليشفى[(٦)].

٢٨- ﴿وَظَنَّ﴾ أيقن من بلغت نفسه ذلك ﴿أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ فراق الدنيا.

٢٩- ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ أي: إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت[(٧)]، أو التفت[(٨)] شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة.

---

(١) قوله: (كالحة...). فسر بهذا قتادة، وعنه أيضًا وابن زيد: «عابسة»، وعن السدي: «متغيرة»، وكلها متقاربة، وتقدم في سورة المؤمنون: «كالحون». [الآية: ١٠٤].

(٢) قوله: (داهية). قال القرطبي: «يقال: فقَرَتْهُ الفاقرة، أي: كسرت فقار ظهره».اهـ.

(٣) قوله: (بمعنى: ألا). كما تقدم مرارًا.

(٤) وقوله: (النفس). أفاد أن الضمير المستتر في ﴿بَلَغَتِ﴾ عائد إلى ما علم من السياق.

(٥) وقوله: (عظام الحلق). التراقي، جمع: تَرقوة، وهي العظام المكتنفة لنُقْرةِ النحر، كما ذكره القرطبي. وهو المراد بقول المفسر؛ لأنها تحت الحلق.

(٦) وقوله: (يرقيه ليشفى). هذا المعنى هو المشهور، روي عن أبي قلابة، والضحاك، وقتادة، وغيرهم. وقال ابن عباس: «هذا من قول الملائكة يقول بعضهم لبعض من يصعد بروحه؟ ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب».اهـ. فالأول من الرقْية، والثاني من الرقي بمعنى: الصعود.

(٧) قوله: (إحدى ساقيه). هذا المعنى مروي عن الحسن، وقتادة، وأبي مالك وغيرهم. فالساق بمعناها: الحقيقي.

(٨) وقول المفسر: «أو التفت...». معنى آخر مروي عن ابن عباس، ومجاهد، والحسن أيضًا، فيكون الساق مجازًا، واختاره ابن جرير.

(٣٠) - ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ (٣٠)﴾ أي: السَّوق[١]، وهذا يدل على العامل في «إذا»[٢]، والمعنى: إذا بلغت النفس الحلقوم تساق إلى حكم ربها.

(٣١) - ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ الإنسان ﴿وَلَا صَلَّىٰ (٣١)﴾ أي: لم يتصدق ولم يصلّ[٣].

(٣٢) - ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّىٰ (٣٢)﴾ عن الإيمان.

(٣٣) - ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ (٣٣)﴾ يتبَخْتَر في مشيته إعجابًا[٤].

(٣٤) - ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ فيه التفات عن الغيبة، والكلمة اسم فعل[٥]، واللام للتبيين[٦]، أي: وليك ما تكره ﴿فَأَوْلَىٰ (٣٤)﴾ أي: فهو أولى بك من غيرك[٧].

---

(١) قوله: (السَّوق). أفاد أن المساق مصدري ميمي، والسوق بفتح السين.

(٢) قوله: (وهذا يدل...). أي: العامل في ﴿إِذَا﴾ الظرفية هو ما دل عليه المساق، ولم يجعل العامل ﴿ٱلْمَسَاقُ﴾؛ لأنه مصدر، والمصدر لا يعمل في المتقدم، فهو دال على العامل.

(٣) قوله: (أي: لم يتصدق...). أفاد أن هذه الجملة جملة خبرية منفية للماضي، وهذه الآيات نزلت في أبي جهل على ما قاله قتادة، ومجاهد، وعزاه القرطبي إلى ابن عباس، وقيل: الضمير في الفعلين للإنسان المذكور أول السورة، فيكون المراد الجنس، أي: جنس الكافر.

(٤) قوله: (يتبختر...). أي: يتكبر، والفعل ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ قيل مأخوذ من المطا، وهو الظهر، أي: يلوي مطاه، أي: ظهره، وقيل: أصله يتمطّط، فقلبت الطاء الثانية ألفًا لاجتماع الأمثال، ومعناه: يتمدد، ومعناهما متقارب، ذكر الوجهين القرطبي وغيره.

(٥) قوله: (والكلمة...). أي: كلمة ﴿أَوْلَىٰ﴾ اسم فعلٍ بمعنى: الماضي عند الجمهور، كما قاله الدرويش في «إعراب القرآن»، فهو مبني على السكون، وفاعله: ضمير مستتر يعود على ما يعلم من السياق، أي: الهلاك، ومعناه: ولي، أي: قرب، فهو مأخوذ من الولي.

(٦) وقوله: (واللام للتبيين). أي: اللام في ﴿لَكَ﴾: لتبيين المفعول به، أي: زائدة داخلة على المفعول به، فالمعنى: وليك الهلاك، وعن الأصمعي: «هو فعل ماضٍ».

(٧) وقول المفسر: (أي: فهو أولى بك). يفيد أن ﴿أَوْلَىٰ﴾ الثاني اسم تفضيل خبر لمبتدأ محذوف، =

٣٥- ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ تأكيد.

٣٦- ﴿أَيَحْسَبُ﴾ يظن ﴿ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ هملًا[1]، لا يكلَّفُ بالشرائع؟ أي: لا يحسب ذلك.

٣٧- ﴿أَلَمْ يَكُ﴾ أي: كان[2] ﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ تُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ بالتاء والياء[3]، تصب في الرحم.

٣٨- ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ المني ﴿عَلَقَةً فَخَلَقَ﴾ الله منها الإنسان ﴿فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ عدَّل أعضاءه.

٣٩- ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ من المنِي الذي صار علقة[4] أي: قطعة دم ثمّ مضغة، أي:

= وليس توكيدًا للأول، ويحتمل كونه توكيدًا كما هو ظاهر القرطبي، حيث يقول: «تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد، لما قيل فيه أربعة أمور: فلا صدق ولا صلى، ولكن كذب وتولى، جاء في مقابله أربعة تهديدات، وأما ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾ فهي خصلة خامسة لكنها كانت عادته قبل التكذيب والتولي».اهـ. ملخصًا.

روى ابن جرير عن قتادة، قال: «أخذ النبي ﷺ بيده، أي: بيد أبي جهل، وقال: «﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾، فقال: يا محمد ما تستطيع أنت وربك فيَّ شيئًا، إنِّي لأعز من مشى بين جبلها، فلما كان يوم بدر أشرف عليهم، ،فقال: لا يُعبد الله بعد هذا اليوم، وضرب الله عنقه وقتله شرّ قِتلة».اهـ.

(١) قوله: (هملًا). كما قاله ابن عباس، يقال: إبل سُدى، أي: مهملة، وأسديت حاجتي، أي: ضيعتها.اهـ. كما في «إعراب القرآن» للدرويش.

(٢) وقوله: (أي: كان...). تفسير بالمآل؛ لأن الاستفهام للإنكار دخل على النفي، ونفي النفي إثبات فصار مآل المعنى: كان.

(٣) قوله: (بالتاء...). قرأ بالياء: حفص، ويعقوب. فالضمير للمنيّ. وبالتاء: الباقون، فالضمير للنطفة. والمآل واحد.

(٤) قوله: (من المني...). ظاهر كلامه أن المعنى: فجعل الله من ذلك المنيّ ذكرًا وأنثى، أي: =

قطعة لحم ﴿ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ النوعين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الآخر تارة.

٤٠- ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ الفعال لهذه الأشياء ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾، قال ﷺ: «بلى»(١).

❁❁❁

= حوله إلى الإنسان الكامل الذكر أو الأنثى، اجتماعًا وانفرادًا، كما هو ظاهر كلام ابن كثير، وذكر ابن جرير ما معناه: فجعل من هذا الإنسان بعد ما سواه خلقًا سويًّا أولادًا له ذكورًا وإناثًا.اهـ. وجعل هنا بمعنى: خلق له مفعول واحد، أو بمعنى: صيّر، والمفعول الثاني الجار والمجرور ﴿مِنْهُ﴾.

(١) قوله: (قال ﷺ:....). هذا الحديث رواه أبو داود عن موسى ابن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته، فكان إذا قرأ ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ قال: سبحانك فبلى، فسألوه عن ذلك، فقال: سمعته من رسول الله ﷺ.اهـ. [أبو داود (١/ ٥٤٩)]. ورواه ابن جرير عن قتادة، قال: «ذكر لنا أن النبي ﷺ كان إذا قرأها قال: «**سبحانك وبَلَى**».اهـ.

٧٦- سورة الإنسان

مكية أو مدنية(١)، وآياتها إحدى وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿هَلْ﴾ قد(٢) ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ آدم(٣) ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ أربعون سنة(٤) ﴿لَمْ يَكُن﴾ فيه ﴿شَيْـًٔا مَّذْكُورًا (١)﴾ كان فيه مصوّرًا من طين، ولا يذكر، أو المراد(٥) بـ«ٱلْإِنسَٰنِ» الجنس وبالـ«حِينٌ» مدة الحمل.

(٢)- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجنس(٦) ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط(٧)، أي: من ماء الرجل(٨) وماء المرأة المختلطين الممتزجين ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ نختبره بالتكليف،

---

(١) قوله: (مكية). في قول ابن عباس، ومقاتل، والكلبي.

وقوله: (أو مدنية). وهوقول الجمهور. وقيل: فيها مكي وهو من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا (٢٣)﴾ إلى آخر السورة، وما قبله مدني. ذكره القرطبي.

(٢) قوله: (قد). قاله الكسائي، والفراء، وأبو عبيدة. والمراد: أن الاستفهام للتقرير، وليس للنفي.

(٣) وقوله: (آدم). هذا القول عزاه القرطبي إلى قتادة، والثوري، وعكرمة، والسدي، فتكون «أل» عهدية.

(٤) وقوله: (أربعون سنة). روي عن ابن عباس وغيره، وعنه أيضًا: «الحين هنا لا يعرف مقداره».

(٥) وقوله: (أو المراد...). ذكره القرطبي بدون عزو، وظاهر كلام ابن كثير: «أن المراد بالإنسان الجنس، وبالحين غير معروف المقدار، حيث قال: يقول الله تعالى مخبرًا عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئًا يذكر لحقارته وضعفه».اهـ.

(٦) قوله: (الجنس). فـ«أل» هنا للجنس بلا خلاف.

(٧) وقوله: (أخلاط). واحدها: مِشْج، ومشيج.

(٨) وقوله: (من ماء الرجل...). روي ذلك عن ابن عباس، وغيره. وعن ابن عباس وغيره أيضًا: «﴿أَمْشَاجٍ﴾: أطوار الخلق، من نطفة ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظمًا...إلخ».

والجملة مستأنفة[1]، أو حال مقدرة، أي: مريدين ابتلاءه حين تأهله ﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾ بسبب ذلك[2] ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾.

۝٣- ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ بيّنا له طريق الهدى ببعث الرسل ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ أي: مؤمنًا ﴿وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ حالان من المفعول[3]، أي: بيّنا[4] له في حالِ شُكرِه أو كفرِه المقدرة، و«إِمَّا»[5] لتفصيل الأحوال.

---

(١) قوله: (والجملة مستأنفة...). أي: معترضة بين المتعاطفين، فلا محل لها من الإعراب، أو هي في محل نصب حال مقدرة، والحال المقدرة ما كان وقوعها متأخرًا عن العامل كما تقدم مرارًا.

(٢) قوله: (بسبب ذلك). أفاد أن الفاء تفيد السببية هنا.

(٣) قوله: (حالان من المفعول). أي: وهو الهاء في ﴿هَدَيْنَٰهُ﴾، فتكون حالًا مقدرة كما أشار إليه المفسر. وذكر الشاكر بصيغة اسم الفاعل، وضده بصيغة المبالغة ﴿كَفُورًا﴾، وفي ذلك إشارة إلى أن المؤمنين أقل من الكفار، أفاده الدرويش في «إعراب القرآن».

(٤) قوله: (بيّنًا). تفسير لـ﴿هَدَيْنَا﴾.

وقوله: (المقدرة). صفة للحال.

(٥) قوله: (و﴿إِمَّا﴾...). أي: ﴿إِمَّا﴾ المذكورة هٰهنا لتفصيل حالي الإنسان، فالأحوال في عبارة المفسر بالمعنى اللغوي لا النحويّ. و﴿إِمَّا﴾ حرف تفصيل، تأتي لمعاني «أو» و«إما» الأولى حرف تفصيل وليست عاطفة بلا خلاف، وأما الثانية فعاطفة عند الجمهور، والواو الداخلة عليها زائدة. وذهب أبو علي الفارسي وابن كيسان، وابن برهان إلى أنها حرف تفصيل تفيد معنى: أو، وليست عاطفة، بل الواو هي العاطفة، كما هو ظاهر كلام ابن مالك في «ألفيته».

ومعاني «إما»: ١- الشك. ٢- الإبهام. ٣- التقسيم أو التفصيل. ٤- التخيير. ٥- الإباحة. كما ذكره النحاة.

(٤)- ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا﴾ هيأنا ﴿لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ﴾ يسحبون بها في النار ﴿وَأَغۡلَٰلٗا﴾ في أعناقهم تشد فيها السلاسل ﴿وَسَعِيرًا (٤)﴾ نارًا مسعرة، أي: مهيجة يعذبون بها.

(٥)- ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ جمع بَرّ أو بار[(١)]، وهم المطيعون ﴿يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ﴾ هو إناء شرب الخمر وهي فيه[(٢)]، والمراد من خمر تسمية للحال باسم المحلّ[(٣)]، و«مِن» للتبعيض ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج به ﴿كَافُورًا (٥)﴾.

(٦)- ﴿عَيۡنٗا﴾ بدل من «كَافُورًا» فيها رائحته[(٤)] ﴿يَشۡرَبُ بِهَا﴾ منها[(٥)] ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ أولياؤه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا (٦)﴾ يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم[(٦)].

---

(١) قوله: (جمع بَرّ). الأبرار: إما جمع بَر بفتح الباء، كنهرٍ وأنهار. وإما جمع بارّ، كشاهد وأشهاد. وقيل: جمع بر: أبرار، وجمع بار: برَرَة. كما يعلم من القرطبي.

(٢) قوله: (وهي فيه...). أي: الخمر فيه، وإن كانت فارغة لا تسمى كأسًا، كما ذكره القرطبي.

(٣) وقوله: (تسمية للحال...). أي: فيكون من المجاز المرسل.

(٤) قوله: (بدل...).. هذا أحد الأوجه في إعرابه. قال ابن عباس: «كافور: اسم عين ماءٍ في الجنة يقال له: عين الكافور»، وعن قتادة: «تمزج لهم بالكافور وتختم بالمسك»، فيعلم من القولين: أن هذه العين فيها رائحة الكافور.

(٥) قوله: (منها). أفاد أن الباء هنا للتبعيض، وهذا من أدلة مجيء الباء للتبعيض وفي ذلك خلاف، فأثبت ذلك الأصمعي، والفارسي، وابن مالك، والكوفيون، ونص عليه ابن هشام وغيره. ويحتمله قوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [المائدة: ٦]، ومن منع ذلك جعل «يشرب»، مضمنًا معنى «يَرْتوي» أو الباء زائدة، وفي قوله تعالى: ﴿بِرُءُوسِكُمۡ﴾ للإلصاق.

(٦) قوله: (يقودونها...). كما روي عن مجاهد، وسفيان، ونحوه عن قتادة، أي: فالمعنى: =

(٧)- ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ في طاعة الله[١] ﴿وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧﴾ منتشرًا.

(٨)- ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: الطعام[٢] وشهوتهم له ﴿مِسۡكِينٗا﴾ فقيرًا[٣] ﴿وَيَتِيمٗا﴾ لا أب له ﴿وَأَسِيرًا ٨﴾ يعني: المحبوس بحق[٤].

(٩)- ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾ لطلب ثوابه[٥] ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩﴾

= يشققونها ويفجرونها حيث شاؤوا من مواضع الجنة، كما يفجر الرجل النهر هٰهنا إلى حيث يريد. كما يعلم من القرطبي.

(١) قوله: (في طاعة الله). قال مجاهد، وعكرمة: «يوفون إذا نذروا في حق الله».اهـ، النذر: التزام قربةٍ بلفظه المعروف، وحكمه الاستحباب عند الشافعية، والوفاء واجب، على ما فصّله الفقهاء، وقد تقدم ذكر النذر في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ [الآية: ٢٧٠]، وهذه الآية وآية هذه السورة مما استدل به الشافعية على استحباب النذر، وفي ذلك خلاف فقهيّ.

(٢) قوله: (أي: الطعام...). أفاد أن الضمير عائد إلى الطعام، والحب مصدر مضاف إلى المفعول به، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، ومجاهد. ونقل القرطبي عن الداراني: «على حب الله». وفي بعض النسخ لا يوجد (أي: الطعام).

(٣) قوله: (فقيرًا). لعله فسر بذلك لإفادة شمول المسكين للفقير؛ لأن المراد به ذو الحاجة، كما فسر به ابن جرير. ومن المعلوم عند الفقهاء أن الفقير والمسكين إذا أطلق أحدهما دخل فيه الآخر، وإذا ذكرا معًا اختلفا، وقد تقدم ذكرهما في سورة التوبة الآية (٦٠).

(٤) قوله: (المحبوس بحق). ظاهره يشمل الأسير الكافر كما روي عن ابن عباس، وقتادة، والحسن وغيرهم. قال قتادة: «كان أسراهم يومئذ المشرك، وأخوك المسلم أحق أن تطعمه».اهـ. ذكره ابن جرير.

(٥) قوله: (لطلب ثوابه). وبنحوه فسر ابن جرير، وابن كثير، وغيرهما. قال ابن جرير: «لوجه الله، يعنون طلب رضا الله»، علمًا بأن الوجه صفة لله تعالى يثبت كما يليق به تعالى على ما هو مذهب السلف.

شكرًا، فيه علة الإطعام(١)، وهل تكلموا بذلك(٢)، أو علمه الله منهم، فأثنى عليهم به؟ قولان:

(١٠) - ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ تكلح الوجوه فيه، أي: كريه المنظر لشدته ﴿قَمْطَرِيرًا (١٠)﴾ شديدًا في ذلك(٣).

(١١) - ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ﴾ أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ حُسنًا وإضاءة في وجوههم ﴿وَسُرُورًا (١١)﴾.

(١٢) - ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بصبرهم عن المعصية(٤) ﴿جَنَّةً﴾ أُدْخِلوها ﴿وَحَرِيرًا (١٢)﴾ أُلْبِسُوهُ.

(١٣) - ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ حال من مرفوع (أُدخلوها)(٥) المقدر ﴿فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ السُّرر في الحجال(٦) ﴿لَا يَرَوْنَ﴾ لا يجدون، حال ثانية ﴿فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣)﴾ أي: لا حرًّا

(١) قوله: (فيه علة). أي: في قولهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ...﴾.

(٢) وقوله: (وهل تكلموا...). قال مجاهد، وابن جبير: «ما قالوه بألسنتهم، ولكن علم الله ذلك من قلوبهم...».اهـ. وجرى على ذلك ابن كثير، وظاهر كلام ابن جرير أنهم قالوه.

(٣) قوله: (شديدًا...). مأخوذ من اقمطَرَّ على وزن: «افْعَلَلَّ»، بمعنى: اشتدّ. فوزنه: فَعْليل: واللام الأخيرة زائدة، صيغة مبالغة، محول من اسم الفاعل: مُقْمَطِرّ. كما يعلم من كتب اللغة والتفسير، وإسناده إلى اليوم من المجاز العقلي.

(٤) قوله: (بصبرهم...). أفاد أن ﴿مَا﴾ مصدرية، وأن الباء سببية.

(٥) قوله: (حال من مرفوع...). أي: من نائب الفاعل لـ(أدخلوا). وهو الواو. ويصح كونه حالًا من «هم»، أي: الضمير المنصوب في «جزاهم»، كما ذكر القرطبي وغيره.

(٦) قوله: (في الحِجال). جمع حَجَلة، وهي الغرفة المزينة للعروس، وتقدم لفظ الأرائك في سورة الكهف الآية (٣١) وغيرها.

ولا بردًا[١]، وقيل[٢]: الزمهرير: القمر؛ فهي مضيئة من غير شمس ولا قمر.

١٤- ﴿وَدَانِيَةً﴾ قريبة، عطف على محل «لَا يَرَوْنَ»[٣]، أي: غير رائين ﴿عَلَيْهِمْ﴾ منهم[٤] ﴿ظِلَالُهَا﴾ شجرها[٥] ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ١٤﴾ أدنيت[٦] ثمارها فيناله‍ا القائم والقاعد والمضطجع.

١٥- ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ فيها[٧] ﴿بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أقداح بلا عرى ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ١٥﴾.

---

(١) قوله: (أي: لا حرًّا...). كما قال قتادة: «يعلم أن شدة الحر تؤذي، وشدة القر تؤذي، فوقاهم الله أذاهما».اهـ.

(٢) وقوله: (وقيل:...). هذا القول عزاه القرطبي إلى ثعلب، قال: «الزمهرير القمر بلغة طيّ».

(٣) قوله: (عطف على محل...). أي: فهي حال منصوبة، والأولى جعله عطفًا على ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ فيكون من عطف المفرد على المفرد، كما يعلم من كتب الإعراب.

(٤) وقوله: (منهم). أفاد أن ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى ﴿مِن﴾؛ لأن دنا يتعدى بـ«مِن»، ولكن لما كان الظل من فوقهم ناسب ذكر ﴿عَلَىٰ﴾. كما ذكره الدرويش في «إعراب القرآن».

(٥) وقوله: (شجرها). وبنحوه فسر ابن كثير، قال: «أي: قريبة إليهم أغصانها».اهـ. وقال القرطبي: «أي: ظل الأشجار، فهي مظلة عليهم زيادة في نعيمهم وإن لم يكن ثم شمس ولا قمر، كما أن أمشاطهم الذهب والفضة وإن كان لا وسخ ولا شعث في رؤوسهم». اهـ. ملخصًا.

(٦) قوله: (أدنيت). كما تقدم في سورة الرحمن (الآية: ٥٤).

(٧) قوله: (فيها). قدره ليحصل الربط؛ لأن الجملة معطوفة على جملة ﴿وَذُلِّلَتْ﴾، و﴿قَوَارِيرَا۠﴾ الأول خبر «كان»، والثانية بدل، وهي ممنوعة من الصرف لكن نوّن الأولى وتقلب ألفًا عند الوقف لمناسبة رُؤوس الآي، وإذا وصل نطق بالفتحة بلا تنوين، وكذلك إذا وقف على ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ الثانية، وقف بالسكون، وهي قراءة حفص.

(١٦) - ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: أنها من فضة يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج[(١)] ﴿قَدَّرُوهَا﴾ أي: الطائفون ﴿تَقْدِيرًا (١٦)﴾ على قَدْرِ ريِّ[(٢)] الشاربين من غير زيادة ولا نقص، وذلك ألذ الشراب.

(١٧) - ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ خمرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج به ﴿زَنجَبِيلًا (١٧)﴾.

(١٨) - ﴿عَيْنًا﴾ بدل من «زَنجَبِيلًا»، ﴿فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨)﴾[(٣)] يعني: أن ماءها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب، سهل المساغ في الحلق.

(١٩) - ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ بصفة الولدان[(٤)] لا يشيبون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لحسنهم وانتشارهم في الخدمة ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩)﴾ من سلكه، أو من صدفه، وهو أحسن منه في غير ذلك[(٥)].

---

(١) قوله: (أي: إنها فضة...). قاله ابن عباس، وغيره، قالوا: بياض الفضة في صفاء القوارير.اهـ. والقوارير لا تكون إلا من زجاج، فهذه الأكواب من فضة ومع ذلك شفافة، ذكره ابن كثير.

(٢) وقوله: (على قدر ريّ...). قاله ابن عباس وغيره.

(٣) ﴿تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨)﴾. أي: السلسبيل عين في الجنة. قاله ابن كثير نقلًا عن عكرمة. وهو من السلالة فوزنه «فَعْفَلِيل». ذكره القرطبي، والظاهر أن وزنه «فعفبيل» إذا كان من السلالة، وقيل: معرّب. نقله الدرويش عن مكيّ، والله أعلم. قال ابن كثير: «فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهوبارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر».اهـ.

(٤) قوله: (بصفة الولدان). تفسير لـ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾. ذكره ابن جرير وغيره. وقيل: مسوّرون - أي: محلون بالسوار-. وقال قتادة: «لا يموتون من الخلود». ذكر كلها ابن جرير وغيره.

(٥) قوله: (وهو أحسن...). كما قال القرطبي: «واللؤلؤ إذا نثر على بساط كان أحسن منه منظومًا».اهـ. وقال: «قيل: إنما شبههم باللؤلؤ المنثور: المخزون؛ لأنهم سراع في الخدمة، بخلاف الحور العين إذ شبهن باللؤلؤ المكنون؛ لأنهن لا تمتهَنَّ بالخدمة».اهـ.

(٢٠) - ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي: وجُدَت الرؤية منك في الجنة[١] ﴿رَأَيْتَ﴾ جواب «إِذَا»، ﴿نَعِيمًا﴾ لا يوصف ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠)﴾ واسعًا لا غاية له.

(٢١) - ﴿عَلِيَهُمْ﴾ فوقهم، فنصبه على الظرفية[٢]، وهو خبر المبتدأ بعده، وفي قراءة: بسكون الياء، مبتدأ، وما بعده خبر، والضمير المتصل[٣] به للمعطوف عليهم ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ حرير ﴿خُضْرٌ﴾ بالرفع ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[٤] بالجر، ما غلظ من

---

(١) قوله: (وجدت الرؤية). أفاد بهذا التقدير أن ﴿رَأَيْتَ﴾ هنا منزل منزلة الفعل اللازم، وإن كان متعديًّا في الأصل، فلا يحتاج إلى تقدير المفعول به. فالفعل المتعدي إذا لم يقصد تعليقه بالمفعول به بل أريد وجود هذا الفعل فقط نزل منزلة الفعل اللازم، ولا يقدر مفعول به كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، أي: الذين لهم صفة العلم والذين ليست لهم تلك. والله أعلم. وهذه المسألة ذكرها البلاغيون.

وأما إذا أريد تعليق الفعل بالمفعول به ثم حذف، قدر المفعول به، ويكون الحذف لإفادة العموم أو نحو ذلك من الأغراض البلاغية، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥]، أي: كل الناس، والله أعلم.

و﴿ثَمَّ﴾: اسم إشارة في محل نصب ظرف متعلق بـ﴿رَأَيْتَ﴾ الأولى، والإشارة إلى الجنة، و﴿رَأَيْتَ﴾ الأولى فعل الشرط، و﴿رَأَيْتَ﴾ الثانية جوابه.

(٢) (فنصبه...). قرأ بسكون الياء: نافع، وحمزة، وأبو جعفر. وبالنصب: الباقون. ووجههما ما ذكره المفسر.

(٣) قوله: (والضمير المتصل...). أي: الضمير (هم) راجع إلى الأبرار المعْطوف عليهم ما ذكر بعدهم، وليس راجعًا إلى الولدان المذكور قريبًا.

(٤) وفي ﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ أربع قراءات:

١- برفعهما: ﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: نافع، وحفص.

٢- بجر ورفع: ﴿خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: ابن كثير، وشعبة. =

الديباج، فهو البطائن(١)، والسندس الظهائر، وفي قراءة: عكس ما ذكر فيهما، وفي أخرى: برفعهما، وفي أخرى: بجرهما ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي موضع آخر: «مِن ذَهَبٍ»(٢)؛ للإيذان بأنهم يحلون من النوعين معًا ومفرّقًا ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ مبالغة في طهارته ونظافته بخلاف خمر الدنيا.

﴿٢٢﴾ - ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ النعيم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾.

﴿٢٣﴾ - ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم «إِنَّ»(٣)، أو فصل ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ خبر «إِنَّ»(٤)، أي: فصلناه ولم ننزله جملة واحدة(٥).

﴿٢٤﴾ - ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ رسالته ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ أي: عتبة بن الربيع والوليد بن المغيرة(٦) قالا للنبي ﷺ:

٣- عكسه: ﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: أبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب.

٤- بجرهما: ﴿خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: الباقون. والوجه الإعرابي واضح.

(١) وقوله: (فهو البطائن). كما في سورة الرحمن في وصف الفُرش.

(٢) قوله: (وفي موضع آخر...). ورد ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ في ثلاثة مواضع: [الكهف: ٣١، الحج: ٢٣، فاطر: ٣٣].

(٣) قوله: (تأكيد...). فإن كان تأكيدًا كان في محل نصب، وإن أعرب ضمير فصل فليس له محل من الإعراب، وضمير الفصل: يؤتى به بين المبتدأ والخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر لإفادة الحصر والتأكيد، وبيان أن ما بعده خبر وليس نعتًا، وقد تقدم ذلك في مواضع.

(٤) قوله: (خبر ﴿إِنَّ﴾). أي جملة ﴿نَزَّلْنَا﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ في محل رفع.

(٥) قوله: (أي: فصلناه). هذا المعنى عزاه القرطبي إلى ابن عباس.

(٦) قوله: (أي: عتبة...). هذا القول عزاه القرطبي إلى مقاتل، قال: «عرض عتبة على النبي ﷺ إحدى بناته، والوليد مالَه على أن يترك النبي ﷺ هذا الأمر»، وعن قتادة: =

ارجع عن هذا الأمر، ويجوز أن يراد كل آثم وكافر، أي: لا تطع أحدهما أيًّا كان فيما دعاك إليه من إثم أو كفر.

٢٥- ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ في الصلاة ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ يعني: الفجر والظهر والعصر[1].

٢٦- ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ يعني: المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ صلّ التطوع فيه، كما تقدم من ثلثيه أو نصفه أو ثلثه[2].

٢٧- ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ شديدًا، أي: يوم القيامة لا يعملون له.

٢٨- ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ ﴾ قوينا ﴿أَسْرَهُمْ ۖ﴾ أعضاءهم ومفاصلهم[3] ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ ﴾ جعلنا ﴿أَمْثَٰلَهُمْ ﴾ في الخلقة بدلًا منهم بأن نهلكهم[4] ﴿تَبْدِيلًا

= «نزلت في أبي جهل»، و﴿أَوْ﴾ هنا أبلغ من الواو؛ لأن «أو» تفيد النهي عن طاعة كل منهما انفرادًا واجتماعًا، بخلاف الواو، فقد توهم أن النهي عن طاعتهما اجتماعًا، كما ذكره القرطبي.

(١) قوله: (يعني: الفجر...). وهذا التفصيل فسر به القرطبي، وعزاه إلى ابن حبيب، ونقل عن ابن عباس: «كل تسبيح في القرآن فهو صلاة».

(٢) وقوله: (كما تقدم من ثلثيه...). وبمثله فسر ابن جرير.

(٣) قوله: (أعضاءهم...). عن ابن عباس: «شددنا خلقهم»، وعن أبي هريرة: «مفاصلهم»، وعن ابن زيد: «قوتهم». واختار ابن جرير الأول، قال: «من قولهم: قد أُسِر هذا الرجل فأحسِنَ أسرهُ، بمعنى: قد خُلِق فأحْسِنَ خلقه».اهـ.

(٤) وقول المفسر: (بأن نهلكهم...). روي هذا المعنى عن ابن عباس، وعنه أيضًا: «لغيّرنا محاسنهم إلى أسمج الصور».اهـ.

﴿٢٨﴾ تأكيد، ووقعت «إِذَا»[1] موقع «إِن»، نحو «إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ...» [الأنعام: ١٣٣]؛ لأنه تعالى لم يشأ ذلك و«إِذَا» لما يقع.

﴿٢٩﴾ - ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾ طريقًا بالطاعة.

﴿٣٠﴾ - ﴿وَمَا يَشَآءُونَ﴾ بالياء والتاء[2]، اتخاذ السبيل بالطاعة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ في فعله.

﴿٣١﴾ - ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ جنته، وهم المؤمنون ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ناصبه[3] فعل مقدر، أي: أوعد يفسره: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ مؤلمًا، وهم الكافرون.

❁❁❁

(١) قوله: (ووقعت ﴿إِذَا﴾ ...). إشارة إلى مسألة بلاغية، وذلك أن «إذا» تستعمل في الشرط إذا كان وقوع الشرط متحققًا، بخلاف «إنْ»، وهٰهنا لم يتحقق تبديل خلقهم، فـ«إذا» يكون بمعنى: «إنْ»، واستعمال «إذا» بمعنى: «إنْ» يكون لنكتة بلاغية.

(٢) قوله: (بالياء...). قرأ بالياء: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر. وبالياء: الباقون.

(٣) قوله: (ناصبه). أي: هذا من باب الاشتغال، كما تقول: زيدًا مررتُ به. وهنا يترجح النصب؛ لأن جملة الاشتغال معطوفة على الجملة الفعلية، وهي: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ والله أعلم.

٧٧- سورة المرسلات

مكية[١]، وآياتها خمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾﴾ أي: الرياح متتابعة[٢] كعرف الفرس[٣] يتلو بعضه بعضًا، ونصبه على الحال.

(٢)- ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾﴾ الرياح الشديدة[٤].

(٣)- ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾﴾ الرياح تنشر المطر[٥].

(٤)- ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾﴾ أي: آيات القرآن تفرّق[٦] بين الحق والباطل والحلال والحرام.

---

(١) قوله: (مكية). في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر. وقال ابن عباس، وقتادة: «إلا آية منها، وهي قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾؛ فمدنية». اهـ. ذكره القرطبي.

(٢) قوله: (أي: الرياح...). هذا قول الجمهور روي عن ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد وغيرهم. وعن ابن مسعود، ومسروق: «الملائكة»، واختار ابن جرير شمولها.
وقوله: (متتابعة). تفسير للعُرف.

(٣) وقوله: (كعُرف الفرس). وهو شعر عُنقه وهو حال منصوب، وإن كان اسمًا جامدًا لكنه بمعنى: المشتق، كما يقال: كرّ زيد أسدًا، والله أعلم.

(٤) قوله: (الرياح الشديدة). قال القرطبي نقلًا عن المهدوي: «بغير اختلاف».

(٥) قوله: (الرياح تنشر...). روي عن ابن مسعود، ومجاهد. وروي عن ابن عباس: «ما ينشر من الكتب وأعمال بني آدم يوم القيامة، أي: الملائكة التي تنشر الكتب»، كما روي عن أبي صالح. وقيل غير ذلك.

(٦) قوله: (أي: آيات القرآن...). روي عن قتادة، وقال ابن عباس: «الملائكة، أي: تنزل بالفرق بين الحق والباطل»، وقيل غير ذلك.

٥- ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾﴾ أي: الملائكة[١] تنزل بالوحي إلى الأنبياء والرسل يلقون الوحي إلى الأمم.

٦- ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾﴾ أي: للإعذار والإنذار من الله تعالى[٢]، وفي قراءة[٣]: بضم ذال «نُذُرًا»، وقرئ: بضم ذال «عُذُرًا».

٧- ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾[٤] أي: يا كفار مكة من البعث والعذاب ﴿لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾﴾ كائن لا محالة.

٨- ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾﴾ مُحِيَ نورها[٥].

---

(١) قوله: (الملائكة). بلا خلاف كما يُعلم من القرطبي.

(٢) قوله: (أي: للإعذار...). فيه إشارة إلى أنهما مصدران، وإعرابهما: مفعول لأجله، وقيل: جمع عذير، ونذير، فهما حالان.

(٣) وقوله: (وفي قراءة:...). قرأ رَوْح: بضم الذال: ﴿عُذُرًا﴾. والجمهور: بسكونها: ﴿عُذْرًا﴾. وأما ﴿نُذْرًا﴾: فقرأ أبو عمرو، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: بسكون الذال: ﴿نُذْرًا﴾. والباقون: بضمها: ﴿نُذُرًا﴾.

(٤) ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾. الجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب، و«ما»: اسم موصول في محل نصب اسم «إنّ»، وكتبت مشبوكة مع «إنّ» على الخط العثماني، أي: خط المصحف، وأما في الإملاء فإن الموصولة تكتب مفصولة «إن ما»، والكافة تكتب مشبوكة «إنما» والله أعلم.

(٥) قوله: (مُحِي نورها). الفاء في ﴿فَإِذَا﴾: استئنافية، و﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية مضافة، وفعل الشرط محذوف دل عليه ﴿طُمِسَتْ﴾، و﴿النُّجُومُ﴾: نائب فاعل لفعل الشرط المحذوف، وليس مبتدأ؛ لأن أداة الشرط لا تدخل على الجملة الاسمية، وجملة الشرط في محل جر مضاف إليه لـ﴿إِذَا﴾، و﴿طُمِسَتْ﴾ المذكورة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها تفسيرية، وهكذا إعراب ما بعدُ. والله أعلم.

٩- ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩﴾ شقت.

١٠- ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠﴾ فُتِّتت وسُيِّرت.

١١- ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ وُقِّتَتۡ ۝١١﴾ بالواو[١]: «وُقِّتَتۡ»، وبالهمزة: بدلًا منها، أي: جمعت لوقت[٢].

١٢- ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ﴾ ليوم عظيم[٣] ﴿أُجِّلَتۡ ۝١٢﴾ للشهادة على أممهم بالتبليغ.

١٣- ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣﴾ بين الخلق. ويؤخذ منه جواب «إِذَا»، أي: وقع الفصل بين الخلائق.

١٤- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤﴾[٤] تهويل لشأنه.

١٥- ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾[٥] هذا وعيد لهم.

١٦- ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦﴾ بتكذيبهم، أي: أهلكناهم[٦].

---

(١) قوله: (بالواو...). قرأ أبو عمرو: بالواو وتشديد القاف: ﴿وُقِّتَتۡ﴾. وأبو جعفر: بالواو وتخفيف القاف: ﴿وُقِتَتۡ﴾. والباقون: بالهمزة والتشديد: ﴿أُقِّتَتۡ﴾. والهمزة مبدلة من الواو، والواو المضمومة ربما تقلب همزةً كما في «وجوه» و«وقوت»: أجوه، وأقوت.

(٢) وقوله: (جمعت...). تفسيره. روي عن ابن عباس.

(٣) قوله: (ليوم عظيم). أفاد أن الاستفهام هنا للتهويل والتعظيم، وجواب الاستفهام الآية التالية.

(٤) ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ...﴾. ﴿مَآ﴾: استفهامية مبتدأ. وجملة ﴿أَدۡرَىٰكَ﴾: خبرها. و«أدرى» تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل، الأول: الكاف. وجملة ﴿مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ سدت مسد المفعول الثاني والثالث. و﴿مَا﴾ في ﴿مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ استفهامية مبتدأ معلقة للفعل «أدرى» عن العمل في مفعوليه الثاني والثالث.

(٥) ﴿وَيۡلٞ﴾: مبتدأ، ابتدئ به مع كونه نكرة؛ لأنه متضمن معنى الدعاء؛ فخصصت.

(٦) قوله: (أي: أهلكناهم...). أفاد أن الاستفهام للتقرير، وذلك أنه كان للإنكار، ودخل =

١٧- ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[1] ممن كذبوا، ككفار مكة، فنهلكهم.

١٨- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ما فعلنا بالمكذبين ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ بكل من أجرم فيما يستقبل فنهلكهم.

١٩- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾ تأكيد.

٢٠- ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ ضعيف، وهو المني.

٢١- ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾﴾ حريز، وهو الرحم.

٢٢- ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾﴾ وهو وقت الولادة.

٢٣- ﴿فَقَدَرْنَا﴾ على ذلك[2] ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ نحن[3].

٢٤- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٥- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾ مصدر «كفت»، بمعنى: ضم، أي: ضامة.

= على النفي، ونفي النفي إثبات، وقد تقدم نظيره، ولعل في هذا التقدير إشارة إلى أن الجملة التالية ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ...﴾ معطوفة على هذه الجملة؛ لأنها في معنى الخبر.

(١) ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ...﴾. برفع الفعل، فتكون ﴿ثُمَّ﴾ للاستئناف، ويمكن كونها عاطفة؛ لأن الجملة الأولى بمعنى الخبر، كما قدر المفسر: (أي: أهلكناهم). فيكون من عطف الجملة الخبرية على الخبرية، كما ذكرنا، والله أعلم.

(٢) قوله: (على ذلك). أشار به إلى أن «قدرنا» من القدرة، قال القرطبي: «وهو اختيار أبي عبيد، وأبي حاتم، والكسائي»، ويمكن أن يكون معناه: قدَّرنا، كما قرأ بذلك، أي: ﴿قَدَّرْنَا﴾: نافع، والكسائي؛ لأن «قدر» الثلاثي المجرد يأتي بمعنى: قدّر. كما ذكره ابن جرير. وعزاه القرطبي إلى الكسائي، والفراء، والقُتبي.

(٣) وقول المفسر: (نحن). قدره ليكون مخصوصًا بالمدح.

(٢٦)- ﴿أَحۡيَآءٗ﴾ على ظهرها[١] ﴿وَأَمۡوَٰتٗا ٢٦﴾ في بطنها.

(٢٧)- ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ﴾ جبالًا مرتفعات ﴿وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ٢٧﴾ عذبًا.

(٢٨)- ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٢٨﴾، ويقال للمكذبين يوم القيامة[٢]:

(٢٩)- ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ﴾ من العذاب ﴿تُكَذِّبُونَ ٢٩﴾.

(٣٠)- ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠﴾ هو دُخان جهنم إذا ارتفع افترق ثلاث فرق لعظمته[٣].

(٣١)- ﴿لَّا ظَلِيلٖ﴾ كنين يظلهم من حر ذلك اليوم ﴿وَلَا يُغۡنِي﴾ لا يردّ عنهم شيئًا ﴿مِنَ ٱللَّهَبِ ٣١﴾ النار.

(٣٢)- ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النار ﴿تَرۡمِي بِشَرَرٖ﴾ هو ما تطاير منها ﴿كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢﴾ من البناء في عِظَمِه وارتفاعه[٤].

---

(١) قوله: (على ظهرها). وبنحوه فسر قتادة، وغيره، قال قتادة: «أحياءً فوقها على ظهرها، وأمواتًا يقبرون فيها».اهـ. و﴿أَحۡيَآءٗ﴾ مفعول به لـ﴿كِفَاتًا﴾ وهو بمعنى: اسم الفاعل، وقيل: حال من محذوف، أي: تكفتكم أحياءً وأمواتًا.

(٢) قوله: (ويقال...). أفاد أن ما بعده في محل نصب مقول لقول محذوف.

(٣) قوله: (هو دخان جهنم). وبذلك فسر ابن جرير وغيره، ورواه ابن جرير عن قتادة، ونحوه عن مجاهد.

(٤) قوله: (من البناء...). أفاد أن القصر واحد القصور، البناء المرتفع. ووجه الشبه: العظم والارتفاع، وهذا التفسير مرويّ عن ابن عباس، ومجاهد، وابن مسعود وغيرهم. روى ابن جرير عن القرظي، قال: «إن على جهنم سورًا، فما خرج من وراء السور مما يرجع فيها في عظم القصر».اهـ. واختاره ابن جرير، وعن ابن عباس أيضًا: «القصر: قطع الخشب الغليظة»، =

﴿٣٣﴾- ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾ جمعُ جمالة، جمع جَمَل، وفي قراءة[(١)]: «جِمَٰلَةٌ»، ﴿صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ في هيئتها ولونها، وفي الحديث[(٢)]: «**شرار النار أَسْوَدُ كالقير**»، والعرب تسمي سود الإبل: صُفْرًا؛ لشوب سوادها بصفرة، فقيل: صُفْر[(٣)] في الآية، بمعنى: سود؛ لما ذكر، وقيل: لا[(٤)]، والشرر جمع شررة، والشرارُ جمع شرارة، والقيرُ: القارُ.

﴿٣٤﴾- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿٣٥﴾- ﴿هَٰذَا﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[(٥)] فيه بشيء.

= روى ابن جرير عنه قال: «القصر: خشب كنا ندخره للشتاء ثلاثة أذرع، وفوق ذلك ودون ذلك، كنا نسميه القصر».اهـ. وعن قتادة: «القصر: أصول الشجر وأصول النخل».

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: ﴿جِمَٰلَةٌ﴾: بالإفراد. والجمهور: ﴿جِمَٰلَتٌ﴾: بالجمع. واختلف في تفسيره؛ فعن قتادة، ومجاهد: «الأينق السود، أي: الإبل السود»، وعلى هذا جرى المفسر، وعن ابن عباس، وجماعة من المفسرين: «المراد بالجمالات الصفر: حِبَال السفن»، وعلى هذا يكون وجه الشبه العظمة والامتداد واللون، والله أعلم، وفي رواية أخرى عن ابن عباس: «هي قطع النحاس»، كما في ابن جرير، واختار المعنى الأول، أي: الإبل السود.

وفي الآية تشبيه الشرر بشيئين، ويسمى عند البلاغيين بتشبيه الجمع، وهو تعدد المشبه به لمشبه واحد.

(٢) قوله: (وفي الحديث:...). وهذا الحديث بهذا اللفظ لم أجده، ولكن يعلم معناه مما ورد في وصف النار، كما يعلم مما نقله القرطبي في هذا الموضع.

(٣) قوله: (فقيل: صفر). كما تقدم في قول قتادة وغيره.

(٤) وقوله: (وقيل: لا). أي: ليس بمعنى السود، بل بمعناه المعروف، كما يعلم من تفسيره بالنحاس في رواية ابن عباس، والله أعلم.

(٥) ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾. ﴿يَوْمُ﴾: خبر مرفوع. وهو مضاف إلى الجملة التي بعده، ولذا ترك=

﴿٣٦﴾- ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ في العذر ﴿فَيَعْتَذِرُونَ ٣٦﴾ عطف على «يُؤْذَنُ»[١] من غير تسبب عنه، فهو داخل في حيز النفي، أي: لا إذن فلا اعتذار.

﴿٣٧﴾- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ٣٧﴾.

﴿٣٨﴾- ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ﴾ أيها المكذبون من هذه الأمة ﴿وَٱلْأَوَّلِينَ ٣٨﴾ من المكذبين قبلكم، فتحاسبون وتعذبون جميعًا.

﴿٣٩﴾- ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حيلة في دفع العذاب عنكم ﴿فَكِيدُونِ ٣٩﴾ فافعلوها[٢].

= التنوين، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، وأسماء الظرف المبهمة كـ«يوم» و«حين» إذا أضيفت إلى الجملة جاز فيها البناء على الفتح والإعراب، ولكن يختار الإعراب إذا كانت الجملة المضاف إليها اسمية أو فعلية فعلها مضارع معرب، ويختار البناء إذا كانت الجملة فعلية فعلها مبني كالماضي، نحو: «**خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه**»، في حديث فضل الحج، بفتح «يومَ» بناءً؛ لأنه مضاف إلى الجملة التي فعلها ماضٍ.

تنبيه: لا معارضة بين نفي النطق عنهم يوم القيامة -كما هنا- وإثباته في آيات أخرى؛ لأن في يوم القيامة مواقف وساعات، لا ينطقون في بعضها ويتكلمون في بعضها الآخر، كما نبه عليه علماء التفسير، قال ابن جرير: «يخبر عنهم أنهم لا ينطقون في بعض أحوال ذلك اليوم، لا أنهم لا ينطقون ذلك اليوم كله».اهـ.

(١) قوله: (عطف على ﴿يُؤْذَنُ﴾). أفاد أن الفاء هنا أي: ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عاطفة، وليست فاء السببية، التي يقدر بعدها «أن»، ولذا وقع الفعل مرفوعًا بثبوت النون، ولو كانت الفاء سببية لكان الفعل منصوبًا بـ«أن» مضمرة ونصب الفعل بحذف النون، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر: ٣٦]، وهذا مراد المفسر بقوله: (من غير تسبب).

(٢) قوله: (فافعلوها). تفسير بالمراد بـ﴿كِيدُونِ﴾، و﴿كِيدُونِ﴾: فعل أمر للتعجيز، مبني بحذف النون، والنون الموجودة فيه نون الوقاية، وبعدها ياء المتكلم المحذوف، والله أعلم.

﴿٤٠﴾- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿٤١﴾- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ﴾ أي: تكاثف أشجار(١)، إذ لا شمس يظل من حرها ﴿وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾ نابعة من الماء(٢).

﴿٤٢﴾- ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فيه إعلام بأن المأكل والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم، بخلاف الدنيا، فبحسب ما يجد الناس في الأغلب، ويقال لهم(٣):

﴿٤٣﴾- ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حال، أي: متهنئين ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ من الطاعة.

﴿٤٤﴾- ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾(٤) كما جزينا المتقين ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿٤٥﴾- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿٤٦﴾- ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ خطاب للكفار في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ من الزمان(٥)، وغايته إلى الموت، وفي هذا تهديد لهم(٦) ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿٤٧﴾- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

---

(١) قوله: (أي: تكاثف أشجار). كما قال القرطبي: «والمراد بالظلال: ظلال الأشجار وظلال القصور، مكان الظل في الشعب الثلاث: وفي سورة يسٓ: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الآية: ٥٦]».اهـ.

(٢) قوله: (نابعة من الماء). توضيح لمعنى العيون، فإن العين لفظ مشترك.

(٣) قوله: (ويقال لهم:...). أفاد أن الجملة التالية في محل نصب مقولة لقولٍ محذوف.

(٤) ﴿كَذَلِكَ﴾. في محل نصب مفعول مطلق، وهو نعت لمصدر محذوف، أي: جزاءً كذلك.

(٥) قوله: (من الزمان). فيكون قليلًا منصوبًا على الظرفية نعتًا لمحذوف.

(٦) قوله: (وفي هذا...). أي: فالأمر هنا متضمن للتهديد.

٤٨- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾ صلوا[١] ﴿لَا يَرْكَعُونَ ٤٨﴾ لا يصلّون.

٤٩- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ٤٩﴾.

٥٠- ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ ٥٠﴾ أي: لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به؛ لاشتماله على الإعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره.

❁❁❁

(١) قوله: (صلّوا). يعني في الدنيا. والمراد بالركوع: الصلاة، فهو من المجاز المرسل. روي هذا المعنى عن مجاهد وقال مقاتل: «نزلت في ثقيف امتنعوا من الصلاة»، ونقل القرطبي عن مالك أنه دخل المسجد بعد العصر فجلس ولم يصل؛ لأنه لا يرى التنفّل بعد العصر، فقال له صبي: يا شيخ قم فاركع، فقام وركع، ولم يحاجّه بمذهبه، فقيل له في ذلك، فقال: خشيت أن أكون من الذين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ٤٨﴾».اهـ. ملخصًا.

وعن ابن عباس: «هذا يوم القيامة إذا يدعون إلى السجود فلا يستطيعون السجود»، كما تقدم في سورة «نٓ»، فيكون مضمون الآية الإخبار بما سيقع، والله أعلم.

فائدة: تكرار آية ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ فيه تكرير التخويف والوعيد، وقيل: ليس بتكرار؛ لأنه أراد بكل منها غير الذي أراد بالأخرى، كأنه ذكر شيئًا فقال: ويل لمن يكذب بهذا، ثم ذكر شيًا آخر فقال: ويل لمن يكذب بهذا، وهكذا للآخر، أفاده القرطبي.

الجزء (٣٠)

٧٨- سورة النبأ

مكية[(١)]، وآياتها أربعون أو إحدى وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿عَمَّ﴾ عن أي شيء[(٢)] ﴿يَتَسَآءَلُونَ (١)﴾ يسأل بعض قريش بعضًا.

(٢)- ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ (٢)﴾[(٣)] بيان لذلك الشيء، والاستفهام لتفخيمه، وهو ما جاء[(٤)] به النبي ﷺ من القرآن المشتمل على البعث وغيره.

(٣)- ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)﴾ فالمؤمنون يثبتونه والكافرون ينكرونه.

(٤)- ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَيَعْلَمُونَ (٤)﴾ ما يحل بهم على إنكارهم له.

(٥)- ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥)﴾ تأكيد[(٥)]، وجيء فيه بـ«ثُمَّ» للإيذان بأن الوعيد

---

(١) قوله: (مكية). ولم أر فيه اختلافًا.

(٢) قوله: (عن أي شيء). أفاد أن ﴿عَمَّ﴾ مؤلف من «عن» الجارة، و«ما» الاستفهامية، وليس فعلًا ماضيًا، كما يظنه بعض الجهلة، ومن القواعد الإملائية المشهورة أن «ما» الاستفهامية إذا جرّت بحرف وجب حذف الألف، ويجعل الجار مع «ما» ككلمة واحدة، نحو: عمَّ، فيمَ، إلامَ، علَامَ. وهذا الحذف خاص بـ«ما» الاستفهامية» دون غيرها. كالشرطية والموصولة. فتثبت الألف.

(٣) ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ (٢)﴾. متعلق بفعل محذوف، أي: يتساءلون عن النبأ العظيم.

(٤) وقوله: (وهو...). أي: النبأ العظيم. روي عن مجاهد أن المراد بالنبأ: «القرآن». وعن قتادة: «البعث بعد الموت»، وعن ابن زيد: «يوم القيامة»، وفي كلام المفسر إشارة إلى الجمع بين هذه الأقوال.

(٥) قوله: (تأكيد). أي: باعتبار المعنى، أما الإعراب فالجملة الثانية معطوفة، وإذا أريد تأكيد الجملة تأكيدًا لفظيًّا فالأكثر العطف بـ﴿ثُمَّ﴾، وقد تتكرر الجملة بلا عطف، ويترك=

الثاني أشد من الأول، ثم أومأ تعالى[١] إلى القدرة على البعث فقال:

﴿٦﴾ - ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾﴾ فراشًا كالمهد.

﴿٧﴾ - ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ تثبت بها الأرض[٢]، كما تثبت الخيام بالأوتاد، والاستفهام للتقرير[٣].

﴿٨﴾ - ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾﴾ ذكورًا وإناثًا[٤].

﴿٩﴾ - ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾ راحة لأبدانكم[٥].

﴿١٠﴾ - ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ ساترًا بسواده.

﴿١١﴾ - ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ وقتًا للمعاش[٦].

= العطف إذا أوهم التكرار، نحو: لأضربنّ زيدًا ثم لأضربنّ زيدًا، فهٰهنا يحذف العاطف، كما ذكره النحاة.

(١) قوله: (ثم أومأ...). فيه إشارة إلى بيان ارتباط هذه الآية بما بعدها. و(أومأ) أي: أشار.

(٢) قوله: (تثبت...). أشار إلى أن الأوتاد من باب التشبيه، وفي هذا دلالة على أن الأرض ثابتة غير متحركة، خلافًا لما عليه الفلسلفة الحديثة، قال ابن كثير: «أي: جعلها لها أوتادًا أرساها بها وثبّتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها».اهـ.

(٣) وقوله: (والاستفهام للتقرير). تقدم نظيره مرارًا.

(٤) قوله: (ذكورًا...). وكذا طوالًا وقصارًا، أو ذوي دمامة وجمال. كما ذكره ابن جرير وغيره.

(٥) قوله: (راحة...). وبها فسر ابن جرير، وقال: «أصل «سبات» السكون». وقال القرطبي: «أصله: التمدد، وإذا أراد الرجل أن يستريح تمدد، فسميت الراحة سبتًا، وقيل: أصله القطع، فإذا نام وارتاح انقطع عن الناس».اهـ. ملخصًا.

(٦) قوله: (وقتًا...). أشار إلى أن ﴿مَعَاشًا﴾ ظرف زمان، ويحتمل كونه مصدرًا ميميًّا فيحتاج إلى تقدير مضاف، أي: وقت معاش، كما أفاده القرطبي.

﴿١٢﴾- ﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعًا﴾ سبع سماوات ﴿شِدَادًا﴾ ﴿١٢﴾ جمع شديدة، أي: قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان.

﴿١٣﴾- ﴿وَجَعَلۡنَا سِرَاجًا﴾ منيرًا(١) ﴿وَهَّاجًا﴾ ﴿١٣﴾ وقَّادًا، يعني: الشمس.

﴿١٤﴾- ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ﴾ السحابات التي حان لها أن تمطر(٢)، كالمعصر الجارية التي دنت من الحيض(٣) ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ ﴿١٤﴾ صبَّابًا(٤).

﴿١٥﴾- ﴿لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبًّا﴾ كالحنطة ﴿وَنَبَاتًا﴾ ﴿١٥﴾ كالتبن(٥).

﴿١٦﴾- ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿أَلۡفَافًا﴾ ﴿١٦﴾ ملتفّة، جمع لفيف(٦)، كشريف وأشراف.

﴿١٧﴾- ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾ بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾ ﴿١٧﴾ وقتًا للثواب والعقاب.

﴿١٨﴾- ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ القرن، بدل من «يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ»، أو بيان له، والنافخ إسرافيل ﴿فَتَأۡتُونَ﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿أَفۡوَاجًا﴾ ﴿١٨﴾ جماعات مختلفة.

---

(١) ﴿سِرَاجًا﴾ مفعول به لـ﴿جَعَلۡنَا﴾، وجعل هنا بمعنى: خلق، ولذا يتعدى إلى مفعول واحد، بخلاف «جعل» في الآيات السابقة، فهو بمعنى: صيّر له مفعولان، كما هو واضح، وقد ذكرنا أن «جعل» له أربع استعمالات. [تفسير سورة البقرة (٢٢)].

(٢) قوله: (السحابات). ما ذكره المفسر من المعنى مروي عن ابن عباس، والربيع، وسفيان، واختاره ابن جرير. وعن ابن عباس أيضًا، ومجاهد، وعكرمة: «الرياح»، وعن الحسن، وقتادة: «السماء».

(٣) وقول المفسر: (كالمعصر الجارية...). يفيد أن هذا اللفظ استعارة.

(٤) وقوله: (صبّابًا). روى نحوه عن ابن عباس، ومجاهد، والربيع، قالوا: «منصبًّا»، وعن سفيان: «متتابعًا»، وقال ابن جرير: «الثج: الصب المتتابع».اهـ. باختصار.

(٥) قوله: (كالتّبن). التبن بالباء: النبات إذا فصل عنه الحبّ. وفي بعض النسخ: (كالتين) بالياء.

(٦) قوله: (جمع لفيف). هذا الوجه عزاه القرطبي إلى الكسائي، وأبي عبيدة. وعن الكسائي أيضًا: «جمع لِفّ، بكسر اللام أو ضمها»، وعن الزمخشري: «لا واحد له».

(١٩)- ﴿وَفُتِّحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ بالتشديد والتخفيف[١]، شققت لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا (١٩)﴾ ذات أبواب[٢].

(٢٠)- ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ﴾ ذهب بها عن أماكنها ﴿فَكَانَتۡ سَرَابًا (٢٠)﴾ هباءً، أي: مثله في خفة سيرها[٣].

(٢١)- ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا (٢١)﴾ راصدة أو مرصدة[٤].

(٢٢)- ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ الكافرين، فلا يتجاوزونها ﴿مَـَٔابٗا (٢٢)﴾ مرجعًا لهم، فيدخلونها.

(٢٣)- ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ حال مقدرة، أي: مقدرًا لبثهم ﴿فِيهَآ أَحۡقَابٗا (٢٣)﴾ دهورًا لا نهاية لها، جمع: حُقب -بضم أوله-[٥].

---

(١) قوله: (بالتشديد...). قرأ بالتخفيف: ﴿وَفُتِحَتِ﴾: عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف. وبالتشديد: الباقون. والتشديد يفيد المبالغة.

(٢) وقوله: (ذات أبواب). يفيد تقدير مضاف، وقيل المعنى: فصارت قطعًا كقطع الأخشاب للأبواب، أي: كقطع الأبواب. ذكره ابن جرير بدون عزو. فيكون من التشبيه البليغ.

(٣) قوله: (أي: مثله...). فيكون من التشبيه البليغ، والله أعلم.

(٤) قوله: (راصدة). على هذا يكون من صيغة المبالغة من «رصَد»، وعلى أنه بمعنى: مرصدة، يكون مفعالًا من اسم الآلة بمعنى: المكان، نحو: المضمار والمرقاة. أي: هي مُعدَّة لهم، يناسبه ما روي عن مقاتل: «محبسًا»، وقيل: طريقًا وممرًّا، كما روي نحوه عن الحسن.

(٥) قوله: (جمع: حُقب). الحُقب، قيل: ثمانون سنة، كما روي عن عليّ، وأبي هريرة، وغيرهما، وقيل: ثلاثمائة سنة، كما روي عن بشير بن كعب، وقيل: سبعون ألف سنة، كما روي عن الحسن، روى ذلك ابن جرير، ولكن الأحقاب جمع، ولا يدري ذلك إلا الله، قال الحسن: «أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود».اهـ.

﴿٢٤﴾- ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ نومًا[١]، فإنهم لا يذوقونه ﴿وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ ما يشرب تلذذًا[٢].

﴿٢٥﴾- ﴿إِلَّا﴾ لكن[٣] ﴿حَمِيمًا﴾ ماء حارًّا غاية الحرارة ﴿وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ بالتخفيف والتشديد[٤]، ما يسيل من صديد أهل النار، فإنهم يذوقونه، جوزوا بذلك[٥]:

﴿٢٦﴾- ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ موافقًا لعملهم، فلا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار.

---

(١) قوله: (نومًا). هذا التفسير عزاه القرطبي إلى مجاهد، والسدّي، وأبي عبيدة، وغيرهم. واستدل على ذلك بشواهد، يقال: «منع البردُ البردَ، أي: أذهب البردُ النوم».اهـ. وضعفه ابن جرير. وفسره بالمعنى المشهور الذي هو ضد الحرّ.

(٢) قوله: (ما يشرب تلذذًا). قيد به لأن لهم شرابًا حميمًا.

(٣) قوله: (لكن). أفاد أن الاستثناء منقطع، على ما فسره، وكما جرى عليه في «الكشاف»، ويصح كونه استثناءً من ﴿شَرَابًا﴾ على أن المراد بالشراب، مطلق الشراب، فيكون الاستثناء متصلًا، كما مشى عليه أبو حيان وغيره، وذكر الوجهين الشيخ الدرويش في كتابه «إعراب القرآن».

(٤) قوله: (بالتخفيف...). قرأ بالتشديد: حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف. وقرأ الباقون: بالتخفيف: ﴿وَغَسَاقًا﴾. وما ذكره من التفسير مروي عن عكرمة، وعطية بن سعد وغيرهما. وروي عن ابن عباس، وغيره: «هو الزمهرير، أي: البارد، أشد البرودة»، وعن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «ما يفيد أنه السائل المنتن»، واختاره ابن جرير، قال: «هو فعّال من قولهم غسقت عين فلان إذا سالت دموعها، وغسق الجرح إذا سال صديده».اهـ.

(٥) وقول المفسر: (جوزوا بذلك). دخول إلى الآية التالية. وأفاد أن ﴿جَزَآءً﴾ مفعول مطلق لفعل مقدر.

٢٧- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ لإنكارهم البعث.

٢٨- ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ القرآن ﴿كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ تكذيبًا[١].

٢٩- ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾[٢] من الأعمال ﴿أَحْصَيْنَـٰهُ﴾ ضبطناه ﴿كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾﴾ كَتْبًا[٣] في اللوح المحفوظ، لنجازي عليه. ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن[٤].

٣٠- ﴿فَذُوقُوا۟﴾ أي: فيقال لهم[٥] في الآخرة عند وقوع العذاب: ذوقوا جزاءكم ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ فوق عذابكم[٦].

٣١- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ مكان فوز في الجنة[٧].

---

(١) قوله: (تكذيبًا). أفاد أن ﴿كِذَّابًا﴾ مصدر لـ«كذَّب»، ووزنه: فِعَّال، وهو مصدر سماعيّ لفعلٍ لكنه كثير، كما يعلم من الزمخشري.

(٢) ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾. منصوب بفعل مقدر، أي: أحصينا. فهو من باب الاشتغال، ويجوز فيه الرفع إعرابًا، لكن لم تقع به القراءة العشرة، فلا يجوز الرفع قراءةً.

﴿كِتَـٰبًا﴾: إما مفعول مطلق لـ﴿أَحْصَيْنَـٰهُ﴾. أو حال بمعنى: مكتوبًا.

(٣) قوله: (كَتْبًا). أشار إلى أنه مصدر، يقال: كتب يكتُبُ كَتْبًا وكِتابًا وكِتابَةً. وفي بعض النسخ: (كتبناه).

(٤) وقوله: (ومن ذلك...). أراد به ربط خصوص ما تقدم في الآية السابقة بعموم هذه الآية.

(٥) قوله: (فقال لهم:...). أشار إلى أنه مقول لقول محذوف.

(٦) قوله: (فوق عذابكم). روى ابن جرير عن عبدالله بن عمرو، قال: «لم تنزل على أهل النار آية أشد من هذه: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾، قال: «فهم في مزيد من العذاب أبدًا».اهـ. نعوذ بالله من عذابه.

(٧) قوله: (مكان فوز...). أشار به إلى أن ﴿مَفَازًا﴾ اسم ظرف، ويحتمل كونه مصدرًا ميميًّا كما ذكر ابن جرير. وعلى كل حال المآل واحد.

(٣٢)- ﴿حَدَآئِقَ﴾ بساتين، بدل من «مَفَازًا»، أو بيان له ﴿وَأَعۡنَٰبٗا (٣٢)﴾ عطف على «مَفَازًا»[١].

(٣٣)- ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جواري تكعبت ثديهن، جمع كاعب[٢] ﴿أَتۡرَابٗا (٣٣)﴾ على سنّ واحد[٣]، جمع تِرب -بكسر التاء وسكون الراء-.

(٣٤)- ﴿وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا (٣٤)﴾ خمرًا مالئة محالها[٤]، وفي سورة «القتال»: ﴿وأنهار من خمر﴾.

(٣٥)- ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: الجنة عند شرب الخمر وغيرها من الأحوال ﴿لَغۡوٗا﴾ باطلًا من القول[٥] ﴿وَلَا كِذَٰبٗا (٣٥)﴾ بالتخفيف[٦]، أي: كذبًا، وبالتشديد، أي:

---

(١) وقوله: (عطف على ﴿مَفَازًا﴾). لعله لم يجعله معطوفًا على حدائق؛ لأن الأعناب ليس اسم مكان، ولكن الظاهر من كلام المفسرين والمعربين أنه عطف على «حدائق»، وكذلك ما بعده، ويكون كلها بيانًا للمفاز، والله أعلم.

(٢) قوله: (جمع كاعب). وهو جمع قياسي؛ لأن فاعلًا إذا كان للمؤنث جمع على فواعل، كطالق، طوالق، وحائض وحوائض، وكذا إذا كان اسمًا لغير عاقل، نحو: كاهل وكواهل أو وصفًا له، نحو: صاهل وصواهل. وأما لو كان وصفًا لمذكر عاقل فلا يجمع عليه إلا ما سمع من نحو: فارس وفوارس.

(٣) وقوله: (على سنّ واحدٍ). أي: عمرٍ واحدٍ، فالسن بمعنى: العمر، ولذا ذُكِّر واحد، ولم يقل واحدة بالتأنيث. فالسنّ -واحدة الأسنان- مؤنثة.

(٤) قوله: (خمرًا مالئة). أشار إلى أن ﴿دِهَاقٗا﴾ اسم مصدر من: أدهق، بمعنى: ملأ، وهو بمعنى: اسم الفاعل، وبمثله ورد التفسير عن ابن عباس، وقتادة، والحسن وغيرهم. وقال مجاهد: «متتابعة»، وعكرمة: «صافية».

(٥) قوله: (باطلًا). فسر به ابن جرير وغيره، وروي عن قتادة.

(٦) قوله: (بالتخفيف...). أي: تخفيف الذّال: ﴿كِذَٰبٗا﴾: قرأ به الكسائي. وبالتشديد: ﴿كِذَّابٗا﴾: قرأ الجمهور.

تكذيبًا من واحدٍ لغيره بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر.

﴿٣٦﴾- ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: جزاهم الله بذلك جزاء[(١)] ﴿عَطَآءً﴾ بدل من «جَزَآءً»، ﴿حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾، أي: كثيرًا[(٢)]، من قولهم: أعطاني فأحسبني، أي: أكثر علي حتى قلت: حسبي.

﴿٣٧﴾- ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ باﻟﺠﺮ والرفع[(٣)] ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ كذلك، وبرفعه مع جر «رَّبِّ»، ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: الخلق ﴿مِنْهُ﴾ تعالى ﴿خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ أي:

---

(١) قوله: (أي: جزاهم...). أفاد به أن ﴿جَزَآءً﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، و﴿عَطَآءً﴾ بدل من ﴿جَزَآءً﴾ كما قال المفسر. وأفاد البدلُ أن ذلك فضل من الله وعطاء محض، وليس باستحقاق، كما يزعمه المعتزلة.

(٢) وقوله: (كثيرًا). أفاد أن ﴿حِسَابًا﴾ مصدر بمعنى: اسم الفاعل، وهو نعت لـ﴿عَطَآءً﴾. وقول المفسر يوافق ما قال قتادة: «عطاءً كثيرًا»، وما ذكر المفسر من معنى ﴿حِسَابًا﴾، وأنه مأخوذ من قولهم: أعطاني فأحسبني، عزاه القرطبي إلى القتبيّ بعدما فسر بذلك، كما نقل قريبًا منه عن الزجاج والأخفش. وقال مجاهد: «﴿حِسَابًا﴾، أي: حسابًا بأعمالهم»، فالحساب بمعنى: العد، أي: بقدر ما وعده الله تعالى.

(٣) قوله: (باﻟﺠﺮ والرفع). الحاصل ثلاث قراءات:

١- بالرفع في ﴿رَّبُّ﴾، و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وأبي جعفر. ووجهه: أنه خبر لمبتدأ محذوف.

٢- باﻟﺠﺮ فيهما: قراءة ابن عامر، وعاصم، ويعقوب. ووجهه: على أنه بدل من ﴿رَّبِّكَ﴾.

٣- باﻟﺠﺮ في ﴿رَّبِّ﴾، والرفع في ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: قراءة الباقين. فقول المفسر: (كذلك) أي: باﻟﺠﺮ والرفع في ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

وقوله: (برفعه...). بيان للقراءة الثالثة، كما هو واضح.

لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفًا منه(١).

(٣٨)- ﴿يَوۡمَ﴾ ظرف لـ«لَا يَمۡلِكُونَ»، ﴿يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ جبريل(٢)، أو جند الله ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ﴾ حال، أي: مصطفين(٣) ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي: الخلق ﴿إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ﴾ قولًا ﴿صَوَابٗا (٣٨)﴾ من المؤمنين والملائكة كأن يشفعوا لمن ارتضى.

(٣٩)- ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ الثابت وقوعه، وهو يوم القيامة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا (٣٩)﴾ مرجعًا، أي: رجع إلى الله بطاعته(٤) ليسلم من العذاب فيه.

(٤٠)- ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ﴾ أي: كفار مكة ﴿عَذَابٗا قَرِيبٗا﴾ أي: عذاب يوم القيامة الآتي(٥)، وكل آتٍ قريب ﴿يَوۡمَ﴾ ظرف لـ«عَذَابًا» بصفته ﴿يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ﴾ كل

---

(١) قوله: (أي: لا يقدر...). أي: إلا من أذن له منهم. قاله ابن جرير وغيره. يقول ابن جرير: «لا يقدر أحد من خلقه خطابه يوم القيامة إلا من أذن له منهم وقال صوابًا».اهـ.

(٢) قوله: (جبريل). ذكر المفسر قولين في تفسير ﴿ٱلرُّوحُ﴾ هنا:

الأول: أنه جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، قاله الضحاك، والشعبي.

الثاني: جند الله، أي: خلق من خلق الله، روي نحوه عن مجاهد، والأعمش، وروي عن ابن عباس، وابن مسعود: «أنه ملك أعظم الملائكة خلقًا»، وروي عن ابن عباس أيضًا: «أنه أرواح الناس»، وعن ابن زيد: «أنه القرآن».

(٣) قوله: (أي: مصطفين). أي: فالمصدر ﴿صَفّٗاۖ﴾ بمعنى: اسم الفاعل.

(٤) قوله: (أي: رجع إلى الله). كما قال قتادة: «اتخذوا إلى الله مآبًا بطاعته».اهـ.

(٥) قوله: (عذاب يوم القيامة». وبه فسر ابن جرير وغيره، ورجحه القرطبي، وعزاه إلى الكلبي وغيره، وعن مقاتل: «هو قتل قريش ببدر»، وعن قتادة: «عقوبة الدنيا؛ لأنها أقرب العذابين».اهـ.

امرئٍ[١] ﴿مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾ من خير وشر ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي﴾ «يا» حرف تنبيه[٢] ﴿كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴿٤٠﴾﴾ يعني: فلا أعذَّب، يقول ذلك[٣] عندما يقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض: «كوني تُرابًا».

❁❁❁

(١) قوله: (كل امرئ). أشار إلى أن «أل» في ﴿ٱلۡمَرۡءُ﴾ للاستغراق.

(٢) قوله: (حرف تنبيه). أي: ليس للنداء؛ لدخولها على «ليت»، وهي حرف، والنداء من علامات الاسم.

(٣) وقوله: (يقول ذلك...). ورد ذلك في حديث الصور، وورد في ذلك آثار، عن أبي هريرة وغيره، ومن ذلك ما رواه ابن جرير عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: «إن الله يحشر الخلق كلهم كل دابة وطائر وإنسان، يقول للبهائم والطيور: كونوا ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا».اهـ. وذكر ابن كثير معنى آخر، قال: «أي: يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا ترابًا، ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود».اهـ.

٧٩- سورة النازعات

مكية[١]، وآياتها: ست وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار[٢] ﴿غَرْقًا (١)﴾ نزعًا بشدةٍ[٣].

(٢)- ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢)﴾ الملائكة تنشط أرواح المؤمنين[٤]، أي: تسلها برفق.

(٣)- ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣)﴾ الملائكة تَسْبح من السماء بأمره تعالى[٥]، أي: تنزل.

(٤)- ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤)﴾ الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة[٦].

---

(١) قوله: (مكية). لم أجد فيه خلافًا.

(٢) قوله: (الملائكة تنزع...). هذا القول مروي عن ابن عباس، وابن مسعود، وسعيد بن جبير وغيرهم.

و﴿غَرْقًا﴾: اسم مصدر بمعنى: إغراقًا في النزع، أي: تنزعها من أقصى الأجساد، كما ذكره الزمخشري، وهو مفعول مطلق.

(٣) وقول المفسر: (نزعًا بشدة). تفسير بالمراد. وعن قتادة، والحسن: «النازعات: النجوم تنزع من أفق إلى أفق، أي: تنتقل»، وقيل غير ذلك، وأجاز ابن جرير كون المراد كل ذلك.

(٤) قوله: (الملائكة تنشط...). روي هذا المعنى عن ابن عباس، وعنه أيضًا: «هي أرواح المؤمنين تنشط للخروج عند الموت».

(٥) قوله: (الملائكة تسبح...). هذا مروي عن ابن مسعود، وعلي، ومجاهد، وغيرهم، وروي عن مجاهد أيضًا: «أنها الموت تسبح في نفس ابن آدم»، وعن قتادة: «النجوم»، وعنه أيضًا: «السفن».

(٦) قوله: (الملائكة تسبق...). كذلك روي عن علي، ومسروق، ومجاهد وغيرهم. وروي عن قتادة: «هي النجوم»، وعن عطاء: «الخيل».

(٥)- ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا[١]، أي: تنزل بتدبيره، وجواب هذه الأقسام محذوف، أي: لتبعثن يا كفار مكة، وهو عامل في[٢]:

(٦)- ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦﴾ النفخة الأولى[٣]، بها يرجف كل شيء، أي: يتزلزل، فوصفت بما يحدث منها[٤].

(٧)- ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾ النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة[٥]، والجملة حال من «ٱلرَّاجِفَةُ»[٦]، فاليوم واسع[٧] للنفختين وغيرهما، فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية.

---

(١) قوله: (الملائكة تدبر...). روي عن علي، ومجاهد، والحسن، وقتادة وغيرهم.

(٢) قوله: (وهو عامل في:...). أي: الفعل المقدر: لتبعثنّ عامل في ﴿يَوۡمَ﴾ الآتي في الآية التالية.

(٣) قوله: (النفخة الأولى). أي: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ هي النفخة الأولى، و﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ الآتية في الآية التالية هي النفخة الثانية، روي عن ابن عباس وغيره من أئمة التفسير.

(٤) قوله: (فوصفت...). أي: وصفت النفخة بأنها الراجفة، أي: أسندت الرجفة إليها مجازًا عقليًّا من الإسناد إلى السبب؛ لأن النفخة سبب للرجفة، أي: فهي تحدث من النفخة.

(٥) قوله: (وبينهما أربعون). ثبت في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة مرفوعًا: بين النفختين أربعون، ولم يحدد ذلك أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أربعون يومًا أو شهرًا أو سنة. [البخاري (٤٥٣٦)]. وقد روي عن الحسن أنها أربعون سنة. كما أورده القرطبي، وقال: «ثبت ذلك مرفوعًا». وتقدم في النمل والزمر بعض التفاصيل.

(٦) قوله: (الجملة...). يعني أن جملة ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾ في محل نصب حال من ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾. ومن المعلوم أن الجمل الواقعة بعد المعارف تعرب أحوالًا، وبعد النكرات تعرب نعوتًا، إلا ما استثني من ذلك، وقد ذكرناه في «رسالة الاستثناء».

(٧) وقوله: (فاليوم واسع...). جواب لإشكال حاصله: أن البعث يكون بعد النفخة الثانية وبين النفختين أربعون سنة، وقد تقدم أن ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ﴾ ظرف للفعل: (لتبعثنّ)، وذلك يقتضي كون البعث يوم الرجفة الأولى، مع أن بينها وبين البعث أربعين سنة. =

(٨)- ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨)﴾ خائفة قلقة[١].

(٩)- ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩)﴾ ذليلة لهول ما ترى.

(١٠)- ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: أرباب القلوب والأبصار[٢]؛ استهزاءً وإنكارًا للبعث ﴿أَإِنَّا﴾ بتحقيق الهمزتين[٣] وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين ﴿لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠)﴾ أي: أنُرَدّ بعد الموت إلى الحياة؟ و«الْحَافِرَةِ»: اسم لأول الأمر[٤]، ومنه رجع فلان في حافرته، إذا رجع من حيث جاء.

= فأجاب المفسر: أن ذلك اليوم واسع، فكأن الرجفتين والبعث في يوم واحد، ويمكن أن يكون ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ ظرفًا لما دل عليه ﴿وَاجِفَةٌ﴾، وجملة ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨)﴾ جواب القسم، فلا يأتي هذا الإشكال، والمعنى: تَجِفُ القلوبُ يوم ترجف الراجفة. و﴿وَاجِفَةٌ﴾: اسم فاعل من: «وَجَفَ، يجفُ» كـ«وعد، يعِدُ». والله أعلم.

(١) قوله: (خائفة...). كما روي نحوه عن ابن عباس وغيره.

(٢) قوله: (أي: أرباب...). أشار إلى أن الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ عائد على ما دل عليه الأبصار والقلوب، دلالة التزامية، والمراد: الكفار المنكرون للبعث، كما فسر بنحوه ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (بتحقيق...). قرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، ويعقوب: ﴿أَإِنَّا﴾ ﴿إِذَا﴾. وأبو جعفر: ﴿إِنَّا﴾ ﴿أَإِذَا﴾. والباقون: ﴿أَإِنَّا﴾ ﴿أَإِذَا﴾. وعند إثبات همزة الاستفهام ففيه التفاصيل السابقة في سورة الواقعة: ﴿أَئِذَا مِتْنَا...﴾ [الآية: ٤٧]، وظاهر كلام المفسر هٰهنا أن القراءات اثنتان؛ لأنه لم يذكر حذف الألف بين الهمزتين، وهي أربع قراءات كما تقدمت هناك.

(٤) قوله: (و﴿الْحَافِرَةِ﴾ اسم...). هذا المعنى ذكره الزمخشري وغيره. وأصله المكان الذي حفرت فيه قدمه، أي: أثرت، فالحافرة بمعنى: المنسوب إلى الحفر. وفسره ابن عباس: «بالحياة»، وعن مجاهد: «الأرض التي حفرت بها قبورهم»، ومآل الأقوال واحد، وهو إنكارهم البعث، والله أعلم، وعن ابن زيد: «﴿الْحَافِرَةِ﴾: النار».

﴿١١﴾- ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١﴾ وفي قراءة[١]: «نَاخِرَةً»، بالية متفتتة نحيا[٢].

﴿١٢﴾- ﴿قَالُواْ تِلۡكَ﴾ أي: رجعتنا إلى الحياة ﴿إِذٗا﴾ إن صحت ﴿كَرَّةٌ﴾ رجعة ﴿خَاسِرَةٞ ١٢﴾ ذات خسران.

﴿١٣﴾- قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ أي: الرادفة التي يعقبها البعث ﴿زَجۡرَةٞ﴾ نفخة[٣] ﴿وَٰحِدَةٞ ١٣﴾ فإذا نفخت:

﴿١٤﴾- ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي: كل الخلائق ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤﴾ بوجه الأرض[٤]، أحياءً بعدما كانوا ببطنها أمواتًا.

﴿١٥﴾-[٥] ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥﴾ عامل في[٦]:

﴿١٦﴾- ﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٦﴾ اسم الوادي[٧]، بالتنوين وتركه[٨].

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ شعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف، ورويس: ﴿نَاخِرَةً﴾: بصيغة اسم الفاعل. والباقون: ﴿نَّخِرَةٗ﴾: بصيغة الصفة المشبهة.

(٢) وقوله: (نحيا). جواب ﴿إِذَا﴾.

(٣) قوله: (نفخة). بها فسر ابن عباس، وابن زيد. وقال مجاهد: «صيحة»، وهما متقاربان.

(٤) قوله: (بوجه الأرض). الساهرة: وجه الأرض، سمي بذلك؛ لأن فيه نوم الحيوانات وسهرها. فوصف بصفة ما فيه. قاله ابن جرير، ونُقِلَ التعليل عن الفراء وغيره، كما في القرطبي. وبذلك ورد التفسير عن ابن عباس، وعكرمة، والحسن وغيرهم.

(٥) هذه الآية وما بعدها تسلية للنبي ﷺ، أي: إن فرعون كان أقوى من كفار عصرك ثم أخذناه، وكذلك هؤلاء.اهـ. أفاده القرطبي.

(٦) قوله: (عامل في...). يعني أن ﴿حَدِيثُ﴾ عامل في ﴿إِذۡ نَادَىٰهُ﴾ فـ﴿إِذۡ﴾ ظرف متعلق بـ﴿حَدِيثُ﴾، وليس متعلقًا بـ﴿أَتَىٰكَ﴾، كما هو واضح.

(٧) قوله: (اسم الوادي). وقد تقدم في طه.

(٨) وقوله: (بالتنوين...). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: بلا تنوين. =

١٧- فقال: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧﴾ تجاوز الحد في الكفر.

١٨- ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ﴾ أدعوك[1] ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ وفي قراءة[2]: بتشديد الزاي، بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، تتطهر من الشرك، بأن تشهد أن لا إله إلا الله[3].

١٩- ﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أدلك على معرفته بالبرهان[4] ﴿فَتَخۡشَىٰ ١٩﴾ فتخافه.

٢٠- ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠﴾ من آياته التسع[5]، وهي: اليد والعصا[6].

٢١- ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعون موسى ﴿وَعَصَىٰ ٢١﴾ الله تعالى.

٢٢- ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسۡعَىٰ ٢٢﴾ في الأرض بالفساد.

٢٣- ﴿فَحَشَرَ﴾ جمع السحرة وجنده ﴿فَنَادَىٰ ٢٣﴾.

= والباقون: بالتنوين. أي: بالصرف ومنع الصرف، والمنع للعلتين: العلمية والتأنيث. والصرف بإلغاء التأنيث؛ لأن الأماكن يجوز تذكيرها وتأنيثها، باعتبار المكان والبقعة.

(١) قوله: (أدعوك). أشار إلى أن ﴿هَل لَّكَ﴾ يتضمن معنى: أدعوك، ويتعلق به الجار والمجرور ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾، والاستفهام للعرض، ويمكن تعلق الجار والمجرور بمبتدأ محذوف، و﴿لَّكَ﴾ خبره، والتقدير: هل لك رغبة أو مَيْل إلى أن تزكّى. وعلى كل حال، الاستفهام للعرض، والحث بلطف، كما ذكره في «إعراب القرآن».

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ بتشديد الزاي: نافع، وابن كثير، وأبو جعفر، ويعقوب. وقرأ الباقون: بالتخفيف. ووجههما كما قال المفسر.

(٣) وقوله: (بأن تشهد...). روي نحوه عن ابن عباس.

(٤) قوله: (بالبرهان). وهو ما بعث به من الآيات.

(٥) قوله: (من آياته). أي: المذكورة في الأعراف وغيرها.

(٦) وقوله: (وهي اليد والعصا). روي عن مجاهد، وقتادة، والحسن.

(٢٤) - ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٢٤)﴾[١] لا رب فوقي.

(٢٥) - ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾ أهلكه بالغرق ﴿نَكَالَ﴾ عقوبة[٢] ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: هذه الكلمة[٣] ﴿وَٱلۡأُولَىٰٓ (٢٥)﴾ أي: قوله قبلها: «مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي» [القصص: ٣٨]، وكان بينهما أربعون سنة.

(٢٦) - ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ (٢٦)﴾ الله تعالى.

(٢٧) - ﴿ءَأَنتُمۡ﴾ بتحقيق الهمزتين[٤]، وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه، أي: منكرو البعث[٥] ﴿أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ﴾ أشد خلقًا ﴿بَنَىٰهَا (٢٧)﴾ بيان لكيفية خلقها[٦].

---

(١) ﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ هنا أراد به العلو المعنوي كما هو واضح.

(٢) قوله تعالى: ﴿نَكَالَ﴾ مفعول مطلق لـ﴿فَأَخَذَهُ﴾.

(٣) وقول المفسر: (أي: هذه الكلمة). أي قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٢٤)﴾. فمعنى الآخرة: الكلمة الأخيرة. والأولى: أي: الكلمة الأولى وهي قول: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم ...﴾ إلخ. وكذلك فسره ابن جرير، ورواه عن ابن عباس وغيره، وروى عن مجاهد وغيره: «أنه كان بينهما أربعون سنة»، وعن الحسن: «أن المراد بالآخرة والأولى: عقوبة الدنيا والآخرة»، فيكون فيه تقدير مضاف، ويكون المراد بالأولى: الدنيا، وبالآخرة: دار الآخرة.

(٤) قوله: (بتحقيق الهمزتين...). التفصيل في الهمزتين كما في ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ في أول سورة البقرة.

(٥) وقوله: (أي: منكرو البعث...) بيان للمراد بضمير الخطاب: «أنتم»، كما قال القرطبي: «يريد أهل مكة»، و﴿أَمِ﴾ هنا عاطفة متصلة لسبق همزة التعيين.

(٦) قوله: (بيان...). أي: فجملة ﴿بَنَىٰهَا﴾ بيان للخلق، وجملة ﴿رَفَعَ سَمۡكَهَا﴾ بيان للبناء. وجملة ﴿بَنَىٰهَا﴾ يمكن أن تكون في محل نصب حالًا من ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ بتقدير (قد)، أو مستأنفة لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿رَفَعَ سَمۡكَهَا﴾ بدل من ﴿بَنَىٰهَا﴾ أو عطف بيان له.

﴿٢٨﴾- ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ تفسير لكيفية البناء، أي: جعل سمتها[١] في جهة العلو رفيعًا، وقيل[٢]: «سَمْكَهَا»: سقفها، ﴿فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ جعلها مستوية بلا عيب.

﴿٢٩﴾- ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه[٣] ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾ أبرز نور شمسها، وأضيف إليها الليل[٤]؛ لأنه ظلها، والشمس؛ لأنها سراجُها.

﴿٣٠﴾- ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ بسطها. وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحْوٍ[٥].

---

(١) قوله: (أي: جعل...). بيان لمعنى ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾، والسَّمْك مصدر: سمَكَ يسمُكُ، سمكتُ الشيءَ: رفعته، فيكون المعنى: جعل مقدار ارتفاعها من الأرض رفيعًا. كما قاله البيضاوي، وهذا الذي ذكره المفسر بقوله: (أي: جعل سمتها...إلخ).

(٢) وقوله: (وقيل:...). حاصله: السمك بمعنى: السقف، فالمعنى: رفع سقف السماء، كما قال القرطبي: «أعلى سقفها في الهواء».اهـ. ويقرب منه ما روي عن مجاهد: «رفع بناءَها بغير عمد».اهـ.

(٣) قوله: (أظلمه). كما روي عن ابن عباس، وغيره: «فهو، أي: أغطش يكون متعدّيًا، يقال: غطَش، يغطِشُ، وأغطَشَ: أظلم، وأغطشه، أي: أظلمه.

الخلاصة: غطش: فعل لازم، وأغطش يستعمل لازمًا ومتعديًا كما يعلم من القاموس.

(٤) قوله: (وأضيف...). أي: أضيف الليل إلى السماء، أي: ضميرها في قوله تعالى: ﴿لَيْلَهَا﴾، وكذا أضيف إليها الضحى، وهي ضحوة الشمس في قوله تعالى: ﴿ضُحَىٰهَا﴾، وذلك للمناسبة بين المضاف والمضاف إليه كما ذكر المفسر، والظاهر أن الإضافة في الموضعين بمعنى «في»، والله أعلم.

(٥) قوله: (وكانت مخلوقة...). أي: كانت الأرض مخلوقة قبل السماء بدون دحوٍ ثم دحاها بعد خلق السماء، وأراد المفسر بهذا الجمع بين هذه الآية وبين آية سورة =

(٣١) - ﴿أَخْرَجَ﴾ حال بإضمار: قد[١]، أي: مُخْرِجًا ﴿مِنْهَا مَآءَهَا﴾ بتفجير عيونها ﴿وَمَرْعَىٰهَا (٣١)﴾ ما ترعاه النَّعَم من الشجر والعشب[٢]، وما يأكله الناس من الأقوات والثمار. وإطلاق المرعى عليه استعارة[٣].

= البقرة: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩]، فهي تفيد أن الأرض خلقت قبل السماء، وفرغ منها... وهذا الذي ذكره المفسر مروي عن ابن عباس وغيره، واختاره ابن جرير، وابن كثير وغيرهما. والقول الآخر: أن ﴿بَعْدَ﴾ بمعنى: مع، والمعنى: والأرض مع ذلك، أي: خلق السماوات، ومع ذلك خلق الأرض ودحاها، وهذا المعنى ذكره ابن جرير، ورواه عن مجاهد، والسدي. وعلى هذا لا يكون ﴿بَعْدَ﴾ للترتيب الزماني بل للترتيب الذكري. فيكون خلق الأرض ودحوها متقدمًا على خلق السماء، وعلى هذا يمكن أن يكون الوقف على ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ ويكون ﴿دَحَىٰهَآ﴾ تفسيرًا وبيانًا مستأنفًا بها، والظرف ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ يكون متعلقًا بخلق المقدر، والله أعلم. وعلى التفسير الأول يكون متعلقًا بـ﴿دَحَىٰهَآ﴾، وكذلك تكون ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ منصوبًا بفعل محذوف يفسره ﴿دَحَىٰهَآ﴾ على باب الاشتغال. وتقدم الكلام في تفسير سورة «حمٓ السجدة».

(١) قوله: (حال). هذا أحد الوجهين، والوجه الثاني أنه عطف بيان لـ﴿دَحَىٰهَآ﴾، وإضمار «قد» إذا كانت حالًا؛ لأن الجملة المبدوءة بالماضي يقدر فيها «قد» إذا وقعت حالًا كما تقدم مرارًا.

(٢) قوله: (ما ترعاه). أفاد أن المرعى مصدر ميمي بمعنى: اسم المفعول، ويحتمل كونه ظرفًا، فيكون مجازًا مرسلًا من إطلاق المحل وإرادة الحال، والله أعلم، كما أشار إليه البيضاوي.

(٣) وقول المفسر: (استعارة). أي: شبه ما يأكله الإنسان بما تأكله البهائم، وأطلق عليه لفظ المشبه به، المرعى، ويمكن أن يقال: أطلق المرعى تغليبًا.

٣٢- ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾[١] أثبتها على وجه الأرض لتسكن.

٣٣- ﴿مَتَٰعًا﴾ مفعول له لمقدّر، أي: فعل ذلك متعة[٢]، أو مصدر، أي: تمتيعًا ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم.

٣٤- ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ النفخة الثانية[٣].

٣٥- ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ بدل من «إِذَا»، ﴿مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ في الدنيا من خير أو شر.

٣٦- ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ أظهرت ﴿ٱلْجَحِيمُ﴾ النار المحرقة ﴿لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ لكل راءٍ، وجواب: «إِذَا»:

٣٧- ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ كفر[٤].

٣٨- ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ باتباع الشهوات.

---

(١) ﴿وَٱلْجِبَالَ﴾. منصوب بفعل مقدر من باب الاشتغال كما في ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾.

(٢) قوله: (مُتعة). هذا اسم مصدر بمعنى: تمتيعًا؛ لأنه لو أعرب مفعولًا لأجله فلابد من اتحاد عامله وعامل الفعل، وهو الخالق تعالى، فالتمتيع منه تعالى. والمتعة من الخلق، فإذا كان ﴿مَتَٰعًا﴾ بمعنى: تمتيعًا فقد اتحد فاعل الفعل وفاعل المصدر وهو الخالق تعالى، وإذا أعرب مفعولًا مطلقًا يُقدّر فعل، أي: متع الله بذلك تمتيعًا، كما يعلم من كتب الإعراب، والله أعلم. وقول المفسر: (أو مصدر). يعني: أنه مفعول مطلق.

(٣) قوله: (النفخة الثانية). عزاه القرطبي إلى ابن عباس، وروي عنه: «القيامة»، كما فسر بذلك ابن كثير، وهي من أسماء القيامة.

(٤) قوله: (كفر). تفسير بالمراد، والطغيان: تجاوز الحد، قال ابن جرير: «فأما من عتا على ربه وعصاه واستكبر عن عبادته».اهـ. وهذا ينطبق على الكافر.

﴿٣٩﴾- ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ مأواه[١].

﴿٤٠﴾- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ قيامه بين يديه[٢] ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ﴾ الأمارة ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ المُردي باتباع الشهوات.

﴿٤١﴾- ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ وحاصل الجواب: فالعاصي في النار، والمطيع في الجنة.

﴿٤٢﴾- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي: كفار مكة[٣] ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾[٤] متى وقوعها وقيامها.

﴿٤٣﴾- ﴿فِيمَ﴾[٥] في أي شيء ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ أي: ليس[٦] عندك علمها حتى تذكرها.

---

(١) قوله: (مأواه). أفاد أن «أل» عوض عن المضاف إليه، كما ذكره القرطبي.

(٢) قوله: (قيامه...). أفاد أن المقام مصدر ميميّ، وإضافته إلى ﴿رَبِّهِۦ﴾ بتقديرٍ، قال ابن كثير: «أي: خاف القيام بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ وخاف حكم الله فيه...»اهـ.

(٣) قوله: (أي: كفار مكة). نقل القرطبي عن ابن عباس: «سأل مشركو مكة رسول الله ﷺ متى تكون الساعة استهزاءً، فأنزل الله الآية».اهـ.

(٤) ﴿أَيَّانَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محلّ نصب ظرف، وهو خبر متقدم.

و﴿مُرْسَىٰهَا﴾: مبتدأ مؤخر، وهو إما مصدر ميمي، أو ظرف. وتقدمت نحو ما هنا مع الكلمة في سورة الأعراف (١٨٧).

(٥) ﴿فِيمَ﴾، «في»: حرف جر، و«ما» استفهامية، حذفت ألفها لدخول حرف الجر، والجار والمجرور خبر متقدم، و﴿أَنتَ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ الجار والمجرور متعلق بما تعلق به الخبر، أي: أنت في أي شيء مستقر من ذكراها. والله أعلم.

(٦) قوله: (أي: ليس...). تفسير لمضمون الآية، كما فسر ابن كثير بنحوه.

٤٤- ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ٤٤﴾ منتهى علمها، لا يعلمه غيره.

٤٥- ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ﴾ إنما ينفع إنذارك[١] ﴿مَن يَخْشَىٰهَا ٤٥﴾ يخافها.

٤٦- ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في قبورهم[٢] ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾ أي: عشية يوم أو بُكرته، وصح إضافة الضحى إلى العشية لما بينهما من الملابسة؛ إذ هما طرفا النهار[٣]، وحسَّن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة[٤].

❁❁❁

(١) قوله: (إنما ينفع...). تفسير بالمراد، وبيان لفائدة تخصيص الإنذار بمن خافها. وقرأ أبو جعفر: بتنوين: ﴿مُنذِرٌ﴾، فـ﴿مَن﴾ مفعول به. والجمهور: بإضافة ﴿مُنذِرُ﴾ إلى ﴿مَن﴾.

(٢) قوله: (في قبورهم). هذا أحد الوجهين، والوجه الثاني: في دنياهم. ذكرهما البيضاوي. وابن جرير كغيره ذكر الوجه الثاني فقط.

(٣) قوله: (إذ هما طرفا النهار). روى ابن كثير عن ابن عباس: «أما ﴿عَشِيَّةً﴾ فما بين الظهر إلى غروب الشمس، ﴿أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار».اهـ.

(٤) قوله: (وقوع الكلمة...). فاعل (حسّن)، والفاصلة: يعني آخر الآية، فالآيات منتهية بـ«ها» الضمير. والله أعلم.

٨٠- سورة عبس

مكية(١)، وآياتها اثنتان وأربعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿عَبَسَ﴾ النبي، كلح وجهه ﴿وَتَوَلَّىٰٓ ١﴾ أعرض لأجل(٢):

(٢)- ﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢﴾ عبدالله بن أم مكتوم(٣)، فقطعه عما هو مشغول به ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش الذي هو حريص على إسلامهم، ولم يدرِ الأعمى(٤) أنه مشغول بذلك، فناداه: علمني مما علمك الله، فانصرف النبي ﷺ

---

(١) قوله: (مكية). بدون خلاف يذكر.

(٢) قوله: (لأجل...). أفاد به أن ﴿أَن جَآءَهُ﴾ في موضع التعليل، حذفت منه حرف اللام التعليلية، وحذف حرف الجر جائز مطرد مع «أنّ» و«أنْ»، كما تقدم مرارًا، و﴿أَن﴾ هذه مصدرية.

(٣) قوله: (عبدالله بن...). ويقال له أيضًا: عمرو بن أم مكتوم. واسم أم مكتوم: عاتكة بنت عامر بن مخزوم، وعمرو هذا هو ابن قيس بن زائدة بن الأصم، وهو ابن خال خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ذكر ذلك القرطبي. وكان ابن أم مكتوم ممن أسلم قديمًا، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة مرتين في غزوتين، وكان مؤذن رسول الله ﷺ.

وما ذكره المفسر من سبب النزول ذكره أئمة التفسير: ابن جرير، وابن كثير وغيرهما، بسياق متقارب، وهو مروي عن ابن عباس، وعائشة، وابن زيد وغيرهم.

فقول المفسر: (فقطعه...). أي: قطع ابن أم مكتوم كلام رسول الله ﷺ قائلًا: أرشدني، وأشراف قريش، قيل: الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل، وعم الرسول العباس. ذكره القرطبي.

(٤) وقوله: (ولم يدرِ الأعمى...). اعتذار له، ولو كان علمه لما أقدم عليه في ذلك الوقت.

إلى بيته، فعوتب[١] في ذلك بما نزل في هذه السورة، فكان بعد ذلك[٢] يقول له إذا جاء: «**مرحبا بمن عاتبني فيه ربي**»، ويبسط له رداءه.

(٣) - ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾[٣] يُعْلِمُكَ ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ فيه إدغام التاء[٤] في الأصل في الزاي، أي: يتطهر من الذنوب بما يسمع منك.

(٤) - ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال[٥]، أي: يتعظ ﴿فَتَنْفَعُهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾ العظة المسموعة منك. وفي قراءة بنصب[٦]: «فَتَنفَعَهُ» جواب الترجّي.

(٥) - ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥﴾ بالمال.

(٦) - ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾، وفي قراءة[٧]: بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية

---

(١) وقوله: (فعوتب...). أي: فأمر الله رسوله ألا يخص أحدًا بالإنذار، بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف، والرجال والنساء، والصغير والكبير. ذكره ابن كثير.

(٢) وقوله: (فكان بعد ذلك). أي: كان النبي ﷺ يكرمه بذلك، ويقول له: «**هل من حاجة؟**»، كما ذكره القرطبي. ونقل عن الثوري: «فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أمّ مكتوم يبسط له رداءه، ويقول: «**مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي**».اهـ.

(٣) ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾. تقدم مثل هذا التركيب، وبيان إعرابه في سورة الشورى الآية (١٧) وغيرها.

(٤) وقوله: (فيه إدغام...). أي: فأصله: يتزكّى.

(٥) قوله: (فيه إدغام...). أي: فأصله: يتذكّر.

(٦) وقوله: (وفي قراءة:...). قرأ بالنصب: عاصم. والنصب على إضمار «أن»، والفاء سببية. والباقون: بالرفع. والرفع على أن الفاء عاطفة، والفعل معطوف على ﴿يَذَّكَّرُ﴾. كما قال المفسر.

(٧) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر: بتشديد الصاد: ﴿تَصَّدَّىٰ﴾. وأصله: تتصدّى. أدغمت التاء في الصاد. وقرأ الباقون: بحذف إحدى التائين: ﴿تَصَدَّىٰ﴾، =

في الأصل فيها، تُقْبِلُ وتتعرّض.

٧- ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ يؤمن.

٨- ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨﴾ حال من فاعل «جَآءَ».

٩- ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩﴾ الله، حال[1] من فاعل «يَسْعَىٰ»، وهو الأعمى[2].

١٠- ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ فيه حذف التاء الأخرى في الأصل، أي: تتشاغل.

١١- ﴿كَلَّآ﴾ لا تفعل مثل ذلك ﴿إِنَّهَا﴾ أي: السورة أو الآيات ﴿تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾ عظة للخلق.

١٢- ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ حفظ ذلك[3] فاتعظ به.

١٣- ﴿فِى صُحُفٍ﴾ خبر ثان لـ«إِنَّهَا»، وما قبله اعتراض[4] ﴿مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣﴾ عند الله.

١٤- ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السماء ﴿مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤﴾ منزهة عن مسّ الشياطين.

= أي: فتكون الصاد مخففة، وحذف إحدى التاءين من مضارع: تفعّل، وتفاعَل، وتفعلل، جائز كما هو معلوم في علم الصرف.

(١) وقوله: (تقبل...). تفسير لـ﴿تَصَدَّىٰ﴾.

(٢) قوله: (حال...). وعلى هذا تكون من الحال المتداخلة، وهي الحال الثانية تكون من ضمير صاحب الحال الأولى، ويمكن أن تجعل جملة ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩﴾ حالًا من فاعل ﴿جَآءَ﴾، فتكون من الحال المترادفة. وهي كون الحال الثانية والأولى من صاحب حالٍ واحدٍ، وقد فصلنا ذلك في «كتاب الثنائيات».

(٣) قوله: (ذلك). فيه بيان لمرجع الضمير المذكر المنصوب في ﴿ذَكَرَهُۥ﴾.

(٤) قوله: (وما قبله...). وهو ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾، والمراد بالصحف المكرمة: اللوح المحفوظ، كما قال ابن جرير.

(١٥) - ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥)﴾ كتبة[(١)] ينسخونها من اللوح المحفوظ.

(١٦) - ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦)﴾ مطيعين لله تعالى، وهم الملائكة.

(١٧) - ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ﴾ لعن الكافر[(٢)] ﴿مَا أَكْفَرَهُ (١٧)﴾ استفهام توبيخ[(٣)]، أي: ما حمله على الكفر.

(١٨) - ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨)﴾ استفهام تقرير، ثم بينه فقال:

---

(١) قوله: (كتبة). بفتح التاء جمع: كاتب. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، وقتادة، وعن ابن عباس أيضًا: «الملائكة»، وعن قتادة: «القُراء»، واختار ابن جرير: «هم الملائكة الذين يسفرون بين الله ورُسُله بالوحي».اهـ.

و﴿سَفَرَةٍ﴾ جمع: سافر، كما أن ﴿بَرَرَةٍ﴾ جمع: بارّ. ولكن الأكثر في المفرد إطلاق: البرّ، بحذف الألف، ذكره ابن جرير. قال القرطبي: «يقال: برّ وبارّ، إذا كان أهلًا للصدق، ومنه: برّ فلان في يمينه، أي: صدق».اهـ.

تنبيه: لا ينافي هذا العتاب عصمة الأنبياء؛ لأن هذا العتاب كان على ترك الأفضل وفعل ما ترجح عند النبي ﷺ باجتهاد، وليس على ارتكاب معصية كما يظنه من يجوّز المعاصي على الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. نبه على مضمون هذا القرطبي.

(٢) قوله: (لعن الكافر). أشار إلى أن «أل» في ﴿الْإِنسَانُ﴾ للعهد، أو للجنس، وأريد به المقيد، أي: الإنسان الكافر، روى ابن جرير عن مجاهد، قال: «ما كان في القرآن ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ﴾ أو فعل بالإنسان فإنما عنى به الكافر»، وروى نحوه عن سفيان. ونقل القرطبي عن ابن عباس: «نزلت في عتبة بن أبي لهب كان آمن ثم ارتدّ، ودعا عليه النبي ﷺ بأن يسلط عليه كلبًا -أسد الغاضرة-، فلما سافر عتبة للشام مع جماعته للتجارة ونزل بالغاضرة، أكله أسد، وكان قد تحصن بجماعة من الناس والأمتعة».اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (استفهام توبيخ). ذكره القرطبي مع أوجه أخرى، ومنها: أنها للتعجيب، أي: اعجبوا من كفر الإنسان لجميع من ذكرنا بعد هذا...اهـ. و«ما أفعل» من صيغة التعجب المعلومة في النحو. وإعرابها مشهور.

﴿١٩﴾- ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ علقة ثم مضغة إلى آخر خلقه.

﴿٢٠﴾- ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: طريق خروجه من بطن أمه[(١)] ﴿يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿٢١﴾- ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ جعله في قبر يستره.

﴿٢٢﴾- ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ للبعث.

﴿٢٣﴾- ﴿كَلَّا﴾ حقًّا[(٢)] ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾[(٣)] لم يفعل ﴿مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ به ربه.

﴿٢٤﴾- ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ نظر اعتبار ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾[(٤)] كيف قدّر ودبّر له.

﴿٢٥﴾- ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ﴾ من السحاب ﴿صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾.

﴿٢٦﴾- ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾.

﴿٢٧﴾- ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾ كالحنطة والشعير.

﴿٢٨﴾- ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾[(٥)] وهو القتّ الرطب.

---

(١) قوله: (أي: طريق خروجه...). هذا المعنى مروي عن ابن عباس، وقتادة، والسدي، وغيرهم. وعن مجاهد: «يسّره لطريق الخير والشر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٣]»، واختار ابن جرير الأول؛ لأنه أنسب لسياق الآية.

(٢) قوله: (حقًّا). ﴿كَلَّا﴾ حرف ردع، أفاد معنى: حقًّا، كما تقدم.

(٣) و﴿لَمَّا﴾ هنا جازمة، فهي حرف نفي وجزم وقلب، أخت «لم»، تتفقان في أربع -أي أربعة أحكام-، وتفترقان في أربع، كما هو مشهور. وذكرناها مفصلة في «الثلاثيات».

(٤) ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ لما ذكر الله تعالى ابتداء خلق الإنسان ذكر ما يسّر من رزقه.اهـ. ذكره القرطبي.

(٥) ﴿وَقَضْبًا﴾. القضب: الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة، ويقال لها: القت أيضًا. قاله ابن كثير، وعزاه إلى ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والسدي. قال البيضاوي: «يعني: الرطبة، سميت بمصدر قَضَبَه إذا قطعه؛ لأنه تقضب مرة بعد أخرى».اهـ.

(٢٩) - ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩)﴾.

(٣٠) - ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠)﴾[(١)] بساتين كثيرة الأشجار.

(٣١) - ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١)﴾ ما ترعاه البهائم[(٢)]، وقيل: التبن.

(٣٢) - ﴿مَّتَٰعًا﴾ متعة أو تمتيعًا، كما تقدم في السورة قبلها ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٢)﴾ تقدم فيها أيضًا.

(٣٣) - ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣)﴾ النفخة الثانية[(٣)].

---

(١) ﴿غُلْبًا﴾. جمع أغلب، كحُمْرٍ وأحمر، وحديقة غلباء: أي غليظة الشجر. فهي صفة للأشجار، وصفت الحديقة بها مجازًا مرسلًا، كما في «إعراب القرآن» للدرويش. قال ابن عباس: «﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠)﴾: الحدائق: ما التف واجتمع».

(٢) قوله: (ما ترعاه البهائم). روي معناه عن ابن عباس، وغيره. وما روي من توقف أبي بكر وكذا عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن تفسير «الأبّ»، فمحمول على التوقف عن معرفة شكله ونوعه وجنسه وإلا فيعلم أنه من نبات الأرض لقوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا...﴾.اهـ. ذكر ذلك ابن كثير بعد نقله قصة الصديق وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال ابن كثير: «وروى أبو عبيد القاسم بن سلام، عن إبراهيم التيمي، قال: سئل أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١)﴾، فقال: أي سماءٍ تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم». [كما في البغوي (٤/ ٤٤٩)].

وروى الطبري عن أنس قال: قرأ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١)﴾، فلما أتى على هذه الآية ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١)﴾، قال: «قد عرفنا الفاكهة، فما الأب؟ فقال: لعمرك يا ابن الخطاب، إن هذا لهو التكلف».اهـ.

(٣) قوله: (النفخة الثانية). كما فسر بذلك القرطبي. وهي من أسماء يوم القيامة، كما رواه ابن جرير عن ابن عباس، وهي اسم فاعل من «صخّ، يصخّ، صخًّا»، إذا أصمَّ بشدة الوقعة، كما يعلم من القرطبي.

(٣٤) - ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤)﴾.

(٣٥) - ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥)﴾.

(٣٦) - ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته ﴿وَبَنِيهِ (٣٦)﴾ «يَوْمَ» بدل من «فَإِذَا»، وجوابها دل عليه[١]:

(٣٧) - ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)﴾ حال يشغله عن شأن غيره، أي: اشتغل كل واحد بنفسه[٢].

(٣٨) - ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨)﴾ مضيئة.

(٣٩) - ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩)﴾ فرحة، وهم المؤمنون.

(٤٠) - ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠)﴾ غبار[٣].

(٤١) - ﴿تَرْهَقُهَا﴾ تغشاها ﴿قَتَرَةٌ (٤١)﴾ ظلمة وسواد[٤].

(٤٢) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أهل هذه الحالة ﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ (٤٢)﴾[٥] أي: الجامعون بين الكفر والفجور.

❁❁❁

---

(١) قوله: (دل عليه). أي: دل عليه ما بعده من الآية، أي الآية التالية، وبينه المفسر بقوله: (أي: اشتغل...).اهـ. وذلك لأن العامل في الظرف ونحوه يكون فعلًا أو ما فيه معناه.

(٢) قوله: (أي: اشتغل). كما رواه مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُحشر الناس يوم القيامة حُفاةً عُراةً غُرلًا**»، قلت: يا رسول الله، الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض، قال: «**يا عائشة! الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**».اهـ.

(٣) قوله: (غبار). قال القرطبي: «غبار ودخان».

(٤) قوله: (ظلمة وسواد). روي نحوه عن ابن عباس، وعنه أيضًا: «ذلة وشدة».

(٥) ﴿ٱلْكَفَرَةُ﴾ جمع: كافر، و﴿ٱلْفَجَرَةُ﴾ جمع: فاجر. قال ابن كثير: «أي: الكفرة قلوبهم، والفجرة في أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧)﴾ [نوح: ٢٧]».

٨١- سورة التكوير

مكية[١]، وآياتها تسع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ لُفِّفت، وذهب بنورها[٢].

(٢) - ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ انقضت وتساقطت على الأرض[٣].

(٣) - ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ ذهب بها عن وجه الأرض، فصارت هباء منبثًّا.

(٤) - ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ النوق الحوامل[٤] ﴿عُطِّلَتْ ۝٤﴾ تركت بلا راعٍ أو بلا حلب، لما دهاهم من الأمر، ولم يكن مال أعجب إليهم منها.

(٥) - ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ جُمِعت بعد البعث[٥] ليقتص لبعض من

---

(١) قوله: (مكية). بلا خلاف ينقل.

(٢) قوله: (لُفِّفت...). فيه إشارة إلى المعنى اللغوي للتكوير، قال القرطبي: «وأصل التكوير: الجمع مأخوذ من كارَ العمامةَ على رأسه يكورُها، أي: لاثها وجَمَعَها».اهـ. وروي عن ابن عباس: «﴿كُوِّرَتْ﴾: أظلمت»، وعن قتادة: «ذهب ضوؤها»،وقال أبو عبيدة: «﴿كُوِّرَتْ﴾ مثل تكوير العمامة تلف فتمحى».اهـ. و﴿ٱلشَّمْسُ﴾ نائب فاعل لفعلٍ محذوف دل عليه ﴿كُوِّرَتْ﴾؛ لأن أداة الشرط لا تدخل على الاسم، وكذا في نظائره.

(٣) قوله: (انقضت...). روي نحوه عن قتادة، وأبي صالح، وابن زيد. وقال ابن عباس: «تغيرت».

(٤) قوله: (النوق...). جمع ناقة، والعشار واحدها: عُشراءُ، قال الحسن: «سيَّبها أهلها فلم تُصرّ، ولم تحلب، ولم يكن في الدنيا مال أعجب إليهم منها».اهـ.

(٥) قوله: (جُمعت...). وهذا المعنى الذي ذكره المفسر عزاه القرطبي إلى ابن عباس، قال ابن عباس: «تحشر الوحوش غدًا، أي: تجمع حتى يقتص لبعضها من بعض، فيقتص للجماء من القرناء، ثم يقال لها: كوني ترابًا، فتموت».اهـ. وروى ابن جرير عن ابن عباس قال: «حشرها: موتها».اهـ. فالمراد بالموت: موتها بعد المقاصّاة، والله أعلم.

بعض، ثم تصير تُرابًا.

(٦)- ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِرَتْ (٦)﴾ بالتخفيف والتشديد[١]، أُوقِدَتْ[٢]، فصارت نارًا.

(٧)- ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧)﴾ قُرنت بأجسادها[٣].

(٨)- ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ الجارية[٤] تدفن حيّة خوف العار أو المسألة والحاجة ﴿سُئِلَتْ (٨)﴾ تبكيتًا لقاتلها.

(٩)- ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ (٩)﴾ وقرئ بكسر التاء[٥]، حكاية لما تخاطب به،

---

(١) قوله: (بالتخفيف...). قرأ بالتشديد: ﴿سُجِّرَتْ﴾: نافع، وحفص، وابن ذكوان، وأبو جعفر، ورويس. وبالتخفيف: ﴿سُجِرَتْ﴾: الباقون.

(٢) وقوله: (أُوقدت...). هذا المعنى رواه ابن جرير، عن ابن عباس، قال: «كور الله الشمس والقمر والنجوم في البحر، فيبعث عليهم ريحًا دبورًا، فتنفخه حتى يصير نارًا، فذلك قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦)﴾».اهـ. وتقدم في سورة الطور شيء مما يتعلق بهذا المعنى.

(٣) قوله: (قُرنت...). أي: رُدّت الأرواح إلى أجسادها، وهذا المعنى مروي عن عكرمة، والشعبي. وروي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره: «أن المعنى: جُمع كل شكل إلى نظيره، أي: يجمع القرين مع قرينه في الخير والشرّ، قال: الرجلان يعملان العمل، يدخلان به الجنة أو النار، كما قال تعالى: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ...﴾ [الصافات: ٢٢]».اهـ. ملخصًا، واختاره ابن جرير، وفسر به ابن كثير.

(٤) قوله: (الجارية). أي: الأنثى الصغيرة، وتقدم ذكر ذلك في سورة النحل وغيرها. روى ابن جرير عن قتادة، قال: «جاء قيس بن عاصم التميمي إلى النبي ﷺ، فقال: إنّي وأدت ثماني بنات في الجاهلية، قال: «**فأعتق عن كل واحدة بدنة**»».اهـ.

(٥) قوله: (وقرئ). أي: ﴿قُتِلْتِ﴾. هذه قراءة شاذة، كما أشار إلى ذلك بقوله: (وقرئ).

فائدة: قال القرطبي: «في هذا دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون، وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بذنب».اهـ.

وجوابها أن تقول: قتلت بلا ذنب.

(١٠) - ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾ صحف الأعمال[١] ﴿نُشِرَتۡ (١٠)﴾ بالتخفيف والتشديد[٢]، فتحت وبسطت.

(١١) - ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ (١١)﴾ نزعت عن أماكنها[٣]، كما ينزع الجلد عن الشاة.

(١٢) - ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ﴾ النار ﴿سُعِرَتۡ (١٢)﴾ بالتخفيف والتشديد[٤]، أُجِّجت.

(١٣) - ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ (١٣)﴾ قربت لأهلها، ليدخلوها، وجواب «إِذَا»[٥] أولَ السورة وما عطف عليها:

(١٤) - ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٌ﴾ أي: كلّ نفس[٦] وقت هذه المذكورات، وهي يوم القيامة ﴿مَّآ أَحۡضَرَتۡ (١٤)﴾ من خير وشر.

(١٥) - ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ «لا» زائدة[٧] ﴿بِٱلۡخُنَّسِ (١٥)﴾.

---

(١) قوله: (صحف الأعمال). كما فسر بذلك ابن جرير وغيره، ورواه عن أئمة التفسير.

(٢) وقوله: (بالتخفيف...). هذه قراءة نافع، وابن عامر، وعاصم، وأبي جعفر، ويعقوب. وقرأ الباقون: بالتشديد: ﴿نُشِّرَتۡ﴾.

(٣) قوله: (نزعت). الكشط والقشط: قلع عن شدة التزاق كما في القرطبي.

(٤) قوله: (بالتخفيف...). قرأ نافع، وحفص، وأبو جعفر، ورويس، وابن ذكوان: بالتشديد: ﴿سُعِّرَتۡ﴾. والباقون: بالتخفيف.

(٥) قوله: (وجواب ﴿وَإِذَا﴾). يعني أن الجواب هو: الآية التالية.

(٦) قوله: (كل نفس). أفاد أن ﴿نَفۡسٌ﴾ هنا للعموم وإن كان نكرة بعد إثبات. والأكثر أن النكرة بعد الإثبات لا تفيد العموم، وبمثل قول المفسر فسره ابن كثير.

فائدة: نقل القرطبي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ ...﴾ إلى قوله ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ (١٣)﴾: «اثنتا عشرة خصلة، ستة في الدنيا، وستة في الآخرة».اهـ.

(٧) قوله: (زائدة). كما تقدم أكثر من مرات.

(١٦)- ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦)﴾[1] هي النجوم الخمسة: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد، تَخنُس -بضم النون- أي: ترجع في مجراها وراءها بينما ترى النجم في آخر البرج إذ كرّ راجعًا إلى أوله، وتكنِسُ -بكسر النون-: تدخل في كِناسها، أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها.

(١٧)- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧)﴾ أقبل بظلامه أو أدبر[2].

(١٨)- ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)﴾ امتد حتى يصير نهارًا بيّنًا.

(١٩)- ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩)﴾ على الله تعالى، وهو جبريل[3]، أضيف إليه لنزوله به[4].

---

(١) ﴿الْكُنَّسِ﴾: بوزن: «فُعَّل» جمع كانس، وكذا: الخُنَّس، والمراد بهما: النجوم الخمسة. وبها فسر ابن جرير، والقرطبي. وعزاه القرطبي إلى أهل التفسير. وروي ذلك عن علي بن أبي طالب وغيره. وروي عنه: «أنها الكواكب»، وسميت بالخنس؛ لأنها تخنس، أي: ترجع في مجراها. وبالكنس؛ لأنها تكنِس، أي: تختفي في المواضع التي تختفي، أو لأنها تختفي نهارًا وترجع ليلًا، أي: تبدو. كما روي ذلك عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رواية. وروي عن ابن مسعود: «أن الجواري الخنس الكنس: بقر الوحش»، وعن ابن عباس: «الظباء»، فيكون اللفظ حقيقة، وإذا أريد بهما النجوم يكون في ﴿الْكُنَّسِ﴾ نوع استعارة؛ لأن أصلها في بقر الوحش والظباء إذا اختفت في كناسها، كما أشار إلى ذلك ابن جرير.

(٢) قوله: (أقبل...). وبهما وقع التفسير، فعن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: «أدبر»، وعن الحسن وغيره: «أقبل». فيكون اللفظ مشتركًا، واختار ابن جرير: «أدبر لمناسبته لما بعده، أي: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)﴾». واختار ابن كثير: «أقبل لمناسبة القسم بإقباله، كما أقسم بإقبال النهار في الآية التالية».

(٣) قوله: (وهو جبريل...). فسر به ابن جرير وغيره، ورواه عن قتادة.

(٤) وقوله المفسر: (أضيف إليه...). أي: في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ..﴾ أضيف إلى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، مع أنه من كلام الله تعالى؛ لأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ نزل به بأمر الله.

﴿٢٠﴾- ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ أي: شديد القوى ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: الله تعالى ﴿مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ ذي مكانة، متعلق به: «عِندَ»(١).

﴿٢١﴾- ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي: تطيعه الملائكة في السمٰوات ﴿أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ على الوحي.

﴿٢٢﴾- ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ محمد ﷺ، عطف على «إِنَّهُۥ...»(٢) إلى آخر المقسم عليه ﴿بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ كما زعمتم.

﴿٢٣﴾- ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ رأى محمد ﷺ جبريل(٣) على صورته التي خلق عليها ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ البين، وهو الأعلى بناحية المشرق(٤).

﴿٢٤﴾- ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ ما غاب من الوحي وخبر

---

(١) قوله: (متعلق به ﴿عِندَ﴾). أي: الظرف ﴿عِندَ﴾ متعلق بـ﴿مَكِينٍ﴾؛ فالمعنى: مكين عند ذي العرش.

(٢) قوله: (عطف على ﴿إِنَّهُۥ...﴾). أي هذه الجملة ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ معطوفة على جواب القسم وهو ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾؛ فهذه الجملة أيضًا تكون داخلة في جواب القسم.

(٣) قوله: (رأى محمد ﷺ...). وبهذا فسر ابن جرير، وابن كثير وغيرهما. وروى ذلك ابن جرير عن أئمة التفسير، وهذه الرؤية هي الرؤية الأولى له ﷺ لجبريل على صورته، وكان ذلك قبل الإسراء، ووقعت مرة ثانية في ليلة الإسراء، وهي المذكورة في سورة النجم ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾. أفاده ابن كثير.

(٤) وقول المفسر: (وهو الأعلى...). كما قال ابن جرير: «من ناحية مطلع الشمس من قِبَل المشرق»، وروى نحوه عن مجاهد، وقتادة. وعن مجاهد: «أنه رآه بأفق نحو أجياد».اهـ. وأجياد: مشرق مكة معروفة. والأفق هو الموضع التي يرى مس السماء بالأرض.

السماء ﴿بِظَنِينٖ ٢٤﴾ أي: بمتهم[(١)]، وفي قراءة: «بِضَنِينٖ» بالضاد، أي: ببخيل، فينقص شيئًا منه.

٢٥ - ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ﴾ مسترق السمع ﴿رَّجِيمٖ ٢٥﴾ مرجوم.

٢٦ - ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦﴾ فأي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه.

٢٧ - ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ عظة ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧﴾ الإنس والجن.

٢٨ - ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ﴾ بدل من «ٱلۡعَٰلَمِينَ» بإعادة الجار ﴿أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ باتباع الحق.

٢٩ - ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامة على الحق[(٢)] ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ الخلائق، استقامتكم عليه[(٣)].

❁❁❁

---

(١) قوله: (بمتّهم). هذا على القراءة بالظاء. فـ«ظنين» بمعنى: اسم المفعول من «ظنّ»، بمعنى: اتهم، فليس من أفعال القلوب التي تتعدى إلى المفعولين: وهذه قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، والكسائي، ورويس. وعليه درج المفسر؛ لأنه يجري على قراءة أبي عمرو في الأغلب. وقرأ الباقون: بالضاد: ﴿بِضَنِينٖ﴾، أي: ببخيل، وروي المعنيان عن أئمة التفسير بناءً على القراءتين.

(٢) قوله: (الاستقامة). مفعول به لـ﴿تَشَآءُونَ﴾، قدره لمناسبة المقام، وإلا فكل شيء لا يشاؤه العبد إلا بمشيئة الله، وهذه الآية مما يحتج بها أهل السنة على القدرية المنكرين للقدر، ونسبة أفعال العباد إلى خلقهم ومشيئتهم فقط. روى ابن جرير عن سليمان بن موسى: «لما نزلت ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم؛ فأنزل الله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾».

(٣) وقول المفسر: (استقامتكم...). مفعول به لـ﴿يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

٨٢- سورة الانفطار

مكية(١)، وآياتها تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١)﴾ انشقت.

(٢)- ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢)﴾ انقضت وتساقطت.

(٣)- ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣)﴾ فتح بعضها في بعض(٢)، فصارت بحرًا واحدًا واختلط العذب بالملح.

(٤)- ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤)﴾ قلب ترابها(٣) وبعث موتاها، وجواب «إِذَا» وما عطف عليها:

(٥)- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي: كل نفس(٤) وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ من الأعمال(٥) ﴿وَ﴾ ما ﴿أَخَّرَتْ (٥)﴾ منها فلم تعمله.

---

(١) قوله: (مكية). بلا خلاف ينقل.

(٢) قوله: (فتح بعضها...). روى نحوه عن ابن عباس، وقتادة، قال قتادة: «فجر عذبها في مالحها ومالحها في عذبها».اهـ.

(٣) قوله: (قلب ترابها). وبنحوه فسر أئمة التفسير، قال ابن عباس: «بحثت».اهـ. وقال السدي: «تحرّك فيخرج مَن فيها».اهـ. قال القرطبي: «يقال: بعثرتُ المتاع: قلبته ظهرًا لبطن».اهـ.

(٤) قوله: (أي: كل نفس...). كما تقدم في سورة التكوير.

(٥) وقوله: (من الأعمال). كما قال تعالى في سورة القيامة: ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣)﴾ [الآية: ١٣].اهـ.

(٦)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الكافر[١] ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ (٦)﴾[٢] حتى عصيته.

(٧)- ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد أن لم تكن ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ جعلك مستوي الخلقة سالم الأعضاء ﴿فَعَدَّلَكَ (٧)﴾ بالتشديد والتخفيف[٣]، جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء ليست يد أو رجل أطول من الأخرى.

(٨)- ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا﴾ زائدة أو صلة[٤] ﴿شَآءَ رَكَّبَكَ (٨)﴾[٥].

(٩)- ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى[٦] ﴿بَلۡ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِٱلدِّينِ (٩)﴾ بالجزاء على الأعمال[٧].

---

(١) قوله: (الكافر). كما قال القرطبي: «خاطب بهذا منكري البعث».اهـ. ونقل عن ابن عباس: «﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ هنا: الوليد بن المغيرة»، وعن عكرمة: «أُبيّ بن خلف».اهـ. وقيل غير ذلك.

(٢) و﴿مَا﴾ استفهامية في محل رفع مبتدأ، وخبرها جملة ﴿غَرَّكَ﴾، وفي الاستفهام استنكار وتعجيب. ونقل القرطبي عن ابن مسعود قال: «ما منكم من أحد إلا وسيخلو الله به يوم القيامة، فيقول له: يا ابن آدم ماذا غرّك بي؟...اهـ. وعلى هذا يكون الاستفهام بمعنى السؤال.

(٣) قوله: (بالتخفيف...). قرأ بالتخفيف: عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف. والباقون: بالتشديد.

(٤) قوله: (زائدة...). أي زائدة إعرابًا، ومؤكدة للعموم معنًى.

وقوله: (أو صلة). أي: أو يقال صلة، وهما بمعنى واحد. ولا توجد هذه اللفظة في بعض النسخ.

(٥) جملة ﴿شَآءَ﴾ نعت لـ﴿صُورَةٖ﴾، والمراد: إما حسنًا أو قبيحًا، وإما طويلًا أو قصيرًا، أو نحو ذلك. كما يعلم من كلام المفسرين.

(٦) قوله: (ردع...). فيكون المعنى كما قال ابن جرير: «ليس الأمر أيها الكافرون كما تقولون من أنكم على الحق في عبادتكم غير الله، ولكنكم تكذبون بالثواب والعقاب...»اهـ.

(٧) وقول المفسر: (بالجزاء...). من معاني الدين: الجزاء، كما تقدم في الفاتحة، وبنحوه فسر العلماء، قال مجاهد: «يوم الحساب».

١٠- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ١٠﴾ من الملائكة لأعمالكم(١).

١١- ﴿كِرَامًا﴾ على الله ﴿كَٰتِبِينَ ١١﴾ لها.

١٢- ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ١٢﴾ جميعه(٢).

١٣- ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِى نَعِيمٍ ١٣﴾ جنة.

١٤- ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾ الكفار(٣) ﴿لَفِى جَحِيمٍ ١٤﴾ نار محرقة.

١٥- ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ويقاسون حرّها ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ ١٥﴾ الجزاء.

١٦- ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ١٦﴾ بمخرجين.

١٧- ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أعلمك(٤) ﴿مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ١٧﴾.

١٨- ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ١٨﴾ تعظيم لشأنه(٥).

---

(١) قوله: (من الملائكة...). بيان لـ﴿حَٰفِظِينَ﴾.

(٢) قوله: (جميعه). أخذ معنى العموم من ﴿مَا﴾ الموصولة.

(٣) قوله: (الكفار). وبنحوه فسر ابن جرير، قال: «الذين كفروا بربهم»، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ١٦﴾، وهو يدل على الخلود، ولا خلود إلا للكفار. أعاذنا الله من النار.

(٤) قوله: (أعلمك). تقدم مثل هذا التركيب. ﴿مَآ﴾: اسم استفهام مبتدأ، وجملة ﴿أَدْرَىٰكَ﴾: خبرها. و«أدرى» تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل؛ الأول: الكاف، وجملة ﴿مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ سدت مسد المفعول الثاني والثالث.

(٥) قوله: (تعظيم). أي: ذكر الجملة معطوفة فيه تعظيم لشأن يوم الدين، وهذه الجملة مؤكدة في المعنى، ومعطوفة في الإعراب، والأكثر في تأكيد الجملة تأكيدًا لفظيًّا عطفها.

(١٩)- ﴿يَوۡمُ﴾ بالرفع[١]، أي: هو يوم ﴿لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ من المنفعة ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ أي: لا أمر لغيره فيه، أي: لم يمكّن أحدًا من التوسط فيه، بخلاف الدنيا.

❁❁❁

(١) قوله: (بالرفع). هذه قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب. ووجهه أنه خبر لمبتدأ محذوف كما ذكره.

وقرأ الباقون: بالنصب: ﴿يَوۡمَ﴾، ولم يذكرها المفسر خلاف عادته، ووجهه: أنه ظرف لفعل محذوف، نحو: يجزون، أو مفعول به لـ«اذكر» مقدرًا، ويمكن كونه بدلًا من ﴿يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾، وهو مبني على الفتح في محل رفع لإضافته إلى الجملة. ولكن الأرجح بهذا التقدير الإعراب؛ لكون الجملة المضاف إليها مضارعًا. كما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٩]، والله أعلم.

٨٣- سورة المطففين أو التطفيف

مكية[١]، وآياتها ست وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب أو واد في جهنم[٢] ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ (١)﴾[٣].

(٢)- ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى﴾ أي: مِن[٤] ﴿النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢)﴾ الكيل.

(٣)- ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ أي: كالوا لهم[٥] ﴿أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ أي: وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ (٣)﴾ ينقصون الكيل أو الوزن.

---

(١) قوله: (مكية). ظاهره أنها كلها مكية، كما هو ظاهر ابن جرير وغيره، ونقل القرطبي عن مقاتل: «إنها أول سورة نزلت بالمدينة» فعلى هذا تكون كلها مدنية. وعن ابن عباس، وقتادة: «مدنية إلا ثماني آيات، من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ...﴾ إلى آخرها؛ فهي مكية»، وعن الكلبي، وجابر بن زيد: «نزلت بين مكة والمدينة»؛ فمجموع الأقوال أربعة، وروى ابن جرير عن ابن عباس، قال: «لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلًا، فأنزل الله ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١)﴾؛ فأحسنوا الكيل».اهـ. وهذا يؤيد كون أول السورة -أو كلها- مدنية. وفي بعض النسخ: (مكية أو مدنية).

(٢) قوله: (كلمة عذاب). كما تقدم في مواضع، مثلًا في سورة البقرة الآية (٧٩).

(٣) قوله: ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾. نقل القرطبي عن أهل اللغة: «المطفّف مأخوذ من الطفيف وهو القليل، والمطفّف هو المقِلّ حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن».اهـ.

(٤) قوله: (أي: مِن). أفاد أن ﴿عَلَى﴾ بمعنى: من الابتدائية، وعزاه القرطبي إلى الفراء.

(٥) وقوله: (أي: كالوا لهم). أفاد أن الضمير ﴿هُمْ﴾ في محل نصب على نزع الخافض، وكذلك: (وزنوا لهم).

(٤) - ﴿أَلَا﴾ استفهام توبيخ[١] ﴿يَظُنُّ﴾ يتيقن[٢] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤﴾.

(٥) - ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥﴾ أي: فيه[٣]، وهو يوم القيامة.

(٦) - ﴿يَوۡمَ﴾ بدل من محل «لِيَوۡمٍ»[٤]، فناصبه: «مَّبۡعُوثُونَ»، ﴿يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ من قبورهم ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ الخلائق[٥]، لأجل أمره وحسابه وجزائه[٦].

(٧) - ﴿كَلَّآ﴾ حقًّا[٧] ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ﴾ أي: كتاب أعمال الكفار ﴿لَفِي سِجِّينٖ ٧﴾ قيل: هو كتاب[٨] جامع لأعمال الشياطين والكفرة، وقيل: هو مكان

---

(١) قوله: (استفهام...). أفاد أن ﴿أَلَا﴾ هنا مركبة من همزة استفهام، و«لا» النافية، وليست حرف تنبيه.

(٢) وقوله: (يتيقن). أفاد أن الظن هنا بمعنى: اليقين، كما صرح بذلك القرطبي.

(٣) قوله: (فيه). أفاد أن اللام بمعنى: في. كما في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وغيره.

(٤) قوله: (بدل من محل...). وعلى هذا يكون ﴿يَوۡمَ﴾ منصوبًا، والفتحة فتحة إعراب. ويمكن كونه فتح بناء؛ لإضافته إلى الجملة، ولكن الأرجح الإعراب لكون الجملة مبدوءة بالمضارع، كما تقدم آنفًا، ويجوز كون ﴿يَوۡمَ﴾ هنا منصوبًا بفعلٍ مقدر، كما ذكره المعربون.

(٥) قوله: (الخلائق). تفسير لـ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

(٦) وقوله: (لأجل). أفاد أن اللام في ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ للتعليل مع تقدير مضاف.

(٧) قوله: (حقًّا). وبه فسر الحسن، وهو تفسير بالمراد، و﴿كَلَّآ﴾ حرف، وليس لها موضع من الإعراب، وفسر ابن جرير، وغيره: «أنها حرف ردع، أي: ليس الأمر كما يظنه الكفار من عدم البعث».

(٨) وقوله: (قيل: هو كتاب...). روى ابن جرير نحوه عن قتادة، وابن عباس، قال قتادة: =

أسفل الأرض السابعة، وهو محل إبليس وجنوده.

(٨)- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ (٨)﴾ ما كتاب سجين.

(٩)- ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ (٩)﴾ مختوم[١].

(١٠)- ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ (١٠)﴾.

(١١)- ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ (١١)﴾ الجزاء، بدل أو بيان لـ«ٱلۡمُكَذِّبِينَ».

(١٢)- ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ﴾ متجاوز الحدّ ﴿أَثِيمٍ (١٢)﴾ صيغة مبالغة.

(١٣)- ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ (١٣)﴾ الحكايات التي سطرت قديمًا، جمع أسطورة بالضم، أو إسطارة بالكسر[٢].

(١٤)- ﴿كَلَّاۖ﴾ ردع وزجر لقولهم ذلك ﴿بَلۡۜ رَانَ﴾ غلب[٣] ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾

= «هي الأرض السفلى، فيها أرواح الكفار وأعمالهم أعمال السوء»، وقال ابن عباس: «أعمالهم في كتاب في الأرض السفلى»، وعن مجاهد: «﴿سِجِّينٖ﴾: صخرة في الأرض السابعة، فيجعل كتاب الفجار تحتها».اهـ. وبهذا يعلم أن الأقوال في معنى ﴿سِجِّينٖ﴾ متقاربة. أي: قيل إنه أسفل الأرض السابعة أو صخرة بها أو كتاب هناك. والله أعلم. وفيما نقله القرطبي عن ابن عباس: «الأرض السابعة: هي آخر سلطان إبليس»، وعن عطاء: «وفيها إبليس وذريته».اهـ. و﴿سِجِّينٖ﴾: فعّيل من السجن، صيغة مبالغة.

(١) قوله: (مختوم). قاله الضحاك. وعن قتادة: «﴿مَّرۡقُومٞ﴾: مكتوب». هذا تفسير لـ﴿سِجِّينٖ﴾ على أنه كتاب، وأما على أنه موضع في أسفل الأرض فلا يكون تفسيرًا له، بل المعنى: أن مصير الكافر مرقوم ومكتوب، ذكره ابن كثير.

(٢) قوله: (جمع أسطورة). تقدم في سورة الفرقان، وذكر هناك أسطورة بالضم فقط، وكلاهما صحيح كما ذكره القرطبي وغيره، وذكرت الكلمة في مواضع.

(٣) قوله: (غلب). يقال: ران يرينُ رَيْنًا وريونًا، غلب وغطّى، كما يعلم من «المختار» وغيره.

فغشيها ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ من المعاصي، فهو كالصدأ(١).

١٥- ﴿كَلَّآ﴾ حقًّا ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ فلا يرونه(٢).

١٦- ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ لداخلو النار المحرقة.

١٧- ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم ﴿هَٰذَا﴾ أي: العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾.

١٨- ﴿كَلَّآ﴾ حقًّا ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ أي: كتاب أعمال المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ قيل: هو كتاب جامع(٣) لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش.

١٩- ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾﴾ ما كتاب عليين.

---

(١) وقوله: (كالصدأ). الصدأ: ما يرى على وجه الحديد من المادة الحمراء والشقراء بسبب الرطوبة، وإذا صدئ الحديد فلا يزول.

(٢) قوله: (فلا يرونه). أي: الكفار لا يرون الله تعالى في الآخرة، ومفهومه: أن المؤمنين يرونه كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. نقل القرطبي عن مالك، قال: «لما حجب أعداؤه فلم يروه تجلّى لأوليائه حتى رأوه».اهـ. وعن مجاهد: «محجوبون عن كرامته». قال القرطبي: «وعلى الأول الجمهور»، وأجاز ابن جرير كون المعنى يشملهما، أي: أنهم محجوبون عن الرؤية وعن الرحمة.

(٣) قوله: (قيل: هو كتاب...). العليون: جمع عليّ، فعّيل من العلوّ، وفي تفسيره أقوال؛ فعن ابن عباس في رواية، قال: «أعمالهم في كتاب عند الله في السماء»، وعنه في رواية أخرى: «الجنة»، كما في ابن جرير، وعنه أيضًا فيما نقله القرطبي: «لوح من زبرجد خضراء معلق بالعرش، أعمالهم مكتوبة فيه»، وعن البراء مرفوعًا: «عليون في السماء السابعة تحت العرش».اهـ. وحاصل الخلاف يرجع إلى قولين: الجنة أو في السماء السابعة، وباقي الأقوال متقاربة.

(٢٠)- هو ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠﴾ مختوم[١].

(٢١)- ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١﴾ من الملائكة.

(٢٢)- ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢﴾ جنة.

(٢٣)- ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ السرر في الحجال[٢] ﴿يَنظُرُونَ ٢٣﴾ ما أُعْطوا من النعيم.

(٢٤)- ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤﴾ بهجة التنعم وحسنه.

(٢٥)- ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ﴾ خمر خالصة من الدنس[٣] ﴿مَّخۡتُومٍ ٢٥﴾ على إنائها لا يفك ختمه إلا هم.

(٢٦)- ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾ أي: آخر شربة تفوح منه رائحة المسك[٤] ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله.

(٢٧)- ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ أي: ما يمزج به ﴿مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧﴾[٥] فسر بقوله:

---

(١) قوله: (مختوم). كما تقدم. ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ تفسير للـ﴿عِلِّيِّينَ﴾ على القول بأنه كتاب، وعلى القول بأنه الجنة أو السماء السابعة يكون التقدير، أي: كتاب الأبرار كتاب مرقوم، كما يعلم مما نقله القرطبي عن القشيري.

(٢) قوله: (السرر). جمع سرير، والأرائك جمع أريكة، وتقدمت الكلمة في سورة الكهف ويسٓ والإنسان.

(٣) قوله: (خمر خالصة). روي عن ابن عباس وغيره.

(٤) قوله: (أي: آخر شربة). هذا المعنى مروي عن ابن عباس وغيره، قال ابن عباس: «طيب الله لهم الخمر، فكان آخر شيء جعل فيها حتى تختم: المسك».اهـ. ونحوه عن الضحاك، وقتادة، وعن ابن مسعود ما معناه: «مختوم: مخلوط، ختامه: خلطه، ومزاجه: مسك». واختار ابن جرير الأول.

(٥) ﴿تَسۡنِيمٍ﴾. مصدر: سنّم يسنّم العين، إذا أجراها من فَوْق، وفسر هنا بأنه عين في الجنة، =

﴿٢٨﴾- ﴿عَيۡنٗا﴾ فنصبه بأمدح مقدرًا ﴿يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾ أي: منها[١]، أو ضمن «يَشۡرَبُ» معنى: يلتذ.

﴿٢٩﴾- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ كأبي جهل ونحوه[٢] ﴿كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ كعمار وبلال ونحوهما[٣] ﴿يَضۡحَكُونَ ٢٩﴾ استهزاءً بهم.

﴿٣٠﴾- ﴿وَإِذَا مَرُّواْ﴾ أي: المؤمنون ﴿بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠﴾ أي: يشير المجرمون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب؛ استهزاءً.

﴿٣١﴾- ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١﴾ وفي قراءة[٤]: «فَٰكِهِينَ»، معجبين بذكرهم المؤمنين.

﴿٣٢﴾- ﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ﴾ رأوا المؤمنين ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ. قال تعالى[٥]:

= عن عبدالله بن مسعود: «عين في الجنة يشربه المقربون، وتمزج لأصحاب اليمين»، وعن مالك بن الحارث، وابن عباس، ومسروق نحو ذلك.

(١) قوله: (أي: منها). أفاد أن الباء هنا للتبعيض، ومجيء الباء للتبعيض محل خلاف، ومن لم يثبت قال: ضمن ﴿يَشۡرَبُ﴾ معنى: يلتذ. كما تقدم في سورة الإنسان.

(٢) قوله: (كأبي جهل...). كما نقل القرطبي عن ابن عباس: «هو الوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والعاص بن هشام، وأبو جهل، والنضر بن الحارث».

(٣) وقول المفسر: (كعمار...). أي: خباب، وصهيب رضي الله عنهم.

(٤) قوله: (وفي قراءة: ...). قرأ ﴿فَكِهِينَ﴾: حفص، وأبو جعفر. والباقون: ﴿فَٰكِهِينَ﴾. والكلمة تقدمت في سورة الدخان والطور أي: ﴿فَٰكِهِينَ﴾، أما ﴿فَكِهِينَ﴾ بدون ألف فلم تقع إلا هٰهنا.

(٥) قوله: (قوله تعالى:...). أفاد أن ما بعده ليس من مقولهم.

(٣٣) - ﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ﴾ أي: الكفار ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ على المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ (٣٣)﴾ لهم أو لأعمالهم حتى يردوهم إلى مصالحهم.

(٣٤) - ﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ (٣٤)﴾.

(٣٥) - ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ في الجنة ﴿يَنظُرُونَ (٣٥)﴾ من منازلهم إلى الكفار[١]، وهم يعذبون، فيضحكون منهم، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.

(٣٦) - ﴿هَلۡ ثُوِّبَ﴾ جوزي ﴿ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ (٣٦)﴾ نعم[٢].

❁❁❁

(١) قوله: (من منازلهم...). روى ابن جرير، عن ابن عباس: «إن السور الذي بين الجنة والنار يفتح لهم فيه أبواب، فينظر المؤمنون إلى أهل النار، والمؤمنون على السُّرُر ينظرون كيف يعذبون، فيضحكون منهم، فيكون ذلك مما أقر الله به أعينهم كيف ينتقم الله منهم».اهـ.

(٢) قوله: (نعم). قدره ليكون جواب الاستفهام، وأفاد بهذا أن هذه الجملة ﴿هَلۡ ثُوِّبَ﴾ استئنافية. وقيل: إنها متعلقة بـ﴿يَنظُرُونَ﴾، أي: ينظرون هل جوزي الكفار، فتكون في محل نصب، وقيل: المعنى: يقول بعض المؤمنين لبعض: ﴿هَلۡ ثُوِّبَ...﴾، فتكون في محل نصب مقولًا لقول محذوف، ذكرها القرطبي، والله أعلم.

٨٤- سورة الانشقاق

مكية[(١)]، وآياتها ثلاث أو خمس وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ (١)﴾[(٢)].

(٢)- ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في الانشقاق[(٣)] ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢)﴾ أي: حق لها أن تسمع وتطيع[(٤)].

(٣)- ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ (٣)﴾ زيد في سعتها[(٥)]، كما يمد الأديم، ولم يبق عليها

---

(١) قوله: (مكية). بدون خلاف يعلم.

(٢) ﴿ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾. ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾: فاعل لفعل محذوف يفسره: ﴿ٱنشَقَّتْ﴾؛ لأن أدوات الشرط لا تدخل على الاسم، فإذا وقع الاسم بعدها يقدر قبله فعل، كما هو معلوم في علم النحو. وقد تقدم مرارًا.

(٣) قوله: (سمعت...). كما روي عن ابن عباس، وغيره. قال ابن جرير: «والعرب تقول: أذِن لك في هذا الأمر أذَنًا، بمعنى: استمع لك».اهـ.

(٤) وقوله: (أي: حق لها...). قال نحوه سعيد بن جبير حيث يقول: «وحُقّ لها»، وعلى هذا يكون في إسناد الفعل ﴿وَحُقَّتْ﴾ إلى ضمير السماء نوع من التوسع؛ لأن نائب الفاعل في المعنى: سماعها وطاعتها، ويمكن أن يكون الإسناد على ظاهره، والمعنى: جُعلت حقيقة بالاستماع والانقياد، كما قاله البيضاوي. وقال أيضًا: «يقال: حُق بكذا فهو محقوق وحقيق».اهـ.

(٥) قوله: (زيد في سعتها). نقله القرطبي عن ابن عباس، وابن مسعود، قالا: «ويزاد وسعتها كذا وكذا لوقوف الخلائق عليها للحساب حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدمه». اهـ. والأديم: الجلد، فإذا مُد الأديم زال كل انثناء فيه وامتد واستوى».اهـ. ذكره القرطبي.

بناء ولا جبل.

(٤) - ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الموتى إلى ظهرها ﴿وَتَخَلَّتْ (٤)﴾ عنه.

(٥) - ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في ذلك ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥)﴾ وذلك كله يكون يوم القيامة، وجواب «إِذَا» وما عطف عليها محذوف، دل عليه ما بعده، تقديره: لقي الإنسان عمله.

(٦) - ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ جاهد في عملك[١] ﴿إِلَى﴾ لقاء[٢] ﴿رَبِّكَ﴾ وهو الموت[٣] ﴿كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦)﴾ أي: ملاقٍ عملك المذكور، من خير أو شر يوم القيامة.

(٧) - ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ كتاب عمله ﴿بِيَمِينِهِ (٧)﴾ هو المؤمن.

(٨) - ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨)﴾ هو عرض عمله عليه، كما في حديث «الصحيحين»[٤]، وفيه: «**من نوقش الحساب هلك**»، وبعد العرض يتجاوز عنه.

(٩) - ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ﴾ في الجنة ﴿مَسْرُورًا (٩)﴾ بذلك.

---

(١) قوله: (جاهد). الكدح هو العمل والكسب.

(٢) وقوله: (لقاء...). أفاد تقدير مضاف، ويوافق ما قاله ابن عباس: «تعمل عملًا تلقى الله به خيرًا كان أو شرًّا».اهـ.

(٣) وقول المفسر: (وهو الموت...). أي: لقاء ربك هو الموت، فالمعنى: تعمل إلى الموت. والله أعلم.

(٤) قوله: (في «الصحيحين»). أي: البخاري ومسلم، فمما رواه البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إن النبي ﷺ قال: «**من حوسب عُذِّب**»، قالت عائشة: فقلت: أو ليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨)﴾؟ قالت: فقال: «**إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك**». [كتاب العلم (١٠٣)].

(١٠)- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ (١٠)﴾ هو الكافر، تُغَلُّ[(١)] يمناه إلى عُنقه، وتجعل يسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه.

(١١)- ﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ﴾ عند رؤيته ما فيه ﴿ثُبُورًا (١١)﴾ ينادي هلاكه، بقوله: يا ثبوراه.

(١٢)- ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢)﴾ يدخل النار الشديدة، وفي قراءة[(٢)]: بضم الياء وفتح الصاد واللام المشددة.

(١٣)- ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ عشيرته في الدنيا ﴿مَسْرُورًا (١٣)﴾ بطرًا لاتباعه لهواه[(٣)].

(١٤)- ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن﴾ مخففة من الثقيلة[(٤)]، واسمها محذوف، أي: أنه ﴿لَّن يَحُورَ (١٤)﴾ يرجع إلى ربه[(٥)].

---

(١) قوله: (تُغَلُّ). أي: تجعل يمناه إلى العنق وتربط، وبمثله ما ذكره المفسر فسر ابن جرير، وروى عن أئمة التفسير.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي: ﴿وَيُصَلَّىٰ﴾. والباقون: ﴿وَيَصْلَىٰ﴾.

(٣) قوله: (بطرًا). نقل القرطبي عن ابن زيد، قال: «وصف الله أهل الجنة بالمخافة والحزن والبكاء والشفقة في الدنيا؛ فأعقبهم به النعيم والسرور في الآخرة، وقرأ قول الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ (٢٧)﴾ [الطور: ٢٦-٢٧]، قال: ووصف أهل النار بالسرور في الدنيا والضحك فيها والتفكه، فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (١٣)﴾». اهـ.

(٤) قوله: (مخففة). تقدم نظيره كثيرًا.

(٥) وقوله: (يرجع...). كما قال مجاهد، وعن ابن عباس: «يبعث»، ومعناهما واحد. يقال: حار، يَحورُ: إذا رجع، ومصدرُه: الحوْرُ، وهذا واويّ، وأما: حارَ، يحارُ، حيرًا، وحيرانًا، =

(١٥)- ﴿بَلَىٰٓ﴾ يرجع إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾ عالمًا برجوعه إليه.

(١٦)- ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ لا زائدة[1] ﴿بِٱلشَّفَقِ ۝١٦﴾ هو الحمرة في الأفق بعد غروب الشمس[2].

(١٧)- ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾ جمعَ ما دخل عليه[3] من الدوابّ وغيرها.

(١٨)- ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨﴾ اجتمع وتم نوره[4]، وذلك في الليالي البيض.

(١٩)- ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ أيها الناس، أصله: تركبونَنّ[5] حذفت نون الرفع لتوالي

= فهو بمعنى: غشي وضل الطريق، فهو يائيّ، من باب: سمِع، يسمَع، كما يعلم من كتب اللغة.

(١) قوله: (لا زائدة). كما تقدم نظير ذلك.

(٢) وقوله: (وهو الحمرة...). هذا المعنى عزاه القرطبي إلى علي، ومعاذ، وعبادة وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. واختاره ابن جرير، وروى عن مجاهد: «أنها النهار كله».

(٣) قوله: (جمَع...). روي عن ابن عباس، وغيره، وفسر كذلك ابن جرير، وقال: «ومنه طعام موسوق، أي: مجموع في غرار أو وعاءٍ، ومنه الوسق: وهو الطعام المجتمع الكثير مما يكال أو يوزن، ويقال: هو ستون صاعًا».اهـ.

(٤) قوله: (اجتمع...). روي عن ابن عباس وغيره، وعن سعيد: «لثلاث عشرة».اهـ. وهي من الليالي البيض.

(٥) قوله: (أصله تركبونَنّ). أي: فهو فعل مضارع معرب، مرفوع، لعدم دخول الناصب والجازم، وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لأجل نوني التوكيد. وهو المراد بقوله: (توالي الأمثال) أي: توالي النونات، وهن نون الرفع ونونا التوكيد. وهذا الحكم مطرد، كما هو معلوم، وقد فصلنا المسألة في «الثنائيات» مع شرحها. وهذا المذكور على قراءة: ضم الباء: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾: وهي قراءة الجمهور. والخطاب للناس. والمعنى: حالًا بعد حال، كما ذكره المفسر، وهو مروي عن ابن عباس. وقيل في المعنى: أمرًا بعد أمرٍ، أي: رخاء بعد شدة وبالعكس، وغنًى بعد فقر وبالعكس، وصحة بعد سقم وبالعكس ونحو ذلك. =

الأمثال، والواو لالتقاء الساكنين ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ ١٩﴾ حالًا بعد حال، وهو الموت ثم الحياة، وما بعدها من أحوال القيامة.

٢٠- ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ٢٠﴾ أي: أيُّ مانع من الإيمان، أو أيُّ حجة لهم في تركه مع وجود براهينه.

٢١- ﴿وَ﴾ ما لهم[١] ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ٢١﴾ يخضعون بأن يؤمنوا به لإعجازه[٢].

٢٢- ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾ بالبعث وغيره.

٢٣- ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣﴾ يجمعون[٣] في صُحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء.

٢٤- ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أخبرهم[٤] ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤﴾ مؤلم.

= وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف: بفتح الباء -بصيغة الواحد-: ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾، فالمضارع يكون مبنيًّا على الفتح؛ لوجود نون التوكيد المباشر، والخطاب للإنسان، فيكون المعنى كما في القراءة بضم الباء، وروى ابن جرير عن ابن عباس: «الخطاب للنبي ﷺ، منزلًا بعد منزل»، وعن مسروق: «سماءً بعد سماء»، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

(١) قوله: (﴿وَ﴾ ما لهم). أفاد بهذا التقدير أن هذه الجملة -﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ٢١﴾- معطوفة على جملة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ٢٠﴾، داخلة تحت الاستفهام التوبيخي.

(٢) قوله: (يخضعون). وبمثله فسر ابن جرير؛ لأن حقيقة السجود الشرعي لا يصح من الكافر، وهذا من مواضع سجود التلاوة عند الجمهور.

(٣) قوله: (يجمعون). روي نحوه عن ابن زيد، قال: «يجمعون من الأعمال الصالحة والسيئة»، وعن ابن عباس: «بما يضمرونه في أنفسهم من التكذيب»، وهذا اللفظ مضارع: «أوعَى»، بمعنى: جمع، ومنه الوعاء.

(٤) قوله: (أخبرهم). أفاد أن استعمال التبشير هنا لنكتة بلاغية، وهي التهكم.

﴿٢٥﴾- ﴿إِلَّا﴾ لكن[١] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾
غير مقطوع ولا منقوص[٢]، ولا يمنّ به عليهم[٣].

❁❁❁

(١) قوله: (لكن) أفاد الاستثناء منقطع.

(٢) قوله: (غير مقطوع). به فسر ابن جرير. يقال: مننتُ الحبلَ إذا قطعتُه، ذكره القرطبي.

(٣) وقوله: (لا يمنّ به...). هذا تفسير آخر لـ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾، كما في القرطبي وغيره. وهو مأخوذ من المنَّة، أي: لا يُمن عليهم بما يُعطون من الأجر، وذلك أبلغ في التمتع بالنعمة، ولعل العبارة: أو لا يمن به عليهم بـ«أو» العاطفة، ولكن الموجود في النسخ بالواو. والله أعلم.

٨٥- سورة البروج

مكية[١]، وآياتها اثنتان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ (١)﴾ للكواكب اثني عشر برجًا[٢]، تقدمت في الفرقان.

(٢)- ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ (٢)﴾ يوم القيامة[٣].

(٣)- ﴿وَشَاهِدٍ﴾ يوم الجمعة[٤] ﴿وَمَشْهُودٍ (٣)﴾ يوم عرفة. كذا فسرت الثلاثة في الحديث[٥]، فالأول موعود به، والثاني شاهد بالعمل فيه، والثالث

---

(١) قوله: (مكية). بدون خلاف ينقل.

(٢) قوله: (للكواكب). نعت لـ﴿ٱلْبُرُوجِ﴾، أي: البروج الكائنة للكواكب.

وقوله: (اثني عشر). بدل من ﴿ٱلْبُرُوجِ﴾. وفي بعض النسخ: اثنا عشر بالرفع، فهو خبر لمبتدأ محذوف، أي: وهي اثنا عشر برجًا، والبروج على هذا بمعنى: المنازل. وعزا القرطبي هذا القول إلى أبي عبيد، ويحيى بن سلام، واختاره ابن جرير، وبقي ثلاثة أقوال في معنى البروج؛ فعن ابن عباس: «القصور»، وعن الحسن، وقتادة، ومجاهد: «النجوم»، وعن المنهال بن عمرو: «الخَلْق الحسن»، ذكرها القرطبي، وروى بعضها ابن جرير، وتقدم في الفرقان والحجر المعنى الأول.

(٣) قوله: (يوم القيامة). قال القرطبي: «من غير اختلاف بين أهل التأويل».

(٤) قوله: (يوم الجمعة). ما ذكره المفسر من المراد بالشاهد والمشهود، من أن الشاهد هو يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، مروي عن ابن عباس، وأبي هريرة، وعليّ، وابن عمر وغيرهم.

(٥) وقول المفسر: (كذا فسرت الثلاثة في الحديث). الحديث رواه ابن جرير، عن أبي هريرة وغيره مرفوعًا، فممّا روي عن أبي هريرة مرفوعًا: «**المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم** =

تشهده الناس والملائكة، وجواب القسم محذوف صدرُه، تقديره: لقد[١]:

﴿٤﴾ - ﴿قُتِلَ﴾ لعن ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾ الشق في الأرض[٢].

= الجمعة، فيه ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب له، ولا يستعيذه من شر إلا أعاذه».اهـ. قال ابن كثير: «وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة، وقد روي موقوفًا على أبي هريرة وهو أشبه».اهـ.

وقول المفسر: (والأول موعود به). أي: يوم القيامة هو موعود به. أفاد أن الموعود بمعنى الموعود به؛ لأن يوم القيامة موعود به للناس.

وقيل: الشاهد: هو الله تعالى، وقيل: محمد ﷺ، وقيل: الإنسان وقيل غير ذلك.

والمشهود: قيل يوم القيامة، وقيل: يوم الجمعة، وقيل: أمة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: سائر الأمم، وقيل غير ذلك، والأشهر ما قاله المفسر، وعزى البغوي ذلك إلى الأكثرين.

(١) قوله: (لقد). قدره لأن جواب القسم إذا كان فعلًا ماضيًا يكثر دخول «قد» عليه.

(٢) قوله: (الشق في الأرض). قصة أصحاب الأخدود مروية بسياق متقارب، وأصحها ما رواه مسلم عن صهيب، وأورده ابن كثير، وابن جرير وغيرهما هٰهنا، وحاصله: أن ملكًا بنجران بين عيسى ومحمد ﷺ، وكان كافرًا، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر طلب أن يبعث له غلامًا يعلمه السحر، فأتي بغلام، فكان يعلمه السحر، وكان الغلام يمر براهبٍ فيعلمه الحق، وبينما هو كذلك إذ حبس الناس دابة -قيل: أسد، وقيل: حية- فقال الغلام: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب، فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، فرماها فقتلها، فأخبر بذلك الراهب، فقال: أنت اليوم أفضل مني، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، وكان أحد جلساء الملك عمي، فسمع عن الغلام فأتاه، فقال الغلام: إني لا أشفي، إنما يشفي الله، فدعا الله وشفي، فلما علم بذلك الملك أخذه يعذبه حتى دل على الغلام، فأخذ يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب وقال له الملك: ارجع عن دينك، فأبى، فقطع بالمنشار شقين، ثم جيء بذلك الجليس، وأمر بالرجوع عن الدين، فأبى، =

٥- ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل اشتمال منه ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ ما توقد به.

٦- ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ أي: حولها على جانب الأخدود على الكراسي ﴿قُعُودٌ ۝٦﴾.

٧- ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله من تعذيبهم بالإلقاء في النار إن لم يرجعوا عن إيمانهم ﴿شُهُودٌ ۝٧﴾ حضور. روي أن الله أنجى المؤمنين[1] الملقين في

= ففعل به كذلك، ثم جيء بالغلام، فلما أبى الرجوع عن الدين سلمه الملك إلى نفر من أصحابه يذهبون به إلى ذروة جبل ليطرحوه منه إن لم يرجع، ففعلوا، فأهلكهم الله وسلم الغلام، ثم سلمه الملك إلى نفر ليذهبوا به إلى البحر ليغرقوه إن لم يرجع، ففعلوا، فأهلكهم الله وسلّمه، فلما عجز الملك عن قتله، قال الغلام له: لا تقدر على قتلي إلا إذا رميتني بسهمٍ من كنانتي باسم الله رب الغلام، ويكون ذلك بعد جمع الناس في صعيدٍ، ففعل الملك ذلك، فأسلم الناس كلهم، فقيل للملك قد وقع ما كنت تحذر، فقد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، وأضرم فيها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فألقوه فيها، ففعلوا، حتى جاءت امرأة معها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الصبي: يا أمّة، اصبري فإنك على الحق».اهـ. ملخصًا.

(١) وقول المفسر: (روي أن الله أنجى...). ذكر ذلك القرطبي، وعزاه إلى النحاس، ونقل ابن كثير عن محمد بن إسحٰق: «أن أهل نجران صاروا بعد قتل الغلام على دينه دين النصرانية حتى سار إليهم ذو نواس بجنده، فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك وبين القتل، فاختاروا القتل، فخد الأخدود فحرّق بالنار وقتل بالسيف حتى قتل منهم قريبًا من عشرين ألفًا، ففي ذي نواس وجنده أنزل الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ الآيات».اهـ. فهذا تفسير آخر في المراد بأصحاب الأخدود.

ويقال: إن آثار ذلك الأخدود لا زالت باقية في نجران.

تنبيه: جملة ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ جملة إنشائية، دعاء على هؤلاء الكفار، وقيل: إخبار عن قتل أولئك المؤمنين، وقيل: إخبار عن أولئك الظالمين، ذكر الأقوال القرطبي.

النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها، وخرجت النار إلى من ثَمَّ فأحرقتهم.

(٨)- ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَمِيدِ (٨)﴾ المحمود[1].

(٩)- ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٩)﴾ أي: ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا إيمانهم.

(١٠)- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بالإحراق[2] ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ (١٠)﴾ أي: عذاب إحراقهم المؤمنين[3] في الآخرة، وقيل[4]: في الدنيا بأن خرجتْ النار فأحرقتهم كما تقدم.

(١١)- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ (١١)﴾.

---

(١) قوله: (المحمود). سبق الكلام من هذه الكلمة مثلًا: البقرة (٢٦٧).

(٢) قوله: (بالإحراق). فالمعنى: حرّقوا المؤمنين والمؤمنات. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، وغيره.

والفتنة استعملت في أربعة معانٍ:

١- التعذيب بالنار.

٢- والاختبار كما في قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٣- والشرك، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣].

٤- والحجة، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ [الأنعام: ٢٣]. وقد تقدم ذكر ذلك.

(٣) قوله: (أي: عذاب إحراقهم). وعلى هذا تكون إضافة ﴿عَذَابُ﴾ إلى ﴿ٱلْحَرِيقِ﴾ من إضافة الشيء إلى السبب.

(٤) وقوله: (وقيل:...). ذكر الوجهين القرطبي.

١٢- ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بالكفار ﴿لَشَدِيدٌ ١٢﴾ بحسب إرادته[١].

١٣- ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ﴾ الخلق[٢] ﴿وَيُعِيدُ ١٣﴾ فلا يعجزه ما يريد.

١٤- ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ للمذنبين المؤمنين ﴿ٱلْوَدُودُ ١٤﴾ المتودد إلى أوليائه بالكرامة[٣].

١٥- ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ خالقه ومالكه ﴿ٱلْمَجِيدُ ١٥﴾ بالرفع[٤]، المستحق لكمال صفات العلوّ.

١٦- ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ لا يعجزه شيء.

١٧-[٥] ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ١٧﴾.

١٨- ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ١٨﴾ بدل من «ٱلْجُنُودِ»، واستغني[٦] بذكر «فرعون» عن أتباعه، وحديثهم[٧]: أنهم أهلكوا بكفرهم. وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن ليتعظوا.

---

(١) قوله: (بحسب إرادته). لعله ذكره لمناسبة قوله فيما بعدُ: (فلا يعجزه ما يريد).

(٢) قوله: (الخلق). هذا مروي عن ابن زيد، والضحاك، وروي عن ابن عباس: «يبدئ العذاب ويعيده»، أي: يبدئ العذاب للكفار في الدنيا ويعيده عليهم في الآخرة. واختار ابن جرير هذا المعنى.

(٣) قوله: (المتودّد...). على هذا يكون ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ بمعنى: المفعول. ويناسبه ما روي عن ابن عباس: «الحبيب»، وعن مجاهد: «الوادّ لأوليائه»، فيكون بمعنى الفاعل.

(٤) قوله: (بالرفع). وهي قراءة الجمهور، فيكون خبرًا آخر لـ﴿وَهُوَ﴾. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بالجر؛ فيكون نعتًا لـ﴿ٱلْعَرْشِ﴾.

(٥) في هذه الآيات تسلية للنبي ﷺ وحثه على الصبر، كما يعلم من ابن جرير، والقرطبي، وغيرهما. وكذا فيه تنبيه للكفار، كما قال المفسر.

(٦) قوله: (واستغني...). كما قال ابن جرير: «اجْتُزِي بذكره إذ كان رئيس جنده مِنْ ذكر جنده وتُبّاعه».اهـ.

(٧) وقول المفسر: (وحديثُهم:...). مبتدأ بيان لحديثهم.

(١٩) - ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩﴾ بما ذكر.

(٢٠) - ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾ لا عاصم لهم منه.

(٢١) - ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١﴾ عظيم.

(٢٢) - ﴿فِي لَوۡحٖ﴾ هو في الهواء فوق السماء السابعة ﴿مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ بالجر[1]، من الشياطين، ومن تغيير شيء منه، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء. قاله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا.

❁❁❁

(١) قوله: (بالجر). أي: بجر ﴿مَّحۡفُوظِۭ﴾، فهو نعت لـ﴿لَوۡحٖ﴾. وما ذكره المفسر من صفة اللوح المحفوظ، روي عن السلف، ولم أجد فيه خبرًا مرفوعًا. نقل القرطبي عن ابن عباس: «اللوح من ياقوتة حمراء أعلاه معقود بالعرش وأسفله في حِجر مَلك يقال له: ماطريون، كتابه نور، وقلمه نور، ينظر الله عَزَّوَجَلَّ فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، ليس منها نظرة إلا وهو يفعل ما يشاء يرفع وضيعًا ويضع رفيعًا ويغني فقيرًا ويفقر غنيًّا، يحيى ويميت ويفعل ما يشاء، لا إله إلا هو».اهـ. والله أعلم.

٨٦- سورة الطارق

مكية[١]، وآياتها سبع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ (١)﴾ أصله: كل آتٍ ليلًا، ومنه النجوم لطلوعها ليلًا.

(٢)- ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿مَا ٱلطَّارِقُ (٢)﴾ مبتدأ وخبر[٢]، في محل المفعول الثاني لـ«أدرى»، وما بعد «مَآ» الأولى خبرها، وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده، هو:

(٣)- ﴿ٱلنَّجْمُ﴾ أي: الثريا[٣]، أو كل نجم[٤] ﴿ٱلثَّاقِبُ (٣)﴾ المضيء؛ لثقبه الظلام بضوئه، وجواب القسم.

(٤)- ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)﴾ بتخفيف «مَا» فهي مزيدة[٥]، و«إن» مخففة

---

(١) قوله: (مكية). بدون خلاف ينقل.

(٢) قوله: (مبتدأ وخبر). قد تقدم إعراب مثل هذا التركيب. فـ﴿مَآ﴾. في ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ استفهامية في محل رفع مبتدأ، وخبرها: جملة ﴿أَدْرَىٰكَ﴾، وأدرى تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل؛ أولها: الكاف، وجملة ﴿مَا ٱلطَّارِقُ﴾ سدت مسد المفعول الثاني والثالث. وهو المراد بقوله: (في محل المفعول الثاني). ومعنى الطارق: الذي يطرق ليلًا، أي: يظهر فيه. ذكره ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (الثريا). هي مجموعة نجوم في السماء معروفة، وهذا التفسير معزوّ إلى ابن زيد، فتكون «أل» في ﴿ٱلنَّجْمُ﴾ عهدية.

(٤) وقوله: (أو كل نجم). روي نحوه عن ابن عباس وغيره. وعنه أيضًا وعن عطاءٍ: «الذي تُرمى به الشياطين»، فتكون «أل» جنسية.

(٥) قوله: (بتخفيف...). قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر: بتشديد اللام: ﴿لَّمَّا﴾. والباقون: بتخفيفها: ﴿لَمَا﴾. ووجهها كما قال المفسر. =

من الثقيلة، واسمها محذوف[١]، أي: إنه واللام فارقة وبتشديدها، فـ«إن» نافية و«لَّمَّا» بمعنى: إلا، والحافظ من الملائكة يحفظ عملها من خير وشر.

٥- ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ نظر اعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾[٢] من أي شيء؟

٦- جوابه: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ ذي اندفاق[٣] من الرجل والمرأة في رحمها.

= **وخلاصة ذلك**: على القراءة بتشديد الميم: ﴿لَّمَّا﴾، فهي حرف استثناء و﴿إِن﴾ نافية. والمعنى: ما كل نفس إلا وعليها حافظ.

وعلى تخفيف الميم فـ﴿مَا﴾ زائدة، و﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة، واللام في ﴿لَمَا﴾ فارقة بين المخففة والنافية. والمعنى: إنه كل نفس عليها حافظ.

(١) وقول المفسر: (واسمها محذوف). هذا إذا كانت المخففة عاملة، والأكثر فيها الإهمال، فلا يحتاج إلى تقدير الاسم، فنعرب هكذا: ﴿إِن﴾ حرف تأكيد مخففة من الثقيلة مهملة، ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ، واللام فارقة، و﴿مَا﴾ مزيدة للتوكيد، وجملة ﴿عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾: خبر المبتدأ. ومن المعلوم: «إن» المخففة إذا أهملت وجبت اللام.

وأن «لمّا» تأتي على ثلاثة أوجه: نافية، وشرطية، واستثنائية. وهي حرف على كل حال، وقيل: الشرطية اسم في محل نصب ظرف، مضاف، كما يعلم من كتب النحو.

(٢) ﴿مِمَّ﴾. مؤلف مِن «ما» الاستفهامية دخلت عليها «مِن» الجارة. ومعلوم أن «ما» الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جر حذفت ألفها وجوبًا. وقد تقدم ذلك في ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾.

(٣) قوله: (ذي اندفاق). فسر بذلك؛ لأن «دفق» متعدّ، فالماء مَدْفوق، فيكون اسم الفاعل هنا بمعنى: ذي اندفاق، كما يقال: لابن وتامر، أي: ذي اللبن وذي التمر. وهذا التوجيه معزو إلى الزجاج، وهذا مذهب سيبويه، كما في القرطبي. وقال ابن جرير: «﴿دَافِقٍ﴾: اسم فاعل، بمعنى: اسم المفعول، كما يقال: سرّ كاتِم، أي: مكتوم»، فيكون فيه نوع مجاز عقلي كـ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ [الغاشية: ٧].

٧- ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ﴾ للرجال ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ للمرأة. وهي عظام الصدر(١).

٨- ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾ بعث الإنسان بعد موته(٢) ﴿لَقَادِرٌ ۝٨﴾ فإذا اعتبر أصله عَلِم أن القادر على ذلك قادر على بعثه(٣).

٩- ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾(٤) تختبر وتكشف ﴿ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ ضمائر القلوب في العقائد والنيات.

١٠- ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ لمنكر البعث ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ يمتنع بها من العذاب ﴿وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾ يدفعه عنه.

١١- ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١﴾ المطر(٥)؛ لعوده كل حين.

١٢- ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢﴾ الشق عن النبات.

١٣- ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾ يفصل بين الحق والباطل(٦).

---

(١) قوله: (عظام الصدر). أي: موضع القلادة من المرأة، روي عن ابن عباس وغيره، واختاره ابن جرير، وعن ابن عباس رواية: «أنها الرجلان واليدان والعينان». والترائب جمع تريبة، وعن الحسن: «إنه يخرج من صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها».

(٢) قوله: (بعث الإنسان). أفاد أن الضمير في ﴿رَجْعِهِۦ﴾ عائد إلى ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾، وهذا المعنى مرويّ عن قتادة، واختاره ابن جرير. وعن الضحاك: «على رجعه من الكبر إلى الصغر»، وعن مجاهد: «ردّه، أي: رد الماء في الإحليل»، وقيل غير ذلك.

(٣) قوله: (فإذا). بيان للعبرة الحاصلة من الآيات والاستدلال بها على البعث الذي أنكره المشركون.

(٤) ﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية وناصبه فعل مقدر، أي: يرجع أو يبعث. وليس الناصب المصدر ﴿رَجْعِهِۦ﴾؛ لأنه فصل بينه وبين ﴿يَوْمَ﴾ بأجنبي وهو ﴿لَقَادِرٌ﴾. ومن شروط إعمال المصدر ألا يفصل، وقد وضحنا ذلك في «الثلاثيات». و﴿يَوْمَ﴾ مضاف إلى الجملة.

(٥) قوله: (المطر). قال القرطبي: «كذا قال عامة المفسرين»، وكذا تفسير ﴿ٱلصَّدْعِ﴾، مروي عن ابن عباس وغيره.

(٦) قوله: (يفصل...). أشار أن ﴿فَصْلٌ﴾ مصدر بمعنى: اسم الفاعل.

١٤- ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤﴾ باللعب والباطل.

١٥- ﴿إِنَّهُمۡ﴾ أي: الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥﴾ يعملون المكايد للنبي ﷺ.

١٦- ﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦﴾ أستدرجهم من حيث لا يعلمون[١].

١٧- ﴿فَمَهِّلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ﴾ تأكيد حسّنه مخالفة اللفظ، أي: أنظرهم ﴿رُوَيۡدَۢا ١٧﴾ قليلًا[٢]، وهو مصدر[٣] مؤكد لمعنى العامل، مُصغّر «رُوْدٍ» أو «إروادٍ» على الترخيم[٤]. وقد أخذهم الله تعالى ببدر، ونسخ الإمهال بآية السيف، بالأمر بالجهاد والقتال.

❁❁❁

(١) قوله: (أستدرجهم...). أشار إلى أن إطلاق الكيد من باب المشاكلة، وقد تقدم تحقيق ذلك في تفسير سورة البقرة.

(٢) قوله: (قليلًا). بيان للمراد، لا بيان لمعنى ﴿رُوَيۡدَۢا﴾؛ لأن معناه إمهالًا، فهو مفعول مطلق لـ﴿فَمَهِّلِ﴾.

(٣) وقوله: (وهو مصدر). أي: مفعول مطلق مؤكّد.

(٤) وقوله: (على الترخيم). يعني: التصغير بحذف الزوائد، وليس ترخيم النداء أو ترخيم الضرورة، و«رويد» يستعمل اسم فعل أمر إذا لم ينون، وكان بعده منصوبًا، نحو: رويدَ زيدًا، وأما إذا نوِّن نحو: رويدًا زيدًا، أو أضيف نحو: رويدَ زيدٍ، فهو مفعول مطلق، كما في كتب النحو.

تنبيه: الترخيم ثلاثة أنواع:

١- وهو أشهرها. حذف آخر المنادَى كما تقول: يا عائش في نداء عائشة. ويسمى ترخيم المنادى.

٢- ترخيم التصغير وهو تصغير الاسم بعد حذف الحروف الزائدة، كما تقول: عُطيف في تصغير المعطف.

٣- ترخيم الضرورة وهو حذف آخر الكلمة حرف أو أكثر لأجل الضرورة، كقول الشاعر: «درس المنا بمتالعٍ فإبان». يعني: المنازل.

٨٧- سورة الأعلى

مكية[١]، وآياتها تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: نزه ربك عما لا يليق به. و«اسْمَ» زائدة[٢] ﴿الْأَعْلَى (١)﴾ صفة لـ«رَبِّكَ».

(٢)- ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢)﴾ مخلوقه، جعله متناسب الأجزاء غير متفاوت.

(٣)- ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فَهَدَىٰ (٣)﴾ إلى ما قدّره من خير أو شر[٣].

(٤)- ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤)﴾ أنبت العُشب.

---

(١) قوله: (مكية). بلا خلاف ينقل.

(٢) قوله: (و﴿اسْمَ﴾ زائدة). يعني زائدة اصطلاحًا، والمعنى: ليس مرادًا، وإنما ذكر لتعظيم المسمى، فالمعنى: نزه ربك وعظّم ربك، وهذا المعنى معزوّ إلى ابن عباس، والسدي، كما في القرطبي. واختار ابن جرير أنه ليس زائدًا بل المعنى: نزه اسم ربك أن تدعى به الآلهة، والأوثان. وقيل: نزّه تسمية ربك وذكرك إياه أن تذكره إلا وأنت خاشع معظم. ذكر ذلك ابن جرير، وغيره.

قال القرطبي: «يستحب للقارئ إذا قرأ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١)﴾ أن يقول عقبه «سبحان ربي الأعلى». قاله النبي ﷺ، وقاله جماعة من الصحابة».اهـ. والحديث رواه أحمد عن ابن عباس مرفوعًا، وروى ابن جرير ذلك عن ابن عمر، وعلي، وابن عباس، وقتادة.

(٣) قوله: (من خير أو شر). هذا شامل لكل ما فسر به الآية، كما في قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠)﴾ [طه: ٥٠]، مثل هداية الإنسان للسعادة، ومصالحه، وهداية البهائم لمعاشها ومصالحها وغير ذلك.

﴿٥﴾- ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ بعد الخضرة ﴿غُثَآءً﴾ جافًّا هشيمًا[١] ﴿أَحۡوَىٰ ٥﴾ أسود يابسًا.

﴿٦﴾- ﴿سَنُقۡرِئُكَ﴾ القرآن ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾ ما تقرؤه.

﴿٧﴾- ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه[٢]. وكان ﷺ[٣] يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان، فكأنه قيل له: لا تعجل بها إنك لا تنسى فلا تُتْعِب نفسك بالجهر بها ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ ٧﴾ منهما.

﴿٨﴾- ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ٨﴾ للشريعة السهلة[٤]، وهي الإسلام.

﴿٩﴾- ﴿فَذَكِّرۡ﴾ عِظ بالقرآن ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩﴾ مَن تُذَكِّره[٥]، المذكورَ في «سَيَذَّكَّرُ»[٦]، يعني: وإن لم تنفع[٧]، ونفعها لبعض وعدم النفع لبعض آخر.

---

(١) قوله: (جافًّا...). قال القرطبي: «الغثاء: ما يقذف به السيل على جوانب الوادي من الحشيش والنبات والقماش... ويقال للبقل والحشيش إذا تحطم ويبس: غثاء».اهـ.

(٢) قوله: (بنسخ تلاوته...). هذا بيان لمعنى الاستثناء، وذكر ابن جرير هذا المعنى واختاره، قال: «فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن ننسيكه بنسخه ورفعه».اهـ. وقيل: معنى ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾: لا تترك العمل إلا ما شاء الله أن يُترك العمل به بنسخه. نقله ابن جرير. وهذا تفسير آخر.

(٣) وقول المفسر: (وكان ﷺ...). أي: فيكون معنى الآية موافقًا لقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦﴾ [القيامة: ١٦] الآيات... كما يعلم من ابن جرير.

(٤) قوله: (للشريعة...). عزي هذا المعنى إلى الضحاك، وعن ابن عباس: «عمل الخير»، ومآلهما واحد.

(٥) قوله: (من تُذكِّره). مفعول به لـ﴿نَّفَعَتِ﴾.

(٦) وقوله: (المذكورَ...). بالنصب، صفة (مَن). والمعنى: فذكّر إن نفعت الذكرى للخاشعين.

(٧) وقوله: (وإن لم تنفع...). أفاد أن هذا الشرط لا مفهوم له؛ لأن التذكير واجب وإن لم =

﴿١٠﴾- ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ بها ﴿مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ يخاف الله تعالى، كآية: «فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾» [قٓ: ٤٥].

﴿١١﴾- ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي: الذكرى، أي: يتركها جانبًا لا يلتفت إليها ﴿ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾﴾ بمعنى: الشقي[1]، أي: الكافر.

﴿١٢﴾- ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ هي نار الآخرة[2]، والصغرى: نار الدنيا.

﴿١٣﴾- ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ حياة هنيئة[3].

﴿١٤﴾- ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ تطهر بالإيمان[4].

﴿١٥﴾- ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ مكبرًا[5] ﴿فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ الصلوات الخمس، وذلك من

= ينفع. وهذا المعنى عزاه القرطبي إلى الجرجاني، وظاهر كلام ابن كثير أن الشرط له مفهوم، والمعنى: فذكّر حيث ينفع التذكير، فإن العلم لا يوضع إلا في أهله لئلا يكون فتنة على غير أهله.

تنبيه: قوله (يعني وإن لم تنفع... إلى:... قوله لبعض آخر). لا يوجد في بعض نسخ «الجلالين».

(١) قوله: (بمعنى: الشقي...). أشار إلى أن اسم التفضيل خالٍ عن معنى المفاضلة، والمراد به الكافر. وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة. كما في القرطبي.

(٢) قوله: (هي نار الآخرة...). هذا التفسير مروي عن الحسن وغيره.

(٣) قوله: (حياة هنيئة). أفاد به أنه ليس في الآية رفع الحياة والموت معًا عنهم، وإنما المرفوع الحياة الهنيئة.

(٤) قوله: (تطهر بالإيمان...). روي عن ابن عباس وغيره. وروي عن أبي سعيد الخدري، وابن عمر: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ في زكاة الفطر وصلاة العيد.

(٥) وقول المفسر: (مكبّرًا). أحد التفاسير لذكر اسم الله هنا. ذكره القرطبي. ونقل عن ابن عباس =

أمور الآخرة[١]، وكفار مكة معرضون عنها.

(١٦) - ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ﴾ بالفوقانية والتحتانية[٢] ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦﴾ على الآخرة.

(١٧) - ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ﴾ المشتملة على الجنة ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾.

(١٨) - ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: إفلاح من «تَزَكَّىٰ»[٣]، وكون الآخرة خيرًا ﴿لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨﴾ أي: المنزلة قبل القرآن.

(١٩) - ﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾ وهي عشر صحف لإبراهيم[٤]، والتوراة لموسى.

❁❁❁

= ذكر معاده وموقفه بين يدي الله.اهـ. وصلى أي: الصلوات الخمس. رواه ابن جرير، عن ابن عباس. وكل الأقوال متلازمة.

(١) قوله: (وذلك من أمور الآخرة). دخول إلى الآية التالية.

(٢) قوله: (بالفوقانية). أي: التاء، وهي قراءة الجمهور. وقرأ أبو عمرو: بالياء. وهي المرادة بالتحتانية.

(٣) قوله: (أي: إفلاح...). فيه بيان للمشار إليه، وهذا مروي عن قتادة، وابن زيد. ويُروى عن ابن عباس: «الإشارة إلى هذه السورة»، وعن الضحاك: «هذا القرآن». واختار ابن جرير الأول؛ لأنه أقرب مذكور، وقوّاه ابن كثير.

(٤) قوله: (وهي عشر صحف...). ورد عدد الكتب والصحف في حديث رواه ابن حبان وغيره. وفيه: أنزل على شيث خمسون صحيفة وعلى إدريس ثلاثون صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف. وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.اهـ. وانتقد في إسناد هذا الحديث. وهنا فسر المفسر صحف موسى بالتوراة، وذكر في سورة النجم: أسفار التوراة أو صحف قبلها.

٨٨- سورة الغاشية

مكية[١]، وآياتها ست وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿هَلۡ﴾ قد[٢] ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ (١)﴾ القيامة[٣]؛ لأنها تغشى الخلائق بأهوالها.

(٢)- ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ﴾ عبّر بها عن الذوات في الموضعين[٤] ﴿خَٰشِعَةٌ (٢)﴾ ذليلة.

(٣)- ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ (٣)﴾ ذات نَصَبٍ وَتَعَبٍ بالسلاسل والأغلال[٥].

(٤)- ﴿تُصۡلَىٰ﴾ بضم التاء وفتحها[٦] ﴿نَارًا حَامِيَةٗ (٤)﴾.

---

(١) قوله: (مكية). بلا خلاف ينقل.

(٢) قوله: (قد). أفاد أن الاستفهام للتقرير، وبذلك فسره القرطبي وعزاه إلى قطرب.

(٣) وقوله: (القيامة). هذا مروي عن ابن عباس وغيره. وقال القرطبي: «قاله أكثر المفسرين»، وروي عن سعيد بن المسيب: «هي النار تغشى وجوه الكفار»، وروي أيضًا عن ابن عباس كقوله تعالى: ﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ (٥٠)﴾ [إبراهيم: ٥٠].

(٤) قوله: (عبّر بها). يعني أن الوجوه من المجاز المرسل أطلق الجزء وأريد الكل. وقال معناه القرطبي أيضًا حيث قال: «والمراد بالوجوه: أصحاب الوجوه».اهـ.

(٥) قوله: (ذات نصب...). روي نحوه عن ابن عباس وغيره، قال ابن عباس: «فإنها تعمل وتنصب في النار».اهـ. وقال الحسن: «لم تعمل لله في الدنيا فأعملها في النار».اهـ. ونقل القرطبي عن ابن عباس: «هم الذين أنصبوا أنفسهم في الدنيا على معصية الله عَزَّوَجَلَّ وعلى الكفر...».اهـ. وعلى هذا يكون المراد بالعاملة الناصبة، أي: في الدنيا، وعلى الأول: في الآخرة.

(٦) قوله: (بضم التاء...). قرأ أبو عمرو، وشعبة، ويعقوب: بضم التاء: ﴿تُصۡلَىٰ﴾. والباقون: بفتحها: ﴿تَصۡلَىٰ﴾.

(٥) - ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ (٥)﴾ شديدة الحرارة(١).

(٦) - ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦)﴾ هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه(٢).

(٧) - ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧)﴾.

(٨) - ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨)﴾ حسنة.

(٩) - ﴿لِّسَعْيِهَا﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةٌ (٩)﴾ في الآخرة لما رأت ثوابه.

(١٠) - ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠)﴾ حسًّا ومعنًى.

(١١) - ﴿لَّا يُسْمَعُ﴾ بالياء والتاء(٣) ﴿فِيهَا لَاغِيَةٌ (١١)﴾، أي: نفسٌ ذات لغو(٤)،

---

(١) قوله: (شديد الحرارة...). روى معناه عن ابن عباس، وغيره. قال ابن عباس: «هي التي قد أطال أَنْيَها».اهـ. وعن الحسن: «أي: طبخها منذ يوم خلق الله الدنيا».اهـ. وتقدم في سورة الرحمن: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ (٤٤)﴾ [الآية: ٤٤].

(٢) قوله: (هو نوع من الشوك...). قال القرطبي: «على هذا عامة المفسرين»، وقال: «هذا النَّبت تسميه قريش: الشبْرِق»، وقال ابن جرير: «تسميه أهل الحجاز: الضريع إذا يبس». ويسميه غيرهم: الشبرق، وهو سُمّ.

(٣) قوله: (بالياء والتاء). القراءات هنا ثلاث:

١ - ﴿لَّا تُسْمَعُ﴾: بالتاء، وصيغة المبني للمفعول: هذه قراءة نافع.

٢ - ﴿لَّا يُسْمَعُ﴾: بالياء، وبصيغة المبني للمفعول: قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ورويس.

٣ - ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾: بالتاء، وصيغة المبني للمعلوم: قراءة الباقين.

(٤) قوله: (نفس). قدره مرفوعًا بناء على قراءة أبي عمرو: ﴿لَّا يُسْمَعُ﴾، فيكون نائب فاعل. وعلى تقدير المفسر يكون لاغية نعتًا لنفس محذوفة، وهو أحد الأوجه ذكره البيضاوي. وقدر ابن جرير: «كلمةً» أي: فهو نعت لـ«كلمة». وجاءت في تفسيرها أقوال؛ فعن ابن عباس: «الكذب والكفر»، وعن قتادة: «الباطل والإثم»، وعن مجاهد: «الشتم»، وقيل غير ذلك.

أي: هذيان من الكلام.

١٢- ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ١٢﴾ بالماء، بمعنى العيون[١].

١٣- ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ١٣﴾ ذاتًا وقدرًا ومحلًّا.

١٤- ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ أقداح لا عُرى لها ﴿مَّوْضُوعَةٌ ١٤﴾ على حافات العيون مُعدّة لشربهم.

١٥- ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائد[٢] ﴿مَصْفُوفَةٌ ١٥﴾ بعضها بجنب بعض يستند إليها.

١٦- ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ بسط طنافس لها خمل[٣] ﴿مَبْثُوثَةٌ ١٦﴾ مبسوطة.

١٧- ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة نظر اعتبار ﴿إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧﴾.

١٨- ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٨﴾.

١٩- ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩﴾.

٢٠- ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ٢٠﴾ أي: بسطت، فيستدلون بها[٤] على

---

(١) قوله: (بمعنى: العيون...). وذلك لأنه ثبت أن فيها عيونًا، فكأن المراد بالعين هنا: الجنس. والله أعلم. قال القرطبي: «فـ﴿عَيْنٌ﴾ بمعنى: عيون».اهـ.

(٢) قوله: (وسائد). به فسر ابن جرير وغيره. وقال: «واحدها: نُمْرُقة».

(٣) قوله: (بسط طنافس). وبذلك ورد التفسير عن ابن عباس، وواحدتها: زِبْرِيَّة، بكسر الزاي، أو ضمها. والطنافس: جمع طنفسة بتثليث الطاء والفاء، ففيها تسع لغات، وهي المسماة بالسجادة أو البساط، والله أعلم.

(٤) قوله: (فيستدلون). فيه إشارة إلى سبب نزول هذه الآيات، قال القرطبي نقلًا عن المفسرين: «لما ذكر الله تعالى أهل الدارين تعجب الكفار من ذلك فكذبوا وأنكروا، فذكرهم الله تعالى صنعته وقدرته وأنه قادر على كل شيء، كما خلق الحيوانات والسماء =

قدرة الله تعالى ووحدانيته، وصدرت بالإبل؛ لأنهم أشد ملابسة لها من غيرها. وقوله: «سُطِحَتۡ» ظاهر في أن الأرض سطح[١] وعليه علماء الشرع لا كرة كما قاله أهل الهيئة، وإن لم ينقض ركنًا من أركان الشرع.

٢١- ﴿فَذَكِّرۡ﴾ هم نعم الله ودلائل توحيده ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١﴾.

٢٢- ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ وفي قراءة[٢]: «بِمُسَيۡطِرٍ» بالسين بدل الصاد، أي: بمسلط، وهذا قبل الأمر بالجهاد[٣].

٢٣- ﴿إِلَّا﴾ لكن[٤] ﴿مَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن الإيمان ﴿وَكَفَرَ ٢٣﴾ بالقرآن.

= والأرض، ثم ذكر الإبل أولًا؛ لأنها كثيرة في العرب، ولم يروا الفيلة».اهـ. قال البلاغيون: «عطفت هذه الجمل الأربعة والمناسبة بينها أن ما ذكر فيها تتعلق بها حياة العرب، فالمناسبة ظاهرة، وتسمى: المناسبة الخيالية».

(١) وقول المفسر: (ظاهر في أن الأرض...). لعل ذلك قول العلماء في زمانٍ، ولكن ثبتت كروية الأرض ببراهين قاطعة، ولم يثبت خلافها شرعًا، وسطحية وجه الأرض لا تنافي كرويتها، كما أن الجبال التي فيها لا تنافي سطحيتها؛ لأن ارتفاعها إلى مجموع سعة الأرض قليل جدًّا، كما ذكره علماء الهيئة. ولا يوجد: (وعليه علماء الشرع) في بعض النسخ.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ الجمهور: بالصاد. وقرأ هشام: بالسين. وكلاهما بمعنى واحد، كما قاله القرطبي، ومعناهما: المسلَّط، كما ذكر المفسر.

(٣) وقوله: (وهذا قبل الأمر...). يعني: منسوخة. روي ذلك عن ابن زيد. وفسر بذلك القرطبي وغيره.

(٤) قوله: (لكن). أفاد أن الاستثناء منقطع. و﴿مَن﴾ اسم موصول مبتدأ وخبره: جملة ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ﴾، وقيل: الاستثناء متصل و«من» في محل نصب على الاستثناء من الضمير في ﴿عَلَيۡهِم﴾. والمعنى: لست بمسلط عليهم إلا على من تولى وكفر فأنت مسلط عليهم بالجهاد، فعلى هذا لا تكون الآية منسوخة. ذكره القرطبي.

٢٤- ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ عذاب الآخرة، والأصغر: عذاب الدنيا بالقتل والأسر.

٢٥- ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ رجوعهم بعد الموت.

٢٦- ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ جزاءهم، ولا نتركه أبدًا[1].

❁❁❁

---

(١) قوله: (ولا نتركه). لعله أخذ هذا المعنى من توكيد الجملة بـ﴿إِنَّ﴾ وغيرها. والله أعلم.

٨٩- سورة الفجر

مكية[١]، وآياتها ثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿وَٱلْفَجْرِ (١)﴾ أي: فجر كل يوم[٢].

(٢)- ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢)﴾ أي: عشر ذي الحجة[٣].

(٣)- ﴿وَٱلشَّفْعِ﴾ الزوج[٤] ﴿وَٱلْوَتْرِ (٣)﴾ بفتح الواو وكسرها[٥]: لغتان، الفرد.

(٤)- ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤)﴾[٦] مقبلًا ومدبرًا.

---

(١) قوله: (مكية). لم ينقل في ذلك خلاف.

(٢) قوله: (أي: فجر...). هذا التفسير مروي عن ابن عباس وغيره. وعن ابن عباس أيضًا: «أنه النهار كله»، وعنه أيضًا: «فجر يوم محرم، أي: فجر أول محرم؛ لانفجار السنة عنه»، وعنه أيضًا: «صلاة الصبح»، كما يعلم من روايات ابن جرير، والقرطبي.

(٣) قوله: (أي: عشر ذي الحجة...). هذا أيضًا مروي عن ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وعكرمة وغيرهم. وعن ابن عباس رواية: «أنها العشر التي ذكرها الله تعالى في قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف: ١٤٢]».

(٤) قوله: (الزوج). تفسير لغوي لـ﴿وَٱلشَّفْعِ﴾. وكذا ﴿وَٱلْوَتْرِ﴾: الفرد. واختلف في المراد بهما، فعن ابن عباس: «الله وتر، وأنتم شفع»، وعنه أيضًا: «الشفع: صلاة الغداة، أي: الصبح، والوتر: صلاة المغرب»، وروى ابن جرير عن عمران بن الحصين مرفوعًا: «الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة».اهـ. لأن يوم النحر عاشر، وعرفة تاسع، وذُكر معانٍ أخرى، واختار ابن جرير العموم، فكل شفع ووتر مما أقسم الله به.

(٥) وقوله: (بفتح الواو...) قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بكسر الواو. والباقون: بفتحها.

(٦) ﴿يَسْرِ﴾. فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة تخفيفًا. =

٥- ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾ القسم ﴿قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥﴾ عقل، وجواب القسم محذوف[١]، أي: لتعذبن يا كفار مكة[٢].

٦- ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تعلم يا محمد[٣] ﴿كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾.

٧- ﴿إِرَمَ﴾ هي عاد الأولى[٤]، فـ«إِرَمَ» عطف بيان، أو بدل، ومنع الصرف للعلمية والتأنيث ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧﴾ أي: الطول[٥]، كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع[٦].

= وأصله: يسري. وبالياء: قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر وصلًا. وابن كثير، ويعقوب: وصلًا ووقفًا.

(١) قوله: (وجواب القسم...). أي: الأقسام الخمسة.

(٢) وقوله: (لتعذبنّ). ذكره البيضاوي أيضًا.

(٣) قوله: (تعلم...). أفاد أن الرؤية هنا علمية، والخطاب للنبي ﷺ، وجملة ﴿كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ...﴾ سدت مسد المفعولين. و﴿كَيۡفَ﴾: اسم استفهام، إما في محل نصب مفعول مطلق بمعنى: أيّ فعلٍ فعل ربك. أو حال.

(٤) قوله: (هي عاد). نقل ابن كثير وغيره عن ابن إسحٰق: «أن «إرم» اسم لأبي عاد، فهو قبيلة عاد، أولاد عاد بن إرم بن عوض بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ». وقيل: هو إرم بن سام بن نوح، وقيل: هو سام بن نوح. كما يعلم من نقل القرطبي. والقول بأنه جد عاد مروي عن قتادة.

(٥) قوله: (أي: الطول...). هذا المعنى مروي عن ابن عباس وغيره، وقال الضحاك: «الشدة»، وقيل: الأبنية المرفوعة، وقيل: عَمود الخيام؛ لأنهم كانوا ينتقلون بأبياتهم للانتجاع.

(٦) وقول المفسر: (كان طول الطويل...). عزي إلى ابن عباس نحوه، وعن ابن عباس أيضًا: «سبعين ذراعًا»، وعن قتادة: «اثنا عشر ذراعًا»، ولعل تحديد طولهم لم يثبت بنقلٍ صحيح. والله أعلم.

(٨)- ﴿ٱلَّتِي [١] لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ (٨)﴾ في بطشهم وقوتهم.

(٩)- ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ﴾ قطعوا ﴿ٱلصَّخۡرَ﴾ جمع صخرة، واتخذوها بيوتًا ﴿بِٱلۡوَادِ (٩)﴾ وادي القرى [٢].

(١٠)- ﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ (١٠)﴾ كان يَتِدُ أربعة أوتادٍ [٣] يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه.

(١١)- ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ﴾ تجبروا ﴿فِي ٱلۡبِلَٰدِ (١١)﴾.

(١٢)- ﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ (١٢)﴾ القتل وغيره.

(١٣)- ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ﴾ نوع [٤] ﴿عَذَابٍ (١٣)﴾.

(١٤)- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ (١٤)﴾ يرصد أعمال العباد، فلا يفوته منها شيء ليجازيهم عليها.

---

(١) ﴿ٱلَّتِي﴾. نعت لـ﴿إِرَمَ﴾. ونقل عن ابن زيد: «أنه نعت لـ﴿ٱلۡعِمَادِ﴾»، وضعفه ابن جرير؛ لأن العماد مذكر، كما ضعفه ابن كثير؛ لأنه لو كان المراد العماد لقيل: (لم يُعمل مثلها)، والله أعلم.

(٢) قوله: (وادي القرى). معروف باسم «مدائن صالح» تبعد عن المدينة المنورة بأربعمائة كيلو بطريق تبوك، وقد تقدم ذكر ذلك.

(٣) قوله: (كان يتد...). هذا المعنى مروي عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وقال ابن عباس: «الأوتاد هنا بمعنى: الجنود الذين يشدون له أمره»، وعن قتادة: «أوتاد: أعمدة يتخذونها مظال وملاعب يلعب تحتها».

(٤) قوله: (نوع). هذا المعنى نقل عن الفراء كما في القرطبي. قال: «وهي كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب، وأصل ذلك: أن السوط هو عذابهم الذي يعذبون به، فجرى لكل عذاب إذْ كان فيه عندهم غاية العذاب».اهـ. وعند البلاغيين في الكلام استعارة مكنية وتخييلية، حيث شبه العذاب بالماء المصبوب وأسند إلى السوط، والسوط استعارة عن العذاب. والله أعلم.

(١٥) - ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الكافر[١] ﴿إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ﴾ اختبره ﴿رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ﴾ بالمال وغيره ﴿وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ (١٥)﴾[٢].

(١٦) - ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ (١٦)﴾.

(١٧) - ﴿كَلَّاۖ﴾ ردع، أي: ليس الإكرام بالغنى والإهانة بالفقر[٣]، وإنما هو بالطاعة والمعصية، وكفار مكة لا ينتبهون لذلك ﴿بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ (١٧)﴾ لا يحسنون إليه مع غناهم[٤]، أو لا يعطونه حقه من الميراث.

(١٨) - ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ﴾ أنفسهم ولا غيرهم ﴿عَلَىٰ طَعَامِ﴾ أي: إطعام ﴿ٱلۡمِسۡكِينِ (١٨)﴾[٥].

(١٩) - ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ الميراث[٦] ﴿أَكۡلٗا لَّمّٗا (١٩)﴾ أي: شديدًا[٧]، لِلَمِّهم[٨]

---

(١) قوله: (الكافر). كذا ذكره القرطبي وغيره أيضًا؛ لأن المذكور في الآيتين من صفات الكفار.

(٢) وقوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ (١٥)﴾. أي: يفرح بذلك ولا يشكر على النعمة. ذكره القرطبي. والنون في ﴿أَكۡرَمَنِ﴾ نون الوقاية، حذفت بعدها ياء المتكلم، وكذلك ﴿أَهَٰنَنِ﴾.

(٣) قوله: (أي: ليس الإكرام...). وبمثله فسر ابن كثير وغيره.

(٤) قوله: (لا يحسنون...). قال القرطبي: «هذا إخبار عما كانوا يصنعونه من منع اليتيم الميراث، وأكل ماله إسرافًا وبدارًا أن يكبروا».اهـ.

(٥) قوله: (أي: إطعام...). على هذا يكون اسم مصدر لـ«أطعم»، و﴿تَحَٰٓضُّونَ﴾ على القراءة بالتاء حذفت منه إحدى التاءين أصله: تتحاضون، من باب «تفاعل» من الحضّ.

(٦) قوله: (الميراث). التُّراث أصله: الوُراث بالواو؛ لأنه من: ورِث يرِثُ، قلبت الواو تاءً كما في: تُجاه، وتُخمة، كما قاله أهل اللغة.

(٧) وقوله: (أي: شديدًا). وبه فسر ابن عباس، وفسر به كذلك ابن جرير وغيره.

(٨) وقول المفسر: (لِلَمِّهم). اللام الأولى: حرف جر. و«لمّهم» مجرور مضاف ومضاف إليه، =

نصيب النساء والصبيان من الميراث مع نصيبهم منه، أو مع مالهم.

(٢٠)- ﴿وَيُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ أي: كثيرًا[١]، فلا ينفقونه. وفي قراءة: بالفوقانية في الأفعال الأربعة[٢].

(٢١)- ﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن ذلك ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾[٣] زلزلت حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم.

(٢٢)- ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره[٤] ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ أي: الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ حال، أي: مصطفين[٥]، أو ذوي صفوف كثيرة.

= وذلك واضح، والمراد به بيان وجه نعت الأكل باللم. وأصل اللم: الجمع، يقال: لممتُ الشيء، ألُمُّه لمًّا. إذا جمعته.

(١) قوله: (كثيرًا). الجم: الكثير. و﴿لَّمًّا﴾ و﴿جَمًّا﴾ نعتان.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). هنا ثلاث قراءات:

١- ﴿تُكْرِمُونَ﴾، ﴿وَلَا تَحُضُّونَ﴾، ﴿وَتَأْكُلُونَ﴾، ﴿وَتُحِبُّونَ﴾: قراءة نافع، وابن كثير، وابن عامر.

٢- ﴿يُكْرِمُونَ﴾، ﴿وَلَا يَحُضُّونَ﴾، ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾، ﴿وَيُحِبُّونَ﴾: قراءة أبي عمرو، وعلى ذلك جرى المفسر.

٣- ﴿تُكْرِمُونَ﴾، ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ﴾، ﴿وَتَأْكُلُونَ﴾، ﴿وَتُحِبُّونَ﴾: قراءة الباقين.

(٣) ﴿دَكًّا دَكًّا﴾. ﴿دَكًّا﴾ الأول مفعول مطلق، والثاني، قيل: إنه تأكيد لفظي، واختار أبو حيان وغيره أنه لإفادة التكرار، فهومفعول مطلق آخر، وليس توكيدًا للأول؛ لأن التوكيد لا يفيد معنى آخر. واختاره ابن هشام في «قطر الندى»، كأن المعنى: دكًّا بعد دكّ.

(٤) قوله: (أي: أمره). أشار إلى تقدير مضاف، وبه فسر القرطبي، وعزاه إلى الحسن، وهذا المعنى وإن كان صحيحًا في نفسه لكن الذي فسر به ابن جرير، وابن كثير وغيرهما أن المراد بالمجيء هنا هو مجيئه تعالى لفصل القضاء، كما يليق به، وأورد ابن جرير في ذلك الحديث الطويل الذي فيه تفاصيل أحوال يوم القيامة.

(٥) قوله: (أي: مصطفين). أفاد أن ﴿صَفًّا﴾ مصدر وقع حالًا، إما بتأويل المصدر بمعنى: =

(٢٣)- ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ تقاد بسبعين ألف زمام(١)، كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك لها زفير وتغيظ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من «إِذَا»، وجوابها: ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: الكافر ما فرط فيه ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ (٢٣)﴾ استفهام(٢) بمعنى: النفي، أي: لا ينفعه تذكره ذلك.

(٢٤)- ﴿يَقُولُ﴾ مع تذكره ﴿يَٰ﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِى قَدَّمْتُ﴾ الخير والإيمان ﴿لِحَيَاتِى (٢٤)﴾ الطيبة في الآخرة(٣)، أو وقت حياتي في الدنيا(٤).

(٢٥)- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ﴾ بكسر الذال(٥) ﴿عَذَابَهُۥ﴾ أي: الله ﴿أَحَدٌ (٢٥)﴾ أي: لا يكله إلى غيره.

= اسم الفاعل، أو بتقدير المضاف، و﴿صَفًّا﴾ الثاني قيل توكيد، وقيل: حال أخرى، كما اختاره ابن هشام وغيره؛ لأن المعنى: صفًّا بعد صفٍّ.

(١) قوله: (تقاد...). رواه ابن جرير عن ابن مسعود، وأبي وائل. وتقدم في تفسير سورة الفرقان وغيره تفصيل ذلك.

(٢) قوله: (استفهام). فهي هنا: استفهامية، بمعنى: من أين، وتأتي بمعنى: كيف، نحو: ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْۖ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، كما أنها تستعمل شرطية.

(٣) قوله: (الطيبة في الآخرة). على هذا تكون اللام للتعليل، أي: لأجل الحياة الطيبة.

(٤) وقوله: (أو وقت حياتي). على هذا يكون المراد بالحياة الحياة الدنيا، واللام بمعنى: في. ذكر الوجهين القرطبي.

(٥) قوله: (بكسر الذال...). قرأ الكسائي، ويعقوب: بفتح الذال والثاء في الفعلين: ﴿يُعَذَّبُ﴾ و﴿يُوثَقُ﴾. والمعنى كما ذكر المفسر. وقرأ الباقون: بكسر الذال والثاء؛ فالمعنى: لا يعذب كعذاب الله أحد، ولا يوثق كوثاقه أحد. ذكره القرطبي، وعزاه إلى ابن عباس، والحسن، أو المعنى كما قال المفسر: (لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه إذ الأمر كله له). ذكره البيضاوي.

﴿٢٦﴾- ﴿وَ﴾ كذا ﴿لَا يُوثِقُ﴾ بكسر الثاء ﴿وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴿٢٦﴾﴾ وفي قراءة: بفتح الذال والثاء، فضمير «عَذَابَهُۥٓ» و«وَثَاقَهُۥٓ» للكافر، والمعنى: لا يعذب أحد مثل تعذيبه، ولا يوثق مثل إيثاقه.

﴿٢٧﴾- ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴿٢٧﴾﴾ الآمنة[١]، وهي المؤمنة.

﴿٢٨﴾- ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾[٢] يقال لها ذلك عند الموت[٣]، أي: ارجعي إلى أمره وإرادته ﴿رَاضِيَةً﴾ بالثواب ﴿مَّرۡضِيَّةً﴿٢٨﴾﴾ عند الله بعملك، أي: جامعة بين الوصفَين، وهما حالان. ويقال لها في القيامة[٤]:

﴿٢٩﴾- ﴿فَٱدۡخُلِي فِي﴾ جملة ﴿عِبَٰدِي﴿٢٩﴾﴾ الصالحين.

﴿٣٠﴾- ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴿٣٠﴾﴾ معهم.

❁❁❁

---

(١) قوله: (الآمنة). فسرت ﴿ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ بتفاسير متقاربة ومتلازمة، فعن ابن عباس: «أي: المطمئنة بثواب الله»، وعنه: «المؤمنة»، وعن الحسن: «المؤمنة الموقنة»، وعن مجاهد: «الراضية بقضاء الله»، وعن مقاتل: «الآمنة من عذاب الله»، وقيل غير ذلك، فصلها القرطبي.

(٢) قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكِ﴾. أي: إلى جواره وثوابه، وما أعد لعباده في الجنة.اهـ. فالمراد بالرب هو الله تعالى. وروى ابن جرير، عن ابن عباس وغيره: «المراد بالرب: صاحب الأرواح، أي: الأجساد»، قال الضحاك في تفسير الآية: «يأمر الله الأرواح يوم القيامة أن ترجع إلى الأجساد فيأتون كما خلقهم أول مرة».اهـ. وهذا المعنى لا يناسب كون الخطاب للنفس المؤمنة؛ لأنه عام لجميع الأرواح.

(٣) قوله: (يقال لها عند الموت:...). قال ابن كثير: «هذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضًا».

(٤) وما ذكر المفسر من أن ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ يقال عند الموت، و﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴿٢٩﴾﴾ يوم القيامة، هذا مروي عن أبي صالح، كما في ابن جرير.

٩٠- سورة البلد

مكية[(١)]، وآياتها عشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿لَآ﴾ زائدة[(٢)] ﴿أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ (١)﴾ مكة[(٣)].

(٢)- ﴿وَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿حِلٌّ﴾ حلال ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ (٢)﴾ بأن يحل لك[(٤)]، فتقاتل فيه، وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح، فالجملة اعتراضية بين المقسم به وما عطف عليه[(٥)]:

---

(١) قوله: (مكية). بلا خلاف ينقل.

(٢) قوله: (زائدة). أي: إعرابًا ومؤكدة معنًى. ومشى على ذلك ابن جرير، وجماهير المفسرين؛ لأن الله تعالى أقسم بهذا البلد في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ (٣)﴾ [التين: ٣]، فلا يناسب نفي القسم، ونقل القرطبي عن القشيري: «﴿لَآ﴾ هنا نافية لكلام مفهوم من السورة، أي: ليس الأمر كما يحسبه الإنسان من أن لن نقدر عليه، ثم أقسم ﴿أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ (١)﴾»، ونقل ابن كثير عن مجاهد مثله.

(٣) وقوله: (مكة). باتفاق المفسرين.

(٤) قوله: (بأن يحل لك...). وبنحو ذلك فسر الآية عامة المفسرين، كما روى عن ابن عباس، وابن جبير، وأبي صالح، وقتادة وغيرهم. ففي الحديث المتفق عليه: «**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السمٰوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شجره، ولا يختلى خلاه، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب**».اهـ. وكان ذلك يوم فتح مكة، فقتل يومئذ ابن خطل صبرًا، وغيره. [«فتح البخاري» (٤/ ٥٦)].

(٥) قوله: (فالجملة اعتراضية). أي: جملة ﴿وَأَنتَ حِلٌّ﴾، وعلى هذا ليس في محل إعراب، ذهب إلى ذلك الزمخشري، وذهب أبو حيان إلى إعرابها حالًا، فالواو حالية، أقسم بالبلد حال =

﴿٣﴾- ﴿وَوَالِدٍ﴾ آدم[١] ﴿وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾ أي: ذريته، و«مَا» بمعنى: مَن.

﴿٤﴾- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: الجنس ﴿فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ نصب وشدة، يكابد[٢] مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

﴿٥﴾- ﴿أَيَحْسَبُ﴾ أيظن الإنسان: قويّ قريش[٣]، وهو أبو الأشدَّيْنِ كَلَدَةُ بقوته ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة[٤]، واسمها محذوف، أي: أنه ﴿لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾ والله قادر عليه.

﴿٦﴾- ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ على عداوة محمد ﴿مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾﴾ كثيرًا[٥]، بعضه على بعض.

= إحلاله للنبي ﷺ زيادة للتعظيم، ويمكن أن يراد بـ﴿حِلٌّ﴾: أنت نازل به، كما يعلم من البيضاوي، فقيد البلد بحال وجوده ﷺ، ففي ذلك زيادة تكريم للبلد. والله أعلم.

(١) قوله: (آدم). ما قاله المفسر مروي عن مجاهد، وقتادة، والضحاك، والحسن، وأبي صالح، أقسم بهم؛ لأنهم أعجب خلق الله لما فيهم من النطق، وفيهم أنبياء، وعن ابن عباس رواية: «﴿وَوَالِدٍ﴾ أي: الذي يولد له، ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أي: العاقر»، على أن ﴿مَا﴾ نافية، وبتقدير اسم موصول، أي: والذي ما ولد. وعن عطية العوفي: «هو عام في كل والدٍ وكل مولود»، اختاره ابن جرير؛ لعموم اللفظ.

(٢) قوله: (يكابد). روي معناه عن ابن عباس، وقتادة، وغيرهما، واختاره ابن جرير، وروي عن ابن عباس أيضًا، وعن عكرمة: «﴿فِى كَبَدٍ﴾ أي: في انتصاب القامة».

(٣) قوله: (قويّ قريش). أشار إلى أن الآية نزلت فيه. أي: أبي الأشدّينِ كلدة، وهو رجل من بني جُمح، وكان شديدًا، يُدعى أبا الأشدَّين، كما ذكره ابن جرير. فيكون «أل» في ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ عهدية، وعُزِي القول به إلى ابن عباس. وذكره ابن جرير بدون عزو.

(٤) وقوله: (مخففة من الثقيلة). كما تقدم نظائرها.

(٥) قوله: (كثيرًا). روي عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وغيرهم، وهو جمع «لُبْدَة» على وزن «فُعْلَة»، بمعنى: اسم الفاعل للمبالغة، من: لَبِدَ، يَلْبَدُ.

(٧) - ﴿أَيَحۡسَبُ أَن﴾ أي: أنه ﴿لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ٧﴾ فيما أنفقه فيعلم قدره والله عالم بقدره، وأنه ليس مما يتكبر به[١]، ومجازيه على فعله السيء[٢].

(٨) - ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل﴾ استفهام تقرير[٣]، أي: جعلنا ﴿لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨﴾.

(٩) - ﴿وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩﴾.

(١٠) - ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾ بيّنا له طريق الخير والشر[٤].

(١١) - ﴿فَلَا﴾ فهلا[٥] ﴿ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١﴾[٦] جاوزها.

---

(١) قوله: (وأنه ليس...). معطوف على (قدره)، أي: الله عالم بذلك. وفي بعض النسخ: (مما يتكثر به).

(٢) وقوله: (ومجازيه). معطوف على (عالم)، أي: الله مجازيه على فعله السيء.

(٣) قوله: (تقرير). وذلك أن الاستفهام للإنكار دخل على النفي، ونفي النفي إثبات، فمآل الاستفهام يكون تقريرًا، وقد سبق نظائره.

(٤) قوله: (طريق الخير والشر). هذا المعنى مروي عن ابن عباس، وابن مسعود، ومجاهد، والضحاك، وغيرهم، وفي رواية عن ابن عباس: «النجدان: الثديان، هما طريقا ارتضاع الولد»، وروي هذا عن عكرمة، وابن المسيب، واختار ابن جرير المعنى الأول، وضعّف المعنى الثاني؛ لأن المعنى الأول هو الموافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ [الإنسان: ٣].

(٥) قوله: (فهلا). أشار إلى أن ﴿لَا﴾ هنا حرف تحضيض، بمعنى: هلّا، وكذلك فسر القرطبي حيث قال: «فهلا أنفق ماله الذي يزعم أنه أنفقه في عداوة محمد، هلا أنفقه لاقتحام العقبة فيأمن».اهـ. ويؤيد هذا المعنى ما روي عن ابن زيد، قال: «أفلا سلك الطريق التي منها النجاة والخير».اهـ. ولكن مجيء «لا» للتحضيض غير معروف، وإن كان المعنى صحيحًا هنا، ولذا أعرب الزمخشري وغيره أن «لا» نافية، و«لا» النافية الداخلة على الماضي تأتي متكررة عادة، كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ٣١﴾ [القيامة: ٣١]، وههنا ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾، وما بعده في قوة المنفيّ.

(٦) و﴿ٱلۡعَقَبَةَ﴾ في الأصل: الطريق الصعب في الجبل، واقتحامها مجاوزتها، وإطلاق العقبة يكون استعارة، وذكر الاقتحام ترشيح؛ لأنه مما يلائم المستعار منه. والله أعلم.

﴿١٢﴾- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾[١] أعلمك ﴿مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢﴾ التي يقتحمها؛ تعظيمًا لشأنها، والجملة اعتراض، وبيّن سبب جوازها بقوله:

﴿١٣﴾- ﴿فَكَّ رَقَبَةً ١٣﴾[٢] من الرق، بأن أعتقها.

﴿١٤﴾- ﴿أَوۡ أَطۡعَمَ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤﴾ مجاعة[٣].

﴿١٥﴾- ﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥﴾ قرابة.

﴿١٦﴾- ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦﴾ أي: لصوق بالتراب لفقره، وفي قراءة: بدل الفعلين مصدران مرفوعان، مضاف الأول لـ«رَقَبَةٍ»، وينون الثاني فيقدر قبل «ٱلۡعَقَبَةَ» «اقتحام»[٤]، والقراءة المذكورة بيانه[٥].

---

(١) ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾. تقدم هذا التركيب، «أدرى» له ثلاثة مفاعيل: الأول: الكاف، وجملة ﴿مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ سدت مسد المفعول الثاني والثالث.

(٢) ﴿فَكَّ رَقَبَةً ١٣﴾. ﴿فَكَّ﴾: فعل ماضٍ، و﴿رَقَبَةً﴾ مفعول به، وهذه قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، والكسائي. والمفسر يجري على قراءة أبي عمرو في الأغلب، وعلى هذا يكون ﴿فَكَّ رَقَبَةً﴾ بدلًا من ﴿ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾، ويكون المعنى: فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة. وقرأ الباقون: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣﴾ بإضافة ﴿فَكُّ﴾ إلى ﴿رَقَبَةٍ﴾، فهو مصدر، كما سيذكر المفسر، فهو خبر لمبتدأ محذوف، أي: وهو، ويقدر مضاف قبل ﴿ٱلۡعَقَبَةَ﴾، أي: وما أدراك ما اقتحام العقبة، وهو فك رقبة. كما سيذكره المفسر، وذلك ليطابق المبتدأ والخبر في المعنى، فقول المفسر فيما يأتي: (وفي قراءة: بدل الفعلين) يعني: بدل «فكَّ» و«أطعم» مصدرهما: ﴿فَكُّ﴾ و﴿إِطۡعَٰمٌ﴾.

(٣) وقوله: (مجاعة). المسغبة مصدر ميميّ بمعنى: الجوع، والسغَب: الجوع، والساغب: الجائع، كما قال القرطبي. وكذلك المقربة: مصدر ميمي بمعنى: القرابة، والمتربة: كذلك مصدر ميمي، وتفسيرها باللصوق بالتراب، مروي عن ابن عباس وغيره.

(٤) وقول المفسر: (فيقدر قبل ﴿ٱلۡعَقَبَةَ﴾: اقتحام). أي: ليطابق المبتدأ والخبر كما ذكرنا.

(٥) وقوله: (بيانه). أي: بيان لاقتحام العقبة، وتوضيح له.

(١٧) - ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ عطف على «ٱقْتَحَمَ»، و«ثُمَّ» للترتيب الذكري[١]، والمعنى: كان وقت الاقتحام ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟﴾ أوصى بعضهم بعضًا ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ الرحمة على الخلق.

(١٨) - ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ اليمين[٢].

(١٩) - ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾﴾ الشمال.

(٢٠) - ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ بالهمزة والواو بدلَه[٣]، مطبقة.

❁❁❁

(١) قوله: (للترتيب الذكري). أي: ليس للترتيب الزماني؛ لأن الإيمان يشترط كونه متقدمًا على الأعمال حتى تقبل، فيكون ﴿ثُمَّ﴾ هنا للترتيب الذكري. قال القرطبي: «فإن شرط قبول الطاعات الإيمان بالله، فالإيمان بالله بعد الإنفاق لا ينفع -أي لا يؤجر على الإنفاق- بل يجب أن تكون الطاعة مصحوبة بالإيمان».اهـ.

(٢) قوله: (اليمين). قال ابن جرير: «أي: الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنة، وأصحاب المشأمة، هم أصحاب الشمال يوم القيامة».اهـ. وقد تقدم ذكر أصحاب اليمين وأصحاب الشمال في سورة الواقعة وتفسيرهما.

(٣) قوله: (بالهمزة). قرأ أبو عمرو، وحفص، وحمزة، ويعقوب، وخلف: بالهمزة. والباقون: بالواو. وهما لغتان، من الإصاد، والوِصاد، يقال: آصدتُ الباب، وأوصدته، أي: أغلقته، كما ذكره القرطبي. واسم المفعول من الأول: «مؤصدة» بالهمزة، ومن الثاني: «موصدة» بالواو، وذلك واضح.

٩١- سورة الشمس

مكية[١]، وآياتها خمس عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ١﴾ ضوئها[٢].

(٢)- ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢﴾ تبعها طالعًا عند غروبها[٣].

(٣)- ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣﴾ بارتفاعه[٤].

(٤)- ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ٤﴾ يغطيها بظلمته، و«إِذَا» في الثلاثة لمجرد الظرفية[٥]، والعامل فيها فعل القسم[٦].

---

(١) قوله: (مكية). بغير خلاف ينقل.

(٢) قوله: (ضوئها). روي ذلك عن مجاهد، وقال قتادة: «بهائها»، والسدي: «حرّها».

(٣) قوله: (عند غروبها). أي: غروب الشمس، وذلك في نصف الشهر، كما قاله ابن زيد، وكذلك الهلال يتلو الشمس في الغروب في أول الشهر، كما نقله القرطبي عن ابن زيد.

(٤) قوله: (بارتفاعه). أي: ارتفاع النهار، والضمير المنصوب في ﴿جَلَّىٰهَا﴾ إلى الشمس. أي: كشف النهارُ الشمسَ. وقيل: إلى الأرض، وقيل: إلى ما في الأرض، وإن لم يجر لها ذكر لكنها معلومة من السياق، كما يعلم من البيضاوي، والقرطبي، وغيرهما.

(٥) قوله: (و﴿إِذَا﴾ في الثلاثة...). أي: المواضع الثلاثة لمجرد الظرفية، يعني: أنه ليس فيها معنى الشرط، فلا تحتاج إلى الجواب.

(٦) وقوله: (والعامل فيها...). أي: العامل في الظرف أي: ﴿إِذَا﴾ فعل القسم المحذوف، فكأن المعنى: أقسم بالقمر وقت تلوّها، وبالنظر الدقيق يكون هذا الظرف في محل نصب حالًا من ﴿ٱلْقَمَرِ﴾، والمعنى: أقسم بالقمر حال كونه كائنًا وقت تلوّها. وكذلك الموضعان الباقيان. والله أعلم.

(٥) - ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا (٥)﴾.

(٦) - ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا (٦)﴾ بسطها.

(٧) - ﴿وَنَفْسٍ﴾ بمعنى: نفوس[1] ﴿وَمَا سَوَّىٰهَا (٧)﴾ في الخلقة، و«مَا» في الثلاثة مصدرية[2]، أو بمعنى: من.

(٨) -[3] ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (٨)﴾ بين لها طريق الخير والشر، وأخّر التقوى رعاية لرؤوس الآي، وجواب القسم:

(٩) - ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ حذفت منه اللام لطول الكلام[4] ﴿مَن زَكَّىٰهَا (٩)﴾ طهرها من الذنوب.

---

(١) قوله: (بمعنى: نفوس). أي: أن التنوين في ﴿وَنَفْسٍ﴾ للتكثير. كما ذكره البيضاوي.

(٢) وقوله: (مصدرية). أي: فيكون المعنى: والسماء وبنائها. وعلى هذا يكون الضمير المستتر في ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ عائدًا إلى غير مذكور لكنه معلوم من السياق، وهو الله تعالى.

(٣) هذه الآية مما تدل على القدر والقضاء، وأن الخير والشر كله مقدر، وفيما رواه ابن جرير: «إن رجلًا من مزينة أو جهينة أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأكدت به عليهم الحجة؟ قال: «**في شيء قد قضي عليهم**»، قال: ففيم العمل؟ قال: «**من كان خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه لها، وتصديق ذلك في كتاب الله:** ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (٨)﴾». اهـ. ونحوه في «صحيح مسلم».

(٤) قوله: (حذفت منه...). ومثله في البيضاوي وغيره. والمراد: أن هذه الجملة ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ جواب القسم؛ فالأصل فيها دخول اللام «لقد...»، ولكن حذفت اللام هنا لوجود الفصل بين القسم وبين هذا الجواب، فكأنّ هذا الكلام مستأنف، وهذا أحد الوجهين، والوجه الثاني أن جواب القسم محذوف تقديره: «لتبعثنّ» أو نحو ذلك، فلا إشكال في حذف اللام.

﴿١٠﴾ - ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ أخفاها بالمعصية(١). وأصله: دسَّسها، أبدلت السين الثانية ألفًا تخفيفًا.

﴿١١﴾ - ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رسولها صالحًا ﴿بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾﴾ بسبب طغيانها(٢).

﴿١٢﴾ - ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ أسرع ﴿أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾، واسمه قدار(٣)، إلى عقر الناقة برضاهم.

﴿١٣﴾ - ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ صالح ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾(٤) أي: ذروها ﴿وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾﴾ شربها في يومها. وكان لها يوم ولهم يوم.

﴿١٤﴾ - ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في قوله ذلك عن الله المرتب عليه نزول العذاب بهم إن خالفوه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ قتلوها ليسلم لهم ماء شربها ﴿فَدَمْدَمَ﴾ أطبق(٥)

---

(١) قوله: (أخفاها). قال القرطبي: «والأصل: دسّسها، من التدسيس، وهو إخفاء الشيء، فأبدلت سينه ياءً كما يقال: قصيت أظفاري، وأصله: قصصت أظفاري».اهـ.

تنبيه: ظاهر كلام المفسر أن الضمير المستتر في ﴿زَكَّىٰهَا﴾ و﴿دَسَّىٰهَا﴾ راجع إلى ﴿مَن﴾ الموصولة. وعزا القرطبي هذا إلى قتادة وغيره، ولكن روى ابن جرير عن ابن عباس وغيره: «قد أفلح من زكّى الله نفسه، وقد خاب من دس الله نفسه فأضله...».اهـ. أي: فالضمير المستتر راجع إلى الله سبحانه، فيكون مطابقًا لقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾. والله أعلم.

(٢) قوله: (بسبب طغيانها). على هذا يكون المراد بالطغوى: الطغيان والعصيان، كما روي نحوه عن مجاهد، وابن زيد. وروي عن ابن عباس: «أن المراد بالطغوى: العذاب الذي جاءهم».

(٣) قوله: (واسمه قدار). كما تقدم قصتهم في مواضع.

(٤) ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾. منصوب على التحذير.

(٥) قوله: (أطبق). قال القرطبي: «حقيقة الدمدمة: تضعيف العذاب وترديده، يقال: دممت على الشيء، أي: أطبقت عليه، ودمدم عليه القبر: أطبقه».اهـ.

﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ العذاب ﴿بِذَنبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾ أي: الدمدمة عليهم[١]، أي: عمَّهم بها، فلم يفلت منهم أحد.

﴿١٥﴾- ﴿وَلَا﴾ بالواو والفاء ﴿يَخَافُ﴾ تعالى[٢] ﴿عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾ تبعتها.

❀❀❀

---

(١) وقول المفسر: (أي: الدمدمة). أفاد أن الضمير يعود على الدمدمة المعروفة من ذكر الفعل، وبذلك فسر ابن جرير.

(٢) قوله: (تعالى). أفاد أن الضمير المستتر في ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ راجع إلى الحق تعالى. والمعنى: لا يخاف الله تعالى تبعةً ولا تعقيبًا، لا معقب لحكمه، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، وقتادة، والحسن. وروي عن الضحاك، والسدي: «لم يخف الذي عقرها عاقبة فعلته». والله أعلم.

٩٢- سورة الليل

مكية[(١)]، وآياتها إحدى وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ بظلمته كل ما بين السماء والأرض[(٢)].

(٢)- ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ تكشف وظهر. و«إِذَا» في الموضعين لمجرد الظرفية[(٣)]، والعامل فيها فعل القسم.

(٣)- ﴿وَمَا﴾ بمعنى: مَن[(٤)]، أو مصدرية ﴿خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ آدم وحواء[(٥)]، أو كل ذكر[(٦)] وكل أنثى، والخنثى المشكل[(٧)] عندنا ذَكَر أو أنثى عند الله تعالى

---

(١) قوله: (مكية). بلا خلاف ينقل.

(٢) قوله: (كل ما بين...). قدره ليكون مفعولًا به لـ﴿يَغۡشَىٰ﴾. وهذا أحد الوجوه ذكرها القرطبي. وقيل: يغشى النهار، وقيل: الأرض، وقيل: الخلائق.

(٣) قوله: (و﴿إِذَا﴾ في الموضعين...). الكلام في ذلك كما تقدم في السورة المتقدمة.

(٤) قوله: (بمعنى: مَن...) الوجهان فيها كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾ [الشمس: ٥].

(٥) وقوله: (آدم وحواء). هذا التفسير عزاه القرطبي إلى ابن عباس، والحسن، والكلبي. وعلى هذا تكون «أل» في ﴿ٱلذَّكَرَ﴾ و﴿ٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ عهدية.

(٦) وقوله: (أو كل ذكر...). ذكر القرطبي هذا القول بدون عزو، فتكون «أل» جنسية أو استغراقية.

(٧) وقول المفسر: (والخنثى المشكل...). هذا جواب لإشكال.

حاصله: أن بين الذكر والأنثى قسمًا ثالثًا وهو الخنثى، ولم يذكر هنا.

والجواب: أن الخنثى في نفس الأمر إما ذكر وإما أنثى، وليس قسمًا ثالثًا، وإنما التبس علينا الأمر. والخنثى له علامة الذكر وعلامة الأنثى، فإذا اتضح بعض العلامات أكثر ألحق بذلك الجنس، وإلا يكون مُشْكِلًا. وذكر الفرضيون في قسمة الميراث له تفاصيل، يرجع فيها إلى كتب الفرائض.

فيحنث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكرًا ولا أنثى[١].

﴿٤﴾ - ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ عملكم ﴿لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾[٢] مختلف[٣]، فعامل للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية.

﴿٥﴾ - ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾[٤] حق الله ﴿وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾﴾ الله.

﴿٦﴾ - ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ أي: بـ«لا إله إلا الله» في الموضعين[٥].

﴿٧﴾ - ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ نهيئه ﴿لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ للجنة[٦].

﴿٨﴾ -[٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بحق الله ﴿وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ عن ثوابه.

---

(١) وقول المفسر: (فيحنث...) إلى آخره. تفريع فقهي على كون الخنثى ذكرًا أو أنثى في نفس الأمر. ومعنى يحنث، أي: يخالف ما حلف عليه. فتجب فيه كفارة اليمين. فقول المفسر: (من حلف). فاعل لـ(يحنث)، أي: من حلف أنه لا يتكلم ذكرًا ولا أنثى ثم تكلم خنثى، فإنه يحنث، فتلزمه كفارة اليمين.

(٢) ﴿لَشَتَّىٰ﴾. اللام للابتداء. و﴿شَتَّىٰ﴾ جمع شتيت. وجمع لاختلاف الفعل وتنوعه، فهو جمع في المعنى.

(٣) وقول المفسر: (مختلف). كذا ورد التفسير عن قتادة، ولعله جاء بصيغة المفرد المذكر: (مُختلف) نظرًا للفظ سعي. وإلا فإن ﴿شَتَّىٰ﴾ جمع: شتيت، كما تقدم، فيناسبه أن يقال: (مختلفة).

(٤) ﴿فَأَمَّا﴾. الفاء استئنافية.

(٥) قوله: (بـ«لا إله إلا الله»...). ورد التفسير به عن ابن عباس، والضحاك، وغيرهما. وعن ابن عباس رواية أخرى: «وصدق بالخَلَفِ من الله»، أي: خلف ما أنفق. وكذا ورد عن مجاهد، وعكرمة، وعن مجاهد أيضًا: «بالجنة».

(٦) قوله: (الجنة). فسر بها: زيد بن أسلم. وقال ابن جرير: «للخلة اليسرى».

(٧) في هذه الآية مع ما قبلها وما بعدها ما يسميه البلاغيون: المقابلة. وهي: ذكر أشياء ثم ذكر مقابل كل منها. كما تتضح بالتأمل في هذه الآيات.

(٩) - ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٩)﴾.

(١٠) - ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾ نهيئه[١] ﴿لِلۡعُسۡرَىٰ (١٠)﴾ للنار.

(١١) - ﴿وَمَا﴾ نافية ﴿يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ (١١)﴾ في النار[٢].

(١٢) - ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ (١٢)﴾ لتبيين طريق الحق من طريق الضلال ليمتثل أمرنا بسلوك الأول ونهيُنا عن ارتكاب الثاني[٣].

(١٣) - ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ (١٣)﴾ أي: الدنيا، فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ.

(١٤) - ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ﴾ خوفتكم يا أهل مكة ﴿نَارٗا تَلَظَّىٰ (١٤)﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل[٤]، وقرئ[٥]: «تَتَلَظَّىٰ» بثبوتها، أي: تتوقد.

---

(١) وقول المفسر: (نهيئه). بذلك فسر ابن جرير وغيره، وفيه إشارة إلى دفع إشكال.

حاصله: هل في العُسرى تيسير؟ نقل القرطبي الإشكال وجوابه عن الفراء.

قال ابن كثير: «والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عَزَّوَجَلَّ يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكُلٌّ بقدر مقدّر، والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة»، ثم أورد أحاديث، فمن ذلك ما رواه أحمد عن أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قلت لرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله! أنعمل على ما فرغ منه أو على أمرٍ مؤتنف؟ قال: «**بل على أمرٍ قد فرغ منه**»، قال: ففيم العمل يا رسول الله؟ قال: «**كل ميسر لما خُلق له**». [أحمد (١/ ٥)].

(٢) قوله: (في النار). روي هذا عن قتادة، وقال مجاهد وغيره: «﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾، أي: إذا مات».

(٣) قوله: (بسلوك الأول). أي: طريق الحق.

وقوله: (عن ارتكاب الثاني). أي: طريق الضلال، كما هو واضح.

(٤) قوله: (بحذف إحدى التاءين). هذا الحذف جائز، أي: إذا اجتمعت تاءان في أول مضارع باب «تفعّل، وتفاعل، وتفعلل». وتقدم له أمثلة.

(٥) وقوله: (وقرئ:...). أي: شذوذًا، عزاها القرطبي إلى عُبيد بن عمير، ويحيى بن يعمر، وطلحة بن مصرف.

﴿١٥﴾ - ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ يدخلها ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ بمعنى: الشقي[(١)].

﴿١٦﴾ - ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ النبي[(٢)] ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ عن الإيمان، وهذا الحصر مؤول[(٣)] لقوله تعالى: «وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ» [النساء: ٤٨]، فيكون المراد: الصلي المؤبد.

﴿١٧﴾ - ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ يبعد عنها ﴿ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ بمعنى: التقي[(٤)].

﴿١٨﴾ - ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ متزكيًا به عند الله تعالى بأن يخرجه لله تعالى، لا رياء ولا سمعة، فيكون زاكيًا عند الله، وهذا نزل في الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(٥)] لما

---

(١) قوله: (بمعنى: الشقي). أفاد أن اسم التفضيل ليس للتفضيل هنا. وبذلك فسر القرطبي وغيره؛ لأن دخول النار على كل شقي، أعاذنا الله منها.

(٢) قوله: (النبي). مفعول به لـ﴿كَذَّبَ﴾. وبمثله فسر القرطبي. وعن قتادة: «كذب بكتاب الله، وأعرض عن طاعة الله»، والتفسيران متلازمان.

(٣) قوله: (وهذا الحصر). حاصله: أن هذه الآية تفيد أن دخول النار خاص بالكفار، وقد ثبت أن بعض عصاة المؤمنين سيدخلونها، وكما يدل على ذلك مفهوم قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، أي: فمن لم يشأ الله له المغفرة فسيدخل النار لكن غير مؤبد. وعلى هذا يكون المراد بهذه الآية التخليد في النار، فهو خاص بالكفار، دون مجرد الدخول. أعاذنا الله منها. وهذا حاصل ما ذكره المفسر، وأشار القرطبي إلى هذا، وأوضح أنه يجاب به عن تمسك المرجئة بها على قولهم بأنه لا يدخلها إلا الكافر، وأجاب أيضًا بأن النار المخصوصة للكفار لا يدخلها المؤمنون؛ لأن للنار منازل.

(٤) قوله: (التقي). كما تقدم في ﴿ٱلْأَشْقَى﴾.

(٥) قوله: (وهذا نزل في الصديق...). نقله القرطبي عن ابن عباس، وروي عن ابن مسعود، وقتادة وغيرهما. قال ابن كثير: «حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، قال: ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها العموم، ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة...إلخ»اهـ.

اشترى بلالًا المعذب على إيمانه وأعتقه، فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليدٍ كانت له عنده[(١)]، فنزلت.

(١٩) - ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ (١٩)﴾[(٢)].

(٢٠) - ﴿إِلَّا﴾ لكن فعل ذلك[(٣)] ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ (٢٠)﴾ أي: طلب ثواب الله[(٤)].

(٢١) - ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)﴾ بما يعطاه من الثواب في الجنة. والآية تشمل مَن فعل مثل فعله رضي الله تعالى عنه[(٥)]، فيبعد عن النار ويثاب.

❊❊❊

(١) قوله: (ليد كانت عنده...). أي: مقابل نعمة من بلال إلى الصديق.

(٢) معنى الآية: ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفًا، وإنما فعل ذلك ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ (٢٠)﴾.اهـ. قاله ابن كثير.

(٣) قوله: (لكن...). أفاد أن الاستثناء منقطع. وتقدير المفسر: (لكن فعل ذلك). يفيد أن ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ منصوب على المفعول لأجله لفعل محذوف. ويحتمل كونه منصوبًا على الاستثناء المنقطع. وذكر المعربون هذين الوجهين.

(٤) وقول المفسر: (أي: طلب ثوابه). فيه تأويل صفة الوجه، وقد تقدم نظير ذلك، وقال ابن كثير: «أي: طمعًا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة».اهـ. فقد أوّل الوجه بالذات. ولا مانع أن يراد هنا الثواب مع إثبات صفة الوجه لله تعالى كما يليق به سبحانه، وذلك طبقًا للآية: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦٥].اهـ. وكلام الله يفسر بعضها ببعض. والله أعلم.

(٥) قوله: (والآية...). يعني: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما قال الأصوليون، وأشار ابن كثير إلى عموم هذه الآية. وإن كانت نزلت في الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما تقدم قريبًا.

٩٣- سورة الضحى

مكية[(١)]، وآياتها إحدى عشرة آية

ولما نزلت[(٢)] كبر ﷺ آخرها، فسنّ التكبير آخرها، وروي الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها، وهو: الله أكبر ولا إله إلا الله والله أكبر.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١﴾ أي: أول النهار أو كلّه[(٣)].

(٢)- ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ غطى بظلامه، أو سكن[(٤)].

---

(١) قوله: (مكية). أي: بلا خلاف ينقل.

(٢) قوله: (ولما نزلت...). استحباب التكبير بعد هذه السورة وما بعدها ثابت في رواية البزي عن ابن كثير القارئ، وقد رواه الحاكم في «المستدرك»، ورواه القارئ ابن كثير عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ: إذا بلغ آخر ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ كبر بين كل سورة تكبيرة إلى أن يختم القرآن، ولا يصل آخر السورة بتكبيرة، بل يفصل بينهما بسكتة.اهـ. وكأن المعنى في ذلك أن الوحي تأخر عن النبي ﷺ أيامًا، فقال ناس من المشركين: قد ودعه صاحبه وقلاه، فنزلت هذه السورة، فقال: الله أكبر.اهـ. من القرطبي.

(٣) قوله: (أول النهار...). قولان في تفسير «الضحى» هنا، ذكرهما البيضاوي وغيره. قال البيضاوي: «خصّ وقت الضحى؛ لأنه الوقت الذي كلم فيه موسى، وخرّ فيه السحرة سجّدًا، وهو وقت يقوى فيه النهار»، وعن قتادة: «المراد: النهار»، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٩٨﴾ [الأعراف: ٩٨]، أي: نهارًا.

(٤) قوله: (غطّى...). كذا تفسيران، فعن قتادة، ومجاهد، وابن زيد، وعكرمة: «سكن»، وعن الضحاك: «غطّى»، عن الحسن: «غشي بظلامه»، كذا عن ابن عباس.

﴿٣﴾- ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ تركك يا محمد ﴿رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ أبغضك، نزل هذا[١] لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يومًا: إن ربّه ودّعه وقلاه.

﴿٤﴾- ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ﴾ لما فيها من الكرامات لك ﴿مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ الدنيا.

﴿٥﴾- ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من الخيرات عطاءً جزيلًا[٢] ﴿فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ به، فقال ﷺ: «**إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار**»[٣]، إلى هنا تم جواب القسم بمثبتين بعد منفيين[٤].

---

(١) قوله: (نزل هذا...). روي هذا بسياق متقارب من طرق مختلفة، فقد رواه الشيخان، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، عن جندب بن عبدالله البجلي، وروى ابن جرير أيضًا عن عبدالله بن شدّاد: «أن خديجة قالت للنبي ﷺ: ما أرى ربك إلا قلاك، فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ﴾».اهـ. ولكن قول خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان على وجه الإشفاق، وقول المشركين كان على وجه السخرية. والله أعلم.

(٢) قوله: (عطاءً جزيلًا). المفعول به الثاني لـ﴿يُعْطِيكَ﴾.

(٣) قوله: (فقال ﷺ...). هذا الحديث لم يثبت مرفوعًا بهذا اللفظ، وروي نحوه موقوفًا عن ابن عباس، رواه الإمام السيوطي في «الدر المنثور»، ولكن يثبت معناه ما رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقول عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه، وقال: «**اللهم أمتي أمتي**»، وبكى، **فقال الله تعالى لجبريل: اذهب إلى محمد، وربك أعلم فسله ما يبكيك، فأتى جبريل النبي ﷺ فسأله فأخبره، فقال الله تعالى لجبريل: اذهب إلى محمد، فقل له: إن الله يقول لك: إنّا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك**». والله أعلم. نقله القرطبي.

(٤) قوله: (بمثبتين...). المثبتان: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ﴾ الآية. و﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ الآية. والمنفيان: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾، كما هو واضح.

﴿٦﴾- ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ﴾ استفهام تقرير[١]، أي: وجدك ﴿يَتِيمٗا﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك[٢]، أو بعدها ﴿فَـَٔاوَىٰ ٦﴾ بأن ضمك إلى عمك أبي طالب.

﴿٧﴾- ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا﴾ عما أنت عليه[٣] الآن من الشريعة ﴿فَهَدَىٰ ٧﴾ أي: هداك إليها.

﴿٨﴾- ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا﴾ فقيرًا ﴿فَأَغۡنَىٰ ٨﴾ أغناك بما قنعك به من الغنيمة وغيرها[٤]. وفي الحديث: «**ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس**».

---

(١) قوله: (تقرير). أي: الهمزة للإنكار دخلت على النفي، ونفي النفي إثبات، فيكون مآله إثباتًا، كما تقدم مرارًا.

(٢) قوله: (قبل ولادتك). هذا فيه إجمال واختصار، والتفصيل كما قال ابن كثير: «توفي أبوه وهو حمل في بطن أمه، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبدالمطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، فلم يزل يحفظه ويكفله، ولم يزل كذلك بعد البعثة، وهو لم يؤمن، إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فلما اشتد أذى قومه اختار الله له الهجرة، فآواه الأنصار ونصروه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كل ذلك من حفظه له».اهـ. ملخصًا من ابن كثير.

(٣) قوله: (عما أنت عليه). كما قال ابن جرير: «يقول: ووجدك على غير الذي أنت عليه اليوم».اهـ. أي: فالضلال هنا ليس بمعنى الكفر.

(٤) قوله: (أغناك بما قنعك). أشار به إلى أن الغنى غنى النفس، وليس بكثرة العرض، أي: متاع الدنيا، فإن النبي ﷺ لم يجمع من الدنيا، واستدل المفسر على ذلك بالحديث، والحديث متفق عليه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [«فتح الباري» (١١/ ٢٧٦)، مسلم (٢/ ٧٢٦)].

قال ابن كثير: «أي: كنت فقيرًا ذا عيال، فأغناك الله عمن سواه، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر».اهـ.

٩ - ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾[(١)] بأخذ ماله أو غير ذلك.

١٠ - ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ تزجره لفقره[(٢)].

١١ - ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ عليك بالنبوة وغيرها ﴿فَحَدِّثْ ۝١١﴾ أخبر. وحذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال رعاية للفواصل[(٣)].

❁❁❁

---

(١) ﴿فَأَمَّا﴾. الفاء: هي الفصيحة. و﴿ٱلْيَتِيمَ﴾ مفعول مقدم لـ﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾. والفاء في ﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾ جوابية لـ﴿فَأَمَّا﴾. والأصل أنه لا يتقدم على الفاء الجوابية معمول ما بعدها، ولكن جاز ذلك في «أما»؛ لأن الفاء كان موقعها عقب «أما»، فأخرت للزوم الفصل بين «أما» والفاء، فكأن ما قبلها متأخر عنها تقديرًا، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب «الاستثناء». وكذلك الكلام في الآيتين الأخيرتين وما شاكلهما.

(٢) قوله: (لفقره). أفاد المفسر أن هذه الآية في النهي عن نهر سائل المال، وبذلك فسر ابن جرير، والقرطبي وغيرهما. وكما هو ظاهر سياق الآية، وكما قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝١٩﴾ [الذاريات: ١٩]، ونقل القرطبي عن سفيان: «المراد بالسائل هنا السائل عن الدين»، وذكره ابن كثير. ولعل الآية تشملهما، وإن كان سياق الآية يدل على الأول، كما مشى عليه جمهور المفسرين، والله أعلم.

(٣) قوله: (في بعض الأفعال...). وهي ﴿قَلَىٰ﴾ ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾، ﴿فَهَدَىٰ﴾، ﴿فَأَغْنَىٰ﴾، والأصل: قلاكَ، فآواك، فهداك، فأغناك. والفواصل رؤوس الآي.

فائدة: روي عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾، قال: «بالقرآن»، وعنه قال: «بالنبوة»، أي: بلغ ما أرسلت به.اهـ. ذكره القرطبي. ومن هذا سمي الحديث حديثًا؛ لأن الأحاديث كلها من التحدث بنعمة الله تعالى عليه بالنبوة والإرسال، وقيل: الحديث ضد القديم، فالقرآن كان يوصف بالقديم، ومقابلُه: السنة سميت بالحديث؛ لحداثتها بالنسبة إلى القرآن، والله أعلم.

٩٤- سورة الشرح

مكية[١]، وآياتها ثمان آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ﴾ استفهام تقرير[٢]، أي: شرحنا ﴿لَكَ﴾ يا محمد ﴿صَدۡرَكَ (١)﴾ بالنبوة وغيرها.

(٢)- ﴿وَوَضَعۡنَا﴾ حططنا ﴿عَنكَ وِزۡرَكَ (٢)﴾[٣].

(٣)- ﴿ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ﴾ أثقل[٤] ﴿ظَهۡرَكَ (٣)﴾، وهذا كقوله تعالى[٥]: «لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ» [الفتح: ٢].

---

(١) قوله: (مكية). وقيل: مدنية. عزي إلى ابن عباس، كما في «إعراب القرآن» للدرويش.

(٢) قوله: (تقرير). كما تقدم في ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ ...﴾ [الضحى: ٦].

(٣) ﴿وِزۡرَكَ﴾. الوزر: الثقل. وفسر هنا بالذنب، كما رواه ابن جرير، عن مجاهد.

(٤) وقول المفسر: (أثقل). كذا فسره ابن جرير، وغيره. وأصل الإنقاض: صوت مثل النقر، كما في «المختار»، يقال: أنقض الحمل ظهر الناقة، إذا سمعت له صريرًا من شدة الحمل. قاله أبو حيان نقلًا عن أهل اللغة.اهـ.

(٥) وقوله: (وهذا كقوله تعالى:...). إشارة إلى أن ما ذكر هٰهنا لا ينافي عصمة الأنبياء، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ...﴾ [الفتح: ٢]. وكذلك فسر ابن كثير، وقد تقدم هناك شيء من التفصيل، نقل القرطبي عن قتادة، والحسن، والضحاك، ما يفيد أن المراد بالذنب ما كان في الجاهلية قبل النبوة من التعايش مع الكفار، والموافقة لهم في بعض أمورهم من أمر الجاهلية، مع تحريه ﷺ، وابتعاده عن الشرك بالله. والله أعلم.

الخلاصة: إن الله تعالى طهره وزكاه حتى أكرمه بالنبوة. ونقل القرطبي عن أبي عبيدة: «المعنى: خففنا عنك أعباء النبوة والقيام بها».

(٤) - ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤﴾ بأن تذكر(١) مع ذكري في الأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها.

(٥) - ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ﴾(٢) الشدة ﴿يُسۡرًا ٥﴾ سهولة.

---

(١) قوله: (بأن تذكر...). قال ابن عباس: «يقول له: لا ذُكِرتُ إلا ذُكِرتَ معي في الأذان، والإقامة، والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى، وأيام التشريق، ويوم عرفة، وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح، وفي مشارق الأرض ومغاربها... إلى آخره».اهـ.

وفي هذه الآية تشريف للنبي ﷺ، وردّ على المشركين الذين كانوا يقولون إن محمدًا فردٌ لا ولد له، فإذا مات انقطع ذكره. اهـ. نقله الشيخ الدرويش عن ابن خالويه.

(٢) ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥﴾. الفاء تعليل لمحذوف تقديره -والله أعلم- لا يحزنك ما عيروك به من الفقر وضيق الحال فإن مع العسر يسرًا. كما يعلم مما نقله القرطبي عن الجرجاني. وقيل: الفاء للعطف على محذوف، تقديره: خولناك ما خولناك فلا يخامرك اليأس، فإن مع العسر يسرًا...إلخ. ذكره الدرويش في كتابه «إعراب القرآن»، وعطف الجملة على الجملة يفيد التعليل غالبًا.

تنبيه: الآية التالية: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٦﴾ فيها وجهان:

الأول: أنها تأكيد للأولى.

والثاني: أنه يراد بالثانية غير الأولى. وذلك جريًا على القاعدة المشهورة: من أن المعرفة إذا أعيدت يراد بها الأولى نفسها والنكرة إذا أعيدت نكرةً يراد بها معنًى آخر، وإذا أعيدت معرفة يراد بها عين الأولى. مثلًا لو قلت: اشتريت كتابًا وبعت كتابًا، فالكتاب الثاني غير الأول، ولو قلت: وبعت الكتاب، فيراد به الأول نفسه، فهٰهنا ذكر ﴿ٱلۡعُسۡرِ﴾ معرفة مرتين فهما واحد، وذكر ﴿يُسۡرًا﴾ مرتين نكرةً، فهما شيئان، فيكون المعنى: فإن مع العسر يسرًا، إن مع العسر يسرًا آخر. فالأول الغنى في الدنيا، والثاني الثواب ويسر الآخرة. وعلى هذا يتضح معنى قول القائل: =

٦ - ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦﴾ والنبي ﷺ قاسى من الكفار شدة ثم حصل له اليسر بنصره عليهم.

٧ - ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ﴾ من الصلاة[1] ﴿فَٱنصَبۡ ٧﴾ اِتعب في الدعاء.

٨ - ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨﴾ تضرع.

❀❀❀

= إذا اشتدت بك البلوى ففكّــــر في ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ﴾

فعُســـر بين يُســرَيْـنِ إذا فكـــرته تشـــرح

ثم ليعلم أن هذه القاعدة المذكورة أغلبية، وقد فصلنا ذلك في كتاب «الاستثناءات». وتقدمت الإشارة إلى ذلك في مواضع.

(١) قوله: (من الصلاة). هذا التفسير مروي عن ابن عباس، وقتادة. قال ابن جرير ناقلًا: «اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك؛ فقال بعضهم: معناه: فإذا فرغت من صلاتك فانصب إلى ربك في الدعاء، وسله حاجتك». اهـ. ثم رواه عن ابن عباس وغيره.

وعن الحسن قال: «أمره إذا فرغ من غزوه أن يجتهد في الدعاء والعبادة»، وعن مجاهد: «إذا فرغت من أمر دنياك فانصب، أي: فصلِّ»،وقول الحسن يناسب القول بأن السورة مدنية؛ لأنه لم يشرع الجهاد قبل الهجرة.

والفاء في ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ﴾ استئنافية، أو عاطفة على مقدر. والفاء في ﴿فَٱنصَبۡ﴾ جوابية، أي: داخلة في جواب ﴿فَإِذَا﴾، وأما الفاء في ﴿فَٱرۡغَب﴾ فزائدة؛ لتوكيد تعلق الفعل بما قبله، ولأن هذه الجملة معطوفة على الأولى، أي: على الجملة الشرطية ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧﴾، فناسب دخول الفاء في الجملة المعطوفة، كما يعلم من كلام المعربين. والله أعلم.

٩٥- سورة التين

مكية أو مدنية(١)، وآياتها ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١)﴾ أي: المأكولين(٢)، أو جبلين بالشام يُنبتان المأكولين.

(٢)- ﴿وَطُورِ سِينِينَ (٢)﴾ الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى. ومعنى «سِينِينَ»(٣) المبارك، أو الحسن بالأشجار المثمرة.

---

(١) قوله: (مكية أو مدنية) جمهور المفسرين على أنها مكية، ولم أجد من عزي إليه القول بأنها مدنية، وأشار البيضاوي إلى القولين.

(٢) قوله: (أي: المأكولين). أي: التين الذي هو الثمر المعروف المأكول، والزيتون الثمر المعروف المأكول والمعصر منه الزيت. وهذا التفسير هو المشهور، والمروي عن أكثر الأئمة، ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وغيرهم. وروي عن قتادة: «أن التين: الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون الذي عليه بيت المقدس». وعن ابن زيد: «التين مسجد دمشق، والزيتون مسجد إيلياء»، أي: بيت المقدس. واختار ابن جرير القول الأول؛ لأنه المعروف عند العرب، قال: «إلا أن يراد القسم بمنابت التين ومنابت الزيتون، فيحتمل ذلك، وإن لم يكن على صحته دليل في ظاهر التنزيل».اهـ. ملخصًا. وقال ابن كثير: «قال بعض الأئمة: هذه مَحَالّ ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبيًّا مرسلًا من أولي العزم، أصحاب الشرائع، الأول محل التين والزيتون، وهو بيت المقدس، بعث الله فيها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، الثاني طور سينين الذي كلم الله فيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، الثالث مكة، وهي البلد الأمين الذي من دخله كان آمنًا، وهو الذي أرسل فيه محمدًا ﷺ».اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (ومعنى ﴿سِينِينَ﴾). نقله القرطبي عن مجاهد، قال: «﴿طُورِ﴾ جبل ﴿سِينِينَ﴾، قال: مبارك -بالسريانية-». وعن ابن عباس: «﴿طُورِ﴾: جبل، ﴿سِينِينَ﴾: حسن». وروى ابن جرير عن عكرمة: «﴿سِينِينَ﴾ هو الحسن وهي لغة الحبشية».

٣- ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ مكة[١]، لأمن الناس فيها جاهلية وإسلامًا.

٤- ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الجنس[٢] ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤﴾ تعديل لصورته.

٥- ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ﴾ في بعض أفراده[٣] ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ كناية عن الهرم والضعف، فينقص عمل المؤمن عن زمن الشباب، ويكون له أجره لقوله تعالى:

---

(١) قوله: (مكة). لا خلاف في ذلك. قاله ابن كثير.

وفي قول المفسر: (لأمن الناس...). إشارة إلى أن إسناد الأمن إلى البلد من المجاز العقلي. من إسناد معنى الفعل إلى المحل كما يقال: نهر جارٍ. والله أعلم.

(٢) قوله: (الجنس). أي: «أل» في ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ جنسية، وعلى هذا جرى أكثر المفسرين، وذكر القرطبي: «المراد بالإنسان: الكافر، قيل: الوليد بن المغيرة. وقيل: كلدة بن أسيد. وعلى هذا تكون السورة نزلت في منكري البعث. وذكر القول الأول أيضًا.

(٣) قوله: (في بعض أفراده). أي: يراد بالضمير هنا بعض أفراد الجنس، فيكون المعنى: رددنا بعض أفراد الإنسان إلى أسفل سافلين، وهو الهَرَم، وتفسيره بالهرم وأرذل العمر، مروي عن ابن عباس، وعكرمة، ومن المشهور قول عكرمة: «من جمع القرآن لم يُردَّ إلى أرذل العمر».اهـ. كما في ابن كثير. واختار هذا المعنى ابن جرير، فيكون معنى الاستثناء لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات تكتب لهم حسناتهم وتمحى عنهم سيئاتهم ويجري لهم أجر ذلك العمل حتى الموت. روي نحوه عن ابن عباس، وإلى ذلك أشار المفسر. والاستثناء على هذا منقطع؛ لأن حاصل المعنى: يردون إلى أرذل العمر فتتعطل أعمالهم، لكن الذين آمنوا يجري لهم عملهم.

والتفسير الثاني لـ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾: النار. روي عن مجاهد، وأبي العالية، والحسن وغيرهم. واختاره ابن كثير، وعلى هذا يكون الاستثناء متصلًا، فيكون معنى الآية كما في سورة العصر: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ....﴾ [العصر: ١-٣].اهـ. كما في ابن كثير.

(٦)- ﴿إِلَّا﴾ أي: لكنَّ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٦﴾ مقطوع، وفي الحديث: «**إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل**»(١).

(٧)- ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾(٢) أيها الكافر(٣) ﴿بَعۡدُ﴾ أي: بعد ما ذكر من خلق الإنسان(٤) في أحسن صورة، ثم رده إلى أرذل العمر الدال على القدرة على البعث ﴿بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب، أي: ما يجعلك مكذبًا بذلك ولا جاعل له.

---

(١) قوله: (وفي الحديث:...). معنى هذا الحديث رواه البخاري عن أبي موسى مرفوعًا: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحًا**». [(٢٨٣٤)]. وروى ابن أبي شيبة عن عطاء مرسلًا بلفظ: «**إذا مرض العبد قال الله للكرام الكاتبين: اكتبوا لعبدي مثل الذي كان يعمل حتى أقبضه أو أعافيه**». [«صحيح الجامع» (٨٠٠)].

(٢) ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾. الفاء هي الفصيحة. و«ما» استفهامية إنكارية توبيخية، مبتدأ. وجملة ﴿يُكَذِّبُكَ﴾ خبرها. و﴿بَعۡدُ﴾ مبني على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه. و﴿بِٱلدِّينِ﴾ متعلق بـ﴿يُكَذِّبُكَ﴾. وبين المفسر مضمون الآية بقوله: (أي: ما يجعلك...). أي: أيّ شيء يجعلك مكذبًا ولا جاعل له.

(٣) وقول المفسر: (أيها الكافر). أفاد أن الخطاب للإنسان المكذب، كما روي عن مجاهد، فيكون فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب.

(٤) وقوله: (أي: بعد ما ذكر...). فيه إشارة إلى ترجيح ما فسره من معنى ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾، وهو: أرذل العمر؛ لأن ذلك هو المشاهد عند الكفار، فتكون الحجة عليهم بما يشاهدونه ويعرفونه، أما النار وعذاب الآخرة فهم لا يعتقدون ذلك، فلا تتم الحجة بما لا يعلمونه ولا يعتقدونه، وهكذا وجه ابن جرير لترجيحه هذا التفسير.

٨- ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ أي: هو أقضى القاضين، وحكمه بالجزاء من ذلك، وفي الحديث[1]: «**من قرأ:** ﴿وَٱلتِّينِ...﴾ **إلى آخرها؛ فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين**».

❁❁❁

(١) قوله: (وفي الحديث). هذا الحديث رواه أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، أورده ابن كثير وغيره. [أبو داود (١/ ٥٥٠)]. وروي كذلك عن ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، كما ذكره القرطبي.

لطيفة: قال القرطبي: «أخبرنا المبارك بن عبدالجبار الأزديّ قال: أخبرنا القاضي أبو القاسم عليّ بن أبي علي المحسّن عن أبيه، قال: كان عيسى بن موسى الهاشمي يحب زوجته حبًّا شديدًا، فقال لها يومًا: أنت طالق ثلاثًا إن لم تكوني أحسن من القمر، ثم حزن عليه، وغدا إلى دار المنصور وأظهر للمنصور جزعًا عظيمًا، فاستحضر الفقهاء، فقالوا: قد طلقت، إلا فقيهًا واحدًا، قال: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ ....لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ...﴾ الآية. قال: الإنسان أحسن الأشياء، ولا شيء أحسن منه، أي: المرأة لاتطلق بذلك القول الذي قاله زوجها، فاستحسنه المنصور».اهـ. ملخصًا.

٩٦- سورة العلق أو «اقرأ»

مكية[١]، وآياتها تسعة عشر آية

صدرها إلى ﴿...مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ أول ما نزل من القرآن، وذلك بغار حراء. [رواه البخاري][٢].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ أوجد القراءة مبتدئًا[٣] ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ الخلائق[٤].

٢- ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ جمع علقة[٥]، وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ.

---

(١) قوله: (مكية). بلا خلاف.

(٢) وقوله: (رواه البخاري). أي: في حديث طويل رواه في باب كيف كان بدء الوحي. ونقل القرطبي عن الماوردي نقل عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن هذه السورة أول ما أنزلت عليه ﷺ، ثم بعدها ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ...﴾، ثم بعدها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ ثم بعدها ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾. اهـ.

(٣) قوله: (أوجد القراءة). أشار بهذا التقدير إلى أن مفعول ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ محذوف، ونزل الفعل منزلة اللازم، والباء في ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ متعلق بمحذوف، وهو حال من فاعل ﴿ٱقۡرَأۡ﴾. أي: حال كونك مبتدئًا باسم ربك، اقرأ القرآن أو اقرأ ما ينزل عليك. وذكر المفسرون مثل هذا المعنى، وقيل: الباء زائدة للتوكيد، والمعنى: اقرأ اسم ربك، ويكون المراد به القرآن. كما في القرطبي.

(٤) وقوله: (الخلائق). أفاد أنه حذف المفعول للعموم.

(٥) قوله: (جمع علقة). أي: وهي اسم جنس جمعيّ، وهو الذي دل على جمع، ويكون مفرده بإلحاق التاء أو ياء النسبة، كشجر وشجرة، وعرب وعربي، ويطلق عليه «جمع» تجوّزًا.

٣- ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ تأكيد للأول ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣﴾ الذي لا يوازيه كريم[١]، حال من ضمير «ٱقۡرَأۡ».

٤- ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ﴾ الخط[٢] ﴿بِٱلۡقَلَمِ ٤﴾، وأول من خط به إدريس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ[٣].

٥- ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها.

٦- ﴿كَلَّآ﴾ حقًّا ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦﴾[٤].

---

(١) قوله: (الذي لا يوازيه كريم). أفاد أن ﴿ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ هنا اسم تفضيل فيه معنى المفاضلة، فهو على بابه، كما هو ظاهر ابن كثير وغيره. وذكر القرطبي: «﴿ٱلۡأَكۡرَمُ﴾: أي: الكريم»، وعن الكلبي: «الحليم عن جهل العباد»، وعلى هذا لا يكون اسم التفضيل على بابه.

(٢) قوله: (الخط). مفعول به لـ﴿عَلَّمَ﴾. قال ابن كثير: «وفيها -أي: الآيات- التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان وتارة يكون في اللسان وتارة يكون بالكتابة بالبنان، فهو ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما من غير عكس فلهذا قال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾». اهـ.

(٣) وقوله: (أول من خطّ...). هذا مشهور عند العلماء. وينقل ذلك عن ابن إسحٰق، ولم أجد نصًّا مرفوعًا في ذلك، وفيما رواه أبو داود وغيره عن معاوية بن الحكم السلمي -في حديث طويل- قوله ﷺ: «**كان نبي من الأنبياء يخطّ...**» الحديث. وذكر الشراح: أن هذا النبي هو إدريس، أو دانيال عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ. وليس فيه أنه أوّل من خط. والله أعلم. [أبو داود (٩٣٠)].

(٤) ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾. «أل» في ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ عهدية على أن هذه الآيات وما بعدها نزلت في أبي جهل، كما يعلم من كلام القرطبي في بيان الأقوال في ذلك، فيكون أول ما نزل من القرآن أوائل هذه السورة إلى ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾، وما بعده نزل في أبي جهل، وجعل ذلك=

(٧)- ﴿أَن رَّءَاهُ﴾ أي: نفسه[١] ﴿ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾ بالمال. نزل في أبي جهل، و«رأى» علمية، و«ٱسۡتَغۡنَىٰٓ» مفعول ثان، و«أَن رَّءَاهُ» مفعول له[٢].

(٨)- ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يا إنسان[٣] ﴿ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨﴾ أي: الرجوع تخويف له، فيجازي الطاغي بما يستحقه.

(٩)- ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ في مواضعها الثلاثة للتعجب[٤] ﴿ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩﴾ هو أبو جهل[٥].

= هنا لأن ترتيب الآيات توقيفي، وظاهر كلام ابن جرير وابن كثير وغيرهما أن المراد جنس الإنسان، فـ«أل» فيه جنسية، وتكون الآيات النازلة في أبي جهل من قوله ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩﴾، والله أعلم.

(١) قوله: (أي: نفسه). توضيح للمراد بالضمير، والقاعدة: أن الضمير العائد إلى الفاعل لا يكون مفعولًا به إلا في الأفعال القلبية، مثلًا: لا تقول زيد ضربه، والضمير -الهاء- عائد إلى زيد نفسه، وإنما تقول: زيد ضرب نفسه، أما في الأفعال القلبية فجاز ذلك، تقول: رأيتُني كذا، زيد رآه عالمًا، مثلًا. والرؤية هنا علمية، كما ذكره المفسر، فجاز كون المفعول ضمير الفاعل.

(٢) وقول المفسر: (﴿أَن رَّءَاهُ﴾ مفعول له). أي: المصدر المؤول من أن المصدرية وما دخلت عليه؛ لأن من شرط المفعول لأجله كونه مصدرًا.

(٣) قوله: (يا إنسان). أفاد أن الضمير للإنسان، فيكون فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، و﴿ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ بوزن «فُعلى»، من مصادر: رجع، ممنوع من الصرف لألف التأنيث.

(٤) قوله: (للتعجب). كما قال ابن جرير: «يُعَجِّبُ جل ثناؤه نبيه والمؤمنين من جهل أبي جهل وجراءته على ربه في نهيه محمّدًا عن الصلاة لربه وهو مع أياديه عنده مكذب به».اهـ. كما ذكر المفسر في تفسير الآية (١٤). ولعلّ العبارة (للتعجيب)، لكن الثابت في النسخ «التعجّب».

(٥) وقوله: (هو أبو جهل). ذكر ذلك عامة المفسرين، وروي عن أئمة التفسير والحديث. فوعظه الله أولًا، ثم هدده بقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ﴾، كما ذكره ابن كثير.

١٠- ﴿عَبْدًا﴾ هو النبي ﷺ ﴿إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠﴾.

١١- ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ﴾ المنهي[(١)] ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ١١﴾.

١٢- ﴿أَوْ﴾ للتقسيم ﴿أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ١٢﴾.

١٣- ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ أي: الناهي النبيَّ ﴿وَتَوَلَّىٰٓ ١٣﴾ عن الإيمان.

١٤- ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ ما صدر منه، أي: يعلمه فيجازي عليه، أي: اعجب منه يا مخاطب من حيث نهيه عن الصلاة، ومن حيث إن المنهي على الهدى آمر بالتقوى، ومن حيث إن الناهي مكذِّب متولٍّ عن الإيمان.

١٥- ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَئِن﴾ لام قسم[(٢)] ﴿لَّمْ يَنتَهِ﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥﴾ لنجرّن بناصيته إلى النار[(٣)].

= تنبيه: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ بمعنى: أخبرني، تقتضي ثلاثة مفاعيل، والثالثة تكون جملة استفهامية، وههنا ذكر ثلاث مرات: والمفعول الأول ضمير المتكلم فيهن، والمفعول الثاني لـ﴿أَرَءَيْتَ﴾ الأول: الاسم الموصول: ﴿ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾، وحذف الثالث، ودل عليه جملة ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾. و﴿أَرَءَيْتَ﴾ الثاني حذف منه كل المفاعيل. و﴿أَرَءَيْتَ﴾ الثالث حذف مفعوله الأول والثاني وذكر الثالث وهو جملة ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾. والله أعلم.

(١) قوله: (المنهيّ). توضيح للضمير المستتر في ﴿كَانَ﴾ وهو اسمها، والجار والمجرور ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ خبرها.

(٢) قوله: (لام قسم). أي: دالة على القسم، فقد اجتمع هنا القسم والشرط، والمتقدم هو القسم فيكون الجواب له وهو ﴿لَنَسْفَعَن﴾، وحذف جواب الشرط؛ لدلالة جواب القسم عليه، وقد تقدم نظير ذلك مرات.

(٣) قوله: (لنجرّن). أي: لنأخذن كما قال ابن جرير: «يقال: سفعتُ بيده، أي: أخذت بيده».

﴿١٦﴾- ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل نكرة من معرفة[١] ﴿كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ وصفها بذلك مجاز[٢]، والمراد صاحبها.

﴿١٧﴾- ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ أي: أهل ناديه[٣]، وهو المجلس ينتدى يتحدث فيه القوم، وكان قال النبي ﷺ[٤] لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة: «لقد علمت ما بها رجل أكثر ناديًا مني لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلًا جردًا ورجالًا مردًا».

---

(١) قوله: (بدل...). لا يشترط في البدل كونه موافقًا للمبدَل منه تعريفًا وتنكيرًا وتذكيرًا وتأنيثًا، بخلاف عطف البيان، فهٰهنا يكون ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدلًا، لا عطف بيان. وقد فصلنا الفروق بين البدل وعطف البيان في كتاب «الثلاثيات».

(٢) وقوله: (مجاز...). أي: مجاز عقليّ، حيث أسند الكذب والخطأ إلى الناصية، والعلاقة: المجاورة، ويمكن كونه من المجاز المرسل من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، والعلاقة: الجزئية. والله أعلم.

(٣) قوله: (أي: أهل ناديه). أشار إلى أنه مجاز مرسل، حيث أطلق المحلّ وأريد الحالّ، ونحو هذا عند الأصوليين: مجاز بالحذف، أي: حذف المضاف. وعند النحاة من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ولا مشاحّة في الاصطلاح.

(٤) قوله: (وكان قال...). أي: كان أبو جهل قال للنبي ﷺ حين انتهر النبي ﷺ أبا جهل على نهيه عن الصلاة، ومقول أبي جهل: «لقد علمت...». إلى آخره. وهذه الواقعة رواه ابن جرير، والترمذي، والنسائي، وأحمد، عن ابن عباس.

قال ابن جرير: «عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فمرّ به أبو جهل بن هشام فقال: يا محمد! ألم أنهكَ عن هذا؟ وتوعده، فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد، بأي شيء تهدّدني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي ناديًا؛ فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾، قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته» اهـ. وما ذكره المفسر يختلف سياقه عن هذا قليلًا مع الوفاق في المعنى.

والجُرد: جمع أجرد، وهو خفيف الشعر، والمرد: جمع أمرد: لم ينبت لحيته.

(١٨)- ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ (١٨)﴾[١] الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه، كما في الحديث[٢]: «**لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانًا**».

(١٩)- ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تُطِعۡهُ﴾ يا محمد في ترك الصلاة ﴿وَٱسۡجُدۡ﴾ صلِّ لله ﴿وَٱقۡتَرِب ۩ (١٩)﴾ منه بطاعته[٣].

❁❁❁

(١) ﴿ٱلزَّبَانِيَةَ﴾. الملائكة الغلاظ الشداد، روي عن ابن عباس وغيره، وواحده: زِبْنِيّ. قاله الكسائي. أو زِبْنِية. قاله أبو عبيدة. وقال قتادة: «هم الشرط في كلام العرب».اهـ. وهو مأخوذ من الزَّبن، وهو الدفع.اهـ. قاله القرطبي.

(٢) وقوله: (وفي الحديث:...). هذا مروي عن ابن عباس مرفوعًا وموقوفًا. وفيما رواه مسلم وغيره: «قال أبو جهل: لئن رأيته يصلي لأطأن على رقبته، فذهب إلى رسول الله ﷺ، فلم يلبث نكص على عقبيه، قيل له ما لَك؟ قال: إن بيني وبينه خندقًا من نار وهولًا وأجنحة...».

(٣) هذه الآية آخر مواضع سجود التلاوة.

٩٧- سورة القدر

مكية أو مدنية[١]، وآياتها خمس أو ست آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن[٢] جملة واحدة[٣] من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ (١)﴾ أي: الشرف والعِظَم[٤].

---

(١) قوله: (مكية أو مدينة). هذا الاختلاف ذكره البيضاوي. وأكثر المفسرين ذكروا أنها مكية بدون تعرض للخلاف.

(٢) قوله: (أي: القرآن). أشار إلى أن الضمير راجع إلى القرآن، ولو لم يسبق له ذكر، ففيه تعظيم لشأنه وإشارة إلى أنه معلوم بدون سبق ذكره. أشار إلى ذلك البيضاوي.

(٣) قوله: (جملة واحدة). هذا القول مروي عن ابن عباس وغيره، ذكره أئمة التفسير، وكما تقدم في سورة الدخان، مما يدل على أن هذا القرآن له وجود قبل نزوله على النبي ﷺ، خلافًا لما تزعمه المعتزلة، ومن نحا نحوهم من أنه لا وجود له إلا عند نزوله، ولا ينافي ذلك أن من القرآن هذه الآية، أي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ لأن الماضي والمستقبل والحال بالنسبة إلى الله تعالى واحد.

(٤) قوله: (أي: الشرف). فُسِّر القدر هنا بثلاثة معانٍ، كلها مناسب، الأول: الشرف؛ لشرف تلك الليلة وفضلها. والثاني: بمعنى التقدير؛ لأنه يقدر ويكتب في تلك الليلة من أم الكتاب ما يكون في السنة من رزق ومطر وحياة وموت. روي عن ابن عباس وغيره. الثالث: بمعنى الضيق؛ لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة. عزي هذا المعنى إلى الخليل، والمعاني الثلاثة ذكرها القرطبي.

تنبيه: في تحديد ليلة القدر اختلاف، وهو معروف، وأرجاها الليالي الأوتار في العشر الأخيرة من رمضان، ذكرها ابن كثير برواية الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت.

﴿٢﴾- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾[(١)] أعلمك يا محمد ﴿مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾﴾ تعظيم لشأنها وتعجيب منه.

﴿٣﴾- ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ﴿٣﴾﴾ ليس فيها ليلة القدر، فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها[(٢)].

﴿٤﴾- ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ أي: جبريل[(٣)] ﴿فِيهَا﴾ في الليلة ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾ بأمره ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٍ ﴿٤﴾﴾ قضاه الله فيها

---

(١) ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾. ﴿مَآ﴾: استفهامية مبتدأ. وجملة ﴿أَدۡرَىٰكَ﴾ خبرها. و«أدرى» لها ثلاثة مفاعيل: الأول: الكاف، وجملة ﴿مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ سدت مسد الثاني والثالث.

فائدة: نقل القرطبي عن الفراء، قال: «كل ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ فقد أدراه، وما كان من قوله: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ فلم يُدْرِه».اهـ.

(٢) قوله: (ليس فيها...). هذه الجملة نعت لـ﴿شَهۡرٍ﴾، أي: هذه الليلة خير من ألف شهر خالٍ عن ليلة القدر. وذكر هذا المعنى أبو العالية، كما في القرطبي. ورواه ابن جرير عن قتادة، وروي عن مجاهد قال: «كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو في النهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر؛ فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ﴿٣﴾﴾، قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل».اهـ.

ونقل القرطبي عن علي، وعروة: ذكر النبي ﷺ أربعة من بني إسرائيل عَبَدوا الله ثمانين سنة لم يعصوا طرفة عين، فذكر: أيوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع. فعجب أصحاب النبي ﷺ من ذلك، فأتاه جبريل فقال: يا محمد، عجبتْ أمّتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوا الله طرفة عين، فقد أنزل الله عليك خيرًا من ذلك، ثم قرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾﴾، فسُرّ بذلك رسول الله ﷺ.اهـ.

(٣) قوله: (أي: جبريل). هذا هو المشهور في تفسير ﴿ٱلرُّوحُ﴾ هنا، فيكون من عطف الخاص =

لتلك السنة إلى قابل، و«مِن» سببية[١] بمعنى: الباء.

﴿٥﴾- ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾[٢] خبر مقدم ومبتدأ ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ بفتح اللام وكسرها[٣]، إلى وقت طلوعه جعلت سلامًا لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تمر بمؤمن ولا بمؤمنة إلا سلمت عليه.

❁❁❁

= على العام، لمزية هذاا لخاص من بين أفراد العام، ونقل القرطبي عن القشيري: «أن «الروح» صنف من الملائكة»، ونحوه عن مقاتل، وقيل: جند من جنود الله غير الملائكة، نقله عن مجاهد.

(١) قوله: (و﴿مِّن﴾ سببية). أي: فالمعنى: لأجل كل أمر قضاه الله، كما تقدم عن ابن عباس.

(٢) ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾. ﴿سَلَٰمٌ﴾: خبر متقدم. و﴿هِيَ﴾: مبتدأ مؤخر. فالجملة مستأنفة، أي: ليلة القدر سلامة وخير كلها، لا شر فيها. روي معناه عن قتادة، وابن زيد. قال الضحاك: «لا يقدّر الله في تلك الليلة إلا السلامة، وفي سائر الليالي يقضي بالبلايا والسلامة».اهـ. وعن الشعبي: «تسلم الملائكة على المؤمنين إلى الفجر».اهـ. ملخصًا.

والجار والمجرور متعلق بمحذوف، أي: يستمر. أو متعلق بـ﴿سَلَٰمٌ﴾، ولا يضر الفصل بالمبتدأ؛ لأنه متقدم تقديرًا؛ لأن الأصل: هي سلام حتى مطلع الفجر. والله أعلم.

(٣) قوله: (بفتح اللام). قرأ بالكسر: الكسائي، وخلف. وبالفتح: الباقون. وهما لغتان، وهو مصدر ميميّ، أو المطلَع بالفتح ظرف زمان. والله أعلم.

فائدتان: الأولى: أشرنا إلى اختلاف العلماء في تحديد ليلة القدر، وقد فصلها القرطبي.

الثانية: «في الصحيحين»: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه**». وفي السنن، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: يا رسول الله! إن وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال: «**قولي: اللهم إنك عفُوٌّ تُحبَّ العفوَ فاعفُ عني**». [«تحفة الأحوذي» (٩/ ٤٩٥)].

تنبيه: ﴿حَتَّىٰ﴾ في هذه الآية جارة كما هو واضح، وتأتي «حتّى» جارّة وعاطفة وابتدائية، وقد فصلناها والفروق بينها في «الثلاثيات».

٩٨- سورة البينة

مكية أو مدنية(١)، وآياتها ثمانٍ أو تسع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ﴾ للبيان(٢) ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: عبدة الأصنام عطف على «أَهْلِ»، ﴿مُنفَكِّينَ﴾ خبر «يَكُنِ»، أي: زائلين عما هم عليه(٣) ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ﴾ أي: أتتهم ﴿ٱلْبَيِّنَةُ (١)﴾ أي: الحجة الواضحة،

---

(١) قوله: (مكية أو مدنية). أشار البيضاوي إلى هذا الخلاف. وجمهور المفسرين كابن جرير، وابن كثير، والقرطبي وغيرهم أطلقوا أنها مدنية. ويناسب ذلك ذكر أهل الكتاب فيها. والله أعلم.

(٢) قوله: (للبيان). أي: ﴿مِنْ﴾ بيانية للاسم الموصول. ويجوز كونها مع المجرور حالًا من الاسم الموصول، فيكون متعلقًا بمحذوف، وإذا كانت بيانية فلا يحتاج إلى المتعلَّق.

(٣) قوله: (أي: زائلين...). فمعنى الآية: لم يكونوا ليتركوا دينهم حتى يأتيهم الرسول، ويتبين لهم الحق بذلك، فيكون في ذلك تنبيه على الامتنان بالبعثة، وعلى شرفها واهتداء الناس بها، والله أعلم.

قال مجاهد: «لم يكونوا لينتهوا حتى يتبين لهم الحق».اهـ. ويمكن أن يكون المعنى: لم يكن أهل الكتاب تاركين صفة محمد ﷺ في كتابهم حتى بعث، فلما بعث حسدوه، وكذلك المشركون لم يكونوا يسيئون القول في محمد ﷺ حتى بعث، فخالفوه وعادوه. وهذا المعنى عزاه القرطبي إلى ابن كيسان، وذكر نحوه ابن جرير بدون عزو، وكأن المفسر ذهب إلى هذا؛ لأنه سيقول في تفسير الآية الرابعة: «وقبل مجيئه ﷺ كانوا -يعني اليهود- مجتمعين على الإيمان به إذاجاء، فحسده من كفر منهم».اهـ. =

وهي محمد ﷺ.

(٢)- ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بدل من «ٱلْبَيِّنَةُ»[(١)]، وهو النبي ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢)﴾ من الباطل.

(٣)- ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾ أحكام مكتوبة[(٢)] ﴿قَيِّمَةٌ (٣)﴾ مستقيمة، أي: يتلو مضمون ذلك، وهو القرآن. فمنهم من آمن به ومنهم من كفر[(٣)].

(٤)- ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في الإيمان به ﷺ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ (٤)﴾ أي: هو ﷺ، أو القرآن الجائي به؛ معجزةً له، وقبل مجيئه ﷺ[(٤)]، كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاءه فحسده من كفر به منهم.

(٥)- ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ في كتابَيْهم التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: أن

= وفي قول المفسر: (زائلين) إشارة إلى أن ﴿مُنفَكِّينَ﴾ هنا تامة، وليست ناقصة من أخوات «كان»؛ لأنه لم يذكر لها خبر.

(١) قوله: (بدل من ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾). ويحتمل كونه مبتدأ، خبره جملة ﴿يَتْلُوا۟﴾، وعلى أنه بدل تكون الجملة نعتًا، كما يعلم من البيضاوي.

(٢) قوله: (أحكام مكتوبة). قال البيضاوي: «مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق».اهـ. وقال ابن جرير: «في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة، ليس فيها خطأ؛ لأنها من عند الله».اهـ.

(٣) قوله: (فمنهم من آمن...). تتميم لمعنى الآية، ودخول إلى الآية التالية. أي: لم يزالوا في كفرهم حتى أتت البينة، أو لم يكونوا يُسيئون فيه حتى أتتهم البينة، فلما أتت فمنهم من آمن، ومنهم من كفر.

(٤) قوله: (وقبل مجيئه...). وذكر ابن جرير قريبًا منه، قال بعد كلام: «وقد كانوا قبل أن يبعث غير مفترقين فيه أنه نبيّ».اهـ.

يعبدوه، فحذفت «أن» وزيدت اللام[١] ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٢] من الشرك ﴿حُنَفَآءَ﴾ مستقيمين على دين إبراهيم ودين محمد إذا جاء، فكيف كفروا به؟ ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ﴾ الملة[٣] ﴿ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ المستقيمة.

٦- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ حال مقدرة[٤]، أي: مقدرًا خلودهم فيها من الله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾[٥].

(١) قوله: (وزيدت اللام). ما ذكره المفسر من زيادة اللام وجهٌ إعرابي، وذكره القرطبي، واللام قد تزاد في المفعول به للتوكيد، نحو قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، وقد تقدم لنا هناك الأقسام الثلاثة للام الداخلة على المفعول، وهن: لام التعدية، واللام الزائدة، ولام التقوية. ويحتمل كون اللام هنا للتعليل، والمعنى: وما أمروا بما أمروا إلا لأجل أن يعبدوا الله، والله أعلم.

(٢) و﴿مُخْلِصِينَ﴾ حال من الواو في ﴿لِيَعْبُدُواْ﴾. و﴿ٱلدِّينَ﴾ مفعول به لـ﴿مُخْلِصِينَ﴾، و﴿حُنَفَآءَ﴾ حال مترادفة أو متداخلة.

(٣) قوله: (الملة). أشار به إلى أن ﴿ٱلْقَيِّمَةِ﴾ نعت لمحذوف، والتاء في ﴿ٱلْقَيِّمَةِ﴾ للتأنيث؛ لأن القيمة نعت لـ﴿دِينُ﴾ في المعنى، والموصوف لا يضاف إلى الصفة كعكسه عند البصريين، وما ورد من ذلك فهو مؤول عندهم، كما هنا، وكما في قولهم: صلاة الأولى، أي: الصلاة الساعة الأولى. وحبة الحمقاء: أي: حبة البقلة الحمقاء، ونحو ذلك. وجازت تلك الإضافة عند الكوفيين، وعلى هذا يمكن أن يقال: إضافة ﴿دِينُ﴾ إلى ﴿ٱلْقَيِّمَةِ﴾ من باب إضافة الموصوف إلى الصفة، والمعنى: الدين القيمة، والتاء في ﴿ٱلْقَيِّمَةِ﴾ -على هذا- للمبالغة، لا للتأنيث، والله أعلم.

(٤) قوله: (حال مقدرة). تقدم لنا مرارًا أن الحال المقدرة ما كان زمنه متأخرًا عن زمن العامل، فالخلود متأخر عن زمن الدخول.

(٥) و﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾ فعيلة من: برأ، بمعنى: خلق. بمعنى اسم المفعول، قلبت الهمزة ياء، وقيل: =

(٧) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ الخليقة.

(٨) - ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ إقامة[1] ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ بثوابه ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ خاف عقابه فانتهى عن معصيته تعالى.

❁❁❁

= من البَرى، وهوالتراب، فيقال منه: براه الله، يَبْرُوه بروًا، فالياء منقبلة عن الواو، وعلى هذا التقدير لا تدخل الملائكة في البرية؛ لأنهم خلقوا من النور، وعلى الوجه الأول يدخلون، وعلى الوجه الأول تكون الآية من أدلة مَن فضَّل المؤمنين على الملائكة، أشار القرطبي إلى ذلك.

(١) قوله: (إقامة). أشار إلى أن ﴿عَدۡنٍ﴾ مصدر بمعنى: إقامة، يقال: عدَنَ بالمكان، يعدِن عدنًا وعُدونًا: أقام. وقد تقدم ذلك.

٩٩- سورة الزلزلة

مكية أو مدنية[١]، وآياتها ثماني أو تسع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ حركت لقيام الساعة[٢] ﴿زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ تحريكها الشديد المناسب لعظمِهَا.

(٢)- ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾ كنوزها وموتاها[٣]، فألقتها على ظهرها.

(٣)- ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر بالبعث[٤] ﴿مَا لَهَا ﴿٣﴾﴾[٥] إنكارًا لتلك الحالة.

---

(١) قوله: (مكية أو مدنية). أشار البيضاوي إلى هذا الخلاف. وأكثر المفسرين أطلقوا أنها مدنية.

(٢) قوله: (حرّكت...). إما عند النفخة الأولى أو الثانية. أو على الإطلاق، كما يعلم من البيضاوي، نقل القرطبي عن ابن عباس: «في النفخة الأولى يزلزلها، ثم تزلزل ثانية فتخرج موتاها وهي الأثقال».اهـ.

(٣) قوله: (كنوزها...). تفسيران للمراد بالأثقال، فقيل: الموتى، روي عن ابن عباس، وغيره. وقيل: الكنوز، نقله القرطبي بدون عزو.

(٤) قوله: (الكافر...). روي هذا عن ابن عباس، فتكون «أل» عهدية، وقيل: كل إنسان يشاهد ذلك عند النفخة الأولى، فتكون «أل» استغراقية.

(٥) ﴿مَا لَهَا﴾. ﴿مَا﴾: استفهامية مبتدأ. و﴿لَهَا﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، وهذا الاستفهام للتعجب. ذكره القرطبي. وقال: «يجوز أن يحيي الله الموتى بعد وقوع النفخة الأولى ثم تتحرك الأرض فتخرج الموتى، وقد رأوا الزلزلة وانشقاق الأرض عن الموتى أحياءً فيقولون من الهول: ما لها؟!!».اهـ.

﴿٤﴾- ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ بدل من «إِذَا»، وجوابها ﴿تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤﴾ تخبر بما عمل عليها من خير وشر[(١)].

﴿٥﴾- ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥﴾ أي: أمرها بذلك، وفي الحديث[(٢)]: «**تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها**».

﴿٦﴾- ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ ينصرفون من موقف الحساب[(٣)] ﴿أَشۡتَاتٗا﴾ متفرقين، فآخذٌ ذات اليمين إلى الجنة، وآخذ ذات الشمال إلى النار ﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦﴾ أي: جزاءها من الجنة أو النار.

﴿٧﴾- ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾[(٤)] زنةَ نملةٍ صغيرةٍ[(٥)] ﴿خَيۡرٗا

---

(١) قوله: (بما عمل عليها...). كما روي عن مجاهد، وابن زيد، وغيرهما.

(٢) وقول المفسر: (وفي الحديث:...). هذا الحديث رواه الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذا رواه النسائي، وأحمد، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».اهـ. [«تحفة الأحوذي» (٩/ ٢٨٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٩٣)، وأحمد (٢/ ٣٧٤)].

(٣) قوله: (ينصرفون...). كما قال ابن كثير: «أي: يرجعون عن موقف الحساب أشتاتًا، أي: أنواعًا وأصنافًا».اهـ. ونحوه في ابن جرير، والقرطبي.

(٤) ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ﴾ الفاء تفريعية، و﴿مَن﴾ اسم شرط جازم مبتدأ، وجملة ﴿يَعۡمَلۡ﴾ خبرها، و﴿مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾: مفعول به لـ﴿يَعۡمَلۡ﴾، و﴿خَيۡرٗا﴾: تمييز. وجملة ﴿يَرَهُۥ﴾: جواب الشرط. و«ير» بوزن «يَفَ»، حذفت اللام للجزم، وهي الياء، وحذفت عين الكلمة: الهمزة تخفيفًا، فبقيت الكلمة على حرفٍ واحدٍ أصليّ، وذلك واضح وعلى وزانه إعراب الآية التالية. والله أعلم.

(٥) قوله: (زنةَ نملة صغيرة). (زنة) تفسير لـ﴿مِثۡقَالَ﴾، و(نملة صغيرة) تفسير لـ﴿ذَرَّةٍ﴾.=

يَـرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ ير ثوابه.

﴿٨﴾- ﴿وَمَن يَعْـمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَـرًّا يَـرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ ير جزاءه.

❁❁❁

= وقال القرطبي: «الذرّ لا وزن له، وإنما هو مثل ضربه الله تعالى أنه لا يغفل من عمل ابن آدم صغيرة ولا كبيرة». ونقل عن بعض أهل اللغة: «أن الذرّ أن يضرب الرجل بيده الأرض فما علق بها من التراب فهو الذر». ونقل نحوه عن ابن عباس. ونقل عنه أيضًا في معنى الآية ما حاصله: الكافر إذا عمل مثقال ذرة خيرًا يره في الدنيا دون الآخرة، ومن شرٍّ عوقب في الآخرة. والمؤمن إذا عمل مثله من الشر عوقب في الدنيا دون الآخرة، ومن الخير: يقبل منه ويضاعف له في الآخرة».اهـ. وتقدم لفظ ﴿مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ﴾ في سورة النساء الآية (٤٠).

١٠٠- سورة العاديات

مكية أو مدنية[١]، وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ الخيل[٢]، تعدو في الغزو وتضبح[٣] ﴿ضَبْحًا (١)﴾ هو صوت أجوافها إذا عدت.

(٢)- ﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾ الخيل توري النار[٤] ﴿قَدْحًا (٢)﴾ بحوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل.

(٣)- ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣)﴾[٥] الخيل تغير على العدو وقت الصبح[٦]، بإغارة أصحابها[٧].

---

(١) قوله: (مكية أو مدنية). ذكر البيضاوي هذا الخلاف، وأكثر المفسرين أطلقوا أنها مكية.

(٢) قوله: (الخيل...). روي عن ابن عباس وغيره. قال القرطبي: «كذا قال عامة المفسرين».اهـ.

(٣) وقوله: (تضبح). قدره ليفيد أن ﴿ضَبْحًا﴾ مفعول مطلق لفعل مقدّر، ويجوز إعرابه حالًا بمعنى: ضابحات.

(٤) قوله: (توري النار...). .كذا قاله عكرمة، وقتادة، والضحاك وغيرهم. وعن قتادة أيضًا: «هِجْنَ الحرب بينهم وبين عدوهم»، أي: إيراء القدح كناية عن تهييج الحرب. والقدح في الأصل: الاستخراج. و﴿قَدْحًا﴾ هنا مفعول مطلق؛ لأنه بمعنى: الإيراء، أي إخراج النار.

(٥) ﴿صُبْحًا﴾ منصوب على الظرفية.

(٦) وقول المفسر: (الخيل تغير...). مروي عن ابن عباس وغيره. وعن ابن مسعود: «المراد: الإبل تدفع بركبانها من مزدلفة إلى منى صبحًا».اهـ. والإغارة في الأصل: الإسراع في السير.

(٧) قوله: (بإغارة أصحابها). فيه إشارة إلى أن إسناد الإغارة إلى الخيل من المجاز العقلي.

٤- ﴿فَأَثَرۡنَ﴾ هيجن ﴿بِهِۦ﴾ بمكان عدوهن[١]، أو بذلك الوقت ﴿نَقۡعٗا ٤﴾[٢] غبارًا بشدة حركتهن.

٥- ﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ﴾ بالنقع ﴿جَمۡعًا ٥﴾ من العدو[٣]، أي: صرن وسطه. وعُطف الفعل على الاسم[٤]؛ لأنه في تأويل الفعل، أي: واللاتي عدون فأورين فأغرن.

٦- ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦﴾ لكفور يجحد نعمته تعالى[٥].

٧- ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ أي: كنوده ﴿لَشَهِيدٞ ٧﴾ يشهد على نفسه بصنعه[٦].

٨- ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ ٨﴾ أي: لشديد الحب له، فيبخل به.

٩- ﴿۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ﴾ أثير وأخرج ﴿مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩﴾ من الموتى، أي: بُعثوا.

---

(١) وقوله: (﴿بِهِۦ﴾ بمكان...). بيان لمرجع الضمير، فهو راجع إلى المعلوم من السياق.

(٢) و﴿نَقۡعٗا﴾ مفعول به.

(٣) قوله: (من العدو). هذا المشهور في التفسير، وعلى قول ابن مسعود المراد بالجمع مزدلفة، وهو من أسمائها.

(٤) قوله: (وعطف الفعل). يعني: ﴿فَأَثَرۡنَ﴾ معطوف على ما قبلها؛ لأن ما قبلها وإن كان اسمًا لكنه في معنى الفعل لكونه صلة الموصول الذي هو الألف واللام.

(٥) قوله: (لكفور...). روي عن ابن عباس وغيره، وكذا تفسير ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ بالكافر مروي عنه.

(٦) قوله: (يشهد على نفسه...). على هذا الضمير في ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ عائد إلى الإنسان، روي عن ابن عباس. ولكن روي عن مجاهد: «﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: إن الله تعالى»، قال القرطبي: «وعليه أكثر المفسرين».اهـ. وبه فسر ابن جرير.

(١٠) - ﴿وَحُصِّلَ﴾ بُيّن وأفرز ﴿مَا فِي ٱلصُّدُورِ (١٠)﴾ القلوب من الكفر والإيمان.

(١١) - ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرٌ (١١)﴾ لَعالمٌ فيجازيهم على كفرهم. أعيد الضمير[١] جمعًا نظرًا لمعنى الإنسان، وهذه الجملة دلت على مفعول «يَعۡلَمُ»، أي: إنا نجازيه وقت ما ذكر، وتعلق «خَبِيرٌ» بـ«يَوۡمَئِذٖ»، وهو تعالى خبير دائما؛ لأنه يوم المجازاة[٢].

❊❊❊

(١) قوله: (أعيد الضمير...). أي: جمع الضمير في ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ﴾؛ مراعاة لمعنى الإنسان؛ لأن المراد الجنس. والله أعلم.

(٢) قوله: (وتعلق...). يعني: أن تقييد ﴿خَبِيرٌ﴾ بيوم القيامة مع أنه تعالى خبير دائمًا؛ لكونه وقت المجازاة.

١٠١- سورة القارعة

مكية[١]، وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿ٱلْقَارِعَةُ (١)﴾ أي: القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها[٢].

(٢)- ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ (٢)﴾ تهويل لشأنها، وهما مبتدأ و خبر[٣]، خبر القارعة.

(٣)- ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ (٣)﴾ زيادة تهويل لها. و«مَآ» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«مَا» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لـ«أدرى».

(٤)- ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه دل عليه «ٱلْقَارِعَةُ»[٤]، أي: تقرع ﴿يَكُونُ ٱلنَّاسُ

---

(١) قوله: (مكية). بدون خلاف ينقل.

(٢) قوله: (أي: القيامة). كذا قال عامة المفسرين، ذكره القرطبي.

(٣) قوله: (وهما...). أي: ﴿مَا﴾ و﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾، فـ﴿مَا﴾ مبتدأ، استفهامية. و﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ خبرها. والجملة: خبر ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾. وذكر المفسر إعراب هذه الجمل، وقد تقدم نظيره نحو: ﴿ٱلْحَآقَّةُ (١) مَا ٱلْحَآقَّةُ (٢) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ (٣)﴾ [الحاقة: ١-٣].

(٤) قوله: (دل عليه ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾). أي: وليس العامل ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ نفسها، لعدم مناسبته من حيث المعنى؛ لأن العامل في الظرف هو الواقع فيه، وهٰهنا انقطعت الجملة بـ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾، و﴿يَوْمَ﴾ مستأنف، فعامله ما دل عليه ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ كما يظهر بالتأمل. وأفاد المفسر أيضًا أن ﴿يَوْمَ﴾ هنا معرب والفتحة فتحة إعراب على الظرفية لإضافته إلى الجملة التي بدئت بالمضارع، فيكون إعرابه أرجح من بنائه على الفتح، وإذا أضيف «يوم» ونحوه من الظروف المبهمة إلى الجملة التي بدئت بالفعل المبني فالراجح البناء. وتقدمت هذه المسألة.

﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ كغوغاء الجراد المنتشر[١]، يموج بعضهم في بعض للحيرة إلى أن يُدْعوا للحساب.

۝٥ - ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ كالصوف المندوف[٢]، في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض.

۝٦ - ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾[٣] بأن ترجحت حسناته على سيئاته.

۝٧ - ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ في الجنة، أي: ذات رضا بأن يرضاها[٤]، أو مرضيةٍ له.

۝٨ - ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨﴾ بأن ترجحت سيئاته على حسناته.

---

(١) قوله: (كغوغاء الجراد...). الغوغاء: الجراد حين ينبت جناحه، أو الكثير المختلط.

وقوله: (المنتشر). تفسير لـ﴿ٱلْمَبْثُوثِ﴾. الفراش: واحده فراشة، الحشرات التي تطير وتتساقط في النار والسراج. ذكر نحوه قتادة. وأهل اللغة.

(٢) وقوله: (المندوف). أي: المنشور بالمنداف. يقال: ندف الصوف، أي: ضربه وفرقه بالمنداف، والمنداف آلة لتنشير وتشعيث الصوف. والعهن: الصوف المصبوغ بالحمرة.

(٣) ﴿فَأَمَّا﴾. الفاء: تفريعية. كما قاله الدرويش في «إعراب القرآن»، ويحتمل كونها عاطفة للجملة على الجملة السابقة، والموازين: جمع ميزان، بمعنى: الوزن. قاله ابن جرير. وقال القرطبي: «قيل: الميزان واحد، ولكنه جيء بصيغة الجمع».اهـ. باختصار. ولعل ذلك باعتبار أنواع الأعمال. والله أعلم.

(٤) قوله: (ذات رضا...). توجيه لوصف العيشة بأنها راضية. وفي الحقيقة هي مرضية.

فذكر توجيهين، الأول: أن ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ للنسبة، أي: ذات رضا. كما يقال: تامر ولابن، أي: ذو التمر وذو اللبن. ويكون رضا هنا مصدرًا من المبني للمفعول.

والتوجيه الثاني: أنه من المجاز العقلي، حيث أسند اسم الفاعل إلى المفعول به.

(٩)- ﴿فَأُمُّهُۥ﴾ فمسكنه[١] ﴿هَاوِيَةٌ (٩)﴾.

(١٠)- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ (١٠)﴾ أي: ما هاوية.

(١١)- هي ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ (١١)﴾ شديدة الحرارة، وهاء «هيه» للسكت تثبت وصلًا ووقفًا، وفي قراءة: تحذف وصلًا[٢].

❁❁❁

(١) قوله: (فمسكنه). بنحوه فسر ابن جرير، وعن ابن زيد: «سميت النار «أمًّا»؛ لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أمه»، وعلى هذا يكون فيه نوع مجاز. وعن عكرمة: «لأنه يهوي فيها على أم رأسه».اهـ. ذكرهما القرطبي. وتقدم إعراب نحو: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حمزة، ويعقوب: بإثبات الهاء، وقفًا وحذفها وصلًا. والباقون: بإثباتها وصلًا ووقفًا.

١٠٢- سورة التكاثر

مكية[(١)]، وآياتها ثماني آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ شغلكم عن طاعة الله[(٢)] ﴿ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال.

(٢)- ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ②﴾ بأن متّم[(٣)]، فدفنتم فيها، أو عددتم الموتى تكاثرًا.

(٣)- ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③﴾.

---

(١) قوله: (مكية). ذكر البيضاوي فيها خلافًا، وأكثر المفسرين أطلقوا أنها مكية.

(٢) قوله: (شغلكم). ظاهره أنه خطاب لعامة الناس، كما اختاره القرطبي. عن قتادة: «قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالًا».اهـ. وعنه أيضًا -كما في القرطبي-: «نزلت في اليهود حين قالوا: نحن أكثر من بني فلان».اهـ. وعن ابن زيد: «نزلت في فخذ من الأنصار»، وعن ابن عباس: «نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف، وبني سهم»، وعن عمرو بن دينار: «نزلت في التجار». وبعد نقل هذه الأقوال قال القرطبي: «الآية تعم جميع ما ذكر وغيره».اهـ.

(٣) قوله: (بأن متم...). ذكر تفسيرين لهذه الآية؛ الأول: حتى متم ودفنتم. وبه فسر ابن جرير. والثاني: حتى تفاخرتم بالأموات. روي هذا المعنى عن ابن عباس، ومقاتل، والكلبي. والمقابر: جمع مقبرة، بفتح الباء وضمها.

فائدة: لم يأت ذكر المقابر إلّا في هذه السورة. ذكره القرطبي، وأورد الأدلة على فضل زيارتها وفوائدها. وروى ابن جرير عن علي: «نزلت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾ في عذاب القبر».اهـ. علماً بأنه ورد ﴿أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ⑬﴾ في الممتحنة، و﴿فَأَقْبَرَهُۥ ㉑﴾ في عبس.

٤- ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾[1] سوء عاقبة تفاخركم عند النزع، ثم في القبر[2].

٥- ﴿كَلَّا﴾ حقًّا ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥﴾ أي: علمًا يقينًا[3] عاقبة التفاخر[4]، ما اشتغلتم به[5].

٦- ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾ النار، جواب قسم محذوف وحذف منه لام الفعل وعينه[6]، وألقيت حركتها على الراء.

٧- ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ تأكيد ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾ مصدر[7]؛ لأنَّ «رأى» و«عاين»، بمعنًى واحد.

٨- ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع؛ لتوالي النونات[8]، وواو ضمير

---

(١) ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾. عن مجاهد: «وعيد بعد وعيد».اهـ. أي: فتكون الجملة الثانية للتأكيد وإن كانت معطوفة؛ لأنه يكثر العطف عند توكيد الجملة. وعن ابن عباس: «﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾، أي: في القبر، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾، أي: في الآخرة».اهـ. وعلى هذا تكون الجملة الثانية للتأسيس.

(٢) وقول المفسر: (ثم في القبر). يشير إلى أنها للتأسيس، ولكنه تفسير ثالث.

(٣) قوله: (علمًا يقينًا). أفاد أنه من إضافة الموصوف إلى الصفة.

(٤) وقوله: (عاقبة...). مفعول به لـ﴿تَعْلَمُونَ﴾.

(٥) وقوله: (ما اشتغلتم). قدره ليكون جواب ﴿لَوْ﴾ الشرطية.

(٦) قوله: (حذف منه...). أي: فأصله: ترْأَيُون، وبعد الحذف أصبح وزنه: لَتَفَوُنَّهَا. كما تقدم في ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ [مريم: ٢٦].

(٧) قوله: (مصدر). أي: فهو منصوب على أنه مفعول مطلق لفعله المرادف.

(٨) قوله: (حذف منه نون الرفع). أي: فأصله: لتسألُونَنَّ. فهو فعل مضارع مرفوع وعلامته =

الجمع؛ لالتقاء الساكنين ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ يوم رؤيتها ﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ ما يلتذ به[(١)] في الدنيا من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب وغير ذلك.

❁❁❁

= رفعه ثبوت النون المحذوفة لأجل نون التوكيد، والواو المحذوفة نائب الفاعل في محل رفع.

(١) قوله: (ما يلتذ به). ويدل على ذلك ما رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما أكلوا من بيت أنصاري لما أصابهم من الجوع، قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتسألن عن نعيم هذا اليوم، يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم**».اهـ. [مسلم (٣/ ١٦٠٩)].

١٠٣- سورة العصر

مكية أو مدنية[(١)]، وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ - ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾﴾ الدهر[(٢)]، أو ما بعد الزوال إلى الغروب أو صلاة العصر.

﴿٢﴾ - ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ الجنس[(٣)] ﴿لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ في تجارته.

﴿٣﴾ - ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فليسوا في خسران ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى بعضهم بعضًا ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالإيمان[(٤)] ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ على الطاعة وعن المعصية[(٥)].

❁❁❁

---

(١) قوله: (مكية). أكثر المفسرين أطلقوا أنها مكية، ولم أجد من نقل الخلاف في ذلك.

(٢) قوله: (الدهر). ذكر المفسر في تفسير العصر هنا ثلاثة أقوال: الأول: أنه الدهر. روي عن ابن عباس وغيره. الثاني: ما بعد الزوال إلى الغروب. روي عن الحسن، وقتادة. الثالث: صلاة العصر. روي عن مقاتل. وروي عن قتادة أيضًا: «أنه آخر ساعة من ساعات النهار»، وقيل: المراد: عصر النبي ﷺ أي: زمانه. وعلى كل حال: هذا قسم من الله تعالى.

(٣) قوله: (الجنس). أفاد أن «أل» فيه جنسية، والمراد: استغراقية بقرينة الاستثناء؛ لأن الاستثناء من قرائن العموم. و«أل» الاستغراقية نوع من الجنسية عند طائفة من العلماء، كما يعلم من كتب البلاغة. وقد شاع عند الأصوليين تسمية الاستغراقية بالجنسية حيث عدوا من أدوات العموم: «أل» الجنسية، ولا تفيد العموم إلا الاستغراقية.

(٤) قوله: (أي: بالإيمان). روي هذا عن ابن عباس، وقال قتادة: «الحق هنا القرآن»، وقال السدي: «هو الله تعالى».

(٥) قوله: (على الطاعة). ذكر المفسر قسمي الصبر، كما اقتصر عليهما القرطبي. وبقي الثالث، وهو الصبر على المصائب، قال ابن كثير: «أي: على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر».اهـ.

١٠٤- سورة الهمزة

مكية أو مدنية(١)، وآياتها تسع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب(٢)، أو واد في جهنم ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١)﴾ أي: كثير الهمز واللمز(٣)، أي: الغيبة. نزلت(٤) فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما.

(٢)- ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ﴾ بالتخفيف والتشديد(٥) ﴿مَالًا وَعَدَّدَهُۥ (٢)﴾ أحصاه

(١) قوله: (مكية). أكثر المفسرين أطلقوا أنها مكية، ولم أجد من ذكر الخلاف.

(٢) قوله: (كلمة عذاب). تقدم نظيره مرارًا.

(٣) وقوله: (أي: كثير الهمز...). أفاد أن وزن «فُعَلَة» يفيد المبالغة، كالضُّحَكة، والرُّحَلة، واللُّعَنَة. وفسرت الكلمتان بألفاظٍ متقاربة، كلها يرجع إلى معنى الغيبة والتعييب. وأصل الهمز: الكسر، واللمز: الطعن، فشاعا في الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم. ذكره البيضاوي.

(٤) قوله: (نزلت...). ذكر المفسرون أقوالًا فيمن نزلت هذه الآية، فعن ابن عباس: «نزلت في الأخنس بن شريق»، وعن ابن جريج: «في الوليد بن المغيرة»، وقيل: في أمية بن خلف.

وقيل: غير ذلك. وعن مجاهد: «الآية عامة في كل من هذه صفته»، واختاره ابن جرير. وقال القرطبي: «وهو قول الأكثرين».

(٥) قوله: (بالتخفيف...). قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف، ورَوْح: بتشديد الميم: ﴿جَمَّعَ﴾. والباقون: بتخفيفها: ﴿جَمَعَ﴾. والتشديد يفيد المبالغة. قال القرطبي: «المقصود الذم على إمساك المال عن سبيل الطاعة».اهـ.

وجعله عُدة لحوادث الدهر[١].

٣- ﴿يَحۡسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣﴾ جعله خالدًا لا يموت.

٤- ﴿كَلَّاۖ﴾ ردع ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ جواب قسم محذوف، أي: ليطرحن ﴿فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤﴾ التي تحطم كل ما ألقي فيها.

٥- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾[٢] أعلمك ﴿مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥﴾.

٦- ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦﴾ المسعّرة.

٧- ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ﴾ تتشرف[٣] ﴿عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾ القلوب، فتحرقها وألمها أشد من ألم غيرها للطفها.

٨- ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم﴾ جمع الضمير رعاية لمعنى كلّ ﴿مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨﴾ بالهمزة[٤]، وبالواو بدله، مطبقة.

---

(١) وقول المفسر: (وجعله عدّة). تفسير لـ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾، فسر به القرطبي، والبيضاوي. فالمعنى: جعله عُدة. وقال الضحاك: «أعد ماله لمن يرثه».

(٢) ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾. تقدم إعراب نظير هذه الجملة. و﴿ٱلۡحُطَمَةُ﴾ من أسماء النار. قاله ابن جرير. وقيل: هي الطبقة السادسة منها. وقيل: الرابعة، وقيل: الثانية. والله أعلم. ذكرها القرطبي مع العزو إلى القائل بذلك.

(٣) قوله: (تتشرف). قال ابن جرير: «التي يطلع ألمها ووهجها القلوب». وقال القرطبي: «وخص الأفئدة؛ لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه»، أي: إنه في حال من يموت ولا يموتون.

ونقل عن محمد بن كعب: «تأكل النار جميع ما في أجسادهم حتى إذا بلغت إلى الفؤاد خلقوا خلقًا جديدًا، فرجعت تأكلهم».اهـ.

(٤) قوله: (بالهمزة). قراءتان، كما تقدمتا في سورة البلد.

(٩)- ﴿فِي عُمُدٍ﴾ بضم الحرفين وبفتحهما[١] ﴿مُّمَدَّدَةِۭ (٩)﴾ صفة لما قبله. فتكون النار داخل العمد[٢].

❁❁❁

(١) قوله: (بضم الحرفين...). قرأ بالضم: حمزة، والكسائي، وخلف، وشعبة. والباقون: بالفتح: ﴿عَمَدٍ﴾.

(٢) قوله: (فتكون النار...). كما روي عن ابن عباس: «أدخلهم في عمد، فمدت عليهم بعمادٍ وفي أعناقهم السلاسل فسدّت بها الأبواب».اهـ. كما في ابن جرير، ورواه القرطبي عن أبي هريرة مرفوعًا بسياقٍ أطول.

١٠٥- سورة الفيل

مكية[(١)]، وآياتها خمس آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجيب[(٢)]، أي: اعجب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ

---

(١) قوله: (مكية). باتفاق.

(٢) قوله: (استفهام تعجيب). يعني: هذا الاستفهام للتقرير، ويتضمن الأمر بإنشاء العجب من قدرة الله تعالى وكيفية إهلاكه عدوّه مع كون العدوّ أعظم وأقوى جيش.
وكون الاستفهام للتقرير بالنظر إلى المآل؛ لأن الهمزة للاستفهام الإنكاري دخلت على النفي، ونفي النفي إثبات، كما تقدم لذلك نظائر، قال القرطبي: «واللفظ استفهام والمعنى تقرير».
قال ابن كثير بعد كلام: «كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام وُلِد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيرتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره، ببعثة النبي الأمي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء».اهـ.
ولذا نصر الله قريشًا مع أنهم أهل شرك على أبرهة وجيشه مع أنهم أهل دين، وذلك توقيرًا للكعبة وتشريفًا للنبي ﷺ.
الإعراب: الهمزة: استفهامية، و﴿لَمْ﴾ حرف جزم ونفي وقلب. و﴿تَرَ﴾: فعل مضارع مجزوم علامة جزمه حذف حرف العلة -الألف- ووزنه «تَفَ» حذفت منه عين الكلمة الهمزة، كما تقدم في ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ [مريم: ٢٦]، وغيره. الرؤية هنا علمية تتعدى إلى المفعولين، سدت مسدهما جملة ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾.

ٱلۡفِيلِ ۝١﴾[١] هو محمود وأصحابه أبرهة ملك اليمن وجيشه[٢]، بنى[٣] بصنعاء كنيسة ليصرف إليها الحاج عن مكة، فأحدث[٤] رجل من كنانة فيها ولطخ قبلتها بالعذرة؛ احتقارًا بها فحلف أبرهة ليهدمن الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال[٥]،

---

(١) و﴿كَيۡفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال، أو مفعول مطلق لـ﴿فَعَلَ﴾. فالمعنى: أيَّ حالٍ وكيفيةٍ فعل ربك، أو أيَّ فعلٍ فعل ربك، واختار ابن هشام كونه مفعولًا مطلقًا.

وذكر المفسر ملخص قصة أصحاب الفيل مما ذكره أئمة التفسير، كابن كثير، والقرطبي، وابن جرير وغيرهم.

(٢) وقول المفسر: (هو محمود...). أي: اسم ذلك الفيل: محمود.

وقوله: (وأصحابه...). يعني: أصحاب الفيل، هم: أبرهة وجيشه. وهذا تفسير للمراد ﴿بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾. أي: وهم الفيل الذي اسمه محمود، وأبرهة وجيشه.

وقوله: (أبرهة...). وهو أبرهة بن الصباح، ملك اليمن من جهة النجاشي ملك الحبشة. وكان أبرهة نصرانيًّا.

(٣) وقوله: (بنى...). كلام مستأنف يريد به بيان ملخص تلك القصة.

وقوله: (كنيسة...). وكانت هذه الكنيسة هائلة رفيعة الفناء، عالية البناء، لم تر العرب مثلها، وكانت العرب تسميها: «القليس»؛ لارتفاعها؛ لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته. ذكره ابن كثير.

(٤) قوله: (فأحدث...). يعني: قضى حاجته، أي: تغوّط.

(٥) قوله: (على أفيال). قيل: كان معهُ ثمانية أفيال، وقيل: اثنا عشر، وكان في المقدم فيل عظيم لم يُر مثله وهو المسمى بـ«محمود».

وكان جيش أبرهة أغاروا على إبل أهل مكة وكان فيها مائتا بعير لعبدالمطلب، وأرسل أبرهة إلى أهل مكة رجلًا اسمه حناطة الحميري ليأتي بأشرف قريش إليه، وكان عبدالمطلب هو رئيسهم وزعيمهم، فحضر عبدالمطلب عند أبرهة، فلما رآه أبرهة أكرمه =

مقدّمها «محمود»، فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله:

﴿٢﴾- ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ أي: جعل ﴿كَيْدَهُمْ﴾ في هدم الكعبة ﴿فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾ خسارة وهلاك.

﴿٣﴾- ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾ جماعات جماعات[1]. قيل: لا واحد له، كأساطير، وقيل: واحدُه إِبَّوْلٌ أو إِبّال أو إِبِّيل، كِعجَّوْل ومفتاح وسكّين.

﴿٤﴾- ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ طين مطبوخ.

= وهابه؛ لأنه كان حسن المنظر مهابًا، فسأله أبرهة: ما حاجتك؟ قال عبدالمطلب: حاجتي أن ترد علي المائتي بعير، فقال أبرهة: أتكلمني في بعيرك وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك! أنا جئت لهدمه؟ فقال عبدالمطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربًّا سيمنعه. ورجع عبدالمطلب إلى قريش، فأمرهم بالخروج من مكة؛ لئلا يصيبهم العذاب، وأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرون على أبرهة وجنده. فكان ما قص الله علينا من الوقائع.اهـ. من ابن كثير موجزًا.

(١) قوله: (جماعات...). فسر بنحوه أئمة التفسير واللغة، وهو نعت للطير، منصوب، ممنوع من الصرف على صيغة منتهى الجموع، واختلف فيه، فقيل: جمع لا واحد له، قاله الجوهري، والفراء، ونقل القرطبي وغيره الأقوال الثلاثة في مفرده، التي ذكرها المفسر، وهن:

١- إِبَّوْل، بكسر الهمزة وتشديد الباء المفتوحة، نظيره: عِجَّوْل، مفرد العجاجيل. وهو ولد البقرة، كالعِجل.

٢- إِبَّال: بكسر الهمزة وتشديد الباء، على وزن: مفتاح.

٣- إِبِّيل: بكسر الهمزة وتشديد الباء، على وزن: سكين.

٥- ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾ كورق زرع أكلته الدواب[١]، وداسته وأفنته، أي: أهلكهم الله تعالى كل واحدٍ بحجره المكتوب عليه اسمه، وهو أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة يخرق البيضة[٢] والرجل والفيل ويصل إلى الأرض، وكان هذا عام مولد النبي ﷺ[٣].

❁❁❁

(١) قوله: (كورق زرع). كما تقدم في سورة الرحمن، فعن قتادة: «التبن»، وعن ابن زيد: «ورق الزرع وورق البقل: إذا أكلته البهائم فراثته».

(٢) قوله: (يخرق البيضة). البيضة قلنسوة الحرب، تصنع من الحديد يلبسها المقاتل.

(٣) قوله: (وكان ذلك عام مولده ﷺ). كما تقدم في كلام ابن كثير.

١٠٦- سورة قريش

مكية أو مدنية[١]، وآياتها أربع آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ (١)﴾.

(٢)- ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ﴾[٢] تأكيد، وهو مصدر آلف بالمد ﴿رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ﴾[٣] إلى

---

(١) قوله: (مكية). أكثر المفسرين أطلقوا أنها مكية، ولم أجد من ذكر الخلاف.

(٢) **فائدة**: قال المفسرون -كابن كثير- هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الإمام، أي: هي سورة مستقلة، وذلك لوجود «بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ» في أولها. وعلى هذا يحتمل الجار والمجرور ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ أوجهًا:

١- متعلق بمحذوف تقديره: حبسنا عن مكة الفيل، وأهلكنا أهله لإيلافهم واجتماعهم، أي: لأجل أن يأتلفوا ويجتمعوا في بلدهم. فيكون لهذه السورة علاقة معنوية بما قبلها، كما نقله ابن كثير عن ابن أسلم، وابن إسحٰق.

٢- متعلق بمحذوف تقديره: اعجبوا، أي: اعجبوا لإيلاف الله تعالى قريشًا ثم تركهم عبادته. اختاره ابن جرير.

٣- متعلق بـ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ﴾ والفاء مزيدة لتأكيد الربط؛ لأن لقوله: «اعبدوا» شبهًا بجواب الشرط، كأن المعنى: إن لم يعبدوه لسائر النعم فليعبدوا لهذه النعمة أي: نعمة إيلافهم. اختاره البيضاوي، وعليه مشى المفسر. وقال القرطبي وغيره: «ممن عدّ السورتين واحدة: أبيّ بن كعب».اهـ. وعلى هذا يتأكد كون الجار والمجرور متعلقًا بنحو: حبسنا عن مكة الفيل. والله أعلم.

(٣) ﴿رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ﴾. منصوب على أنه مفعول ثانٍ لـ﴿لِإِيلَٰفِ﴾، أي: آلفهم الله تعالى الرحلة. وقيل: مفعول مطلق لفعل محذوف، وقيل: ظرف، كما يعلم من القرطبي.

اليمن ﴿وَ﴾ رحلة[١] ﴿الصَّيْفِ ۝٢﴾ إلى الشام، في كل عام يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة؛ لخدمة البيت الذي هو فخرهم، وهم ولد النضر بن كنانة[٢].

۝٣- ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ تعلق به لإيلاف، والفاء زائدة ﴿رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾.

۝٤- ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي: من أجله ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ أي: من أجله، وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة، وخافوا جيش الفيل[٣].

❁❁❁

(١) وقول المفسر: (رحلة) ﴿الصَّيْفِ﴾. قدر (رحلة) لإفادة أنها رحلتان مستقلتان.

(٢) وقوله: (وهم ولد النضر...). أي: قريش أولاد النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. وقيل: قريش هم بنو فهر بن مالك بن النضر. والأول أصح. قاله القرطبي. والنضر بن كنانة جد النبي ﷺ.

تنبيه: الشتاء والصيف من فصول السنة الأربعة المعروفة. ونقل القرطبي عن مالك، واختاره: «أن الشتاء نصف السنة والصيف نصفها؛ لأن الله تعالى قسم الزمان إليهما».اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (وخافوا...). هذا تفسير للخوف الذي آمنهم منه. وهذا خوف خاص، وكذلك كانوا آمنين في مكة وفي رحلاتهم لما لهم من المكانة عند الناس من حيث إنهم أهل الحرم الشريف، فكان الناس لا يتعرضون إلى أنفسهم أو أموالهم في رحلاتهم. كما بينه ابن كثير وغيره، والله أعلم.

١٠٧- سورة الماعون

مكية أو مدنية[١] أو نصفها ونصفها، وآياتها ست أو سبع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ بالجزاء والحساب[٢]، أي: هل عرفته وإن لم تعرفه[٣]:

(٢)- ﴿فَذَٰلِكَ﴾ بتقدير هو بعد «الفاء»، ﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ أي: يدفعه بعنف عن حقه.

(٣)- ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ نفسه ولا غيره ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ أي: إطعامه[٤]، نزلت في العاص بن وائل[٥] أو الوليد بن المغيرة.

---

(١) قوله: (مكية أو مدنية). ذكر القرطبي أن الآيات الثلاث الأولى مكية، والبواقي مدنية، وأشار البيضاوي إلى الاختلاف، وأطلق الأكثر أنها مكية.

(٢) وقوله: (بالجزاء...). تفسير للدين، كما فسر بذلك القرطبي وغيره، وتقدم في سورة الفاتحة.

(٣) قوله: (هل عرفته...). أفاد أن ﴿أَرَءَيْتَ﴾ هنا استفهام، أي: استفهام تعجبي. والفاء في ﴿فَذَٰلِكَ﴾ داخلة في جواب شرط مقدر، ويشير إلى هذا قول البيضاوي، إن ﴿أَرَءَيْتَ﴾ استفهام معناه التعجب. ويحتمل كون ﴿أَرَءَيْتَ﴾ بمعنى: أخبرني، والمفعول الثاني مقدر، أي: من هو، كما مشى على ذلك بعض المعربين. يعني أن الجملة الاستفهامية المقدرة تسد مسد المفعول الثالث، الأول: ياء المتكلم. والثاني: الاسم الموصول: ﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ﴾، والله أعلم.

(٤) قوله: (أي: إطعامه). أفاد أن «طعام» هنا اسم مصدر: أَطْعَمَ.

(٥) قوله: (نزلت في العاص...). روي ذلك عن ابن عباس: «أي: نزلت في العاص بن وائل السهميّ». وقاله الكلبيّ، ومقاتل. وعن السدّي: «نزلت في الوليد بن المغيرة»، وعن =

٤- ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾[١].

٥- ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ غافلون، يؤخرونها عن وقتها[٢].

٦- ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ في الصلاة وغيرها.

٧- ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ كالإبرة والفأس والقِدْر والقَصعة[٣].

❁❁❁

= ابن جريج: «نزلت في أبي سفيان، كان ينحر في كل أسبوع جزورًا، فطلب منه يتيم شيئًا فقرعه بعصاه، فأنزل الله هذه السورة».اهـ. أي: قبل إسلام أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والله أعلم.

(١) ﴿فَوَيْلٌ﴾. الفاء هي الفصيحة، أي: إذا كان الأمر كذلك ﴿فَوَيْلٌ﴾.

(٢) قوله: (يؤخرونها). تفسير لـ﴿سَاهُونَ﴾. أي: تأخير الصلاة عن وقتها، وليس المراد تركها، هذا المعنى مرويّ عن ابن عباس وغيره، وروي عن ابن عباس أيضًا: «أن المراد تركها، والآية في المنافقين كانوا يراؤون الناس بصلاتهم ويتركونها إذا غابوا»، وعن مجاهد: «يتهاونون بالصلاة ولا يهتمون بشأنها».

(٣) قوله: (كالإبرة...). أمثلة لـ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾. وهو منافع البيت. وهذا التفسير مروي عن ابن مسعود وغيره، قال: «ما يتعاطاه الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك»، وذكر القرطبي اثني عشر قولًا في تفسير ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾، منها: زكاة الأموال. ومنها: أنه الماء. ومنها: الحق. وغير ذلك.

قال ابن كثير: «أي: لا أحسنوا في عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به، ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم؛ فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى».اهـ. فيه إشارة إلى الجمع بين التفاسير المختلفة لـ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾. والله أعلم.

وقوله: (كالإبرة...) أمثلة للماعون، وهي معروفة، فالإبرة: ما يخاط به. والفأس: ما يقطع به نحو الحطب والشجر. والقدر -بكسر القاف-: الإناء الذي يطبخ فيه ويوضع على التنور. والقصعة -بفتح القاف-: الإناء الذي يؤكل منه أو يشرب. ومن المشهور قولهم: «لا تكسر القَصعة، ولا تفتح الخِزانة»، الكسر والفتح إما بالمعنى المعروف، أو بمعنى: حركة الكسر والفتح.

١٠٨- سورة الكوثر

مكية أو مدنية(١)، وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكَوْثَرَ (١)﴾ هو نهر في الجنة(٢)، هو

---

(١) قوله: (مكية...). أكثر المفسرين أطلقوا أنها مكية، ولكن تفسير الصلاة بصلاة عيد الأضحى، والنحر بالأضحية يناسب كونها مدنية؛ لأن صلاة العيد شرعت بعد الهجرة، ورجحه الإمام النووي، وعلى هذا يكون نزول الآية الثالثة في العاص بن وائل أو غيره؛ لأنه استمرّ على وصفه النبي ﷺ بتلك الصفة. والله أعلم. وذلك أحد التفاسير فيهما. وهذه السورة أقصر سورة في القرآن الكريم.

(٢) قوله: (هو نهر في الجنة). الكوثر: فَوعَل من الكثرة، كما نص على ذلك العلماء. وفي تفسيره عدة أقوال، أنهاها القرطبي إلى ستة عشر قولًا، ولكن الأشهر والأصح: أنه نهر في الجنة، أو حوضه ﷺ في الموقف، كما ذكر القرطبي. والقول بأنه نهر في الجنة؛ رواه البخاري. [البخاري: تفسير هذه الآية (٤٩٤٦)].

وسمي كوثرًا؛ لكثرة مائه وآنيته وعظم قدره وخيره، كما ذكر الحافظ.

والقول الثاني: أنه الحوض، رواه مسلم في «صحيحه» عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «أغفي رسول الله ﷺ إغفاءةً، فرفع رأسه مبتسمًا إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنه نزلت علي آنفًا سورة**»، فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ (١)﴾ حتى ختمها، ثم قال: «**هل تدرون ما الكوثر؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هو نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة**».اهـ. [مسلم (١/ ٣٠٠)].

وجمع بين هذين القولين بأن الحوض ينصب فيه ميزابان من ذلك الكوثر الذي هو نهر في الجنة.اهـ. وإلى ذلك إشار المفسر بقوله: (هو حوضه...). أي: النهر في الجنة هو حوضه، بأن ينصب فيه من نهر الجنة، والله أعلم. =

حوضه ترد عليه أمته، أو الكوثر: الخير الكثير من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها.

٢- ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾[١] صلاة عيد النحر[٢] ﴿وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ نسكك.

٣- ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ مبغضك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ المنقطع عن كل خير، أو المنقطع العقب. نزلت في العاصي بن وائل[٣]، سمى النبي ﷺ أبتر عند موت ابنه القاسم.

❁❁❁

= القول الثالث: الكوثر: الخير الكثير. روي عن ابن عباس وغيره، فيشمل الحوض والنهر وغيرهما. ومن الأقوال في معنى الكوثر: النبوة، القرآن، والإسلام، كثرة الأصحاب، والأمة، رفعة الذكر وغير ذلك.

(١) ﴿فَصَلِّ﴾. الفاء للسببية، أو الفصيحة.

(٢) وقوله: (صلاة عيد النحر...). وهذ التفسير أي: الصلاة: صلاة عيد الأضحى، والنحر: نحر الأضحية؛ مروي عن أنس، وقتادة، وغيرهما. وعلى هذا يكون الأمر للندب على القول بأنهما سنتان، كما عليه الشافعية. وعن مجاهد: «الصلاة المكتوبة، ونحر البدن»، وروي عن ابن عباس، وعن عليّ: «أن المعنى: صل وضع اليمنى على اليسرى ثم على الصدر»، وقيل: اجعل صلاتك ونحرك لله وحده، دون غيره. واختاره ابن جرير، وروي عن محمد بن كعب القرظي.

(٣) قوله: (نزلت...). هذا مروي عن ابن عباس، وغيره، وقيل: في أبي جهل، وقيل: في عقبة. والبتر بمعنى: القطع، وكانت العرب تقول لمن مات ابنه: أبتر، بمعنى: أنه مقطوع العقب. قال ابن جرير: «هذه الآية عامة في كل من أبغضه ﷺ من الناس، وإن كانت نزلت في شخص بعينه».اهـ. ملخصًا.

١٠٩- سورة الكافرون

مكية أو مدنية[(١)]، وآياتها ست آيات

نزلت[(٢)] لما قال رهط من المشركين لرسول الله ﷺ: تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾[(٣)].

(٢)- ﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ في الحال ﴿مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ من الأصنام.

(٣)- ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ في الحال[(٤)] ﴿مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ وهو الله تعالى وحده.

---

(١) قوله: (مكية أو مدنية). عامة المفسرين أطلقوا أنها مكية، كما يدل على ذلك سياق الآيات وسبب النزول، ولم أعثر على من قال إنها مدنية.

(٢) وقوله: (نزلت...). ما ذكره من سبب النزول ذكره ابن جرير وغيره، ورواه ابن جرير عن ابن عباس بسياق أطول.

فائدة: ثبتت قراءة هذه السورة وسورة الإخلاص، في مواضع منها: ركعتا الطواف، وركعتا الفجر، رواهما مسلم. وركعتان بعد المغرب. رواه أحمد. وغير ذلك. وعن ابن عباس: «ليس في القرآن أشد غيظًا منها؛ لأنها توحيد وبراءة من الشرك». نقله القرطبي. وروى الترمذي عن أنس: «أنها تعدل ثلث القرآن»، وورد أيضًا أنها تعدل ربع القرآن، وكذا ورد في سورة الزلزلة، أنها تعدل ربع القرآن. ذكرهما ابن كثير.

(٣) ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. قال ابن كثير: «يشمل كل كافر على وجه الأرض».اهـ. يعني: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ لأنها نزلت في كفار قريش. ولكن المراد: من علم الله أنه سيموتون كفارًا. ذكره البيضاوي، والقرطبي.

(٤) قوله: (في الحال...). في الموضعين. وقوله: (في الاستقبال...). في الموضعين. يفيد أن =

(٤)- ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ﴾ في الاستقبال ﴿مَّا عَبَدتُّمۡ ٤﴾.

(٥)- ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ﴾ في الاستقبال ﴿مَآ أَعۡبُدُ ٥﴾ علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق «مَآ» على الله على وجه المقابلة[(١)].

(٦)- ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾ الشرك ﴿وَلِيَ دِينِ ٦﴾ الإسلام. وهذا قبل أن يؤمر بالحرب[(٢)]. وحذف ياء الإضافة[(٣)] القراء السبعة وقفًا ووصلًا وأثبتها يعقوب في الحالين.

❁❁❁

= الآية الرابعة والخامسة ليستا من التكرار، وكما يفيده كلام البيضاوي. وعزاه القرطبي إلى الأخفش، والمبرّد. وقال البيضاوي: «يجوز أن تكونا تأكيدين»، كما فصل ذلك القرطبي، وقال: «إنه من أسلوب البلاغة».

(١) قوله: (وإطلاق ﴿مَآ﴾). أي: في قوله تعالى: ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ في الموضعين، على سبيل المشاكلة ومقابلة ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ و﴿مَّا عَبَدتُّمۡ﴾. وقيل: ﴿مَآ﴾ فيهما مصدرية، كما ذكره البيضاوي.

(٢) قوله: (وهذا...). يعني: أنه منسوخ، ويناسب ذلك كونها مكية، ونص على أنها منسوخة القرطبي، ولم يتعرض لذلك ابن جرير، ولا أكثر المفسرين.

(٣) قوله: (وحذف ياء...). يعني: أن ﴿دِينِ﴾ أصله: ديني، بياء المتكلم المضاف إليها، وحذفت تخفيفًا؛ اكتفاءً بالكسرة، كما تحذف من المنادى، نحو: يا عبادِ، وكما تحذف ياء المتكلم المفعول به، نحو: ﴿فَٱتَّقُونِ ٤١﴾ [البقرة: ٤١]، وقد تقدم نظائر ذلك.

١١٠- سورة النصر

مدنية[١]، وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ نبيه ﷺ على أعدائه ﴿وَٱلْفَتْحُ (١)﴾ فتح مكة[٢].

(٢)- ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي: الإسلام ﴿أَفْوَاجًا (٢)﴾ جماعات بعدما كان يدخل فيه واحد واحد، وذلك بعد فتح مكة جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين.

(٣)- ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: ملتبسًا بحمده ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا (٣)﴾. وكان ﷺ بعد نزول[٣] هذه السورة يكثر من قول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه»، وعلم بها أنه قد اقترب أجله[٤]، وكان فتح

---

(١) قوله: (مدنية). بلا خلاف.

(٢) قوله: (فتح مكة). قال ابن كثير: «والمراد بالفتح هنا فتح مكة قولًا واحدًا».اهـ. وقال أيضًا: «كانت أحياء العرب تقول: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجًا».اهـ. باختصار.

(٣) قوله: (وكان ﷺ بعد...). روى نحوه الشيخان وغيرهما، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**». [«فتح الباري» (٨/ ٦٠٥)، مسلم (١/ ٣٥٠)].

(٤) قوله: (وعلم بها...). روي ذلك عن ابن عباس، والضحاك، ومجاهد، وغيرهم بألفاظٍ متقاربة، فكأن المعنى: إذا جاء نصر الله، ودخل الناس في دين الله أفواجًا؛ فقد تمت =

مكة في رمضان سنة ثمان، وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

❁❁❁

= مسؤوليتك، وأداء رسالتك، فاستعد للقاء الله بكثرة التسبيح والاستغفار. روى ابن جرير عن ابن عباس قال: «لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ قال رسول الله ﷺ: «**نعيت إلي نفسي، كأني مقبوض في تلك السنة**». ورواه الإمام أحمد (ج١/ ١٨٧٣).

روى البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس ما حاصله: «أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يدني ابن عباس مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه من ذلك، أي: لصغر سن ابن عباس، فسأل عمر: ماذا تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ ...﴾، فلم يجيبوا بالجواب الصحيح، فقال عمر لابن عباس: ماذا تقول؟ قال: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له. فقال عمر: لا أعلم منها إلا ما تقول».اهـ. باختصار [«فتح الباري»: (٨/ ٦٠٦)].

١١١- سورة المسد أو «تبت»

مكية[١]، وآياتها خمس آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لما دعا النبي ﷺ قومه[٢]، وقال: «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»[٣]، فقال عمه أبو لهب[٤]: تبًّا لك ألهذا دعوتنا، نزلَ:

(١)- ﴿تَبَّتْ﴾ خسرت ﴿يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: جُملَتُه، وعبر عنها باليدين مجازًا[٥]؛ لأن أكثر الأفعال تزاول بهما، وهذه الجملة[٦] دعاء ﴿وَتَبَّ (١)﴾ خسر هو، وهذه الجملة خبر كقولهم: أهلكه الله وقد هلك، ولما خوّفه النبي ﷺ[٧]

---

(١) قوله: (مكية). بدون خلاف ينقل.

(٢) قوله: (لما دعا). بيان لسبب النزول.

(٣) وقوله: (وقال: «إني...»). معطوف على جملة (دعا). وجواب (لما) قوله: (نزلت). وروى البخاري نحوه عن ابن عباس بسياق أطول.

(٤) وقوله: (عمه أبو لهب). أي: عم النبي ﷺ أبو لهب. واسمه عبدالعزى بن عبدالمطلب، وكنيته: أبو عتيبة، ولقب بأبي لهب لإشراق وجهه. وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ، كما ذكر ذلك ابن كثير.

(٥) وقوله: (مجازًا). أي: مجازًا مرسلًا في اصطلاح البلاغيين.

(٦) وقوله: (وهذه الجملة...). أي: جملة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ جملة إنشائية دعائية، وجملة ﴿وَتَبَّ﴾ خبرية. هذا القول عزاه القرطبي إلى الفراء، وفسر كذلك ابن كثير. فالواو فيه استئنافية لا عاطفة؛ لأن الخبر لا يعطف على الإنشاء ولا العكس على التفصيل الذي ذكره البلاغيون.

(٧) وقوله: (ولما خوّفه...). بيان لسبب نزول الآية التالية. وجواب (لما) قوله: (نزل). وما ذكره المفسر من سبب النزول عزاه القرطبي إلى ابن عباس، بنفس السياق الذي ذكره المفسر، ونقله ابن كثير عن ابن مسعود.

بالعذاب، فقال: إن كان ما يقول ابن أخي حقًّا فإني أفتدي منه بمالي وولدي، نزل:

(٢)- ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾[١] أي: وكسبه، أي: ولده[٢]، و«أَغۡنَىٰ» بمعنى: يُغني.

(٣)- ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣﴾ أي: تلهب وتوقد، فهي مآل تكنيته[٣]، لتلهُّبِ وجهه إشراقًا وحمرة[٤].

(٤)- ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ عطف على ضمير «يَصۡلَىٰ»[٥]، سوغه الفصل بالمفعول

---

(١) قوله: (أي: ولده...). تفسير الكسب بالولد مروي عن مجاهد وغيره، وروى ابن جرير عن أبي الطفيل: «أن أولاد أبي لهب اختصموا عند ابن عباس، فقام ابن عباس يحجز بينهم وقد كف بصره، فدفعه بعضهم حتى وقع على الفراش، فغضب، وقال: أخرجوا عني الكسب الخبيث».اهـ. ففيه إطلاق الكسب على الولد.

(٢) ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾. و﴿مَآ﴾ في ﴿مَآ أَغۡنَىٰ﴾ إما نافية أو استفهامية، و﴿مَا﴾ في ﴿وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ إما موصولة أو مصدرية، وعليها جرى المفسر حيث قال: (وكسبه)، والأوجه ذكرها المعربون. وفي بعض النسخ لا يوجد: (والنصب).

(٣) قوله: (فهي مآل). يعني: أن في تكنيته بأبي لهب إشارة إلى أنه جهنميّ، وهذا أحد الأوجه التي ذكرها المفسرون لذكر كنيته دون اسمه هٰهنا، والأوجه الباقية:

الثاني: لأن اسمه عبدالعزى، والعزى اسم صنم، وما كان الله ليذكر ذلك.

والثالث: لأن كنيته كانت أشهر من اسمه، وقيل غير ذلك.

(٤) وقول المفسر: (لتلهّب...) متعلق بتكنيته وتوجيه للتكنية.

(٥) قوله: (عطف على ضمير...). إشارة إلى مسألة نحوية، وذلك أنه لا يعطف الاسم الظاهر على الضمير المرفوع المتصل أو المستتر إلا بعد الفصل بالضمير المنفصل أو فاصلٍ ما، تقول: قمتُ أنا وزيد، ولا تقول: قمتُ وزيد، فهٰهنا ﴿ٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ معطوف على الضمير المستتر في ﴿يَصۡلَىٰ﴾، والفاصل موجود، وهو المفعول به ونعته، يعني: ﴿نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣﴾، وهو واضح، وقد تقدم ذكر هذه المسألة.

وصفته. وهي أم جميل[١] ﴿حَمَّالَةُ﴾ بالرفع والنصب[٢] ﴿ٱلۡحَطَبِ ٤﴾ الشوك والسعدان[٣] تلقيه في طريق النبي ﷺ.

٥- ﴿فِي جِيدِهَا﴾ عنقها ﴿حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾ أي: ليف[٤]، وهذه الجملة حال من «حَمَّالَةُ ٱلۡحَطَبِ» الذي هو نعت لامرأته، أو خبر مبتدأ مقدر.

❁❁❁

(١) وقوله: (وهي أم جميل). واسمها: العوراء أم جميل أخت أبي سفيان بن حرب.

فائدة: استنبط الفقهاء من هذه الآية صحة نكاح الكفار؛ لأن الله تعالى سماها امرأته، وهذا من دلالة الإشارة التي بينها الأصوليون.

(٢) قوله: (بالرفع والنصب). قرأ عاصم: بالنصب. والباقون: بالرفع. فالنصب بتقدير فعل نحو: أذمُّ، والرفع على أنه نعت، وإضافة ﴿حَمَّالَةَ﴾ معنوية لكونها بمعنى الماضي، فصح وقوعها نعتًا للمعرفة. ويجوز كون الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أو بدل من ﴿ٱمۡرَأَتُهُۥ﴾، كما ذكره المعربون.

(٣) قوله: (الشوك). تفسير لـ﴿ٱلۡحَطَبِ﴾. والسعدان شجر ذو شوك، كانت تلقى ذلك في طريق النبي والمسلمين، روي عن ابن عباس، وغيره. وعلى هذا يكون ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ حقيقة، وروي عن مجاهد وغيره: «معناه: كانت تمشي بالنميمة»، ،عن ابن جبير: «حمالة الخطايا والذنوب»، واختار ابن جرير الأول، لظهوره، وعلى الأقوال الأخرى يكون في الكلام نوع مجاز.

(٤) قوله: (أي: ليف). الليف: قشر نحو النخل، فالمسد: الحبل المفتول فتلًا شديدًا من الليف أو الجلد أو غيرهما، كما يعلم من كلام المفسرين، واختلف في المراد به هٰهنا، فعن الضحاك: «حبل من شجر، وهو الحبل الذي كانت تحتطب به». اهـ، فالمسد هنا حقيقة، وعن ابن زيد: «حبل من نار في رقبتها، أي في الآخرة»، وعن عروة بن الزبير: «سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا». اهـ. وروي عن ابن عباس أيضًا، نقل القرطبي عن الضحاك: «هذا في الدنيا، فكانت تعيّر النبي ﷺ بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في جيدها من ليفٍ، فخنقها الله عَزَّوَجَلَّ به فأهلكها، وهو في الآخرة حبل من النار». اهـ. وفي هذا جمع بين الأقوال في تفسير ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾، والله أعلم.

١١٢- سورة الإخلاص

مكية أو مدنية[١]، وآياتها أربع أو خمس آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سئل النبي ﷺ عن ربه؛ فنزل:

(١)- ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ فـ«ٱللَّهُ» خبر «هُوَ»[٢]، و«أَحَدٌ» بدل منه أو خبر ثان.

(٢)- ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾ مبتدأ وخبر، أي: المقصود في الحوائج على الدوام[٣].

---

(١) قوله: (مكية). وهذا الاختلاف أشار إليه البيضاوي، وأكثر المفسرين ذكروا أنها مكية، وما روي في سبب نزولها يشير إلى هذا الاختلاف، فروى ابن جرير عن أبيّ بن كعب، وعكرمة، وأبي العالية وغيرهم: «قال المشركون للنبي ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾. وهذا يناسب كون السورة مكية. وروى ابن جرير عن قتادة قال: جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: انسب لنا ربك؛ فأنزلت ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾. وعن سعيد قال: «أتى رهط من اليهود النبي ﷺ فقالوا: يا محمد، هذا الله خلق الخلق فمن خلقه؟ فغضب النبي ﷺ، وفيه أنه نزل جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وأسمع هذه الآية.اهـ. وهذا يناسب كون السورة مدنية، وكلام المفسر يحتمل الوجهين.

(٢) قوله: (فـ﴿ٱللَّهُ﴾ خبر...). هذا أحد الوجهين في الإعراب، والوجه الثاني: ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن مبتدأ، و﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ جملة اسمية في محل رفع خبر المبتدأ: ﴿هُوَ﴾.

(٣) قوله: (أي: المقصود...). روى نحوه عن ابن عباس، قال: «الذي يصمد إليه في الحاجات»، وعن أبي هريرة: «المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد»، وروي عن مجاهد وغيره: «الصمد: الذي لا يأكل ولا يشرب»، وعن عكرمة: «هو الذي لم يخرج =

٣- ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لانتفاء مجانسته ﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ لانتفاء الحدوث عنه.

٤- ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ أي: مكافئًا ومماثلًا(١)، و«لَّهُۥ» متعلق بـ«كُفُوًا»(٢)، وقدم عليه لأنه محط القصد بالنفي، وأخر «أَحَدٌ» وهو اسم «يَكُن» عن خبرها؛ رعاية للفاصلة(٣).

❁❁❁

= منه شيء»، فهو بمعنى: لم يلد ولم يولد، وبذلك فسر أبو العالية. واختار ابن جرير الأول، حيث قال: «الصمد عند العرب: هو السيد الذي يُصمَد إليه الذي لا أحد فوقه».اهـ.

(١) قوله: (مكافئًا...). تفسير لـ﴿كُفُوًا﴾. وهو صفة مشبهة من الكفاءة، والواو منقلبة عن الهمزة، وبالواو: قرأ حفص. وقرأ حمزة، ويعقوب، وخلف: ﴿كُفْئًا﴾: بسكون الفاء وبالهمزة. والباقون: ﴿كُفُؤًا﴾: بضم الفاء وبالهمزة.

(٢) وقوله: (له متعلق...). يعني: أن أصل الكلام: ولم يكن أحدٌ كفوًا له. فـ﴿أَحَدٌ﴾ اسم ﴿يَكُن﴾، أخر لتناسب رؤوس الآي، وقدم ﴿لَّهُۥ﴾؛ لأن المراد نفي كفاءة أحدٍ عن الله، أي: نفي المماثلة عن ذات الله تعالى.

(٣) وقوله: (الفاصلة). أي: رؤوس الآي. والله أعلم.

فائدة: ورد في فضل سورة الإخلاص أحاديث؛ منها: ما روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**». [«فتح الباري» (٨/ ٦٧٦)].

١١٣- سورة الفلق

مكية أو مدنية[١]، وآياتها خمس آيات

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ في وتر به إحدى عشرة عقدة، فأعلمه الله بذلك[٢]، وبمحله[٣]، فأحضر بين يديه ﷺ، وأمر بالتعوذ بالسورتين، فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة، ووجد خفة حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما نشط من عقال[٤].

(١) قوله: (مكية). الأشهر أن هاتين السورتين مكيتان، وروي عن ابن عباس أنهما مدنيتان. ويناسب ذلك ما ذكره المفسر من سبب النزول، أي: قصة سحر اليهود له ﷺ، فإنها كانت بعد الهجرة، وعلى قول الجمهور من أنهما مكيتان يكون المراد أن النبي ﷺ أمر بالتعوذ بهما لما سحر. ويشير إلى ذلك قول القرطبي حيث قال: «وهذه السورة وسورة الناس والإخلاص تعوذ بهن رسول الله ﷺ حين سحرته اليهود على ما يأتي».اهـ. ثم ذكر تلك الرواية.

وقصة سحر لبيد بن الأعصم اليهودي للنبي ﷺ مروية في «الصحيحين» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. [الأحاديث (٣٠٩٥، ٥٤٣٠، ٥٤٣٢، ٥٤٣٣، ٥٧١٦، ٦٠٢٨)]. ونقل القرطبي عن ابن عباس القصة مفصلة، وفيها: «... وإذا وترٌ معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبر، فأنزل الله تعالى هاتين السورتين، وهما إحدى عشرة آية على عدد تلك العُقد، وأمر أن يتعوذ بهما، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة...» إلى آخرها.

الوتر: الحبل القوي الذي يشد على القوس.

(٢) وقول المفسر: (فأعلمه الله بذلك). أي: بأنه سُحر.

(٣) وقوله: (وبمحله). أي: موضع ذلك السحر. وكان وضع ذلك في بئر يقال لها: بئر ذروان، كما في البخاري.

(٤) وقوله: (كأنما نشط من عقال). أي: فك من قيدٍ. =

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١﴾ الصبح[١].

(٢) - ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾ من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسم وغير ذلك.

(٣) - ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣﴾ أي: الليل إذا أظلم[٢]، والقمر إذا غاب.

(٤) - ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ السواحر[٣] تنفث ﴿فِى ٱلْعُقَدِ ٤﴾ التي تعقدها في الخيط، تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق[٤]، وقال الزمخشري: «معه»، كبنات لبيد المذكور[٥].

= **تنبيه**: ما دام أنّ قصة السحر بالنبي ﷺ مروية في «الصحيحين» فلا ينبغي التوقف فيها ومحاولة استبعادها والرمز إلى أنها غير صحيحة، كما يفعله بعض المعاصرين، وقد ذهب إلى ذلك الشيخ فخرالدين قباوة في شرحه على الجلالين، ومن العجب محاولتهم لاستبعاد ما صح في «الصحيحين» بمجرد تعليلات واهية، ويستفاد من قصة السحر، أن السحر له حقيقة، وتأثير شديد، وشدة عداوة اليهود، وأنهم أهل السحر، كما يستفاد طريق التخلص والتعوذ من السحر.

(١) قوله: (الصبح). روي هذا التفسير عن ابن عباس، وجابر، وابن جبير وغيرهم. وروى عن ابن عباس أيضًا، والسدي: «أنه سجن في جهنم».

(٢) قوله: (الليل). روي هذا المعنى عن ابن عباس وغيره، والغسق: أول ظلمة الليل، ووقب: أي أظلم، أقبل، وعن الضحاك: «دخل»، وقيل: نزل، كما في القرطبي.

(٣) قوله: (السواحر). جمع ساحرة، قال ابن جرير: «من شر السواحر اللائي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها».اهـ. كما روي عن مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والحسن وغيرهم.

(٤) قوله: (من غير ريق). أي: النفث: نفخ ليس معه ريق، كما ذكره القرطبي. وعن الزمخشري: «نفخ معه ريق».

(٥) وقول المفسر: (كبنات لبيد). تمثيل للسواحر.

(٥) - ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ أظهر حسده وعمل بمقتضاه، كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ. وذكرُ الثلاثة الشامل لها «مَا خَلَقَ» بعده لشدة شرها[1].

❀❀❀

(١) قوله: (وذكر الثلاثة) يعني: ذكر ﴿شَرِّ غَاسِقٍ﴾ و﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ و﴿حَاسِدٍ﴾ من ذكر الخاص بعد العام؛ لأنها داخلة في عموم ﴿مَا خَلَقَ﴾، فيكون ذكرها لشدة شرها وخُبثها. والله أعلم. فقول المفسر: (وذكرُ) مبتدأ، خبره: (لشدة...)، وذلك واضح.

١١٤- سورة الناس

مكية أو مدنية[١]، وآياتها ست آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ (١)﴾ خالقهم ومالكهم، خُصوا بالذكر تشريفًا لهم[٢]، ومناسبة للاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم.

(٢)- ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ (٢)﴾.

(٣)- ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ (٣)﴾ بدلان أو صفتان أو عطفا بيان، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادة للبيان[٣].

(٤)- ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي: الشيطان[٤]، سمي بالحدث[٥]؛ لكثرة ملابسته له ﴿ٱلْخَنَّاسِ (٤)﴾ لأنه يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله[٦].

---

(١) قوله: (مكية...). كما تقدم في سورة الفلق.

(٢) قوله: (خُصّوا بالذكر). أي: خص الناس بالذكر، حيث قال: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، مع أنه تعالى ربهم ورب غيرهم.

(٣) قوله: (وأظهر المضاف إليه). أي: بالاسم الظاهر ﴿ٱلنَّاسِ﴾ دون الضمير -ملكهم وإلههم- لزيادة البيان، فهذا من مواضع الإظهار مكان الإضمار لفائدة بلاغية.

(٤) قوله: (أي: الشيطان...). كما ورد التفسير به عن ابن عباس وغيره.

(٥) وقوله: (سمي بالحدث). أي: سمي الشيطان الموسوس باسم الحدث، أي: اسم المصدر. وذلك أن الوَسواس اسم للوسوسة، كما قاله بعض أهل اللغة، والمصدر: بالكسر: الوِسواس. وقال القرطبي: «الوسواس -بفتح الواو- اسم بمعنى المُوَسوِس، أي: اسم الفاعل، وكذا ذكره ابن هشام في «أوضح المسالك».

(٦) قوله: (ويتأخر...). عطف تفسير؛ لأن خنس بمعنى: تأخر، قال ابن عباس: «الشيطان =

٥- ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله.

٦- ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بيان للشيطان الموسوس(١) أنه جني وإنسي كقوله تعالى: «شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ» [الأنعام: ١١٢]، أو «مِنَ ٱلۡجِنَّةِ» بيان له(٢)، و«ٱلنَّاسِ» عطف على «ٱلۡوَسۡوَاسِ»، وعلى كلٍّ شَمَل شر لبيد وبناته المذكورين، واعتُرِض الأول(٣) بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس، إنما

= جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس».اهـ. وروي نحوه عن مجاهد، وقتادة. والوسوسة: حديث النفس. ذكره القرطبي.

(١) قوله: (بيان للشيطان...). أي: فيفيد أن الموسوس في الصدور يكون جنيًّا وإنسيًّا. ونقل القرطبي هذا المعنى عن أبي ذر، وقتادة، والحسن.

(٢) وقوله: (أو ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾). وجه آخر في الإعراب، وهو أن ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾ بيان للموسوس و﴿ٱلنَّاسِ﴾ معطوف على ﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾. والمعنى: من شر الوسواس الخنّاس الذي هو الجن ومن شر الناس، وهذا الوجه ذكره القرطبي مع أوجهٍ أخرى.
ووجه آخر: أن ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان لـ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في ﴿صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾؛ لأن إبليس يوسوس في صدور الجن، كما يوسوس في صدور الإنس، وأطلق الناس على الجن إما تغليبًا، وإما لأن الجن يطلق عليهم ناس، كما أطلق عليهم رجال في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الجن: ٦]، وإلى هذا ذهب ابن جرير.

(٣) وقول المفسر: (واعتُرِض الأول). أي: القول الأول وهو كون ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيانًا لـ﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾.
وحاصل الاعتراض: أن الوسوسة في القلب تكون من الجن، ولا تكون من الإنس، فكيف يكون هذا بيانًا للموسوس؟ والجواب: أنها تكون من الإنس أيضًا بأن يعمل أو يقول شيئًا يؤدي إلى الوسوسة في القلب. كما يرى من العلمانيين واللادينيين كثيرًا. =

يوسوس في صدورهم الجن، وأجيب: بأن الناس يوسوسون أيضًا بمعنى يليق بهم في الظاهر، ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه بالطريق المؤدي إلى ذلك، والله تعالى أعلم.

❀❀❀

= **فائدة:**

١- ﴿ٱلۡجِنَّةِ﴾، اسم جنس جمعي، مفرده: جنّي. والهاء لتأنيث الجماعة؛ فالجن والجنة معناهما واحد، كما يقال: إنس وإنسي. أفاد ذلك القرطبي.

٢- روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألم تر آياتٍ أنزلت هذه الليلة لم يُر مثلهن قط** ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾». [مسلم (١/ ٥٥٨)].

وروى النسائي عن ابن عابس الجهني: أن النبي ﷺ قال له: «**يا ابن عابس، ألا أدلك - أو- ألا أخبرك- بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟**»، قال: بلى يا رسول الله، قال: «﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ **هاتان السورتان**». [النسائي (١/ ٢٥١)].

كان هذا آخر ما حررنا على «تفسير الجلالين»، وكان الفراغ منه يوم الاثنين بعد الظهر بتاريخ ٢٠ من شهر رجب سنة ١٤٣٨هـ، والحمد لله أولًا وآخرًا. وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس السور